


KÖPRÜLÜ KÜT.
41
M. ASIM BY.

٢١ ملاجامي شرح الكافية

فهرس الجلد الثانى من شرح الشفاء للشهاب

م





بسم الله الرحمن الرحيم

(فصل اما اصل فروعها) هذا الفصل معقود لبيان اصول الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها تلويحا لتحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها وضمير فروعها للاخلاق المذكورة قبله (وعنصر) هو بضم الصاد وفتحها والاول اشهر والثانى افصح ومعناه الاصل والمادة والعناصر اذا اطلقت يراد بها التراب والماء والهواء والنار لتركب جميع الاجساد منها والينابيع فى قوله (ينابيعها) جمع ينبوع وهو ماينبع الماء منه كالعين وكل ما يتفجر منه الماء (ونقطة دائرتها) والنقطة جزء من الخط والسطح مركب من خطوط مسطحة فاذا كان السطح مستديرا يكون فى حاق وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة منها الى الخط المستدير الذى يحيط بالسطح متساوية فتلك النقطة تسمى مركزا وذلك السطح يسمى دائرة وكذا الخط المحيط به ويصح ارادة كل منهما هنا فشبه العقل الذى مبنى الاخلاق عليه بشجرة اصلها العقل وفروعها الاخلاق ونورها وثمراتها ما يظهر منها وينتفع به غيره ثم شبهه بعين تلك الاخلاق كأنها الفائض منها ثم شبهه بنقطة فى الوسط المعتدل يتساوى جميع جوانبها والاخلاق كسطح او خط محيط بها فقال (فالعقل) وهو مشتق اى مأخوذ من عقله اذا شده فمنعه من الحركة لانه يمنع صاحبه مما لا يليق او من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه اليه وهو كما قاله الراغب يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم ويطلق على العلم المستفاد منه ولذا قال على كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممتنع وفى الحديث * ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه

الى هدى او يرده عن ردى (وقال بعض الحكماء هو جوهر وقال آخرون جسم شفاف محله الدماغ او القلب والاصح انه قوة نفسية هى منشأ الادراك وليس المراد به هنا العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال كما قيل لان اهل الشرع لا يقولون بمثله وقوله (الذى ينبعث منه) اى ينشأ ويخرج وهذا ناظر لكونه ينبوعا وقوله (العلم والمعرفة) العلم يكون بمعنى مطلق الادراك وبمعنى ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات وقيل انها ما سبق بالجهل وقال البيضاوى انها تكون بمعنى العلم كما ان العلم يكون بمعنى المعرفة كما فى قوله تعالى * وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم * اى الله يعرفهم والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشى معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لا يطلق على الله لاقتضائه سبق الجهل وتبع فيه السيد فى شرح المواقف فى قوله علم الله لا يسمى معرفة لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطأه فيه الحافظ العراقى رحمه الله تعالى فى نكته على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة على الله ورد فى الحديث وكلام الصحابة واهل اللغة والمتكلمين انتهى فاى اجماع مخالف لهذا ومثله عجيب من الشريف (ويتفرع) اى ينبنى ويظهر ناظر لكونه اصلا (عن هذا) عداه بعن لتضمين يتفرع معنى ينشو والمعروف تعديته بعلى وهذا اشارة للاصل الذى هو العقل (ثقوب الرأى) اى نفاذ رأيه فيما يفكر فيه وتدرك به عواقب الامور ومنه كوكب ثاقب اى مضىء فقوله (وجودة الفطنة) وهى الحذق وسرعة الانتقال (والاصابة) اى موافقة الصواب فيه تفسير لثقوب الرأى (وصدق الظن) اى موافقته للواقع كاليقين كما قال الالمعى الذى يظن بك الظن * كأن قد رأى وان سمعا (والنظر للعواقب) اى كأنه ينظر عواقب الامور ويشاهدها كما قال * وانى لارجو الله حتى كأنما * ارى بجميل الظن ما الله صانع (ومصالح النفس) مجرور معطوف على العواقب ومرفوع معطوف على ثقوب الرأى اى ما فيه صلاح وخيرلها (ومجاهدة الشهوة) اى مدافعتها او ممانعتها عما تريده فانه جهاد اكبر واعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك (وحسن السياسة) لغيره بامره من ساسه اذا حكم عليه وهو لفظ عربى لقوله وكانسوس الناس والامر امرنا * وليس معربا كما توهمه ابن كمال فى رسالة التعريب كما مر بيانه (والتدبير) النظر فى ادبار الامور وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله (واقتناء الفضائل) اى اكتسابها والتحلى بها (وتجنب الرذائل) اى ترك كل ما يذم وينقص به الانسان كالكذب والخيانة (وقد اشرنا) اى ذكرنا فيما تقدم فيما اوردناه فى صفاته والاشارة وان كانت تطلق على ما يقابل العبارة قد يراد بها العبارة ايضا لنكتة (الى مكانه منه عليه الصلوة والسلام) الضمير الاول له صلى الله تعالى عليه وسلم والثانى للعقل والمكان المرتبة المعنوية فى الفضائل يقولون فلان بمكان من الفضل يريدون

علو رتبته فيه وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى انه جائزله ومالك لامره على طريقة التجريد مبالغة فى تمكنه منه ولايخفى ما فيه من التكلف من غير داع له (وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لايبلغها بشر سواه) كما سنبينه (واذ جلالة محله من ذلك) قيل الظرف متعلق بقوله حارت العقول وقت حلوله الى آخره واذ تعليلية اى حارت العقول لاجل الخ وقيل انه علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه غايته اى من اجل ان جلالة محله الخ واذ تعليلية كما فى قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وقيل المعنى من اجل ان جلالة محله متحقق يجب اعتقاد ذلك ويجوز ان يكون ذلك لمجرد التحقق ولايخفى مافى هذا كله من التكلف والذى ظهر لى انه معطوف على ماقبله لانه يعلم من اشارته الى مكان منه لم يبلغه غيره علو ظاهر فيه فكانه قال اذ علو قدره فيه محسوس مشاهد واذ جلالة محله امر متحقق بالدليل القاطع فاستدل عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو فى القرأن وكلام العرب متداول قال ناظر الجيش فى شرح التسهيل فى قوله * اجدك لن ترى ثعيلبات * ولابيدان ناجية ذمولا * ولامتدارك والليل طفل * ببعض نواشع الوادى حمولا * متدارك بالجر لان المعنى لست برآء ولامتدارك وجعله ابو حيان من العطف على التوهم كقوله * مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الابين غرابها * والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه و بين العطف على التوهم وفيه كلام بيناه فى نكت المعنى وقوله من ذلك اشارة الاصل ولو سلمنا صحة تعلقه بقوله حارت كان معطوفا على ما قبله ولا وجه له (وما يتفرع منه) من الاخلاق الشريفة وثمراتها (متحقق) لاريب فيه لتواتره بحسب المعنى (عند من تتبع) اى علم فعبر بالسبب عن مسببه كما قالوه فى تتبع خواص التراكيب (مجارى احواله) جمع مجرى او مجرى بالضم واصله مسيل الماء والمراد ما جرت به عادته فى احواله ولايخفى لطفه مع ملاحظة قوله اولا ينابيعها فانه جار على مجراها ومنحدر اليها (واطراد سيره) الاطراد افتعال من الطرد وهو الجرى خلف شئ من صيد اوغيره ومنه مطاردة الفرسان فى الميدان ومنه استعارته للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات لانها تختص بالغزوات وقيل المراد محال اطرادها ليوافق قوله مجارى احواله اى محال جريانها والاطراد مصدر اطرد الشئ تبع بعضه بعضا فجرى والانهار تطرد اى تجرى ومنه الاطراد البديعى لسرد اسماء الممدوح وابانة مرتبته والمعنى جرى سيره فى جداول الكتب منسجمة فهو استعارة ووجه الشبه فيهما الكثرة ولايخفى ما فيه من البعد (وطالع جوامع كلامه) اما جمع جامع والمراد الكتب الجامعة للحديث الشريف اوكلماته الجامعة للحكم التى تتحير فيها عقول البلغاء والحكماء (وحسن شمائله) بالجر معطوف على كلامه وهى جمع شمال بمعنى الخلق والصفة قال * فما لمؤمن اخر من شمالنا * اى من خلق وعادتى (وبدايع سيره)

اى سيره البديعة وينبغى ان يراد بها كتب السير حتى لايكون مكررا مع ما مر (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف وهى القول المصيب غرض الحق والحديث معروف (وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة) بالتشديد والتخفيف على الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالزبر والصحف اى على علمه بذلك والتوراة اجل الكتب المنزلة قبل القرأن واصلها وورية ابدلت الواو تاء ووزنها تفعلة بفتح العين اوكسرها وقيل وزنها فوعلة والانجيل بالكسر وقد تفتح من النجل وهذا امر تقديرى لتجرى عليه احكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لايجرى فى غير كلام العرب (وحكم الحكماء) جمع حكمة اى مالهم من الحكم فى كلامهم فانهم كان لهم اعتناء بذلك وقد مرانه جمعها ابن مشكويه فى كتاب كبير سماه جاودان خرد وقد طالعته فرأيت اكثره ورد فى الاحاديث الشريفة ولكن اين الثريا من الثرى فان رونق الالفاظ النبوية لايمكن مضاهاته (وسير الامم الخالية) اى ما وقع فى زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله عليه وسلم يحدث عن بنى اسرائيل وما كان من عجايبهم (وايامها) اى وقايعها فى حروبها ومجادلاتها فان الايام شاعت بهذا المعنى كما يقال يوم حليمة ويوم بعاث وهو اطلاق شايع صار حقيقة فيه ومما قلته مشيرا لهذا المعنى

* تمنيت من دهرى زمانى نشأتى * زمان به طيف السرور كاحلامى *
* فجاء بايام على اثر ما مضى * ولكن حروب قد تسمت بايام *

(وضرب الامثال) الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده الذى وقع فيه او مستعار من ضرب الخاتم او اللبن كما حققه اهل المعانى والتفسير وهو مما يعتنى به البلغاء لكشف المعنى الممثل له وابرازه فى صورة المشاهد الى غير ذلك والامثال النبوية افردت بالتأليف (وسياسات الانام) السياسة ضبط امور العامة باللسان والسنان وتدبير احوالهم وليس المراد حسن المداراة كما قاله التلمسانى والانام الخلق وقيل الانام عبارة عما يعتريه اللوم او الانس او الجن اوما على الارض من الخلق فيختلف بحسب ما يضاف اليه (وتقرير الشرايع) اى بيان ما يتعلق باحكام الشرع فى المعاملات وغيرها (وتأصيل الاداب النفيسة) اى بيان اصول الاداب التى تتأدب بها الناس فى مجالسهم ومحاوراتهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * اكرموا عزيز كل قوم * ونهيه عن الملاحاة والمجادلة كما مر وقوله * تهادوا تحابوا * وسماها نفيسة لانها مما يتنافس فيها المتنافسون (والشيم الحميدة) جمع شيمة وهى العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف اى عاداتهم والحميدة بمعنى المحمودة مضموما ماذكر (الى فنون العلم) التى كانت فى الامم السالفة كالطب وغيره لما لم ينه الشرع (التى اتخذ اهلها كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة) اقتدوا به فيها واستدلوا به عليها (واشاراته) فى اثناء كلامه بها (حجة) دليلا

عليها (كالعبارة) بفتح العين بضبط القلم والمحفوظ فيه كسرها كما قاله البرهان الحلبى وذكره الازهرى والجوهرى الا انه لم يضبطه والذى فى النسخ كسر العين بمعنى تفسير الرؤيا وهو على قسمين فى الرؤيا الصحيحة لانها على ثلثة اقسام رؤيا حلمة من الشيطان ومن عوارض بدن الانسان كمن غلبت عليه الحرارة فرأى نارا توقد عنده اوالبرودة فرأى ماء وبحرا اواكل مأكل غليظة سوداوية كالباذنجان فرأى سوادا ويسمى اضغاث احلام ولاتأويل لها وكذا من غاب فكره فى شئ فرأه كما قال المعرى * الى الله اشكواننى كل ليلة * اذانمت لم اعدم خواطر اوهامى * فان كان شرا فهو لابد واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام * ورؤيا من الله يريها له ملك الرؤيا عند اهل الشرع اوتدركها الروح اذا انقطعت عنها علايق البدن واتصلت بالملاء الاعلى فتلقيها الى القوة المتخيلة فترتسم فى الحافظة وتبقى مشاهدة فيها حتى يستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى قوية وقع مارأته بعينه ولم يحتج للتأويل وهو الاكثر فى رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومن كان على سننهم ولذا اراد الخليل عليه الصلوة والسلام ذبح ابنه ولم يأول رؤياه بالفداء حتى امره الله تعالى به والا فتأول بما يناسبه معنى اولفظا اويحاكيه صورة وفعلها عبر بالتخفيف فعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة وظلامة او عبارة كرسالة وقدتشدد فيقال عبرتعبيرا قال فى الكشاف فى سورة يوسف رأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد فى الكامل يدل عليه وهو

* رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا * انتهى

هذا ماذكره من يوثق به فى اللغة كالجوهرى وصاحب القاموس وغيره وقال فى عدة الحفاظ العبارة بكسر العين تختص بالكلام لعبور الهواء من لسان المتكلم لسمع السامع ولايستعمل فى تفسير الرؤيا انتهى يعنى انها فيه مفتوحة لاغير فتوهم بعض الشراح انها بكسر العين لاغير وانه انكر هذا اللفظ مطلقا واساء سمعا فساء ماجاء به ثم جاء من بعده فضار به مضاربة العميان فقال انه كلام ضعيف مردود ولم يقف على المراد ولم يأت بما يدفع الايراد فاخطأ فى المعنى والعبارة واما تحقيق معنى الرؤيا فليس هذا محله ولعل النوبة تفضى اليه فى بحث النبوة وقد افردنا له تعليقة (والطب) وهو مثلث الطاء الا انه لم يستعمل فيما نحن فيه الا بالكسر والمراد به علم يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوائل وللعرب فيه اعتناء وقد افرد الطب النبوى بالتأليف (والحساب) بكسر الحاء مصدر حسب بمعنى عد ثم صار علما للعلم يعرف به احوال المقادير وهو من العلوم الرياضية القديمة (والفرائض) ذكره بعد الحساب لتوقفه عليه وهو علم يعرف به احوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة لان الله فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق

هذا اللفظ عليه بعد نزول القرأن ومعناه ظاهر (والنسب) اى معرفة انساب الانسان من آدم عليه الصلوة والسلام الى كل عصر وهو من علم التاريخ وكانت العرب تعتنى به وهو اعلم الناس به واعلم الناس به بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصديق رضى الله تعالى عنه وهو من نسبت الرجل اذا عزوته لابيه ومناسبته للفرائض ظاهرة وهذه العلوم كلها شرعية وفرض كفاية لاسيما الفرائض والانساب فان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بالمحافظة عليها ولعن من انتسب لغير نسبه فقال من خرج من نسبه وانتمى لغير قبيلته فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين كما نقله التلمسانى (وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى ابوابه ان شاء الله تعالى) وقد حصل له عليه السلام ذلك (دون تعلم) من احد من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق (ولامدارسة) من درس الكتاب اذا قرأه وحفظه اى لم يعرف بأخذه من الافواه وحفظه لشئ من العلوم عن غيره (ولامطالعة كتب) يقال طالعت الشئ اذا اطلعت عليه اى لم يطلع على شئ من الكتب بقرائتها اوسماعها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اميا بين قوم اميين لم يره احد قرأ ولاتعلم ممن قرأ واستعمال المطالعة بمعنى القرأة وهو مجاز مشهور قريب من معناه اللغوى (من تقدم) ككتب الانبياء عليهم الصلوة والسلام والحكماء (ولا الجلوس الى علمائهم) اى لم يعرف احد انه جلس عند احد ممن يعلم كتب من تقدم ليأخذها عنه والضمير لمن باعتبار المعنى فكل ذلك الذى حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو علم لدنى غير مكتسب من احد من البشر واما قوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ففيه الرد على قولهم المذكور بانه كذب محض يشهد العيان ببطلانه وقد تولى الله تكذيبهم فى ذلك كما هو مبسوط فى التفسير (بل) هو صلى الله تعالى عليه وسلم (نبى امى لم يعرف بشئ من ذلك) التعلم والمدارسة والمطالعة والمجالسة اى منبئ عن الله اومنبئا لاعن مخلوق والامى منسوب الى الام لانه كيوم ولدته امه اوالى ام القرى اوامة العرب لان القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم والامى الذى لايكتب ولا يقرؤ الكتب (وقيل هو الذى لايكتب وبما شرحناه علمت مناسبة ذكر النبى هنا وفى الحديث انا امة امية لانحسب ولانكتب اى على جبلتنا لانتعلم حسابا ولاكتابة ولاينافى مامر من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب (حتى شرح الله صدره) اى وسعه ونوره بالعلم والحكمة وهداه لكل خفى من العلوم (وابان امره) اى اظهر امره فى العلم للناس باياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة واقامته الحجج المتواترة (وعلمه) من لدنه العلوم المعهودة وغيرها (واقرأه) اى اقدره على القرأة بما القاه اوبما اوحاه اليه بواسطة الملك والاسناد مجازى اوالتجوز فى الظرف كقوله سنقرئك فلا تنسى (يعلم) بالبناء للمجهول (ذلك) اى ما بلغه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم (بالمطالعة) اى بالاطلاع على سيره صلى الله تعالى عليه وسلم

وشمائله من كتب الحديث (والبحث عن حاله) وفى نسخة من حاله والظاهر الاول لتعديه بعن و هو بمعنى التفتيش عنه بالسؤال وغيره (ضرورة) منصوب بنزع الخافض متعلق بيعلم اى من وقف على احواله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير احتياج الى دليل (وبالبرهان القاطع على نبوته صلى الله عليه وسلم نظرا) اى و يعلم ذلك ايضا بالبراهين القاطعة الدالة على نبوته لمن نظر فيها فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر اصله تقليب البصر للادراك ثم استعمل فى التأمل والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال وهو المراد هنا اى من نظر فى دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم علم قوة عقله وانه احاط بعلوم لا نهاية لها (فلا نطول بسرد الاقاصيص) السرد تعداد امور من القصص ونحوها متتابعة متوالية مستعار من سرد حلق الدرع وخيوط النسج والاقاصيص جمع اقصوصة كاعجوبة بمعنى قصة او جمع قصص على خلاف القياس كما قاله التلمسانى يقال قص واقص بمعنى اخبر والقصص اسم مصدر وقيل انه يحتمل ان يكون جمع اقصاص جمع قصص كانعام واناعيم فى جمع جمع نعم الا انهم تركوا استعمال اقصاص فانه لم يسمع وفيه تكلف لا يخفى (واحاد القضايا) احاد بمد الهمزة جمع احد بمعنى مفرداتها وفى العباب سئل ابو العباس عن الاحاد هل هو جمع الاحد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلتها جمع الواحد فهو يحتمل كشاهد واشهاد وليس للواحد تثنية ولا للاثنين واحد من جنسه انتهى والقضايا جمع قضية وهى الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهى قريبة من قول اهل الميزان القول المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهى اخص من الكلام والجملة ووزنها فعالى عند الكوفيين وفعايل عند البصريين (اذ مجموعها) جميع قصصه وقضاياه (ما لا يأخذه حصر) اى ضبط واصل معنى الاخذ حوز الشئ وتحصيله ثم استعمل بمعنى الغلبة والقهر كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم كما مر وهذا هو المراد هنا و جعل مجازا او كناية عن انه لا يمكن حصره وكذا قوله (ولا يحيط به حفظ جامع) اى لا يحفظ والاحاطة الاخذ بحواز الشئ واريد به ما ذكر (وبحسب عقله) قال البرهان هو فى الاصل بسكون السين وينبغى ان يفتح اى بقدر عقله وادراكه وقد جوز فيه السكون لكنه ضرورة والذى فى القاموس هذا بحسب ذا اى بعدده وقد تسكن ولم يخصه بالضرورة (كانت معارفه صلى الله تعالى عليه وسلم) جمع معرفة اى علومه (الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان) اى مضمومة الى الجميع او باقى ما اطلعه الله عليه مما تقدم فى الكون من احوال الامم الخالية وكتبهم وشرايعهم وما اطلعه الله عليه من المغيبات التى ستأتى ولما كانت جلالة قدره بواسطة علمه بما يكون اقوى منها بواسطة علمه بما كان قدم ما يكون فى المستقبل على ما كان

فى الماضى مع سبقه اهتماما بشانه ومقتضى الترتيب العكس (وعجايب قدرته وعظيم ملكوته) مجرور معطوف على علم و المراد ما اطلعه الله عليه فى الاسراء من خلق الملائكة والسموات واقداره على ذلك فى برهة من الزمن وقدمر ان الملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والجبروت و يطلق و يراد به عالم الامر و يقابله الملك (قال الله تعالى) وما يضرونك من شئ وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) اى علمك ما لم تكن من شانك وفى قدرتك علمه كالمغيبات والاطلاع على احوال الملكوت ولذا امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه فضل عظيم فضله به على مخلوقاته تعالى لانه كقولهم ما يكون لك ان تفعل كذا اى لا ينبغى ولا يليق او لا يصح ولا يمكن ولذا ختم الآية بهذه المنة دون قوله فى الآية الاخرى علم الانسان ما لم يعلم الا انه يبقى السؤال حينئذ على الآية الثانية بانه اى فائدة فى ذكر هذا المفعول والتعليم معلوم انه لا يكون الا لغير المعلوم وقال فى عروس الافراح بعد ما ذكر ان لم النافية يجوز فيها اتصال النفى وانفصاله وانهما اجتمعا فى قوله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم وفائدة ذكر المفعول فى قوله وعلمك ما لم تكن تعلم كان الانسان لا يعلم الا ما لا يعلم التصريح بذكر حالة الجهل التى اتفقوا عليها فانه اوضح فى الامتنان انتهى وفى حاشية السيرامى على المطول ان الشارح قال فى بعض دروسه الاولى ان يقول ما لم يكن يعلم كما فى قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم اذ لا فائدة فى ذكر المفعول اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم ولم يكن فيه اشعار بانه لو لم يعلمه لم يحصل العلم لخفائه على غير علام الغيوب وهو بعيد اذ ربما توهم حصوله من غير تعليمه تعالى ورد بانه كقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم الاية فالاولى ان يحمل ذكره على افادة العموم لانه لئلا يتوهم اختصاصه ببعض الافراد كقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه للتأكيد فتذكر لكن قوله من البيان يأباه ويحتمل انه ذكر للسجع انتهى (اقول هذا كله كلام سطحى والذى ظهر لى فى الاية ان جملة علم الانسان مفسرة للصلة وما الموصولة عبارة عن الكتابة والقراءة فانه لما قال له صلى الله تعالى عليه اقرأ فقال ما انا بقارئ سواء اريد النفى او الاستفهام قال له كيف لا تقرأ ولك رب اكرم تفضل على عباده بنعم اجلها ان كل انسان كان اميا مثلك فى ابتداء امره فعلمه الكتابة وقراءتها بالهامه فكيف لا يعلمك وانت اعزهم عليه واقواهم بصيرة فاى فائدة اتم من هذه وكل فعل متعد يدل على فاعل ومفعول ما التزاما ولذا لم يفد ضرب ضارب وضرب لمضروب فان اريد عموم او خصوص افاد و هنا علم انه لو قال ما لم تكن تعلم او عقبه بما عقب به تلك الاية لم يصادق محزه وما قيل من انه لم يذكر الكون فى هذه الاية وذكره ثمه لانه ورد فى مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون المؤذن بهما بخلاف تلك و يؤيده قول الكرمانى فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم

ان كان ذكرت للتأكيد لان معناه كما فى الكشاف ماصح ويعنى به نفى امكان الاضاعة وهوابلغ من نفى الاضاعة نفسها ومنه يعلم السر فى انه اردف قوله وعلمك مالم تكن تعلم بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ولم يردف هذه به لما فى الاول من المبالغة والتأكيد انتهى قد علمت مافيه مما تقدم وقوله (حارت العقول فى تقدير فضله عليه) المذكور فى هذه الاية لانه لايمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم ولكن ومايكون عنده تعالى عظيما كيف يعلمه سواه (وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك) الفضل ومالايدرك كيف يوصف وفى قوله خرست دون سكتت وصمتت مبالغة لانه يقتضى سلب القوة الناطقة ثم ترقى فقال (او ينتهى اليه) اى كيف يحيط بما لم يصل اليه

﴿فصل واما الحلم﴾ اى حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهوضبط النفس والطبع من هيجان الغضب وعدم اظهاره (والاحتمال) هوافتعال من الحمل وهو يكون على الظهر وفى البطن ففرق بينهما لفظا ثم استعمل فى التكليف كقوله لاتحملنا مالاطاقة لنابه وللصبر على المكاره وعدم التأثر منها كما فى الماء لايحمل الخبث وهو المراد هنا (والعفو) عدم المؤاخذة بالذنب ونحوه وهوقريب من المغفرة وبينهما فرق تقدم (مع القدرة) وفى نسخة المقدرة بفتح الدال وضمها وميم مفتوحة مصدر ميمى بمعنى القدرة ومن كلامهم المقدرة تذهب الحفيظة اى الغضب والحمية (والصبر على مايكره) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا بمرتبة لاتدرك (وبين هذه الالقاب) اى بين مسميات هذه الالقاب (فرق) يميزبها عن غيره واحتاجت الى الفرق لتقارب معانيها والمراد باللقب اللفظ الجامد الدال على صفة لاما اصطلح عليه النحاة وهو كما قال الراغب اسم يسمى به الانسان غيراسمه الاول ويراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام (فان الحلم حالة توقر) بفتح المثناة الفوقية وضم القاف المشددة اى اظهار الوقار وهو السكون يقال هو وقور ووقار ومتوقر اى ساكن غير مضطرب (وثبات عند الاسباب المحركات) كالغضب قيل ولابد من اعتبار كون هذا بسهولة حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتبار يصير كذلك (والاحتمال حبس النفس عند) ورود مايعتريها من (الالام) بمد الهمزة جمع الم وهومايولم فى اى عضو كان (والمؤذيات) بالهمزة والواو والذال المعجمة جمع مؤذية والاذى كل مايتأذى به والمراد بحبس النفس ضبطها حين تخضع لسلطان العقل وتطمئن لما يأمرها به وفى نسخة العرفى رواية كما قاله التلمسانى المرديات بالراء والدال المهملتين من الردى بمعنى الهلاك (ومثلها) قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل الاحتمال وانث ضميره باعتبار انه حال ولوقال ومثله كان احسن واسلم من التكلف (الصبر) فان معناه لغة الحبس ومنه قتله صبرا اذا امسكه ليقتله فى غير قتال وهذا يؤيد ارجاع الضمير للاحتمالات (ومعانيها متقاربة) قال الراغب الصبر الامساك فى ضيق وحبس النفس عما يقتضيه

العقل اوالشرع اوعما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بسبب اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمى صبرا لاغير وبضاده الجزع وان كان فى محاربة سمى شجاعة ويضاده الجبن وان كان فى نائبة تضجره سمى رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان فى الكلام سمى كتمانا ويضاده الزلة انتهى ومنه تعلم ان له معنيان خاص وعام فلوحمله المصنف على الخاص غايراخويه وهو الاولى (واما العفو فهوترك المؤاخذة) بالهمزة وبالواوغيرفصيحة وهى الجزاء على مافعل غيره قيل وفى تفسيره بالترك اشعار بانه لايكون الاعن قدرة لان من لايقدر عادم لاتارك فتقييده به اولا للتأكيد كنظر بعينه كقوله

* وان فى الحلم ذلا انت عارفه * والحلم عن قدرة فضل من الكرم *

لانه ان لم يكن عن مقدرة فهو عجز وما احسن قول ابن زيدون

* ارى الدهر ان يبطش فانت يمينه * وان تبسم الدنيا فانت لها ثغر *

* عطاء ولامن وحلم ولاهوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر *

(وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى آداب ومحاسن علمها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وارشده بعد ماخلق فيه استعدادا تاما لها كما قال ادبنى ربى فاحسن تأديبى وهواحد الحكم فى كونه صلى الله عليه وسلم تربى يتيما حتى يعلم ان ربه مربيه من غيرحاجة لامه وابيه (فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية) وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق اى تعاط العفو عن الناس وترك مؤاخذتهم وفى عدوله عن اعف الاظهر الاخصر نكتة يعرفها من له المام بالادب كما ان فى قوله وأمر بالعرف دون اعمل اشارة الى انه متصف به مركوز فى جبلته ومن تأمل مثله استخرج منها فوائد لاتحصر ومنهم من فسر العفو بالمساهلة وترك المؤاخذة والبحث عن مذام الاخلاق فامر باخذ ماسهل من اخلاق الناس وافعالهم من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض عليه انه غيرمناسب لقوله (وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) وهذا الحديث كما قاله السيوطى رواه ابن جرير وابن ابى حاتم وابو الشيخ فى تفاسيرهم وابن ابى الدنيا فى مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه من حديث جابر رضى الله تعالى عنه وعزا الشيخ قاسم للبخارى عن عبد الله بن الزبير فى قوله خذ العفو الى آخره انه قال ما انزل الله هذه الآية الا فى اخلاق الناس وله فى رواية اخرى تعليقا عن عبدالله قال امر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأخذ العفو من اقوال الناس اومن اخلاق الناس واما قوله (واعرض عن الجاهلين) اى عن معايبهم ولاتمارهم فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ باية السيف وان كان امرا بمكارم الاخلاق وعدم مقابلة من سفه فليست منسوخة (قيل ويعين هذا

ما رواه البخارى من ان عينة بن حصين استأذن له الحر بن قيس من عمر رضى الله تعالى عنه فى الدخول فدخل عليه وقال له يا ابن الخطاب اما تعطينا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضى الله تعالى عنه فقال له الحر يا اميرالمؤمنين ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم خذ العفو الاية وان هذا من الجاهلين فما جاوزها عمر رضى الله تعالى عنه وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها غير منسوخة وليس كما قال فانه يجوز ان يكون استشهد بها لشمولها غير الكفار لا ان هذا هو معناها فقط (سأل) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل) عليه الصلوة والسلام (عن تأويلها) اى تفسيرها وبيان المراد منها فانه احد معنيى التأويل (فقال له حتى اسئل العالم) يعنى الله عز وجل والعالم كالعليم من اسماء الله تعالى ويوصف بهما غيره تعالى اما الاول فظاهر واما الثانى فى حق الله فظاهر واما فى غيره فكقوله * فان تسالونى بالنساء فاننى * عليم بادواء النساء طبيب * والثانى فى حق الله تعالى اشهر وقيل المراد بالعالم الكامل فى العلم كما فى قوله ذلك الكتاب فيختص به فانه مسا وبهذا المعنى للعليم واما العليم فاطلاقه على غير الله لم يسمع والشعر المذكور لابن الوردى وهو من المتأخرين لا يستدل به وهذا الحديث يكفى شاهدا لاطلاق العالم على الله فهو كاف فى ثبوته (اقول هذا عجيب من مثله وفيه من الخلط ما لايخفى واما قوله ان الشعر المذكور لابن الوردى فافتراء عليه لانه شعر فصيح لبعض العرب وهو مذكور فى الشواهد واما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور فى القرآن كقوله عالم الغيب والشهادة فمما يقضى منه العجب واما قول جبريل عليه الصلوة والسلام حتى اسئل العالم دون اسئل الله فكانه تأدب منه لايهام انه لايسئل الله بالذات فكان بينه وبينه واسطة اى من هو عالم بالتفسير وفيه ارشاد لمن سأل عن شئ لا سيما القرآن فينبغى ان يثبت فيه وفى جبريل تسع لغات جبريل بكسر الجيم وجبريل بالفتح وجبرئل بالفتح مهموزا مشدد اللام وجبرائيل بهمزة بعد الالف وجبرئل مفتوحا بهمزة بلا الف وياء وجبريل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات اخر وقال الجوهرى والازهرى وكثير من المفسرين فى جبريل وميكائل ان جبر وميك معناهما عبد وئيل وال اسم الله وقال ابو على الفارسى هذا خطاء لان ال لم يذكر احد انه من اسماء الله تعالى ولانه لو كان كذلك كان عبد الله يلزم آخره حالة واحدة ولايعرب بحسب العوامل قال النووى وهو الصواب ولايخفى ما فيه فان ال اذا كان اسما لله فهو سريانى فلا يأباه عدم معرفة العرب له واما اعرابه فلانه لما عرب غيرعما كان عليه وجعل اسما واحدا واذا ارجعوه لاوزانهم والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعى كما توهم (فاتاه) الفا فصيحة اى انفصل عنه وفارقه ثم اتاه

(فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك) الظاهر ان المراد به صلة الرحم والرحم بمعنى القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية والزيارة وارسال السلام ونحو ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك التهاجر المنهى عنه كما فى قوله (وتعطى من حرمك) يقال حرمه واحرمه بمعنى اى احسن الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته وان كان لايرجو غيرالله واحسانه (وتعفو عمن ظلمك) هذا معنى قوله خذ العفو وما قبله بمعنى وأمر بالعرف ولم يتعرض لقوله واعرض عن الجاهلين اما لظهوره اوللاشارة الى انه فى معرض النسخ او لان المراد بالجاهلين من قطع وظلم وهذا اشارة الى اصول الاخلاق واعظمها واحبها الى الله تعالى فتدبر (وقال له واصبر على ما اصابك الاية) وهذه الاية من وصية لقمان لابنه اذ قال له يا بنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر كما قصه الله تعالى فى كتابه الكريم وكل ما قصه الله تعالى من قصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام فهو ارشاد لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته فكانه مما امر به ابتداء فلا يتوهم انها ليست فى حقه اى اذا امرت بمعروف ونهيت عن منكر واصابك بسبب ذلك مكروه فاصبر له (وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل) قال العز بن عبد السلام اولو العزم اولو الجد والجهد والصبر وهم المأمورون بالجهاد او الرسل من العرب وقيل من لم تصبه فتنة وقيل من اصابه بلاء بغير ذنب وهم نوح وابراهيم ومحمد صلى الله تعالى عليهم وقيل نوح وابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد وقيل هم المذكورون فى الانعام فى قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الا يونس لقصة الحوت انتهى ولاينبغى عد محمد صلى الله عليه وسلم هنا لقوله كما صبر وهم كلهم من الرسل وقد علمت انه اختلف فيهم فقال مجاهد هم خمسة وهم اصحاب الشرايع وقيل ثلاثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل اولو عزم وقيل كل الانبياء عليهم الصلاة والسلام اولو عزم الا يونس لتخليه والفاء فى قوله فاصبر فصيحة لان قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى اذا كان عاقبة الكفرة ما ذكر فاصبر وقد صبر صلى الله عليه وسلم مثل صبرهم وزاد عليهم ومن فى من الرسل بيانية اوتبعيضية والخلاف دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الاية او الجد والاجتهاد او الجهاد (وقال وليعفوا وليصفحوا الاية) الاتحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم العفو عدم المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من اعرض عن شئ ولاه صفحة عنقه وهذه الاية وان نزلت فى الافك وفى حق ابى بكر رضى الله عنه اذ كان ينفق على مسطح لقرابته منه فلما خاض فى الافك آلى ان لاينفق عليه فقال الله تعالى * ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين * الى آخره فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه بلى والله انى لاحب ان يغفر الله لى وعاد الى انفاقه عليه فالنبى صلى الله تعالى

عليه وسلم داخل فى عمومها كما فى سائر الخطابات فلا يرد على المصنف ان هذه الاية ليست فى حقه صلى الله عليه وسلم (وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) اى من اهم الامور التى ينبغى التصميم والعزم عليها واللام موطئة للقسم ان قلنا ان من شرطية اولام ابتداء ان قلنا انها موصولة كما فصله المعربون وهذه الاية مع ماقبلها كما علمت نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه وقد شتمه بعض الانصار واستشهد بها المصنف على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان آخذا بذلك معتمدا عليه (ولاخفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله) الباء بمعنى فى ويؤثر بمعنى ينقل ويروى من حلمه وتحمله للاذى فانه شايع غير خفى على احد (وان كل حليم) اى ولاخفاء ان كل حليم غيره صلى الله عليه وسلم (قد عرفت منه زلة) بفتح الزاى المعجمة وهى الخطيئة والسقطة قال الشاعر

* فنى لا ترى زلة ليس بعدها * نحو وزلات النساء كثير *

(وحفظت عنه هفوة) بفتح الهاء وسكون الفاء وهى قريبة من الزلة معنى وقال التلمسانى هى بالفاء وهو اكثر وبالقاف وهى السقطة وهو غريب منه وهى من هفا بمعنى زل وسقط اوتحرك واسرع (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الاحلما) جملة حالية اى مع انه لابد من الزلة والهفوة فى الغضب والمكاره فهو صلى الله عليه وسلم لا يزداد مع ذلك الاصبرا وحلما والمراد بالجاهل ليس ضد العالم وان كان اشهر معنيه بل هو السئ الخلق المجازف فى اموره قال الشاعر * لا لا يجهلن احد علينا * فيجهل فوق جهل الجاهلينا * فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم ويتعدى بعلى وقد تترك تعديته كقول الحماسى * وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان * وقال بعض الحكما * لا يحملنك سب الجهول لك وجرأة السفيه عليك على الاجابة له وفريه عليه فحلم يغنى صبرك خير من سفه يشفى صدرك * وهو مما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان كان مقاربا له كما مر وهذا هو المعروف عند العرب فى الجهل والاسراف بمعنى الزيادة ومجاوزة الحد (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن على التغلبى وغيره) هو محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين بزنة غسلين التغلبى بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة منسوب لتغلب اسم قبيلة سميت باسم ابيهم كتميم ولامه مكسورة تفتح فى النسب استيحاشا من توالى كسرتين وياء ولد سنة تسع وثلاثين واربعمائة ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسمائة ودفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر وكان فقيها ثقة تولى القضاء فى ايام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين فسار باحسن سيرة وبقى فيها مدة عمره وسمع من شيوخ الاندلس واخذ عنه المصنف فى رحلته لقرطبة (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف وباء موحدة وهو ابن محسن الجذامى

المحدث الفاضل توفى ليلة الثلاثا لعشر بقين من صفر سنة اثنين واربعمائة قال (حدثنا ابو بكر بن وافد وغيره) هو يحيى بن عبد الرحمن بن وافد بالفاء والدال المهملة علم منقول من الوافد بمعنى القادم قال ابن سهل فى احكامه كان ابن وافد مقدما فى اصحاب ابن ذرب ثم سقط بعد موته والزم داره ثم اعاده المنصور بن سليمان الى مرتبته وجعل اماما بجامع الزهراء ثم وقعت له امور اقتضت موته فى الحبس ودفن بمقبرة الربض سنة خمسين واربعمائة وانتصر الله من قاتله بعد ايام وفى بعض الحواشى انه وقع هنا فى اصل السماع وافد بالفاء وفيما سيأتى فى كيفية الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واقد بالقاف وهو الصواب والاول هو الذى صححه البرهان الحلبى والتلمسانى قال (حدثنا ابو عيسى) هو الليثى واسمه يحيى بن عبيد الله بن ابى عيسى يروى عن ابيه عبيد بن يحيى توفى لعشر بن مضين من رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومأتين قال (حدثنا عبيد الله) قال البرهان الحلبى هو ابو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير قال (حدثنا يحيى بن يحيى) قال البرهان الحلبى هو يحيى بن كثير الليثى مولاهم البربرى المصمودى القرطبى الفقيه ابو محمد عالم الاندلس لم يخرج له فى الكتب الستة شئ والموطأ مشهور به وموطاه اصح نسخ الموطأ وقد سمعته بحلب وقرأته بالاسكندرية اما الذى له ذكر فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى فهو يحيى بن يحيى بن ابى بكر بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمى ابو زكريا النيسابورى احد الاعلام انتهى قال (حدثنا مالك) بن انس بن مالك بن ابى عامر الاصبحى امام دار الهجرة ومن اليه الرحلة بها صاحب المذهب الجليل واختلف فيه هل هو تابعى او من تبع التابعين ولد سنة ثلاث وتسعين وتوفى فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة ومات وهو بن ست وثمانين واختلف فى جده ابى عامر هل له صحبة ام لا (عن ابن شهاب) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى توفى سنة اربع وعشرين ومائة وقيل غير ذلك (عن عروة) بن الزبير بن العوام اخو عبد الله بن الزبير احد فقهاء المدينة السبعة روى عن ابويه الزبير واسماء بنت ابى بكر وخالته عائشة رضى الله تعالى عنهم وغيرهم وتوفى سنة اربع او خمس وتسعين بعد الهجرة وولد سنة اثنين وعشرين وهذا حديث صحيح فى الصحيحين والموطأ واختاره المصنف طريق الموطأ فقال (عن عائشة) ام المؤمنين فريدة الصدق ويتيمة الدهر رضى الله تعالى عنها (قالت ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما) قال البرهان هذا ما اخرجه المصنف من موطأ مالك عن يحيى بن يحيى وقد اخرجه البخارى ومسلم واصحاب السنن ولم يروه المصنف من غير هذه الطريق لانه امام مذهبه ولاهل الغرب اعتناء به وترجيحه على غيره من الكتب الستة ولان سنده فيه من هذه الطريق اعلى من سنده فى غيره

لان بينه و بين ذلك فى هذه الطريق ستة بالسماع بينه و بينه فى رواية الصحيحين سبعة
وفى ابى داود ستة الا انه بالاجازة فلذا اختار هذه الطريق على غيرها لمالها من
الشان عنده وفى هذا الحديث الاخذ بالاسهل والارفق مالم يكن حراما اومكروها
ونقل النووى عن المصنف انه يحتمل ان يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان
اوفيما بينه و بين الكفار من القتال عقوبتان واخذ الجزية اوفى حق امته فى المجاهدة
فى العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر واما قوله (مالم يكن اثما) فيتصور اذا خيره
الكفار او المنافقون اما اذا كان التخيير من الله او المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا
انتهى قال بعض الشراح انه فهم من قوله مالم يكن الى اخره اى موجب اثم من حرام
او مكروه ما يفهم من الاستثناء فسماه استثناء وجعله منقطعا لاستحالة ان يخيره الله
او خلص المؤمنين بين امرين احدهما اثم وهو مبنى على ان ما فى معنى الاستثناء له حكم
الاستثناء الا ترى الى قول النحاة ان قولك لالزمنك او تقضينى حقى بمعنى الا ان تقضينى حقى
فكانه قال هنا الا ان يكون اثما فان قلت هذا مناف لما ورد ان افضل العبادة احمزها
اى اشقها على البدن فكيف يختار غير الافضل قلت انما كان صلى الله تعالى عليه
وسلم يؤثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لا فى حق نفسه لانه ارسل بالحنيفية السمحة ولذا
كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه ويؤيده ما فى نفس الامر قوله فى عجز
الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه يعنى ان التخيير بين الاثم وغيره من العباد
يتصور واما من الله فلا فاذا اول بما يوجب الاثم او يفضى اليه فى حق غيره صح
او المراد بالاثم مالا يليق به صلى الله تعالى عليه وسلم لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز
الارض وعيش الكفاف ويدل على انه فى حقه قوله (فان كان اثما كان ابعد الناس
منه) اقول قال العز بن عبد السلام وتبعه الزركشى فى قواعده ان قولهم الاجر على
قدر المشقة وما ورد فى حديث عائشة رضى الله عنها اجرك على قدر نصبك كما فى
مسلم ليس على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان فى الشرف والشرائط والسنن وكان
احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل فى الصيف والشتاء اما اذا لم
يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته والمختار ان فضل الاعمال انما
هو بالمصالح الناشئة عنها فتصدق البخيل افضل من قيامه الليل وانقاذ الحاكم
مظلوما بكلمة افضل من قيامه الليل وصيامه النافلة انتهى وهذا هو الحق الذى
لا محيد عنه فلا حاجة لما اطالوا به من غير طائل (وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لنفسه) اى لا يعاقب احدا بتقصير وقع منه فى حقه بحيث يكون فاعله
لم يخالف امر الله فيما فعله لانه برئ من الحظوظ النفسانية والاعتبارات الدنيوية
(الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) اى بسبب حرمة الله وانتهاكها وحرمة الله
ما حرمه او جعله محترما ممنوعا وانتهاكه التعدى والتجاوز فيه من نهكت الثوب

اذا لبسته حتى اخلقته ويقال نهكته الحمى اذا اضعفته واضنته فانتهاكها تناولها
بما لا يحل وانتهك فلان محارم الله اى فعل ما حرم الله فعله عليه لما فيه من ضعف
الدين وابتذال حكمه وليس الانتهاك المبالغة فى اتيان ما حرمه الله تعالى كما توهم
حتى يرد انه لا يغضب بمجرد فعل محرم او صغيرة مرة واحدة ويحتاج الى الجواب
بان من فعل ذلك فقد بالغ فى الجراءة على الرب العظيم او يقال انه كان يغضى عند فعل
الصغائر ويغضب اذا فعلت الكبائر فان هذا مما لا ينبغى فانه كيف يخطر بالبال انه عليه
السلام يغضى عن الصغائر من غير عذر لفاعلها ولا حاجة ايضا الى حمل هذا على
ما يتعلق بالمال فانه عليه السلام اقتص ممن نال من عرضه كما امر بقتل ابن ابى معيط
والاخطل واى حرمة لله اعظم من حرمة نبيه عليه السلام ومن اذاه فقد اذى الله وانما
المراد ما كان يقع من بعض جفاة الاعراب كالاعرابى الذى امسك برده وجذبه حتى اثر
فى جيده الشريف وقول بعضهم له اعدل فى القسمة فانك لن تعطى من مال ابيك
ونحو ذلك مما صدر منهم لغلظة طباعهم مما لا يفضى الى ارتكاب محرم فمن ارتكب شيئا
من محارم الله بحضرته عليه السلام التى من جملتها احترامه انتصر وعاقبه لا لحق نفسه
وانما تعلق بها انتقاما لدين الله ورسوله عليه السلام (وروى ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم لما كسرت رباعيته) رباعية بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب من اليمين
والاخرى من اليسار ويقابلها مثلها من فوق فالرباعيات اربع (وشج وجهه يوم احد)
الشجة جراحة فى الوجه او الرأس (شق ذلك) الكسر والشج (على اصحابه شديدا)
اى حصل من ذلك فى نفوسهم مشقة وامرا شديدا عظيما (وقالوا) له صلى الله تعالى
عليه وسلم (لو دعوت عليهم) اى على الكفار بان يهلكهم الله ويستأصلهم باشد
العذاب (فقال انى لم ابعث) بالبناء للمجهول اى لم يبعثنى الله (لعانا) اى داعيا على
الناس بالطرد والبعد عن رحمة الله (ولكنى بعثت داعيا) للناس الى الله (ورحمة) للناس
جميعا باخراجهم من الكفر الى الايمان وتاخير العذاب عمن كفر لا لطردهم عن رحمة الله
وابعادهم عنه ثم قال داعيا لهم (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) دعا لهم ان يهديهم
الله تعالى للاسلام فانهم لا يعلمون طريق الحق ولا معرفة قدر نبيه صلى الله عليه وسلم
وما يريد بهم من الخير ولو علموا ذلك لم يصدر عنهم ما صدر وفى سيرة بن هشام
وغيره ان عتبة بن ابى وقاص رماه صلى الله تعالى عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى
السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى وجهه الشريف
وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته الشريفة وفى الروض
الباسم انه صلى الله تعالى عليه وسلم اصيب وشج جبينه وكسرت رباعيته رماه
عبد الله بن قمئة وضربه بالسيف على شقه الايمن فجرح وجنته ودخلت فيه
حلقتان من المغفر وشقت شفته السفلى وصرخ ابن قمئة ان محمدا قد قتل

وقد اختلف فى اسلام عتبة بن ابى وقاص اخى سعد بن ابى وقاص والصحيح انه لم يسلم وابن شهاب اسلم واما ابن قمئة فنطحه كبش فتردى من شاهق فهلك ولكل شئ آفة من جنسه ويقال ان حاطبا تبع عتبة فقتله ولم يولد احد من نسل عتبة الا بخراهتم فسترى خزيه لعقبه فبخوراولاده لابق بفساء جدهم وقد قالوا ان رباعيته صلى الله عليه وسلم لم تنكسر من اصلها وانما شظئت وذهبت منها فلقة وكانت فاطمة رضى الله عنها تغسل دمه وعلى كرم الله وجهه يصب عليها الماء بالمجن فلما رأت فاطمة ان الماء يزيد الدم كثرة اخذت قطعة من حصير واحرقها ودرتها عليه فامسك الدم وكسرت البيضة التى على رأسه الشريف وقال الامام الخيضرى فى خصائصه ان هذا كان قبل نزول قوله تعالى * والله يعصمك من الناس * او المراد عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل لا من مطلق الاذية كما مر بيان ذلك وما احسن قول ابن الفارض فى الاشارة لذلك

* عينى جرحت وجنته بالنظر * من رقتها فانظر لحسن الاثر *
* لم اجن وقد جنيت ورد الخفر * الا ترى كيف انشقاق القمر *

(وذيل بعضهم فقال)

* وما شق وجنته عابسا * ولكنه آية ساطعة للبشر *
* جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف انشقاق القمر *

وبقية قصة احد وما فيها مفصل فى السير مشهور فلا نكثر السواد به كما فى الشرح الجديد (تنبيه) قال الامام السمرقندى فى تفسير قوله عز وجل ويقتلون النبيين بغير حق * طعن الملحدة لعنهم الله وقالوا ان الله اخبر ان الكفار قتلوا الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد قال الله تعالى * انا لننصر رسلنا * وقال انهم لهم المنصورون وما فى معناه من الايات ومن كان الله ناصره فهو منصور ابدا فاذا لهم قتلوا فهو تناقض واجيب بوجهين الاول انه لم يثبت فى الكتاب ولا فى خبر متواتر قتل رسول من الرسل الذى اخبر الله بنصرهم وانما ثبت قتل الانبياء لان الرسل هم الذين اوتوا المعجزات لاظهار الدين الحق ودعوة الخلق فكان عصمتهم عن القتل من آياتهم الحسنة الدالة على صدق دعواهم الرسالة وولاية القتل مما يوهن دعوتهم بخلاف الانبياء اذ ليس لهم دعوة وشريعة والثانى ان المراد النصرة بالحجج لا بالعصمة انتهى (وعن عمر) رضى الله عنه قال السيوطى رحمه الله ان هذا لا يعرف عن عمر فى شئ من كتب الحديث وبيض له الشيخ قاسم فى تخريجه لاحاديث هذا الكتاب فكانه لم يقف له على اصل ايضا وتقدم ما فيه (انه قال فى بعض كلامه) اى كلام قاله له لما رأى ما اصابه صلى الله تعالى عليه وسلم من كسر رباعيته وشجه فى غزوة احد (بابى انت وامى يارسول الله) هذا الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره افديك وتسمى هذه الباء باء التفدية ومعناه انى اجعل ابوى فداء دونك وابذلهما فى حمايتك اقول الرجل لمن هو اعز عليه

من نفسه واهله وماله لانهم كانوا يبذلون الانفس فى صيانة اهلهم وقد تكلم بهذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى المثل فى ذلك وقد يظهرون متعلق الجار والمجرور والفداء بكسر الفاء والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير يقال فداه يفديه فداء وفدى وفاداه اذا بذل فداءه وفداه بالتشديد اذا قال جعلت فداك وهى كلمة تقال فى التعظيم وتدخل الباء على المبذول المفدى به وقد يعكس كما فى قوله

* فديت بنفسه نفسى ومالى * وما الوك الا ما اطيق *

وجعله فى المغنى من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر رضى الله تعالى عنه فى هذا على ما تداوله العرب والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم حقيق بان يفدى بالنفوس فضلا عن الاباء والامهات ولقد قال الآخر * نفسى الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم * فانظر قصة على كرم الله وجهه اذا فداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اول من اشترى نفسه من الله كما مر ومقامه دون عمر رضى الله تعالى عنه كما هو معلوم (لقد دعا نوح عليه الصلوة والسلام على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا * وانما قال عمر رضى الله تعالى عنه هذا لان مشربه كان مشرب نوح عليه الصلوة والسلام كما ان مشرب الصديق رضى الله تعالى عنه كان مشرب ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وتذر كتدع بمعنى تترك وديار بمعنى احد وهو يختص بالنفى يقال ما فى الدار ديار ودورى اى احد واصله ديوار فاعل اعلال سيد وميت وادغم والفاء عاطفة للمفصل على المجمل (ولو دعوت علينا) اى على الناس كلهم (مثلها) اى مثل دعوة نوح عليه الصلوة والسلام (لهلكنا من عند آخرنا) هذا التركيب وقع فى كلام العرب والمراد به من اولنا الى آخرنا اى جميعنا ولشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من اولنا الى آخرنا كما ذكر وعند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا يكون الهلاك عند آخرهم الا اذا شملهم جميعا فان اردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف فى اول سورة البقرة (فلقد وطئ ظهرك) الوطئ الدوس بالقدم وفى الشرح الجديد انه لم ينقل ان احدا من المشركين وطئ ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقدمه ولعله عبارة عما روى فى السير من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى عند البيت وثمة كرش ذبيحة فيها قاذورات فقال ابو جهل لعنه الله لجماعة جالسين ثمة ألا رجل يقوم الى هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد فانبعث اشقاها وهو عقبة بن ابى معيط فالقاه عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم * اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وكانوا ابا جهل وعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وعقبة بن ابى معيط وامية بن خلف وعمار بن الوليد وهم المستهزؤن

فاهلكهم الله جميعا فاما ان يكون سمى هذا وطأ لما فيه من الاهانة الشديدة كما سمى الغزو وطأ اووقع هذا فى قصة لم نقف عليها (وادمى وجهك) اى جرح فى وقعة احد يقال ادميته اذاجرحته فاسلت دمه والذى فعل به صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك عتبة بن ابى وقاص اخوسعد كمامر وفيه يقول حسان رضى الله عنه

* اذا الله جازى معشرا بفعالهم * ونصرهم الرحمن رب المشارق *
* واخزاك ربى ياعتيب بن مالك * ولقاك قبل الموت احدى الصواعق *
* بسطت يمينا للنبى تعمدا * وادميت فاه قطعت بالبوارق *
* وهلا ذكرت الله والمنزل الذى * يصير اليه عند احدى البوائق *

(وشج وجهك) وقع فى نسخة التلمسانى زيادة هذا هنا وقد شجت وجنته وجبهته باحد فدخل فى وجنته صلى الله تعالى عليه وسلم حلقتا الدرع فنزعهما بفيه ابوعبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه حتى سقطت ثنيته والذى جرحه عبد الله بن قمئة فقيل نطحه تيس وتردى من شاهق فمات كمامر وقيل انماهو عتبة بن ابى وقاص فادركه حاطب فقتله كمامر وجاء بفرسه (وكسرت رباعيتك) تقدم بيانه ومافيه وعليه (فابيت ان تقول الا خيرا) اى لم تدع عليهم كما دعا نوح عليه الصلوة والسلام على قومه ثم فسر الخير بقوله (فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون) الحق ولايهتدون الى الصواب وفى النسخ المروية هنا اللهم اهد قومى وهى مفسرة للرواية الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية اوالتقدير اللهم اهدهم واغفر لهم فلا يرد عليه ماقيل ان الدعاء المذكور صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد وكانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة فكيف يسأل لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل * ان الله لايغفر ان يشرك به * الاية ولوقلنا ان مغفرة الشرك جائزة عقلا عند بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فماوجه وقوعه فى كلام الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم ولاحاجة لى الجواب بان هذه الاية من سورة النساء وهى مدنية بجملتها اوهذه الاية بخصوصها فيجوز ان دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل نزولها وقبل علمه بمنع الدعاء لهم بالمغفرة لجوازه سواء قلنا المدنى مانزل بالمدينة او بعد الهجرة او المراد مغفرة ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لامغفرة الشرك وقيل هذا انما صدر من النبى صلى الله عليه وسلم على سبيل الحكاية عن نبى كان قبله كما رواه مسلم فى صحيحه قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كانى انظر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحكى عن نبى من الانبياء ضربه قومه وشجوه فكان يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ومثله فى البخارى والمراد بهذا النبى نوح عليه الصلوة والسلام فانه كان يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون انه قد مات

ثم يخرج ويدعوهم الى الله تعالى فلما آيس منهم دعا عليهم فالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع به ما وقع حكى ذلك عنه تسلية له وللمؤمنين وقوله لقومى ذكر نسبتهم له تحننا عليهم وبيانا لسبب ذلك ورجاء لرحمة الله تعالى بهدايتهم واضافتهم اليه موافقة لما فى نفس الامر وان قيل انه ليس من اهلك كما لا يخفى وقوله فانهم لايعلمون اعتذار لهم بالجهل الحقيقى اوبما هو فى حكمه لعدم جريهم على مقتضى علمهم كما تقول لتارك الصلوة الصلوة واجبة والجهل وان لم يكن مع مشاهدة الايات الباهرة عذرا شرعا فليس بمنج من العذاب وقداختلف فيما قبل البعثة ايضا كما هو معلوم فى كتب الاصول لكنه جرى فيه على حكم الظاهر تضرعا الى الله ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم حتى يكون منهم مؤمنين اومن ذريتهم وقد حقق الله تعالى رجاءه لا انه جعل ذلك عذرا حقيقيا لهم فلا يردهنا شئ كما توهمه بعضهم (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف عياض رحمه الله (انظر ما فى هذا القول) المذكور فى كلام عمر رضى الله تعالى عنه فى الحديث الذى قبله (من جماع الفضل) الجماع بكسر الجيم ما يجمع كل امر كالخمر جماع الاثم ومظنته (ودرجات الاحسان) بالجر معطوف على الفضل اى ما يجمع مراتب الاحسان وكذاقوله (وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم) ففيه مايدل على نهاية هذه الصفات (اذ لم يقتصر على السكوت عنهم) مع مافعلوه معه صلى الله تعالى عليه وسلم ممالا يتحمل بعضه احد فضلا عن اعز الناس نفسا واشرفهم واعلاهم حسبا ونسبا * وجرح ذوى القربى اشد مضاضة * على النفس من وقع الحسام المهند (حتى عفا عنهم) مع عظيم جرمهم فى حقه اذ قال انى لم ابعث لعانا (ثم اشفق عليهم) اى ابدا شفقته ورحمته لهم (ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد) كمامر بيانه مفصلا (ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) فان الطبع البشرى يقتضى العطف والحنو على الاهل والاقارب باى حال كانوا (ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لايعلمون) وقد تقدم بيانه ونسبتهم اليه ليبلغهم ذلك فتنشرح صدورهم لاجلها فيختاروا الايمان على الكفر ولذا لم يعبر بالجهل بل بعدم العلم تحسينا للعبارة ليجذبهم بزمام لطفه الى الايمان ويدخلوا حرم الامان وان كان جهلهم لا يعتد به بعد انضاح برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر الا انه اعتذار ظاهرى اعتبره سعيا فى تسخير قلوبهم والافهم عالمون جاحدون مكابرون وليس لهم عذر يقبل شرعا كمامر تفسيره (ولما قال له الرجل) هوذو الخويصرة التميمى ويقال له حرقوص بن زهير رأس الخوارج قال البرهان قتل يوم النهروان كما فى تجريد الذهبى وفى صحيح البخارى هو عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى قال فى المتقى ولعلهما قالاه والصواب ان والده هو القائل و النهروان بفتح النون والهاء

اسم موضع فارسي معرب (قال الطرماخ) قل في شط نهروان اعتماضي * ودعاني هوى العيون المراضي * وحكى الجوالقي انه سمع من العرب ضمهما وكان حرقوص مع علي كرم الله وجهه في حروبه ثم اتبع الخوارج وزعم بعضهم انه ذو الثدية وليس كذلك ومقول القول (اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله) اي كن عادلا فيما قسمته فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله ورضاه والمقسوم كان من غنائم خيبر او تبرا ارسله علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه من اليمن وهذ الحديث رواه مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه ونحوه في صحيح البخاري واخرجه البيهقي وهو حديث صحيح وفي الفاظه اختلاف والمآل واحد (لم يزد) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في جوابه ان بين له ما جهله) اي لم يزده على ان بين له ما جهله من عدالته في قسمته حيث قال من يعدل ان لم اعدل (و وعظ نفسه وذكرها) التذكير والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القائل الى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم منه صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ويحك) ويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع بما لا يرضى وقيل انها كلمة مدح وتعجب وهي منصوبة على المصدر بمضافة وقد ترفع وتترك اضافتها للترحم له لما خالف رضاء الله تعالى عليه او تعجب من صدور مثله من مسلم ووقع في رواية ويلك (ومن يعدل ان لم اعدل) وفي مسلم اولست حق اهل الارض ان اطيع الله عز وجل وغضب صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه (خبت وخسرت ان لم اعدل) روي بفتح التاء فيهما على الخطاب وضمها على التكلم واقتصر بعضهم على الفتح اي خبت وخسرت ايها القائل ان لم اعدل انا لاتباعك واقتدائك بغير عادل وعلى الضم اقتصر الشمني رحمه الله لانه معلق بعدم العدل الذي عصمه الله تعالى عنه وهو المناسب لقوله وعظ نفسه وذكرها (ونقل النووي في شرح مسلم الوجهين وفسره بما تقدم وقال الفتح اشهر وقيل المعنى على الفتح ان لم اعدل خبت لاني اقتلك لنفاقك ونطقك بما ينافي الاسلام لكني عدلت نظرا لظاهر اسلامك وان ما وقع من سوء ادبك جهلا منك غير مخل بمقامي (ونهى من اراد من اصحابه قتله) وهو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما في البخاري فقال عمر يا رسول الله ائذن لي اضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وفي مسلم ان القائل خالد بن الوليد رضي الله عنه وجمع بينهما بان كلا منهما اراد ذلك وقد صرح به في مسلم وان عمر رضي الله تعالى عنه لما قال ذلك فقال دعه وادبر فقام اليه خالد بن الوليد فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال المصنف في شرح مسلم من سب النبي صلى الله عليه وسلم كفر وقتل وسيأتي ذلك في آخر الكتاب وهذا الرجل لم يقتل (قال الماوردي تحتمل انه يفهم منه الطعن في النبوة وانما نسبه

بترك العدل بناء على تجويز صدور المعاصي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام عند هذا القائل وان لم يصب اوانه لم يسمعه منه وانما نقل له و لم يثبت عنده لان المخبر له واحد ومثله لا تراق به الدماء وهذا تأويل باطل فان المروي يا محمد اتق الله بخطاب المواجهة بحضرة الصحابة رضي الله تعالى عنهم حتى استأذنوه صلى الله تعالى عليه وسلم في قتله وانما الوجه انه صلى الله تعالى عليه وسلم سلك به مسلك غيره من المنافقين استبقاء لانقيادهم وتأليفا لقلوب غيرهم لئلا يتحدث الناس بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل اصحابه فينفروا ويرتدوا فاختير اهون الامرين لحكمة والحديث مصرح بهذا (ولما تصدى له صلى الله تعالى عليه وسلم غورث بن الحارث) تصدى بالتاء المفتوحة والصاد المهملة كذا والدال المشددة والف اي اتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة مفتوحة وتضم ايضا وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة وثاء مثلثة وقال بعضهم يجوز اهمال عينه كما نقله البرهان الحلبي قال وعند بعضهم مصغر يعني غويرث كفورك وزبرك فانه تصغير بالفارسية ولم يرد انه كتصغير العرب غويرث وقال التلمساني انه غويرث ايضا وفي بعض الروايات تسميته دعثور وانه اسلم لكن قيل انهما روايتان (ليفتك به) الفتك مثلث الفاء ساكن التاء هو ان يأتي رجل آخر وهو غافل فيهجم عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر والضم وهذه القصة كان في غزوة ذات الرقع في السنة الرابعة من الهجرة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ) بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة وذال معجمة اي جالس في ناحية مختل وحيد بقرب من الناس (تحت شجرة وحده) ليستريح بظلها وتلك الشجرة شجرة عضاة وهي التي تسمى ام غيلان وهي شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم في سفره (قايلا) حال اي مستريحا في وقت القيلولة وهي وسط النهار اذا اشتد الحر وان لم ينم (والناس قايلون) اي كل منهم في قيلولته منفردا عن اصحابه (في غزاة) هي غزوة ذات الرقاع كما علم والاختلاف في زمنها ووجه تسميتها مفصل في السير والغزاة اسم مصدر بمعنى الغزو (فلم ينتبه) اي لم ينتبه صلى الله تعالى عليه وسلم لمجيئه او لم ينتبه من نومه (الا وهو) استثناء من اعم الاحوال وضمير هو لغورث (قائم والسيف صلتا) بفتح الصاد المهملة او ضمها ولام ساكنة ومثناة فوقية اي مسلولا مجردا من غمده ويجوز في السيف رفعه على انه مبتدأ ونصبه على انه مفعول معه وصلتا حال على كل حال (في يده فقال) غورث له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك مني) لانه وجده خاليا ليس معه احد ولا سلاح وهو جالس وغورث قائم عليه بسيفه المجرد وفي رواية انه كرر مراجعته ثلاث مرات (فقال الله) اي يمنعني منك الله الذي عصمني من الناس كافة (فسقط السيف من يده) اي لما ارعبه قوله الله وفي رواية ان جبريل عليه الصلوة والسلام ظهر له فسقط سيفه

وفي رواية فشام سيفه اى اغمده فهو من الاضداد وكان غورث من اشجع الناس يتوعدان يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل له امكنك الله من محمد فاختار سيفا من سيوفه واقبل حتى قام على رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذه) اي السيف الذي سقط منه رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال من يمنعك مني) اي من ان اقتلك والسيف بيدي (فقال كن خير آخذ) بالمد اسم فاعل اى خير رجل اخذ خصمه وتمكن منه فتكرم عليه (فتركه وعفا عنه) مع القدرة عليه وقيل الاخذ الاسر والاخيذ الاسير كما في النهاية وهو غير بعيد ايضا وفي البخارى مسندا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قفل لغزوة ذات الرقاع ونحن معه فادركتنا القايلة في واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه فنمنا ثم فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعونا فجئناه فاذا عنده اعرابي جالس فقال ان هذا اخترط سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني قلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه قالوا ولما رأى كرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم اسلم وهو من غطفان فانزل الله تعالى * يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم * الاية (وجاء) غورث (قومه) وفي نسخة فجاء قومه (وقال جئتكم من عند خير الناس) حلما وكرما (ومن عظيم خبره) صلى الله تعالى عليه وسلم في العفو (عفوه عن المرأة (اليهودية) وهي زينب بنت الحارث بن سلام وقيل امرأة سلام بن مشكم اخت مرحب اليهودي كما ورد في الحديث الصحيح الذى اخرجه الشيخان عن انس رضى الله تعالى عنه (التى سمته) اي جعلت له صلى الله عليه وسلم السم (في الشاة) المشوية من الغنم (بعد اعترافها) بوضع السم له صلى الله تعالى عليه وسلم في الشاة (على الصحيح من الرواية) متعلق بقوله عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف الرواة فيه ولذا قيل كان الاحسن ان يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها اهدت له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة مصلية اى مشوية لم تحز فقال ماهذه فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأكل منها فاكل هو واصحابه من تلك الشاة ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم امسكوا وقال لها هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك بهذا قال هذا العظم اشار لساق بيده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك فاحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا على كاهله لقربه من القلب وقد اختلف فيها فقيل عفا عنها وقيل لا وروى ابوداود انه صلى الله عليه وسلم قتلها وصلبها ونقل البرهان عن كتاب شرف المصطفى ذلك وجمع بين الروايتين بانه صلى الله تعالى عليه وسلم صفح عنها لحق نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه كما مر فلما مات بشر بن البراء

من اكله منها قتلها قصاصا به لانه لم يزل معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات في الحال (وروى معمر في جامعه عن الزهرى انها اسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم تسلم وفي جامع معمر ايضا ان ام بشر بن البراء قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض موته انى لا اتهم لبشر تعنى ابنها الا اكلة خيبر فقال وانا لا اتهم لنفسي الا ذلك وهو ظاهر في ان المرض الذى مات منه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من تلك الاكلة على سبيل الظن لا القطع لكن ذكر صاحب المواهب في الطب النبوى انه صلى الله تعالى عليه وسلم احتجم من السم فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقى اثرها مع ضعفه فاثر فيه لما يريد الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا وفي الرواية اختلاف في ما مر ان الذى اكله صلى الله تعالى عليه وسلم ساق الشاة وفي اخرى انه كتف اوذراع لانها سألت عن احب اللحم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا الذراع فاكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة ولم يسغها واساغ بشر لقمته وهذا يؤيد عدم القطع بتأثيره فيه لكن يؤيد ما في المواهب ماورد في الحديث ايضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى قطعت ابهرى فانظر في التوفيق بين الروايتين في الاكل وعدمه (واعلم ان في هذه المسئلة اختلاف للفقهاء فيمن وضع طعاما مسموما لغيره فاكل منه ومات هل عليه قصاص ام لا وهو مبنى على انه اذا اجتمع السبب والمباشرة ايهما يقدم فالاكثر على تقديم المباشرة وقولهم انها اسلمت فتركها على بعض الروايات فيه ان الاسلام لا يسقط حقوق العباد الا ان يكون هذا من خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) اعصم بزنة احمر بمهملات ويقال له عصم بدون الف ولام وهو رجل من بنى زريق وهم بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما جاء الاسلام برؤا منهم واختلف في لبيد هذا ففي الصحيحين انه يهودي وهو المشهور وقيل انه منافق كان مخالفا لليهود وسيأتى عن المصنف رحمه الله تعالى انه حكم باسلامه وقال البرهان لا اعلم احدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق معناه العرفى كما ورد في الحديث آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر ايضا (اذ سحره صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علم به واوحى اليه بشرح امره) اى بيانه مفصلا في سحره ومافعله (ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته) تقدم الكلام على فضلا وذلك كما رواه النسأى والبيهقى في الدلائل عن زيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه قال سحر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك

عقد لك عقدا فى بئر كذا فبعث فاستخرجها فجاءه بها فحلها فقام صلى الله تعالى عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى حتى مات وكانت له امرأة يهودية تسمى بزينب تفعل ذلك قال التلمسانى وهو من افعال النساء فى الاكثر ولذا قال الله تعالى من شر النفاثات دون النفاثين تغليبا وقال الواقدى لما رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست جاء اليهود الى لبيد بن الاعصم وقالوا له انت اسحرنا وقد سحرنا محمدا فاصنع له سحرا ونجعل لك جعلا فصنع ما يأتى فاقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اربعين يوما وقيل ستة اشهر يخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله فبينما هو ذات يوم اذ قال لعائشة رضى الله تعالى عنها ان الله افتانى فيما استفتيته اتانى رجلان فقعد احدهما عند رأسى والاخر عند رجلى فقال احدهما ما وجع الرجل قال مطبوب اى مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فى اى شئ قال فى مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر فى بئر ذروان اوذى اروان فاتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع بعض اصحابه وماؤها كنقاعة الحناء ونخلها كأنه رؤس الشياطين وقيل انه صلى الله عليه وسلم ارسل عليا والزبير وعمارا رضى الله تعالى عنهم اجمعين فنزحوا ماءها واستخرجوا السحر من تحت صخرة بها وتحتها مشاطة من رأسه واسنان مشطة ووتر عقد فيه احدى عشر عقدة قيل وتمثال من شمع مغروز فيه ابر فنزل عليه المعوذتان فكان كلما قرأ اية انحلت عقدة واخرجت ابرة حتى زال الم والرجلان الذين رآهما فى منامه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام وما كان يخيل له صلى الله عليه وسلم من انه فعل ولم يفعل من امور الدنيا وجماع زوجاته لا مما يتعلق بالنبوة والوحى فانه معصوم فيه واعلم انهم اختلفوا فى السحر كما يأتى هل هو امر حقيقى ام محض تخيل لا اصل له والصحيح انه حقيقى بفعل الله بواسطة ان كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان باستعانة بخواص سفلية فعلم الخواص وان كان ببعض الكواكب ودعوتها فدعوة الكواكب وان كان باستمزاج القوى السفلية والعلوية فالطلسمات فان اعتقد تأثيرها بالذات فكفر والافحرام وفاعله لاضرار الناس يقتل شرعا على تفصيل فيه ذكره الفقهاء ليس هذا محله (وكذلك لم يؤاخذ صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن ابى) هو عبد الله ابن ابى بن سلوك بن مالك بن الحارث بن عبد الله بن مالك ابن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج كان قبل هجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة رأس الانصار مرشحا لان يكون حاكما عليهم فلما هاجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اسلم ظاهرا وكان كاحادهم وفيه عنجهية الجاهلية وغاية حب الرياسة فكان بسبب ذلك رأس المنافقين يصدر عنه امور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فيغضى عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم

كان يدارى المؤلفة قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث الناس بانه يقتل اصحابه وكان ابنه عبد الله من كبار الصحابة وخلص المؤمنين فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يكرمه لاجله وسلول علم لام ابى ممنوع من الصرف فابى منون وابن بعده يرسم بالف لانه لم يقع بين علمين وعلم اب على الاصح وهو رأس المنافقين هلك فى السنة التاسعة بعد مقدمه عليه الصلوة والسلام من تبوك مرض فى شوال عشرين ليلة وهلك فى ذى القعدة فصلى عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكفنه فى قميصه قبل نزول النهى عن الصلوة على المنافقين كرامة لابنه رضى الله تعالى عنه (واشباهه) جمع شبه بمعنى شبيه اى لم يؤاخذه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤاخذ من يشبهه (من المنافقين بعظيم ما نقل) بالبناء للمجهول (فى جهته) اى فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حق ام المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها (قولا وفعلا) كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل يعنى بالاعز نفسه وبالاذل نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين كما فصله البرهان الحلبى فى شرح سيرة ابن سيد الناس وشرحه البخارى فى تفسير سورة المنافقين (بل قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمن اشار بقتل بعضهم) وهو عمر رضى الله تعالى عنه لما هزم بنوا المصطلق فبلغه قول ابن ابى وقد لطم حليفا له يقال له جعال رجل من فقراء المهاجرين مساعدة لاخيه لعمر رضى الله تعالى عنه ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاية ثم قال لقومه والله لئن امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال له زيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين ثم اخبره الله بذلك فقال عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله دعنى اضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا) اذن لك فى ذلك (لئلا يتحدث الناس) من قبائل العرب (ان محمدا يقتل اصحابه) فهو علة لتركه رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفى نسخة يتحدث بدون ذكر الناس مبنى للمفعول ولاهنا ليست لنفى التحدث اذ هو مستأنف معلل لما قبله كما علم مما قررناه وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر رضى الله تعالى عنه وروى الطبرانى ان ابنه رضى الله تعالى عنه لما بلغه مقالة ابيه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعنى اقتله وآتيك برأسه فقال لا تقتل اباك وفى الكشاف فان قلت كيف جاز له صلى الله تعالى عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه فى قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه العباس لما اسر ببدر لم يجدوا له قميصا يستره به وكان رجلا طويلا فكساه ابن سلول قميصه

وكان جاريا على عادة العرب فى المكافاة وروى ان ابنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات ابوه اسئلك تكفينه ببعض قصانك وانت تقوم على قبره ولا تشمت به الاعداء ففعل ذلك فقيل له عم لم فعلت ذلك وهو كافر فقال ان قيصى لن يغنى عنه من الله شيئا وانى لارجوان يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فقيل انه اسلم الف من الخزرج بسبب ذلك (وعن انس رضى الله تعالى عنه كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال السيوطى رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله الآتى من مال الله الذى عندك قال فضحك وامرله بعطاء واخرجه بلفظ المصنف لبيهقى فى الادب من حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظ مسلم كنت امشى مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه جبذة شديدة الخ (وعليه برد غليظ الحاشية) البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به والحاشية جانب الثوب وفى رواية الاوزاعى غليظ الصنفة بفتح الصاد المهملة وكسر النون وبالفاء وهى طرف الثوب ايضا (فجبذه اعرابى) جبذ لغة فى جذب اومقلوب منه وهما بمعنى (بردائه جبذة شديدة) وهذا يقتضى انه كان عليه بردا ورداء فوقه وان الجذب وقع بهما (حتى اثرت) بتشديد المثلثة مبنى للفاعل اى اظهرت اثرا وعلامة (حاشية البرد فى صحفة عاتقه) الصحفة الجانب اوالعرض والعاتق مابين العنق والكتف اوموضع الرداء من المنكب وهو يؤنث ويذكر وفى رواية ان البرد انشق (ثم قال) الاعرابى (يا محمد) قيل مشافهته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا تقتضى انه لم يكن مسلما والسياق يقتضى خلافه وليس فيه ماينافيه غير ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهى عنه بقوله لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم الخ وان الاعرابى كان قريب عهد باسلام فى طبعه غلاظة وجفاء فهو معذور وطلبه عطاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واخذه من الزكاة يدل على انه من المسلمين المؤلفة قلوبهم وفى كتاب الامتاع من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لايجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا محمد يا احمد ولكن يقول يانبى الله يارسول الله قال تعالى لاتجعلوا الخ قال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اى لاتدعوه باسمه فان قيل ثبت عن انس رضى الله تعالى عنه ان رجلا من اهل البادية جاء فقال يا محمد الخ اجيب بانه يحتمل ان ذلك صدر منه قبل اسلامه اوفى حال اسلامه قبل النهى اوقبل بلوغه فلوناداه بالكنية هل يحرم ام لا فيه نظر انتهى (اقول الظاهر ان هذا فى حياته مواجهة اما فى غير ذلك فلا يحرم الاذكره بما لايشعر تعظيمه فلا يرد انه وقع كثيرا فى المدايح النبوية وغيرها كقول حسان رضى الله تعالى عنه

* هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء *

* فان ابى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء *

فلا حاجة الى ان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد يقتضيه الوزن ومما قيل هنا ايضا ان الرسول ويارسول بدون اضافة لله كاسمه حتى اعترض على قول ابن مالك فى الفيته مصليا على الرسول المصطفى ولا وجه له لمامر (احمل لى) قال التلمسانى همزته همزة قطع رباعى اى اعنى على الحمل ويجوز ان يكون معنى احمل لى اى اعطنى ما احمل والاول اولى لوجوده المحمول انتهى وتبعه بعض المحشين فيجوز فيه الوصل ايضا الا ان فيما رجح به الاول فنظرا (على بعيرى) بالتثنية مضافا الى ياء المتكلم (هذين من مال الله الذى عندك فانك لاتحمل لى) بضم التاء وفتحها على مامر وروى لاتحملنى اى لاتعطينى (من مالك ولامن مال ابيك) وقيل انه اسند الحمل اليه لانه سبب آمر به فهو مجاز عقلى فعلى هذا همزته همزة وصل ايضا ثم رد على من قال ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من احمل احمالا اى جعل البعير حاملا فلم يستبعد اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشئ لان ماذكره معنى آخر حقيقى صرح به الجوهرى وكان الرواية عليه (فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده) اتصرف فى ماله باذنه واعطى من يأمرنى باعطائه فرد صلى الله تعالى عليه وسلم عليه بالطف رد (ثم قال ويقاد منك) بالبناء للمجهول وتقدير همزة الاستفهام اى اويقاد منك من القود وهو القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة اى انجازى على ترك ادبك ولم يقل اقيد نفسى منك كراهة ان يذكر مايشعر بانتصاره صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه ولومستفهما وقيل انما بناه للمجهول للتعميم فيمن يستوفى القود اهو الله ام من عنده من المسلمين وقوله (يا اعرابى) اشارة الى انه معذور لما فيه من غلظ الاعراب وهم اهل البادية (مافعلت بى) من جذب بردى بان يفعل به مثله ويعزر بما يليق به وسيأتى تحقيقه فى القصاص باللطمة (قال لا) اى (قال لم) لايقاد منك (قال لانك لاتكافئ) بهمزة من المكافاة وهى المجازاة اوبالياء اصلية اومبدلة منها (بالسيئة السيئة) فيه مشاكلة لان الجزاء ليس بسيئة اواستعارة لانها مثلها بحسب الصورة (فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) سرورا بما رأه من حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك بقصد التنقيص منه وتطمينا لقلبه اذ ابدى المسرة بمقالته (ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى آخر تمر) وفيه من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتحمله الاذى وعدم التضجر مالايخفى وهو ارشاد لامته لاسيما من يتولى منهم امور المسلمين ثم اتى بما يدل على ما فى الحديث من خلقه العظيم فقال (قالت عائشة رضى الله عنها) فى حديث اخرجه الشيخان واحمد والترمذى فى الشمائل مع مخالفة يسيرة فى لفظه (ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) رأى بصرية اوعلمية (منتصرا) اى منتقما وناصرا لنفسه على غيره (من مظلمة) اى ظلم وهى بفتح الميم وكسر اللام

وفتحها واقتصر فى التقريب على الاول (ظلمها) مبنى للمفعول وهو مؤكد او دفع لتوهم كون الظلم لغيره (قط) لاستغراق ما مضى كما مر (مالم تكن حرمة من محارم الله) اى مالم تكن المظلمة بارتكاب امر حرمه الله واهى بصرف حق له ولايرد عليه انه قتل ابن الاخطل والقينتان اللتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه حق لله فان ابن اخطل ارتد وهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسبه كفر كاذيته بخلاف الاعرابى فانه مسلم حمله على ما فعله غلظة طبعه وظهر من جوابه انه لم يقصد بذلك الاهانة مع ما فيه من حكم خفية كاستعطاف قلوب اهل البادية ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (وماضرب) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده شيئا قط) من دابة وانسان وغيره (الا ان يجاهد فى سبيل الله) كما فى ضربه ابى بن خلف باحد بحربة تناولها من بعض اصحابه اما الحارث بن الصمة كما يأتى او الزبير بن العوام فخدشه بها فى عنقه خدشا غير كبير فاحتبس الدم اى لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلنى والله محمد فوقع من تلك الضربة مرارا من على فرسه التى كان اعدها ليقتل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتى وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وفى رواية انه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من اضلاعه ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة بسرف بفتح السين وكسر الراء المهملتين وهو مناسب لموضعه لانه مسرف وقيل ببطن رابغ ولم يقتل صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة قط احدا الا ابى بن خلف هذا لاقبل ولابعد وجاء اشد الناس عذابا من قتله نبى وفى لفظ اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير وفى لفظ اشتد غضب الله عزوجل على رجل قتله رسول الله فى سبيل الله اى لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فاجمل الواحد منهم على قتل شخص الامر عظيم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكملهم لطفا ورفقا وشفقة بعباد الله (قالوا) واحترز بسبيل الله عمن قتله صلى الله تعالى عليه وسلم حدا اوقصاصا لان من يقتله فى سبيل الله كان قاصدا قتله وقد اتفق ذلك لابى بن خلف لعنه الله كما يأتى بيانه (وماضرب خادما) له (ولاامرأة) من نسائه وفيه دليل على جواز تأديب الرجل امرأته وضربها ولولا ذلك لم يمدح به صلى الله تعالى عليه وسلم (وجئ اليه صلى الله تعالى عليه وسلم برجل) هذا الحديث اخرجه احمد والطبرانى بسند صحيح ولم يسميا الرجل (فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال) له (صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع لن تراع) اى لاتخف منى كرره ليطمئن قلبه والروع الخوف والفزع ولن هنا بمعنى لا اى لاخوف عليك منى ولامن غيرى (ولواردت هذا لم تسلط على) لان الله عصمنى فلن تنالنى ما اردته

انت ولاغيرك فان قلت قوله لواردت يقتضى انه لم يرده مع انه اراد ذلك لقولهم اراد قتلك قلت المراد بالارادة سببها وهى مباشرة ما هم به لومددت يدك الى لم تصل الى (وجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن سعنة) بفتح السين وسكون العين المهملتين وفتح النون وقيل انها مضمومة وهو غريب وهو حبر من احبار اليهود كما فى الاكمال والتهذيب هو صحابى من احبار اليهود الذين اسلموا وهو من اكثرهم مالا وعلما حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفى مرجعه صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك ويقال انه سعية بالياء التحتية حكاه ابن عبد البر وقال النون اشهر وعليه اقتصر الجمهور وقال الذهبى انه اصح واما اسيد بن سعية فالتحتية فيه اصح واسيد بفتح الهمزة او هو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقى مفصلا عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبرانى وابو نعيم عن عبد الله بن سلام ايضا وسنده صحيح كما قاله السيوطى (قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه) اى يطلب منه صلى الله تعالى عليه وسلم دينا كان له عليه والتقاضى بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسى

* لحى الله دهرا شره قبل خيره * تقاضى فلم يحسن الينا التقاضيا *

قال الشراح اى طالبنا ومثله كثير فى كلامهم وكلام اهل اللغة فقول شيخنا المقدسى فى الرمز التقاضى معناه لغة القبض لانه تفاعل من قضى يقال تقاضيت دينى واقتضيته بمعنى اخذته وفى العرف الطلب انتهى لاوجه له والذى غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوى بل معنى عرفى وهو غريب منه وفى رواية عن زيد المذكور كنت اريد ان اعلم حال النبى صلى الله عليه وسلم ليطابق ما فى التوراة من حلمه فخرج يوما ومعه على فجاءه رجل كالبدوى فقال يارسول الله ان قرية بنى فلان اسلموا واعلمهم انهم ان اسلموا اتيهم ارزاقهم رغدا وقد اصابتهم سنة وشدة وانى مشفق عليهم ان يخرجوا من الاسلام قال رأيت ان ترسل اليهم بشئ يغيثهم فقال زيد بن سعنة يارسول الله انا ابتاع منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته ثمانين دينارا فدفعها الى الرجل وقال له عجل عليهم بها واغثهم فلما كان قبل الاجل بيوم او يومين او ثلاث خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى جنازة فى نفر من اصحابه فلقيه وتقاضاه (فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه) ضمنه معنى ازاله فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف مجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو اطرافه وحواشيه وقيل هو التلبيب اى اخذه بطوقه وما تحت لبته ونحره وهذا هو الصحيح المعروف لا ما قيل انه ما بين الكتفين فان الثياب كلها كالرداء والقميص تجتمع هناك (واغلظ له) اى قال له كلاما غليظا خشنا مع تعبس وتجهم وجهه (ثم قال انكم يابنى عبد المطلب) مفتعل من الطلب واسمه شيبة على الاصح لانه ولد وفى رأسه شيبة ظاهرة فى ذؤابته (مطل) بضم الميم والطاء جمع ماطل والمطل التطويل

فى تأخير الحق اوخلف الوعد فيه مرارا من مطل الحداد الحديد اذا مده وفى القاموس المطل التسويف بالعدة والدين (فانتهره عمر) رضى الله تعالى عنه بالراء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر ونهره وانتهره بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الاغلاظ فى القول مع صياح وقيل النهر عن الشئ بفظاظة (وشدد له فى القول) فقال له عمر رضى الله تعالى عنه اى عدو الله اتقول هذا لرسول الله وتصنع به مارى وتقول له ما اسمع فوالذى بعثه بالحق لولا ما اخاف فوته لسبقنى رأسك (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) من مقالهما لشدة حلمه ولعلمه كشفا بمراد ابن سعنة وان عمر رضى الله تعالى عنه لو كشف له الغطاء لم يصعب عليه ذلك (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا وهو) اى ابن سعنة صاحب الحق (كنا الى غير هذا) المقال الذى قلته (منك احوج يا عمر) اى اكثر حاجة وهو افعل تفضيل من حاج بمعنى احتاج وليس من احتاج على حذف الزوائد شذوذا كما توهم فان ثلاثيه مسموع والمفضل عليه محذوف وهو خبر انا وما عطف عليه ثم بين الغير الذى هما احوج اليه من هذا التشديد بقوله (تأمرنى بحسن القضاء) اى وفاء ماله على (وتأمره بحسن التقاضى) والطلب بلطف (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما عسى يتوهم انه وقع مطل اوتأخير منه (لقد بقى من اجله) اى من تأجيل دينه (ثلاث) اى ثلاثة ايام فلذا لم يحسن تقاضيه بخلاف قضاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه وقع على احسن وجه فانه فعل ما وعده وزيادة كما اشار اليه بقوله (وامر عمر يقضيه ما له ويزيده) على حقه (عشرين صاعا) من تمر (لما روعه) ما مصدرية اى لاجل ترويع عمر له اذ هم بقتله وقال له ما مر (فكان) فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سبب اسلامه) لانه كان عالما بالتوراة ورأى فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وعلاماته فحقق تلك العلامات كلها غير علامتين لشدة حلمه فلما رآهما تيقن امره وزالت شبهته فحسن اسلامه واراد الله سعادته (وذلك انه كان يقول) لمن عنده من اليهود (ما بقى من علامات النبوة) اى علامات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المذكورة فى التوراة التى قرأها وعرفها (شئ الا وقد عرفته) اى شاهدته فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة الا وقد عرفتها باعتبار ان الشئ بمعنى العلامة (الا) علامتين (اثنتين لم اخبرهما) اى لم اعرفهما وهو بضم الباء يقال خبرته اخبره خبرا اذا اختبرته فصدق الخبر الخبر ثم فسر الثنتين اللتين لم يعرفهما بقوله (يسبق حلمه جهله) تقدم ان الجهل فى كلام العرب قديما بمعنى المبادرة للغضب ومقتضاه عدم المبادرة بالايقاع بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم كقوله * الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا * كما مر لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب احيانا لله وينتقم فلا يتوهم من لا يعرف كلام العرب هنا ما لا يليق بصفاته

صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد ان حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم يغلب حدته كما فى قوله سبقت رحمتى على غضبى او السبق على ظاهره فمن قال المعنى يغلب حلمه على جهله لو كان له جهل كقوله فتبارك الله احسن الخالقين وليس المراد ان له صلى الله تعالى عليه وسلم جهلا يسبقه حلمه لانه لقبحه لا يصلح ان يعد من علامات النبوة وحينئذ فليس من قبيل سبقت رحمتى والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لا به انتهى لم يصب مع ما فى كلامه من التناقض (ولا تزيده شدة الجهل الا حلما) هذه هى العلامة الثانية اى جهل غيره بمعنى سفاهته واذيته كلما ازدادت واشتدت عليه زاد حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وصبره ما لم تتجاوز حدود الله وتوفى حرماته فانه حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم الخارقة للعادة كما عرفته فى هذه القصة مع زيد بن سعنة ولذا قال زيد لعمر رضى الله عنه لما قضاه وزاده اشهد ان لا اله الا الله وانه رسول الله وما حملنى على ما رأيتنى صنعت يا عمر الا انى كنت رأيت صفاته التى فى التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف فى التوراة وانى اشهدك ان هذا التمر وشطر مالى فى فقراء المسلمين واسلم اهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة والى هذا اشار المصنف بقوله (فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث) اى الاخبار المستفيضة بين الناس وليس المراد المصطلح عليه ولذا عداه بعن فقال (عن حلمه وصبره وعفوه عند القدرة) قيده به لانه هو المحمود كما مر (اكثر من ان نأتى عليه) يقال اتى على الكتاب قرأه والمال انفاقا اذا استوعبه كله وهذا التركيب كقولهم اكثر من ان تحصى والكلام عليه مشهور فالمعنى انه لا يمكن استيعابه واستقصاؤه (وحسبك ما ذكرناه بما فى الصحيح والمصنفات الثابتة) اى يكفيك ما تقدم مما ثبت بنقل الثقاة فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فيكفى هذا منضما (الى ما بلغ) لك وعندك (متواترا) تواترا معنويا عن مجموعهما (مبلغ اليقين) اى وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذى لا يشك فيه احد ولو قال مبلغ الضرورى كان اولى والقول بانه اراده لا يخفى ما فيه ثم بين ذلك بقوله (من صبره) صلى الله تعالى عليه وسلم (على مقاسات قريش) المقاساة معالجة امور صعبة شاقة بحيث لا يحتمل مثلها وهذا فى اول بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم كما يعرفه من طالع السير (واذى الجاهلية) اى تحمله صلى الله عليه وسلم اذى الجاهلية اى اهل الجاهلية وهم الكفار (ومصابرته الشدايد الصعبة معهم) فى الحروب الواقعة بينه وبينهم وهى وان كانت سجالا الا انه صب عليهم العذاب فالمصابرة مفاعلة من الصبر عن شدايد الحروب وهم صناديد كان لهم صبر على اصطلاء نارها لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم غلبهم وصابرهم وزاد عليهم حتى ظفر وانتصر (الى ان اظهره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم) اى جعله الله تعالى قاهرا

غالبا لهم وهم فى قبضة تصرفه يحكم فيهم بما يريد من قتل واسر وعفو ان شاء (وهم لا يشكون فى استيصال شأفتهم) الاستيصال قطع الشئ من اصله وازالته بالكلية وشأفة بشين معجمة مفتوحة وهمزة ساكنة وفاء بعدها هاء تأنيث وتبدل الهمزة الفا وهى قرحة تخرج فى اصل القدم فتكوى فتذهب وان قطعت مات صاحبها فضرب مثلا وقد يدعى به والمراد ازالة الله تعالى من اصله بحيث لا يبقى له عين ولا أثر ولا فرع وفيه اشارة الى جنثهم وانهم كقرح فى البدن خبثه مهلك لصاحبه فشبه هلاكهم اجمعين بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لا يخفى (وابادة خضرائهم) الابادة بالدال المهملة بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذى قبله والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم فمعنى ازالة سوادهم وخضرائهم هلاكهم قال فى النهاية ابيدت خضراء قريش اى دهماؤهم وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض اهل اللغة الى ان صوابه غضراؤهم بغين معجمة وهى عصارتهم وخيرهم وخصبهم وطينتهم التى خلقوا منها والمراد على كل حال استيصالهم والصواب ما تقدم رواية ودراية والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ظفر بهم فى حال تيقنوا هلاكهم باسرهم بحيث لا يبقى منهم باقية (فما زاد) صلى الله عليه وسلم (على ان عفا وصفح) اى مع شدة اذاهم ونصره عليهم بحيث صاروا فى قبضة تصرفه وقد احاط بهم الهلاك من كل جانب ما زاد ما كان عليه من حاله الا العفو والصفح لاشفاء النفس بالانتقام وفعل ما يستحقون بحيث لو فعل لم يلم والعفو والصفح متقاربان عدم المؤاخذة بالذنب (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) تلويحا للطفه بهم مستدرا منهم كما فى ضمائرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم (ما تقولون) ما استفهامية والقول بعدها بمعنى الظن كما صرح به النحاة فقوله (انى فاعل بكم) بفتح همزة ان وهى وما معها سادة مسد مفعوليه وهذا متعين وجعل القول على اصله بناء على انه سألهم عما قالوا فى انفسهم او فيما بينهم تكلف مخالف للاستعمال الفصيح (قالوا خيرا) منصوب بمقدر يدل عليه فاعل قبله اى تفعل خيرا او انت فاعل خيرا (اخ كريم) اى انت الى آخره كريم وهى جملة مستأنفة لبيان انه يفعل الخير (وابن اخ كريم) هذا على عادة العرب فى تسمية القريب اخا قال تعالى * والى عاد اخاهم هودا * والكريم الجامع للخير والفضائل كما فى الحديث الكريم بن الكريم الخ (فقال اقول كما قال اخى يوسف) فيه بلاغة وطى بديع ابلغ من قوله * نهيت من الاعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد * لما فيه من الايماء الى شقهم عصا القرابة بينهم وحسدهم له وكذبهم عليه وقطع رحمه مع ماله صلى الله تعالى عليه وسلم من الشرف الباذخ فانه الكريم بن الكرام وان حسدهم وبغيهم كان سببا لعلو مقامه وتملكه لنواصيهم وذلتهم له معترفين بقصورهم (لا تثريب عليكم) اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم

الراحمين * التثريب التعيير والتوبيخ اى لا او بخكم واعيركم بما يخجلكم ويحتمل ان المراد لا عتب عليكم لعدم مبالاتى لكم من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهذال فضرب مثلا للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وفيه جواز الاقتباس من القرأن ولو مع تغيير ما فى المعنى وقد جوز الوقف على قوله عليكم والظرف متعلق بيقعد وفيه المسارعة بالمغفرة فى وقت يرجى فيه خلافه واليوم بمعنى مطلق الوقت ويجوز ان يوقف على اليوم اى لا تعيير لكم اليوم لان المقدرة تذهب الحفيظة اذ ابدل الله من العسر يسرا ومن الحزن سرورا من الفرقة الفة ومن الغربة ملكا وبسطة فلا تثريب فى زمان فيه مثل هذا الخير وبهذا الوقف قرأ القراء ويغفر جملة دعائية او خبرية مبشرة لهم بذلك (اذهبوا فانتم الطلقاء) بالمد جمع طليق وهو الاسير يطلق ويخلى سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن ثقيف يقال لهم العتقاء تمييزا بينهم وهذا بعض حديث طويل وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الحجر بمحجنه فلما قضى طوافه دعا عثمان ابن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش انى فاعل الى آخره فخرجوا كانما نشروا من القبور (وقال انس رضى الله تعالى عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح) منصوب على الظرفية اى وقت صلاة الصبح (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الهبوط النزول من علو لسفل وهو يتعدى ولا يتعدى قال العباس رضى الله تعالى عنه ثم هبطت البلاد لا بشر وباؤه مفتوحة فى الماضى مكسورة فى المضارع وضمها لغة شاذة وقال ابن عطية ان الضم كثير فى غير المتعدى وقيل عليه انه لا يوجد الفرق بين المتعدى وغيره يعنى بحركة عين المضارع وحدها والتنعيم بفتح التاء اسم موضع عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن يساره جبل يقال له ناعم والوادى هو نعمان فقيل فيه التنعيم لذلك وقالت امرأة تذكره * ايا جبل النعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها * وهو على اربعة اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة (فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله) فى هذه القصة (وهو الذى كف ايديهم عنكم الآية) وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم اى اظهركم ونصركم عليهم فهزمهم حتى ادخلهم بطنها وحديث انس رضى الله تعالى عنه المذكور رواه مسلم والترمذى وابو داود والمراد ببطن مكة الحديبية وضمير الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه وكان ذلك فى اصل الشجرة فبينما هو كذلك اذ خرج ثلاثون رجلا وقال ابن هشام رحمه الله تعالى

سبعون او ثمانون واخذوا اسراء والسفراء يمشون فى الصلح فاطلقهم وهم العتقاء
وقيل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر ان عكرمة ابن ابى جهل خرج
اليه فى خمسمائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد هذا ابن عمك خرج
فى خمسمائة فارس فقال انا سيف الله و بذلك سمى يومئذ فقام اليه فى خيل فهزمه
الى حوائط مكة وقيل انه كان يوم فتح مكة و بهذا استدل بعض الحنفية على انها
فتحت عنوة ورد بان الآية نزلت قبل الفتح وان الكف يناسب الصلح وهو بصيغة
الماضى والآية نزلت بالحديبية قبل ومن العجيب قول ابى السعود ان الآية نزلت
لما خرج عكرمة بن ابى جهل فى خمسمائة فارس الى الحديبية فبعث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد بجند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان
مكة يوم الفتح انتهى وهو كلام متناقض لان الحديبية كانت سنة ست فى ذى القعدة
وفتح مكة كان فى رمضان سنة ثمان وقصة خالد كانت يوم الفتح (اقول من قال
المراد فتح مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان الماضى
اعنى كف للتحقق بمعنى المضارع وعدا بعيد جدا وايضا ماذكر ان عكرمة ابن
ابى جهل خرج فى عسكر فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد
الى الحديبية فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة غلط فان خالد بن الوليد لم يكن
اسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين كما فى البخارى ولا حاجة لتأويل كلامه بانه اراد
بالفتح قصة الحديبية لانها سميت فى القرآن فتحا مع انه تابع فى هذا الغلط لغيره
وعهدته على من قاله اولا ولبس مانقله ايضا مطابقا لما قاله فى تفسيره وفى فتح مكة
خلاف فى كتب الفقه وفى الكشاف كف ايديهم قضى بينكم وبينهم بالمكافة
والمحاجزة وهى نزغة اعتزالية ولذا تركه القاضى رحمه الله تعالى (وقال)
صلى الله تعالى عليه وسلم (لابى سفيان) صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس
ابن عبد مناف (وقد سيق اليه) جملة حالية اى قال له القول الآتى وسيق مبنى للمجهول
ساقه اتى به وقاده والسائق له هو العباس عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لما اشال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة ونزل مر الظهران عشاء واوقد
عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر رضى الله تعالى عنه واراد دخولها قهرا
لقتل الكفار فرقت نفس العباس رضى الله تعالى عنه لاهل مكة فخرج على بغلة
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اتى الاراك فقال لعلى اجد ذا حاجة يأتى مكة
فيخبرهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يخرجوا و يستأمنوه قبل ان
يدخلها عنوة فسمعت صوت ابى سفيان يقول لبديل ما رأيت كالليلة نيرانا ولا عسكرا
فقلت ابا حنظلة فقال ابو الفضل قلت نعم قال ما لك فداك ابى وامى قلت
هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الناس واصباح قريش قال ما الحيلة قلت

والله لئن ظفر بك ليضرب عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى اتى بك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فاستأمنه لك فركب خلفى فكنت كلما مررت باحد قال بغلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليها عمه حتى مررت بعمر رضى الله عنه قال ابو سفيان عدو الله
الحمد لله الذى امكن منك بلا عقد ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله صلى الله
عليه وسلم فركضت البغلة ودخلت عليه وعمر معه فقال هذا ابو سفيان دعنى اضرب
عنقه فقلت انى قد اجرته وجلست فلما اكثر عمر رضى الله تعالى عنه فى شانه قال
صلى الله تعالى عليه وسلم مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبح فأتنى به
فغدوت به صباحا فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علم انه جاء ليسلم منقادا
(بعد ان جلب اليه الاحزاب) جلب بالجيم والموحدة بمعنى ساق وجمع
واصله من الجلبة وهى اصوات المحاربين والاحزاب جمع حزب وهى الناس
المجتمعة من قبائل شتى للحرب ويقال تحزبوا تجمعوا وهذه غزوة الخندق
التى كانت فى سنة خمس واسناد جلب الاحزاب اليه لانه كان قائد جيشهم
وصاحب رايهم والا فسبب التحزيب انما كان جماعة من اليهود دعوا القبائل
وحركوا قريشا لذلك كما فصل فى السير (وقتل عمه حمزة) سيد الشهداء رضى الله
تعالى عنه (واصحابه) اى اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعود الضمير لعمه
وان صح بعيد (ومثل بهم) بالتشديد اى شوهت خلقتهم بقطع الاطراف وشق
البطن واخراج القلب ونحوه وهو من المثلة بضم الميم وهى العقوبة الشديدة ومنه
قد خلت من قبلهم المثلات ويقال مثل بالتخفيف ايضا ونسب قتل حمزة رضى الله
تعالى عنه وقتل اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى سفيان مع ان قاتل حمزة
وحشى بن حرب واسلم بعد ذلك ولم يباشره ابو سفيان الا انه هو الباعث والسبب
لذلك القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة رضى الله تعالى عنه مشهور انه باحد
لا يقال ان عبارة المصنف توهم انه بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل باحد وكانوا
اكثر من سبعين ولذلك نسب التمثيل له مع ان الممثل زوجته هند لان فعل اهل الرجل
كفعله لا سيما النساء وقد مثل بجماعة غيره ايضا كما اشار اليه المصنف بقوله بهم
فممن مثل به انس بن النضر وعبد الله بن جحش كما فصل فى السير (فعفا عنه) ما سبق
منه فى كفره لان الاسلام يجب ما قبله (ولاطفه فى القول) اذ خاطبه بقوله (ويحك
يا ابا سفيان) اى اتعجب لك ما عقلك ودهائك وظهور حقية الاسلام وعبر بفاعل
لملاطفة كل منهما فى مقاله واللطف الرفق والبر ويكون بمعنى الدقة والصغر
(الم يأن لك) اى الم يدن وقت علمك يقال انى يأنى اذا حان وقته وجاء زمانه (ان تعلم
ان لا اله الا الله) اى توحد الله وتصدق به فتسلم اسلاما صحيحا (فقال) ابو سفيان (بابى
انت وامى ما احلمك واكرمك واوصلك) ترحمك اذ خاطبتنى بلطف وهديتنى الى الحق

مع ما قاسيته منى ثم اجابه مصدقا فقال لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد اغنى شيئا بعد فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم انى رسول الله فقال بابى انت وامى اما هذه ففى النفس منها شئ فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم والحديث مذكور بتمامه فى السير وامر ابى سفيان رضى الله عنه مشهور وفى بعض النسخ بدل ما احلمك ما اجملك من الجمال ويحتمل انه من التجمل وهى صيغ تعجب وكل هذا جائز وفى تاريخ قزوين للامام القزوينى روى عن على ابن احمد بن صالح قال حدثنا ابو العباس العبدى القزوينى حدثنا الحسن بن الفضل حدثنا محمد بن غزوان البغدادى حدثنا الاصمعى حدثنا مالك بن منول عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لطم ابو جهل لعنه الله فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فشكت الى ابيها فقال لها ايتى ابا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف بها على ابى جهل لعنه الله وقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابى سفيان قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما شككت ان كان اسلامه الا لدعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى نقله السيوطى فى كتاب تحفة الادب ومن خطه نقلت (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى) اى غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد امور كثيرة بخلاف رضاه فانه رضى باقل شئ سريعا لكرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى فيه الكلام مبسوطا وهذا لانه متخلق باخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته قد سبقت غضبه وفى الحديث المؤمن بطئ الغضب سريع الرضى وهذا فى غير حقوق الله وفى غير ما يؤدى الى عدم الحمية والمروة فلا ينافى هذا قول الشافعى من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان (فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة) جواب اما قوله الآتى فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى الى آخره وما بينهما جمل معترضة (ومعانيها متقاربة) بعضها قريب من بعض حتى توهم بعضهم لذلك انها مترادفة (وقد فرق بعضهم بينها بفروق) واهل اللغة يعرفون الفرق فى امثاله بمقابلها واضدادها كما قيل * وبضدها تتميز الاشياء * ولابن هلال كتاب فى الفروق مفيد جدا وتقدم ان فرق بتخفيف الراء وتشديدها بمعنى الا ان بعضهم قال الاكثر فى التفريق استعماله فى الاجسام والفرق فى المعانى وهذا لا ينكر استعمال احدهما مكان الآخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق باعتبار وقوعه بين كل واحد وغيره والا فهو فى الحقيقة فرق وبدأ المصنف بالجود اولا وفى التفريق اخره لانه عنده بمعنى السخاء ولذا قيل كان الاولى تركها وعطفه على

السخاء وتأخيره (فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم) عظم يعظم بضم العين فيهما جل مقداره و(خطره) بفتحتين وقد تسكن الطاء قدره ووقعه (ونفعه) لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف المعطى والآخذ وكان هذا معنى الكرم فى عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف والمجد وهو لا يختص بالاعطاء ولذا قال (وسموه ايضا حرية) بضم الحاء وكسر الراء المهملتين المشددة تليها ياء تسمى ياء المصدرية وهى اذا لحقت الاسماء الجامدة والصفات تصيرها مصدرا ولابد فى آخرها من هاء تأنيث ولم تفصل النحاة حال هذه الاسماء الا انها شايعة فى الاستعمال وما وقع فى بعض النسخ هنا من انه جرأة بجيم مضمومة وراء ساكنة تليها همزة وهاء كما فى حواشى ابن رسلان فهو من تحريف الكتاب فانه لا مناسبة له هنا وان كانت الجرأة والكرم اخوان لا يفترقان لا سيما فى زمان فيه غاض الكرام وفاض اللئام واما تسمية الكرم حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من منن الناس فاذا طوقهم منه خلصت له الحرية لان الانسان عبد الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم قالوا الحرية صفة يتولد عنها الايثار ونهاية السخاء لانه بذل ماله اليه حاجة وهو نهاية السخاء واعلى منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شئ من المخلوقات ولا من اعراض الدنيا والآخرة ويكون فردا لم تسترقه دنياه ولا هواه ولا حظ ما يتمناه وقال القرطبى فى كتاب المنتقى من كلام اهل التقى فى التصوف الحرية المحضة هى الخروج من ملك سلطان الشهوة والغضب والقهر بالصبر والعبودية المحضة هى طاعة الارادة فيما لا يضطر النفوس اليه الا بسوء العادة وايثار اللذة وكل من خدم فى زمن الحداثة الشهوة والغضب شق عليه فى زمن الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه عن خدمة لذته ومن خدم فى الرأى والادب شق عليه ذلك فى الحداثة وكان فى زمن الشيخوخة مستريحا انتهى (وهذا ضد النذالة) بفتح النون والذال المعجمة واللام هى الخسة والحقارة وهى من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة (والسماحة) والسماح (التجافى) تفاعل من الجفاء وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا نبا عنه كما قال عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع * اى لا يكثرون النوم اى العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس (وهو ضد الشكاسة) بشين معجمة وكاف وسين مهملة بينهما الف وهو كما قاله التلمسانى سوء الخلق وفى القاموس انها البخل والاول انسب هنا والثانى بتفسير السماحة بالجود كما قاله ابن القوطية (والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد) من الصنايع المذمومة كالحجامة واخذ ما لا يحل له (وهو الجود) وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور فى الممتع السخاء مأخوذ من الارض السخاوية وهى الرخوة ولذا

وصف الله تعالى بجواد دون سخى لانه اوسع فى معنى العطاء وادخل فى صفة العلاء انتهى وقد تقدم ذلك فعلى هذا هواخص منه وقال ابن مالك فى الكفاية السخى هو الجواد فهو موافق لماقاله المصنف وقال سقراط الجواد هوالذى يعطى بلامسئلة صيانة للآخذ من ذل السؤال وقال الشاعر * وما الجواد من يعطى اذاماسألته * ولكن من يعطى بغير سؤال (وهو ضد التقتير) المعروف فى اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير التضيق فى الانفاق وهو ضد الاسراف والتبذير وهما بمعنى وفرق بينهما صاحب الكشف فى سورة الاسراء يقال قترت الشئ واقترته اى ضيقت الانفاق فيه وقال تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والبخل والتقتير متلازمان لا مترادفان حتى يكون كلا منهما ضد للسخاء (واعلم ان كلام المصنف هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا ادرى من اين اخذه ولكن الامر فى مثله سهل وهو محتاج للتهذيب وسنكر عليه مرة اخرى (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لايوازى) بالهمزة مبنى للمفعول اى لايساوى ولايقابل يقال فلان يازى فلانا اى يحاذيه ويساويه وقال الكرمانى موافقا للجوهرى يقال ازيته اى حاذيته ولايقال وازيته والذى عندنا فى النسخ موازيه بالواو المبدلة من الهمزة وقد اجازه بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا انفتحت وانضم ماقبلها نحو جؤن وقد جزم البرهان الحلبى بانه فى كلام المصنف بالواو ويحتمل انه فى كلامه بالهمزة ورسمت واوا على قاعدة الرسم فى مثله اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يساويه احد (فى هذه الاخلاق الكريمة) والاوصاف الحسنة من الجود والسخاء والكرم والسماحة

* فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم *

(ولايبارى) بالبناء للمجهول وهو بالموحدة والراء المهملة ومعناه يعارض والمعارضة ان تفعل مثل ما يفعل وهما متقاربان (بهذا وصفه كل من عرفه) بالمشاهدة او بما اشتهر عنه شهرة لايبقى معها ريب ولاشبهة (حدثنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى) هو الحافظ ابو على بن سكرة وقد تقدمت ترجمته وهو منسوب لصدف بفتح الدال وهى قرية بقرب القيروان قال (حدثنا القاضى ابو الوليد الباجى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابوذر الهروى) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو الهيثم الكشميهنى) قال البرهان الحلبى هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء بعدها نون كما فى لباب الانساب لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادى فى طبقاته بفتح الكاف وكذا صحح فى نسخ الشفاء والصواب ماذكرته والنسبة لقرية من قرى مرو قديمة خرج منها جماعة وقد خربت انتهى وفى آخره ياء نسبة لم يصرح بها لانه معلوم من السياق كما فى بعض الشروح من انه لاياء فى آخره وان النسبة فيه على خلاف القياس ممايقضى

منه العجب (وابو محمد السرخسى) نسبة لسرخس بلدة عظيمة بخراسان وقد تقدمت ترجمته (وابو اسحق البلخى) ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن داود المستملى الامام المشهور كماتقدم منسوب لبلخ بلدة عظيمة فى ماوراء النهر (قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربرى) تقدمت ترجمته وفربر بزنة سجل بلدة ببخارى قال (حدثنا البخارى) تقدم وشهرته تغنى عن ذكره قال (حدثنا محمد بن كثير) بلفظ كثير ضد القليل العبدى البصرى الحافظ روى عنه اصحاب السنن وتوفى سنة اثنين وعشرين ومائتين وله ترجمة فى الميزان فيها كلام لابن معين وقال الذهبى انما هو فى ابن كثير الفهرى وفيه تعقب لكلام المزنى لانه قال العبدى قال (حدثنا سفيان) هو ابن سعيد الثورى كما تقدم وهذا الحديث رواه ايضا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر كما هنا واخرجه مسلم والبخارى والترمذى فى الشمائل وهو حديث صحيح (عن ابن المنكدر) وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمى المدنى الحافظ عن ابيه وعن عايشة وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما واخرج له اصحاب الكتب الستة (قال سمعت جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما يقول ماسئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيا فقال لا) وقد علمت ان هذا الحديث اخرجه الترمذى فى الشمائل وغيره وفى معناه قول حسان * ماقال لاقط الافى تشهده * لولا التشهد لم تسمع له لالا * ومعنى الحديث انه صلى الله تعالى تعالى عليه وسلم اذا اتاه مستحق يطلب عطاءه لا يخيبه ويقول له لا قط بدليل اوله حتى اذا لم يجد شيئا اقترض اوقال ائتنى غدا ونحوه وهذا هو الذى عناه حسان وهو باعتبار الغالب فان النادر كالعدم فهو مبالغة معروفة مألوفة ولم يرد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتلفظ بلا اصلا حتى يرد عليه ان الاحاديث المصدرة بلا نحو لايلدغ المؤمن من جحر مرتين كامر لاتحصى كثرة كما قيل ويجاب عنه بما لاحاجة له ثم قال واما قوله فى البردة * نبينا الامر الناهى فلا احد * ابر فى قول لامنه ولانعم * فهوانما يقتضى صدورلا عنه مطلقا وذا لاينافى انها لم تكن لتصدر عنه اذاسئل عن شئ من متاع الدنيا لجواز صدورها منه فى غير تلك الحال (اقول قد عرفت مافيه اولا بقى هنا فى البيت اشكال كان يجول فى الصدر قديما وهوان الامر والنهى انشاء لايجاب بلا ونعم فالتفريع بلالا يصادف محله هنا ولم يحم حول هذا احد من الشراح مع ظهوره وقد ظهر لى ولله الحمد وجهه فمعنى نبينا الآمر الى آخره انه لاحاكم سواه فهو حاكم غير محكوم فاذا قال فى امر لا اونعم وهو لايقول الا صوابا موافقا لرضى الله فحينئذ لايخالفه الا بقسر قاسر وابس غيره حاكم يمنعه عما حكم به ويرد احكامه فهو اصدق القائلين فيما يقوله (وعن انس) بن مالك رضى الله تعالى عنه (وسهل بن سعد مثله) اى مثل الحديث السابق المروى فى الصحيحين وحديث انس رضى الله تعالى عنه هذا فى مسلم وذكره

فى الوفاء ايضا ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيياً لايسئل شيئا الا اعطاه والاحاديث فى معناه كثيرة وسهل هو الساعدى الانصارى الصحابى (وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير) اى بما فيه نفع الناس (واجود ما كان فى شهر رمضان) رمضان اسم الشهر ويقال رمضان وشهر رمضان بكون العلم المضاف دون المضاف اليه او هما كلام لاحاجة لذكره ولايكره ان يقال رمضان وماروى من حديث لاتقولوا رمضان فان رمضان من اسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان ضعيف لايعمل به لصحة ما يخالفه كما فصله شراح البخارى وهذا الحديث رواه الشيخان وروى فيه اجود مايكون ووقع فى بعض النسخ هنا وايضا اجود الثانى يجوز رفعه مبتدأ ونصبه عطفا على خبر كان وعلى الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة فى نحو اخطب مايكون قائما والكلام عليه طويل الذيل ليس هذا محله وما مصدرية وكان تامة ولنقتصر من القلادة على ما احاط بالعنق وانما زاد جوده صلى الله عليه وسلم فى رمضان لحاجة الصائمين ولانه موسم الخيرات الذى تفضل فيه الله على خلقه بما لم يتفضل فى غيره فاتبع سنة الله فى عباده وتخلق باخلاقه (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة) لانه عليه الصلوة والسلام يسرى بلاقائه وامداده له بالبشرى والكرامة فيحسن كما احسن الله اليه فكان يكثر مجيئه له فى رمضان ليدارسه القرأن ويعارض به بقراءة كل منهما على صاحبه بالتجويد ووجوه القرآآت اجود بالخير من الريح المرسلة قال الكرمانى الجود اعطاء ماينبغى لمن ينبغى والخير شامل لجميع انواعه مما يقرب العبد الى الله و ارسال الرياح اطلاقها باذن الله فترسل بالرحمة والمطر قال تعالى * وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وقال والمرسلات عرفا اى الرياح المرسلة بالمعروف على احد التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل الترقى فجعله اجود الناس ثم ذكر ان جوده فى رمضان وعند ملاقاة جبريل ازيد منه فى غيره والمراد بالمرسلة خلاف القطيبة قيل وفى قوله اجود من الريح جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام اهل المعانى فى تحقيق وجه الشبه فى قولهم كلامه احلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة على تقدير مثله فيما بعده او اشتراكهما فيه لالدفع توهم تعلقه بالريح المرسلة وليس من الاكتفاء وفى تشبيهه بالريح اشارة الى سرعته ومبادرته له وقد علم او المراد بالريح المرسلة التى لم ترسل بالغيث لامطلقها لانها فى القرأن مخصوصة بها فان قلت ذكر الريح وقد قيل انها اذا كانت مفردة تكون فى العذاب والشر واذا اجمعت فهى للنفع والخير قلت هذا قيل انه مخصوص بما وقع فى القرأن بالاستقراء لا مطلقا فلاينافيه ماوقع فى هذا الحديث وغيره ويؤيده ما اخرجه ابن ابى حاتم عن ابى بن كعب انه قال كل شئ فى القرأن من الرياح فهو رحمة وكل شئ فيه من الريح فهو عذاب

﴿ وما ﴾

وما ورد فى الحديث كما رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه ماهبت الريح الا جثا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولاتجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا لايدل على عدم اختصاصه بما وقع اتفاقيا فى القرأن لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم اراد اللهم اجعلها من جملة رياح القرأن ولاتجعلها من ريحه اى مما ذكر بهذه العبارة فلا دليل فيما ذكر كما قيل الا ترى الى قوله تعالى ارسلنا عليهم الريح العقيم وريحا صرصرا ونحوه وقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح ويرسل الرياح مبشرات وقد قرئ فى بعض آيات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفردة فى ذلك فكانه اغلبى واما تأويل رياحا فى الحديث بما جاز فيه الجمع فتعسف وقيل يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما قال ذلك لان ماهب ان كان ريحا واحدة لم تلقح السحاب وينزل المطر غالبا وان كان رياحا فهو بخلافه ويحتمل ان يكون معناه لاتهلكنا بريح واحدة لاتهب بعدها ريح اخرى وطول اعمارنا حتى تهب علينا رياح كثيرة (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسندا مسلم فى صحيحه (ان رجلا) هو صفوان بن امية الآتى بيانه كما فى سيرة ابن سيد الناس وغيرها (سأله) صلى الله عليه وسلم (فاعطاه غنما) كثيرة كانت (بين جبلين) اى ما ملأت واديا بين جبلين كما يفهم منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال للغنم السارحة بينهما قليلة او كثيرة ذلك فان كان اسلم قبل سؤاله فهو ظاهر وقوله (فرجع الى قومه) وهم قريش لانه من اهل مكة وفى نسخة الى بلده (وقال اسلموا) لاينافيه وان كان قبل اسلامه فامالانه كان فى صدر الاسلام يجوز اعطاء المؤلفة قلوبهم من الكفار من الزكاة او من بيت المال ثم نسخ وقول الصرصرى

* واتاه اعرابى التمس الندا * اعطاه شاء ضمها جبلان *

لعله قصة اخرى فان الرجل المذكور هنا من اكابر قريش ويؤنسه قوله (فان محمدا يعطى عطاء من لايخشى فاقة) فان قريشا كانوا يعلمون كرم خيمه وجزيل عطائه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لايخشى فاقة وماباري احدا فى الجود الا فاقه والفاقة الفقر او اشده وهكذا اولياء امته ففى الحديث دعائم امتى عصائب اليمن وابعون رجلا بالشام كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه آخر اما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولاصيام ولكن بسخاء النفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين (واعطى غير واحد مائة من الابل) الابل اسم جنس جمعى لاواحد له من لفظه كخيل وغنم والذين اعطاهم صلى الله تعالى عليه وسلم مائة ناس كثير منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث ابن هشام وقد عدهم البرهان الحلبى وقال انهم يبلغون ستين من المؤلفة قلوبهم وكذلك ذكر الشيخ قاسم فى تخريج احاديث هذا الكتاب (واعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة ثم مائة) وصفوان بن امية هو بن خلف بن وهب بن خزاعة بن جمح قرشى له صحبة وكنيته ابو وهب اسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وهو مشرك

فلما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفئ ما ذكر قال اشهد بالله ما طابت بهذا الانفس نبى فاسلم وروى له اصحاب الكتب الستة وتوفى فى خلافة معاوية سنة ثنتين واربعين بمكة وعلى هذا فاعطاه مرارا غنما وابلا فلا منافاة بينه وبين ما سبق وعطاؤه له السابق كان من غنائم حنين وهذا الحديث رواه مسلم (وهذه) اى الخصلة والسجية فى الكرم والعطاء (كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث) اى نبيا او يرسل (وقد قال له ورقة بن نوفل) ورقة بواو وراء مهملة مفتوحتين وقاف وهو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى كان من اعقل اهل زمانه واعلمهم شاعر بليغ متأله وكان يقرأ ويكتب الكتب القديمة بالعربية والعبرانية ويتأله ويتعبد ولذا سمى القس وتهود فى اول امره ثم تنصر وهو بن عم خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وله اشعار كثيرة فى التوحيد ولتزهده لم يكن له عقب وورد فى الحديث لا تسبوا ورقة فانى رأيت له جنة او جنتين يعنى بذلك ما ورد من طريق اخر انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه فى منامه فى الجنة وعليه حلة خضراء او بيضاء اونحوه كثياب من حرير وحلة من سندس وكان حيا فى ابتداء الوحى الى ان تنبأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به كما فى اول البخارى وقال لئن ادركت زمانك لانصرنك نصرا مؤزرا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذ ذاك نبيا ولم يؤمر بالدعوة ومات ورقة بعد نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل رسالته ولذا قالوا انه اول من آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال وهو ثان بالنسبة لخديجة رضى الله تعالى عنها وصحابى ولذا عرفوه بانه الصحابى من اجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغى التنبه له وفى نظم السيرة للعراقى فى ذكر ورقة

* فهو الذى أمن بعد ثانيا * وكان برا صادقا مؤاتيا *

* والصادق المصدوق قال انه * رأى له تخضخضا فى الجنة *

وهذا المذكور هو الصحيح من انه صحابى وقيل انه ليس بصحابى لانه لم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤمن به بعد بعثته وعليه جماعة محققون وقول المصنف رحمه الله تعالى وقد قال الخ ان كانت الجملة معطوفة على ما قبلها فهو صادق على القولين وان كانت حالا من الضمير فى قوله قبل ان يبعث يكون على القول الثانى وهو مؤمن على كل حال ولذا رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجنة والاكثر من علمائنا على انه صحابى (انك تحمل الكل) هذا بعض من حديث صحيح رواه الشيخان لكن قال السيوطى فى تخريجه القائل له صلى الله تعالى عليه وسلم هذا انما هو خديجة رضى الله تعالى عنها فى قصة مكالمتها لورقة فى شان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام فى اول امره وخاف على نفسه منه وكذا

اعترض عليه الشيخ قاسم فى تخريجه ايضا فقال لا اعلم هذا من قول ورقة رضى الله تعالى عنه والذى فى صحيح البخارى وغيره انه من قول خديجة رضى الله تعالى عنها وما قيل من ان القاضى جليل القدر لا يخفى عليه مثله ولا يبعد صدوره من ورقة لا يجدى نفعا مع نقل الصحيحين خلافه وليس مثله محل بحث ولكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة والكل بفتح الكاف وتشديد اللام مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء وفسر بالثقل فقيل انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لا يقال حمل الاعياء والذى فى البخارى قبل هذا من قولها ايضا حين قال لها صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام لقد خشيت على نفسى وهى التى قالت كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل (وتكسب المعدوم) وتقرى الضيف وتعين على نوائب الخلق وتصدق الحديث وتؤدى الامانة والحديث فى اول البخارى والكلام عليه يفصل فى شروحه وحمله الكل هو كقول العرب فى المدح هو حمال اثقال اى يحمل ثقل غيره من الضعفاء والعيال واعانة الخلق بالانفاق عليهم واطعامهم واعطائهم كل ما يحتاجون اليه وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعارة شاع فى هذا المعنى وتكسب قال ابن قرقول بفتح التاء وكسر السين المهملة هى اكثر الروايات واصحها اى تكسب لنفسك بتحصيله ما يهم وقيل تكسب غيرك اى تعطيه لان كسب جاء لازما ومتعديا وانكر الفراء وغيره اكسبه فى المتعدى وصوبه ابن الاعرابى وانشد * فاكسبنى مالا واكسبته حمدا * فيتعدى بالهمزة لمفعولين وكسب يتعدى لمفعول وقيل يتعدى لمفعولين ككسب والمعدوم الشئ الذى لا وجود له واما الفقير فيقال له معدم كمكرم قال الشاعر * قالت بنات العم ياسلمى وان * كان فقيرا معدما قالت وان * قيل ويطلق عليه معدوم ايضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين محذوف ان بنى للمعلوم ومذكور ان بنى للمجهول والمراد على الوجهين انك تعطى الناس الفقراء ما لا يجدونه عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق وقول الخطابى رحمه الله تعالى صوابه المعدم بلا واو ويريد انك تعطى العادم الفقير الذى لا يجد شيئا خطأ لان هذه الرواية صحيحة مشهورة عند رواة الحديث وفيما خشيه صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وجوه واصحها انه خشى الهلاك من شدة الرعب اوتعييرهم اياه فارادت خديجة رضى الله عنها دفع ذلك الذى خشيه بقولها المذكور اى لا تخف فانك لا يصيبك مكروه لما فيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهى صحيحة رواه البخارى وغيره فقال (ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف) نفس من النساء والذرية غير الاموال التى من غنائمهم لما غزاهم وكانت اربعة وعشرين الفا من الابل واكثر من اربعين الف شاة من الغنم واربعة آلاف اوقيه من الفضة والاوقية اربعون درهما وعن ابن فارس انه قوم ما وهبه لهوازن فكان خمسمائة الف الف وقيل ستمائة الف الف

وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن اسلم وكان يسكن حنينا وهو كما يأتى موضع سمى بحنين ابن نابة بن مهلاييل وغزوته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن وكانت فى شوال اوفى رمضان وامرها معروف مفصل فى السير ولما غزاهم وحاز غنائمهم قدم وفدهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم اربعة عشر رجلا رئيسهم زهير بن صرفة وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع وسألوه ان يمن عليهم بما اخذ منهم لما بينهم وبينه من مناسبة الرضاعة فقال لهم ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وما للناس يسئل منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماعة من المؤلفة اما امانا فلا فاخذه صلى الله عليه وسلم منهم قرضا على ان يعوضهم عنه من اول مال يجيء فسلموهم جميعا وكان صلى الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك لانه كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده لتعلق حق الغير به والسبايا جمع سبية بمعنى مسبية قال التلمسانى ولا يكون السبيء الا فى النساء (واعطى) ايضا (العباس) بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخارى عن انس تعليقا (من الذهب ما لم يطق حمله) وقد اتى بمال من البحرين وكان اكثر مال اتى فنثر فى المسجد واتاه العباس رضى الله تعالى عنه وقال اعطنى فانى فاديت نفسى وعقيلا فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم خذ فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال من يرفعه فقال لا فقال فارفعه انت على فقال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه صلى الله عليه وسلم بصره تعجبا منه ولم يقم عم حتى فرقه فلم يبق منه درهم وانما اعطاه لانه خرج لبدر مكرها وكان يخفى اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا كما فصلوه (وحمل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون) بتقديم المثناة الفوقية (الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها) رواه الحسن بن الضحاك فى شمائله مرسلا الا انه قال ثمانون الفا واخرجه ابن الجوزى فى الوفاء وقال سبعون الفا كما قال الشيخ قاسم فى تخريج احاديث الشفاء والسيوطى فى تخريجه بلفظ سبعين بتقديم السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصرى فى مديحه * سبعون الفا فضها فى مجلس * لم يبق منها عنده فلسان * وقوله حتى الى آخره غاية لقوله قسمها وقيل لقوله فما رد سائلا وليس المراد انه يرد بعد الفراغ فهو على حد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا (وجاءه رجل فسأله) عطاء شيء يحسن به له (فقال ما عندى شيء) ولم يقصد منعه بذلك حتى لا ينافى ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال لسائل لا قط لان المراد انه لم يمنعه ما سأل من متاع الدنيا وانما مراده اخباره بعذره فى عدم

التعجيل له بدليل قوله (ولكن ابتع على) بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل ومثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة افتعال من البيع بمعنى الشراء فانه يطلق عليهما وفى القاموس ابتاعه اشتراه اى اشتر بثمن يكون ذلك الثمن على وفى ذمتى كذا ثبت فى الحديث وفى شرح الدلجى انه بتقديم المثناة الفوقية على الموحدة اى اشتر واستلف ما يختار انتهى وليس هذا ضمان بل وعد منه الان ووعده صلى الله تعالى عليه وسلم كان ملتزم الوفاء لان وعد الكريم دين ولذا صح انه لما توفى نادى ابو بكر رضى الله تعالى عنه من كان له عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عدة او دين فليأتنا فجاءه جابر رضى الله تعالى عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى كذا فاعطاه له (فاذا جاءنا شيء) مما من الله به من الغنائم اوغيرها وفى قوله جاءنا يعنى معاشر المسلمين اشارة الى انه مال الله لعباده لا لى وحدى (قضيناه) اى اديناه ويحتمل الضمير هنا وفيما قبله للتعظيم اى قضيته قضاء انال به التعظيم منه تعالى واختاره بعضهم ولذا لم يقل جاءنى وقضيته مع قوله على فتأمل والقضاء يشعر بانه لزم ذمته كالدين (فقال له عمر رضى الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك) اى بدا فى وجهه الشريف اثر عدم رضاه به لان فيه كسر خاطر السائل ولان مثله لا يعد تكليفا لما قدره له لما عوده الله من فيض نعمه عليه (فقال رجل من الانصار) كان حاضرا لما رأى من كراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك (يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا) قال البرهان هذا الرجل لا اعرفه وفى حفظى ان القائل بلال رضى الله عنه لكنه مهاجرى لا انصارى فيكون قد قال ذلك بلال والانصارى فان الذى فيه ذكر بلال قصة اخرى المأمور فيها بالانفاق بلال وهو ما رواه الطبرانى والبزار مسندا عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بلال وعنده صبرة من تمر وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يوما اطعمنا يا بلال فقال ما عندى الا صبرة خبأتها لك ولضيفانك فقال اما تخشى ان تقذف بها فى نار جهنم انفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا ومن العجب ايراد هذا هنا ولا مناسبة له بما نحن فيه ووقع فى بعض كتب الحديث انفق بلالا ووجه بتوجيهات منها ان اصله بلالى بالاضافة لياء المتكلم وحذف حرف النداء وابدل الياء الفا كيا غلاما وقيل بلالا هنا ليس علما بل فعال من البلل اى انفاقا رطبا تبل به قلوب آكليه ولو قيل انه رد لاصله من النصب واطلق لمشاكلة اقلالا لم يبعد وقد اخرجه العسكرى فى الامثال مرفوعا وفيه الطبرانى انفق يا بلال ومعنى اقلالا ان يقل الله الرزق ويجعله قليلا لان لكل منفق خلفا وقوله لا تخش نصف بيت وقع اتفاقا وقيل بلا لا كلمتان اى بغير لا واباه رواية يا بلال بحرف النداء والذى رواها المصنف رحمه الله ولا تخف دون لا تخش كما مر وقول بعض الشراح الصواب

لاتخش لبصير موزونا غير صواب من وجهين (فتبسم صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه) بانبساطه وتهلل اساريره (وقال بهذا امرت) اى بالانفاق من غير مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهى مبادى الضحك وقد استشكل هذا بان الله امره بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا قال فى الكشاف لان الاسراف غير محمود وكان صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ما عنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه واجاب القاضى ابو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وغير خلص المؤمنين الذين كانوا ينفقون جميع ما عندهم عن طيب قلب لتوكلهم وثقتهم بما عند الله اما من كان ليس كذلك يتحسر على ماذهب منه فالمحمود منهم التوسط وهم الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا لانهم لاصبر لهم على الفاقة ولذا صعب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام عمر رضى الله تعالى عنه لما راعى ظاهر الحال وامره بصيانة المال شفقة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصارى راعى حاله صلى الله عليه وسلم فاهذا سره كلامه فقوله بهذا امرت اشارة الى انه امر خاص به وبمن يمشى على قدمه وقوله (ذكره الترمذى) اشارة الى من روى هذا الحديث (وذكر عن معوذ بن عفراء) ذكر بالبناء للمجهول قال السيوطى ذكر هذا الحديث الترمذى فى الشمائل والطبرانى عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعنى ان المذكور انما هو الربيع بنت معوذ بضم الراء المهملة والتصغير فهو مشدد الياء التحتية اسم امرأة منقول من مصغر الربيع وكذا قال البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع او وقف عليه القاضى رواية عن معوذ الا ان معوذا لا اعلم له رواية ووقع فى نسخة على الصواب ومعوذ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لا يجيزه وكذا ضبطناه عن الصد فى ثم ذال معجمة وقال التلمسانى قيل ان الدال مهملة مع الفتح والكسر والاول اولى وعفراء بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة وهمزة ساكنة ممدودة اسم امه وهى عفراء بنت عبيد بن ثعلبة وشهر بذلك واسم ابيه الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد ومعوذ استشهد ببدر قتله ابو مسافع وقيل انه هو الذى قتل اباجهل وفيه كلام فى السير (قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع) بقاف مكسورة او مضمومة فنون والف فعين مهملة ويقال له قنع بكسر القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر قوله (من رطب يريد طبقا) انه مفرد وكذا قوله فى حديث آخر يهدى لنا القناع فيه كعب حيث افرده (واجر زغب) بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر الراء واصله اجرى فسقطت ياؤه كادل فى جمع دلو وهو جمع جرو بكسر الجيم بوزن علم وهو صغير القثاء وزعم ابن قرقول ان جروا جمعه اجرا على افعال وهو جمع

جرو وزغب بضم الزاى وسكون الغين المعجمتين جمع ازغب وهو ما عليه زغب والزغب صغار الريش والشعر فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها من الصغير وقوله (يريد قثاء) بكسر القاف وضمها وتشديد المثلثة والمد وهى معروفة وهى ضرب من الخيار والفه للتأنيث اوللالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد وغيره واذا فسر به الجمع ولا حاجة لتقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال ان زغب هنا كالدينار الصفر كما توهم وهو تفسير لقوله اجر وروى الهروى اجن بالنون بدل اجر وهو جمع جنا وهو الغض الرطب والمشهور الاول وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء (فاعطانى ملء كفه حليا وذهبا) بالواو العاطفة وفى الترمذى اوقال ذهبا مما كان عنده مما جاءه من البحرين وهذا مما يدل على الوهم فى رواية معوذ فانه قتل ببدر ومال البحرين انما اتاه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ظهور الاسلام والحلى بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بزنة ضرب وجمعه حلى بضم الحاء وكسرها ووزنه فعول وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه التلمسانى بالمفرد هنا فان كانت الرواية به فواضح والا فتجوز قراءته بالوجهين (وعن انس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد) اخرجه الترمذى وشيئا عم من المال والقوت وهذا بالنسبة لاغلب احواله صلى الله عليه وسلم وقد وقع خلافه تعليما وتطييبا لقلوب اهله وهو لا ينافى التوكل كما لا يخفى (والخبر بجوده) اى فى بيان جوده (وكرمه كثير) لا يحصى فعن البحر حدث ولا حرج (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا الرجل لم يبين والحديث لم يخرجه السيوطى ولا غيره (يسأله فاستسلف له صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اقرض والسلف والقرض بمعنى (نصف وسق) بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا وعند اهل الحجاز ثلثمائة وعشرون رطلا واربعمائة وثمانون رطلا عند اهل العراق على اختلافهم فى مقدار الصاع والمد كما قاله البرهان الحلبى رحمه الله تعالى والوسق ايضا مصدر بمعنى ضم الشئ (فجاءه الرجل) الذى قرض منه (يتقاضاه) اى يطلب منه كما مر (فاعطاه وسقا) ضعف ما اخذ منه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له (نصفه قضاء) لما آخذ منك (ونصفه نائل) اى عطاء وهبة (لك) ووقع فى بعض النسخ هنا زيادة سقطت من اكثر النسخ وهى (وقد قال ابو على الدقاق من شيوخ الصوفية المشاهير وعما ئهم النحارير وتكلم فى الفتوة وهى غاية الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم فى الفاظهم ان هذه الخلة لا تكون بكماله لا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل احد فى القيامة يقول نفسى نفسى ويقول هو صلى الله تعالى عليه وسلم امتى امتى) انتهى ما زيد هنا واثبتها محمد بن مرزوق فى شرحه

وبتمه التلمسانى وشرحها فلنتمم الفائدة ببعض فوائدها وبيان مافيها فاعلم ان الدقاق هوابوعلى الحسن بن على شيخ القشيرى تفقه فى اول امره على القفال وغيره ثم انقطع حتى صار سيد وقته والمتصوفة والصوفية واحده صوفى ويقال تصوف اذا انقطع الى الله تعالى كما يقال قيسى اذا انتسب لقيس وهذا اللفظ مولد واصطلاح حدث بعد القرن الاول فقال بعضهم الصوفى هو المنقطع بهمته الى ربه وهم مقتدون باهل الصفة رضى الله تعالى عنهم وهى سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابة فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبل الاسلام حى يقال لهم صوفة يخدمون الكعبة فقيل الصوفى نسبة لهم وقيل لانهم تجمعوا كما تجتمع الصوف وقيل انهم لخشوعهم كصوفة مطروحة على الارض اوهم منسوبة للصوفة للينهم وسهولة اخلاقهم اولِلبسهم الصوف لاختيارهم الفقر وهذا اظهر الاقوال لفظا ومعنى وقيل منسوب للصفة والاصل صفى فابدل احد حرفى التضعيف لينا وقيل انه من الصفاء ففيه قلب وصحح هذا بعضهم لقول البستى * تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا * جهلا فظنوه مشتقا من الصوف * ولست انحل هذا الاسم غير فتى * صافى فصوفى حتى سمى الصوفى * ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعراء وقد بين المصنف رحمه الله تعالى معنى الفتوة ﴿ فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل) هذا معنى ماقاله الحكماء فى علم الاخلاق ان الله تعالى ركب فى الانسان قوة هى مبدأ الاقدام على الاهوال والمهالك لتصوره ان من خاطر بالنفس ربما هلك وانه لايغنى حذر من قدر وهى القوة الغضبية الشنيعة والشجاعة انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة ليكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب حتى يكون فعلها جميلا محمودا وافراطها التهور وهو الاقدام حيث لاينبغى وتفريطها الجبن وبهذا عرفت معنى الشجاعة والجراءة اعم منها وهذه تختص بالانسان وفسرها ابن القوطية بالاقدام وهو تفسير لفظى بالاعم (والنجدة) بفتح النون وسكون الجيم ودال مهملة كما فى النهاية وهى شدة البأس ويقال هم انجاد امجاد اى اشداء شجعان والواحد نجد ككتف واكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد على انجاد وفسرها اهل اللغة بالشجاعة على عادتهم فى التسامح فلاينافى تغايرهما كما توهم ويؤيده مافى الحديث الاتى عن ابن عمر ما رأيت اشجع ولاانجد ولااجود ولاارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهرت النجدة فى معنى المساعدة (ثقة النفس) فى بعض الشروح وثق الشئ بالضم وثاقة صلب واشتد ومنه الوثاق وثقت به بالكسر اثق ثقة اعتمدت عليه وائتمنته كما فى التقريب والمصنف رحمه الله تعالى استعمل الثقة موضع الوثاقة ولم اظفر به قلت هذا عجيب منه فانه بمعنى اعتماد النفس على ربها واعتماده على نفسه (عند استرسالها) اى انطلاقها

واخذها فيما يؤدى (الى الموت) اى استيناسها وطمانينتها بلا خوف كما ورد فى الحديث ايما مسلم استرسل الى مسلم فغبنه الخ وحديث غبن المسترسل ربا (حيث يحمد فعلها دون خوف) قيل ومنشؤه قوة النفس وشدتها وليست عين الشجاعة ففسر الشدة بما ينشأ عنها انتهى وكلامه ماش على تغايرهما والشراح لم يفرقوا بينهما والفرق مثل الصبح ظاهر فان الشجاعة جراءة واقدام يخوض به المهالك كما ينبغى والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من ان يقع على الموت او يقع الموت عليه حتى يقضى الله له باحدى الحسنيين الظفر او الشهادة فيحيى سعيدا او يموت شهيدا فتلك مقدمة وهذه نتيجتها ولذا اخرها المصنف فى الذكر (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) اى من الشجاعة والنجدة (بالمكان الذى لايجهل) اى كان متصفا بهما على اعظم وجه ومشتهرا بذلك اشتهارا لايخفى على احد وعدم جهل المكان لعلوه وشرف بنائه كالجبل والقصر فكنى بذلك عن علو قدره صلى الله تعالى عليه وسلم وشهرته على حد قوله * ان الشجاعة والسماحة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج (قد حضر المواقف الصعبة) اى مواضع القتال الشديدة ومصافها فجعلها نفسها صعبة اصعوبة مافيها (وفر الكماة والابطال عنه غير مرة) الفرار الرجوع بسرعة والكماة بزنة قضاة جمع كمى على خلاف القياس لانه مخصوص بفاعل المعتل اوهو جمع كام بمعنى كمى وان لم يسمع وهو من تكمى اذا تستر فاصله الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل فى مطلق الشجاع كالمشفر فان قيل انه سمى به لانه يستر شجاعته ووقايعه كان الثانى حقيقة ايضا لكن المعروف هو الاول والابطال جمع بطل كحسن وهو الشجاع المعروف بالشجاعة سمى به لانه يبطل عنده دماء الاقران وغير مرة بمعنى مرات والعرب تجعل غير مرة بمعنى مرات مع صدقه على مرتين للابهام ونحوه من الفوائد (وهو) صلى الله عليه وسلم (ثابت لايبرح) اى لايفارق مكانه كقوله فلن ابرح الارض اى لاافارقها (ومقبل لايدبر ولايتزحزح) اى لايزول عن مقره قال تعالى * فمن زحزح عن النار * وهذه الحالتان تدل على ثباته صلى الله تعالى عليه وسلم اى تارة يقبل على الحرب وتارة يثبت كالجبل الراسى فلايتحرك فان اريد باقباله مجرد توجهه بوجهه وبعدم ادباره لتفاته لغيرها فهما حال واحدة واصل معنى التزحزح التباعد والتنحى عن المكان قال الزبيدى زحه اذا دفعه وكذلك زحزحه وقيل هو من زاحه يزيحه او من الزوح وهو السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح وازاح اذا تباعد ومنه المزاح والصحيح الاول وعطفه على الادبار من عطف الخاص على العام وكان من خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجب عليه مصابرة العدو وان كثروا وزاد على ضعف عسكره ويأتى ما فيه واما الان فان زاد العدو على ضعف المسلمين جاز انصرافهم

عن القتال والا فلا يجوز الا بالتحيز او التحرف الى فئة فان الفرار من الزحف
كبيرة كما فصله الفقهاء والمفسرون (وما شجاع الا وقد احصيت له
فرة) احصيت بالبناء للمجهول من الاحصاء وهو العد والحفظ والفرة المرة من
الفرار وهو الهزيمة والفار الهارب (وحفظت عنه جولة سواه صلى الله تعالى
عليه وسلم) الجولة بفتح الجيم وسكون الواو واللام المرة من الجولان في المكان
وقيل هي الانكشاف والزوال عن الموقف من غير تقييد بالمرة وفي النهاية جال واجتال
اذا ذهب وجاء ومنه الجولان في الحرب والجائل الزائل عن مكانه وقول الصديق
رضي الله تعالى عنه للباطل نزوة وللحق جولة يريد به غلبة من جال على قرنه يجول انتهى
والجولة هنا صفة ذم بمعنى فرة لا غلبة وفي الحديث للباطل جولة ويضمحل والحاصل
ان الجولة تكون بمعنى الفرار وبمعنى الذهاب ليعود والتردد في المكان ويصح ارادة
كل منها هنا ويكون صفة ذم ومدح ثم ذكر ما يدل على ما ذكروه فقال (حدثنا
القاضي ابو علي الجياني فيما كتب لي) هو الامام الحافظ ابو علي الغساني الجياني
بفتح الجيم وتشديد المثناة التحتية ثم الف ونون وياء نسبة بلدة منها ابن مالك وابو حيان
وغيرهما من الائمة وقوله كتب لي دون الي يشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته بدليل قوله
حدثنا فان الكتابة تكون للغائب والحاضر وتتضمن الاجازة وابن الصلاح رحمه الله
تعالى لم يفرق بين كتب له واليه اذ قال كثيرا ما يوجد في مسانيدهم ومصنفاتهم
كتب الي فلان وهو معمول به عندهم معدود في المسند الموصول وفيه اشعار قوي
من الاجازة وان لم تقترن بها وعند السمعاني وامام الحرمين انه اقوى من الاجازة المجردة
قال (حدثنا القاضي سراج) بكسر السين كالسراج المنير وهو سراج بن عبد الملك بن
سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الاموي توفي لست بقين من جمادى الاولى سنة
ثمان وخمسمائة والذي روى عنه الجياني هو جد سراج بن عبد الملك كما قال التلمساني
قال (حدثنا ابو محمد الاصيلي) هو ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن
جعفر الاصيلي ويقال الازيلي بالزاي والسين ايضا نسبة لاصيلة بلدة بالغرب معروفة
كما قاله ابن قرقول وقال الصاغاني في الذيل والصيلة اصيل بلد من اعمال الاندلس
قال (حدثنا ابو زيد الفقيه) هو ابو زيد المروزي وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد
هو ابن يوسف) الفربري قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخاري وقد
تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن بشار) الامام الحافظ ابو بكر محمد بن بشار بفتح
الموحدة التحتية وتشديد الشين المعجمة والف وراء مهملة المعروف ببندار روى عنه
اصحاب الكتب الستة عاش ثمانين سنة ومات سنة اثنين وخمسين ومائتين وقيل
احدى وخمسين وترجمته مفصلة في الميزان قال (حدثنا غندر) بضم الغين
المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وتضم وراء مهملة وهو محمد بن جعفر

الهذلي مولاهم البصري الحافظ روى له اصحاب الكتب الستة توفي سنة ثلاث وتسعين
ومائة وترجمته في الميزان ايضا (عن ابي اسحق) عمر بن عبد الله السبيعي الهمداني
الكوفي احد اعلام الحديث اخذه عن عدة من الصحابة وعدة من التابعين وروى
عنه خلق كثير وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو شبيه الزهري في الكثرة وكان صواما قواما
غازيا مات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة واخرج له اصحاب
الكتب الستة وله ترجمة في الميزان (سمع البراء) بن عازب الصحابي المشهور (و) قد
(سأله رجل) وهذا الحديث اخرجه القاضي كما ترى عن البخاري في الجهاد في موضعين
باختلاف في بعض الفاظه ورواه مسلم في المغازي والنسائي في السير (افررتم)
معاشر الصحابة (يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم)
وحنين بن نابة بن مهلائل وبه سمي الموضع المعروف وسميت غزوة حنين
واوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة في شوال
ووقع في البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى حنين في رمضان والمعروف
انه في شوال وما ذكره المصنف ورد في بعض طرق الحديث وفي بعضها
افررتم ولم يذكر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهي رواية مسلم وعلى هذه
الرواية قال النووي جواب البراء رضي الله تعالى عنه من بديع الادب لان تقديره
افررتم كلكم فيقتضي انه صلى الله تعالى عليه وسلم وافقهم على ذلك فقال البراء
لا والله ما فر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم
كذا وكذا انتهى وهذا الجواب لا يتأتى الا على الرواية الثانية وكان ينبغي للشيخ
ان يجيب بجواب غير هذا لان هذا الفهم احترز عنه السائل بقوله عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يجئ انه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله
احد وقد نقل الاجماع على انه لا يجوز ان يعتقد انه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم
ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان رضي الله تعالى عنهما آخذين
بلجام بغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو كما يأتي وقد صرح به البراء
في حديثه كذا قال البرهان وقيل عليه انه يأتي الجواب على ما رواه المصنف
ايضا لان قول السائل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان دفع وهم انه
ما فر معهم لا يدفع انه فر بعد فرارهم فكان ثابتا في ما طواه البراء في الجواب
الذي تقديره فر من فر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي دفعه بقوله
(لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) لانه استدراك لدفع ما توهم
من الكلام السابق وان لم يصرح به وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد البراء
ان يبين ان فرارهم لم تكن بالكلية وانما معناه تحولنا عن وجه العدو وفعلنا
جولة ثم عدنا وكيف ندع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اعز من انفسنا

اوهو من الاسلوب الحكيم فكانه لما سأله عن فرارهم قال له هذا لا يهمك شانه وانما الذى ينبغى ان تعتقده انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر تكلف لبس فى الكلام مايدل عليه (ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء) الشهباء يقال لها فضة اهداها له فروة بن نفاثة كما فى مسلم وفروة بفتح الفاء واسكان الراء ونفاثة بضم النون وبالفاء المخففة وبالمثلثة الجذامى بضم الجيم وبالذال المعجمة وفى رواية ابن اسحق بن نعامة بالعين والميم والمعروف الاول وقال بعضهم ركب صلى الله تعالى عليه وسلم فى حنين ابغلة تسمى دلدل وكذا قال النووى فى شرح مسلم والمعروف الاول ودلدل اهداها له المقوقس وكبرت وبقيت الى زمن معاوية رضى الله تعالى عنه ويقال انه وهبها صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه وكان له صلى الله عليه وسلم ست بغلات او خمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من اهداها له (وابو سفيان) ابن الحارث بن عبد المطلب هو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه المغيرة او اسمه كنيته وكان اخاه من الرضاع وآلف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة وهجا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجابه حسان رضى الله تعالى عنه بما هو مذكور فى السير ثم اسلم وحسن اسلامه وابلى بلاء حسنا يوم حنين وتوفى فى سنة عشرين وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنه وهو احد من ثبت يوم حنين وهم عشرة او اكثر كما فصله اصحاب السير (اخذ بلجامها) اى ممسك عنان بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم والعباس رضى الله تعالى عنه من الجانب الآخر فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابى سفيان وقال له من انت قال اخوك ابو سفيان بن الحارث فداك ابى وامى فقال نعم اخى ناولنى حصا من الارض فناولته ورمى به فاصاب اعينهم كلهم وانهزموا وانما امسكا باللجام لئلا يسرع للاتصال بالعدو لما رأياه من اقدامه صلى الله تعالى عليه وسلم ومسارعته فاشفقا عليه بمقتضى المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وحماية الله تعالى له (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب) هذه الرواية المشهورة بسكون الباء للوقف ويروى بتحريك الباء فيهما وروى بلا كذب وعلى هاتين الروايتين لا اشكال وعلى الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من مجزو بحر الرجز والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له فكيف يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ونحوه كقوله * هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت * ووقع مثله فى كتاب الله تعالى (واجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم استدلالا بهذا وبان العرب تسمى قائله راجزا لا شاعرا وبان المراد بالشعر المنزه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكون بنظم

انواعه فيكون سجية وما وقع نادرا لا يعد قائله شاعرا ونظيره ما قاله الباقلانى فى كتاب الاعجاز ان القرآن يقع فيه ذلك حتى يكون جامعا لانواع الكلام وبمثله لا يكون القرآن شعرا كالبيت والمصراع اذا وقع فى اثناء رسالة او خطبة والجواب المشهور ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى بالقصد وما وقع فى الحديث كهذا وفى القرآن كقوله يريدان يخرجكم من ارضكم بسحره لم يقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا فى الحديث الصحيح واما فى القرآن فلا لانا اذا سلمنا وقوعه فيه لابد ان يكون بالقصد والارادة لانه لا يمكن ان يقع شئ فى الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا لبعض مشايخى فاستحسنه ثم رأيته فى بعض شروح المفتاح وقد اجبنا عنه فى كتابنا طراز المجالس وكان ابن قدامة فى كتاب التكملة خلط هذا فذهب الى انه ليس فى القرآن موزون لانا لا نجوز ان يقرأه على هذه الطريقة بل نصل الكلام ولا نقف على ما يشبه العروض والضرب وحينئذ لا يكون موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف على متحرك وهو لحن لا يصدر عمن هو افصح الناس وفيه نظر ونفيه الكذب عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مصون عنه مطلقا او معناه لا كذب فى الظفر والنصر وما وعدنى الله تعالى اولا اكذب فى دعوى النبوة لظهور آياته ووضوح برهان معجزاته والمقصود تثبيتهم حتى لا يفر احد منهم وقوله زاد غيره ان كان الضمير راجعا للبخارى اقتضى صيغة ان هذه الزيادة لم ترد فى البخارى مع انها فيه فى محلين من كتاب الجهاد فكان ينبغى له اسقاط قوله وزاد غيره ان رجع لغيره ممن سمع البراء فالامر واضح وقوله انا ابن عبد المطلب كما يقول المحارب انا فلان اشارة الى شجاعته وصولته وانما انتسب صلى الله تعالى عليه وسلم لجده دون ابيه لاشتهاره بذلك لان اباه مات شابا فى حياة جده وهو طفل فكفله فكانوا يقولون له ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه سيد اهل مكة او خصه بالذكر وقد انهزموا عنه تثبيتا لنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وازالة للشك فيها لما عرف من رؤياه المبشرة لذلك كما انبأ بذلك الاحبار والكهان فكأنه يقول انا ذلك الموعود به فلابد مما وعدت به لئلا يفروا ويظنوا انه مقتول او مغلوب وكان عبد المطلب رأى فى منامه ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور فاذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود له من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا كما قاله حين قيل له لم سميته بهذا وليس لاحد من آبائك ولا قومك مثله فقال رجوت ان يحمده اهل الارض وقيل ان امه لما حملت به قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعته فسميه محمدا وقوله انا النبى الى آخره ليس من الافتخار المنهى عنه لانه جائز فى الجهاد لارهاب العدو وكان

صلى الله تعالى عليه وسلم ينصر بازعب كمامر وهذا جار على عادتهم كقوله
* اقول له والرمح يأطر بطنه * تأمل خفافا اننى انا ذالكا *
(قيل فما رؤى يومئذ احد كان اشد منه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى لم ير فى حرب
هوازن اقوى واشجع من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ركب بغلته وقد
ظاهر عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم على القتال ويبشرهم
بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا برزوا للقتال فى كتائب لم ير المسلمون مثلها عدة وعدة
وحملوا حملة واحدة وكانوا ارمى الناس بالسهام واعرفهم بالقتال فانهزم الناس والنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت يلتفت يمنة ويسرة لمن فر منهم وهو يقول يا انصار الله
وانصار رسول الله انا عبد الله ورسوله ثم تقدم بحربته امام الناس فلم يمض قليل حتى
هزمهم الله وانما قال المصنف قيل لان هذه اللفظة بعينها لم تثبت عنده بطريق
صحيح واما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اشد من حضر تلك الوقعة واشجعهم
فهو مما لا شبهة فيه ولا يمكن احد انكاره (وقال غيره) اى غير البخارى الذى الحديث
السابق من روايته لكنه لم يذكر فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل عن بغلته)
فانه فى رواية مسلم رواه سلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه قال لما غشوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل
بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك
القبضة ترابا وهزمهم الله ولا شك ان النزول فى وقت المحاربة فيه من الشجاعة
ما لا يخفى وتسميه العرب نزالا (فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين) هذه
حال مؤكدة وهى قد تكون موافقة لعاملها معنى كهذه الآية ولى مدبرا وقد تكون
موافقة له لفظا كقوله * اصخ مصيخا لمن ابدى نصيحته * والاول اقوى لما فيه
من ترك التكرار بحسب الظاهر وفى قوله ولى المسلمون ان اريد جميعهم مجاز بجعل
الاكثر بمنزلة الجميع والا فلا يجوز خلافا لمن ظنه وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف
فى عددهم كمامر وفصل فى السير وكتب الحديث (وذكر مسلم) فى صحيحه رواية
(عن العباس) رضى الله تعالى عنه عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فلما التقى
المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى جعل وشرع فى فعل ذلك (يركض بغلته نحو الكفار) اى يسوقها ويسرع
بها والركض الضرب بالرجل فمتى نسب الى الراكب فهو متعد مركوبه نحو ركضت
الفرس ومتى نسب الى الماشى فوطئ الارض نحو قوله اركض برجلك ونحو منصوب
على الظرفية اى فى جهتهم (وانا آخذ بلجامها) اى امسكه (اكفها) اى امنعها
من السرعة (ارادة ان لا تسرع) اى لاجل ارادة ان لا تسرع نحو العدو وتقتحم به
(وابو سفيان) بن الحارث ابن عمه (آخذ بركابه) هذه رواية وفى اخرى ان ابا سفيان

كان يقود بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم آخذا بلجامها من احد جانبيها فلعله تارة كان
يفعل كذا وتارة كان يفعل كذا فلا تعارض بين الروايات (ثم نادى) اى العباس رضى الله
تعالى عنه وكان جهورى الصوت (يا للمسلمين) بفتح اللام الاولى لدخولها على
المستغاث به فان دخلت على المستغاث له كسرت نحو يا لله للمسلمين وكان نداؤه
رضى الله تعالى عنه بامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال له يا عباس ناد
اصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقاتلوا حتى هزم الله اعداء الدين وقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الآن حمى الوطيس وهذا الحديث نقله المصنف
رحمه الله تعالى عن مسلم بالمعنى اذ ليس فيه نداء العباس وخص العباس
رضى الله تعالى عنه بذلك لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال واصحاب
السمرة هم اصحاب الشجرة وانما خصهم بالنداء لانهم لما بايعوه تحتها بايعوه
على الموت وان لا يفروا فذكرهم بذلك وفى خصايص الخيضرى كان يجب عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم مصابرة العدو وان كثروا والامة انما يلزمهم الثبات اذا لم يزد
عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردى ان من
خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يفر من
الزحف وخوفه من القتل غير جائز لان الله عصمه انتهى (وقيل كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شئ) اى لمهابته
كل احد له صلى الله تعالى عليه وسلم وخوفه منه لا يتحرك عنده وقال شئ دون
احد مبالغة فان العاقل وغيره سواء فى ذلك ففى هذا اشارة الى انه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة احيانا ولكن ذلك غيرة على حدود
الله لا لنفسه ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة ان الغضب
مقتضى للبطش والاقدام وهو من نمطها وهذا بعض من حديث صحيح فى شمائل
الترمذى (وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) من حديث صحيح رواه الدارمى مسندا
(ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود) تقدم الفرق بين الشجاعة والنجدة فليس عطفه
عليه عطف تفسيرى كما توهم ونفى الافضل هنا يفيد نفى المساوى بطريق الكناية
كما تقول ما فى البلد اعلم من زيد كما تقدم تحقيقه (ولا ارضى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم) اى اكثر رضى منه لانه صلى الله عليه وسلم كان يرضى بكل شئ من ملبوس
ومأكول وغيره ويحتمل ان المراد بالرضى عدم الغضب اى كان اكثر حاله عدم الغضب
لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم الكره وبكل منهما فسر
الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى اختلاف الاشاعرة والماتريدية فى رضى الله
للكفر فى قوله ولا يرضى لعباده الكفر والظاهر ان هذا مراد المصنف لانه المناسب
لما قبله وهذا الحديث رواه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى قيل عطفه اجود

على النجدة لما بينهما من المناسبة فان الجواد لايخاف الفقر والشجاع لايخاف الموت كقوله * ان الذى جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جمعا * ولان الاول بذل النفس والثانى بذل المال والجود بالنفس اقصى غاية الجود (وقال على رضى الله تعالى عنه كنا اذا حمى البأس) بالموحدة وبهمزة او الف وهو الشدة والمراد به الخوف او الحرب وحمى بزنة علم اوقد ففيه استعارة مصرحة او مكنية اى اشتد القتال وهذا معنى ماوقع فى الرواية الاخرى حمى الوطيس فان الوطيس التنور كما مر وذلك ابلغ مع نكتة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله فى غزوة اوطاس على ماتقدم مع الكلام عليه بما لامزيد عليه (ويروى اذا اشتد البأس) وهذه الرواية مفسرة للاولى (واحمرت الحدق) جمع حدقة وهى ما تحت الاجفان واحمرارها يكون عند الغضب لان الدم يهيج فيه وفى الحديث الغضب جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم اما ترى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه وفسر بشدة الغضب وهو غير مناسب هنا وان كان كل عدو غضبان على عدوه ولذا فسره بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة هيجانها لانه يقال اشتعلت واوقدت ومن قرب من النار ولازمها تحمر عينه فالمعنى اشتد القتال ودام مدة (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيدفع العدو ونحن خلفه كما يشير اليه قوله (فما يكون احد اقرب الى العدو منه) ولذا امسكوا بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين كما مر ولم ينكر عليهم وقد صارت هذه سنة فى الملوك وقت القتال حتى ان آل عثمان يقيدون فرسه (ولقد رأيتنى) بضم التاء وهذا من خصايص افعال القلوب وما الحق بها من رأى البصرية والحلمية ان يكون فاعلها ومفعولها متصلين بشئ واحد ورأى هذه بصرية كما فى قوله

* ولقد ارانى للرماح دريئة * من عن يمينى تارة وامامى *

وقد اختلف فى تعليل هذا كما فصله فى كتب النحو وكان الظاهر لقوله بعده (يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ان يقول رأيتنا فكانه عدل عنه اشارة الى ان كل واحد مشغول بنفسه لايرى غيره ومعنى نلوذ نستتر ونلتجئ اليه قال عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا (وهو اقربنا الى العدو) من الشدة شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد بالعدو الكفار (وكان من اشد الناس يومئذ بأسا) اى نكاية فى العدو كقوله تعالى * والله اشد بأسا واشد تنكيلا كما قاله الراغب وهذا الحديث اخرجه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى فى الدلائل من طرق عنه واخرج مسلم بعضه من حديث البراء ابن عازب رضى الله عنه كما قاله السيوطى فى مناهل الصفا (وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) اى قرب من المسلمين وقت المقاتلة (لقربه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه)

اى العدو وهذا من كلام البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه ولذا قيل ان قول المصنف رحمه الله قيل ابس فى محله لايهامه ضعفه (وعن انس رضى الله عنه) هذا حديث صحيح اتفق عليه الشيخان (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس) كلهم خلقا وخلقا (واجود الناس) اى اكثرهم عطاء واحسانا (واشجع الناس) افعل تفضيل ولاوجه لما قيل انه للتعجب ثم ذكر مايدل على شدة شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (لقد فزع اهل المدينة) اللام فى جواب قسم مقدر والمدينة مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم علم لها بالغلبة والفزع انقباض ونفار يعترى المرء مما يخاف وهو قريب من الجزع ولذا يقال خفت الله ولايقال فزعت من الله تعالى كما قاله الراغب قال تعالى لايحزنهم الفزع الاكبر اى من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال * كنا اذا ما اتانا صارخ فزع (ليلة) منصوب على الظرفية اى فى ليلة (فانطلق ناس) اى خرجوا من المدينة (قبل) بكسر القاف وفتح الباء بمعنى الجانب والجهة ظرف اى نحوه يقال ذهب قبل السوق قال الله تعالى * فما للذين كفروا قبلك مهطعين * ويكون بمعنى عند يقال لى قبله حق ويستعار للوسع والطاقة نحو فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها (الصوت) اى الذى سمعوه وخرجوا ليعرفوا خبره لظنهم انه عدو غار على من هناك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج قبلهم وحده لذلك فعرف ذلك ورجع (فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) حال كونه (راجعا) من جانب سمع الصوت منه (فسبقهم الى الصوت) اى المكان الذى سمع الصوت من جهته (وقد استبرأ الخبر) بمهملة ومثناة فوقية وموحدة وهمزة وقد تبدل الفا اى وقف صلى الله عليه وسلم على حقيقته وفى الاساس استبرأت الشئ طلبت آخره لاقطع الشبهة عنى واستبرأ الارض قطعها انتهى حال كونه راكبا (على فرس لابى طلحة) زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصارى الصحابى وكان ذلك الفرس يسمى المندوب اى المطلوب اولانه كان فيه ندب اى اثر جرح (عرى) بضم العين وسكون الراء المهملتين مجرور صفة فرس ويقال فى الآدمى عريانا اذا لم يكن له لباس ولغيره عرى وقيل انه عرى بضم العين وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية بمعنى عرى وليس فى اللغة ما يساعده اى ليس على ظهره شئ من سرج او غيره قال فى المغرب فرس عرى لاسرج عليه ولا لبد وجمعها عرى لايقال فرس عريانا كما لايقال رجل عرى واعرورى الدابة ركبها عريانا ومنه كان عليه الصلوة والسلام يركب الحمار معروريا وهو حال من ضمير الفاعل المستكن ولو كان من المفعول لقيل معرورى (والسيف فى عنقه) اى حمائله معلقة فى عنقه الشريف متقلدا به صلى الله تعالى عليه وسلم (واعلم ان هذا هو السنة فى حمل السيف كما قاله ابن الجوزى لاشده فى وسطه كما هو المعروف الآن (وهو يقول) لمن لقيه من اهل الفزع (لن تراعوا) لن هنا بمعنى لم ومعنى الروع بفتح الراء

بمعنى الخوف والمراد نفى سببه اى ليس هناك شئ تخافونه واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا حديث صحيح فى الصحيحين (وقال عمران بن حصين) بكسر العين المهملة وسكون الميم وراء مهملة وحصين بمهملتين كتصغير حصن وهو صحابى خزاعى كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم رضى الله تعالى عنه (مالقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة) بفتح الكاف وكسر التاء المثناة فوق وبالمثناة التحتية وباء موحدة هى الجيش المجتمع وقيل جماعة الخيل المغيرة من تكتبوا بمعنى تجمعوا ومنه الكتاب لجمعه الحروف (الا كان اول من يضرب) بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث رواه الشيخ فى الاخلاق وفيه راو مجهول (ولما رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ابى بن خلف يوم احد) هو ابى بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح الكافر المشهور الذى طعنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحربته فى وقعة احد فوقع عن فرسه ولم يخرج منه دم وكسر ضلعه كما يأتى فهلك عدو الله وقول المزى فى تهذيبه انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بانه يقتل ابى ابن خلف فخدشه يوم بدر او احد فات ذكره بالترديد بين بدر واحد لاوجه له ويوم احد ظرف لرؤيته (وهو يقول) حال من ابى (اين محمد) سؤال عن المكان فان قلت كيف يسئل عن مكانه وهو قال انه رآه قلت ان السؤال ليس على حقيقته بل مجاز عن تمكنه منه وظفره به اوالتقدير اين يذهب محمد اوالظرف ممتد وقع جميع ذلك فيه فهو فى وقت واحد وان تقدم وتأخر (لانجوت ان نجا) دعا على نفسه بالهلاك ان نجا الله تعالى حبيبه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اجاب الله دعاءه فاهلكه ونجا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والفال موكل بالمنطق (وقد كان) ابى (يقول حين افتدى يوم بدر) قبل يوم بدل من حين وافتدى مبنى للفاعل ومفعوله محذوف اى افتدى اسيرا له وهو ابنه عبدالله والافتداء اعطاء الفدية لانفكاك الاسير فالمراد بحين الافتداء يوم بدر بتمامه لا الزمان الضيق الذى وقع الافتداء يوم بدر فيه لان الظاهر انه لم يقل وعيده له صلى الله تعالى عليه وسلم الآتى قبل ان يفتدى لاحين الافتداء وقبل يوم بدر فهو متعلق باسيره اى من اسر يوم بدر وهو ابنه ولا يستقيم كونه بدلا من حين لان الافتداء وقع بعد وقعة بدر بالمدينة وابى قال ما قال حين افتدى لا بعده وكأن من قال ان ذلك وقع قبل ان يفتدى ظن ان الكفار لم يكونوا يدخلوا المدينة بالامان فالاسر وقع ببدر والافتداء بالمدينة فلا تتأتى البداية فتأمل (عندى فرس اعلفها) الفرس يقع على الذكر والانثى وانثها هنا لانها كانت انثى وقد ورد فى الحديث تذكيرها وتأنيثها بحسب المراد والقرائن وقال التلمسانى اعلفها هو الصواب وفى السيرا علفه بضمير المذكر واصل الفرس الانثى وقد يقال للانثى فرسة وهو كلام مشوش والذى فى الصحاح

انه يقع على الذكر والانثى ويصغر على فريس وان اردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن ابى بكر بن السراج انتهى فلا وجه لقوله الصواب واسم فرسه العود بوزن الضرب وعينه وداله مهملتان والعلف مأكول الحيوان (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وقيل لايجوز وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا وتحريكه وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرون رطلا والمحرك ستة عشر رطلا (من ذرة) بيان للفرق بضم الذال المعجمة وفتح الراء المهملة المخففة وها نوع من الحبوب معروف وقيل ان غزوة احد كانت فى شوال سنة ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق بالتحريك لان الفرس لا يعلف ذلك المقدار كما لا يخفى (اقتلك عليها) صفة بعد صفة اوهى جملة مستأنفة فى جواب مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان يكون حالا منتظرة (فقال النبى صلى الله تعالى تعالى عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله) فحقق ما اوعده وكان انما علف فرسه لتسوقه لهلاكه سريعا كالحافر بظلفه على حتفه ولكل باغ مصرع (فلما رآه) اى رأى ابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم احد) اليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الزمان اوالمراد به الواقعة على حد قولهم ايام العرب (شد) ابى بن خلف الشقى اى عدا واسرع قال الراغب يقال شد فلان واشتد اذا اسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح واصل معنى الشد القوة (على فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الجاران متعلقان بشد وان كان لايجوز تعلق حرفى جر بمعنى بمتعلق واحد اما لانه قيد الشد والعدو بانه على فرسه لا على رجليه ثم قيده به بعد تقييده بالاول فيتغاير المتعلق معنى لان الاول يقيد به وهو مطلق والثانى تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف فى قوله تعالى * كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا * والاول مستقر حال اى راكبا على فرسه والثانى لغو وشد جواب لما الثانية دالا على جواب الاولى (فاعترضه رجال من المسلمين) اى حالوا بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليدفعوه ويصدوه عنه اى قصدوا نحوه وجهته (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا) اى تنحوا ولاتحولوا وتعترضوا بينى وبينه فهكذا هنا اسم فعل امر بمعنى اتركوا سبيله قال السهيلى رحمه الله تعالى فلا يعمل فيه ماقبله كما اذا قلت جلس هكذا اى على هذه الحالة اويقدر له عامل تقديره ارجعوا هكذا ثم استغنى عنه وقام هكذا مقامه واصله مركب من هاء التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة والى كونه انسلخ عن معناه اشار بقوله (اى خلوا طريقه) اى اجعلوها خالية من حائل بينى وبينه (وتناول) اى اخذ صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (الحربة) بوزن الضربة وهى واحدة الحراب بوزن رجال وهى قناة صغيرة سميت بها لانها من آلات الحرب وقيل

ان هذه الحربة كانت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان لايرى مشاركة فى جهاده وسفره فى سبيل الله ولهذا اشترى من ابى بكر رضى الله تعالى عنه راحلته التى هاجر بها والاظهر انها كانت للحارث وربما استعان بغيره من اصحابه كما اشار اليه بقوله (من الحارث بن الصمة) بكسر الصاد المهملة وفتح الميم المشددة وهاء تأنيث ومعناه الشجاع المصمم فى اموره ثم نقل علما وهو اعنى الحارث بن الصمة بن عمرو ابن عتيك الانصارى الصحابى شهد مع رسول الله صلى تعالى عليه وسلم بدرا وغيرها من المشاهد وقتل ببئر معونة وذكر ابن الاثير ان الذى ناول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحربة كعب بن مالك وبين الروايتين مخالفة وجمع بينهما بانه تناولها من احدهما فسقطت منه فناولها له الاخر اوان احدهما وهو الذى معه الحربة كان بعيدا منه فناولها آخر قريبا منه فسلمها له بيده ولابد من التوفيق فان الروايتان صحيحتان والقصة واحدة (فانتفض بها انتفاضة) اصل معنى النفض بالنون والفاء والضاد المعجمة ازالة الغبار ونحوه عن ثوب اوشجر قال ابوذويب

* تنفض مهده وتذود عنه * وما تغنى التمايم والعكوف *

ويقال نفض وانتفض اذا اهتز ونفض الضبع اذا اثر لونه فى غيره وذكر نصبب عن نبانه فقال * نفضت عليهن لونى * وقلت فى اول قصيدة * نفضت على صباغها ايام * نفض البياض بها قليل قيام * وهو هنا استعارة اى قام بها قومة سريعة وضمير بها للحربة وما قيل انه مستعار من انتفاض الطائر قال * كما انتفض العصفور بلة القطر * غيرمناسب هنا الا ان يقال باءه للتعدية والمعنى انه هزها وقيل معناه تحرك وحركها والابلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية يلزمها تشبيههم بانهم كالذباب المؤذى الواقع المتهافت فيفيد هجوهم عليه وتشبيه نهوضه لهم بفحل اهتز ليزيل ذبابا وقع عليه لقوله (تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض) وتطايروا بمعنى تفرقوا فارين بسرعة كالطيور والشعراء بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وراء مهملة بعدها همزة ممدودة ذبابة لها ابرة وفى نسخة البرهان بفتح العين الا انه لم يثبت وقال القتبى الشعر جمع شعراء وهى ذباب صغار حمر تؤذى الدواب وقيل زرق وقيل كثيرة الشعر وفى رواية تطاير الشعارير وهى جمع بمعنى الشعر وقياس واحده شعرورى وقيل هى ذباب تجتمع على دبرة البعير وفى الروض الانف الشعراء ذباب صغير له لذغ وفى المثل قيل للذئب ماتقول فى غنيمة تحرسها جويرية قال شحيم فى ظفر قيل فما تقول فى غنيمة يحرسها غليم قال شعراء فى ابطى اخشى خطواته وهى سهام تتعلم الغلمان بها الرمى وروى فرجل بالحربة اى رمى بها انتهى قيل رواية الشعراء انسب لان الواحد لايتطاير (اقول هذه زبدة القيل والقال وما انكر من فتح العين لاوجه له

فان تحريك حرف الحلق لغة قال بعض النحاة انها تطرد فيقولون فى بحر وشعر بحر وشعر والشعراء ليس مفردا بل اسم جمع كالطرفاء فلاوجه لما قيل ان الانسب الشعر وقول بعضهم الشعراء جمع شعر كانه تحريف واعلم ان ضمير تطايروا للكفار الذين كانوا هجموا مع ابى وقيل انه للصحابة رضى الله تعالى عنهم وتطايرهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم باذنه ليكشفوا له عن ابى ولا يخفى انه لايناسب هذا بوجه تشبيههم بالشعراء ولاتطايرهم كما لايخفى (ثم استقبله) اى قام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومشى اليه بالحربة (فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا) تدأدأ بمثناة فوقية ودالين مهملتين وهمزتين اى تدحرج وسقط وقيل مال وضمير منها للطعنة ومثله تدهده وقيل الهاء بدل من الهمزة وفى رواية تردى اى وقع (وقيل) لم يطعنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى عنقه (بل كسر ضلعا من اضلاعه) بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها عظم معروف وقال الاخفش فى الجنب الايمن تسع اضلاع وفى الايسر ثمان وما نقص منه تام فى النساء وهو الذى خلقت منه حواء ولذا روى عن ابى حنيفة فى الخنثى المشكل انه يحكم فيه بانه انثى بتمام اضلاعه وعكسه وقال التلمسانى رواية طعنه اقوى لان المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم طعنه فوقع عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع بين الروايتين وهو حسن (فرجع) ابى (الى قريش) وهو (يقول قتلنى محمد) جملة يقول حالية اى قائلا وعبر بالماضى لتحققه الموت (وهم يقولون لابأس بك) البأس بهمزة ساكنة وتبدل الفا كما مر وهو اسم لامبنى على الفتح والبأس الشدة والموت والالم وهذا هو المناسب ويقال لا بأس عليك ولابأس بك للتسلية اوالدعاء له بان لايصيبه شئ من البأس وفى نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى (فقال لوكان مابى) من الالم والشدة التى اجدها فى نفسى موزعا وحالا (بجميع الناس لقتلهم) فكيف اتحمل انا وحدى هذا واسلم منه (اليس قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم حين توعده (انا اقتلك) قيل اصله اقتلك انا فقدم المسند اليه للحصر اى انا لاغيرى اقتلك وحدى لايشاركنى احد ولايساعدنى فى قتلك الا الله حتى قيل ان قوله تعالى * ومارميت اذرميت ولكن الله رمى * نزلت فيه فالقصر قصر افراد والظاهر انه قصر قلب فهو المناسب للرد عليه اى انا اقتلك لاانت تقتلنى فتدبر (والله لوبصق على لقتلنى) البصق رمى ماء الفم ويقال بالصاد والسين والزاى وانما قال ذلك لتحقق صدقه صلى الله عليه وسلم فيما قاله (فمات) الملعون من تلك الطعنة (بسرف) بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء اسم موضع وقيل اسم جبل قريب من مكة على ستة اميال اوسبعة اوتسعة اواثنى عشر على اختلاف فيه واسم مكان موته مناسب له لانه كان مسرفا على نفسه كما قيل

*اختبر الارض باسمائها * واختبر الصاحب بالصاحب (فى قفولهم) اى الكفار (الى مكة) اى مات وقد رجعوا من احد الى مكة والقفول معناه الرجوع وتسميتهم القافلة قافلة تفأ ولا برجوعها كما سمى الملذوغ سليما فانكار الحريرى وتخطئته فيه لاوجه له وهذا الحديث صحيح رواه البيهقى فى الدلائل عن عروة بن الزبير وسعيد ابن المسيب مرسلا وعبد الرزاق فى مصنفه والواقدى فى مغازيه وابن سعد فى طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خلص ابنه من الاسر ورجع به وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول انه مات ببطن رابغ وان اسيرا من المسلمين مر وهو اسير برابغ فرأى بعد هدؤ من الليل نارا فيها بها فلما دنا منها خرج رجل فى سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول لاتسقه فانه ابى بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت سحقا له ﴿فصل واما الحياء والاغضاء﴾ الحياء ممدود وهو فى اللغة ضد الوقاحة وفعله استحيا يستحيى بيائين وتحذف احداهما تخفيفا والاغضاء اصل معناه ارخاء الجفون قريبا من الانطباق وهما متغايران لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق يغضى حياء ويغضى من مهابته * فمايكلم الاحين يتبسم (فالحياء رقة) الرقة ضد الغلظ ورقة القلب ان لايكون فيه قسوة وجفاء قال الراغب الرقة كالدقة لكن الدقة تقال باعتبار جوانب الشئ والرقة باعتبار عمقه وهى فى الجسم ضد الصفاقة وفى النفس تضاد الجفوة والقسوة (تعترى) اى تعرض وتحدث (وجه الانسان) فيكون فيه مايدل عليه كحمرته عند الخجل (عند فعل مايتوقع كراهته) لم يقل مايكره لان من يراه قد لايكرهه فالمراد ماهن شانه ان يكره (اومايكون تركه خير من فعله) وان لم يكره وقال الراغب الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها وفى الحديث ان الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه * وليس المراد به انقباض النفس لتنزه الله سبحانه وتعالى عنه وانما المراد به ترك تعذيبه وقال النووى هو خلق يمنع من القبيح ومن التقصير فى الحقوق وقال الزمخشرى هو تغير وانكسار يلحق من فعل اوترك مايذم به وله تفصيل فى تفسير البيضاوى كما بيناه فى حواشيه فانظره (والاغضاء) فى عرف اللغة (التغافل) اى اظهار الغفلة عمن لبست فيه والمراد التجاوز (عما يكرهه الانسان بطبيعته) وان لم يكره شرعا (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات) جمع عورة وهى كل مايقبح اظهاره ولذا كنى عن سوأة الانسان وعن المرأة بالعورة وهى مأخوذة من العار (اغضاء) اى سكوتا وتجاوزا والاغضاء يتعدى بعن وعلى وعبر فى جانب الحياء بالاشدية وفى الاغضاء بالاكثرية لان الحياء كيفية نفسانية تنشاء عنها كيفية حسية تقبل الشدة والضعف والاغضاء فعل من الافعال يكثر ولايزيد كيفيته من حيث هو وقيل لان الاغضاء نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع فى مكروه وهو مسبب عن الحياء والسبب

اقوى باعتبار انه منشاء للمسبب عنه وفيه نظر ثم استدل على ان هذه الصفة الحميدة موجودة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (قال الله سبحانه ان ذلكم) اى مكثهم فى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مستأنسين لحديث بعضهم لبعض (كان يؤذى النبى فيستحيى منكم الآية) والله لايستحيى من الحق وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بنى بزينب بنت جحش واولم بشاة وتمر وسويق وامر انسا يدعو الصحابة لذلك فدعاهم فجعلوا يجيئون ويأكلون ويخرجون ويجئ آخرون الى ان بقى ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتأذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وكان شديد الحياء فنزلت الآية فى حقهم اى ان ذلكم اللبث كان يؤذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لضيق منزله فيستحيى منكم ان يأمركم بالخروج منه وهذا من الاداب الشرعية فيستحب لمن زار احدا ولو بدعوة ان يظهر القيام للذهاب ثم يذهب مالم يقل له امكث عندى وقد قال السلف رحمهم الله تعالى من زار خفف وقيل لبعضهم هل نزل فى الثقلاء قرآن فقال نعم فاذا طعمتم فانتشروا وللسيوطى تأليف لطيف فى هذا (حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه) تقدمت ترجمته وقيد روايته عنه بقراءته عليه وهو يسمع وهو العرض والصحيح صحة ذلك الا انه اختلف فى كونها دون قراءة الشيخ اومثلها اوفوقها على ثلاثة اقوال وتفصيله فى ابن الصلاح (قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) بن عبد الرحمن ابن حاتم المعروف بابن الطيالسى وتكنيته بابى القاسم غير مكروهة لاختصاصه بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم اولانه انما يكره الجمع بين الاسم والكنية والخلاف فيه مشهور كما سيأتى قال (حدثنا ابو الحسن القابسى) ابن محمد بن خلف الامام الحافظ منسوب لقابس بلدة بالمغرب وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو زيد المروزى) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو والزاى تقدم الكلام فيه وفى نسبته قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو البخارى وقد روى هذا الحديث مسندا فى صفته صلى الله عليه وسلم وكذا اخرجه مسلم فى فضائله قال (حدثنا عبدان) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة والف ونون وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن ابى رواد العتكى المروزى ابو عبد الرحمن الحافظ توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وخرج له اصحاب الكتب الستة قال (انبأنا عبد الله) بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى الزاهد شيخ خراسان ومسندها له مناقب مشهورة وروى عنه اصحاب الكتب الستة وغيرهم وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة وولد سنة ثمانية عشر ومائة وقبره بهيت يزار قال (اخبرنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن قتادة) تقدم ايضا (قال سمعت عبد الله مولى انس) هو ابن ابى عتبة مولى انس رضى الله تعالى عنه وقيل اسمه

عبدالله مصغرا وذكره ابن حبان فى الثقاة مكبرا وهو يروى عن انس وعايشة رضى الله تعالى عنهما وروى عنه كثير واخرج له اصحاب الكتب الستة وهو بصرى صدوق ثقة (يحدث عن ابى سعيد الخدرى) ابن مالك بن سنان الخدرى وقدتقدم الكلام عليه وان الخدرى بدال مهملة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء فى خدرها) وهذا الحديث صحيح اخرجه الشيخان والترمذى وابن ماجة والمصنف اخرجه من طريق البخارى وحياء ممدود تقدم معناه وبالقصر المطر وهومنصوب على التمييز المحول عن الفاعل والعذراء بعين مهملة وذال معجمة وراء مهملة ومد البكر الباقية بعذرتها وهى جلدة يلتحم بها الفرج فاذا جومعت زالت فيقال افتضها وازال عذرتها ومنه يقال لمن فعل مالم يسبق اليه ابوعذره وابوعذرته والخدر بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال وبالراء المهملتين هوالبيت اوستر فى جانب البيت اوقبة تضرب لها فان قلت البكر فى خبائها بين اهلها وابويها وهى لاتحتجب عنهم ولاتستحى منهم كاستحيائها من الاجانب فكان الظاهر ان يقال العذراء فى غيرخدرها لمافيه من المبالغة قلت المراد بكونها فى خدرها انها لم تخرج تسببا وزوج ونحوه لانها اذاخرجت بذلك قل حياؤها وزال حجابها وقيل المراد التعميم وان العذراء فى خدرها اشد حياء لكونه مظنة الاجتماع بها والظاهر ان المراد تقييده بما اذادخل عليها فى خدرها لا حيث تكون منفردة قاله ابن حجر ولايخفى مافيه فانه لا دلالة فى اللفظ على ماقاله فالحق ماسمعته اولا (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه) اى عرفنا انه كرهه بعلامات تلوح فى وجهه الشريف كتغيره وغض بصره ونحوه والمراد انه اذالم يكن فى حدود الله تعالى وحقوقه فلايؤاخذ احدا بمايكره كما قال الصرصرى

* فاق العذارى فى الخدور حياؤه * لاجد فيه لصاحب اوشانى *

(وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف البشرة) تقدم معنى اللطف والبشرة بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة والراء المهملة هى ظاهر جلد الوجه والجسد كله ومنه البشارة لظهور آثار الفرح بها فى الوجه وهذا كالعلة لمعرفة ذلك فى وجهه الشريف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم للطف بشرته يظهر فيها ذلك وكذا قوله (رقيق الظاهر) اى مايظهر من بدنه رقيق يظهر فيه بسرعة آثار الانفعالات النفسية ولاوجه لتفسيرها بانه يستحيى كما قاله التلمسانى (لايشافه احدا) اى لايكلم صلى الله تعالى عليه وسلم احدا ولايواجهه (بمايكرهه حياء وكرم نفس) منصوب مفعول له اى يترك ذلك تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم لاخوفا ومداراة (وعن عايشة رضى الله تعالى عنها) هذا حديث رواه ابو داود فى سنده مسندا (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغه عن احد

مايكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا) البال هوالحال والشان وما استفهامية مبتدأ اوخبر عن بال وجملة يقول حال اومفسرة للبال (ولكن يقول مابال اقوام يصنعون او يقولون كذا) اشارة وكناية عمايكره فلا يعين الصانع اوالقائل وفلان وفلانة كناية عن اسماء الآدميين والفلان والفلانة كناية عن اسماء غيرهم (ولايسمى فاعله) بصريح اسمه بل يكنى عنه ونهيه عماانكره مأخوذ من الاستفهام الانكارى وسياق الكلام فى قوله مابال فلايقال انه ليس فى الكلام نهى (وروى انس رضى الله تعالى عنه) هذا الحديث رواه ابوداود والترمذى والنسائى قالوا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخل عليه رجل به اثر صفرة) الصفرة اللون المعروف والمراد بها لون الورس والزعفران يعنى انه كان خضب بذلك فبقى عليه بقية منها ولم يسم هذا الرجل (فلم يقل له شيئا) من نهيه عن ذلك ونحوه ممايكرهه كما اشار اليه بقوله (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (لايواجه احدا بمايكره) اى لايخاطبه شفاها ويقول له فى وجهه شيئا يكرهه وان قال له احيانا فى غيبته (فلما خرج) ذلك الرجل من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لو قلتم له يغسل هذا) اى اثر الصفرة والخضاب (او ينزعها) بفتح الزاى المعجمة يقال نزعه ينزعه كسأله يسأله اذا ازاله والضمير للصفرة والشك من الراوى وهما بمعنى ولوشرطية جوابها محذوف لتذهب النفس كل مذهب وتقديره اصبتم ونحوه وقيل انها مصدرية اى وددت قولكم هذا وخضاب هذا الرجل ان كان فى لحيته دل على منع خضاب اللحية بالحناء ونحوها ولايعضده ما فى البخارى عن قتادة رضى الله تعالى عنه انه قال سألت انسا هل خضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا انما كان شئ فى صدغيه اى شئ قليل من الشيب لايحتاج للخضاب لانه لايدل على تركه لانه منهى عنه شرعا بل لعدم الحاجة اليه وكذا ماروى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخضب قط اى لعدم الحاجة اليه الا انه روى عن انس رضى الله تعالى عنه انه رأى شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مخضوبا يعنى بعد موته كما نقله ابن الجوزى اما قبله فاختلفت فيه الروايات وروى جماعة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخضب بالصفرة والورس والزعفران وكان عمر رضى الله تعالى عنه يفعله وجمع الكرمانى بين الروايات بانه صبغ فى وقت وتركه فى معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وقدامر صلى الله تعالى عليه وسلم بالخضاب بالصفرة وحث عليهم وفعله وتبعه على ذلك اكابر الصحابة فهو سنة من تركها فقد ترك سنة وانما تركه بعضهم لما فيه من التكلف وهو احب للنساء وارهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الخضاب بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النساء فما فى هذا الحديث محمول على غير خضاب اللحية بان يحنى يديه ورجليه او يجعل الصفرة فى ثوبه

فانه منهى عنه و فى فتاوى شيخ شيوخنا ابن حجر الهيتمى انه ان من غير حاجة كجرب ونحوه حرام لما فيه من التشبيه بالنساء وصنف فيه رسالة مستقلة وقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم يغسله او ينزعها فيه دليل على انه كان فى ثوبه ولو لم نحمله على هذا اشكل الحديث والشراح لم يتعرضوا له (وقالت عايشة فى الصحيح) اى فى الحديث الصحيح المروى عنها كما اخرجه الترمذى وصححه (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا) الفحش كل امر قبيح او شديد القبح قولا او فعلا والفاحش من يصدر عنه ذلك والمتفحش من يتعمده ويبالغ فيه والظاهر ان المراد به بذاءة اللسان هنا ويؤيده قوله (ولا صخابا بالاسواق) صخاب بفتح وتشديد صيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت بمبالغة فيه وهو بالصاد والسين وهكذا كلما كان معه حرف حلق يجوز ابداله قياسا مطردا وخص الاسواق لانه فيها اقبح ولانها محله واما فى المنزل ونحوه فلا حاجة اليه (ولا يجزى بالسيئة السيئة) لانه احق بالاجر من الله على ذلك لانه المنزل عليه فمن عفى واصلح فاجره على الله ولما كان العفو غير لازم من عدم المجازاة بالفعل اتى بالاستدراك فى قوله (ولكن يعفو ويصفح) يعنى انه صلى الله عليه وسلم كثير العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عن المسئ بحيث لا يخجله وقد تقدم شرحه وهذا الحديث مروى فى الصحيحين بطريق آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما عن عطاء ابن يسار انه قال له اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة فساقه له فى حديث طويل واليه اشار بقوله (وقد حكى) بالبناء للمجهول (مثل هذا الكلام) الذى قالته عايشة رضى الله تعالى عنها (عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام) بفتحتين مخفف اللام وهو الصحابى المشهور رضى الله عنه (وعبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله تعالى عنهما) وهو وان كان قرشيا لكنه قرأ الكتابين وكان عالما بما فيهما ولذا سألوه عن صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وقد اختلف فى تحريف اهل الكتاب كتبهم هل كان بتغيير عبارتها بنقص وزيادة او انه انما كان بمجرد التأويل وصرف ما فيها عن ظاهره والصحيح ان كلا منهما واقع واذا كان كذلك علم وجه المنع من قراءتها وانه حرام ولا يرد عليه ان بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان يقرؤها لانهم يعلمونها قبل اسلامهم وهم لا يخفى عليهم ما غير منها والظاهر انه لا يمنع منه من عرف ذلك وقصد الرد عليهم (وروى عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ذكره الامام الغزالى فى الاحياء وقال الحافظ انه لم يجده فى كتب الحديث وكذا قال السيوطى رحمه الله تعالى (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه احد) ثبات البصر بمعنى اطالة النظر من غير تخلل اغماض بجفن ونحوه حتى

كان بصره صار قارا فى المرئى كما قال المتنبى

* وخصر تثبت الابصار فيه * كأن عليه من حدق نطاقا *

فتخيل حقيقة الثبات فيه ثم بنى عليه جعله كالنطاق وان كان فيه للادباء كلام (وانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره) اى يورد المعنى القبيح عادة بطريق الكناية لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك لان الجماع وذكره للمرأة يستحيى منه ومثله فى الحديث كثير (وعن عايشة) الصديقة بنت الصديق (رضى الله تعالى عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) مع انه يجوز رؤية كل احد من الزوجين فرج الآخر وان كان مكروها وفى حديث رواه ابن حبان النظر الى الفرج يورث الطمس اى العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى اولاده وقيل المراد عمى القلب والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة حيائه لم يكشف عورته عند احد قط كما ورد من كرامتى على الله انه لم يطلع لى على عورة احد قط فذكر منطبق على ما سبق له الكلام فان عايشة رضى الله تعالى عنها زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم واقرب الناس واحبهم اليه وكان يضاجعها وينام عندها فاذا لم ترذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم لزم عدم كشفه عندها فاذا لم يكشف عندها فبالطريق الاولى عند غيرها وانما كنت عن ذلك ولم تصفه تأدبا منها فلله درها فهذا كقولهم لا اريتك هنا فلا ترفع الثياب الا وقد لاصقها فيكون سترة له حينئذ وهذا معنى قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن فلا يتوهم ان عدم رؤيتها لذلك لغض بصرها حياء منه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا ينكشف عندها فافهم ❋ فصل واما حسن عشرته ❋ بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة اى اختلاط المرء مع اهله واصحابه ومعاملتهم (وادبه) بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ورجحه بعض الشارحين فلما ورد عليه ان الادب لا يكون الا حسنا دفعه بان منه ما لا يحسن كادب اهل الدنيا مع كبارهم وهو انسب بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ادبنى ربى فاحسن تأديبى والادب استعمال ما يحمد قولا وفعلا والاخذ بمكارم الاخلاق من المأدبة وهى الطعام الذى يدعى له الناس (وبسط خلقه) تقدم معنى الخلق وانه بضمتين اوضم فسكون والبسط نشر الشئ وتوسيعه ومنه البساط وورد البسط بمعنى المسرة وعليه استعمالهم وورد فى الحديث فاطمة منى يبسطنى ما يبسطها فليس من كلام المولدين كما توهم ومن امثال العامة البسط صدق والمعنى هنا سعة خلقه صلى الله تعالى وسلم ويجوز رفعه وجره ايضا والاول اولى وليس بمتعين كما توهم وانما كان معنى بسط الخلق هنا سعته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم نال من الاخلاق الجيدة اقصاها وغايتها قوله (مع اصناف الخلق) تنازع فيه الالفاظ الثلاثة فهو قيد لجميع

ماقبله (فبحيث انتشرت) اى كثرت و اشتهرت وهوجواب اما وهو خبرمبتدأ مقدر اى فهو بحيث اى بمحل معلوم لكل احد (به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله تعالى عنه فى وصفه عليه الصلوة والسلام) فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى فى شمائله (كان اوسع الناس صدرا) المراد بسعة صدره تحمله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاق الناس وكثرة تكاليفهم قال تعالى * فلايكن فى صدرك حرج * اى ضيق (واصدق الناس لهجة) فى الصحاح اللهجة اللسان وقد تحرك فاطلق واريد به الكلام مجازا مرسلا من اطلاق المحل على الحال ووضع فيه الظاهر مقام الضمير لان كلامنهما صفة مستقلة ولاينافيه حديث مامن ذى لهجة اصدق من ابى ذر لان المراد تفضيله رضى الله تعالى عنه على امثاله والصدق ضد الكذب و هو معروف ثم ان فى التفضيل فى الصدق سؤالا وهوان الصدق هو المطابقة للواقع فما طابق فهو صادق ومالم يطابق كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى يكون هذا صادق وذاك اصدق وهذا انما يرد لوكان التفضيل فى كلام واحداوانواع منه محصورة اما لواريد كل كلام صدرعن متكلم فلايردماذكر (والينهم عريكة) اى اسهل الناس طبعا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم دائما سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لاتهورفيه واصل العريكة السنام فهوفى الاصل مجازحتى صارحقيقة فيما مر (واكرمهم عشرة) اى يعامل الناس فى معاشرته ومخالطته بكريم الاخلاق فيعظم من يستحق التعظيم و يتلطف مع من دونهم (حدثنا ابوالحسن محمدبن مشرق) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المشددة وقاف اسمه على وله ترجمة فى الميزان وسمع منه السلفى وفيه كلام (الانماطى) جمع نمط وهوثوب من صوف يطرح على الهودج و النسبة الى الجمع على رأى اولانه ملحق بالعلم كالانصارى لان المراد به صيغة مخصوصة وقيل انه على خلاف القياس (فيما اجازنيه وقرأته على غيره) فيه بيان لطريق التحمل وانه رواه عن غيره فانجبرالطعن فيه وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائى (قال حدثنا ابواسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة والف ولام وهو الامام الحافظ المتقن محدث مصرابواسحق ابراهيم بن سعد بن عبدالله بن النعمان التجيبى الفراء الوراق المصرى ولدسنة احدى وتسعين وثلثمائة وسمع من احمد بن عبد العزيز صاحب المحاملى و غيره و مات فى سنة اثنتين وثمانين واربعمائة وله احدى وتسعون سنة وترجمته مشهورة قال (حدثنا ابو محمد بن النحاس) بحاء مهملة مشددة وهو الامام ابو محمد عبدالرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق المصرى البزاز سمع اباسعيد بن الاعرابى وسليمان بن داود العسكرى و جماعة كثيرون وكان ثقة كما قاله ابن ماكولا (حدثنا ابن الاعرابى) هوالامام ابوسعيد الذى يروى سنن ابى داود عنه قال (حدثنا ابو داود) سليمان بن الاشعث صاحب السنن المشهورة قال

(حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى) هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الازرق الدمشقى الثقة الثبت توفى سنة تسع واربعين ومائتين وترجمته فى الميزان ومحمد بن المثنى ابو موسى العنزى الحافظ توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين قالا (حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ احد الاعلام اخرج الجماعة الا انه رمى بالتدليس قال (حدثنا الاوزاعى) هوعبد الرحمن بن عمرو بن محمد نسب للاوزاع وهى قبيلة من حمير اواسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطاء ومكحول وروى عنه كثيرون واخرج له اصحاب الكتب وهو ثقة وله ترجمة مشهورة (قال سمعت يحيى بن ابى كثير) بزنة كثير ضد القليل وهومن العباد وائمة الحديث توفى سنة تسع وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة) بضم الزاى المعجمة وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن اسعد والى المدينة وهوثقة اخرج له الستة وتوفى سنة اربع وعشرين ومائة (عن قيس ابن سعد) بن عبادة بن دليم الخزرجى سيد الخزرج وصاحب شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرج له الستة واحمد وكان من الدهاة وذى الرأى طويل القامة جميلا جوادا توفى بالمدينة فى آخرخلافة معاوية رضى الله تعالى عنه (قال زارنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على عادته فى تفقد اصحابه وكان سعد بن عبادة دعاه رجل ليلا فخرج له فضربه بسيفه فاشواه فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده (وذكر قصة) هى ماوقع له مع عبدالله بن ابى ابن سلول اذ مر به وهو جالس مع اخلاط المسلمين و غيرهم فغشى المجلس غبار دابته صلى الله تعالى عليه وسلم فخمر ابن سلول انفه بردائه وقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتغبر واعلينا ارجع الى رحلك فمن جاءك منافاقصص عليه فاستب المسلمون مع المشركين حتى هموا ان يتواثبوا فمنعهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضى الله تعالى عنه وذكر ذلك له فقال له يارسول الله اعف عنه واصفح فلقد اتفق اهل هذه البحيرة على ان يعصبوه فلما رد الله ذلك بالحق الذى جئت به شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى اخرها) اى اخر القصة (فلما اراد الانصراف قرب له سعد) رضى الله تعالى عنه (حمارا) ليركبه (وطاء عليه بقطيفة) هى كساء له وبر وخمل وضعه على ظهر الحمار وطاءة له ليركب عليه ووطاء بتشديد الطاء المهملة وهمزة (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال سعد) لابنه (ياقيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كن معه فى خدمته وفى هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاء كان على حمار مردفا خلفه اسامة بن زيد فسعد رضى الله تعالى عنه انما اعطاه حمارا ليركبه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذى جاء به ووهب

سعد له صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك الحمار (قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اركب) معى على الحمار (فابيت) الركوب معه تأدبا وفوزا بالمشى
فى خدمته (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) اى ترجع ولا تمشى معى (فانصرفت)
امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم (وفى رواية اخرى) انه عليه السلام قال له (اركب
امامى فصاحب الدابة احق بصدرها) وهذا وقع هنا فى بعض النسخ والمراد بصدرها
تقدمها وفيه دليل على جواز الارداف ولو صاروا ثلاثة اذا لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق
ذلك وقيل ما فوق الاثنين مكروه وقوله صاحب الدابة باعتبار ما كان اوهو
صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعلم بانه وهبها له (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يؤلفهم) اى يؤلف المسلمين بايناسهم ومداراتهم ليزداد ايمان من كان
قريب عهد بالاسلام وليحسن من كان مخلصا بجبره خاطره والتودد اليه
(ولا ينفرهم) اى لا يتلقاهم بما يصير سببا لنفورهم وذهاب من كان قريب
عهد من المؤلفة قلوبهم (ويكرم كريم كل قوم) برعايته بما يليق به كما فعل
مع عدى بن حاتم وغيره مما فصل فى السير (ويوليه عليهم) اى يجعل شريف القوم
واليا عليهم اذا رجعوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لديارهم كما ولى على
وفد همدان مالك بن نمط (ويحذر الناس ويحترس منهم) لانه من الحزم ان لا يركن
لكل احد حتى يجربه (من غير ان يطوى عن احد منهم بشره) اى كان صلى الله
الله تعالى عليه وسلم مع احتراسه منهم يلقاهم ببشرته وبشاشته ولا يغير حاله
معهم فشبه بشره وايناسه ببساط ممهد لهم فلا يطوى عنهم ما داموا عنده
كما قال الشاعر * انما مجلس الندا من بساط * فاذا ما مضى طوينا بساطه *
(ولا خلقه) المعهود منه صلى الله تعالى عليه وسلم (يتفقد اصحابه) اى من فقده
من اصحابه رضى الله تعالى عنهم يسأل عنه او يزوره او يرسل اليه من يتعهده قال
الراغب الفقد اخص من العدم لانه العدم بعد الوجود والتفقد التعهد لكن
حقيقة التفقد تعرف فقدان الشئ والتعهد تعرف العهد المتقدم (و) كان
صلى الله تعالى عليه وسلم (يعطى كل جلسائه نصيبه) اى يعطى كلا منهم ما يليق
به وما يسره (ولا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه) اى لما يراه من لطفه به يظن
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحبه اكثر من غيره (من جالسه) اى
جلس عنده فى ناديه (اوقاربه لحاجة) اى كان معه حال مشيه او مسيره (صابره)
اى صبر على سؤله وذكره حوائجه (حتى يكون هو المنصرف عنه) اى الراجع عن
مقارنته او مجالسته (ومن سأله حاجة لم يرده الا بها) اى باعطائه حاجته التى سألها
منه صلى الله تعالى عليه وسلم (او بميسور من القول) كوعده او تسليته والمنع الخلو
قال تعالى وقل لهم قولا ميسورا (وقد وسع الناس بسطه وخلقه) بسطه مصدر

بزنة ضرب مضاف لضمير عائد له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع
بزنة علم وكذا خلقه المعطوف عليه وقد تقدم معنى الخلق والجملة فجعل بسطه
بمعنى توسعته على الناس او بمعنى بشره كالمكان الرحب وكذا خلقه الحسن جعله
لبذله لهم كالمكان الذى تمكنوا فيه (فصار لهم ابا) اى صار صلى الله تعالى عليه
وسلم لجميع امته بمنزلة الاب فى اللطف بهم والشفقة عليهم وهو لا ينافى قوله تعالى
ما كان محمد ابا احد من رجالكم لان المنفى ثمه الابوة الحقيقية الا ان بعض علماء
الشافعية ذهب الى انه لا يجوز ان يقال له صلى الله تعالى عليه وسلم اب المؤمنين كما يقال
لنسائه صلى الله تعالى عليه وسلم امهات المؤمنين عملا بظاهر هذه الآية وانما يقال
انه كالاب ونص الشافعى رضى الله تعالى عنه على جوازه وهو الحق وكذا كل نبى
من الانبياء عليهم الصلوة والسلام اب لامته ذكورا واناثا وكونه صلى الله تعالى عليه
وسلم ليس ابا حقيقيا معلوم بالبداهة وانما نفاه فى الآية ردا على من انكر تزوجه
صلى الله تعالى عليه وسلم بامرأة زيد الذى تبناه (وصاروا عنده فى الحق سواء) لان
الله عصمه صلى الله عليه وسلم فى الاغراض النفسية الحاملة له على الميل مع الهوى
وكذا وصفه به صلى الله تعالى عليه وسلم ابن ابى هالة ربيبه فى الحديث الصحيح
المروى عنه كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (بهذا وصفه بن ابى هالة)
ابن خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها بنت خويلد واسمه هند وابوه ابو هالة
حليف عبد الدار اختلف فى اسمه فقيل نباش ابن زرارة وقيل مالك بن النباس بن
زرارة وكان تزوج خديجة رضى الله تعالى عنها قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فولدت له هند اولهند ولد يسمى هندا ايضا عده ابن مندة وابو نعيم فى الصحابة
وابوه هند من كبار الصحابة قتل مع على كرم الله وجهه فى وقعة الجمل وتقدمت
ترجمته بالبسط من قبل هذا (قال) ابن ابى هالة رضى الله عنه فى وصفه صلى الله
تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (وكان دائم البشر) بكسر الباء وسكون المعجمة اى
طلاقة الوجه وبشاشته لا يعبس فى وجه احد (سهل الخلق) لا صعبا ولا حزنا
(لين الجانب) استعارة مصرحة شبه وصول كل احد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولما
يريده منه بشئ لين يأخذ منه من يجانبه يطلبه وقيل شبهه بجانب لين من الارض ليس
بحزن (ليس بفظ ولا غليظ) الفظ الكريه الخلق مستعار من الفظ اى ماء الكرش
وهو مكروه لا يتناول الا فى شدة الضرورة كما قاله الراغب والغلظ ضد الرقة واصله
فى الاجسام فاستعير للمعانى كما تقدم (ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب) اى لا ينطق
بالفحشاء كالشتم ولا يعيب احدا اى يذكر عيوبه (ولا مداح) لاحد بما يؤدى الى
اطرائه ولا لنفسه الشريفة وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود بها النسبة كتمار
ولبان او المبالغة راجعة للنفى كما قالوه فى قوله تعالى *وما ربك بظلام للعبيد* وقيل

المقصود به اصل الفعل وقول انس لعمر رضى الله تعالى عنهما انت افظ واغلظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقتضى ثبوت ذلك له فقيل المقصود وجود اصل الغلظة فيه ونفيها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لاحقيقة التفضيل اوالمراد اثبات ذلك على المشركين كما فى قوله تعالى * وليجدوا فيكم غلظة * كما ان المدح قد يستحسن فى مقام دون مقام اذا كان فى محله بخلاف ما اذا كان كذابا ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم احثوا التراب فى وجوه المداحين على احد الوجوه فيه (يتغافل عما لايشتهى) اى اذارأى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا لايرضاه تغافل عنه حتى يظن انه ما رأه اذا كان ذلك مما لايترتب عليه اثم (ولا يؤيس منه) مبنى للمفعول وضميرمنه له صلى الله تعالى عليه وسلم اى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم بتغافله لاييأس احد منه وروى مبنيا للفاعل بضم المثناة التحتية وكسر الهمزة التى كانت مفتوحة ومفعوله محذوف لقصد التعميم اى لايؤيس احدامنه اى يجعله ذايأس بحيث لايرجوه فالضمير لما تغافل عنه وعلى هذا اقتصر ارباب الحواشى (وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ما زائدة للتأكيد وقيل نكرة موصوفة ورحمة بدل منه وقيل استفهامية تعجبية اى باى رحمة عظيمة لنت لهم ورده فى المغنى بثبوت الف ما وقال ان ما قبله ايضالايتجه كما فصله شراحه وليس هذا محل تفصيله والمعنى انك لوكنت فظا غليظ القلب انفضوا عنك اى تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكنك بلين جانبك لهم وشفقتك عليهم تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم وهذا امتنان عليه بماجبله الله عليه من الاخلاق الحسنة وقدتقدم الكلام عليه (وقال ادفع بالتى هى احسن) التى هى احسن الصفح والتجاوز والاحسان فى مقابلة السيئة ولاحاجة لتقيدها بمالم يكن فيه وهن فى الدين لانه لايكون دفعا بالاحسن فان المراد به الاحسن عندالله تعالى وقيل التى هى احسن كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر اى ادفع بهذا لا بغيره (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يجيب من دعاه) لطعامه او لمنزله جبرا لخاطره وتعليما وتشريفا لامته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كان المدعو اليه وليمة عرس اوغيرها وفى الحديث اذا دعا احدكم اخاه فليجب وماقيل من ان اجابة دعوة العرس واجبة عينا اوكفاية لورود الامر بها فى الاحاديث الصحيحة فلا يكون ذلك من التفضل ومكارم الاخلاق غير وارد لانه قيل بعدم الوجوب فيها عند الشافعية ايضا كما صرح السبكى ولوسلم فهذا محمول على الاعم من الولائم وغيرها وليس فى العبارة ما يقتضى التخصيص ولا يجب اجابة لغير وليمة عرس ومنه وليمة التسرى كما هو ظاهر وقيل تجب واختاره السبكى لاخبار فيه (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم

(يقبل الهدية) لا الصدقة (ولوكانت كراعا) لانه مقتض للتحاب وكراع بضم الكاف وفتح الراء المهملة المخففة والعين المهملة وهى ماتحت الركبة الى الخف والحافر والظلف ولو وصلية هنا تفيد التقليل كاتقوا النار ولو بشق تمرة وقيل الكراع مادون الكعب من الدواب وقيل كراع كل شئ طرفه وفى الترمذى عن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لواهدى الى كراع لقبلت ولودعيت الى كراع لاجبت وكراع الثانى اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة والصحيح انه بالمعنى السابق والمقصود المبالغة فى ذلك اى اقبل الهدية ولوكانت حقيرة واجيب الدعوة ولوكانت الى مكان بعيد ويطلق الكراع على الشاة نفسها وفى الحديث اذا دعى احدكم فليجب فان كان مفطرا اكل وان كان صائما دعا بالبركة وقوله (ويكافئ عليها) بالهمزة اى يجازى على الهدية بشئ مثلها او اكثر لان المكافاة اصل معناها المساواة والمماثلة ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافئ دماؤهم اى تتساوى فى القصاص وفى البخارى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واستدل به بعض المالكية على وجوب عوض الهدية اذا اطلق الواهب وكان ممن يرجو الثواب كالفقير الذى يهدى للغنى ولم يوافق عليه (وقال انس رضى الله تعالى عنه) وهو خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (خدمت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين) وفى رواية لمسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما لانه خدمه تسع سنين واشهرا فتارة نظر للكسور وجعلها سنة وتارة القاها وكان عند عمه ابى طلحة فانطلق به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له ان انسا غلام كيس فليخدمك (فما قال لى اف قط) هى كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه وهى اسم فعل فيه لغات نحو الاربعين اشهرها ضم الهمزة وكسر الفاء المشددة وللسيوطى فى نظم لغاتها ابيات مشهورة حيث قال

* اف ربع اخيره ثم خفف * مبتداه مشدد ومخفف *
* وبتنوينه وبالترك افى * لاتمالا وبالامالة مضعف *
* وبكسر ابتداء وافى مثلث * وزد الهاء فى اف اطلق لااف *
* ثم مدا بكسر اف واف * ثم افوافا احفظ ودع مايزيف *

قال الراغب اصل الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر ومايجرى مجراهما ويقال لكل مستقذر يستخف به وافقت لكذا اذا قلت له اف والحاصل مماتقدم ان همزته مثلثة وكذا فاؤه مع التنوين وعدمه وقد فصل لغاتها فى البحر ومن لطائف السراج الوراق رحمه الله تعالى فى مدح ابنه رحمه الله * بنى اقتدى بالكتاب العزيز * فزدت سرورا وزاد ابتهاجا * وماقال لى اف فى عمره * لكونى ابا ولكونى سراجا *

اى لم ينضجر من امر غير مرضى وقع منى وفيه دليل على زيادة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته) وهذا الحديث رواه الشيخان (وعن عائشة رضى الله عنها ماكان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم بينت بعض ذلك بانه (مادعاه احد) اى ناداه فقال يارسول الله (من اصحابه ولا اهل بيته) خصهم لان العادة جارية بالمسامحة معهم (الا قال لبيك) قال السيوطى رواه ابونعيم فى دلائل النبوة بسند واه ولبيك كلمة يجاب بها المنادى فالتلبية اجابة المنادى من دعاه من لب والب اذا اقام بما كان ولم يفارقه فكانه يقول انا ثابت على اجابتك ولا تستعمل الا بلفظ التثنية كانه قال اجابة بعد اجابة والمراد التكثير كقوله فارجع البصر كرتين وهو منصوب على المصدرية بعامل لا يظهر وتغلب اضافته لضمير المخاطب وقد يضاف لغيره كما فصله النحاة ولا يجاب به الا من يعتنى باجابته وتعظيمه ولذا يقوله الحاج فى اجابة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اتباعه بذلك رعاية مقامهم وتعظيمهم وهو من خلقه العظيم كما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب القادم بمرحبا كقوله مرحبا بام هانئ (وقال جرير بن عبد الله) بن جابر بن مالك البجلى سيد قومه قدم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لاقبل موته باربعين يوما كما قيل ولما قدم قال صلى الله تعالى عليه وسلم يطلع عليكم خير ذى يمن وكان رضى الله تعالى عنه جميلا حتى قال عمر رضى الله تعالى عنه فيه انه يوسف هذه الامة وارسله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لذى الخلصة وهى الكعبة اليمنية وكان فيها صنم فخربه وقتل من عنده (ماحجبنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ اسلمت قط) اى ما منعنى من الدخول عليه فى بيته وقد استأذنته لا مطلقا حتى يقال كيف يدخل على غير محرم وحتى يجاب بان المراد فى مجلس مختص بالرجال او المراد مامنعنى شيئا سألته واسلامه رضى الله تعالى عنه كان فى رمضان سنة عشر كما مر (ولا رآنى الا تبسم) وفى رواية الا تبسم فى وجهى وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم مبادى الضحك بحيث يبدو مقدم الاسنان فان زاد بلا صوت فضحك فان كان بصوت فهو قهقهة وضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم فى اغلب احواله التبسم وربما زاد على ذلك كما ورد انه ضحك حتى بدت نواجذه وقيل انه اريد مجرد المبالغة لا الحقيقة بناء على انه لم يقع منه ذلك والاصح الاول وكثرة الضحك تذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب فان لزمه استهزاء باحد وسخرية فحرام (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يمازح اصحابه) الممازحة تكون بالكلام والفعل ملاطفة ولكنها انما تحمد من الكبار احيانا بحيث لا تؤدى الى اذية صاحبها والمداعبة قريبة منها ولكن بينهما فرق سيأتى وكان صلى الله

تعالى عليه وسلم يمزح احيانا ولا يقول الا حقا ولكنه يوارى فى كلامه كما قال لبعض العجائز لا يدخل الجنة عجوز لانهم يعودون فى سن الشباب ولله در القائل

* افد طبعك المكدود بالهم راحة * بانس وعلله بشئ من المزح *
* ولكن اذا اعطيته المزح فليكن * بمقدار ما يعطى الطعام من الملح *

(والمزاح بضم الميم اسم وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال

* فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا *
* ويذهب ماء الوجه من كل سيد * ويورثه من بعد عزته ذلا *

والصحيح انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشروطه وكان كبار السلف يمزحون وقد قيل الناس فى سجن مالم يتمازحوا وورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان افكه الناس وكان مزاحا ولا يقول الا حقا (ويخالطهم ويحادثهم) تأنيسا لهم وجبرا لقلوبهم (ويداعب صبيانهم) يداعب بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب ولذا خصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع الخزرجى رضى الله تعالى عنه عقلت منه صلى الله تعالى عليه وسلم مجة مجها فى وجهى وانا ابن خمس سنين (ويجلسهم فى حجره) كما فعل صلى الله تعالى عليه وسلم مع ام قيس اذ اتته بابن لها صغير لم يأكل الطعام فاجلسه فى حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله وحجر بكسر الحاء المهملة وفتحها معروف وهو ما كان من ثديه على فخذيه وهو جالس (ويجيب دعوة) بفتح الدال المهملة (العبد والامة والمسكين) قال السيوطى اجابته صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة العبد رواها البزار عن جابر رضى الله تعالى عنه والترمذى وابن ماجة عن انس رضى الله تعالى عنه فلا وجه لما قيل انى لم اقف عليه الا فى صحيح البخارى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتى غلاما خياطا فاتاه بقصعة فيها دباء فجعل يتتبعه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم طيب انفسهم بما يملكونه لهم فلا يقال كيف اكل مما فى يد العبد وهو وما يملكه لسيده او يقال كان مكاتبا او المراد بالعبد من مسه الرق ولو قبل دعوته وقدم العبد اهتماما ببيان انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجيب دعوته مع حقارته بالنسبة للحر (و) اخرج الترمذى بسنده عن انس رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يعود المرضى) ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى البيهقى دعوة المملوك (فى اقصى المدينة) اى فى ابعد مكان منها وعيادة المريض سنة مؤكدة لاسيما من يتبرك بعيادته لما فيه من التسلية وتأليف القلوب وقيل انها فرض كفاية ولا تختص بمرض وقيل ثلاثة لا عيادة فيها رمد العين ووجعها ووجع الضرس وقيل انه لا يعاد المريض الا بعد ثلاثة ايام وورد فى ذلك حديث ضعيف والصحيح انه لا فرق والحديث

قال شيخنا الرملى انه موضوع واختلف فى عيادة الذمى فقيل يجوز اذا كان يرجى اسلامه او تضمن مصلحة (ويقبل عذر المعتذر) المعتذر كل من ابدا عذرا سواء كان له حقيقة ام لا وسواء كان من شانه انه يقبل ام لا ولذا لم يقل المعذور لانه من له عذر وعدم قبوله منه مذموم وقبول اعتذاره عفو بة جنايته وعدم مؤاخذته بها لانه من تمام المروة وهذا كما قبل صلى الله تعالى عليه وسلم عذر من تخلف عن تبوك و وكل سرائرهم الى الله تعالى وكقبوله عذر حاطب بن ابى بلتعة رضى الله تعالى عنه لما كتب لاهل مكة يخبرهم بمسيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة وقبل صلى الله تعالى عليه وسلم اعتذار المنافقين حتى كذبهم الله تعالى (وقال انس) رضى الله تعالى عنه قال السيوطى هذا الى قوله بين يدى جليس له رواه ابوداود والترمذى والبيهقى فى الدلائل واخرجه البزار عن ابى هريرة وابن عمر رضى الله تعالى عنهم (ماالتقم احداذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ماجعل احد اذنه محاذية لفمه فيحاذيه وقال الشمنى اى ماحدثه احد عند اذنه فجعله استعارة ولم يحمله على حقيقته وان فعله للتبرك كما وقع لجابر رضى الله عنه فى التقامه لخاتم النبوة لان لفظه مشعر بكثرة ذلك ووقوع مثله كثيرا مستبعد بخلاف قصة جابر رضى الله تعالى عنه لما اردفه صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه وامكنه ذلك بسهولة وايضا فى مثله سوء ادب ومنافاة لغرضه فانه اذا ادخل اذنه فى فيه لم يمكنه ادارة لسانه ومناجاته وفى النهاية فى الحديث ان رجلا القم عينه حصاصة الباب اى جعل الشق الذى فى الباب محاذى عينه فجعله للعين كاللقمة فى الفم انتهى فجعله استعارة كما هنا وهذا لاينافى مافى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال والله لاتين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته وهو فى ملاء فساررته فغضب حتى احمروجهه وقال رحم الله موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يغضب من المسارة بل مما كلمه به والاذن بضم الهمزة والذال المعجمة وقد تسكن (فينحى رأسه) عنه اى يبعدها ويجعلها فى ناحية منه (حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه) اى حتى يفارقه اوينفصل منه قليلا (وما اخذ احد بيده) اى امسكها (فيرسل يده) اى يطلقها ويفكها من يده وهو مجاز من ارسل الرسالة اذا بعثها وظاهر كلام ابن القوطية انه معنى حقيقى ان كانت اليد الثانية يد الآخذ فليس من وضع الظاهر موضع الضمير والا فهو منه وقوله (حتى يرسلها الآخذ) غاية لترك ارسالها اى الى ان يرسلها الآخذ وهو بالمد اسم فاعل من الاخذ وفى نسخة الاخر بالراء المهملة وفى البخارى ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعن احمد فماينزع يده من يدها وهو عبارة من الانقياد

لشدة تواضعه وتنزهه من التكبر صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله (ولم ير صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم ركبتيه بين يدى جليس له) من جملة حديث انس رضى الله تعالى عنه فى المصابيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذى ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذى يصرف وجهه اوهو رواية اخرى والظاهر لمابينهما من المخالفة ومعنى لم ير مقدما الى آخره انه يخفض ركبتيه تعظيما لجلسائه وقيل المراد بالركبتين الرجلين اى كان لايمد رجليه فى مجلسه لماروى فى حديث آخر انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم ير قط مادام رجليه بين اصحابه كما سيأتى يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يساوى جلسه ولا يتقدم عليه بركبتيه حتى كان الغريب يجئ فلا يعرفه ويسأل عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبدأ) اى يبتدئ (من لقيه بالسلام) من تفيد العموم اى كل احد لقيه صغيرا اوكبيرا من المسلمين الافى مواضع لايستحب السلام فيها واما الكفرة فلايسلم عليهم وجوز بعضهم ابتداءهم بالسلام ايضا (ويبدأ اصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصفح اى يجعل صفحة يده الشريفة على صفحة يده وفى الحديث تمام تحيتكم بينكم المصافحة وهى سنة عند التلاقى وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم تفعله واذا قدموا من سفر تعانقوا وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم تقبل يده ايضا وهى مستحبة للكبير وكرهها مالك اما اذا كان على وجه التكبر فيكره وقال النووى انه مستحب ايضا لاهل الشرف والصلاح واما لاهل الدنيا فكروه وقال فقهاؤنا لابأس بالمصافحة لانها سنة متوارثة لما ورد فى الحديث ايضا تصافحوا وقيل انه من الصفح وهو العفو اى ليصفح احدكم عن غيره ولا يناقشه والمشهور الاول واما بعد صلاة الجمعة والعيد فقالوا انه بدعة وهو من فعل المشايخ لانهم كانوا فى الصلاة غائبين عمن حضرهم ومن كان هذا حاله لايكره منه (ولم ير صلى الله تعالى عليه وسلم قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد) هذا اشارة الى انه كان ذلك فى مجلس يكثر فيه الناس اما اذا كان وحده او فى قليل من خواصه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد يتكئ وقد يضع احدى رجليه على الاخرى كما ورد فى بعض الاحاديث (يكرم من يدخل عليه) بالقيام له ويلاطفه كقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم قوموا لسيدكم وكره بعضهم القيام مطلقا لحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما وجبت له النار وحمل هذا على عادة الاعاجم فى وقوف الناس بين ايديهم اما القيام للعلماء والصلحاء فمستحب كما يأتى وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جاء قام له الصحابة وممن ذهب لكراهته ابن حجر رحمه الله تعالى وقال فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قوموا لسيدكم انما كان لانه قدم على حمار وكان مريضا وفى رواية قوموا لسيدكم فانزلوه ورد بانه لوكان كذلك لم يأمر جميع الناس الحاضرين بالقيام له ولذا استدل

النووى وفيه نظر (وربما بسط له) اى لمن يدخل عليه (ثوبه) تعظيما له كما جعل ذلك لعدى بن حاتم ولاخته عليه السلام من الرضاعة لما اتته كما يأتى (ويؤثره بالوسادة) الايثار تقديم غيره على نفسه فى بعض الامور والوسادة مايتوسد اى يوضع تحت الرأس وهى التى تسمى مخدة ويقال اسادة بالهمزة ووساد بدون هاء (التى تحته) كما فى البخارى انها فراش يجلس عليه وكانت محشوة بالليف وقضبته قال عدى ابن حاتم دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل فقلت عدى ابن حاتم فقام وانطلق بى الى بيته فوالله انه لعامد بى اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة واستوقفته فوقف بها طويلا بكلمة فى حاجتها فقلت فى نفسى والله ماهذا بملك ثم مضى حتى دخل بيته فتناول وسادة كبيرة من ادم محشوة ليفا فقذفها وقال لى اجلس على هذه فقلت بلى انت فاجلس عليها فجلس على الارض وصارت الوسادة بينى وبينه فانظر لمكارم هذه الاخلاق فقلت والله ماهذا بملك وهذا يدل على ان الوسادة فراش لا مخدة ولاعبرة بتفسير الجوهرى لها بالمخدة فقط (ويعزم عليه فى الجلوس) اى يقسم عليه ان يجلس على وسادته بان يقول له بالله اجلس انت قال فى التهذيب يقال عزمت عليك لتفعلن كذا اى اقسمت انتهى وهو مأخوذ من العزم وهو التصميم فى الامر وقوله (عليها) اى على الوسادة (ان ابى) اى امتنع من الجلوس حياء من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ويكنى اصحابه) اى يضع لهم كنية كابى فلان او يدعوهم بالكنية تكريما (ويدعوهم) اى يناديهم (باحب اسمائهم تكرمة بهم) اى يفعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم لاجل اكرامهم وتعظيمهم تلطفا بهم وتأدبا معهم فان نداء المرء بكنيته تعظيم وكذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى من لا كنية له كما قال للطفيل الذى كان معه طائر يسمى نفيرا يا اباعمير مافعل النفير وفيه دليل على جواز تكنية من لا ولد له على عادة العرب تفاؤلا بان يعمر ويرزق اولادا خلافا لمن منع ذلك وقال انه خلاف الواقع فهو كذب واخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اباعبدالرحمن قبل ان يولد لى وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا اولادكم بالكنى قبل ان يغلب عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا قصدا لتعريف وقال النووى يجوز تكنية الكافر بشرطين الاول ان لايعرف الا بكنيته الثانى ان اخر يخاف من ذكر اسمه فتنة فالاول كابى طالب والثانى كابى حباب لابن سلول وفيه نظر وقد تكون لامر آخر كابى لهب فانه اشارة الى انه جهنمى وقيل كنى بذلك لحسن وجهه (ولايقطع على احد حديثه) اى من يحدث عنده يصغى اليه ولايقطع حديثه بتكلمه بكلام آخر او قيامه او نهيه عن الكلام فان مثله يؤذى المتكلم (حتى يتجوز) بياء وتاء مفتوحتين وجيم مفتوحة وواو مشددة وزاى معجمة غاية لتركه قطع حديثه اى حتى يكثر فيتجاوز الحد او يخرج

الى مالايليق من الكلام فهو من التجاوز والجوز كما يأتى (فيقطعه بنهى) عن الكلام (اوقيام) من مجلسه اعراضا عنه وهو مقيد لنهيه عنه (ويروى بانتهاء اوقيام) فالنهى بمعنى الانتهاء اذ الروايات تفسر بعضها بعضا وهذا وقع فى بعض النسخ فالمعنى حتى يجوز ذلك فى حديثه فيقطع حديث نفسه اما بسبب انه انتهى ولم يبق منه شئ اولقيامه عن المجلس والتجوز على هذا بمعنى التخفيف له والتعليل عند وقيل معناه ينطق بماهو غير حقيق كان يتكلم بما لايليق من الكلام (وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايجلس اليه احد) اى لايجلس متوجها اليه والمراد لايجلس عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو يصلى الاخفف صلاته) اى اسرع فيها فقطعها والتخفيف ضد التطويل وسيأتى بيانه (وسأله عن حاجته واذا فرغ) صلى الله تعالى عليه وسلم من كلامه وبيان حاجته (عاد) صلى الله تعالى عليه وسلم (الى صلاته) التى كان فيها وقال البرهان الحلبى هذا الحديث منكر وقد ذكره فى الاحياء فى ادب المعيشة وقال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء لم اجد له اصلا انتهى ولذا قيل لو اورد حديث الصحيحين الآتى انى لاقوم الى الصلاة اريد ان اطول فيها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى كراهة ان اشق عليه كان اظهر فانه متفق عليه وهو فى معنى حديث الاحياء (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس تبسما) وقد تقدم معنى التبسم وما يتعلق به (واطيبهم نفسا) اى لم يكن مقطبا وعبوسا فى مجلسه لطيب نفسه وهذا ومابعده حديث رواه احمد والترمذى بسند حسن (مالم ينزل عليه قرأن او يعظ او يخطب) قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريج احاديث هذا الكتاب عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدى قال مارأيت اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رواه الترمذى وقال غريب وقد تقدم وعن على كرم الله وجهه او الزبير رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه الصلوة والسلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضى الله تعالى عنه من غير شك وعن جابر رضى الله تعالى عنه كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى قلت نذير قوم فاذا سرى عنه فاكثر الناس ضحكا اخرجه الطبرانى فى مكارم الاخلاق وفيه ابن ابى ليلى سئ الحفظ وعن على والزبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكرنا بايام الله حتى يعرف ذلك فى وجهه وكانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضى الله عنه من غير شك وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت وجنتاه واشتد غضبه رواه مسلم والحاكم من حديثه كان اذا ذكر الساعة احمرت

وجناه واشتد غضبه انتهى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لايتبسم فى هذه الحلات لتوجهه عند نزول الوحى وتأديه بمعد وفيما بعده لانه مقام انذار وخوف وتخويف (قال عبد الله بن الحارث) بن جزء بن عبد الله بن معدى كرب ابن غنم الزبيدى الصحابى سكن مصر ومات رضى الله تعالى عنه بها سنة خمس او سبع وثمانين وهو آخر من مات بها ببلدة تسمى سفط قرية من سمنود بالغربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن منده عن ابن يونس وقال انه شهد بدرا ولابن حجر فيه كلام (مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لان طلاقة الوجه من مكارم الاخلاق وفى الحديث تبسمك فى وجه اخيك صدقة (وعن انس رضى الله تعالى عنه كان خدم المدينة) خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل فى جمع فاعل جاء فى الفاظ محصورة نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى وقيل انه اسم جمع وهو بالتاء كثير نحو كملة جمع كامل والمراد بالخدم العبيد والجوارى وهذا الحديث رواه مسلم وهو حديث صحيح (يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صليت الغداة) اى الصبح (بآنيتهم فيها الماء) والآنية جمع اناء ككساء واكسية وهو ما يوضع فيه الشئ والاوانى جمع الجمع وكثير من الناس يظن ان الآنية مفرد او ظاهر قوله (فما يؤتى بانية الا غمس يده فيها) يوهم ذلك (وربما كان ذلك) اى اتيانهم بالاوانى وغمس يده فيها (فى الغداة الباردة) والغدوة والغداة اول النهار ويقابل فى القرآن الغدو بالاصال والغداة بالعشى ووصفها بالباردة اشارة لما فيه من زيادة تحمل المشاق لاجل التلطف مع الناس وانما فعلوا ذلك تبركا باثاره صلى الله تعالى عليه وسلم ومماسته يده الشريفة وقوله (يريدون التبرك به) يحتمل انه من كلام المصنف فان البغوى رحمه الله تعالى رواه فى مصابيحه بدون هذه الزيادة وفيه ارشاد للتبرك بآثار العلماء والصلحاء

﴿فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق﴾ والفرق بين هذه الثلاثة ان الشفقة رحمة ورقة القلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه كما فى الاساس والرأفة التلطف بمن يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال قبس الرقيات

* ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت يرى ولا كبرياء *

فمقابلتها بالجبروت صريحة فيه وليست اشد الرحمة كما توهمه بعضهم وان استعملت بهذا المعنى كما مر تحقيقه فما قيل انها ارق من الرحمة ولا تكاد تقع فى الكراهة كالرحمة غير موجه وقوله لجميع الخلق يعنى انها لا تختص باحد كرحمة غيره لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (فقد قال الله تعالى عنه) اى فى حقه وصفته عليه الصلوة والسلام (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) عزيز من عز بمعنى اشتد وصعب والعنت المشقة اى يصعب عليه مشقتكم وما يولمكم لرأفته ورحمته وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله بالمؤمنين لا يناسب قوله لجميع الخلق فالانسب

ان يقتصر على قوله (وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وقد اشار المصنف رحمه الله تعالى لدفع هذا فى الفصل الاول من ان صدر الآية عام والرحمة المخصوصة بالمؤمنين لا تنافى العموم فكانه يشق عليه لعموم رحمته صلى الله تعالى عليه وسلم كل ما يقع بهم لحرصه على هدايتهم وارشادهم فهى مطابقة لهذه الآية كما يعلم من كلامه هناك وقد تقدم ما ذكر لانه اسم وذكره هنا لغرض آخر كالايات المكررة فى القرآن فلا وجه لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لزيادته على المقصود ولو نبه على ما قلنا كان اولى به لكنه حريص على العنت كما لا يخفى لمن سبره (قال بعضهم من فضله عليه الصلوة والسلام ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) تقدم الكلام على هذا واعاده هنا لمعنى آخر فلا تكرار بل فيه فائدة قال السيوطى رحمه الله تعالى ظاهر كلام المفسرين ان الرحيم يوصف به غير الله بخلاف الرحمن لكن اخرج ابن ابى حاتم الرحيم لا يستطيع الناس ان ينتحلوه ويظهر لى ان مراده المعرف باللام دون المنكر والمضاف انتهى (وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى اسمه واسم ابيه وهو امام جليل بلغت تصانيفه اكثر من مائة مصنف جليل توفى سنة ست واربعمائة قال (حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشنى بقراءتى عليه) وهو عبد الله بن ابى بكر بن ابى جعفر بن محمد الخشنى بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ونون نسبة لخشينة مصغرا اسم قبيلة ولد سنة تسع واربعين واربعمائة ومات بمرسيه من بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم الكلام على قوله بقراءتى عليه (قال حدثنا امام الحرمين ابو على الطبرى) هو الامام ابو عبد الله ويقال ابو الحسين ابن على شيخ الحسين ومحتده بمكة والطبرى منسوب لطبرستان او لطبرية والاول اصح قال (حدثنا عبد الغافر الفارسى) الامام الزاهد العدل ابو محمد عبد الغافر بن محمد الفارسى احد رواة مسلم المشهور بالرواية عن الجلودى ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة وتوفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة وعمره ثمان وسبعون سنة قال (حدثنا ابو احمد الجلودى) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه يجوز فيه فتح الجيم وضمها وقد قيل ان هنا ان عبد الغافر لم ير الجلودى ولا روى عنه صحيح مسلم وانما الراوى جده ابو امه واسمه عبد الغافر ايضا كحفيده لكنهما اختلفا كنية واسما فان كنية الاول ابو الحسن وهذا ابو الحسين مصغرا واسم ابى الاول محمد وهذا اسمعيل وتاريخ موتهما مختلف فيه وهذا لم يدرك الجلودى وقال السبكى رحمه الله تعالى فى طبقاته بين هذا وبين الجلودى اثنان وهذا مما لم ينبه عليه البرهان مع اطلاعه وهو مما ينبغى التنبه له قال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) تقدم ايضا وان سين سفيان مثلثة قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) الامام المشهور صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا

ابو الطاهر) احمد بن عمرو بن عبدالله عمرو بن سرح بمهملات بزنة ضرب الاموى مولاهم المصرى روى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه النسائى وقال ابو حاتم لا بأس به وكان فقيها صالحا ثبتا توفى فى ذى القعدة سنة خمسين ومائتين قال (اخبرنا ابن وهب) ابو محمد عبدالله القهرى احد الاعلام روى عنه الستة وتوفى سنة سبع وتسعين ومائة (اخبرنا يونس) بن يزيد الايلى بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية واللام وياء النسبة احد الاثبات روى له اصحاب الكتب الستة وهى ثقة ثبت توفى سنة تسع وخمسين ومائة وله ترجمة فى الميزان وفى يونس ست لغات بتثليث النون مع الواو والهمزة (عن ابن شهاب) الامام ابو بكر بن مسلم الزهرى وقد تقدم (قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا) تقدم الكلام على حنين قال البرهان الحلبى الراوى اذا قدم الحديث على السنة كأن يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا اخبرنى به فلان ويذكر سنده اوقدم بعض الاسناد مع المتن كما نحن فيه قال بعد هذا قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان ابن امية الى آخره فهو اسناد متصل ولا يمنع ذلك الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد بتمامه اولا وقال ابن الصلاح ينبغى ان يكون فيه خلاف كتقديم بعض المتن على بعض وحكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية بالمعنى لا تجوز والجواز على القول بانها تجوز ولا فرق بينهما فى ذلك انتهى وفى جعله كالرواية بالمعنى حقا (قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية) بن وهب بن حذافة بن جمح القريشى الجمحى الصحابى وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك ثم اسلم وحسن اسلامه بعد ما كان من المؤلفة قلوبهم وكان رئيس بنى جمح وكان يعادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤذيه اذية بالغة مع ما بينهما من الرحم فجازاه على اساءته بالاحسان الزائد اليه (مائة من النعم ثم مائة ثم مائة) والنعم اسم جمع للابل لا واحد له من لفظه وجمعه انعام وقال العزيزى هو الابل والبقر والغنم (قال ابن شهاب حدثنى سعيد ابن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطانى ما اعطانى وانه لابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى انه لاحب الخلق الى) بعد ما كان اشد الناس عداوة له لقتل ابيه يوم بدر ولما شهد وهو كافر حنينا ثم رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الجعرانة فبينما هو يسير فى الغنائم ينظر اليها ومعه صفوان جعل صفوان ينظر الى شعب ملئ نعما وشاء وادام النظر اليها ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرمقه فقال له اباوهب يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه فقال صفوان ما طابت بهذا الا نفس نبى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكانت زوجته اسلمت قبله فاقر

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نكاحه عليها واختلف فيما كان يعطيه صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤلفة هل هو من خمس الخمس الذى هو حقه او من الخمس او من الغنايم واما اعطاء مؤلفة الكفار فكان جائزا فى صدر الاسلام وهل هو من الزكاة او من بيت المال ثم منعوا منه فى خلافة الصديق او فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنهما فان قلت ما مناسبة الحديث لما نحن فيه قلت لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى صفوان لما بينه وبينه من الرحم خوفا عليه ان يستمر على عداوته وكفره فيهلك فاحسن اليه حتى يحسن اسلامه شفقة عليه من ان تحل به النقمة والعذاب وقد تقدم اعطاؤه اكثر من ذلك (وروى ان اعرابيا جاء يطلب من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا فاعطاه) هذا الحديث رواه البزار عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بسند ضعيف وكذا ابن حبان ولم يسموا الاعرابى (ثم قال احسنت اليك قال الاعرابى لا ولا اجملت) الذى فى النسخ احسنت بهمزة واحدة فهمزة الاستفهام مقدرة كقوله * ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصا والتراب * ومثله كثير نفيس والاستفهام استفهام تقريرى وقوله لا رد لقوله احسنت واجملت بمعنى فعلت فعلا جميلا محمودا وقال بعضهم معناه ما اعتدلت فى الاخذ والعطاء اوما كثرت وهذا اولى انتهى واللغة لا تساعده وانما حمله عليه الهرب من التكرار ولا تكرار فيه لانه من ذكر العام بعد الخاص ومثله لا يعد تكرار الما فيه من المبالغة وفى ذلك غلظة وسوء ادب (فغضب المسلمون) من كلامه وجراءته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقاموا اليه) ليضربونه ويجازونه بما يستحقه (فاشار اليه ان كفوا) اى اشار بيده اليهم اشارة يفهم منها الامر بكفهم اى تركهم ما ارادوه وان تفسيرية اومصدرية على الخلاف المشهور عند اهل العربية وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وشفقته تألفا له ليحسن اسلامه (ثم قام) من مجلسه (ودخل منزله وارسل اليه) عطية (وزاد) اى زاده على ما اعطاه اولا (ثم قال احسنت اليك) فيه مقدر وهو مزح وقال له ذلك (قال نعم) احسنت الى (فجزاك الله) على احسانك ولطفك بى (من اهل وعشيرة خيرا) مفعول جزاك وما بينهما اعتراض والفاء تفريعية وسببية لما تضمنه وقيل انها فصيحة فى جواب شرط مقدر اوعاطفة على مقدر اى احسنت واجملت فجزاك الى اخره ومن فى من اهل قيل انها بدلية مثلها فى قوله لجعلنا منكم ملائكة فى الارض اى بدلكم فالمعنى بدلا من اهلى وعشيرتى الذين لم يحسنوا الى وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه صار اهلا له وعشيرة اى قبيلة اما لفعله فعل العشيرة وهذا كما يقولون للقادم اهلا وسهلا ولما تقدم من ان له صلى الله تعالى

عليه وسلم فى كل قبيلة قرابة وعرفا فمن اما تعليلية كقوله فويل للقاسية قلوبهم من
ذكر الله اى لاجل ذكر الله واما كونها للفصل والتميز كما فى قوله تعالى اتأتون الذكران
من العالمين اى ممتازين من بين العالمين بهذا الفعل القبيح فبعيد جدا ثم اشار
المصنف رحمه الله تعالى الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم زاد لطفا فارشده بقوله
(فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ما قلت) فى جوابك وردك على
(وفى انفس اصحابى من ذلك شئ) تنكيره اما للتحقير اى شئ حقير لا يعتد به عندى
او للتعظيم اى امر عظيم عندهم لاذيته صلى الله تعالى عليه وسلم ووضع اسم
الاشارة موضع الضمير لجعله كالمشاهد المحسوس لاستحضاره فتذكيره بما وقع منه
من الامر العجيب (فان احببت فقل بين ايديهم ماقلت بين يدى) علق قوله على
محبته وارادته لطفا منه صلى الله تعالى عليه وسلم واى لطف مع انه ذنب عظيم
ينبغى التنصل له وفيه من الشفقة بالامة مالايخفى وبين الايدى كناية عن حضوره
وتمثله لهم وليس المراد البينية الحقيقية بل المقابلة مع القرب وقد يعبر به عن المستقبل
نحو يعلم مابين ايديهم وماخلفهم (حتى يذهب مافى صدورهم عليك) اى الغضب
والالم الذى فى قلوبهم بسبب ماقلته اولا (قال نعم) اى اقول لهم ماقلت لك
(فلما كان الغد اوالعشى) المراد بالغد صبيحة اليوم الذى بعد اليوم الذى كلمه فيه
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والغداة من طلوع الفجر الى الزوال والعشى ما بعد
الزوال الى الغروب والشك هنا من الراوى (جاء) اى الاعرابى الى مجلس النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لاصحابه
الحاضرين عنده (ان هذا الاعرابى قال ماقال) لى اولا اذ اساء ادبه لغلظة طبعه
ولذا وصفه بالاعرابى لما عرف من حال الاعراب (فزدناه) على عطائه الاول (فزعم
انه رضى) بجملة ما اعطيناه له والزعم هنا بمعنى القول الحق وهو يستعمل بهذا المعنى
كقول الشاعر * هلكنا ولكن ان هلكت فانما * على الله ارزاق العباد كما زعم *
ويكون بمعنى القول الباطل كقوله تعالى هذا لله بزعمهم ولذا قالوا زعم مطية الكذب
وفى التعبير ايماء الى مافى نفسه من الحرص والطمع ثم التفت صلى الله تعالى عليه وسلم
الى الاعرابى وقال له (اكذلك) فالاستفهام متوجه منه صلى الله تعالى عليه وسلم
الى الاعرابى اى الامر كذلك من انك رضيت وان كان ما قبله كلاما منه متوجها
لاصحابه رضى الله تعالى عنه فالجار والمجرور خبر مقدم راى الامر كذلك (قال نعم
فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا) تقدم مافيه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
مثلى ومثل هذا) الاعرابى المثل يكون بمعنى القصة وبمعنى الكلام المشبه مورده
بمضربه ويكون استعارة تمثيلية وتشبيها تمثيليا مركبا كقوله تعالى * مثلهم كمثل الذى

استوقد نارا * الآية ويكون ذلك لزيادة التوضيح والتقرير فانه اوقع فى النفس لانه
يريك المخيل محققا والمعقول محسوسا لما فيه من الشان الغريب وهو فى الكلام الالهى
والاحاديث النبوية كثير (مثل رجل له ناقة شردت عليه) اى نفرت منه وذهبت
فى الارض يقال شردت الدابة والانسان اذا نفر وجرى جريا شديدا لايلحق شرودا
وشرادا واصل الشراد الفراق خوفا قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم قاله ابن
عرفة اى افعل بهم فلا يخيف من وراءهم فبشردهم (فاتبعها الناس) افتعال من
الاتباع اى مضوا وجروا خلفها ليمسكوها (فلم يزيدوها الانفورا) اى لم يحصل
باتباع الناس لها الازيادة هربها ونفورها لخوفها منهم (فناداهم صاحبها)
اى الناقة (خلوا بينى و بين ناقتى) اى وقال لهم خلوا الى آخره فهو مفعول نادى
لتضمينه معنى القول اومقول قول مقدر كما عرف فى امثاله اى لاتتبعوها واتركوها
واتركونى احتال فى امساكها (فانى) وفى نسخة فانا (ارفق منكم واعلم) اى
انا اشفق عليها واعلم بحالها منكم (فتوجه لها بين يديها) اى جاءها من امامها
(فاخذ لها من قمام الارض) القمام جمع قمامة ككناسة لفظا ومعنى والمراد بها
النبات الذى ترعاه الدواب شبهه به لخسته ولانه مما يطرح كالقمامة فاستعير لذلك
(فردها حتى جاءت) فيه مقدر اى فدنت منه لتأكل ما بيده من الحشيش فامسكها
وردها حتى اتى بها محله (واستناخت) اى بركت ومكثت عنده من ناخ الجمل
ونوخه اذا بركه (وشد عليها رحله) الرحل للابل كالسرج للفرس وهو معروف
(واستوى عليها) اى على ظهرها اى ركبها يقال استوى على الدابة اذا علا على
ظهرها وركبها (وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ماقال) اى لولم اكفكم وامنعكم عنه
حين قال لى الرجل مقالته السيئة (فقتلتموه دخل النار) عقوبة له باساءته على النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وشبه المال لخسة الدنيا عنده بالقمامة وشبه نفسه بالرجل
وشبه الاعرابى بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة لما غضبوا وقاموا له بالناس التابعين
لها الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله خلوا بينى و بينها وفى قوله
فانى ارفق بها منكم بيان لانه اعظمهم رفقا واقواهم شفقة على خلق الله تعالى
وهو تشبيه فى اعلى طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعانى اللطيفة قيل ويحتمل ان
الرجل انما قال اولا ما قال ليطلع على حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه سمع صفاته
من اهل الكتاب والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم علم بذلك وقيل ان جزمه بدخوله
النار لكفره بما قاله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والنبى تلطف به حتى امن ونجا من
النار فتأمل وهذا الحديث رواه البزار وابو الشيخ بسند ضعيف عن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه وابن حبان فى صحيحه وابن الجوزى فى الوفا (وروى عنه) بالبناء

للمجهول وضمير عنه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والراوى له ابو داود والترمذى عن ابن مسعود وفى نسخة وروى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لايبلغنى احد منكم عن احد من اصحابى شيئا) هذا نهى عام من الغيبة و النميمة ونقل مايكره نقله من قول اوفعل اوترك (فانى احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر) سلامة الصدر كناية عن كونه ليس فى قلبه بغض لاحد ولاغضبان على احد ومثله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له سليم القلب قال الله تعالى * الامن اتى الله بقلب سليم * اى برئ من الكفر والنفاق وهذا معنى آخر و قد صح عن انس فيما رواه ابن مسعود قال قسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار والله ما اراد محمد بهذا وجه الله فاتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فتمعر وجهه وقال رحمه الله اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر رواه البخارى والمراد سلامة صدره للمنقول عنه اوالناقل كما قيل سبك من بلغك والاول ابقاؤه على اطلاقه ليشملهما وغيرهما وكل من النميمة و الغيبة حرام الا فى اماكن استثناها الفقهاء

وقد نظمها الجوجرى من فقهاء الشافعية فى قوله

* بست غيبة جازت فخذها * منظومة كامثال الجواهر *
* تظلم واستغث واستفت حذر * وعرف واذكرن فسق المجاهر *

ويأتى لذلك مزيد بيان ايضا (ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته تخفيفه) عنهم التكاليف الشاقة التى كانت فى الامم السابقة ورجاؤه صلى الله عليه وسلم من ربه ان يجعل الصلاة خمسا بعد ما كانت خمسين (وتسهيله) فى امورهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لبدنك عليك حق ولزوجك عليك حق لمن اراد قيام الليل كله (وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم) الكراهة والكراهية من المكروه ضد المحبوب والكره ضد الطوع والمخافة بمعنى الخوف منصوب على انه مفعول له ثم بين ذلك بقوله (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لولا ان اشق على امتى) اى لولا مخافة المشقة عليهم (لامرتهم بالسواك) اى امر ايجاب والا فامر الاستحباب ورد فى الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالسواك واستاكوا حتى تمسك بهذا الحديث بعضهم فجعله واجبا ورد بهذا الحديث فهو سنة واختلف فى محل سنيته فى الوضوء فقيل حال المضمضة وقيل قبل الوضوء وقيل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لامن سنن الوضوء كما اختاره الزيلعى رحمه الله تعالى والسواك مصدر بمعنى الاستياك واسم العود نفسه والمراد هنا الاول اوالثانى بتقدير مضاف اى استعماله وهو مذكر وجوز بعض اهل اللغة تأنيثه (مع كل وضوء) و فى مسلم عند كل صلاة وهذا الحديث رواه اصحاب الكتب الستة والوضوء بضم الواو مصدر وبفتحها ما يتوضأ به كالطهور واجاز بعضهم فى المصدر الفتح وقد جاء فى المصادر الفتح ايضا وقال

ابو شامة رحمه الله تعالى فى كتاب السواك السواك مأخوذ من قولهم تساوكت الابل اذا اضطربت من الهزال فيما قلقت من الضعف لما فيه من الحركة وقوله مع كل وضوء روى مع كل صلاة وعند كل صلاة كما علم وهل هو عام لكل صلاة فرضا اونفلا اوالصلوات الخمس ذهب الى كل جماعة وقال الشافعى احب السواك للصلاة وعند كل حال تغير فيها الفم كالاستيقاظ من النوم وهو يشمل الصائم وفيه كلام للفقهاء فيكره له بعد الزوال فلا يحصل له تغير بنحو نوم بعده ورواية الموطأ مع الوضوء قال ابو شامة يحتمل معنيين اى لامرتهم بالسواك مصاحبا للوضوء اولامرتهم به كما امرتهم بالوضوء وله فيه كلام طويل وقوله (وخبر صلاة الليل) هو ما قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريجه لاحاديث الشفاء ومن خطه نقلت عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال احتجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حجيرة بخصفة اوحصير فى المسجد فى رمضان فخرج فصلى فيها قال فسمع رجال وجاؤا يصلون بصلاته قال ثم جاؤا فحضروا فابطأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يخرج اليهم فرفعوا اصواتهم وحصبوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم مازال بكم صنيعكم حتى ظننت انه سيكتب عليكم فعليكم بالصلوة فى بيوتكم فان خير صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة رواه الشيخان وفى رواية خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا عنها انتهى وهذا هو المناسب للمقام ولما قبله واليه اشار السيوطى ايضا فى مناهل الصفاء فى تخريج احاديث الشفاء لا ما قيل انه اراد به حديث صلاة الليل مثنى مثنى وبه استدل على ان الافضل فى النفل ليلا ان يكون ركعتين ركعتين وعند حنيفة رحمه الله تعالى الافضل ليلا ونهارا الاربع لدليل لاح له وقد علمت ان الاول هو المناسب هنا و يناسبه ماروى خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم وهذا هو الذى قاله التلمسانى فى حواشيه ايضا فان قلت كيف يخشى صلى الله تعالى عليه وسلم افتراضه بعد فرض الصلاة فى الاسراء وقول الله لا يبدل القول لدى قلت قيل يحتمل ان الله اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة بجماعة افترضتها عليهم اوانه وقع فى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك اوالمعنى انى خشيت ان تظنوها فرضا اذا داومت عليها ولا يخفى بعده وان قيل ان ما فى الاسراء هى وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان او انه لما كان قيام الليل فرضا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم خشى ان يستوى به غيره من الامة وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا واظب على شئ من اعمال البر واقتدى الناس به يفترض وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم واظب على اشياء كثيرة ولم يفترض كرواتب الفرائض والسنن المؤكدة وقيل ان المراد بالفرض فرض الكفاية وقول الكرمانى ان قوله لا يبدل القول لدى معناه نفى النقص لان الزيادة بعيد جدا وهذا لا يقبل النسخ لانه خبر واحتمال انهم لرغبتهم فى العبادة يفرضون ذلك على انفسهم كالنذر فيشق على

من بعدهم بعيدا ايضا وعلى كل حال فالقيام لا يخلو من الاشكال (ونهيهم) مصدر مضاف للمفعول اى نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة رضى الله تعالى عنهم (عن الوصال وكراهته) لهم والوصال فى الصوم وهو ان يصوم يومين فاكثر من غير اكل وشرب بينهما ونهيه عن الوصال ثابت فى الصحيحين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما واصل واصل الناس وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم عنه فقالوا له انك تواصل فقال انكم لستم مثلى انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فمن خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجوز له الوصال ويمنع منه غيره واختلف فيه هل كراهته تحريمية او تنزيهية او يفرق بين من يطيق ومن لا يطيق وعلم من الحديث وجه اختصاصه ومعنى كون الله يطعمه ويسقيه انه يعطيه قوة روحانية ويغذيه بانوار ربانية بحيث لا يضعف بدنه بترك الطعام والشراب بل يزداد قوة وذلك باتصال روحانية بعالم الغيب حتى يحصل له بدل ما يتحلل بحيث لا يشعر وليس هذا حاصلا له فى كل الاوقات الا ترى ان المريض مدة طويلة لا يأكل ولا يشرب ولو فعل ذلك فى حال صحته لم يطقه لاشتغال روحه عنه وقد اتفق على هذا علماء الشرع والحكماء كما فصله ابن سيناء فى مقامات العارفين فلا يرد عليه انه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه والترمذى الحكيم لما لم يقف على هذا انكره لتوهم ان بين الحديثين تنافيا حتى ادعى انه تصحيف وتحريف ممن رواه وانما هو الحجز بضم الحاء المهملة وفتح الجيم والزاى المعجمة جمع حجزة وهى مرتفقة فى الحزام وقال ما يغنى شد الحجر ولم يدر انه بثقله وبرده يجمع الامعاء ويبردها ويقيم الصلب الضعيف وانكاره للحديث الصحيح وحمله على غير ظاهره كما قيل بان يغذيه حقيقة من طعام الجنة يأباه المقام لانه كذلك لم يكن وصالا (وكراهته دخول الكعبة) اى من شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على امته كراهته دخول الكعبة فى الحديث الذى رواه ابوداود والترمذى عن عايشة رضى الله تعالى عنها وصححاه وكذا رواه ابن خزيمة والحاكم عنها مصححا مسندا وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من عندها وهو قرير العين ثم رجع وهو كئيب محزون فسألته عن ذلك فقال خشيت ان اكون شققت على امتى اى بدخولى البيت وكان ذلك فى حجة الوداع وكانت عايشة رضى الله تعالى عنها معه وبهذا جزم الطبرى والبيهقى واختلفوا هل صلى فيه ام لا وفى بعض شروح البخارى يحتمل ان يكون دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الكعبة وقع مرتين صلى فى احديهما ولم يصل فى الاخرى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل الكعبة متفق عليه قال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة رضى الله تعالى عنهم واغلقوا عليهم الباب فلما فتحوه كنت اول من ولج فسألت

بلالا هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قال نعم بين العمودين اليمانيين فكان ابن عمر اذا دخل مشى قبل الوجه ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة اذرع فيصلى يتوخى المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا بأس على احد ان يصلى فى اى جهة شاء وهذه الرواية مرجحة على رواية اسامة بن زيد انه دعا فيه ولم يصل لان المثبت مقدم على النافى لزيادة علمه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قدم مكة بعد الهجرة ثلاث مرات الاولى فى عمرة القضاء ولم يدخل فيها الكعبة لما فيها من الاصنام والكفر باق بها والثانية فى فتح مكة وفيها دخل الكعبة وامر باغلاق بابها فلبث فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله بن عمر فاقبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خارجا وبلال على اثره فقلت له هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال نعم قلت اين قال بين العمودين تلقاء وجهه ونسيت ان اسأله كم صلى والثالثة فى حجة الوداع واختلف فى انه دخل الكعبة فيها ام لا وانما كره دخولها فى حجه لئلا يجعله الناس من المناسك اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد لا يتيسر لهم ذلك وقد اختلفوا فى كونه من المناسك والصحيح انه ليس منها تمسكا بهذا الحديث وقوله (لئلا تعنت امته) بتائين مفتوحتين وعين مهملة مفتوحة ونون مشددة ومثناة فوقية تفعل من العنت وهو المشقة والاثم ووقع فى بعض النسخ تتعب من التعب كما قاله التلمسانى وامته فاعل عليهما وروى يعنت بضم التحتية وسكون العين وكسر النون من اعنته بمعنى عنته وامته منصوب مفعول وبالتحتية والتشديد ايضا ونصب امته ففيه وجوه مروية (ورغبته) اى طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يجعل سبه لهم) اى لامته اى لاحد منهم (رحمة بهم) والسب والشتم بمعنى واصله من السبة وهى مخرج البعر من الدبر فنقل لما ذكر وسيأتى بيان هذا (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبى) وهو فى صلوته (فيتجوز فى صلوته) التجوز تفعل من الجواز والمراد به هنا انه يخففها ويسرع فيها مستعار من تجوز عن ذنبه اذا لم يؤاخذه به كتجاوز او هو من الجواز فى السير والصبى المراد به الطفل الرضيع وهذا رواه ابن السنى فى حديث صحيح عن انس رضى الله تعالى عنه كما قاله السيوطى وروى الشيخان عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انى لادخل فى الصلوة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى مما اعلم من شدة وجدامه من بكائه ولا دليل فيه على جواز دخول الصبى والنساء فى المسجد لاحتمال ان يكون ذلك من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه ايضا على جواز تطويل الصلوة لاجل من يلحق الجماعة كما قيل والمراد بالتخفيف ما لا يؤدى الى عدم تعديل الاركان والاخلال بالواجبات كما لا يخفى (ومن شفقته صلى الله تعالى

عليه وسلم) على امته ورحمته لهم (ان دعا ربه وعاهده) هذا مفسر لما مر
ولو اقتصر على هذا كان اخصر واظهر والمراد بالمعاهدة الزام مالا يلزمه شرعا
كالنذور كما قاله الراغب اى دعا بذلك ونذر قصده ماذكر (فقال ايما رجل سببته
او لعنته) تفسير لما دعا به وعاهد الله عليه واللعن اصل معناه الطرد والابعاد ثم
خص بالبعد من رحمة الله (فاجعل ذلك) السب واللعن (زكاة) اى تطهيرا له
مما ارتكبه مما اقتضاه (وصلوة ورحمة وطهورا) اى مطهرا له من ذنوبه (وقربة
تقربه بها اليك يوم القيامة) كما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه
وروى هذا الحديث من طرق اخر فيها ايما رجل من المسلمين او من المؤمنين وروى
او جلدته ومعلوم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله
فاذا رأى احدا من المؤمنين وقع منه ما يخالف امر الله ربما حصلت له غيرة لامر الله
فبادر بزجره وشتمه او ضربه ثم انه رجا من الله ان يكون ذلك مكفرا لما صدر منه
ورحمة عظيمة مقربة له من الله لان المؤمن اذا رأى غضب النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم حصل له خوف شديد يعنت قلبه فتكون شدة خوفه جزاء عمله وزجر
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة فى حسناته تقربه من ربه وهذا لا ينافى ماورد
فى حديث آخر * انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة * اما لان المنفى هنالك
المبالغة والكثرة ان لم نقل المبالغة فى النفى فان قلنا بها فالمعنى انه ليس هذا مقصودا
من بعثته فلا ينافيه وقوع ما يخالفه للتأديب نادرا واما حمل ما صدر منه صلى الله
تعالى عليه وسلم على ما قبل البعثة ينافيه قوله من المؤمنين او المسلمين وسياق الحديث
فى قوله جلدته يأباه او انه لما رجا من الله ان يكون ذلك رحمة لهم لم يكن لعنا حقيقيا
بل رحمة فلا لعن منه لاحد من امته اصلا وبالجملة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم
رحمة واذيته نعمة لا نقمة بخلاف غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان دعاءهم
نقمة عاجلة على اممهم وفى المصابيح ان الله اجاركم ان لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا
وسيأتى تتمة لهذا فى القسم الثالث فصار دعاؤه عليهم دعاء لهم على حد قولهم
قاتلهم الله وتربت يداه وفى هذا نهاية الشفقة واول الحديث * اللهم انما محمد بشر
يغضب كما يغضب البشر وانى اتخذت عندك عهدا لن تخلفه فايما رجل الى آخره *
وهذا كما مر لا ينافى دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض الكفرة والمنافقين
(و) من عظيم شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشار اليه بقوله و (لما كذبه
قومه اتاه جبريل عليهما الصلوة والسلام فقال ان الله قد سمع قول قومك لك
وماردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم
عليه وقال مرنى بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يعبد الله وحده

لا يشرك به شيئا) هذا الحديث رواه الشيخان واصحاب الكتب الستة وكان ذلك
لما مات ابو طالب ونالت قريش منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم تنله فى حياته فخرج
لثقيف ومعه زيد بن حارثة يلتمس النصرة منهم والمنعة فعمد الى نفر من رؤسائهم
فجلس اليهم وكلمهم ودعاهم الى الاسلام فكذبوه وسلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم
فجعلوا يسبونه ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة حتى ادموا رجليه وهم يضحكون
وزيد رضى الله تعالى عنه يقيه بنفسه حتى انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم الى حائط
استظل بكرمه وهو مكروب موجع فاذا بقرب الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما
رأهما كره ذلك لما يعلم من عداوتهما له فرحماه ودعوا غلاما لهما يقال له عداس
وقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى طبق واذهب به له ليأكله فلما وضعه
قال صلى الله تعالى عليه وسلم بسم الله ثم اكل فقال الغلام ان هذا الكلام لا يقوله
اهل هذه البلاد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم من اى البلاد انت وما دينك
قال نصرانى من اهل نينوى فقال من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال
وما يدريك يونس قال ذاك اخى من انبياء الله فانكب يقبل رأسه ورجليه فلما رجع
قالا له مالك قبلت رجليه قال ما فى الارض خير من هذا لقد اعلمنى بامر لا يعلمه الا
نبى فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم
ان هذا من اشد ما لقيته والقصة مفصلة فى السير وقوله وما ردوا عليك اى
ما اجابوك به وماردوا قولك وخالفوك اذ كذبوك وقوله فناداه ملك الجبال اى قال له
يا رسول الله السلام عليك وقوله اطبق بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر
الموحدة مخففة ومشددة وقاف اى اضمهما واجمعهما حتى يهلكوا تحتهما
وملك الجبال هو الموكل بها بامر الله والاخشبين تثنية اخشب بخاء وشين معجمتين
وموحدة بزنة افعل جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمنى فيقال اخشبا مكة واخشبا منى
وهما ابو قبيس وقعيقعان بالتصغير ويسميان الجبجبان وهما تحت العقبة التى بمنى
فوق المسجد كما قاله البرهان الحلبى وقعيقعان هو الجبل المشرف الاحمر ولهم
قعيقعان آخر بالبصرة وسميا اخشبان لغلظ حجارتهما وخشونتهما واصلاب جمع
صلب الظهر والمراد بالاخراج منها ان يخلق لهم نسل وذرية وقد حقق الله رجاءه
صلى الله عليه وسلم (وعن ابن المنكدر) وفى نسخة وروى ابن المنكدر هو محمد بن
المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزيز المدنى توفى سنة ثلثين او احدى
وثلثين ومائة وهم ثلثة اخوة وكان يدخل على عايشة رضى الله عنها وهو تابعى
وقد تقدم قبوله (ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال للنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم) باسقاط الصحابى فهو مرسل قال البرهان وانما يكون مرسلا اذا قلنا ان الصحابى
اذا قال قولا لا مجال للاجتهاد فيه يكون مرفوعا كما ذكره الامام الشافعى رضى الله

تعالى عنه فيكون ماقاله التابعى مرسلا وفى بعض الشروح نعم هومرسل الا ان ارساله لايمنع من قبوله اذ مرسل اصحاب القرون الثلثة مقبول عندنا وعند مالك بل هو فوق المسند لبرهان قام عليه عنده وعند الشافعى مرسل الصحابى مقبول لكنه دون المسند وفى التنقيح الاصولى حكاية قبول مرسل الصحابى بالاجماع وفيه نظر لمخالفة ابى اسحاق الاسفرائنى فيه كما نقله العراقى وقيل انه خلاف طرا بعد انعقاد الاجماع فى العصر الاول ومثله لايضر وفيه نظر ولنا فى اطلاق هذه المسئلة بحث ذكرناه فى حواشى النخبة (ان الله امر السماء والارض) والجبال (ان تطيعك) المراد باطاعة السماء له صلى الله تعالى عليه وسلم انه ان اراد ان تخر صواعقها على من عصاه فتهلكهم كان ذلك والارض ان اراد خسفها بهم وانطباقها عليهم كان ذلك من غير مهلة ووحد ضمير تطيعك مع عوده على شيئين معطوفين بالواو لجعلهما كشئ واحد لتأويلهما بالعالم اوالدنيا وكان الظاهر تطيعاك وفى بعض النسخ والجبال وعلى هذا لاحاجة الى التأويل لان الجمع يجوز عود ضمير المؤنث المفرد عليه وفى مراعاة النظير وحسن الترتيب اى بان تطيعك فى كل ما تريد (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اؤخر عن امتى لعل الله ان يتوب عليهم) وجاء انهم يتوبون عن مخالفتى ويوفقهم للايمان فيتوبون ويقبل الله منهم ذلك اويكون منهم من يعبد الله ولايشرك به واصل معنى التوبة الرجوع فهى من العباد الرجوع عن المعاصى ومن الله قبول ذلك اومن الرجوع عن الغضب عليهم والعقوبة لهم ولامنافاة بين هذا وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولابين ماوقع منه صلى الله تعالى عليه سلم فى غزواته من القتل والسبى كما توهم لانه عذاب مخصوص ولان التأخير لاينافى ماوقع كما لايخفى والاحسن ان جوابه معلوم من قوله الآتى مالم يكن اثما فتدبر (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما) تقدم هذا الحديث وانما اعاده هنا تأييدا لما قبله وايسرهما اى اسهلهما واهونهما على الامة شفقة ورحمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وبقية الحديث (مالم يكن اثما) فان كان اثما كان ابعد الناس منه كما سيأتى وكذا رواه الشيخان وتقدم الكلام عليه (وقال ابن مسعود رضى الله عنه) فى حديث رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة) بفتح المثناة التحتية وفتح التاء الفوقية والخاء المعجمة والواو المشددة المفتوحة واللام والضمير للصحابة اى يتعهدنا يقال فلان خائل مال وهوالذى يصلحه ويقوم عليه ومنه الخولى لراعى الغنم والمواشى وقيل الصواب يتحولنا بالحاء المهملة اى يطلب الحال التى تنشط فيها الاستماع الموعظة فيعظ فيها ولايكثر منها (مخافة السآمة علينا) اى لئلا نكل ونسأم وقيل

انه يتخوننا بنونين اى يتعهدنا كما يتعهد الضيوف بالخوان والمائدة والرواية الصحيحة بالاعجام مع اللام والنون كما مر وكان فعل ماض اذا اخبر عنه بالمضارع الدال على الاستمرار التجددى دل على التكرار عرفا والموعظة مصدر ميمى بمعنى الوعظ وهو التذكير والتخويف من سوء العاقبة ومخافة منصوب مفعول له وهومصدر بمعنى الخوف كما مر والسآمة الملل وعلينا متعلق بمخافة وتعلقه بالسآمة بتضمين المشقة تكلف وان جاز وقيل انه حال من السآمة وهوالارجح اوصفة لانه فى معنى النكرة كقوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وفى افادته كان التكرار كلام مفصل فى كتب الاصول (وعن عائشة رضى الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة) اى شدة بحيث لاينقاد لراكبه اذا اوقفه واذا اسيره (فجعلت تردده) اى تمشى به وترجع واصل التردد عدم البقاء على حالة ومنه تردد الانسان فى الاماكن لحاجة تعرض له ومنه التردد فى الخواطر وانما فعلت ذلك لتروضه حتى ينقاد لها (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة (عليك بالرفق) اى استمسكى بالرفق فى امورك ولاتتبعى الدابة التى ركبت ففيه دلالة على شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على خلق الله حتى الحيوانات وعليك بكسر الكاف اسم فعل يتعدى بنفسه وبالباء كما ذكره النحاة والبعير بفتح اوله وبكسر وكذا كل فعل ثانيه حرف حلق ويطلق على الجمل والناقة وقيل هوالجمل البازل وهو الموافق للاستعمال وهذا الحديث اخرجه البيهقى فى سننه عن المقدام عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها انها كانت على جمل فجعلت تضربه فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ياعائشة عليك بالرفق فانه لم يكن فى شئ الازانه ولانزع من شئ الاشانه وختم بهذا الحديث لمافيه من العموم فهوكالفذلكة لهذا الفصل ❊ فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم فى الوفاء) هوضد الغدر ونقض الذمة (وحسن العهد) اى ماعهد عليه والتزمه وهوعطف تفسير لماقبله (وصلة الرحم) هوالاحسان الى الاقارب والاصهار والرفق بهم وعفوزلاتهم ونصحهم والتودد اليهم وضده قطع الرحم وهذا اذا لم يكونوا كفارا اعداء لله كابى لهب وابى جهل والرحم اصله مقر الولد ثم استعمل بمعنى القرابة بعيدة اوقريبة بواسطة وبدونها (حدثنا القاضى ابوعامر محمد بن احمد بن اسماعيل) بن ابراهيم الامام المحدث الطليطلى ولد سنة ست وخمسين واربعمائة ومات بقرطبة فى ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة (بقراءتى عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد) تقدم (قال حدثنا ابواسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة وهو ابراهيم بن سعيد بن عبد الله المهدى الثقة المشهور وقد تقدم (قال حدثنا ابو محمد بن النحاس) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابى) تقدم ايضا قال (حدثنا ابوداود) صاحب السنن المشهور وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن يحيى) بن عبد الله بن خالد بن فارس النيسابورى الامام الحافظ الجليل القدر توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين اخرج له

اصحاب السنن وغيرهم قال (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين ونونين بينهما الف العوقى بفتح العين المهملة والواو وتسكن وبالقاف نسبة للعوق بطن من عبد القيس غير مشهور قال (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وهو الامام ابو سعيد الخراسانى المشهور روى عنه اصحاب الكتب الستة توفى فى بضع وستين ومائة وترجمته مبسوطة فى الميزان (عن بديل) بضم الموحدة وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة التحتية ولام ابن ميسرة الفضل (عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق) العقيلى الامام الثقة (عن ابيه) عبد الله بن شقيق الامام المعروف توفى فى زمن الحجاج (عن عبد الله بن ابى الحمساء) بحاء مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة ومدة العامرى الصحابى وفى المقتنى انه غير ابى الجدعاء وسيأتى حديثه فى انتظاره عليه الصلوة والسلام الى يوم ثالث وشقيق ولد عبد الله اخرج له ابو داود فقط قاله المزى بعدان بين طرقه عند ابى داود وليس هو عند غيره وذكر كلام ابى داود الذى نقله عن محمد بن يحيى شيخه وذكر زيادة على ما فى نسخة عندى من السنن والظاهر انه من بعض النساخ وليس هو من كلام ابى داود ما لفظه كذا وهو من زوائده ورواه عثمان بن خرزاد عن محمد بن سنان هكذا وقال قال عبد الرحمن بن مهدى ما اظن ابراهيم بن طهمان الا اخطاء فى عبد الكريم وانما هو عبد الكريم بن عبد الله ابن شقيق عن ابيه عن ابى الحمساء ورواه ابو عون الزيادى عن ابراهيم بن طهمان فلم يذكر عبد الكريم فى اسناده وقال عن بشر بن السرى رواه عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق وقال البزار اظن فيه غلطا من الناقل لان شقيقا والد عبد الله جاهلى لا اعلم له اسلاما انما عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه قال اذ لا نعلم انه روى عبد الله بن ابى الحمساء الا هذا الحديث ووقع فى الشفاء نسختان احديهما الخنساء بمعجمة ونون والاخرى وعن ابى الحمساء باسقاط عبد الله والاولى تصحيف والثانية خطاء لان ابا الحمساء لا اسلام له ولا رواية وانما الرواية لولده عبد الله بن ابى الحمساء انتهى (قال بايعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) اى باع مبيعا للنبى صلى الله عليه وسلم (قبل ان يبعث وبقيت له) اى لذلك المبيع (بقية) لم تسلم له (فوعدته ان آتيه بها فى مكان) اى فى مكان وقع فيه البيع (فنسيت) الوعد الذى جرى بيننا (ثم ذكرت بعد ثلاث) اى ثلاثة ايام ولم يقل ثلاثة لان المعدود اذا حذف يجوز تذكيره مع المذكر وتأنيثه مع المؤنث كما قالوه فى قوله صلى الله عليه وسلم واتبعه ستا من شوال وانما تلزم قاعدة العدد اذا ذكر المعدود (فجئت فاذا هو فى مكانه) اى مستقر صلى الله تعالى عليه وسلم فى مكانه لم يفارقه (فقال يا فتى لقد شققت على انا ههنا منذ ثلاث انتظرك) وفى هذا الحديث دليل على وفائه صلى الله تعالى عليه وسلم بعهده ووعده وهذا الحديث رواه ابو داود وهو من افراده واخرجه ايضا ابن مندة فى المعرفة

والخرائطى فى مكارم الاخلاق (وعن انس رضى الله تعالى عنه كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتى بهدية) مبنى للمجهول اى اتاه احد بهدية (قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) لم يسمها الرواة لعدم تولق غرض بتعيينها (فانها كانت صديقة لخديجة) رضى الله تعالى عنها وفى رواية (انها كانت تحب خديجة) وهذا الحديث رواه البخارى فى الادب المفرد (وعن عايشة رضى الله تعالى عنها انها قالت ماغرت على احد) وفى نسخة امرأة من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ما غرت على خديجة) يقال غار الرجل والمرأة اذا غضب من فعل يقتضى امرا لا يرضاه وغيرتها كانت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة محبتها له وارادتها انصرف محبته لها دون غيرها وهذا امر طبيعى لا لوم فيه واما كون الغيرة من خديجة فلا وجه له بعد موتها (لما كنت اسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم يذكرها) تعليل للغيرة وما مصدرية اى لسماعى ذكرها ولو شددت لما جعلت حينية جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى على اصلها وقيل انها بمعنى الباء كما فى قوله اركب على اسم الله وقال اى المصنف فى الاكمال مغاضبة عايشة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغيرة التى عفى عنها النساء حتى ذهب مالك الى اسقاط الحد عن المرأة اذا قذفت زوجها غيرة منها ولولا هذا لكان على عايشة رضى الله تعالى عنها فى مغاضبتها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم الحرج لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها معفوة عند الله وفى الشرع (وان) بكسر الهمزة وسكون النون وهى مخففة من الثقيلة (كان ليذبح الشاة) ليس المراد انه يذبحها بنفسه (فيهديها) بضم الياء الاولى والمراد انه يهدى منها او يهديها تمامها والظاهر الاولى لانه فى الحديث فيهدى لمن يشبعها ويشبههن (الى خلائلها) بالخاء المعجمة جمع خليلة بمعنى الصاحبة والصديقة (واستأذنت عليه) اى طلبت الاذن فى الدخول له (اختها) اى اخت خديجة وهى هالة بنت خويلد بن اسد وهى ام ابن العاصى ابن الربيع الصحابية المشهورة رضى الله تعالى عنها (فارتاح اليها) اى حصلت له صلى الله تعالى عليه وسلم راحة اذ دخلت عليه واظهر البشر والمسرة برؤياها وهذا الحديث فى البخارى وفى رواية ارتاع بالعين بدل ارتاح بمعنى مال اليها واعجبه مجيئها مجازا (ودخلت عليه امرأة فهش لها) اى تبسم قليلا واظهر المسرة بدخولها كما يفعل الناس باصدقائهم ومن يحبونهم يقال يهش ويبش به اذا فعل ذلك استيناسا ويقال هو هش بش اذا كان طلق المحيا غير عبوس شامخ لانف كما يفعله المتكبرون (واحسن السؤال عنها) فيه مضاف مقدر بقرينة المقام وال فى السؤال للعهد او بدل من المضاف اى احسن اليها بسؤاله عن حالها وما هى عليه كما تقول لمن يزورك ما حالك وما انت عليه تلطفا به واعتناء بشانه كما هو عادة الناس

لمن يحبونه ووقع فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها كيف حالكم كيف
انتم فقالت بخير وهو مفسر لماهنا (فلما خرجت) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم
وذهبت من مجلسه (قال) بيانا لسبب معاملته معها وهى امرأة اجنبية (انها كانت
تأتينا ايام خديجة) اى انها كانت فى حياة زوجته خديجة تدخل منزله صلى الله
عليه وسلم لانهما من معارفها واصدقائها (وان حسن العهد) اى رعاية العهود القديمة
ورعاية من يحبك او يحب من يحبك (من الايمان) اى من شعب الايمان ومقتضياته
لان من كمال الايمان مودة عباد الله ومحبتهم كما انه من تعظيم السيد اكرام عبيده ومناسبة
هذا لما عقد له الفصل ظاهرة (ووصفه بعضهم) اى وصف بعض الصحابة النبى
صلى الله عليه وسلم فقال (كان يصل ذوى رحمه) اى من صفته التى كانت منه دائمة
وكان يدل على التكرار والدوام كثيرا وان لم يكن موضوعة لذلك نحو وكان حاتم يقرى
الضعيف وكان الله غفورا رحيما كما فصل فى الاصول اى يحسن اليهم و يوادهم ولما كان
هذا يوهم لاختصاص بهم احترس عنه فقال (من غير ان يؤثرهم) اى يخصهم و يقدمهم
(على من هو افضل منهم) من سائر الناس وهذا ايضا من حسن العهد (وقال النبى
صلى الله عليه وسلم ان آل بنى فلان ليسوا لى باولياء) الاول بمعنى الاهل والاتباع وفلان
كناية عن الاعلام التى للعقلاء والمراد به هنا كما مر ابو العاص بن امية بن عبد شمس
ابن عبد مناف والكناية من الراوى لا من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم وابو
العاص هو ابو الحكم بن ابى العاص وكان منافقا فى اول امره ثم حسن اسلامه وهو
عم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وما ذكر كذا هو فى نسخة البرهان الحلبى
قال ابن قرقول وفى الحديث المشهور ان آل ابى ليسوا باوليائى بفتح همزة ابى وبعده
بياض فى الاصول كانهم تركوا من الاسم بقية وعند ابن السكن ان آل ابى فلان بالكناية
عن ذكر وفى بعض الروايات اسقاط آل والاولياء جمع ولى وهو القريب ومن يتولى
امره اى لا اتولاهم ولا احسبهم من اوليائى لما علمت منهم والمراد به القدح كقوله تعالى
ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم اى لا مولى لهم ولا ناصر
(غير ان لهم رحما) اى قرابة (سأبلها ببلالها) لان ابا العاص احد بنى امية وهم قريبون
منافقون وولد امية العاص وابو العاص والعيص وابو العيص وهم الاعياص
وحرب وابو حرب وسفيان وابو سفيان واسمه عنبسة وعمرو وابو عمرو وابو سفيان
هذا هو صخر بن حرب بن امية وهو غير ابى معاوية رضى الله تعالى عنهما وقوله
سأبلها اى سأصل رحمها بصلتها اللائقة بها والبلال بكسر الباء الموحدة مصدر
كالقتال او جمع بلل كجمل وجمال وهو الافصح والاصح رواية وروى بفتح الباء ايضا
والمعنى واحد وهو الرطوبة والنداوة وهو كل ما يبل الحلق من المايعات كالماء واللبن
فاستعير للصلة والاحسان كما استعير اليبس للقطيعة والشح وفى الحديث بلوا

ارحامكم ولو بالسلام لان الرطوبة والنداوة تجمع الاشياء واليبوسة تفرقها وايضا
ان بل الارض جعلها منبتة فاستعيرت لما ذكر لتأليفها للقلوب وتنمية المودة كما قال
* كيف اصبحت كيف امسيت مما * ينبت الود فى قلوب الرجال *
ففيه استعارة مصرحة او مكنية وتخييلية (وقد صلى صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى دخل فى الصلاة (بامامة) بضم الهمزة وميمين (ابنت ابنته زينب) اكبر بناته
صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجرة وتزوجها ابو العاص بن الربيع
لا ابن ربيعة كما فى البخارى فانه غلط مشهور وولد له منها امامة وكان صلى الله
تعالى عليه وسلم يحبها وتزوجها على كرم الله وجهه بعد فاطمة رضى الله تعالى
عنها ثم تزوجها بعده المغيرة بن نوفل فماتت عنده قال البرهان الحلبى ليس لزينب
بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا لرقية ولا لام كلثوم عقب وانما
العقب لفاطمة رضى الله تعالى عنها ولذا سادت جميع بناته وامها خديجة
وهى سيدة نساء اهل الجنة الا مريم وقال السهيلى فضلت عن اخواتها لانها
بضعة منه وزوجة خليفة وام ريحانتيه ولانها اصيبت برزء لا يساويه رزء وهو موت
ابيها صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياتها فصبرت واحتسبت ومن ذريتها المهدى
وهذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه كغيره وفيه كما يأتى انه كان اذا سجد وضعها
واذا قام رفعها المعبر به عن الحمل الآتى وقد اشكل هذا على الفقهاء لان هذه اعمال
كثيرة مبطلة للصلاة فقيل انه من خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه
منسوخ وقيل انه لا عمل له لانها لمحبتها له كانت تتعلق به وتعلو عليه من غير عمل
منه وقوله رفعها ووضعها يأباه وقيل انه كان فى النافلة ضرورة لانه لم يكن ثمه من
يكفيه امرها وقال بعضهم انه كله باطل لانه وقع بعد الهجرة وتحريم الاعمال وكان
فى صلاة الصبح وهو يؤم الناس كما ورد التصريح به فالصواب انه عمل قليل لا يبطل
الصلاة وكانت طاهرة مطهرة ليس معها ما يبطل الصلاة قيل فانما فعل ذلك
صلى الله تعالى عليه وسلم ارغاما للعرب فى عدم محبتهم البنات (يحملها على عاتقه)
اى كتفه وعلى متعلق بيحمل لا حال من امامة او من ضميره كما قيل (فاذا سجد وضعها)
على الارض (واذا قام حملها) بيانا للجواز وقال الخطابى اسناد وضعها وحملها
مجاز فانها كانت آلفة فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة حتى يركع
فيرسلها واذا سجد فعلت كذلك وتقدم ما فيه (وعن ابى قتادة) الصحابى الانصارى
فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف فى اسمه فقيل الحارث بن ربعى بكسر الراء
ابن عمرو وقيل النعمان توفى بالمدينة سنة اربع وخمسين وقيل ثمان وثلاثين وهو
ابن سبعين سنة وروى له احمد واصحاب السنن (وفد وفد للنجاشى) وفد بمعنى
قدم ويخص بقدوم الرسول ووفد بسكون الفاء اسم جمع بمعنى الوافدين والنجاشى

بفتح النون وكسرها و تشديد الياء و تخفيفها و اسمه اصحمه وقيل صحمة بفتح الصاد وسكون الحاء المهملتين وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل خاؤه معجمة وقيل اسمه مكحول ابن صصه وقيل سليم وقيل حازم وهو اسم لكل من ملك الحبشة وكان رضى الله تعالى عنه ممن اعان المسلمين لما هاجروا اليه وكاتب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واهدى له لهدايا وزوجه بام حبيبة رضى الله تعالى عنها وكتب له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاسلم على يد جعفر بن ابى طالب سنة ست وكان بينه و بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محبة عظيمة فلما توفى فى رجب سنة تسع انعاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و صلى على جنازته وبه استدل الشافعى رضى الله تعالى عنه على الصلوة على الغائب على ما تقدم وقصته مشهورة ولما توفى خلفه نجاشى آخر دعاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للاسلام فابى ومات كافر (فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم بنفسه) تواضعا منه وارشاد الغيره (فقال له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اصحابه نكفيك) اى نحن نخدمهم و نكفيك من تعاطى خدمتهم (ف) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و (قال انهم كانوا لاصحابنا) الذين هاجروا لارضهم (مكرمين انى احب ان اكافيهم) اى اجازيهم على اكرامهم لاصحابنا باكرامهم ولا اكرام اعظم من تعاطيه صلى الله تعالى عليه وسلم امورهم بنفسه وهذا الحديث رواه البيهقى فى دلائله مسندا (ولما جئ) مبنى للمفعول اى جاء الصحابة رضى الله تعالى عنهم (باخته من الرضاعة) بفتح الراء وكسرها بمعنى الرضاع (الشيماء) بفتح المعجمة وسكون المثناة التحتية و الميم وهمزة ممدودة و يقال لها الشماء بتشديد الميم من غير يا كما قاله المحب الطبرى ويحتمل ان تكون الشيماء اصلها شماء فابدلت احدى الميمين كما قيل فى اماما ايما فيكون صفة بمعنى ذات شمم ثم نقل وجعل علما لها وهى بنت حليمة السعدية التى ارضعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اختها وزوج حليمة هو الحرث ابن عبد العزى وحليمة اسلمت و عدت من الصحابة على ما يأتى و اسمها جدامة بجيم مضمومة ودال مهملة وقيل حذافة بحاء مهملة وذال معجمة وفاء وقيل خذافة بمعجمتين واختلف فى زوجها ابو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاعة فلم يذكر احد من اهل السير اسلامه ولكن ذكره يونس بن بكير فى روايته فقال حدثنا ابن اسحاق عن ابيه عن بعض بنى سعد بن بكر ان الحارث عبد العزى ابو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع قدم عليه بمكة بعد بعثته فقالت له قريش يا حار مايقول ابنك هذا فقال مايقول قالوا يزعم ان الله يبعث الخلق بعد الموت وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه و يكرم من اطاعه وقد شتت امرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال يابنى مالك ولقومك يشكونك و يزعمون انك تقول ان الناس يبعثون بعد

الموت ثم يصيرون الى جنة او نار فقال نعم ولو كان ذلك اليوم ياابت اخذت بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم وحسن اسلامه وكان يقول حين اسلم لو قد اخذ ابنى بيدى فعرفنى ما قال لم يرسلنى ان شاء الله حتى يدخلنى الجنة انتهى (فى سبايا هوازن) السبايا جمع سبية بمعنى سبية اى مأسورة وهوازن اسم قبيلة من بنى سعد بن بكر سميت باسم لاب الاعلى كتميم وهو هوازن بن نصر بن عكرمة بن حفصة ابن قيس غيلان ابن نصر والمراد بكونها فيهم انها كانت مسبية معهم ايضا (وتعرفت له) يقال تعرف له اذا اعلمه باسمه و شانه فهى اعلمته صلى الله تعالى عليه وسلم انها اخته رضاعا فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم ما علامة ذلك فقالت عضة كنت عضتنيها فى ظهرى فعرف ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقها جواب لما (بسط رداءه) اى فرشه لها لتجلس عليه اكراما لها (وقال لها) بعد ما جلست عنده (ان احببت اقمت عندى) مفعول احببت مقدر تقديره احببت الاقامة عندى وهذا يدل على انها اسلمت كما تقدم (مكرمة محببة) بالنصب على الحالية فيهما ومكرمة بضم اوله وسكون ثانيه وتخفيف رائه اسم مفعول اكرمه اذا فعل به ما يحبه من احسان قولا وفعلا وكذا محببة فانه اسم مفعول من احبه ويقال حبه واحبه بمعنى و الاكثر الافصح فى اسم المفعول ان يكون من الثلاثى فيكثر فيه محبوب و يقل محب لكنه هنا احسن لاقترانه بمكرم و عليه الاستعمال كقول عنترة

*واذا نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم*

وقولها جارية حذبة مكرمة محببة وجبروا ذلك فصاغوا اسم الفاعل من المزيد فقالوا محب ولم يقولوا حاب (او متعتك و رجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها) ورجعت لقومها و تفصيله ما قاله اصحاب السير انه لما قدمت اخته الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى وعرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسها فعرفها و بسط لها رداءه واجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع لقومها و ارضها وان يمتعها بالاحسان اليها فاعطاها عبدا و جارية وقال ابن عبد البر رحمه الله انها اسلمت فاعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم صلة رحم لان الرضاع له حكم النسب والقرابة و اللبن كالابوين (وقال ابو الطفيل) بضم الطاء المهملة وفتح الفاء منقول من مصغر الطفل جعل علما لعامر بن واثلة بالثاء المثلثة الكنانى الصحابى وهو آخر من مات من الصحابة و وقع فى بعض النسخ ابن ابى الطفيل وليس بصحيح كما قاله البرهان الحلبى (رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانا غلام) الغلام كما فى كفاية المتحفظ عن بعض اهل اللغة الصبى اذ فطم الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر حجج وقد يطلق الغلام على الشاب التام الرجولية والمراد هنا الاول (اذا اقبلت امرأة حتى دنت منه) اى قربت من مكانه

الجالس فيه فسرد رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وفى بعض النسخ تأخير قوله وانا غلام عن قوله اذا اقبلت الى آخره وهذا الحديث رواه ابو داود فى سننه بسند حسن فقال حدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابو عاصم قال حدثنى جعفر بن عمارة قال اخبرنا عمارة بن ثوبان ان ابا الطفيل اخبره قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وانا يومئذ غلام احمل لحم الجزور اذا قبلت امرأة وساقه وقوله اذ يحتمل ان يكون ظرفا لرأيت اى رأيته وقت اقبال المرأة ويحتمل ان يكون للمفاجأة بتقدير بينا اى رأيته يقسم لحما وبينا هو كذلك اذا اقبلت الى آخره وهو بمعنى قد والوجه هو الاول وفى هذا دليل على قبول رواية الصغير وفيه كلام مفصل فى مصطلح الحديث قالوا وهذه المرأة هى حليمة امه صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع ومجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الاستيعاب كان فى يوم حنين وقال الحافظ الدمياطى رحمه الله وزوجها لا نعرف له صحبة ولا اسلاما وما قاله ابن عبد البر من انها اتته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وبسط لها رداءه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح وابن جعفر لم يدركها وانما التى جاءته هى بنتها الشيماء واما حليمة فانها جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل النبوة فى زمن خديجة رضى الله تعالى عنها فاعطاها اربعين شاة وجملا ثم انصرفت لاهلها وما هنا يقتضى مجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النبوة بالجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن ومجىء وفدهم وليس كذلك انما هى ابنتها وجوز الذهبى رحمه الله تعالى ان تكون هذه المرأة التى جاءته ثويبة مولاة ابى لهب الآتى ذكرها ويرده انها ماتت سنة سبع قبل هوازن ولما فتح مكة سأل عنها ابنها مسروحا فاخبره وصحح بعضهم خلافه وذهب ابن الجوزى فى الوفاء وصنف الحافظ مغلطاى جزءا فى اسلامها سماه التحفة الجسيمة فى اثبات اسلام حليمة وارتضاه علماء عصره وممن انكره ابو حيان (وعن عمرو بن السائب) عمرو بفتح العين وبالواو وهو ابن واش المصرى وقيل انه عمر بالضم وحذفها قال الحلبى والفتح غلط وصوابه الضم كما ذكره ابن حبان وقال انه من الثقات وروى عن اسامة ابن زيد وروى عنه جماعة واخرج له ابو داود فقط كذا قاله التلمسانى فى حواشيه وهو من اجلة التابعين وهذا الحديث رواه ابو داود بلاغا كما قاله السيوطى فى تخريجه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما) قيل ظاهره ان عمرو شاهد هذه القضية وهو تابعى والحديث من مرسل زيد كما فى سنن ابى داود قال عن احمد بن سعيد الهمدانى قال حدثنا ابن وهب قال حدثنى عمرو بن الحارث ان عمرو بن السائب حدثه انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا الى اخره فلو ذكره المصنف كما قاله ابو داود كان اولى (فاقبل ابوه من الرضاعة) وهو الحارث بن عبد العزى وقد تقدم الكلام فيه

وفى اسلامه وكون الزوج المرضعة يسمى ابا ويثبت بارضاع زوجته معنى له حكم النسب كما ان المرضعة امه لان الفحل محرم وان لم يكن له حكم النسب من كل وجه ولذا ذهب الفقهاء كافة غير الظاهرية والكلام عليه مفصل فى كتب الفروع (فوضع له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بعض ثوبه) وفرشه له فى الارض ليجلس عليه (فقعد عليه ثم اقبلت امه) وهى حليمة كما مر (فوضع لها ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه) يعنى انه اجلس اباه عن يمينه وفرش له جانبا من ثوبه واجلس امه حليمة عن يساره وفرش تحتها جانبا من ثوبه اكراما لهما فلما قدم اخوه وهو عبد الله ابن الحارث ابن عبد العزى لم يبق جانب من ثوبه يفرشه فقام له صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يقصر فى توقيره عن ابويه وفيه دليل على انه يجوز القيام تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا لمن قال انه مكروه مطلقا وللنبى صلى الله عليه وسلم عدة مرضعات منها حليمة هذه وثويبة مولاة ابى لهب الآتية وخولة بنت المنذر بن زيد ابن لبيد وام ايمن وثلاث نسوة من سليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهو احد القولين فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا ابن العواتك وقيل انهن جدات له ومعنى عاتكة متضمخة بالطيب (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يبعث الى ثويبة) علم منقول من تصغير الثوب وهى (مولاة ابى لهب مرضعته) اى جارية معتقة له وابو لهب كنيته واسمه عبد العزى وكنى بذلك لتوقد لونه وذكر بهذه الكنية فى القرآن للاشارة الى انه جهنمى كما مر (بصلة) اى عطية يحسن بها (لها وكسوة) بضم الكاف وكسرها اى ثياب يلبسها (فلما ماتت) بمكة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام (سأل من بقى من قرابتها) اى عمن بقى فهو منصوب بنزع الخافض او تقديره وقال من بقى فهى اما موصولة او استفهامية والقرابة مصدر بمعنى قرب النسب وسمع اسم جمع بمعنى الاقرباء كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا للحريرى اذ انكره وقال لا يقال للاقرباء قرابة وانما يقال ذو قرابة كما قال الشاعر * يبكى عليه غريب ليس يعرفه * وذو قرابته فى الحى مسرور (فقيل لا احد) اى لا احد من قرابتها باق واحد مرفوع بفعل مقدر اى لم يبق احد او مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس او مفتوح اسمها والخبر مقدر عليهما وقوله وكان الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكر من حسن الوفاء وصلة الرحم وفيه من مكارم اخلاقه وحسن عهده صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يخفى وهذا الحديث رواه الواقدى وغيره واما ارضاع ثويبة له صلى الله تعالى عليه وسلم فثابت فى الصحيحين وهى اول من ارضعته مع ابنها مسروح المتقدم ذكره اياما قبل حليمة وارضعت قبله عمه حمزة واباسلمة واختلف فى اسلامها فاثبته بعضهم وعدها فى الصحابة وانكره ابو نعيم وكان ابو لهب اعتقها

لما بشرته بولادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورئى فى المنام وهو يقول خفف عنى العذاب باعتاقى ثويبة لما بشرتنى به وفى السير انه اعتقها قبل ولادته بدهر طويل وهو المروى فى غير السير وفى المواهب ما يخالفه والذى رآه فى المنام بشر حيبة بفتح الحاء المهملة او بكسرها وياء مثناة تحتية وباء موحدة وقيل انه بخاء معجمة وقيل بجيم وهو تصحيف او بسوء حال فهو من الحوبة وهى المسكنة والحاجة قالوا وانقلبت ياء لانكسار ما قبلها او على خلاف القياس وتخفيف عذابه بسبب ما ذكر لا يعارض قوله تعالى فى اعمال الكفرة فجعلناه هباء منثورا * لانه بعد الحشر او لانه لما لم ينجهم من النار فكانه لم يفدهم اصلا وتفصيله فى حواشينا على القاضى (وفى حديث خديجة رضى الله تعالى عنها) الذى رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها بسند صحيح (انها قالت له) صلى الله تعالى عليه وسلم فى ابتداء امره لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام فحصل له به رعب شديد (ابشر) امر بفتح الهمزة وهى همزة قطع يقال ابشر وبشر بمعنى ويجوز وصلها وفتح الشين من بشر يبشر كعلم يعلم وهو امر المقصود منه تعجيل المسرة بالبشرى التى بعده وهو انشاء اريد به الخبر اى انى مبشرة لك والبشرى الخبر السار الذى يظهر اثره فى البشرة (فوالله لا يخزيك الله ابدا) وهذا الحديث تقدم شرحه فى فصل الجود والكرم ومر ان فى يخزيك روايتين ضم الياء واعجام الخاء من الخزى وهو النكال والفضيحة وبه روى لفظ المصنف هنا كما ذكره البرهان الحلبى واهمال الحاء من حزن واحزن وهى دون الاولى فلذا تركها المصنف رحمه الله تعالى وروى لا يخزيك الله ابدا عن الزهرى بزيادة ابدا (انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق) وقد مر ذلك مبينا ﴿ فصل واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾ التواضع بضم الضاد المعجمة اظهار انه وضيع وهو شرف الناس فالصيغة للتكلف فى الاصل (على علو منصبه) قد قدمنا لك ان المنصب فى كلام العرب بمعنى الاصل والحسب كما فى قول ابى تمام * ومنصب نماه * ووالد سماه * وان استعماله فى تولى الاعمال السلطانية كقول ابن الوردى

* نصب المنصب اوهى جلدى * وعنائى من مداراة السفل *

مولد لم يسمع من العرب ولذا عطف عليه قوله (ورفعة رتبته) فهو كالتفسير له والرتبة كالمنزلة رفعة القدر (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس تواضعا) منصوب على التمييز (واقلهم كبرا) وفى نسخة واعدمهم كبرا وفى نسخة بالجمع بينهما وهو افعل تفضيل من العدم وهذا انسب بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم لان اللايق به عدم الكبر لا قلته ووجه هذه البرهان بان القلة بمعنى النفى وقال ابو حيان فى قوله تعالى * فقليلا ما يؤمنون * ان التقليل يرد بمعنى النفى المحض كما فى قولهم

اقل رجل يقول ذلك وقل رجل يقول ذلك وقلما يقوم زيد وقليل من الرجال يقول ذلك وقال الحافظ السخاوى فى كتابه جواهر الدرر فى مناقب شيخه ابن حجر ان ابن حجر رحمه الله تعالى سئل عن هذه العبارة وان بعضهم شنع على المصنف فيها ومحاها من النسخ فاجاب بان الاعتراض باطل لانهم تكلموا على الحديث الذى رواه النسائى عن عبدالله بن ابى اوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لا يلغو اصلا قال ابن الاثير فى النهاية لان قل يستعمل فى النفى كما فى الآية السابقة فمعنى هذه النسخة انه لا يقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كبر اصلا كما فى الحديث الصحيح وليس افعل فيه للتفضيل فانه قد يخرج عنه كما فى قوله تعالى * اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا * ومثله افظ واغلظ فانه بمعنى فظ غليظ اى كامر وقال المصنف فى شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة والقدر الذى فيه منه اغلاظه على الكفرة والمنافقين كقوله تعالى * جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم * لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغلظ عليهم ويغضب عند انتهاك حرمات الله انتهى فقوله اقلهم كبرا بمعنى انتفاء الكبر عنه البتة او يحمل على شدته على الكفار والمنافقين كما فى الذى قبله لان تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ورأفته كانت بالمؤمنين لقوله تعالى * بالمؤمنين رؤف رحيم * وقوله فى التورية ليس بفظ ولا غليظ اى بالمؤمنين ونظيره * اشداء على الكفار رحماء بينهم * بمعنى اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم اعزة على الكافرين منكرين عليهم يعادونهم فلا معنى لمحو النسخ واتلافها انتهى واستدرك عليه عز الدين الحنبلى بان تأويله الشدة والغلظ بكونها على الكفار والمنافقين فيه ان شدته وغلظه على نحو هؤلاء كانت اشد من عمر رضى الله تعالى عنه بلا شك انتهى (اقول الجواب الحق هو الثانى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متخلقا باخلاق الله تعالى ومنها المتكبر فاتصافه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الصفة فى محلها مدح ولذا قيل التكبر على المتكبر صدقة فالتكبر على الكفرة والمنافقين احيانا فى محله ممدوح وهو فى صفاته تعالى ذاتى دائم لا ينازعه احد رداءه الا قصمه الله والجواب الاول تعسف وليس من قبيل قوله * فقليلا ما يؤمنون * واما تأويل التفضيل بالنفى وخلع المفاضلة منه فمجاز على مجاز وضعت على اباله واما اعتراض الحنبلى فلا وجه له ولبعض الشراح والمحشين هنا كلام ركيك تركه خير منه (وحسبك) اى يكفيك فى اثبات ما ذكر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا) بكسر اللام اى سلطانا وخير مبنى للمجهول اى خيره الله على لسان ملائكته فى الحديث المشهور (او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا) فخيره الله بعد تفضيله بالرسالة ان يكون شأنه كالملوك فى اتخاذ الجنود والحجاب والخيول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة العامة

مقام العبودية والخدمة بنفسه فى مهنة اهله تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وزهدا فى الدنيا ولذا وصفه الله تعالى بالعبودية فى عظيم مقاماته كقوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده * وهذا من حديث صحيح رواه احمد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (فقال له اسرافيل عند ذلك) اى حين اختار العبودية على الملك (فان الله قد اعطاك) هذه الفاء فصيحة عاطفة عن مقدر اى اصبت يجزاك الله خيرا من تركته (بما تواضعت له) الباء سببية وما مصدرية اى بسبب تواضعك له (انك سيد ولد آدم) بفتح همزة انك وهى وما بعدها مفعول اعطى والسيد من يفوق غيره فى الشرف وهو يطلق على الله تعالى وعلى غيره فى اصح الاقوال المشهورة وخصه بقوله (يوم القيامة) لانه لا اعلى من هذه السيادة حيث يسود صلى الله تعالى عليه وسلم فيه على الرسل وسائر البشر وفيه نكتة وهى اضمحلال كل ملك لفنائه حيث يقول الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد فى ملكه القهار لسائر مخلوقاته فتدبر (واول من تنشق عنه الارض) معطوف على سيد خبران وانشقاق الارض لخروج الموتى من قبورهم للبعث فلا يتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم احد حينئذ واما حديث فان الناس يصعقون اى يغشاهم غشية كالموت يوم القيامة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادرى اكان ممن صعق اوكان ممن استثنى الله تعالى بقوله الا من شاء الله فلا ينافيه لان هذه الصعقة كما قاله التوربشتى صعقة فزع بعد البعث ويؤيده قوله يوم القيامة (واول شافع) يوم القيامة او فى الجنة لرفع درجات الناس لان مقام الشفاعة متعدد وفى قوله اول اشارة الى ان غيره من الملائكة وغيرهم يشفعون بعد ذلك (واعلم ان سفير الوحى بين الله ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلوة والسلام وعن الشعبى ان اسرافيل عليه الصلوة والسلام كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحى فى اول بعثته ويترائى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشئ ثم وكل به جبريل عليه الصلوة والسلام قال ابن عبد البر فى الاستيعاب انزلت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلوة والسلام ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القرأن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن به جبريل عليه الصلوة والسلام فنزل بالقرأن عليه عشر سنين وفى شرح البخارى لابن السنى ميكائيل بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن ان المشهور ان الذى ابتدأه بالوحى جبريل عليه الصلوة والسلام وانكر الواقدى كون غير جبريل وكل به وقال السيوطى رحمه الله تعالى فى كتاب الحبائك لم اقف على ان جبريل افضل او اسرافيل ثم نقل احاديث متعارضة فى ذلك وفيه ايضا ان اسرافيل نزل عليه صلى الله عليه وسلم بآية ذكرها (حدثنا الفقيه ابو الوليد ابن العواد)

بفتح العين المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة وهو هشام ابن احمد القرطبى وقد تقدمت ترجمته (بقراءتى عليه بقرطبة سنة سبع وخمسمائة) وفى هذه السنة توفى رحمه الله تعالى (قال حدثنا ابو على الحافظ) الغسانى وقد تقدم والحافظ اذا اطلق يراد به حافظ الحديث بالرواية قال (حدثنا ابو عمر) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى الامام الجليل صاحب التأليف المشهورة كما تقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن كما تقدم قال (حدثنا ابن داسة) ابو بكر بن محمد بن بكر وقد تقدم وان داسة بدال وسين مهملتين مفتوحتين بينهما الف قال (حدثنا ابو داود) صاحب السنن المتقدم قال (حدثنا ابو بكر بن شيبة) عبد الله بن محمد بن ابى شيبة العبسى احفظ اهل عصره له ترجمة فى الميزان مفصلة واخرج له الائمة الستة قال النووى ابو بكر بن ابى شيبة منسوب الى جده هو عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن خواستى بخاء معجمة مضمومة ثم واو مخففة ثم الف ثم سين مهملة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق مكسورة وابو شيبة هو ابراهيم وغلب على اولاد ابنه النسب اليه وهم ثلاثة عبد الله هذا وهو مشهور بكنيته وعثمان وقاسم فاما عبد الله وعثمان فاماما ن حافظان من احفظ اهل عصرهم وهما شيخا البخارى ومسلم واما القاسم فليس كهما بل ترك التحديث عنه ابو زرعة وابو حاتم الراويان الحافظان وابوهم محمد ثقة وجدهم ابراهيم ضعيف قال (حدثنا عبد الله بن نمير) بالنون كصغر النمر الهمدانى هشام بن هشام بن عروة الاعمش الحافظ اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة تسع وتسعين ومائة (عن مسعر) بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين وراء مهملة ومعناه موقد النار ويقال هو مسعر حرب الشجاع وهو مسعر بن كدام ابو سلمة الهلالى الكوفى المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه وممن اخرج له الستة وتوفى سنة خمس وخمسين ومائة وله الف حديث (عن ابى العنبس) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وسين مهملة وهو الحارث بن عبيد بن كعب العدوى الكوفى لم يخرج له غير ابى داود وذكره فى الميزان ولم يذكر فيه شيئا (عن ابى العدبس) بفتح العين والدال المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وسين مهملة وهو تبيع بن سليمان الاسدى ويقال الاشعرى الكوفى وتبيع بضم المثناة الفوقية ثم باء موحدة وعين مهملة بزنة المصغر كما فى الميزان وتهذيب الذهبى والاكمال الاان ابا خليل الحافظ كتب فى حواشيه ان هذا وهم منه وانما هو منيع بالميم بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبى (عن ابى مرزوق) التجيبى واسمه كنيته وله ترجمة فى الميزان قال فيها ان ابن حبان انه قال لا يحتج بما انفرد به (عن ابى غالب) الراسبى واسمه خرور وقيل سعد بن خرور وقيل نافع وروى عنه اصحاب السنن واختلفوا فى ضعف روايته ومنهم من وثقه (عن ابى امامة) الباهلى او السهمى وهو

صدى بن عجلان بن وهب توفى سنة احدى اوست وثمانين واخرج له السنة وهومن بقايا الصحابة بحمص وهذا الحديث رواه ابو داود وابن ماجه مسندا (قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) بكاف مشددة مكسورة وهمزة اى معتمدا متحاملا وهومنصوب على الحال (على عصا) وقال ابن عباس التوكؤ على العصى من سنن الانبياء وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصى منها قضيب ومخصرة قصيرة ومحجن وكانت فى يده اذاخطب وكانت عند الخلفاء وقال فيها الصرصرى رحمه الله تعالى كامر * وعصاة لما مسها بيمينه * فضلت عصا صارت الى ثعبان (فقمناله) تعظيما واجلالا (فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم بعظم بعضهم بعضا) هذه الجملة بدل مما قبلها اومستأنفة استينافا بيانيا والاعاجم جمع اعجم اوعجمى اوعجم على خلاف القياس اوجمع اعجام جمع عجم وهم من عدا العرب وقد يخص بفارس وقداختلف العلماء فى القيام للتعظيم المعتاد هل هومكروه ام لافقيل مكروه استدلالا بهذا الحديث وبحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما وجبت له النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته والاحسن ماقاله القاضى زكريا فى شرح الروض انه مستحب لاهل العلم والصلاح وللحكام العدول بل قد يجب اذا خشى من تركه ضرر الجبابرة الملوك ويستحب لمن قدم من سفر ولذوى الارحام تكريما وبرا لهم ويدل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للانصار لما قدم عليهم سعد رضى الله تعالى عنه قوموا لسيدكم والمنهى عنه انما هو ما كان على سبيل الرياء والتكبر وحمل حديث سعد على انه كان مريضا وقدم راكبا فامرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالقيام ليعينوه فى النزول عن دابته خلاف الظاهر كامر وقد فعله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يقوم لفاطمة رضى الله تعالى عنها اذاجاءته وانما نهاهم لئلا يظنوه سنة ويتخذوه عادة (وقال) صلى الله عليه وسلم (انما انا عبد) الحصر فيه اضافى اى لست بسلطان ثم انه ان اريد بالعبد معناه العرفى وهوالرقيق المملوك للناس فهو استعارة فشبه نفسه تواضعا لله بالرقيق لتعاطيه خدمة نفسه فى بيته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتى كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكنس بيته ويلبس الغليظ فقوله (آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد) بيان لوجه الشبه وان اراد عبدالله وكل الناس عبيدالله الملوك وغيرهم سواء فى ذلك فالمراد انه متمحض لهذه العبودية لايشوبها بشئ من امور الدنيا ولايتخلق بشئ من اخلاق اهلها فى لباسهم ومآكلهم ومشربهم وفراشهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض ولايأكل على خوان ولا يغلق عليه بابا ولايتخذ حجابا (وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار) وكثير من الاغنياء يأنف من ركوبه وكان له حمار يسمى عفير واخرى يسمى يعفور وهو مأخوذ من العفرة وهى التراب لشبه لونه له وليسا اسمين لحمار واحد كما توهم

فان عفيرا اهداه له المقوقس ويعفوراهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس ومات يعفور منصرفه من حجة الوداع وقيل القى نفسه فى بئرابن التيهان يوم موته صلى الله عليه وسلم وقيل انه كان من جنس من الحمير لم يركبه الا نبى وانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يرسله للرجل فيأتى بابه ويقرعه برأسه فيعلم انه يطلبه (ويردف خلفه غيره) ويردف بضم المثناة بمعنى يجعله رديفا له اى راكبا خلفه على دابته التى ركبها ويقال ردف واردف واصله الركوب على الردف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يجعل غيره قدامه ايضا ولم يذكر المصنف من اردفه اشارة لعمومه فيشمل الذكر والانثى والصغار والكبار وقد ذكروا ان من اردفه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ اربعين فى سفره وحضره وهذامن تواضعه صلى الله عليه وسلم وهم اسامة ابن زيد رضى الله عنهما مرجعه من عرفة والصديق رضى الله عنه فى الهجرة وعثمان رضى الله عنه راجعا من بدر وعلى كرم الله وجهه فى حجة الوداع وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهما بين يديه وسبطه مع غلامين من بنى هاشم واولاد عباس الثلاثة رضى الله تعالى عنهم فى نزوله من المزدلفة * والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما * ومعاوية رضى الله تعالى عنه * ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه على عفير وابوذر رضى الله تعالى عنه على حمار * وزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه * وثابت بن الضحاك رضى الله تعالى عنه * والشريد بن سويد رضى الله تعالى عنه * وسلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه * وزيد بن سهل رضى الله تعالى عنه * وابو طلحة الانصارى رضى الله تعالى عنه * وسهيل بن بيضاء وعلى ابن ابنته زينب رضى الله تعالى عنهما وعبدالله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما * وغلام مطلبى * واسامة بن عمير رضى الله تعالى عنه * وصفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها لقدومه من خيبر وابو الدرداء رضى الله تعالى عنه وآمنة بنت ابى الصلت وابى اياس وابوهريرة وقيس بن سعد وخوات بن جبير رضى الله تعالى عنهم وجبريل على البراق فى الاسراء * وام حبيبة الجهنية * وزيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه وجابر بن عبدالله رضى الله عنهما وزاد ابن مندة غير هؤلاء ونظم ابورزين موفق الدين فقال

* واردافه جم غفير فمنهم * على وعثمان شريد وجبريل *
* واولاده ذوو الرشد والتقى * اسامة والدوسى وهو نبيل *
* معاوية قيس بن سعد صفية * وسبطاه ماذا عنهم سأقول *
* معاذ ابو الدرداء سويد وعقبة * وآمنة ان قام ثمه دليل *
كذا خوات طريف وسبطه * على ووجه النقل فيه جميل *
اسامة والصديق ثم ابن جعفر * وزيد وعبدالله ثم سهيل *
كذا بنت قيس خولة وبن اكوع * وقد رهم فى العالمين جليل *

* كذلك زيد جابر ثم ثابت * فنى حبهم والله لست احول *
* ثلاثة غلمان وزد معهم ابا * اناس وحسبى الله وهو وكيل *

(و) كان (يعود المساكين ويجالس الفقراء) الفرق بين المسكين والفقير مشهود في مبحث الزكات الان كلا منهما يطلق على الاخر من غير فرق في العرف والعبادة سنة للغنى والفقير وانما خصهاهنا لانه يعلم منه غيره بالطريق الاولى والمسكين بكسر الميم وفتحها مأخوذ من السكون و يكون بمعنى المتذلل الخاضع ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا وتقدم انه لايجوز ان يطلق على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقيرا ومسكين وان اطلقه على نفسه الشريفة (ويجيب دعوة العبد) اذا علم انه يجوز له اطعام غيره لكونه مأذونا ونحوه (ويجلس مع اصحابه مختلطا بهم) فلايختار مكانا رفيعا ولايتقدم عليهم قال ابوهريرة رضى الله تعالى عنه حتى كان الغريب اذااتى ناديه لايعرفه حتى يسأل عنه ثم ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يجعل له مكانا مخصوصا حتى اذا اتاه الغريب عرفه وسأله فجعله من طين تارة يجلس عليه وتارة يجلس بجنبه (حيثما انتهى به المجلس جلس)حيثما يفيد العموم اى اى مكان وجده خاليا وقت مجيئه يجلس فيه صدرا وغيرصدر وكل هذا لتواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم وارشاد امته (وفى حديث عمر عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخارى (لاتطرونى) مضارع اطراه اذابالغ فى مدحه وتجاوز الحد فيه قال * لايلحق الواصف المطرى مدائحه * وان يكن محسنا فى كل ما وصفا * اى لاتمدحونى قال الجوهرى والزبيدى اطريت الرجل مدحته وقال ابن فارس فى المجمل اطريته مدحته باحسن مافيه وقال الهروى الاطراء مجاوزة الحد فى المدح والكذب فيه وبه فسر الحديث وقد علمت ان الذى قاله الهروى هو معنى الحديث وهو مأخوذ من الطراوة يقال طراوة وطراءة ومدحه صلى الله عليه وسلم مطلوب من كل احد والمنهى انما هو عما لايليق به ولذا قال (كما اطرت النصارى) جمع نصرانى منسوب لناصرة اونصرة اونصورية على خلاف القياس وتلك القرية كان فيها فى اول امره (ابن مريم) فانهم قالوا فيه انه ابن الله وغيره مما هو مشهور وهذا كقول الابوصيرى رحمه الله تعالى * دع ماادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم * وما احسن قول العارف بالله عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به * وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف * (انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) ولاتقولوا ماقاله اهل الكتاب ونحوه فالحصر اضافى (وعن انس) رضى الله تعالى عنه رواه مسلم (ان امرأة) من الصحابة تسمى ام زفر وهى ماشطة خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وتردد البرهان الحلبى رحمه الله تعالى فيها هل هى

هذه اوغيرها وجزم به غيره (كان فى عقلها شئ) من الجنون ولم يصرح به اشارة لخفته وانها لم تستغرق فيه فان لفظ شئ يشعر بالقلة (جاءته صلى الله عليه وسلم فقالت ان لى اليك حاجة) اى لى حاجة اريد ان انهيها اليك واعلمك بها (قال) لها (اجلسى ياام فلان) الابهام من الراوى لانه لم يحضره اسمها (فى اى طريق المدينة شئت اجلس اليك) مجزوم فى جواب الامر والى بمعنى عند عبر به للمشاكلة حتى اقضى حاجتك (فجلست فجلس اليها حتى فرغت من حاجتها) التى اعتمد بها تواضعا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة بمثلها لا من كان فيه جنون مطبق وكان جارية سوداء تصرع احيانا فشكت ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت انى اصرع وانكشف فادع الله لى فقال ان شئت فاصبرى ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك فقالت اصبر ولكن ادع الله ان لا انكشف فدعا لها وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقول الا اريكم امرأة من اهل الجنة فبشير اليها وقيل ان التى كانت تصرع سعيرة الاسدية (وقال انس) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه بتمامه ابوداود والبيهقى (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد) كما تقدم بيانه (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم بنى قريظة) يوم واحد الايام واليوم هنا بمعنى الوقعة والغزوة شايع بحيث اذا اطلقوه انما يفهم منه هذا وبنو قريظة بصيغة التصغير والقاف والراء المهملة والظاء المشالة ثم هاء قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل غزوة الخندق كما فصل فى السير راكبا (على حمار) وهو صاحب الرياسة والرسالة العظمى تواضعا منه ومن هو من اقل عبيده يركب الخيل فى مثله ويجنب الجنائب اظهارا لشوكته وعظمته بذاته لالغرض الدنيا الذى لايستقر ومافى بعض الشروح هنا نقلا عن بعض الحواشى فى ضبط يوم من انه بفتح الياء التحتية والهمزة المضمومة المرسومة واوا والميم المشددة بمعنى يقصد تحريف لاوجه له (مخطوم بحبل من ليف) اسم مفعول من الخطام بخاء معجمة وطاء مهملة وهو مايقاد به الدابة كالرسن والليف بكسر اللام والفاء شئ يتخذ من النخل ويفتل حبالا (وعليه) اى على الحمار (اكاف) بكسر الهمزة وكاف والف وفاء بزنة كتاب ويضم كغراب ويقال وكاف بالواو وهو رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه اوبعض ادواته وهو البردعة وهذا من حديث رواه ابوداود والبيهقى كما مر (قال) انس بن مالك رضى الله تعالى عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة) الاهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء ولام وهو كل ما يؤتدم به من الدهن اوما يذاب من الالية اوالدسم الجامد وسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون وفتح الخاء المعجمة وهاء

بمعنى متغيرة الرايحة يقال سنخ الدهن وزنخ اذا تغير (فيجيب) دعوة من دعاه وهذا الحديث رواه الترمذى فى شمائله وابن ماجة فى سننه (قال) انس ايضا رضى الله تعالى عنه (وحج صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد الهجرة فى حجة الوداع كما فى البخارى و يدل عليه قوله الاتى و قد فتحت عليه الارض (على رحل رث) الرحل للجمل كالسرج للفرس فيختص به ورث بفتح الراء المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بال خلق (وعليه قطيفة) اى كساء من صوف له خمل (ماتساوى اربعة دراهم) اى لو قومت لم يكن قيمتها اربعة دراهم و يقال هذا يساوى و يسوى كذا القيمته والحج من اعظم شعائره التواضع و اظهار الافتقار الى الله تعالى ومنع النفس من التلذذ والملابس ولذا شرع الاحرام فيه والتجرد فى الموقف ليذكر الموقف الحقيقى والعرض على الله وهذا من محاسن التشريع والارشاد للاخلاص و لذا قال ثمة فقال اللهم اجعله) اى اجعل حجى هذا (حجا مبرورا لارياء فيه ولا سمعة) بل خالصا لوجهك الكريم والرياء مشتق من الرؤية وهو ما يفعل من عبادة ونحوها لاجل ان يراه الناس فيمدحوا صاحبه به والسمعة بضم فسكون ما يفعل ليشيع ويسمع الناس به وهما بمعنى بحسب الماصدق و ان اختلف مفهوماهما و منهم من فرق بينهما فان عبد السلطان اذا عمل عملا ليراه سيده وحده رياء لاسمعة ومن اشاع امرا لم ير سمعة لارياء فيه وقال القرافى فى قواعده الرياء موجب للاثم والبطلان عند كثير لظاهر قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين* وهو ان يعمل لله مع قصد نفع من العباد وهذا رياء الشرك او ان يعمل للناس فقط و يسمى رياء الاخلاص وهو لاغراض شتى والتشريك كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا يضرب بنقص الثواب ولا يحرم بالاجماع بخلاف من فعل ليقال انه شجاع او ليحظى عند الامام او يكثر عطاؤه وهو محرم لبس كقصد الغنيمة من العدو ومن حج وشرك مع الحج التجر لا يأثم ولا يقدح ذلك فى صحة حجه ولو كان جل قصده او كله التجارة كمن صام ليصح بدنه ويحتمى فهذا لا يقدح فى فعله لان الشارع امر به فى حديث يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اى قاطع للشهوة فامر بالصوم لغرض آخر غير العبادة ولو كان قادحا لم يأمر به كمن توضأ للتبريد و التنظيف فان فيه اغراضا لبس فيها تعظيم غير الله بفعله فانه هو المضر انتهى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الرياء والسمعة وانما دعا بذلك تعليما لامته وتواضعا كقول يوسف عليه الصلاة والسلام وما ابرئ نفسى لان التقشف قد يدخله الرياء باظهار الزهد (هذا) اى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا واختياره رث الثياب و المركب ليس عن عجز (وقد فتحت الارض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفتح يتعدى فعلى

لما جاء كثيرا بسهولة من الله كانه افاضه عليه و فتح الارض ان اريد به بعضها كالحجاز فظاهر وان اريد جميعها فقد تمكنه صلى الله تعالى عليه وسلم منها بمنزلة وقوعه ومر فى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة سندس وفى رواية بمفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدى وهو محمل على ظاهره وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وهو كناية عن ان الله مكنه من ذلك ولو ان الله تعالى اراد صرفه بالفعل فيها وقاد جميع اهلها له (واهدى فى حجه ذلك مائة بدنة) اهدى بمعنى بعث الهدى بوزن الرمى مخفف الياء وقد تشدد فتكسر داله وهو ما يرسل للبيت الحرام لينحر فيه و يتصدق به من الابل والبقر وكذا البدنة تطلق على الجمل و الناقة و البقرة واكثر ما تطلق على الابل وقد يسمى الابل مطلقا هدى وسميت بدنة لكبر بدنها و فى البخارى لما حج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع اهدى مائة بدنة نحرها و قسم لحمها وجلودها وجلالها و نحر بيده منها جملة ثم امر عليا كرم الله وجهه بنحر باقيها واختلف فيما نحره صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة اهو ثلاثون ام ستون (ولما فتحت عليه مكة دخلها بجيوش من المسلمين) وذلك فى شهر رمضان ثالث عشرة او سادس عشرة او ثامن عشرة وصحح النووى انه تاسع عشرة و اختلف فى الجيوش ايضا فقيل اثنا عشر وقيل عشرة آلاف وقيل ثمانية (طأطأ على راحلته رأسه حتى كاد يمس قادمته) الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب وفيها لغات قادم وقادمة ومقدم ومقدمة بكسر الدال المخففة وفتحها مشددة وكذا اخرة الرحل (تواضعا لله تعالى) ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ان ركب الجمل دون الفرس وعلى رأسه مغفر فوقه عمامة سوداء واردف خلفه اسامة رضى الله تعالى عنه كما مر (ومن تواضعه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى) قال شيخ مشايخنا الجلال السيوطى لم اقف عليه بهذا اللفظ والذى فى البخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفى سنن ابى داود ما ينبغى لنبى ان يقول انا افضل من يونس بن متى وفى الصحيحين لعبد بدل لنبى وفى رواية لا اقول ان احدا افضل الى آخره انه سبح الله فى الظلمات و فى البخارى ونسبه لابيه فقيل اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التاء مقصورا اسم ابيه وقيل معناه انه ذكر اسم ابيه بدل متى اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم ينسب لامه الا يونس وعيسى عليهما الصلوة والسلام واختلف فى المراد منه فقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله تواضعا منه وان كان هو افضل من جميع الرسل بالاتفاق وكلام المصنف رحمه الله تعالى يميل لهذا فان الافضل قد لا يطلب تفضيل احد له وقيل انه كان قبل ان يعلم بتفضيله والاذن فيه لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض

وخص صلى الله تعالى عليه وسلم يونس لئلا يتوهم احد تنقيصه اذا سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وقصته مفصلة فى التفسير (و) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تفضلوا بين الانبياء) لا ينافى هذه الآية لان المنهى عنه تفضيل يؤدى الى التنقيص او الخصومة والنزاع او التفضيل من سائر الوجوه لانه قد يكون فى المفضول ما ليس فى الفاضل او التفضيل فى نفس النبوة لا فى الخصائص وعموم الرسالة والا فيجب علينا اعتقاد افضليته صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله انا سيد ولد آدم وقوله ان الله تعالى اختارنى على جميع العالمين من الانبياء والمرسلين (ولا تخيرونى على موسى) صلى الله عليه وسلم اى لا تقولوا انى خير منه وافضل وخصه لئلا يظن احد نقصه لقوله فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وسيأتى بيان ذلك اقول الظاهر ان المعنى لا تفضلونى تفضيلا يؤدى للنزاع والمخاصمة فان هذا من بعض حديث فى الصحيحين ان رجلا من المسلمين استب مع يهودى فقال اليهودى والذى فضل موسى على العالمين فلطمه فاشتكى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ذلك وسيأتى الكلام على هذا (ونحن احق بالشك من ابراهيم) اذ قال رب ارنى كيف تحيى الموتى وحمله بعضهم على ظاهره وانه كان قبل البعثة فى سن الطفولية ومن قال بعصمة الانبياء مطلقا قال انه نفى للشك لا اثبات له وانما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل التواضع اى نحن احق بالشك منه لو شك ولكنه لم يشك فكأنه قال انا لا اشك فكيف بابراهيم وقيل انما قاله جوابا لمن قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا ولا ينافى بين القولين وسيشير اليه المصنف رحمه الله تعالى فى القسم الثالث وقيل لا يصح ان يكون المراد احق بالشك منه لقوله اولم تؤمن قال بلى الى آخره وتسميته شكا بالنظر للظاهر لاقتضائه عدم الاطمئنان وهو ينافى عدم التردد والشك ولذا احتيج لتأويله بان الخليل عليه الصلوة والسلام قطع بالقدرة على احياء الموتى بدليل قطعى لكنه اشتاق لمشاهدة كيفية هذا الامر العجيب الذى جزم بثبوته فنفسه لا تطمئن حتى تشاهده قال ابن ابى شريف رحمه الله تعالى وهذا التأويل يشير الى ان المطلوب بقوله ولكن ليطمئن سكون قلبه عن المنازعة الى رؤية الكيفية المطلوبة التى تمناها ليحصل له العلم البديهى بعد العلم النظرى ولما كان هذا الشك ظاهريا جائزا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله كناية عن انه جائز منه الا انه اورده بهذه الصورة تأدبا مع الله تعالى وان لم يكن احق بذلك الشك منه وكيف يتصور جوازه عليه وعلى كرم الله وجهه يقول لو كشف الغطا ما ازددت يقينا الا ان فى هذا اشكالا اورده ابن العماد لاقتضائه تساوى علمه البديهى والنظرى فيتجاوز المقام الخليلى وقد اجاب عنه فى كتابه كشف الاسرار فقال قال العز بن عبد السلام المراد ما ازددت يقينا بالايمان وان كان اذا رآها بصر

من التفاصيل والهيئات ما لم يحط به قبل ذلك علما وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية الاحياء لم يزدد يقينا بالايمان بقدرته تعالى على الاحياء وان وقف بمشاهدة كيفية الاحياء على ما لم يقف عليه من الايمان كمن رأى بناء عجيبا وعرف صانعه علم قدرته وصنعه وتحققه وان لم يعرف كيفية بنائه وصنعة عمله فاذا طلب مشاهدة عمله ورآه لم يزده علمه بقدرته وصنعته وهيئته بذلك ولكن اطمأن قلبه لحصول ما طلبه من كيفية صنعه وقال السبكى رحمه الله تعالى سئل الغزالى رحمه الله تعالى عن هذا فقال اليقين يتصور عليه الجحود كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لا يتصور عليها الجحود وهو جواب حسن فى الفرق بين اليقين والجحود انتهى وفيه نظر وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذه الآية ارجى آية فى القرآن معناه ان سؤاله الاحياء فى الدنيا يدل على انا نحيى ونتنعم فى الآخرة او ان الايمان بالغيب اجمالا كاف لنا (ولو لبثت ما لبث يوسف فى السجن لاجبت الداعى) لبث فى السجن بضع سنين اى لبث خمسا ثم سبعا بعد رؤيا الفتيين الذين دخلا معه السجن وقيل غير ذلك وورد فى الحديث رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك ما لبث فى السجن سبعا بعد خمس اى لو لم يستعن بغير الله تعالى ما طالت المدة والمراد باجابة الداعى اجابة رسول الملك الذى دعاه للخروج منه قال الكرمانى وصفه بالصبر حيث لم يبادر الى الخروج وقال ذلك تواضعا لا انه كان فيه مبادرة وعجلة لو كان مكان يوسف والتواضع لا يصغر كبيرا بل يزيد قدره اجلالا وذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى مقام التفويض وتلقى كل ما يأتى من الله بالقبول ورفض الوسائط والمعنى لو كنت مكانه تلقيت دعوة الداعى مستعينا بالله تعالى مفوضا امرى له وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام عبر رؤيا الفتيين ثم رؤيا الملك فطلبه فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن لم يبادر للخروج فطلب الكشف عن امره حتى يعلم انه مظلوم وقال القرطبى الوجه عندى فى ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ لنفسه وجها آخر من الرأى وهو ان يفعل امرا يقتدى به فيه وهو ان يخرج سريعا ثم يبرئ ساحته بالتبرئة من غير الحاح وهو الحزم ويوسف عليه الصلوة والسلام سلك مسلكا آخر وهو الصبر وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يلتفت لما التفت له من براءة الساحة اكتفاء بعلم الله واعتقاده لانه يبرئ ساحته من غير طلب منه لهذا المقام ولكنه قال ما قال تواضعا وفى يوسف ست لغات بتثليث السين مع الهمزة وعدمها (وقال للذى قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم) وهذا من تواضعه ايضا صلى الله تعالى عليه وسلم والا فهو خير البرية من غير شك وليس فيه اخبار بغير الواقع اذ المعنى لا اقول ذلك اطراء لنفسى والبرية الخلق من برأ

بمعنى خلق لكن همزته متروكة كما فى الروية والنبى والخابية وهذا الحديث رواه مسلم فى صحيحه وغيره وخص ابراهيم لان الله امره باتباع ملته فى قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم (وسيأتى الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى) من غير تطويل واعتساف (وعن عائشة والحسن وابى سعيد وغيرهم فى صفته) صلى الله عليه وسلم (وبعضهم يزيد على بعض) قدم عائشة رضى الله تعالى عنها لانها ادرى بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيته ولذا اعقبها بالحسن بن على رضى الله تعالى عنهما لانه من اهل البيت ايضا وابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه كان يخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص هؤلاء ورتبهم الاقرب فالاقرب (كان فى بيته فى مهنة اهله) خبر بعد خبر او بدل مما قبله بدل اشتمال والمهنة بكسر الميم وفتحها الخدمة مأخوذة من الامتهان واختلف فى ايهما الافصح والاكثر على انه الفتح والاشهر انه الكسر لتوافق الخدمة لفظا ومعنى وانكر بعضهم الكسر والاصح انه لغة وانه ثابت بالوجهين (يفلى ثوبه) بيان هو ومابعده لما قبله لان هذا مما ينبغى ان يفعله اهله ويفلى بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء يقال فلاه يفليه كرماه يرميه اذا فتش مافيه من قمل وغيره هذا اصله وهو يقتضى ان يكون فى ثوبه صلى الله تعالى عليه وسلم قمل وقد قالوا انه لايكون تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم ولانه يتولد من العفونة والعرق وجسده وعرقه طيب لايكون فيه عفونة والقول بان فيه قملا تنقيص لاينبغى ان يقال الان بعضهم نقل انه لم يكن الذباب يعلق عليه وان القمل لايؤذى بدنه تعظيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وتكريما كما سيأتى بيانه قبيل فصل قدا تينا اكرمك الله قيل المراد بنفى اذيته نفيه لانه من لوازمه وقيل ان كان فيه ولكن لايؤذيه والاول مناف لحديث المتن ولما روى ان ام حرام كانت تفلى رأسه واللفظ شاهد لخلافه ثم نفى اذاه مستلزم لنفيه لان اذيته بتغذيه من البدن فاذا امتنع غذاؤه لم يعش وحينئذ لم يكن فى وجوده الاقذارته والاحتياج لفليه ولذا قيل المراد بفليه تفتيشه لخرق فيه او تعلق شئ به من شوك ونحوه وكل ذلك للتشريع واظهار التواضع واحتمال ان يكون القمل جاءه من غيره لكثرة مجالسته الفقراء كما سيأتى ثم لايأباه فلى ام حرام لرأسه كما قيل على انه يحتمل انها كانت تفحص عن هذا وان لم تجده (ويحلب شاته ويرقع ثوبه) بفتح الياء وسكون الراء المهملة وفتح القاف المخففة ويجوز الضم والتشديد الا ان الضبط بالاول لمناسبة مامعه ورقع الثوب ان يضع فيما انخرق منه رقعة لغيره يسده بها (ويخصف نعله) اى يخرزها به وفى العمدة انه تطبيق بعض جلود النعل على بعض وهو فى قوله تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة * استعارة من هذا واصل معنى الخصف الضم والجمع (ويقم البيت) اى يكنسه ويزيل قمامته من قم يقم بضم القاف اذا كنس (ويعقل البعير) اى يربطه من رجله

بالعقال ويعقل بوزن يضرب (ويعلف ناضحه) بنون وضاد معجمة وحاء مهملة وهو البعير الذى يستقى عليه من النضح (ويخدم نفسه) اى يفعل ذلك كثيرا لادائما مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته صلى الله عليه وسلم لكنه يحب فعل ذلك بنفسه تواضعا وتشريعا (ويأكل مع الخادم) الخادم متعاطى الخدمة ذكرا كان او انثى حرا او عبدا واكل الانسان مع خادمه سنة قال القاضى زكريا فى شرح الروض ان السنة ان يجلس خادمه للاكل معه ويلبسه من لباسه فان ابى فليناوله مما يأكله ومن الغريب مانقل عن الشافعى انه واجب للامر به فى الحديث وفيه نظر (ويعجن معها) الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كما مر والعجين من عمل النساء (ويحمل بضاعته) بكسر الموحدة وهو مايشتريه (من السوق) وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل السوق قالوا وهو عادة الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال الله تعالى * وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وكذا كان دأب الصحابة رضى الله تعالى عنهم ولاينافيه احب البقاع الى الله المساجد وابغضها اليه الاسواق لان المراد بغض مافيها او النهى عن الجلوس فيها من غير حاجة وعن انس بن مالك رضى الله عنه خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخارى تعليقا ووصله ابن ماجة (ان كانت الامة من اماء المدينة) بكسر همزة ان المخففة من الثقيلة كقوله وان كانت لكبيرة وهى مهملة او اسمها ضمير شان مقدر (لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت) اى تمسك يده الشريفة وتذهب به الى اى محل تريده لاجل حاجتها (حتى يقضى حاجتها) وليس فيه افراط فى التواضع المذموم لان قضاء حاجة المسلمين امر محمود (ودخل عليه رجل فاصابته رعدة) بكسر فسكون لخوفه من مهابته اذ كان لم يره قبلها واعاد هذا الحديث لما فيه من الزيادة والرعدة ان يرجف ويضطرب (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم هون عليك) امر من التهوين اى عد مارأيته امرا هينا غير صعب تخشى منه اى لاتخف ولا تفزع (فانى لست بملك) من الملوك الجبابرة الذين يخشى بوادرهم (انما انا ابن امرأة تأكل القديد) هو اللحم الذى يقطع ويجعل فى الشمس حتى ييبس وكان عادة العرب اكله وهكذا عادة فقرائهم فكنى به عن عدم تكبره وتجبره وترفعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه قال السيوطى هذا الحديث رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف (قال دخلت السوق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل) فى حواشى الشمنى ذكر المصنف رحمه الله تعالى اشتراه صلى الله تعالى عليه وسلم للسراويل الا انهم قالوا انه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولكنه اشتراها ولم يلبسها وقال ابن القيم فى الهدى انه لبسها فقالوا انه سبق قلم وقال السيوطى

فى فتواه قد رأيت الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى فى معجم الطبرانى الاوسط ومسند ابى يعلى و فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبسها ولفظه عن ابى هريرة انه قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له زن وارجح واخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمل عنه فقال صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا فيعجز عنه فيعينه اخوه المسلم فقلت يارسول الله انك لتلبس السراويل قال اجل فى السفر والحضر و بالليل والنهار فانى امرت بالستر فلم اجد شيئا استر منه اخرجه من طريق ابن زياد الواسطى واخرجه احمد وفى سنده ابن زياد وهو وشيخه ضعيفان انتهى (اقول انجبر ضعفه بمتابعته ومنه يعلم ان تخطئة ابن القيم لاوجه لها وكون الثمن اربعة دراهم هو المروى الا ما فى الاحياء من انه بثلاثة وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراها ولم يلبسها بعيد جدا وقد لبسها عثمان رضى الله تعالى عنه وهو محاصر ايضا والسراويل تذكر وتؤنث ولم يعرف فيه الاصمعى الا التأنيث وجمعه سراويلات وهى مصروفة فى النكرة عند سيبويه فان سمى بها رجل لم تصرف وكذا ان صغرت بعد التسمية لانها مؤنثة على اكثر من ثلاثة احرف كعناق فان صغرت من غير علمية صرفت وقال الجوهرى من النحويين من لا يصرفه فى النكرة ايضا لانه عنده جمع سروالة وانشد * عليه من اللؤم سروالة * ويقول ابن مقبل * فتى فارس فى السراويل رامح * والعمل على الاول والثانى قوى انتهى ومن ثم رد قول من قال انه ممنوع من الصرف بالاتفاق وقول المحدثين انه لم يصح انه جمع فى الاصل كضاجر للضبع فيعتبر فيه الجمعية الاصلية قال ولذا اضطربوا فيه فقيل انه اعجمى معرب سروال حمل على موازنه فى العربية كمصابيح و قيل عربى جمع سروالة تقديرا وهى لغة فى سراويل ويقوى عجميته انه لا نظير له فى العربية وعلى هذا اقتصر الجواليقى فى معرباته الا انه قيل انه معرب شلوان بالمعجمة والاشبه انه معرب سراوين اى بدل الرأس لان سر معناه الرأس واوين معناه بدل (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للوزان) الذى يزن الدراهم و ينقدها وهو الصيرفى (زن وارجح) اى زن لصاحب السراويل ثمنها وزد عليه حتى ترجح الميزان بزيادة الكفة التى فيها الدراهم و بهذا استدل الامام مالك على جواز هبة المجهول وفيه نظر لانه من حسن القضاء وكلام ابى حنيفة رحمه الله تعالى فى الهبة المحضة والرجحان نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها (وذكر القصة) كما سمعتها آنفا (قال) ابو هريرة رضى الله تعالى عنه راوى هذا الحديث فقال الوزان هذه كلمة ما سمعتها من احد فقال له ابو هريرة كفى بك من الوهن والجفاء فى دينك انك لا تعرف نبيك (ف) طرح الميزان و (وثب)

اى قام بسرعة (الى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) اى قام ليقبل يده الشريفة لما رأى منه ولمعرفته انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فجذب) اى نزع صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) من يده (وقال هذا) اى تقبيل اليد امر (تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم) معاشر العرب او الناس وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم او لانه علم انه انما قبل يده لامر دنيوى والا فتقبيل يد الرجل لعلمه او صلاحه او شرفه سنة مستحبة وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقبلون يده الشريفة و يد الخلفاء رضى الله تعالى عنهم وقيل لبعض المشايخ اتقبل يد المشايخ فقال انهم رياحين الله فشموها بالتقبيل (ثم اخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة (السراويل) ليحملها بنفسه (فذهبت لاحمله) اى شرعت فى حملها عنه يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعله اذا شرع فى الفعل ولذلك عدت من افعال المقاربة فليس المراد بالذهاب معناه المشهور وضمير لاحمله للسراويل لانه يجوز تذكيره وتأنيثه كما علم (فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى هريرة (صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمله) بدل من شيئه اى احق بحمله من غيره وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم واقتدى به الصحابة رضى الله تعالى عنهم فكان الخلفاء منهم يحملون امتعتهم فى السوق كما فصله الغزالى فى الاحياء ﴿ فصل واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾ العدل مصدر معناه العدول عن الظلم والجور ويكون بمعنى العادل فيستوى فيه الواحد المذكر وغيره و يجمع على عدول (وامانته) فى كل شئ يحفظه قولا كان او فعلا او غير ذلك مما يجعل عنده وكونه موثوقا به فى اموال الناس واحوالهم (وعفته) فى نفسه بترك كل قبيح وترك السؤال والنزاهة عن كل شئ (وصدق لهجته) اللهجة اللسان والكلام وقد يقال لهج بكذا اذا ولع به ولا يخفى تقاربها معا فى ما ذكر ولذا جمعها فى فصل فان فى العدل عفة عن الظلم وفى الصدق امانة على ما سمع وعفة عن الكذب وهذا ظاهر لمن له بصيرة (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) آمن بمد الهمزة بمعنى اكثرهم واشدهم امانة (واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان) اى من ابتداء خلقته الى نهايتها وكان تامة بمعنى وجد (اعترف له بذلك محادوه) جمع محاد بتشديد الدال المهملة بمعنى المعادى والمخالف له الذى فى حد وجانب عنه و يكون بمعنى المحارب قال تعالى ومن يحادد الله ورسوله (وعداه) بكسر العين جمع عدو واسم جمع و هو فى الصفات وقد تضم عينه (قال ابن اسحق) محمد بن اسحق بن يسار صاحب السير كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه احمد فى مسنده والحاكم والطبرانى عن على كرم الله وجهه (كان صلى الله تعالى عليه وسلم) ابتداء امره وقبل نبوته (يسمى الامين) لامانته وصدق قوله فى جميع احواله

(بما جمع الله له من الاخلاق الصالحة) اى بسبب ما جمعه الله فيه من الاخلاق الصالحة الذى ايمنه الله اياها او الباء بمعنى مع اى ما جمعه الله من الصالحات التى عرف بها عندهم (وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه) اى المطاع الامين فى هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل عليه الصلوة والسلام كما يشهد به سياق النظم ولذا ارتضاه المحققون لكونه عليه الكثير وفيه نظر (ولما اختلفت قريش وتحازبت) بالحاء المهملة والزاى المعجمة والباء الموحدة اى صارت احزابا وفرقا لاختلاف آرائهم ولو قيل تحاربت بالراء المهملة لما فى السير انهم تحالفوا حتى اعتدوا للقتال ثم بدا لهم فتشاوروا صح الا انه بعيد والنسخ مضبوطة خطا بخلافه (عند بناء الكعبة) قال السهيلى كان بناؤها خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانية حين بناها ابراهيم عليه الصلوة والسلام على القواعد الاولى والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام والرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير بنار طارت من ابى قبيس او بشرر طار من مجمر امرأة ارادت ان تجمرها فتعلق باستارها واحرقها فتشاور من حضرها فى هدمها فهابوه وقالوا يصلح ما انهدم منها فقال رضى الله تعالى عنه لو احترق بيت احدكم لم يرض له الا بكل صلاح ولا يكمل صلاحها الا بهدمها فهدمها حتى افضى الى قواعد ابراهيم عليه الصلوة والسلام فامرهم ان يزيدوا فى الحفر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارا افزعتهم فامرهم ان يقروا القواعد وان يبنوها من حيث انتهى الحفر واستمرت على ذلك الى ان قام عبد الملك ابن مروان فهدمها وبناها فهذه المرة الخامسة ولا منافاة بينه وبين ما فى التواريخ من ان الخامسة بناء الحجاج لانه كان بامر عبد الملك لانه اميره وكان ارسله لمحاربة ابن الزبير رضى الله عنهما وقيل غير ذلك والكلام فيه مفصل فى تاريخ مكة (فيمن يضع الحجر) الاسود فى موضعه ويرفعه بيده لما فى مباشرة ذلك من الشرف والجار والمجرور متعلق بالاختلاف (حكموا) بفتح الحاء وتشديد الكاف جواب لما اى ارتضوا بان يكون الحاكم فى ذلك (اول داخل عليهم فاذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل) اذا الفجائية اى فجأهم دخوله عليهم بغتة من غير طلب وميعاد منهم (وذلك قبل نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين وقيل ابن خمس وعشرين او حين بلغ الحلم ولا شك فى ان هذا كان قبل النبوة والاول اصح (فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به) حكما فى هذه القضية فلما انتهى اليهم ذكروا له ذلك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ائتوا بثوب وضعوا فيه الحجر وارفعوه جملتكم من كل بيت رجل فلما فعلوا وضعه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة ثم بنى عليه فكان شرف الوضع له وكان مع العباس رضى الله تعالى عنه

ينقلان الحجارة فقال له العباس اجعل ازارك على رقبتك ليقيك الم الحجارة فلما فعل بدا منه ما لا بد من ستره فخر مغشيا عليه وطمحت عيناه الى السماء فقال ازارى فشد عليه ازاره لانه نودى يا محمد غط عورتك فلم تر له عورة بعده ولا قبله وروى انه وقع له مثله وهو يلعب صغيرا (وعن الربيع بن خثيم) رضى الله تعالى عنه بضم الخاء المعجمة وفتح المثلثة وسكون الياء المثناة التحتية والميم وهو الربيع بن خثيم بن عابد بن عبد الله بن وهب ابو يزيد الثورى ينسب الى ثور بن عبد مناة ابن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وينسب اليه سفيان وغيره والربيع يروى عن ابن مسعود وابى ايوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا واخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة سبع وستين (كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية) وفسر الجاهلية بقوله (قبل الاسلام) لانها تطلق بهذا المعنى فى الاكثر وهذا شاهد لعدله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد قبل بعثته وتطلق الجاهلية كما فى النهاية على صفاتهم وان كانت فى الاسلام كقوله فى الحديث ان فيك جاهلية وحقيقتها الاول وهذا معنى مجازى اللهم الا ان يراد بها المعنى اللغوى وهو النسبة الى الجهل مطلقا فيكون حقيقة والى هذا نظر ابن حجر فى شرح البخارى ويتحاكم بضم المثناة مجهول اى يتحاكم اليه قريش او العرب وقول الربيع هذا رواه ابن مسعود وله حكم الرفع وتحاكمهم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على عدله وانصافه (وقال صلى الله عليه وسلم والله انى لامين فى السماء) و(امين فى الارض) يعنى انه مشهور بذلك بين الملأ الاعلى وبين اهل الارض لانه لم يتهم قط بكذب وجور فى احكامه وهذا الحديث رواه ابن ابى شيبة فى مسنده عن ابى رافع وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه مؤكدا بالقسم واعادا مينا لاختلاف الامانتين (حدثنا) ابن سكرة (ابو على الصدفى الحافظ بقراءتى عليه) وقد تقدمت ترجمته وحكمه قال (حدثنا ابو الفضل ابن خيرون تقدم انه احمد بن الحسين ابن احمد بن خيرون الحافظ وابن خيرون ممنوع الصرف قال (حدثنا ابو على بن زوج الحرة) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو على السنجى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا ابو محمد المروزى) محمد بن احمد بن محبوب راوى جامع الترمذى كما تقدم قال (حدثنا ابو عيسى الحافظ) هو الامام الترمذى كما تقدم (قال ابو كريب) بضم الكاف وفتح الراء المهملة وياء تصغير وباء موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن العلاء الهمدانى اخرج له الستة ووثقه النسائى وغيره توفى سنة ثمان واربعين ومائتين قال (حدثنا معاوية بن هشام) القصار الكوفى الثقة وقال ابن معين صالح وليس بذاك توفى سنة خمس وعشرين ومائة (عن سفيان) الثورى فيما يظهر الان المزى والذهبى لم يقيداه الى آخره (عن ابى اسحق) عمرو بن عبد الله الهمدانى السبيعى احد الاعلام (عن ناجية) بنون وجيم (بن كعب) العنزى او الاسدى

الثقة وتوقف ابن حبان فى توثيقه وله ترجمة فى الميزان وقال الذهبى فى المغنى مادرى لماذا توقف فيه ابن حبان انتهى (عن على) بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه الترمذى كما ذكره المصنف وانفرد باخراجه من طريقين احدهما ماذكره المصنف والثانية عن اسحق بن منصور عن ابن مهدى عن سفيان عن ابى اسحق عن ناجية قال وهذا اصح وكذا رواه عبد العزيز بن ابى عثمان (ان اباجهل) ابن هشام لعنه الله فرعون هذه الامة (قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا لانكذبك ولكن نكذب ماجئت به فانزل الله) فيما قاله وهو سبب نزول هذه الآية (فانهم لايكذبونك الآية) ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وروى ابو ميسرة انه صلى الله عليه وسلم مر بابى جهل واصحابه فقالوا والله يا محمد مانكذبك وانك عندنا لصادق ولكنا نكذب ماجئت به فنزلت هذه الآية وقرئ يكذبونك مخففا ومشددا فقيل معناهما واحد لانه يقال كذبته وكذبته واكذبته كجزيته واجزيته واختار ابو عبيده قراءة التخفيف وهى مروية عن على كرم الله تعالى وجهه وقيل معنى يكذبونك بالتشديد ينسبونك الى الكذب ويردون ماقلته ومعناه بالتخفيف يجدونك كاذبا كما تخلته اذا وجدته بخيلا والمعنى على التشديد لايكذبونك بحجة وبرهان قيل وفى كلام المصنف اشارة الى دفع التناقض فى الآية فانه قال اولا انهم لايكذبونه ثم اخبر انهم يجحدون ماجاء به من الآيات وجاحد كلامه مكذب له ويجحدون مضمن معنى يكذبون ولذا عداه بالباء وهو متعد بنفسه ويدل على انهم كذبوه قوله بعده ولقد كذبت رسل من قبلك فليس المراد بقوله لايكذبونك نفى تكذيبه مطلقا فاما ان يقال فى دفع توهم التناقض ان معنى لايكذبونك بالتشديد لايحكمون عليك بان سجيتك الكذب لانك موصوف بالصدق عندهم فى جميع شؤنك ماعدا قولك الذى جئت به من عند الله وهو الآيات فانهم يجحدونه وهذا مراد المصنف فى استشهاده بهذه الآية او يقال المراد انهم لايكذبونك فى الحقيقة ونفس الامر وفى نفوسهم اذا خلوا ولكنهم يظهرون التكذيب حسدا وبغيا او انهم لايكذبونك اذا امعنوا النظر وتدبروا ولكنهم عموا عن نور الهداية انتهى وفى الآية كلام فصلناه فى حواشى القاضى البيضاوى (وروى غيره) اى روى غير الترمذى اوالصدفى فى هذا الحديث زيادة وزيادة الثقة مقبولة (لانكذبك وما انت فينا بمكذب) اى معروف بالكذب فى غير هذا (وقيل ان الاخنس بن شريق) بن ثعلبة الثقفى الصحابى واسمه ابى وهو بهمزة وخاء معجمة ونون وسين بزنة افعل التفضيل وشريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء المهملة وقاف على وزن فعيل وهو قديم الوفاة كذا قاله البرهان الحلبى وقال التلمسانى انه حليف قريش قتل يوم بدر كافرا يعنى به شريقا لا الاخنس وهذا الحديث رواه

ابو اسحق والبيهقى عن الزهرى واخرجه ابن جرير عن السدى (لقى اباجهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة سنة اثنتين من الهجرة فى تاسع عشر رمضان (فقال له يا اباالحكم) بفتحتين وهذه كنيته القديمة ثم غلب عليه كنيته بابى جهل (ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا فخبرنى عن محمد) جملة خبرية والمراد اخبرنى عنه (صادق ام كاذب) يعنى اصادق فحذفت الهمزة تخفيفا والاستفهام حقيقى او تقديرى (فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط) هذا يدل على انهم لايعتقدون كذبه (وسأل هرقل عنه) هرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويقال باسكان الراء بين كسرتين كما سيأتى وهو علم غير منصرف قال البرهان هلك على كفره وفى الاستيعاب انه صحابى قيل وهو مأول (اباسفيان) صخر بن حرب بن امية القرشى الاموى اسلم يوم الفتح فكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه وكان رئيس قريش واكثرهم مالا وتوفى سنة اربع وثلاثين وسنه ثمان وثمانين فى المدينة وقصة ابى سفيان مع هرقل مشهورة مروية فى الصحيحين مفصلة فى اول باب فى البخارى وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كاتبه فى سنة ست فلقيه رسول رسول الله صلى الله عليه سلم بحمص فلما قرأ الكتاب امر مناديا ينادى الاان قيصر قد اسلم واتبع محمدا وترك النصرانية فهاج جنده وتسلحوا فامر مناديا ثانيا الاان قيصر راض بدينه وهو راض عنكم ثم قال لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم انى مغلوب على مملكتى وكتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى مسلم وبعث له دنانير فقال كذب عدو الله لانه علم انه ليس قوله عن صميم قلبه ولو سلم فبداؤه بانه راض بدينه رده فلذا قالوا ان القول باسلامه بناء على ظاهر قوله واه كيف وقد قاتل المسلمين يوم موتة وواعدهم ان يأتيهم فى العام المقبل ونزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجئ واخذت منه البلاد وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية على نصرانيته وقوله (فقال) اى هرقل لابى سفيان (هل تتهمونه بالكذب) اى هل وقع فى قلوبكم انه صدر منه كذب فى اقواله قال فى الاساس وهمت الشئ اهمه وهما وتوهمته وقع فى خلدى وشئ موهوم ومتوهم انتهى وانما سألهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم وتحققتم لانه يعلم من انتفاء التوهم انتفاء غيره بالطريق الاولى (قبل ان قال ماقال قال لا) فقال هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وانما لم يقل انه يكذب لئلا يأثر الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب او يقول مالايقبل منه ثم قال ابو سفيان الا اخبرك عنه خبرا اكذب فيه قال ما هو قال انه زعم انه خرج فى ليلة من الحرم الى مسجد ايليا ثم رجع فيها قبل الصباح وكان عنده بطريق ايليا فقال صدق انى كنت لاانام حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت ابوابه غير باب منها غلبنى فاستعنت بمن حضرنى فلم يمكنهم

تحريكه وقالوا انه سقط عليه البناء فلما اصبحت غدوت عليه فاذا الحجر الذى فى زاويته منقوب فيه اثر ربط دابة فقلت ياحبس هذا الباب الليلة الا على نبى قد صلى فى مسجدنا فقال قيصر يامعشر الروم الم تعلموا ان بعد عيسى عليه الصلوة والسلام نبيا بشركم به وكنا نرجو ان يكون فينا فجعله الله تعالى فى غيرنا وهو رحمة من الله يضعها حيث شاء ولم يعتدوا بتصديقه حتى يكون يومنا لتلبسه بما يخالفه قولا وفعلا قلت وبهذا علم ان مربط البراق بالمسجد الاقصى صحيح وسأل اباسفيان عنه صلى الله عليه وسلم اسئلة اخرى مذكورة فى اول البخارى (وقال النضر) بنون مفتوحة وضاد معجمة ساكنة وراء مهملة (بن الحارث لقريش) فى حديث رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بفتح الكاف بن عبد مناف القرشى وكان شديد الاذية للمسلمين فظفر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببدر فقتله كافرا صبرا كما يأتى فرثته اخته قتيلة بابيات مشهورة اولها

* ياراكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وانت موفق *

الخ وقيل انها مصنوعة وقتيلة بالمثناة الفوقية مصغرة اختلف فى اسلامها وكونها صحابية (قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتحتين قال الجوهرى حدث شاب فان ذكرت السن قلت حديث السن من الحدوث لقرب عهده بالوجود والغلام الذى لم يلتح (ارضاكم فيكم) اى اكثركم رضا وصبرا وافعالا مرضية (واصدقكم حديثا واعظمكم امانة) منصوب هو وماقبله على التمييز وهذه شهادة العدو فما بالك بغيره (حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب) الصدغ ما بين لحظ العين والاذن والشعر الذى فيه من اعلى العذار وجانب الرأس كثيرا ما يبدو الشيب فيه قبل غيره فكنى بذلك من انه تمت رجوليته وكمل عقله صلى الله تعالى عليه وسلم بمجاوزته سن الشباب وهذا اشد فى الانكار عليهم (وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر) اى قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدأ مقدر اى هو ساحر بدليل قوله (لا والله ماهو بساحر) وهذا منه غاية الانصاف ولكن غلب عليه الشقاء فقتل صبرا بالصفراء كافرا فى منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من بدر كما ذكره الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وهذا الحديث رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والذى قال انه ساحر الوليد بن المغيرة وسبب قول النضر المذكور ان اباجهل لما اراد ان يرضخ رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحجر فتمثل له جبريل عليه الصلوة والسلام فى صورة فحل ففر هاربا ويبست يده على الحجر كما سيأتى فلما سمع ذلك النضر قال يامعشر قريش والله قد نزل فيكم امر ما اتيتم فيه بحيلة بعد قد كان فيكم محمد الى قوله ماهو بساحر وقد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ماهو بكاهن

وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر والله ما هو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا اصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون فما هو بخنقة ولاتخليط ولاوسوسة فانظروا فى شانكم فانه والله قد نزل بكم امر عظيم والنضر بن الحارث كان من شياطين قريش وهو الذى جاء بقصة رستم واسفنديار وكان يجلس يحدث بها ويقول ماجاء به محمد ليس باحسن مما جئت به ان هو الا اساطير الاولين فنزل فيه * واذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين * فى آيات اخر (وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مامست يده يد امرأة قط لايملك رقها) وهذا من عفته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وسكت عن زوجاته لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التى ليست بمحرم فيعلم ذلك من الرقيق بالطريق الاولى وقيل انه داخل فى ملك الرق لتملكه البضع وقد سمى بذلك فى قول اسماء رضى الله تعالى عنها التزويج رق المرأة فلينظر اين يضع رقها ولاينافى هذا مامر من ان الامة من اماء المدينة كانت تأخذ بيده صلى الله تعالى عليه وسلم فلايدع يده من يدها حتى يقضى حاجتها لانه كان بحائل من كمه او كمها وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها هذا ورد فى مبايعته صلى الله تعالى عليه وسلم للنساء فان بعضهم توهم انها كمبايعة الرجال باليد من غير حائل فقالت رضى الله تعالى عنها انما كان يقول لمن هاجر من المؤمنات ماامره الله تعالى به فى قوله * ياايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم فبايعهن على ذلك فمن اقر به قال قد بايعتك كلاما من غير مس لايديهن وماورد فى المبايعة من امساك ايديهن فان كان مدا من غير مصافحة فيها والا فهو بحائل لانه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بثوب وضعه على يده وقال لا اصافح النساء وروى انهن كن يأخذن بيده من فوق ثوب وفى المغازى عن ابان بن صالح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى المبايعة يغمس يده فى ماء فى اناء وتغمس من بايعته يدها فيه وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بايع النساء بواسطة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبايعهن الا بالكلام فلعله تعدد (وفى حديث على رضى الله تعالى عنه فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق الناس لهجة) رواه الترمذى فى شمائله وتقدم بيانه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكذب ولو سهوا لمنافاته للابلاغ ووجوب تصديقه فى كل ما يقول كما سيأتى (وقال فى الصحيح) اى فى الحديث الصحيح او فى صحيح البخارى لانه حيث اطلق الصحيح انصرف اليه وهذا اولى (ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل) وتقدم ضبطه على الخطاب والتكلم والكلام عليه الا ان الذى فى البخارى فى باب الادب ويلك بدل ويحك

وقد فرق بينهما يقال ويل كلمة زجر وتوبيخ وويح كلمة ترحم وويس مترحم دون
ترحها وهو معنى قول الاصمعى انها تصغيرها وقيل اصل ويل وى زيدت فيها
اللام وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لمن قال له لبست قسمتك بعدل وانه
اختلف فى اسمه وانه عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى اوحرقوص بن زهير
الخارجى اوذوالثدية وقد مر الكلام فيه مفصلا فتذكره (قالت عائشة رضى الله
تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى امرين الا اختار ايسرهما
مالم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اعاد المصنف هذا الحديث وقد تقدم
بعينه لمافيه من عدالته صلى الله تعالى عليه وسلم وعفته فلاوجه للاعتراض عليه
والامران من امور الدنيا والمخير ان كان الناس فلا اشكال فيه وان كان الله
وهو الظاهر والمراد بالاثم مايؤدى الى وقوع امته فيه لان الله لايخيره صلى الله
تعالى عليه وسلم بين اثم وغيره كاختياره الرزق الكفاف على فتح الكنوز له
ولامته فان الدنيا تشغلهم عن العبادة وتوقعهم فى المهالك وقد تقدم تفصيله
(قال ابو العباس المبرد) وهو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر امام العربية
وترجمته مشهورة فى التواريخ ومانقله المصنف هنا عنه انما ذكره ليعلم بذلك
جلالة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم ومباينة حاله لحال اهل الدنيا وماهم عليه
من اللهو فلايرد عليه ماقيل انه لافائدة فيه (قسم كسرى ايامه) بكسر الكاف
وقد تفتح وهو كما تقدم اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو لانه لقب كسرى
انوشروان الذى ولد فى زمنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اشهرهم واعظمهم
(فقال يصلح يوم الريح للنوم) والتغطى حتى يسلم من مس الريح الشديد المصدع
(ويوم الغيم للصيد) الذى كان يتقيد به الملوك لعدم اذية الشمس وحرها ويقال له
يوم فاختى وسبل (ويوم المطر للشراب واللهو) لقلة المصالح فيه والسلامة
من البلل والنظافة من الوحول والمراد باللهو سماع الغناء ومنادمة الندماء (ويوم
الشمس للحوايج) وروى يوم الصحو اى خلو الجو من المطر والغيم والمراد بالحوايج
مصالح الناس وهو جمع حاجة على خلاف القياس اوجمع حايجة وانكره بعض اهل
اللغة ورده الجواليقى بانه ورد فى كلام الفصحاء كثيرا وفى الحديث اطلبوا الحوايج
عند حسان الوجوه فلاوجه لانكاره كما فصلناه فى شرح الدرة وانما اختير ذلك اليوم
للحوايج لعدم المانع فيه وما اشتهر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ولدت فى زمن
الملك العادل كسرى قد قال الحافظ السخاوى والسمعانى انه لااصل له فهو موضوع
ولو صح لم يكن فى وصفه بالعادل بأس كما توهم فانه كان لايجور على احد من رعيته
ولايظلمهم فى حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لذلك لاينافى كفره وظلمه لنفسه لجهله
ومحبته للدنيا وقيل انه وصف بذلك لشهرته به ادعاء منهم لا انه شهد له بالعدالة

حقيقة وذكر قصته توطئة لقوله (قال ابن خالويه) بفتح اللام والواو وسكون
المثناة التحتية والمحدثون يضمون اللام مع سكون الواو وفتح الياء وهو الحسين بن
محمد بن خالويه النحوى اللغوى الاديب الهمدانى دخل بغداد ثم انتقل للشام
وصحب سيف الدولة لتأديب اولاده واخذ العربية عن ابى بكر بن الانبارى والسيرافى
وتصدر للافادة وله تآليف جليلة وشعر حسن ومات بحلب سنة سبعين وثلاثمائة
(ماكان اعرفهم) اى الفرس الدال عليهم ذكر كسرى (بسياسة دنياهم)
اى تدبير امورها لان هذا معنى السياسة لغة قال * فبينا نسوس الناس والامر
امرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف * وقول ابن كمال فى رسالة التعريب انه معرب
خطاء كما تقدم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يعنى
انهم عرفوا امر شربهم واكلهم وحركتهم وتقيدوا بذلك وغفلوا عن المعاد
ومايليق به وهذا مراده فيما اقتبسه كما قال الشاعر * ومن البلية ان ترى لك صاحبا *
* فى صورة الرجل السميع المبصر * فطن لكل مصيبة فى ماله * واذا يصاب
بدينه لم يشعر * ويقرب ماقاله المفسرون نقلا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
انهم يعلمون امر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون
ويبنون (ولكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء) يعنى انهم
قسموا ايامهم لما ذكر والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قسم اوقاته وهو اكثر حزما
لعدم ضياع جزء ووقت من عمره فيما لايعنيه وشتان بين القسمين والمقسمين وفى
نسخة لكن بدون واو (جزأ لله) اى لعبادة الله وتلقى وحيه (وجزأ لاهله) اى
لمصالح اهله وبيته (وجزأ لنفسه) مخصوصا باكله وشربه ونحو ذلك من اموره
الدنيوية وجزأ فى المواضع الثلاثة يجوز نصبه ورفعه كذا روى (ثم جزأ جزءه بينه
وبين الناس) اى جعله قسمين قسما لخاصة نفسه وقسم الخاص به قسم له فى نفسه
وقسم ينظر فيه امور الناس وحوايجهم (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم
(يستعين بالخاصة) من اصحابه وهم خلفاؤه ووزراؤه رضى الله تعالى عنهم ومن
يقرب منهم (على العامة) من المسلمين (ويقول) للخاصة (ابلغوا حاجة من لايستطيع
ابلاغى) اى اخبرونى وقولوا لى مايطلبه العوام ممن لايقدر ان يبلغنى حاجته اما لعدم
الجراءة على كلامه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم اولعجزه عن الوصول اليه
ثم رغب فى ذلك بقوله (فانه من ابلغ حاجة من لايستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع
الاكبر) وهو يوم البعث والحشر وحيث يكون الناس كلهم فى فزع اى خوف من
العذاب وقيل هو يوم النفخة او يوم الانصراف الى النار وهذا من حديث هند بن
ابى هالة وآمنه بالمد بمعنى جعله فى امن من اهوال القيامة (وعن الحسن) ابن على
رضى الله عنهما كما رواه ابوداود فى مراسيله (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لايأخذاحدا بقرف احد) الاخد مجازعن العقوبة من اخذه السلطان اذا حبسه وجازاه على ماصدر منه والقرف بفتح القاف وسكون الراء المهملة والفاء التهمة واسناد الذنب لغيره وقال البرهان الحلبي يقال قرفت الرجل اى عبته واتهمته فهو مقروف وفى نسخة بقذف بذال معجمة بدل الراء وكتب عليها صح (ولا يصدق احدا على احد) اى لايحكم بصدق مقالة صدرت من احد فى حق احد غيره باسناده اليه امرا يقتضى عقوبة او حقا من الحقوق بمجرد قوله من غير اثبات لمقاله وهذا من عدله صلى الله عليه وسلم ولكن هذا ليس على عمومه فانه ربما كان المخبر ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره وينكشف بنور النبوة جلية الحال له (وذكر ابو جعفر الطبرى) هو الامام محمد بن جرير الطبرى المشهور وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البزار الى قوله برسالته الاتى (عن على) كرم الله وجهه (عنه صلى الله عليه وسلم ماهممت بشئ) وقد تقدم هذا الحديث والكلام فيه وانما اعاده المصنف لغرض آخر وهو بيان عفته صلى الله تعالى عليه وسلم عن اللهو وان الله عصمه عن ذلك من اول امره وقيل انما اعاده لزيادة فيه لم تذكر اولا وهى قوله غير مرتين الى آخره (مما كان اهل الجاهلية يعملون به) كما تقدم بيانه (غير مرتين كل ذلك يحول الله بينى وبين ما اريد من ذلك) استعار الحائل الحاجز بين شئ وشئ للمانع كما فى قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه قال ابو عبيد اى يملك عليه قلبه فيصرفه كيف يشاء وذلك الثانى اشارة لما كان عليه اهل الجاهلية والمعنى انه عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم عنه (ثم ماهممت بسوء) اى صرف الله قلبى عن ان يهم بسوء اى بقبيح شرعا كاللهو (حتى اكرمنى الله برسالته) اى حتى من الله على بالبعثة وجعلنى نبيا رسولا ثم بين ماهم به فى المرتين فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (قلت لغلام كان يرعى معى) يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرعى غنما لبعض قريش فى صغره وهكذا كان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يرعون لغيرهم ايضا والغلام كان اجيرا ايضا يرعى معه ويرافقه فى البادية وفى هذا تحصيل كسب حلال وتدريب لرعاية الخلق كما ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته مع مافيه من الانس بالوحدة والخلوة وفى الحديث مامن نبى الارعى الغنم قيل ولا انت يارسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط بمكة وقيل حكمته ان الغنم جاهلة صعبة السياسة فكان ذلك ليأنس بسياسة الخلق والقراريط جمع قيراط وهو سدس درهم وقيل انه اسم جبل بمكة وانكروه لانه لم يسمع به ثمه وفى الحديث ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا الحديث والقيراط فيه قيل انه بهذا المعنى وقيل انه نساب بينهم وقيل غير ذلك وعندى انه بمعنى مقدار الارض المعروف بينهم فى المساحة لانه مخصوص بها واما غيره فلا اختصاص له بها وفى هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب وقوله (لو ابصرت لى

غنمى) اى لو حرستها وحفظتها لان البصر والنظر يستعار لذلك (حتى ادخل مكة فاسمر بها) سمر يسمر كقتل يقتل والسمر التحدث بالليل واصل معناه ضوء القمر بين السمرة وهى السواد القليل فسمى به حديثهم ليلا لجلوسهم له فيه قال

* كان لم يكن بين الحجون الى الصفاء * انيس ولم يسمر بمكة سامر (كما يسمر الشاب)

والشاب بفتح الشين مصدر شب بمعنى صار شابا واسم جمع له كالعقود والشاب حديث السن كالفتى (فخرجت) من البادية التى فيها الغنم (حتى جئت اول دار من مكة) غاية لمجيئه من المرعى (سمعت فيها عزفا) بعين مهملة وزاى معجمة وفاء بزنة ضرب وهو مايلهى به الانسان وفى مختصر العين العزف اللعب بالمعازف وهى الملاهى وواحدها عزف على خلاف القياس او معزف والمعزف الطنبور او الدف وقيل كل لعب عزف (بالدفوف) جمع دف بضم اوله اوفتحه وتشديد الفاء وهو الذى يضرب به النساء وهو معروف ويسمى عند العامة دراجا وطارا وفيه شبه الجلاجل قال

* كان فى الدف الذى يفصله * زما ردف تتغير جلجله *

واختلف فيه فجوزه بعض الشافعية وكرهه مالك (والزمامير لعرس بعضهم فجلست انظر) مايلعبون به والذين يلعبون (فضرب على اذنى فنمت) بكسر النون واذن بضمتين وضم فسكون تخفيفا وضرب الله على اذنه ان يغشاه النوم واصله من السمع لان من نام لايسمع وهو مستعار من ضرب الخيمة العظيمة المغطية لمن تحتها فكان اذانهم تحت غطاء محجوبة عن السمع قال الراغب ضربت عليهم الذلة التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه استعير فضربنا على اذانهم فى الكهف وفيه لطف هنا لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على اذنه صيانة من الله له صلى الله عليه وسلم (فما ايقظنى الامس الشمس) اى مس حرها فكانها مسته حتى حرقته وحبسته حتى نبهته ففيه استعارة ولطف كما فى قول ابن المعتز

* والريح تجذب اطراف الغصون كما * افضى الشفيق الى تنبيه وسنان *

وكما قيل * نمت تحت اذيال النسيم حتى * القت على الشمس رداءها *

(فرجعت) من المكان الذى ضرب فيه الدفوف (ولم اقض شيئا) من قضى وطره اذا كان ماريده يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جلس قبل تعاطيهم اللهو فغلبه النوم حتى لم يسمع شيئا من ذلك لعصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم ومجرد همه بذلك وارادته لاحرج فيه والفاء شاهدة بعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شئ من ذلك وكونه محرما فى شرح من قبلنا اوهو صلى الله تعالى عليه وسلم متشرع به غير مسلم (واعلم ان المعازف حرام فى ملتنا للنهى عنها فى الاحاديث المشهورة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليكونن فى امتى اقوام يستحلون الخمر والمعازف واختلف فى بعضها فمنهم من جوز الدف فى العرس ومنهم من جوز ضرب

لتسلية الاحزان كالماوردى وكان الاستاذ الشيخ محمد البكرى رحمه الله تعالى ونفعنا به يقول عطروا مجلسنا بالعود الماوردى لكنه قول ضعيف وفى منظومة الدميرى رحمه الله تعالى

* ونغمات العود فى الاحيان * قالوا تزيل اثر الاحزان *
* فاجزم على التحريم اى جزم * والحزم ان لا تتبع ابن حزم *
* فقدا بحث عنده الاوتار * والعود والطنبور والمزمار *

(ثم عرانى) اى طرا على وعرض لى وغشينى (مرة اخرى) فى وقت آخر (مثل ذلك) من الهم بالسماع والذهاب له (ثم لم اهم) قال الشمنى هو بضم الهاء وعليه اقتصر الجوهرى رحمه الله تعالى (بعد ذلك بسوء) اى بما فيه اسم فسماه سوءا لانه يكرهه ويؤلمه ❊ فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم ❊ اى سكونه وطمانينته ورزانته يقال وقر يقر وقرا ووقارا وفسروه هنا بالحلم وهو غير مناسب هنا كما لا يخفى ويجئ الوقار بمعنى العظمة كما فى قوله مالكم لا ترجون لله وقارا * واصله من الوقر وهو الثقل (وصمته) اى سكونه وهو من الوقار (وتؤدته) بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة وهى التأنى يقال اتأد فى فعله اذ اتأنى ولم يعجل وتاؤه منقلبة عن واو (وحسن هديه) بوزن ضربه بمعنى سيرته وطريقته وسمته وسلوكه (فحدثنا ابو على الجيانى) بالجيم وتقدم ضبطه وترجمته (الحافظ اجازة) قال ابن فارس فى مجمله وهى من جواز الماء الذى تسقاه الماشية يقال منه استجزت فلانا فاجازنى اذا سقاك الماء لارضك وماشيتك قال القطامى وقالوا فلان قيم الماء فاستجز عبادة ان المستجيز على قتر اى على ناحية وجزت الموضع سرت فيه واجزته خلفته وقطعته واجزته بعدته قال امرئ القيس

* ولما اجزنا ساحة الحى وانتحى * بباطن خبت ذى قفار عقنقل *

وقوله حتى يقال اجيزوا آل صوء فانما يمدحهم بانهم مجيزون الحاج انتهى قال ابن الصلاح قلت فللمجيز على هذا ان يقول اجزت فلانا مسموعاتى او مروياتى فيعديه بغير حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية او نحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل الاجازة بمعنى التسويغ والاذن والاباحة وذلك هو المعروف فيقول اجزت لفلان رواية مسموعاتى مثلا ومن يقول منهم اجزت له مسموعاتى فعلى سبيل الحذف الذى لا يخفى نظيره انتهى (اقول اعلم ان اصل الاجازة فى كلام العرب قديما كما ذكره اهل اللغة الاذن فى الانصراف ولما كان من يأخذ عن شيخه ينصرف عنه اخذت منه كما يقتضيه الاستعمال وكلام اهل اللغة قاطبة لانها من مجاز المكان اذا تجاوزه ومر عليه ثم عدى بالهمزة للمفعول الثانى وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسا ومعنى اجازه اذن له فى الجواز والمرور ثم استعمل فى مطلق الاذن

وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعنى اجازة الشيخ اذنه فى الرواية عنه وهذه لفظة قديمة كما سمعته وكذا الجائزة بمعنى العطية ليست محدثة كما قاله الحافظ ابن حجر الا انه يحتمل انها من هذا لان المعطى كانه يأذن لمن اعطاه فى الانصراف عنه ولا تختص بالماء كما يوهمه كلام المجمل المتقدم وهو الذى غر ابن الصلاح فقوله مأخوذة من جواز الماء لا وجه له بل من اجازه اذا جعله جائزا ثم نقل لمعنى اذن له وكذا قوله وقد تبين انه تجوز به عن معنى لفظ آخر وما بينهما مخالفة فى التعدية فيجوز حمله على حقيقته وعلى مجازه فلك حينئذ ان تعديه لمفعولين ولك ان تعديه لواحد بحرف وبدونه فيحمل على اذن واجاز من غير تكلف (وعارضت بكتابه) اى قابلت نسختى بنسخته حال القراءة لانه يقال عارضه اذا قابله والكلام على هذا مبين فى مصطلح الحديث فالمعنى انه حدثه به قراءة منه وهو مقابل له وفى يده كتابه (قال حدثنا ابو العباس الدلائى) بكسر الدال المهملة مشددة وتخفيف اللام المفتوحة ثم الف ممدودة وياء مشددة نسبة الى دلاء جمع دلو وقال البرهان الحلبى ان لامه مشددة ووجد فى بعض النسخ مضموم الهمزة والظاهر انها مكسورة بعدها ياء نسبة انتهى والظاهر انه مفتوح الدال وهو صانع الدلو وهو ابو العباس احمد بن انس العذرى المعروف بابن الدلاء من مدينة بالنسة قال (اخبرنا ابو ذر الهروى) تقدمت ترجمته وهو عبد الله بن احمد بن محمد الهروى قال (اخبرنا ابو عبد الله الوراق) ابو الحسن عبد الله بن محمد بن على الانطالى المعروف بابن الغبور الوراق قال (حدثنا اللولوى) ابو على محمد بن احمد بن عمرو المشهور برواية السنن عن ابى داود قال (حدثنا ابو داود) سليمان بن اشعث صاحب السنن الامام الحافظ المشهور قال (حدثنا عبد الرحمن بن سلام) بفتح السين المهملة وتشديد اللام وهو جد عبد الرحمن نسب اليه وابوه محمد بن سلام البغدادى الثقة روى عنه ابو داود والنسأى وقال لا بأس به (قال حدثنا حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن ابى الزناد) هو الاعور المصيصى الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن الاربعة قال ابن حزم توفى سنة اربع وستين ومائة (عن عمر بن عبد العزيز بن وهب) ويقال اهيب بالهمزة وهو بدل قياسى وهو انصارى مولى لزيد بن ثابت وهو يروى عن خارجة واخرج له ابو داود فى المراسيل هذا الحديث وقال الذهبى لا يعرف من هذا كما فى الميزان (سمعت خارجة بن زيد) هو خارجة بن زيد بن ثابت الانصارى المدنى التابعى احد فقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة ابن زيد وسليمان ابن يسار وفى السابع اقوال فقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وقيل ابو سلمة ابن عبد الرحمن وقيل ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ثم ان الفقهاء بالمدينة وان كانوا كثيرا فانما خص هؤلاء لاجماع الناس على رأيهم

وانتهائهم لفتواهم لمعرفتهم بالفضل والصلاح حتى كان لايقضى فى امر حتى يرفع اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل ان اسماءهم اذا علقت على محموم برئ واذا وضعت فى البر لم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القائل فى قوله

* الاكل من لا يقتدى بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه *
* فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد ابو بكر سليمان خارجه *

وهذا الحديث من مراسيل ابى داود (يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم اوقر الناس فى مجلسه) اى اعظمهم وقارا اذا برز للناس وجلس معهم بخلاف ما اذا خلا مع اهله او مع خاصته ينبسط معهم ويلاطفهم يعنى ان هذا كان عادته ودأبه صلى الله عليه وسلم بحيث لايصدر عنه خلافه وكان وان كانت بحسب الاصل فعلا ماضيا لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما وللتكرار نحو كان حاتم يقرئ الضيف لقرينة وهو استعمال شايع ولكثرته عده بعض الاصوليين معنى لها ولم يحققه احد كابن جنى فى كتاب الخصائص فان اردته فانظره (لايكاد يخرج شئ من اطرافه) اى اطراف بدنه كرجليه ولايكاد يخرج فيه مبالغة اى لايخرج ولايقرب من الخروج ولذا عدل عن لايخرج وهو اخصر ويخرج بفتح اوله مضارع خرج يخرج كقتل يقتل وشئ فاعله او بضمه مضارع اخرج وشيئا مفعول الا ان جل النسخ على الاول (وروى ابو سعيد الخدرى) هو سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله تعالى عنه وقد تقدم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس فى المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم محتبيا) وفى رواية بثوبه بدل بيديه والاحتباء بالحاء المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه او عمامته ونحوه والحبوة بضم وكسرها ويقال حبية وحبية ايضا ويقال الاحتباء حيطان العرب لانهم اهل برارى لاحيطان لهم يستندون اليها فالاحتباء قائم مقامها ولبس هذا معارضا لما ورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الاحتباء فى ثوب واحد اذ النهى فيه لم يرد عن الاحتباء وانما ورد عن كونه فى ثوب واحد لانه ربما تحرك فيزول الثوب وتنكشف عورته واما قوله * واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر * فاستعارة ونهى عن الاحتباء يوم الجمعة والخطيب يخطب لانه يؤدى الى النوم وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذى فى شمائله (وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه) رواه مسلم وابو داود (انه) صلى الله عليه وسلم (تربع) اى جلس متربعا وهو ان يقعد الرجل على وركيه ويمد ركبته اليمنى الى جانب يمينه وقدمه اليمنى الى جانب يساره ويمد ركبته اليسرى الى جانب يساره وقدمه اليسرى الى جانب يمينه وهذا فى خارج الصلاة كما

فى الحديث كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع الشمس وهو فى الصلاة كما صرح به الفقهاء واما خارجها فلا يكره وقيل انه سنة وقول بعض فقهائنا انها جلسة الجبابرة مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم لها فيه نظر (وربما جلس القرفصاء) بضم القاف والفاء ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس على الليته كجلوس المحتبى بيديه من غير احتباء كما يدل عليه ما بعده وقال الفراء اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت (وهو) اى جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم القرفصاء ورد (فى حديث قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهى بنت مخرمة العنبرية كما فى المقتنى وقال الشمنى العدوية وقيل العنزية وهو الصحيح وفى حديثها انها رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد وهو قاعد القرفصاء وفى رواية فلما رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المتخشع فى الجلسة ارعدت من الفرق وليس هذا فى رواية الترمذى ومسلم التى ذكرها المصنف وفى كلامه اشارة الى انه زيادة عليها والمتخشع ان كان صفة فالرؤية بصرية وان كان مفعولا ثانيا فهى علمية ورعدتها من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لا من تخشعه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة) تدعوه للكلام ولم يكن يسرد الحديث بعجلة ليفهم عنه وهذا مروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها (يعرض عمن تكلم بغير جميل) لايرضاه فيعلم باعراضه عنه انه غير مرضى له صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من وقاره ايضا وليس المراد به ان يكون حراما كما قيل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لايقر على مثله (وكان ضحكه تبسما) بدون قهقهة لشدة وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم والضحك انبساط الوجه حتى يظهر منه السرور ويبدو الثنايا فقط واما ما ورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة لزيادته فيه على ما عهد منه او هو نادر لايعتد به (وكلامه فصلا) بفاء وصاد مهملة اى فاصل بين الحق والباطل او مفصل لتمهله فيه قال تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل (لافضول) مصدر اى لازيادة فيه وقيل انه فى الاصل جمع فضل بمعنى الزيادة فخص بما ذكر ولذا قيل فى النسبة له فضولى و ينسب للجمع (ولا تقصير) فيه حتى يخل بفهم السامع (وكان ضحك اصحابه عنده) صلى الله عليه تعالى وسلم (التبسم توقيرا له واقتداء به) لتخلقهم باخلاقه وتأدبهم بادابه (مجلسه مجلس حلم) بكسر الحاء وسكون اللام وفى نسخة حكم بضمها مع الكاف (وحياء) منه ومن اصحابه (وخير) لاحسانه ولطفه وتعليمه (وامانة) يأمن المتكلمون فيه على اسرارهم فلا ينقل منه ما لايحبون افشاءه كما ورد فى الحديث المجالس بالامانة (لاترفع فيه) اى فى مجلسه (الاصوات) لادبهم وتوقيرهم له وكان ذلك محرما عليهم لقوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى *

و اما كونه وقع مثله بحضرته فى قصة الافك فنادر لايعتد به (ولاتؤبن فيه الحرم) بضم المثناة الفوقيه وهمزة ساكنة وتبدل واوا وتؤبن من آبنه يأبنه اذا عابه ورماه بقبيح اصله الابنة وجمعها ابن وهى العقدة فى القسى تفسدها وتعاب بها ووقع فى بعض الحواشى تؤبر براء بدل النون وفسره بما ذكر على انه مأخوذ من المأبر التى واحدتها ميبرة اومن ابرته العقرب اذا لدغته بابرتها وهى آخر عقد ذنبها وهو تصحيف كانه وجده فى بعض النسخ فاتبعه والمذكور فى كتب اللغة كالنهاية والجوهرى وغيرهما هو الاول وصرح ابن فارس فى المجمل بان الحديث مروى هكذا والحرم جمع حرمة وهى كل مايحرم هتكه واما استعماله بمعنى المرأة فعامية وان كان لها وجه وقيل انها صحيحة مراد به هنا النساء لانه ورد فى الحديث نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النساء وفى حديث الافك * اشيروا على فى اناس آبنوا اهلى * انتهى يعنى انه محفوظ من الرفث ولغوا لقول فهو من وقاره ايضا لقوله (اذاتكلم اطرقوا جلساؤه) اى طأطؤا رؤسهم توقيرا له صلى الله تعالى عليه وسلم منصتين لكلامه (كانما على رؤسهم الطير) وصفهم بالسكوت وعدم الخفة والطيش لان الطير لاتكاد تقع الا على شئ ساكن ولك ان تقول انه شبههم بغصون مغروسة فى رياض مجلسه كما قال فى البردة * كانهم فى ظهور الخيل نبت ربا * من شدة الحزم لا من شدة الحزم * وقلت فى المقصورة * كانما الطير على رؤسهم * من كل غصن فى ربا المجد نما * والطير جمع او اسم جمع لطائر وهو معروف (وفى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم) فى مشيه وهو خبر مقدم وقوله (يخطو تكفأ) مبتدأ لانه اريد به لفظه فهو كقوله لاحول ولاقوة الا بالله كنز من كنوز الجنة اى قيل فى وصفه هذا ويخطو مضارع لخطا المعتل اذا مد رجله ومشا والخطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المرة وتكفأ بفتح المثناة والكاف وفاء مضمومة مشددة بعدها همزة مصدر كتقدم تقدما بمعنى مال الى قدام والاصل فيه الهمز وبه روى فان اعتل كسرت الفاء وكان بالياء كتسمى تسميا وقال شمر معناه مال يمينا وشما لا كمشى المختال والصواب تفسيره بمال الى جهة ممشاه كما يدل عليه قوله كانما ينحط من صبب اى من علو لاتمايل فانه غير مناسب وقد ورد فى حديث ابن ابى هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذريع المشية اذا مشى مشى تقلعا اى يرتفع عن الارض بجملته وروى قلعا بفتح القاف وكسر اللام وهو ادل على التثبت والشجاعة وهكذا كان اولو العزم عليهم الصلوة والسلام (ويمشى هونا) بفتح الهاء وسكون الواو اى برفق ولين من غير تمايل مع الترفق والتثبت قال الله تعالى * يمشون على الارض هونا * قال مجاهد بالسكينة والوقار (كانما ينحط من صبب) بفتحتين اى ينزل من صبب وهو الموضع المنحدر وفى رواية كانما هو من صبوب

بالضم والفتح وهو مايصب من ماء ونحوه اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يستعجل واما قول ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مارأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنا نجهد انفسنا وهو غير مكترث فانما هو لسعة خطوته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لايلحق مع تثبته وتمهله (وفى الحديث الآخر اذامشى مشى مجتمعا) اى ينقل اعضاءه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه الشريف وبدنه فهو صلى الله عليه وسلم فى مشيه قوى غير مسترخ (يعرف فى مشيته) بكسر الميم وفتحها (انه غير غرض) بفتح الغين المعجمة وكسر الراء المهملة والضاد المعجمة اى غير قلق ولاضجر ولاملل (ولاوكل) بفتحتين وهو البليد والجبان والعاجز الذى يكل امره لغيره وحكى شمر فيه كسر الكاف كما قاله التلمسانى والدلجى وهو انسب هنا لموازنته لماقبله وفسره بكسلان وقوله (اى غير ضجر ولا كسلان) يعينه فان ظاهره انه تفسير لما قبله على اللف والنشر المرتب وضجر كحذر من الضجر وهو القلق والكسلان من الكسل وهو الفتور وعدم النشاط من الغم ويكون بمعنى سوء الخلق ويكون غرض بمعنى سباق كقوله * انى ضجرت الى تناصف وجهها * غرض المحب الى الحبيب الغائب * ولبس بمراد هنا (وقال عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه رواه البخارى واصحاب السنن (ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) والهدى بدال مهملة بوزن الرمى السمت والسيرة والطريقة والحالة التى تكون عليها وهذا الحديث وان كان موقوفا على ابن مسعود فله حكم المرفوع وكذا سائر الاحاديث المتعلقة بالشمائل فان مثلها لايقال من قبل الراوى وقد روى مرفوعا ايضا وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اشبه الناس هديا بهدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا عمر وابنه رضى الله تعالى عنهما فلذا كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يتشبهون به فى هديهم وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث طويل قال ابن قرقول وروى بضم الهاء وفتح الدال ضد الضلال (وعن جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنهما) اخرجه ابوداود والامام احمد فى الزهد (كان فى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل او ترسيل) كذا فى النسخ باو اشارة الى انه روى بكل منهما على حدة وفى المصابيح بالواو لتقارب معناه فالعطف تفسيرى فلامنافاة بينهما كما قيل اى يبين الكلام من غير عجلة وغموض حتى يسبق فهم السامع اليه وقيل الترتيل التبيين والترسيل التؤدة فالترتيل من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج كالاقحوان (قال ابن ابى هالة) المتقدم ترجمته (كان سكوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (على اربع) اى يقع على اربع خصال فيه (على الحلم) اى يسكت تارة لحلمه على من تكلم عنده بما يقتضى المؤاخذة (والحذر) اى الاحتراس من كلام ربما ادى لامر يخشى منه

(والتقدير) اى يقدر صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفسه وسكونه مايليق به وبغيره (والتفكر) فى مصنوعات الله ونحو ذلك (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لوعده العاد احصاه) اى لواراد عده عده بسهولة اولوعده حصره بحيث لايفوته منه شئ لقلته وتثبته وعدم سرعته فيه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الطيب والرايحة الحسنة) الطيب كل مايتطيب به من بخور ومسك وزعفران ونحوه والرايحة الحسنة تشمل رايحة غيره كالريحان وسائر الزهور العطرة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم لايرد هديتها (ويستعملهما كثيرا) فى اكثر اوقاته لملاقاته الملك فانها تقوى الحواس والملائكة عليهم الصلاة والسلام تحبها وتكره الرايحة الخبيثة بعكس الشياطين (ويحض عليهما) بضمير التثنية للطيب والرايحة وفى نسخة عليها فالضمير لها لانها المقصود من الطيب لالانها اعم كما قيل لتغايرهما اى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحث الناس ويحرضهم على استعمال ذلك لما لهم فيه من الفوائد ولحضور الملائكة الحفظة والكتبة عندهم ولملاقاتهم له بما يحبه ومن مروة الانسان نظافته وطيب رايحته (ويقول حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة) وقد تقدم هذا الحديث وان لفظ ثلاث الموجودة فى التفاسير كالاحياء والكشاف غير ثابتة عن اكثر المحدثين ومافى عطف جعلت فان محبة النساء من هدى الانبياء عليهم السلام كداود وسليمان وكان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوة الجماع ماليس فى غيره وقال فضلت على الناس باربع بالسماحة والشجاعة وقوة الجماع وشدة البطش وكان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وكل رجل منهم فيه قوة مائة رجل من اهل الدنيا وهذا مع قلة اكله وشربه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث اخرجه اصحاب الكتب الستة وكان اكثر طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم الذريرة وهو طيب يجئ من الهند معروف مركب وتقدم انه انما قال حبب بالبناء للمجهول لان تلك المحبة جعلها الله فيه طبيعة لاشهوانية وعلى تسليم رواية ثلاث اما ان يكون اكتفى باثنين منها وحذف الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب والعرب تفعله كقوله * كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها * او الثالث الصلاة وقرة عينه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وجعلها من الدنيا لوقوعها فيها ويكون تغييره العبارة اشارة لمغايرتها لما قبلها وانها ليست من جنسها ووقع فى بعض النسخ هنا زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من دنياكم ومر الكلام فيها وانها ليست ثابتة وان اثبتها الزمخشرى والغزالى فى الاحياء وكذا المصنف رحمه الله تعالى تبعا لهم وقد افردنا هذا الحديث بتعليقة مستقلة والحديث رواه ايضا النسائى

فى سننه وفى رواية له بلفظ حبب الى من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة ومن هذا الوجه اخرجه احمد وابو يعلى فى مسنديهما وابو عوانة فى مستخرجه على الصحيح والطبرانى والبيهقى وآخرون كالحاكم فى مستدركه بسند جيد بدون لفظ وجعلت وقال صحيح على شرط مسلم واخرجه ابن عدى فى كامله وقال العقيلى انه ضعيف (ومن مروته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن النفخ فى الطعام والشراب) المروة من المرء وهو الانسان فهى بمعنى الانسانية ومعناها التلبس بما يليق بالرجال وترك مايخل به فارتكاب مايكرهه الصاحب مخل بالمروة والنفخ فيما ذكر اما للتبريد او ازاحة قذر على وجهه وقد يخرج معه ريق المرء فيكره تناوله او يكون النفس متغيرا فيؤثر فيه ولو توهما والغرض منه يحصل بالصبر واماطة ماعليه باراقة وخلال ونحوه ولذا نهى عن التنفس فى الاناء حال الشرب واما ماورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتنفس اذا شرب مرتين ونحوه فليس معناه ذلك بل انه يقطع الشرب وينحى الاناء ويتنفس خارجه فانه يستحب عدم العب والقطع فى الشرب وقد ورد ان النفخ فى الطعام يذهب البركة منه كما ورد ابردوا بالطعام فان الحار لابركة فيه وفى لفظ غير ذى بركة وليس المراد بابراده نفخه حتى يبرد بل اكله باردا بان يصبر عليه حتى يبرد فلا منافاة بينهما كما توهم وقلة بركته لانه لايلتذ بمضغه وبلعه او انه لشدة حرارته ينهضم سريعا فلا يشبع شبع غيره (و) من مروته صلى الله عليه وسلم (الامر بالاكل مما يلى) كل احد من الطعام لحديث عمر بن ابى سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لان امه ام سلمة رضى الله تعالى عنها زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة وقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك اى لا من الوسط ولا مما يلى غيره فهذا امر منه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وورد مثله فى احاديث اخر وقال ايضا تنزل البركة فى وسط الطعام فكلوا من حافته او من حاشيته وهذا امر ندب وذهب بعض الشافعية الى انه للوجوب وقال الشيخ تاج الدين السبكى من الفوائد الفقهية فى هذه المسئلة التى لا تكاد تعرف لان الشافعى رضى الله تعالى عنه نص فى الام فى الجزء السادس عشر فى باب صيغة النهى عن اكل الانسان مما يليه واجب ولو لم يفعله اثم ان كان عالما بالنهى انتهى ولعله اذا علم عدم رضاء صاحبه وجليسه بذلك قيل وهذا اذا لم يكن الاكل من ذلك بقصد التبرك بمس يده وعليه حمل ما فى حديث الدباء انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتبعها وهو ايضا فى غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ منها من اى جانب قال بعض المدققين واليه الاشارة بقوله وفاكهة مما يتخيرون وفيه لطف خفى (والامر بالسواك) امر ندب وشدد بعض الشافعية فاوجبه للصلاة والسواك اسم للعود الذى يستاك به وللفعل وهو الاستياك

والمراد الثانى اوالاول بتقدير مضاف اى استعمال السواك وعده من المروة لمافيه من النظافة وطيب رائحة الفم (وانقاء) بكسر الهمزة وسكون النون وقاف بعدها مدة من انقاه اذانظفه كنقاه (البراجم) بباء موحدة وراء مهملة والف وجيم وميم جمع برجم او برجمة بضم الباء والجيم وهى مفاصل الاصابع التى بينها والسلاميات من ظهر الكف التى ترتفع اذا قبض الانسان كفه فهى المفاصل الظاهرة والبراجم الباطنة وقيل هى مفاصل الكف كلها و الاشاجع جمع اشجع وهى اصول الاصابع المتصلة بالكف (والرواجب) براء مهملة وواو والف وجيم وباء موحدة جمع راجبة على القياس وقيل جمع رجبة بضم فسكون على خلافه وهى المفاصل التى تلى الانامل وقيل هى مفاصل اصول الاصابع وقيل قصب الاصابع وقيل السلاميات وقيل مابين البراجم والسلاميات وقيل ظهور السلاميات وقيل مفاصل الاصابع و واحد السلاميات سلامى بضم السين وفتح الميم مقصورة وتفصيله فى كتاب خلق الانسان وجزم البرهان الحلبى بان البراجم العقد المتشنجة فى ظهور الاصابع وهى مفاصلها ونقل عن ابى عبيد ان البراجم والرواجب جميعا مفاصل الاصابع كلها وهى اللايق بكلام المصنف فينزل عليه لاعلى مافى الصحاح من ان البراجم مفاصل الاصابع التى بين الاشاجع والرواجب وهى رؤس السلاميات من ظهر الكف اذاقبض القابض كفه نشزت وارتفعت والراجبة فى الاصابع واحدة الرواجب وهى المفاصل التى تلى الانامل ثم البراجم ثم الاشاجع التى تلى الكف انتهى لئلاتكون الفاصل التى تكون الكف خارجة اذ هى على مافيه غيرهما وعند ابى عبيد داخلة فيهما مع ان الظاهر انها تنق كما تنق التى بين الانامل و التى بينهما كما قيل (و استعمال خصال الفطرة) الخمس فيما رواه الشيخان الختان و الاستحداد اى حلق العانة بالحديد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وزاد مسلم رحمه الله تعالى المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وابوداود الانتضاح وزادغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فرق الرأس كما تقدم تفصيله المغنى عن اعادته والفطرة بكسر الفاء معناها الخلقة كما قال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها والمراد السنة التى امر بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر

﴿ فصل ﴾

(واما زهده صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا) الزهد معناه ترك الدنيا ولذاتها رغبة فيما عند الله وهو ثلاثة اقسام ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل مايشغل عن الله وهو زهد العارفين واما من لم يرض وصف اولياء الله به فضلا عن انبيائه عليهم الصلوة والسلام لان الدنيا لاتساوى عند المتخلقين باخلاق الله جناح بعوضة ومايبالى اعظم ملوكها بعض منها بل اقل قليل من باقيها فعنده معنى الزهد ترك مايرغب نفسه فيه فمن لارغبة له فى شئ منها

لايسمى زاهدا وغيره يعرفه بترك الدنيا مطلقا او بترك مامن شانه ان يرغب فيه والى هذا اشار الغزالى فى الاحياء فمن وصفه باعلى طبقات الزهد نظر الى الاول وجنح الى انه من مقامات الكاملين فله منه الحظ الاوفر ومن نفاه عنه ولايرضى وصفه به نظر الى الثانى واماطلبه صلى الله تعالى عليه وسلم للدنيا الضرورية فى المعاش فليس لرغبته فيها بل لدفع ضعف بدنه المانع عن اداء حق العبودية فلاينافى فى الزهد ايضا واليه يشير صاحب الشبردة بقوله * واكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لاتعدو على العصم * ومن شرط الزهد ايضا القدرة وقال ابن المبارك لماقيل له يازاهد الزاهد عمر بن عبد العزيز اذجاءته الدنيا راغمة فتركها (فائدة قال ابو يزيد البسطامى قدس سره بفتح الباء قد مر علينا شاب من بلخ حاجا فقال لى ماعلامة الزهد عندكم فقلت لماذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ قلت فما الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا (فقد تقدم من الاخبار) التى فى صفاته فى اول الباب (فى اثناء) اى فى خلاله ومابينه جمع ثنا مقصور كماقاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة ومعناه ما اثنى ودخل بعضه فى بعض (هذه السيرة) اى هذا الكتاب المتضمن لسيرته وطريقته صلى الله عليه وسلم اوالمراد سيرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته (مايكفى) طالب سيرته و يغنى عن اعادته هنا (وحسبك من تقلله) اى يكفيك فى معرفة تقلله اى قنعه بالقليل (منها) اى من الدنيا لزهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها واكتفائه فى ضرورياته بالامر الزهيد القليل وهذا لاينافى زهده (واعراضه عن زهرتها) اصل معنى الزهرة النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات و يسكن الثانى اى تركه صلى الله تعالى عليه وسلم مايرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا ومما قلته فى الرباعيات

* من حرصك بالغناء كم تشتغل * والعمر مضى فما يفيد الامل *

* ما زهرة هذه الحياة الدنيا * للفرك با نمل المنا تحتمل *

(وقد سيقت اليه) اى ساق الله تعالى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيا مستعار من سوق البهيمة للتسخير والتمكن منها (بحذافيرها) اى بجملتها وكليتها من جميع نواحيها يقال ملك كذا بحذافيره اى جميعه بحيث لم يبق منه شئ جمع حذفور اوحذفار وهو الناحية وفى النهاية الحذافير الجوانب وقيل الاعالى فكنى به عما ذكر وهو اشارة لما تقدم من ان زهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ليس لعجزه عن تحصيلها بل هو مع غاية القدرة عليها والتمكن منها وهذا هو الزهد الممدوح كما تقدم (وترادفت عليه فتوحها) اى تتابعت وتوالت فاتته الدنيا راغمة بما يسر الله له من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو اراد توسع فيها وانفق واقتطف زهرتها فلم يرضها واكتفى باقل قليل منها والجملتان حاليتان اومعترضتان

بين المبتدأ وخبره افادنا كمال زهده صلى الله تعالى عليه وسلم لان من كان هذا حاله وزهده فزهده ابلغ زهد واتم عفاف اى كافيك مماذكرحال حصول ما ذكر (الى ان توفى) بالبناء للمجهول اى حضرت وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ودرعه مرهونة عند يهودى) اى والحال هذه والدرع معروفة تذكر وتؤنث والاكثر تأنيثها واليهودى كان يسمى اباالشحم من ظفر من موالى الانصار وهذا الحديث صحيح رواه الشيخان عن عايشة رضى الله تعالى عنها وانما عامله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يطلب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه لم يحضره اذ ذاك منهم من يقترض منه ولانه لو طلب صلى الله تعالى عليه وسلم منهم واعلمهم بضرورته وهبوه ذلك ولم يرضوا باقتراضه منهم فاخفى حاله مع مافيه من بيان جواز معاملة الكفرة واهل الذمة (فى نفقة عياله) فى للتعليل كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هره عذبتها والعيال اهل البيت ومن تلزمه نفقته والذى اقترضه صلى الله عليه وسلم ثلاثون صاعا وروى عشرون صاعا من الشعير (و) كان فى حال اقتراضه (هو يدعو ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) القوت كل مايتقوت به الانسان من الطعام اى اجعله بمقدار مايسد الرمق من غير زيادة وقد استشكل هذا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم مات وله حصون واراضى وعنده مما افاء الله عليه ارض مخيريق وفدك وغيرهما فكيف مع ذلك يكون به صلى الله تعالى عليه وسلم فاقة تحوجه الى رهن درعه على اصوع شعير واجاب عنه ابن الصلاح فى فتاواه بانها كانت معدة لنوائبه موقوفة ولذا لم تورث عنه وقال انا لا نورث ما تركناه صدقة فلا يقدح فيه ماكان فى ملكه وقد اعده لمصالح المسلمين واخراجه مايحصل منها فى ذلك والفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام فاختار صلى الله تعالى عليه وسلم الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا لايجوزان يقال فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير كما مر (واقول هنا دقيقة وهى ان رياضة النفس بالجوع تصفى الذهن وتقوى الروح وتجعل النفس قدسية ملكية وقد كان اهل الملل يتعبدون بذلك ولما لم تكن فى الدين المحمدى لما فيها من الحرج فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم واختاره لنفسه خاصة وابرزه بصورة الفقر لئلا تقتدى به امته فيه ولمحبته لذلك طلبه من الله تعالى له ولاهله فافهمه فانه دقيق جدا (حدثنا سفيان بن العاصى) هذا الحديث رواه مسلم والبخارى وسفيان هذا هو ابن سكرة لان المصنف سمع منه صحيح مسلم وليس هو الغسانى لانه لم يسمع منه وانما روى عنه بالاجارة (والحسين بن محمد الحافظ) بن عيسى قاضى سبتة شيخ المصنف احد الاعلام وقد اكثر المصنف رحمه الله تعالى الرواية عنه توفى فى جمادى الاخرة سنة خمس وخمسمائة (والقاضى ابو عبدالله التميمى قالوا حدثنا احمد بن عمرو) قد تقدمت ترجمتهما (قال

حدثنا ابو العباس الرازى قال حدثنا ابو احمد الجلودى) بفتح الجيم نسبة لقرية بافريقية وقيل بالشام وقيل انه بضم الجيم وقد تقدم قال (حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين بن الحجاج) مسلم صاحب الصحيح وقد تقدم هو ومن قبله قال (حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابومعاوية) محمد بن خازم بمعجمتين الضرير الحافظ احد الائمة الاعلام الا انه كان مرجئا روى له الستة وتوفى سنة خمس او اربع وتسعين ومائة وترجمته مفصلة فى الميزان (عن الاعمش) ابو محمد سليمان ابن مهران الكاهلى احد الاعلام روى عن انس وابن ابى اوفى وغيرهما وروى عنه شعبة ووكيع وكثيرون نحو الف وثلثمائة حديث وعاش ثمانيا وثمانين سنة ومات فى ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائة واخرج له الستة وترجمته فى الميزان (عن ابراهيم) بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن ربيعة النخعى الكوفى الفقيه الزاهد رأس عصره رأى عائشة رضى الله عنها واخرج له الستة وتوفى سنة ست وتسعين (عن الاسود) بن يزيد النخعى العابد حج ثمانين مرة وصام حتى اخضر جلده وكان يختم القرأن فى كل ليلتين وتوفى سنة اربع او خمس وسبعين وهو ثقة اخرج له الستة (عن عايشة رضى الله عنها قالت ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا) اى متتابعة متوالية (من خبز) بر كان اوشعيرا وفى نسخة من خبز بر (حتى مضى لسبيله) اى حتى توفى لان الموت طريق يسلكه كل احد واول منزل منه القبر (وفى رواية اخرى) رواها البخارى (من خبز شعير يومين متواليين ولوشاء) الدنيا وترفهها ونعيمها (لاعطاه الله عزوجل مالايخطر ببال) البال القلب والعقل والفكر وخطر يخطر بضم الطاء وكسرها خطورا اذا ذكروتصور اى يعطيه منها كل امر نفيس لم يتصوره احد من الناس لجلالته وعظمته وكونه لم يعهد مثله حتى يعرف (وفى رواية اخرى) رواها مسلم (ما ترك) اى ماخلف تركة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا ولاشاة ولابعيرا) وفى رواية ولاشيئا ولذا قال عبدالله بن ابى اوفى مااوصى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته لانه لامال عنده يوصى به وانما اوصى بكتاب الله وادعاء الشيعة انه اوصى وان عليا كرم الله وجهه وصى لا اصل له ولم يثبت (وفى رواية) فى الصحيحين (ما شبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز حتى لقى الله عزوجل) وفى البخارى ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقاء الله وفيه روايات كثيرة متقاربة المعنى وانه ماجمع بين غداء وعشاء وفى رواية من خبز وزيت وفى رواية ما اكل اكلتين فى يوم قيل وهذا مشكل بما ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع لاهله قوت سنة وانه ساق مائة بدنة ووهب قطيعا من الغنم والف بعير ونحوه كما مر وان اصحابه كابى بكر وعثمان وطلحة كان لهم اموال كثيرة رضى الله عنهم وهم يبذلون له صلى الله

تعالى عليه وسلم اموالهم وانفسهم واجيب بان ذلك كان فى حالة دون حالة
وان ذلك للارشاد وكراهة الشبع لالضيق اليد وعن عايشة رضى الله تعالى عنها من
حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما فتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك
وروى لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر والحق ان كثيرا منهم كانوا فى ضيق
قبل الهجرة وبعدها واساهم الانصار بالمنايح فلما فتحت بنو النضير ومابعدها ردوا ذلك
عليهم (اقول هذا ينافيه مامن انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة فكيف
تكون العسرة زالت بعد الهجرة فالحق الاحق بالاتباع ماقاله ابن الصلاح رحمه الله تعالى
كما مر قريبا وماقاله هذا الشارح لايسمن ولايغنى من جوع (وفى حديث عمرو بن الحارث)
الذى رواه البخارى (ماترك) اى ماخلف صلى الله عليه وسلم تركة لاهله (الاسلاحه
وبغلته وارضا جعلها صدقة) هذا بعض حديث اوله ما ترك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عند موته دينارا ولادرهما ولاعبدا ولاامة ولاشيئا الا بغلته البيضاء
وسلاحه وارضا جعلها صدقة وتفصيله فى السير فانهم قالوا كان له صلى الله تعالى
عليه وسلم تسعة اسياف لكل منها اسم ودروعه سبع وقسيه ست وثلاثة اتراس
وخمسة رماح وقال مغلطاى اربعة ومغفران وراية سوداء يقال لها العقاب مربعة
وراية بيضاء اوصفراء وكان مكتوبا على رايته صلى الله تعالى عليه وسلم * لااله الا الله
محمد رسول الله * وفى الميزان انها لم تكن الا بيضاء ولم يبين ماوجد منها عند موته واما
بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فهى الدلدل التى اهداها له المقوقس وعاشت بعده
صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ذهبت اسنانها فكان يجش لها الشعير ثم ماتت
بالينبع وقيل انها بقيت لخلافة معاوية رضى الله تعالى عنه وان عليا كرم الله وجهه
قاتل عليها واما بغلته فضة فوهبها لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه والارض
المذكورة فدك والنضير وارض مخيريق وهى مفصلة ومعنى كونها صدقة انه
وقفها لمصالح المسلمين والوقف يسمى صدقة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
يأخذ منها نفقته ونفقة عياله بقدر الحاجة ويتصدق بباقيها فكل ماعنده
صلى الله تعالى عليه وسلم كان مرصدا لا ملكا فلذا لم يورث عنه كسائر الانبياء
عليهم الصلوة والسلام واماقوله * يرثنى ويرث من آل يعقوب * فالمراد منه انه
يرث علمه وحكمته وشرفه كما صرحوا به وضمير جعلها للارض والجملة صفة اومستأنفة
استينافا بيانيا اوالضمير للمذكورة (وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) فى حديث
رواه الشيخان (ولقد مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومافى بيتى شئ يأكله
ذوكبد) هوكناية عن كل حيوان انسانا اوغيره والكبد معروف وهو احد الاعضاء
الرئيسة وخصه لان منه يصل الغذاء الى الجسد كله وهذا مناف لقولها ما ترك
درهما ولادينارا ولاشيئا ووفق بينهما بان المنفى ما كان مختصا بها من بقية نفقتها
اوالمراد بالشئ وان كان عاما ما كان من جنس المال والمتاع اوهو لعدم الاعتداد

بماذكر لقلته (الاشطر شعير) الشطر النصف كالشطير او البعض مطلقا وفى النهاية
اراد به نصف مكوك او نصف وسق والمكوك المد وقيل الصاع (فى رف لى)
بفتح الراء المهملة وتشديد الفاء شبه الطاق فى الحائط ويطلق على خشبة عريضة
ترفع عن الارض تعد لوضع مايراد حفظه وهو الرفوف ايضا والاول اقرب لان
الخشبة لاتحتمل وضع هذا المقدار عليها وتتمة الحديث فاكلت منه طويلا ثم كلته
ففنى وفيه اشارة الى ان الكيل كالعد يذهب البركة وقد وردت وله نظائر كما فى مسلم
عن جابر رضى الله تعالى عنه ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه
فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو وامرأته ووصيفه يأكل منه حتى كاله فاتى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره فقال لولم تكله لم ينفد قيل لما فيه من الحرص وعدم
التوكل والتمسك بالاسباب المعتادة واما ماورد فى حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك لكم
فيه فاجيب عنه بانه عند التبايع لحق المشترى فتأمل (وقال) اى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم (لى) اى لعائشة وفى شرح ابن اقبرس وقال بى الى بدل اللام
اى ادن واقرب الى فطلب صلى الله تعالى عليه وسلم دنوها منه ليسارها وقال
حكاية لحال ماضية (انى عرض على) بالبناء للمجهول وفى رواية عرض على ربى
يقال عرض له وعليه اذا اظهره له واراه اياه والمراد اعلمه بالوحى (ان يجعل لى بطحاء
مكة ذهبا) البطحاء والابطح واد تجرى فيه السيول او بطن واد فيه رمل وحصى
اومكان لاينبت لانه مسيل وهو مما غلب عليه الاسمية والمراد بجعله ذهبا ان يملأه به
او ان يقلب حصاه ورماله ذهبا وقلب الاعيان كانشائها من العدم غير مستحيل
لوقوعه والله قادر على كل شئ (فقلت لايارب) اى لااريد جعل البطحاء ذهبا
(اجوع يوما واشبع يوما) استيناف كانه قيل له فاتريد قال اريد الفاقة وان اكون
تارة جايعا وتارة شبعان لزوما لمقام العبودية والافتقار الى الله ثم بين مايكون عليه
فقال (فاما اليوم الذى اجوع فيه فاتضرع اليك) فيه والتضرع الدعاء بتذلل
وانكسار من الضراعة وهى الذلة والالتجاء (وادعوك) اى اطلب منك وفى
الدعاء مناجاة والتجاء ومعاملة مع الله وان كان عالما بذلك (واما اليوم الذى
اشبع فيه فاحمدك واثنى عليك) لما انعمت به على ولاوجه لما قيل هنا من انه تعليم
لفقراء امته والا فلو جعلت له الدنيا ذهبا لم يشغله ذلك عن الله طرفة عين الى غير
ذلك مما اطال فيه بغير طائل على عادته وهذا الحديث رواه الترمذى عن ابى امامة
رضى الله تعالى عنه بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك فاذا شبعت شكرتك
وحمدتك (وفى حديث آخر) قال السيوطى لم اجده هكذا ولكن البيهقى رحمه الله تعالى
اخرجه فى الزهد من طريق عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما ما امسى لال محمد كف سويق ولاسفة دقيق
فاتاه اسرافيل عليه السلام فقال ان الله سمع ماذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض

وامرنى ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فقلت الى اخره واخرج ابن سعد وابن عساكر فى تاريخه من حديث عايشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو شئت لسارت معى جبال الذهب ولاحمد فى الزهد عنها والله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة وللطبرانى نحو منه من حديث ام سليم رضى الله عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو سألت الله ان يجعل تهامة كلها ذهبا لفعل واخرج احمد حديث الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له قد يجمعها من لاعقل له مختصرا عن عايشة رضى الله تعالى عنهما (قلت فما ذكره المصنف رواية بالمعنى من عدة احاديث (ان جبريل نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ان ربك يقرئك السلام) اى يسلم عليك ويحييك تحية اكرام قال فى الاكمال اقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء من المزيد واذا قيل يقرأ عليك السلام بعلى فبفتح الياء لاغير وقيل هما لغتان وهو مهموز لامعتل وجوز ابدال همزته واوا وياء ومعنى اقرأه حمله على ان يقرأ عليه سلامه اى يبلغه اياه فهو مجاز مرسل لمطلق التبليغ مأخوذ من القراءة ومعنى قرأه عليه ذكره له (ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت) اى تسير معك وتتوجه انى توجهت (فاطرق ساعة) اى طأطاء رأسه يفكر فيما يجيبه به صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم قال ياجبريل ان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له) الدنيا مقابل الآخرة لانها فعلى من الدنو وهو القرب ويطلق على هذا العالم المشاهد وكل ما فيه من المال وغيره وعلى الارض التى هى مقر العالمين وبهذا الاعتبار تسمى دارا وقوله دار من لادار له اى لانها فانية لايقيم فيها احد ولذا شبهت بالخان الذى ينزله المسافرون وبالقنطرة بل بالسفينة كما قال * وانما الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسرى * وقوله مال الى آخره اى انما يملكه المرء فيها سيسلب منه فهو عارية اووديعة فصاحبه لاملك له حقيقة فكل غنى فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط من لافرط له وذخر من لاذخر له (قد يجمعها من لاعقل له) قد للتحقيق لان من جمع الدنيا كثيرا وهى لتقليل جمعه وحيازته لها فانه يجمعها بعد بلوغه ورشده لموته ثم يفقدها الى مالا نهاية له اولمتعلق الفعل فان متاع الدنيا بالنسبة لغيره قليل اوعلى هذا حمل قوله قد يعلم ما انتم عليه وانما هم عليه بالنسبة ابقية معلوماته اقل قليل وهى مستعارة تهكما للتكثير كقوله * قد اترك القرن مصفرا انامله * وان كان فى البيت نزاع * ليس هذا محله وجعله لاعقل له لتنزيل وجود عقله منزلة العدم اذ لم يصرفه فيما يتعلق بالآخرة ويهديه الى الاكتفاء من الدنيا بزاد المسافر الذى يبلغه منزله فان العاقل من كان كذلك ولذا قال الفقهاء لو اوصى لا عقل الناس

صرف للزهاد وقال الشاعر

* ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا *
* نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا *
* جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا *

(فقال له جبريل عليه الصلوة والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت) المراد بالقول الثابت الحق لانه دائم لايزول والمراد به حق مخصوص بمقالته وهو اما دعاء له اواخبار بان الله امتن عليه فانه بمحض فضل الله ولطفه فانه الذى ثبته على هذا (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) فى حديث صحيح رواه الشيخان انها (قالت ان كنا آل محمد) المراد باله اهل بيته عليه الصلاة والسلام وله معان اخر مشهورة وان مخففة من الثقيلة (لنمكث شهرا مانستوقد نارا) اى ما نوقد نارا فالسين للتأكيد او المراد مانطلب من احد نارا نوقدها وهذا كناية عن انه ليس لهم ما يطبخ (ان هو الا التمر والماء) وان نافية وهو ضمير الطعام والمأكول اى ماعندنا ما يؤكل ويتغذى به الا التمر والماء وروى وانما هو الاسودان التمر والماء قيل هذا كان فى بعض الاحوال (وعن عبد الرحمن بن عوف) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه عن الترمذى والبزار وغيرهما بسند جيد (هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى توفى والهلاك بمعنى الموت مطلقا مستعمل فى حق النبى وغيره قال الله تعالى * كل شئ هالك الا وجهه * واما اختصاصه بميتة السوء كالقتل فعرف طار ولذا كثر استعماله فى الاعداء فيقال هلك عدو الله وقد ورد فى الحديث والاهانة انما غلبهم من ذكر العدو ونحوه (قلت فلا يجوز لنا لان اطلاقه على من كرمه الله والصحابة ونقتصر فيه على ماورد منه من غير نكير كما ورد فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام حتى اذا هلك وكذا ورد فى حق غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يختص بمن استحق العذاب الا بقرينة (ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير) واول الحديث عن نوفل بن اياس الهذلى قال كان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه جليسا لى وكان نعم الجليس وانه انقلب بنا ذات يوم حتى اذا دخلنا بيته دخل فاغتسل ثم خرج واتانا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف فقلت يا ابا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير فلا اراناً اخرنا لما هو خير لنا وقد تقدم انه ورد فى معناه احاديث كثيرة متقاربة المعنى وتقدم مافيه من الاشكال وجوابه والى تقوية هذا اشار بقوله (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها وابى امامة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم نحوه) اما حديث عائشة رضى الله تعالى عنها فما فى الصحيحين عنها انها قالت ماشبع رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم من خبز شعير يومين حتى قبض وحديث ابى امامة رضى الله تعالى
عنه فى الترمذى بهذا اللفظ ايضا وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عنه
هو المذكور عقب هذا بقوله كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى آخره كما قاله
السيوطى رحمه الله تعالى و سياق كلامه يأباه ولو كان مراده هذا اكتفى بذكره
والاحسن انه ما فى الصحيحين ايضا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان عمر
رضى الله تعالى عنه حدثه انه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اعتزل
نساءه فاذا هو مضطجع على حصير قد اثر بجنبه فقلبت عينى فى خزانته فاذا هى
ليس فيها شئ غير قبضتين من شعير وقبضة من تمر فابتدرت عيناى فقال ما يبكيك
يا ابن الخطاب فقال مالى لا ابكى وانت صفوة الله من خلقه وهذه الاعاجم فى الثمار
والانهار وانت هكذا قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا
فقلت بلى يا رسول الله قال فاحمد الله عز وجل (قال ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالى المتتابعة طاويا)
حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل طاوين لان المقصود حاله
صلى الله تعالى عليه وسلم وحال اهله يعلم من حاله لانهم يتبعونه فى كل حال وطاويا
بمعنى جايعا لان الطوى الجوع كما ذكره الجوهرى والليالى منصوب على الظرفية
وقوله (لا يجدون عشاء) بفتح العين والمد الطعام الذى يقابل الغداء وخصه لقوله
يبيت والمراد به مطلق الطعام وهذا الحديث اخرجه الترمذى وابن ماجة (وعن
انس رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه البخارى (قال ما اكل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر الخاء المعجمة وضمها فارسى معرب ويقال اخوان
بزنة اكرام وهو والمائدة والميدة بمعنى وان فرق بينهما فى الاصل بان الخوان
ما يوضع عليه الطعام قبل وضعه و بعده يسمى مائدة والاكل عليه عادة المتكبرين
حتى لا يحتاجون للانحناء اذا اكلوا وقيل انه عربى من التخون وهو التنقص و يجمع
على اخونة وخون واما السفرة بالضم فالطعام المعد للسفر وتكون بمعنى ما يوضع
عليه الطعام من الاديم ايضا (ولا فى سكرجة) قال الجوالقى هى بضم السين المهملة
وضم الكاف وفتح الراء المهملة المشددة وجيم وهاء وهى اعجمية معربة وقيل الصواب
اسكرجة بهمزة مضمومة قد جاء فى الحديث الصحيح بدون همزة ومعناه مقرب الخل
ولذا قيل معناها قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ والجوارشات فى الجوانب
المائدة فيها ما يعين على الهضم وقيل قصعة مدهونة وقيل انها مائدة صغيرة
وعلى كل فهى مما يصنعه العجم والمقلدون لهم من المتكبرين والجيم والهاء
علامة التصغير عندهم وقيل فيها ايضا سكيرجة (ولا خبز له مرقق) بالبناء
للمجهول ومرقق بوزن معظم رقيق الخبز كالرقاق وقيل هو المنبسط الرقيق وقيل

هو الحوارى والسميد بدال مهملة او معجمة وفى رواية مرققا بالنصب تمييزا او مفعول ثان
لخبز لتضمنه معنى الجعل والمراد ان خبزه صلى الله عليه وسلم لم يجعل من بياض
الدقيق لانهم لم يكن لهم مناخل (ولا رأى شاة سميطا قط) سميط فعيل بمعنى المفعول
اى لم يطبخ له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة بتمامها بعد سمطها اى غلبها فى الماء
الحار حتى يذهب شعرها ثم تشوى وظاهر كلامهم انها لم تسلخ وان ماذكر فى الحملان
الصغيرة (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) فى حديث رواه الشيخان (انما كان
فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى ينام عليه ادما) بفتح الهمزة والدال المهملة
والميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ اللين وقيل انه مخصوص بالاسود (حشوه
ليف) والليف ما يكون من النخل وهو معروف (وعن حفصة رضى الله تعالى عنها)
بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ام المؤمنين وحديث حفصة رواه الترمذى
فى الشمائل منقطعا وحديثها لا ينافى حديث عائشة المتقدم لجواز كون ان كلا
منهما ذكرت فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى كان عندها (كان فراش
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيته مسحا) بكسر الميم وسكون السين
المهملة وبعدها حاء مهملة وهو ثوب مستعد للفراش شبه الكساء و يقال له حنبل وقيل
هو ثوب اسود من شعر يلبسه الزهاد وقيل هو ثوب من الشعر والوبر والصوف يلبس
ويجلس عليه وجمعه مسوح وعلى كل حال فهو شئ غليظ يتنزه عن مثله اصحاب
الترفه (نثنيه ثنيتين فينام عليه) الثنى بكسر فسكون والمثنى ما ثنى بعضه على بعض
وعطف اى نجمع بعضه على بعض مرتين حتى يكون اثخن واوطأ للنوم عليه وتثنيته
ثنتان وجمعه اثناء وروى ثنتين بمثناة فوقية مكان الباء المثناة التحتية والمعنى واحد
والنسخة الاولى اصح واشهر (فثنيناه له ليلة باربع) طاقات ليكون الين مهادا من الثنيين
(فلما اصبح صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما فرشتم لى الليلة فذكرنا ذلك له) وهو
انهم جعلوا فراشه اربع طاقات (فقال ردوه بحاله) الاول وهو الثنيان (فان وطاءته)
بفتح الواو والطاء المهملة والمد وتاء تأنيث مضاف لضمير الفراش فوزنه فعالة او فعله بفتح
فسكون وهمزة غير ممدودة على وزن فعلة اى لينه تحت جنبى لكثرة طاقاته وتضعيفها
(منعتنى الليلة صلاتى) اى ان لينه لذاته عليه السلام النوم فنام اكثر من معتاده لان فراشه
مهد لم يؤذه حتى ينبهه فانقطع عن بعض القيام لتهجده ليلا لزيادة نومه (وكان صلى الله
عليه وسلم ينام احيانا على سرير مرمول) ونومه الاول على فراش على الارض ومرمول براء
مهملة وميمين بمعنى منسوج (بشريط) او غيره والشريط بشين معجمة وراء وطاء مهملتين
بينهما ياء مثناة تحتية حبل مفتول من خوص النخل او سعف وجمعه حبال و واحده
شريطة (حتى تؤثر) حبال شريطه (فى جنبه) لكونه بغير فراش يحول بينه و بينه
وهذا من حديث طويل رواه الشيخان والترمذى وفيه وتحت رأسه وسادة من ادم

حشو ها ليف و فى معناه احاديث اخر (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط) قال التلمسانى فيه اربع لغات فتح الشين المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها وقال البرهان هو بفتح الموحدة نقيض الجوع و بسكونها مايشبع والظاهر هو الاول وقيل عليه ان كان ظهوره امابحسب الرواية فسلم واما بحسب الدراية فالظاهر الثانى لانه اسم عين وعلى الاول اسم معين و لامتلاء منه مجازى كامتلأ غضبا وقيل عليه ان المجاز ابلغ من الحقيقة فهو اولى رواية و دراية فالبرهان مع البرهان وفيه نظر وهذا يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبع ولكنه لايمتلئ جوفه بتمامه منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار على مايقوم به الاود ثم ملأ ثلث بطنه فان ثلثها للزاد وثلثها للماء وثلثها للنفس فان زاد فنصفها ومازاد على ذلك حرص و بطنه غير ممدوحة وقد يحرم ان وصله للضرر والتخمة قصدا كما ناول امرتبه واجب (ولم يبث شكوى الى احد) بفتح الياء التحتية وضم الباء الموحدة وتشديد المثلثة بمعنى يذكر و يظهر يقال بث الخبر وابثه اذانشره و يقال ايضا نثه بالنون و بهما روى قول قيس

*اذاجاوز لاثنين سر فانه * يبث وتكثير الحديث قمين*

والشكوى مذمومة فالذى يليق بمقام العارفين الصبر وكتم مابهم لاسيما والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسر بكل مايأتيه من الله ولايعده مؤلما بل يتلذذ به فكيف يتصور شكواه والى هذا اشار بقوله (وكانت الفاقة) وهى الحاجة والفقر (احب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الغناء) قيل هذا يقتضى ان الفقرا فضل من الغناء وقد اختلف فيه على قولين ولكل منهما ادلة كقوله تعالى *ووجدك عائلا فاغنى* حيث امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالغنى ولادليل فيه لانه امتن عليه بقضاء حاجته و المفضول قد يكون فى مقام له منة تزيد على الفاضل ولا فى قوله ان الانسان ليطغى ان رأه استغنى فانه لم يذم الغناء بل ماقد يترتب عليه وكذا كون حساب الفقير اخف والمختلف فيه هل الغنى الشاكر خير ام الفقير الصابر فذهب الى كل منهما قوم من العلماء لحديث ذهب اهل الدثور بالاجور و حديث ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم من ايام القيامة و هو خمسمائة عام الى غير ذلك من الاحاديث الواردة فى الجانبين وقال الغزالى رحمه الله تعالى قد انكشف ان الفقر هو الافضل لكافة الخلق الافى موضعين غنى يستوى فيه الوجود والعدم و يستفاد به دعاء المساكين و قضاء حوائجهم كغنى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم وفقر يكون مع الضرورة حتى يكاد يكون كفرا فالاول خير محض وهذا الاخير فيه يوجد من الوجوه والممدوح غنى النفس لاغنى المال من حيث هو والفضل كله فى الكفاف والاقتصار على مقدار الحاجة و لذا طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم

له ولآله (وان كان ليظل جائعا) ان مخففة من ان المكسورة الهمزة المثقلة النون والجملة حالية ويظل بفتح المثناة التحتية والظاء المشالة من اخوات كان واصل معنى ظل فعله نهارا لانه زمان يبدو فيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل ليلا ونهارا و هو المراد (يلتوى طول ليلته من الجوع) بتقديم اللام على التاء الفوقية وواو مخففة مكسورة وفى نسخة يتلوى بياء مثناة مفتوحة وفوقية مفتوحة ولام كذلك وواو مشددة مفتوحة يليها الف ومعناه ينقلب على فراشه من الم الجوع من لواه ليا اذا صرفه عن جانب لاخر قال تعالى لووا رؤسهم وهذا لزهده صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا وصبره على مشاقها ليقمع شهوته و يقهرها و يرشد امته كذلك كما بينه بعد وقوله (فلايمنعه) ذلك اوجوعه (صيام يومه) بالنصب بيمنع او بنزع الخافض اى عن صيام يومه يقال منعت الرجل عن الشئ فامتنع و قوله (ولوشاء) صلى الله تعالى عليه وسلم الغنى اوالشبع وشاء كثيرا ما يحذف مفعولها بعد لو لدلالة جوابها عليه (سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها) مابعد الكنوز يجوز جره عطفا عليه ونصبه عطفا على جميع والكنوز جمع كنز وهو معروف والثمار جمع ثمرة وهى مايحصل من الاشجار ونحوها وقد يراد به كل ما يستفاد من غيره كما يقال ثمرة العلم العمل و يجوز ارادة هذا هنا و رغد بفتحتين وقد يسكن ثانيه يقال فيه رغيد وارغد والعيش بمعنى المعيشة و المراد مايتعيش به و اصل معنى الرغد الواسع يقال ارغد فلان اذا اصاب رغدا اى سعة وخصبا وغيره (ولقد كنت ابكى له رحمة مما ارى به) وفى نسخة لما ارى به اى مما اشاهده به اوما اعلمه به (وامسح بيدى على بطنه) كانه يمسحه تستريح بذلك كما كان يضع الحجر عليه ليبرده و يشد صلبه وهذا للشفقة (مما به من الجوع) اى من المه ثم تبين ان ذلك شفقة بقولها (واقول نفسى لك الفداء) تقدم ان الفداء بالكسر والفتح والقصر والمد وهو مايفدى به الاسير ونحوه فيجعل عوضا عنه و يقال افديه بنفسى وبامى وبابى ومالى وقد يقال بنفسى من غير ذكر للفداء وتسمى الباء باء التفدية وهذا جائز بل مستحب لصدوره منه صلى الله تعالى عليه وسلم فيقال لمن له شرف كالحكام والعلماء والصلحاء واعزة الاخوان قصد التوقيره واستعطافه ولو كان محظورا كما قيل ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم ونهى عنه من قاله له وقد قال له ابو بكر رضى الله تعالى عنه فديناك بآبائنا وامهاتنا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد ارم فداك ابى وامى ومنعه قوم لحديث مالك بن فضالة ان الزبير رضى الله تعالى عنه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شاك فقال كيف نجدك جعلنى الله فداك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم مازلت على اعرابيتك بعد قيل ولاحجة فيه لما ادعوه لان هذا الحديث الواحد لايقاوم الاحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة بخلافه ولاحتمال انه انما نهاه عنه لوروده فى غير

محله لانه لاينبغي ان يقال ذلك للمريض بل يتوجع له و يقال لا بأس عليك وعافاك الله وشفاك ونحوه ولكل مقام مقال لا لان القائل له كان ابواه مشركين ولا لانه من خصوصياته لان من قائليه لبس كذلك والاصل عدم الخصوصية (لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك) التبلغ مفعل من البلاغ وهو مقدار الكفاية يقال تزود من دنياك بالبلاغ مأخوذ من الزاد الذى يبلغ به المسافر منزله وضمنه هنا معنى اكتفيت اى لو اكتفيت منها بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة ولو للتمنى (فيقول) صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها (مالى وللدنيا) قيل ما نافية اى لبس لى الفة ومحبة مع الدنيا حتى ارغب فيها او استفهامية اى اى الفة ومحبة ورغبة لى فى الدنيا وهذا من آثاره صلى الله تعالى عليه وسلم الزهد واظهاره لغنى القلب ومحبة تركها ثم بين انه مقام عظيم سبقه به الرسل عليهم الصلوة والسلام فجرى على طريقتهم فقال (اخوانى من اولى العزم من الرسل) تقدم انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام على خلاف فيهم وفى وجه تسميتهم بذلك (صبروا على ما هو اشد من هذا) كالحبس والعرض على القتل او غير ذلك مما علم من التفاسير (فضوا على حالهم) اى استمروا عليه راضين بقضاء الله لهم الى ان ماتوا (فقدموا على ربهم) اى لاقوه وشهدوا ما انكشف لهم من احوال الاخرة فى البرزخ (فاكرم مآبهم) اى اكرمهم الله فى مرجعهم اليه يقال آب يؤب اذا رجع فهو اسم مكان او مصدر ميمى (واجزل ثوابهم) اى اكثر لهم العطاء والجزاء فى دار المقام (فاجدنى استحيى من الله عند لقائه (ان ترفهت فى معيشتى) اى ان تنعمت وتوسعت فى العيش والترفه تفعل من الرفاهة والرفاهية وهى كالرغد السعة وقد كان الله خيره صلى الله تعالى عليه وسلم قبيل موته بين الخلد فى الدنيا ولقائه فاختار لقاءه كما قاله ابن العربى وان شرطية ويجوز فتحها على المصدرية بتقدير لام قبلها اى لترفهى ووقع فى نسخة فى معيشتهم اى فى جنس معيشتهم والاصح الاولى (ان يقصر بى غدا) يقصر مبنى للمفعول مع التشديد اى يقع التقصير او المقصر بالكسر حاله وعمله (دونهم) اى فيكون مقامى دون مقامهم لتنزل مرتبتى عن مرتبتهم والمعيشة تفعلة وجمعه معايش بلا همزة وقد تهمز قليلا كما بينه النحاة وهى ما يتعيش به وغدا بالمعجمة اليوم الذى بعد يومك والمراد به الآخرة جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والاخرة لكونها بعدها بمنزلة غد استعارة (وما من شئ هو احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى) بالمد مضاف لياء المتكلم جمع خليل وهو قياس فى المضاعف والمراد بالاخوان والاخلاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام السابق ذكرهم (والرفيق الاعلى) وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لم يقبض نبى حتى يرى مقعده فى الجنة ويخير بذلك فلما حضرته صلى الله تعالى

عليه وسلم الوفاة شخص بصره وهو يقول اللهم اغفرلى وارحمنى والحقنى بالرفيق الاعلى كما فى البخارى وفى النهاية الرفيق الاعلى جماعة انبيين الذين يسكنون اعلى عليين او المراد به الله عز وجل والرفيق بمعنى الرؤف وهو من اسماء الله كالاعلى واللحوق بهم بمعنى كونه معهم (قالت) عائشة رضى الله تعالى عنها (فما اقام بعد) بالبناء على الضم اى بعد مقالته هذه (الاشهرا حتى توفى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى انتقل للاخرة واستوفى ايام عمره

﴿فصل واما خوفه ربه﴾ عز وجل

ولما كان الزهد ترك الدنيا باختياره وحبسه نفسه عن الشهوات وذلك انما يكون بعد تحقق الخوف والرجاء عقب الزهد بالخوف من الله وربه منصوب مفعول المصدر واعلم انهم اختلفوا فى خوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من عقاب الله فقال الامام ابو الحسن الاشعرى فى كتاب الايجاز كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف الله بلا خلاف الا ان خوفه كان لماذا فقال اهل الحق كان خوفه قبل ان آمنه الله من عقابه وبعده كان من عتابه ولومه فى الدنيا كما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لما اعرض عن ابن ام مكتوم عبس وتولى الاية فاما بعد ان آمنه الله تعالى من عقابه فلا يجوز ان يخاف عقابه مع علمه بانه آمنه منه فاخبره بانه لا يخاف عقابه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا انه هو وسائر المكلفين ماداموا المكلفين فى الدنيا لابد ان يخافوا عقابه سواء امنهم ام لا دليلنا ان الخوف من شئ لا يجوز الامع تجويز نزوله به واما مع القطع بانه لا يحصل ابدا فمحال حصول الخوف منه عند عاقل فلو قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخاف عقاب الله مع تأمين له الله من ذلك لادى الى كونه شاكا فى غيره وانه صدق او كذب فى اخباره بانه لا يتعلق به عقاب ولما بطل هذا بالاتفاق علم ان الخوف لا يصح مع القطع بانه لا يعاقب اصلا انتهى وسئل شيخ مشايخنا ابن حجر الهيثمى عن الانبياء والملائكة عليهم الصلوة والسلام والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون عقاب الله تعالى بعد اخبار الله لهم بانهم لا يعذبون فاجاب بان نفى الخوف واثبات الامن لمن ذكر مطلقا باطل بل مصادم للنصوص من وجوه احدها ان حقيقة الخوف كما فى الاحياء الم القلب لتوقع مكروه فى المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعف القوة عن الوفاء بحقوق الله على ما ينبغى والخوف بهذا المعنى محقق فى جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يأمنه احد الا ان كان المأمون منه الانسلاخ عن النبوة والملكية والايمان فى العشرة على انه قيل بوقوعه لبعضهم والرجاء والخوف متلازمان واشتراط الرجاء والخوف بما هو مشكوك فيه لا تأييد فيه لانهم لا يخافون لانهم على بينة ويقين من ربهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر من معنى الخوف فالكل على يقين من اصل الكمال وقد تعتريهم استشعار قدرة الله واستغنائه عن خلقه وانه لا يسئل عما يفعل ولا يجب عليه شئ وقد يشترط

ما اخبرهم به بما انطوى عن علمهم فيوجب الخوف حتى من سلب اصل الكمال (الثانى ان الشافعى رضى الله تعالى عنه صرح بان الملائكة داخلون فى قوله لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون لما اخرج ابن ابى حاتم من ان الله تعالى قال لهم ما هذا الخوف الذى بلغ منكم وقد انزلتكم منزلة لم ينزلها غيركم فقالوا ربنا لا يأمن مكرك الا القوم الخاسرون (الثالث ما فى الاحياء ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يخافون المكر لما روى ان النبى و جبريل عليهما الصلوة والسلام بكيا خوفا من ان يكون تأمينهم امتحانا و مكرا وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين فلا شبهة فى ذلك لقوله ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم (فان قلت يرده ما روى عن الحسن انه قال لما نزلت هذه الآية خاف صلى الله تعالى عليه وسلم زمانا فلما نزل انا فتحنا اجتهد صلى الله تعالى عليه وسلم فى العبادة وقال افلا اكون عبدا شكورا وروى انه قال فى الآية ان ذلك فى الدنيا اما فى الآخرة فمعاذ الله لانه اخبر بانه فى الجنة فالمعنى ما ادرى ما يفعل بى فى الدنيا فاخبره بنصره واظهار دينه (قلت المراد خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم من امور الدنيا واستيصال امته فامنه الله منه واما الخوف من الله فلا يأمنه احد (الرابع انه ورد فى ادعيته صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يدل عليه نحو اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك وقوله اللهم انى اعوذ بك من عذاب النار وفتنة المحيا والممات وليس هذا تشريعا لامته ان يقولوه لانه لم يقل قولوا ولا قرينة على تقديره انتهى وقد اختلف الفقهاء فى الامن من مكر الله واليأس من رحمته فقالت الشافعية انهما من الكبائر وقالت الحنفية انهما كفر لقوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وتمسك الشافعية بعدهما من الكبائر بما ورد فى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقال ابن ابى شريف ان اريد باليأس انكار سعة الرحمة الذنوب وبالامن انه لا مكر فهو كفر وفاقا لانه رد للقرآن وان اريد استعظام الذنوب واستبعاد العفو استبعادا يدخل فى حد اليأس وغلبة الرجاء المدخل له فى حد الامن فهو كبيرة لا كفر فان ورد اطلاقه عليه فللتغليظ اوارادة كفران النعمة انتهى وبهذا وفق بينهما ابن نجيم فى رسائله وعلى ما مر عن الاشعرى يخص الامن بغير من مر وعلى غيره هو باق على عمومه هذا جملة ما قاله الفقهاء والاصوليون فى هذه المسئلة وههنا بحث فيما قالوه وهو ان الاشعرى امام اهل السنة وقد جزم بانهم عموما ذهبوا الى امنهم من العقاب كان دون العتاب وقوله افلا اكون عبدا شكورا يؤيده وما ذكر من الخوف والادعية فالظاهر الذى يقتضيه النظر الدقيق ان مكر الله ليس بمعنى عقابه بل بمعنى ان يقدر عليهم امرا يقتضيه اذا صدر منهم لانه تعالى وان كان له ان يعذب كل احد لكن عدله وحكمته يقتضى ان لا يقع ذلك منه بل يجوز جوازا عقليا ومن علم

هذا ونظر لعظمته واستغنائه عن جميع مخلوقاته خاف منه وخشى منه وهذا مقام الكملين ولذا قال انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا الخوف لابد منه لكل احد واما خوف العقاب بدون هذا ما دام على حال العصمة والتقوى فلا يجوز عليهم فانه يلزم عدم الوثوق بخبره تعالى وعلى هذا يحمل كلام الاشعرى وهو مناف لما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى اذا عرفت هذا فقوله فى شرح جمع الجوامع الامن من مكر الله تعالى معناه الاسترسال فى المعاصى اتكالا على العفو ليس بسديد وليس محلا للخلاف (ثم اقول الحق ما قاله الاشعرى والذى ندين الله به انا نعتقد ان العقاب لا يقع وان الانبياء خصوصا نبينا عليهم الصلاة والسلام بعد عصمته ومغفرة ما تقدم وما تأخر له لا يخشى احد عليه العقاب ولا يجوز تجويزه عليه اما هو فلعظمة الله ومهابته عنده وعلمه بانه غنى عن خلقه له ان يفعل بهم ما اراد فيخافه خوفا شديدا ويستعيذ من عقابه وان لم يجوزه نحن وفى قوله تعالى * لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * ايماء لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لا دليل فيه وكلام الغزالى لا حجة له فيه والآية التى ذكرها مخصوصة بالدنيا او منسوخة كما فى الكشاف (ولك ان تقول انه لشدة خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الله قد يذهل عن تأمين الله له لا سيما مع ما مر ونظيره ما قاله السيوطى رحمه الله تعالى فى اجوبة الاسئلة التكرورية فى قول يوسف عليه الصلوة والسلام توفنى مسلما وهو يعلم ان كل نبى لا يموت الا مسلما انه دعى بذلك فى حال غلبة الخوف عليه حتى اذهلته عن علمه ساعة الدعاء او غير ذلك اظهارا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة فى طلب سعادة الخاتمة وتعليمها للامة انتهى ثم رأيت ما قلناه صرح به ابن عربى فى سراج المريدين فالحمد لله على الوفاق وانما اطلنا الكلام فى هذا المقام لانه من مزل الاقدام فعليك باعادة النظر فان مورده لم يصف من الكدر ولنا عودة الى الكلام فيه آخر الكتاب ان شاء الله تعالى (وطاعته له وشدة عبادته) قرنهما مع الخوف لتلازمهما معه (فعلى قدر علمه بربه) قال القشيرى رحمه الله تعالى العلم والمعرفة عند العلماء بمعنى وعند القوم معرفة الحق باسمائه وصفاته ومن عرفه صدق فى معاملاته وتنقى من ردى اخلاقه وآفاته ومن امارات المعرفة حصول الهيبة وهى الخوف مع الاجلال ولذلك اشار المصنف فان من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه واطاعه وعبده على قدر طاقته وانما يعصى الله من جهل ربه ونفسه فان الايمان محبة الله ومن احبه اطاعه وتحت الرغوة اللبن الصريح (ولذلك قال) حدثنا وفى نسخة حدثنى (ابو محمد ابن عتاب قراءة منى عليه) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابو القاسم الطرابلسى) حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمى المعروف بابن الطرابلسى كما تقدم عن البرهان فالنسبة اليه طرابلسى واطرابلسى بزيادة همزة فى اوله وهى مدينة بالشام وبالمغرب والمشهور فيها

زابلس بالتاء الفوقية وهو صحيح ايضا لانه اعجمى عرب بابدال التاء طاء فلك حكاية اصله والنطق بمعربه قال (حدثنا ابو الحسن القابسى) على بن محمد بن خالد المغافرى الامام الفقيه الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا ابو زيد المروزى) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو عبد الله الفربرى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخارى صاحب الصحيح وقد تقدم قال (حدثنا يحيى بن بكير) المخزومى الحافظ ابو زكريا المصرى روى عنه البخارى وغيره وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة (عن الليث) بن سعد بن عبد الرحمن بن حمزة عالم مصر واصله من اصفهان وكان نظيرا لامام مالك وكان اسخى الناس فقيل انه كان دخله فى كل يوم الف درهم ولم تجب عليه زكاة توفى يوم الجمعة منتصف رمضان سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وادرك ناسا من التابعين (عن عقيل) مصغر وهو عقيل بن خالد الحافظ اخرج له الائمة الستة وله ترجمة فى الميزان توفى سنة احدى واربعين ومائة (عن ابن شهاب) تقدم انه ابو بكر بن محمد الامام المشهور بالزهرى (عن سعيد بن المسيب) تقدم ضبطه وترجمته (ان ابا هريرة رضى الله تعالى عنه) تقدم ايضا (كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم) من عظمة الله وجلاله وكبريائه هذا هو المناسب للترجمة او ما اعلم من احوال الآخرة واهوالها وما سيلقاه الانسان (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) يأتى بيانه وفى الحديث طباقان او ثلاثة بين قليل والبكاء والعلم وبين الكثرة والضحك وعدم العلم فتدبر وهذا الحديث رواه المصنف رحمه الله عن صحيح البخارى وله فيه رواية اخرى عن الترمذى اشار اليها بقوله (زاد فى روايتنا عن ابى عيسى الترمذى رفعه) بصيغة الماضى اى زاد هذا الكلام او مصدر فهو مفعول زاد (الى ابى ذر رضى الله تعالى عنه) يعنى ان رواية البخارى السابقة رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وهذه رواية ابى ذر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد خالف المصنف فى عبارته ما اصطلح عليه المحدثون فان المرفوع عندهم ما اتصل بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بان يذكر صحابيه قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فيقال رفعه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الصحابى وقيل الجار والمجرور متعلق بحال مقدرة تقديره عازيا الى ابى ذر فلا مخالفة فيه لاصطلاحهم وسيأتى تتمته (انى ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون) المراد بما الموصولة فيهما مغيبات وامور فى الملاء الاعلى اطلعه الله عليها وغيره لا يراها كرؤية الملائكة والجنة والنار وعذاب القبر والاطلاع على الموتى واحوال البرزخ وسماعه لاصوات المعذبين فى القبور ولاطيط السماء المشار اليه بقوله (اطت السماء) اصل معنى الاطيط صوت الابل اذا حنت والقتب اذا ضغطه ثقل ما عليه ونحو ذلك اى ان السماء لكثرة

ما فيها من الملائكة اذا تحركوا يسمع لها صوت سمعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وحق لها) بالبناء للمجهول او هو مصدر مرفوع خبر مقدم لقوله (ان تئط) اى تصوت يسمع لها صرير لثقل ما عليها وعلى الاول هو نائب الفاعل وقد قيل ان صريرها يسمع منه الحان متناسبة مطربة منها اخذ الحان الموسيقى ولذا تطرب الارواح لسماعه لتذكرها معاهد حماها وقيل انه انين من خشية الله وقال التلمسانى هذا ايذان بكثرة ما فى السماء من الملائكة وان لم يكن ثمه اطيط والمراد تقرير عظمة الله ثم استأنف صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين سبب اطيطها فقال (ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله) اى ليس فيها مكان خال منهم ومن هنا علم ان الملائكة اكثر المخلوقات (والله لو تعلمون ما اعلم) من احوال الدنيا والاخرة الدال على عظمة الله تعالى وقدرته (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) اى لضحكتم ضحكا قليلا اذا سررتم برجاء عفو الله ونظرتم ما انعم الله به عليكم وبكيتم للخوف منه حتى يشغلكم ذلك عن التنعم والتفكه بلذائذ الدنيا (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) بضمتين جمع فراش وكنى بذلك عن مضاجعة النساء ومجامعتهن (ولخرجتم الى الصعدات) بضم الصاد والعين وفتح الدال المهملات جمع مؤنث سالم لصعد بضمتين جمع صعيد كطريق وطرق لفظا ومعنى اى لخرجتم من دوركم للطريق وممر الناس وقيل جمع صعدة كظلمة وهى فناء الدار (تجأرون الى الله) اى تضجون وتصيحون من الجؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والف وراء مهملة وهو الصياح ورفع الصوت اى تستغيثون الله وتتركون اهلكم ومساكنكم (لوددت انى شجرة تعضد) اى تقطع من اصلها يقال عضدت الخشب والنبات اذا قطعته واللام فى جواب قسم مقدر ووددت بزنة علمت بمعنى تمنيت والعرب تقول وددت ويودى اذا تمنيت (قال البحترى) ويودى لو استطعت لخفت * بصبر عن سيدى حين ملاء * وهو مستعار من المودة المعروفة قال الراغب الود محبة الشئ وتمنى كونه موجودا ويستعمل فى كل واحد من المعنيين على ان التمنى يتضمن معنى الود لان التمنى يشتهى حصول ما يوده انتهى والمراد تمنيه ان يكون غير ذى روح فلا يبعث ولا يسأل وعضد الشجر موته وآخر العهد به (وروى هذا الكلام) يعنى قوله (وددت انى شجرة تعضد) فهو بدل من الكلام مبين له (من قول ابى ذر نفسه) لا من الحديث وكلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) اى كونه منه قول ابى ذر (اصح) وفى نسخة واضح بالضاد المعجمة والصحيح اصح اى كونه من الحديث مرفوعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اليق بحاله وانسب بكلامه بخلاف ما قبله فانه من الحديث بلا خلاف والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله سابقا زاد فى روايتنا عن ابى عيسى الترمذى رفعه الى ابى ذر

واذا كان من كلام ابى ذر فهو مدرج فى الحديث اذ لم يميز لفظه عن لفظه فاعتراض البرهان الحلبى عليه بانه كان ينبغى له ان يقول انه مدرج لا وجه له نعم فى عبارته السابقة كدر لا يخفى قيل وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم تمنى ما ذكر مشكل لانه مقطوع له بالزلفى آمن من كل سوء موقن بالدرجات العلى وخوفه انما هو خوف اجلال وهيبة لا تخوفا من غضب الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة المبشرين بالجنة ليتنى طائر وليتنى لم اخلق بشرا وليتنى كبشا يذبح ويؤكل لحمه ليس لعدم الوثوق بالوعد بل لم يكن الا خوفا من مخالفة امره فانهم يجلونه ويخافون من مخالفته وان لم يعاقبهم وهذا كلام من لم يحقق المقام وقد تقدم فى اول الفصل ما فيه كفاية (وفى حديث المغيرة رضى الله عنه) المتفق عليه فى رواية الشيخين والمغيرة بضم اوله وتكسر اتباعا اى ابن شعبة من الصحابة وهو احد دهاة العرب (صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى صلاة التطوع والتهجد لان الزيادة المذكورة فى بعض الروايات انما تأتى فيها (حتى انتفخت قدماه) اى ورمت من طول القيام (انه كان يصلى حتى ترم) بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء المخففة المهملة وميم مخففة مضارع ورم اذا انتفخ لانصباب المادة لقدميه من طول وقوفه صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع فى بعض النسخ ترم بتشديد الميم اى تصير رمما وهى غير صحيحة رواية ودراية (قدماه) وفى رواية ساقاه وروى تورمت وتزلعت بزاى معجمة وعين مهملة اى تشققت (فقيل له اتكلف هذا) بهمزة استفهام وفتح التاء الفوقية واصله اتتكلف فحذفت احدى التائين تخفيفا اى تتحمل مشقته وكلفته (وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) جملة حالية معترضة بين الاستفهام وجوابه وسيأتى ما فى اضافة الذنب له صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه معصوم عن الصغائر والكبائر على الاصح بان المراد لو صدر منك او ما يعد من الذنوب بالنسبة لغيرك لتنزهك وعلو مقامك وستسمع تفصيله فى محله (قال افلا اكون عبدا شكورا) لما انعم الله على من جلائل النعم التى لا تحصى ومن اجلها عصمته لى ومغفرته لذنبى قبل وقوعه والاستفهام انكارى والفاء سببية اى اترك الصلاة لمغفرته وهى سبب موجب للعبادة لا لتركها وقوله شكورا لانها نعم جليلة تستوجب مزيد شكره وقوله عبدا تلويح لغاية اكرامه له صلى الله تعالى عليه وسلم بتقريبه ونسبته لعبده وكلاهما يقتضى اجل الشكر وهو العبادة (ونحوه عن ابى سلمة) رحمه الله تعالى واسمه عبد الله او اسمعيل او اسمه كنيته ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى التابعى احد الفقهاء السبعة المشهور رواية عن ابى هريرة وغيره وفى الصحابة ابو سلمة عبد الله ابن عبد الاسد المخزومى مات فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعرف له الا حديث واحد واخران غير مشهورين ولا الرواية عنهم مشهورة (وابى هريرة رضى الله تعالى عنه) قال البرهان هكذا فى النسخ قال المحشى

وانا اخشى ان يكون هذا غلطا والصواب فيه ان يكون عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه فانه وقع هكذا فى الشمائل فى باب عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث المغيرة الذى ذكره المصنف هنا فقال بعده حدثنا الفضل ابن موسى عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه كان يصلى الخ الا ان يكون المصنف وقف على حديث آخر لابى سلمة الصحابى ولم نره قلت ويحتمل ان يكون مراده عن ابى سلمة عن ابى هريرة ولكنه عطف احدهما على الاخر وهو بعيد ايضا (وقالت عائشة رضى الله عنها) كما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة) بكسر الدال وسكون الياء المنقلبة عن الواو لانه من الدوام ومعناه الدائم واصل معناه المطر الدائم فى سكون وهدو وفى الحديث احب الاعمال الى الله تعالى ما دووم عليه وان قل لان ترك الشئ بعد فعله كالاعراض عنه بعد الاقبال ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القرآن ثم نسيه (وايكم يطيق ما كان يطيق) اى ايكم يقدر ان يعبد الله كما عبده صلى الله تعالى عليه وسلم كما وكيفا (وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم) روى نقول بالنون والتاء الفوقية وبرفع يقول ونصبه كما قرئ به فى قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الازمنة يوالى الصوم حتى يتوهم انه صائم الدهر وتارة يكثر الفطر حتى يظن انه لا يصوم نافلة وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصوم من اول الشهر ووسطه وآخره حتى يتوهم من صادف ايام صومه انه دائم الصوم ومن صادف افطاره كذلك وهو بعيد وهذا لا ينافى كون عمله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة لانه بالنسبة لما كان راتبا كصوم ثلاثة ايام من كل شهر وهذا بالنسبة لغيره ولك ان تقول الاول فى صلاته وقيامه وهذا فى صيامه ويؤيده لفظ العمل لكن يأباه قوله (ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضى الله عنهم) اسم ام سلمة هند على الصحيح وقيل رملة والاحاديث التى رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف فى بعض الفاظها وكلها صحيحة مروية فى الصحيحين وابن حبان وقد ذكرها بعض الشراح هنا ولكن لا حاجة بنا لايرادها هنا كما فى الشرح الجديد (وقالت) عائشة (كنت لا تشاء ان تراه) صلى الله عليه وسلم (من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما وقال عوف بن مالك) هو عبد الرحمن الاشجعى الصحابى الجليل القدر رضى الله عنه سكن الشام وتوفى فى ايام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائى (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام فصلى فقمت معه) اى اتهجد واقتدى به وفيه دليل على صحة الاقتداء فى صلاة النافلة من غير نزاع واليه ذهب الشافعى رحمه الله وبعض الحنفية (وبدأ) الصلاة وفى نسخة

فابتدأ بالفاء اى شرع فى الصلاة (فاستفتح البقرة) اى شرع فى قراءتها وفيه دليل على انه يقال البقرة وسورة البقرة من غير كراهة كما ورد فى احاديث لا تحصى واسماء السور توقيفية على الاصح خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة السورة التى يذكر فيها التين وهكذا لما روى الطبرانى والبيهقى عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء ولكن قولوا السورة التى يذكر فيها البقرة وهكذا وهو ضعيف بل قال ابن الجوزى انه موضوع والاحاديث المعارضة له صحيحة فهى ارجح وعليه العمل او نقول ان هذا كان فى اول الاسلام ثم نسخ لان المشركين كانوا يستهزؤن بهم اذا قالوا سورة العنكبوت ونحوها فلما كفاه الله المستهزئين وكف السيف ايديهم والسنتهم قيل ذلك من غير حرج (فلا يمر) صلى الله تعالى عليه وسلم (بآية رحمة الاوقف فسأل) الله الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الاوقف وتعوذ) بالله من العذاب وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائى ويؤخذ منه ينبغى لمن قرأ القرآن ان يتدبر ويتذكر فى معانيه وان الدعاء بما يناسبه مستحب ومستجاب فيدعو بما يناسبه واذا ذكر الايمان بالله يستحب ان يقول آمنت بالله ونحوه ونحو هذا ما ورد ان من قرأ سورة تبارك فبلغ فمن يأتيكم بماء معين فليقل الله رب العالمين واذا قرأ سورة التين فبلغ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرأ لا اقسم بيوم القيامة وبلغ قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل بلى واذا قرأ والمرسلات وبلغ فباى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله واذا قرأ سبح اسم ربك فليقل سبحان ربى الاعلى واذا قرأ سورة الرحمن فليقل عند كل فباى آلاء ربكما تكذبان ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب وكل ذلك ورد فى الاحاديث الصحيحة وهذا نظير سجود التلاوة الآن من الناس من فعل امورا زائدة على ما ورد كالدعاء بين الجلالتين فى سورة الانعام وقد قال البقاعى انه بدعة لم يرد فى اثر ولا حديث (ثم ركع فمكث) بضم الكاف وهى لغة القرآن وتفتح فى لغة عنه ومعناه انتظر وتوقف (بقدر قيامه يقول سبحان الله ذى الجبروت والملكوت والعظمة) هذه الصيغة مر انها صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت والرغبوت وهى مصادر فى الاكثر ووردت فى الاسماء ايضا كطالوت والجبروت مبالغة فى الجبر وهو القهر والملكوت الملك العظيم وعقبهما بالعظمة لانهما كالدليل عليها ولانها اعم ويكون صلى الله تعالى عليه وسلم كرر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون بمقدار قيامه كما لا يخفى (ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران) اى السورة التى ذكر فيها قصة آل عمران وقد تقدم جوازه وما فيه (ثم سورة سورة) اى قرأ فى صلاته فى كل ركعة سورة بعد سورة وهما منصوبان على الحالية كما قرره النحاة فى قولهم قرأت النحو بابا بابا وجعله التلمسانى منصوبا مفعولا لقرأ المقدر وفيه نظر والسورة مهموزة من السؤر وهو بعض الماء الباقى فى الاناء وتبدل همزته واوا

لسكونها وانضمام ما قبلها وقيل ان واوه اصلية على انه من السور لاحاطتها بالآيات او من السوار او من التسور لرفعتها والسورة مقدار من القرآن مشتمل على آيات اقلها ثلاثة مسماة باسم ولا يرد عليه آية الكرسى لذكر الآية (يفعل مثل ذلك) المذكور من القراءة والتسبيح (وعن حذيفة) بن اليمان الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه مسلم عنه (مثله) اى مثل الحديث السابق (وقال) حذيفة رضى الله تعالى عنه (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو ويقال هذا نحو هذا اى مثله او قريب منه (فان قلت ذكر الفقهاء ان الجلوس بين السجدتين ركن قصير غير مقصود لذاته بل للفصل بين السجدتين حتى قال بعض الشافعية ان تطويله قصدا مبطل للصلاة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح رواه مسلم كما مر وهو مناف لما ذكر (قلت قالوا انه انما يضر اذا طول بسكوت او بذكر غير مشروع فلو طول بغير ذلك كما فى صلاة التسبيح فلا يضر وقد يستحب كما ذهب اليه النووى تبعا لامام الحرمين استدلالا بحديث حذيفة هذا ولا يشترط ان يكون بمقدار اكمل التشهد (وقال) حذيفة رضى الله تعالى عنه (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) اى قرأ فى ركعة بسورة من هذه السور (وعن عائشة رضى الله عنها) فى حديث صحيح اخرجه احمد والنسائى عن ابى ذر والآية التى ذكرت فى قولها (قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن) اى رددها طول ليلة وتكررها فى كل ركعة وهى كما صرح به ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فى سورة المائدة وانما اكثر تردادها للتدبر والتفكر فيها فان القرآن له بطون سبعة ففى كل قراءة يظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يظهر قبل والله تعالى تجلى لخلص عباده فى كلامه ولكن لا تبصرون كما روى عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ففى كل قراءة يتجلى له الله فى مرآة كلامه ومثل هذا الاتى به العبارة اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى تطبع فيها صور الحقايق (وعن عبد الله بن الشخير) بكسر الشين والخاء المعجمتين المشددتين ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة وهو ابن عوف بن كعب العامرى الصحابى البصرى المخضرم الذى ادرك الجاهلية والاسلام وروى له اصحاب الكتب الستة وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذى والنسائى (اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه ازيز كازيز المرجل) جوف كل شئ باطنه والمراد به ما تحت صدره واضلاعه والازيز بهمزة مفتوحة وزائين معجمتين بينهما ياء مثناة تحتية ساكنة وهو صوت الغليان اذا اشتد وهو المشبش والمراد انه صلى الله عليه وسلم لشدة خوفه وخشيته من الله يسمع حركة قلبه اذا رق صدره وقيل صوت الحنين مع البكاء والمرجل بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس (قال ابن ابى هالة) الصحابى المتقدم رضى الله تعالى عنه (كان صلى الله عليه وسلم

متواصل الاحزان) اى حزينا حزنا يتصل بحيث لا ينفصل بينهما فرح مسرة وهذا يقتضى الدوام ولذا فسره بقوله (دائم الفكرة) اى تفكره دائما فى امره وامر امته ومن كان هكذا (ليست له راحة) لاستغراق اوقاته فى الذى كلفه من اعباء الرسالة وتبليغ الاحكام وتدبير الحروب والوقايع ومن نيط به امور جميع الخلايق كيف يفضى من الهم فان الامور بقدر الهمم والظاهر ان هذا حاله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن متكلما مع الناس فى مصاحبته لهم وحكمه بينهم وملاقاة من يقدم عليه من الوفود وعرض الناس عليه امورهم وفى عشرة اهله وانما ذاك حال سكوته وهو بين الناس وفى خلوته بنفسه ومشيه وتعبده اما فى غير ذلك فكان طلق المحيا متبسما متلقيا بالبشر ودوام كل شئ بحسب زمانه * فاقسم لكل زمان ما يليق به * فان للزند حليا ليس للعنق * فسقط ما قيل انه وصف فى غير هذا الحديث بانه صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر وهذا مناقض له وقد اورد عليه ايضا ان الحزن فضلا عن دوامه غير محمود وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال لا تحزن ان الله معنا وقال انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا واستعاذ صلى الله تعالى عليه وسلم منه فقال اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن وتقدم الفرق بينهما بان الهم لما يقع فى المستقبل والحزن لما مضى وكلاهما مفتر للعزم مضعف للقلب غير معدود من مقامات العارفين ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يصيب المؤمن من هم ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به من خطاياه يدل على انه مصيبة يؤجر المرء عليها وسيأتى الكلام عليه والحديث الذى ذكره المصنف رواه الطبرانى والقضاعى وقال ابن القيم كما سيأتى انه لم يثبت وفى سنده من لا يعرف ولا اعلم صحته وفى التورية اذا احب الله عبدا جعل فى قلبه نايحة واذا ابغضه جعل فى قلبه مزمارا فقال ابن القيم اجمع اهل السلوك على الحزن ليس من مقامات السائرين الى الله الا ابو عثمان الحيرى فانه قال الحزن فضيلة وزيادة كمال للمؤمن ما لم يكن على معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا اوجب تمحيصا فهو بلاء ومحنة كالمرض لا مقام كما قاله الجيلى وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اودعه الله فيه من الرحمة ورقة القلب فكان يحب هداية الامة فاذا رأى ما هم عليه من العناد هم وتخلفهم حزن لذلك وخاف من ان ينسب اليه قصور فى دعوتهم وبما قررناه ظهر انه ليس فيما ذكر اشكال بوجه من الوجوه ولا حاجة لتفسير دوام الفكرة بانها فى ذات الله وصفاته حتى يرد عليه انه منهى عنه فيجاب بان المنهى غير الكمل كما قيل (وقال عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وروى سبعين مرة) هذا حديث صحيح وسيأتى الكلام عليه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم استغفر الله بمعنى اطلب منه المغفرة او اذكر هذا اللفظ بعينه والسبعون عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا يكون الروايتان بمعنى

وطلب المغفرة وان اقتضى الذنب وهو صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الكبائر والصغائر مطلقا على الاصح المراد به انه مع كماله صلى الله عليه وسلم يشهد فى نفسه قصورا نزل منزلة الذنب فاستغفر له وعد اشتغاله بما ابيح له كالاكل واشتغاله بامور الناس ذنبا لعوقه عن الشهود او هو تشريع لامته او كان استغفاره صلى الله عليه وسلم لذنوبهم او انه لم يزل مترقيا فى المقامات فكلما ترقى لمرتبة رأى ما دونها نقصا فاستغفر منه وستأتى تتمته (وعن على كرم الله وجهه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته) اى طريقته التى هو عليها وهذا الحديث ذكره فى الاحياء وقال الحافظ العراقى انه لا اصل له وقال السيوطى رحمه الله تعالى انه موضوع وآثار الوضع لايحة عليه وهو يشبه كلام الصوفية (فقال المعرفة رأس مالى) رأس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به هو الفائدة والمراد بالمعرفة معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الامور مما لم يكن يعلمه وهى تخص العلم المسبوق بالعدم او بالجزئيات فلذا قيل ان علم الله لا يسمى معرفة ولا يقال لله عارف الا انها جاءت بمعنى العلم ايضا والمراد هنا الاول لمقابلتها بالعلم وهذا تشبيه بليغ كما قيل * اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق فى غير واجب * وقد تقدم (والعقل اصل دينى) مر ان العقل قوة غريزية فى الانسان يستعد بها لادراك العلوم اى دينه وشرعه اى ما تعبد به وتدين قبل البعثة اوقبلها وبعدها مبنى على ما اودعه تعالى فيه من كمال عقله الذى هداه الى النظر فى مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته وانه هو الحقيق وفى الحديث ان عائشة رضى الله تعالى عنها قالت يا رسول الله بم يتفاضل الناس قال بالعقل فى الدنيا والآخرة فقالت اليس يجزون باعمالهم فقال يا عائشة هل يعمل الا من له عقل فبقدر عقولهم يعملون وبقدر عملهم يجزون وقد اتفقوا على ان ما اعطى الناس من بدء الدنيا الى آخرها من العقل بالنسبة لعقله صلى الله تعالى عليه وسلم كنسبة ذرة من الرمل الى رمال الدنيا كلها (والحب اساسى) اى محبة الله بعد معرفته لان من لم يعرف لا يحب اى اساس يبنى عليه امورى فى اتباع اوامر الله ونواهيه كما انه موجب لاتباع الناس لى كما قال تعالى * قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ولا يكمل ايمان احد حتى يكون الله احب اليه من نفسه واهله وماله كما سيأتى بيانه وجمع هذه الامور فى نسق واحد لان رأس المال والاساس والاصل من واد واحد وتغاير العبارة انما هو تلوين الخطاب (والشوق مركبى) اى شوقى الى المطالب العالية والى لقاء الله تعالى هو الذى حركنى حتى وصلت لمرادى (كما قيل)

* وقالوا اذا تيت لهم سر بعا * مجدا على سبلى للتلاق *
* ركبت على البراق فقلت كلا * ولكنى ركبت على اشتياق *

والشوق اعلى من المحبة لانه ينشأ عنها فانه انجذاب النفس لشدة ميلها الى لقاء

من يشتاقه (وذكر الله انيسى) وفى نسخة انسى يعنى انه يأنس فى خلوته وجلوته بذكر الله لانه اذا اكثر من ذكره صار نصب عينه حتى كانه معه ومن كان الله معه آنس به واستوحش مما عداه ومن كان له ورد فى الصباح والمساء كان من الذاكرين الله وانظر لقوله اذكرونى اذكركم وقال سمنون حقيقة الذكر ان ينسى ما سواه ويستغرق الاوقات فيه

* لا لانى انساك اكثر ذكرك * ولكن بذاك يجرى لسانى *

(والثقة) بكسر المثلثة مصدر كالسعة بمعنى الوثوق بما عند الله وما يطلب منه (كنزى) الكنز المال المكنوز اى المدفون وفيه بلاغة ونكتة بديعة لان من له مال مدفون لا يراه ولكنه انفع مما يراه فكذا ما نرجوه من الله قبل حصوله انفع من الحاصل عند الثقة كما قيل

* وانى لارجو الله حتى كاننى * ارى بجميل الظن ما الله صانع *

وعلامة الثقة بالله بذل الموجود وترك طلب المفقود (والحزن رفيقى) اى لا يفارقنى وذكره مع الانيس لان الرفيق انيس وهذا بمعنى ما تقدم من قوله متواصل الاحزان وقد علمت ما فيه (والعلم سلاحى) اى علمى بالله وبما علمنى من لدنه واوحاه الى ادفع به من يجادلنى ويخاصمنى وادفع الشيطان ووسواسه كما يدفع العدو بالسلاح وآلات الحرب (والصبر) فى المكاره وتحمل المشاق وعدم العجلة فى الامور (ردائى) الرداء ما يكون فوق اللباس وبه يتجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر فيه سكون وتجمل وعلم ووقار يشاهده الناس شبهه بالرداء لتجمله به ودفعه ضرر البرد فما قيل من انه لو شبهه بالدرع واللحاف صح كما قيل * تدرعت صبرى والتحفت صروفه * وقلت لنفسى الصبر اولى فاهلكى * ليس بشئ (والرضاء) بالقصر مصدر وبالمد اسم كما فى الصحاح والذى فى النسخ بالمد (غنيمتى) جعل غنيمة لانه يقهر به عدو نفسه اللوامة ويأسرها اذ الراضى بما قسم الله لا يتمنى ما لم يكن فيحصل له غنى القلب والراحة كما قيل

* هل هى الا مدة وتنقضى * ما يغلب الايام الا من رضى *

ولا شك ان الرضاء بما قدره الله واجب وقوله فى الشرح الجديد واختلف العلماء فى الرضاء هل هو واجب او مستحب فقيل هو مستحب لانه لم يرد الامر به وانما ورد الثناء على المتصف به والى هذا ذهب محققوا العلماء مما لا ينبغى ذكره (والفقر فخرى) وفى نسخة البرهان وغيره والعجز بدل الفقر اى اظهار انه عاجز ضعيف وان القدرة والقوة لله وهو مقتضى مقام العبودية كما قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والعجز المذموم الذى استعاذ منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل بمعنى وخروهو التثاقل عن العبادة والتوانى كما قيل

* اذا ما التوانى انكح العجز بنته * فساق اليها حين اصدقها مهرا *

* فراشا وطاء ثم قال لها اتكى * فصار اهما لا شك ان تلد الفقرا *

وقال ابن تيمية الفقر فخرى ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل الظاهر

ان المراد بالعجز بفتح فسكون هو العجز عن طلب الدنيا والتمكن فى الثروة والشوكة واريد به لازمه وهو الفقر ولا وجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بعاجز عما ذكر وانما تركه واعرض عنه باختياره كما مر والاوجه ان المراد به ما مر كما فى حديث لا يدخل على الا عجزة الناس اى ضعفاؤهم وفى آخر اهل الجنة كل ضعيف متضعف وفى حديث هرقل ضعفاء الناس اتباع الرسل وفى حديث الاسراء امتك اضعف الامم وهم اكثر اهل الجنة قيل فقوله الفقر فخرى قد يقال انه رواية بالمعنى فليس بكذب وفيه نظر ولذا قال الحافظ ابن حجر انه باطل موضوع فانه ورد مدح الفقر فى الحديث كحديث تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر وقد روى بسند لا بأس به واثبات الفخر له وقع نفيا فى قوله لا فخر لانه ليس من شانه لان المراد به الخصلة الحسنة التى من شانها الافتخار بها او المراد فخرى لو كنت ذا فخر كما قيل فى قراءة انما يخشى الله من عباده العلماء برفع الجلالة اى انما يخشاهم لو كان يخشى غيره وان كان المشهور ان المراد بالخشية لازمها وهو التوقير والتعظيم والفقر مع الصبر وصف محمود فان الغنى هو الله كما قال تعالى * يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد (والزهد حرفتى) الحرفة بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين والفاء هى الصناعة التى يرتزق منها الانسان والزهد ترك ما رغب فيه من الدنيا وقال الجنيد الزهد خلو الايدى من الاملاك والقلوب من التبع وليس الزهد عدم الملك فان سليمان عليه الصلوة والسلام كان زاهدا مع ان الدنيا كلها فى قبضته والتعبير بالحرفة ليس فى محله فانه يوهم انه جعلها مكسبا وفيه شاهد للوضع ومما قلته فى مشايخ زماننا

* قد قام فى سوق الريا تاجرا * وباع للسرقة ارشاده *

* حرفته الزهد وكانه * يبيع فيه الكذب سجاده *

(واليقين قوتى) اليقين الاعتقاد الجازم وهو قوت القلب من قام به لاطمئنانه وعدم خوفه من غير الله وهذا شامل لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور فى التفسير وكتب الكلام (والصدق شفيعى) الصدق بمعنى مطابقة الخبر والمراد بها ما اصطلح عليه المشايخ من انه استواء السر والعلانية والوفاء لله عز وجل بكل ما عهده اليه ويصح ارادة المعنى الاول والمراد بكونه شفيعه انه سبب مصالحه عند الله او المراد تعليم امته (والطاعة حسبى) بفتحتين هو ما يعده المرء من مفاخر آبائه اى طاعة الله فى السر والعلانية هى التى افتخر به واعده مأثرة لا ما يفتخر الناس به او هو بسكون السين اى الطاعة تكفينى (والجهاد) فى سبيل الله ومجاهدة النفس بمخالفتها (خلقى) اى طبعت على محبته (وقرة) بضم القاف وتشديد الراء المهملة (عينى) الباصرة اى مسرتها وفرحها فى الصلاة لما اشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاصغر والقرة مأخوذة من القر وهو البرد لان دمعة السرور باردة او من القرار لان بلوغ

الامنية برؤية مايسر تسكن به العين فلا تستشرف لغيره وقد تقدم مافيه (وفى حديث آخر) لم يذكره المخرجون لاحاديث هذا الكتاب (وثمرة فؤادى فى ذكره) الفؤاد القلب وداخله وهو محل العقل على الاشهر فجعله كشجرة ثمره وجعل ذكر الله المقصود منه (وغمى لاجل امتى) لرأفتى عليهم فى الدنيا والآخرة (وشوقى الى لقاء ربى) ومناجاته والتوجه اليه

﴿ فصل اعلم وفقنا الله واياك ﴾ تقدم الكلام عليه (ان صفات الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام) هو من عطف الخاص على العام اعتناء لشانهم وبيانا لشرفهم وسيأتى تفصيله (من كمال الخلق وحسن الصورة) الخلق بفتح فسكون والمراد خلق مادة جسمه واعضائه والصورة هيئة بدنه وتناسب اعضائه ومقاديرها ولون بشرته (وشرف النسب) اى شرف آبائه وامهاته واجداده وجداته الى ان ينتهى الى آدم عليه الصلوة والسلام فليس فيهم خسيس ولا وضيع (وحسن الخلق) بضمتين او ضم فسكون وقد تقدم بيانه (وجميع المحاسن فى هذه الصفة) كذا فى بعض النسخ وفى غيرها وعليه الشراح هو بالضمير بدل فى الجارة قال القسطلانى هذه الصفة خبران ووقع بين اسم ان وخبرها ضمير الفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المطلق اى لا غيره واتى بها على لفظ الافراد لتغاير بين المبتدأ والخبر فان الاتحاد غير جائز وعرفها بالالف واللام ليشعر بان المراد استغراق ماذكره من كل الصفات المذكورة انتهى وتبعه بعض الشراح ولم يبينه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق صفات جامعة لجميع المحاسن وهى صفة الرسل عليهم السلام وهى على الوجه الاتم الاكمل لا تجتمع فى غيرهم ومن بيانية مبينة لصفات جميع الانبياء والرسل والصفة بمعنى الصفات المذكورة ولا يخفى ما فيه من القلاقة والخفاء وان قوله هذه الصفات هذه الصفة ركيكة جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ خبران ومن ابتدائية وجميع مرفوع مبتدأ وفى هذه الصفة خبره والمعنى جميع صفات الانبياء عليهم السلام ناشئة من كمال الخلق الى آخره وجميع المحاسن مجموعة فيها كان اظهر واحسن (لانها صفات الكمال) اى صفات بها يكمل البشر (والكمال والتمام البشرى) تقدم الفرق بين الكمال والتمام (والفضل الجميع) مبتدأ وكان الاحسن ان يقول والفضل جميعه (لهم) خبره اى ثابت للانبياء عليهم الصلوة والسلام (اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات) فيه اشارة الى تفضيلهم على الملائكة كما سيأتى (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) استدراك لدفع ما عسى يتوهم من تساويهم رتبة ثم اشار على طريق اللف والنشر المشوش الى الدليل على عدم تساويهم بقوله (قال الله تعالى تلك الرسل) المذكورين فى سورة البقرة فالتعريف عهدى او جميع الرسل الذى يعلمهم فهو استغراقى

(فضلنا بعضهم على بعض) بمواهب سنية ومراتب علية غير اصل النبوة والرسالة منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وهو محمد او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام واشار الى فضلهم على من عداهم بقوله (وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم) منا باحوالهم (على العالمين) وهذا من المصنف رحمه الله تعالى مبنى على ان الضمير للانبياء مطلقا والمراد بالعالمين جميع العالم لا على ما اختاروه من انه لبنى اسرائيل والعالمين عالمى زمانهم لكثرة الانبياء فيهم (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان اول زمرة) اى طائفة وجماعة (يدخلون الجنة على صورة القمر) اى وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انها مثله فى الاستدارة وغير ذلك ولذا قال (ليلة البدر) وهى ليلة اربعة عشر وهى اضوء مايكون فيها وسمى بدرا لامتلائه بالنور او لمبادرته مغيب الشمس بالطلوع وهو يسمى هلالا فى اول الشهر ثم يسمى بدرا اذا تم * ان الهلال اذا رأيت نموه * يذبيك ان سيعود بدرا كاملا * والقمر يطلق عليه دائما كما بينه اهل اللغة وتمام الحديث ثم الذين يلونهم كاشد كوكب درى فى السماء اضاءة (ثم قال اخر الحديث قلوبهم على قلب رجل واحد) لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وفى اثران له من الحور العين اثنين وسبعين حورية سوى ازواجه من الدنيا وان الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الارض (على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا فى السماء) والمراد بهذه الزمرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبالذين يلونهم الاولياء والعلماء الراسخون وقيل المراد بهم الانبياء والاولياء وبالذين يلونهم بقية المؤمنين الاتقياء وقوله آنيتهم الذهب والفضة اما على اللف والنشر فانية الفرقة الاولى من الذهب والثانية من الفضة اوهما لهما بقرينة جعل امشاطهم كلهم من الذهب ويحتمل ان يكون اكتفاء اى من الذهب والفضة ورجح بعضهم ان يكون هؤلاء كلهم من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث الصحيحين يدخل الجنة من امتى سبعون الفا تضئ وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر ويعلم منه حال الانبياء بالطريق الاولى اوهم مسكوت عنهم وعلمهم عند الله وجعلهم على صورة آدم عليه الصلوة والسلام لانه كان اجمل الناس واتمهم خلقا والستون ذراعا اما بذراعه نفسه او بذراع معهود عند المخاطبين والاول اظهر لكن روى ابن ابى الدنيا عن انس يرفعه يدخل اهل الجنة الجنة على طول آدم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد صلى الله عليه

وسلم جرد مرد مكحلين ووردان عرضه سبعة اذرع والحديث يدل على تبدل الوانهم فمن كان اسود اواشقر صار ابيض بياضا معتدلا وروى الامام احمد عن ابى هريرة يرفعه يدخل اهل الجنة الجنة جردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة اذرع وقوله فى السماء يحتمل ارادة الحقيقة منه اى كابتداء خلقه وصورته اذ كان فى السماء اوالمراد جهة العلو اى طوله ذلك اذا كان منتصبا قائما (فائدة) استنبط بعضهم من اثران مقعد الحوراء فى الجنة ميل ان كل آدمى يدخل الجنة يكون طوله اثناعشر الف ذراع بذراع الشرع الذى هو شبران لان مقعد الحوراء ميل فيكون طولها ثلاثة اميال ومقعد الواحد منا ثلث قامته تقريبا والغالب ان الذكر كالانثى فى الخلقه فيكون طول الرجل اثناعشر الف ذراع كما تقدم يقسم على الستين الواردة فى الحديث فيكون كل ذراع من الستين مايأتى ذراع شرعى تقريبا (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه الذى رواه الشيخان ايضا رأيت موسى عليه الصلوة والسلام) ليلة الاسراء عيانا لامناما لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام احياء لاتبلى اجسادهم (واذا رجل ضرب) اذا فجائية اى فاذا هو رجل ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح فضم بمعناه المشهور وهو الذكر من بنى آدم ومعنى ضرب بالفتح والسكون ان جسمه بين الهزال والسمن وقال الخليل رحمه الله تعالى انه القليل اللحم ووقع فى رواية الاصيلى بسكون الراء وكسرها والاصح الاول وروى مضطرب وهو الطويل غير الشديد الطول وفى مسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه جسيم وسط وحمل هذا على مايوافق رواية مضطرب لا على كثير اللحم كما وقع فى صفة الدجال فهو من الاضداد (رجل) بفتح المهملة وكسر الجيم وجاء فتحها فى لغة قليلة اى شعره منكسر قليلا ليس بسبط لاتكسر فيه ولا جعد منكسر كثيرا (اقنى) بقاف ونون من القنى بالفتح والقصر وهو طول الانف ودقة ارنبته يقال رجل اقنى وامرأة قنواء وقيل القناء احديداب فى الانف فمعناه محدوب وليس بعيب فى الناس وفى النهاية القناء فى الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب فى وسطه واما قول كعب رضى الله تعالى عنه

* قنواء فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى خديه تسهيل *

فمعنى آخر لاحاجة لنا به هنا (كانه من رجال شنوءة) بفتح الشين المعجمة وضم النون وواو ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم وهاء على وزن فعولة وهى اسم قبيلة ويقال لها ازدشنوءة واسدشنوءة وهى باليمن مشهورة وهى من الشناء وهو التباعد عما يدنس يقال رجل شنوء اذا كان طاهر النسب ذا مروة سميت بذلك لعلو نسبهم وحسن سيرتهم وافعالهم وهذا الحديث متفق عليه وفى رواية البخارى كانه من رجال الزط وهم نوع من السودان اوالهنود طوال الاجسام مع نحافة وهذا هو

وجه الشبه اى انه طويل غير جسيم (ورأيت عيسى عليه الصلاة والسلام) يقظة فى الاسراء كما سيأتى (فاذا هو رجل ربعة) بفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتحها اى بين الطول والقصر معتدل القامة (كثير خيلان الوجه) بكسر الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية جمع خال وهو الشامة السوداء المعروفة وماقيل من ان كثرة الخيلان مذمومة غير مسلم واختلفت الرواية فى لونه فروى انه آدم اى اسمر وروى (احمر كانما خرج من ديماس) بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية وميم والف وسين مهملة وهو الحمام والكن واصله السرب فى الارض والمراد صفاء لونه مع حمرة فيه فرواية آدم بمعنى شديد الحمرة لاتنافى هذه (وفى حديث اخر) لم يعرف راويه (مبطن) بالتشديد والطاء المهملة اى ضامر البطن كما يفسره قوله (مثل السيف) اى فى استوائه ودقته وقد تعددت الرواية برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء عليهم الصلاة والسلام يقظة فى السماء والارض لانهم احياء وصنف البيهقى فى هذا جزأ مستقلا (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا اشبه ولد ابراهيم به) لخلقته صلى الله تعالى عليه وسلم ولونه كلونه فهو اكثر شبها به من سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والناس كلهم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث آخر فى صفة موسى عليه الصلاة والسلام) كما رواه البخارى فى صحيحه (كاحسن ماانت راء من ادم الرجال) ما موصولة والعائد محذوف اى الذى انت رائيه وآدم من الادمة وهى سمرة اللون قيل وهى فى الابل بمعنى البياض وفى الظباء سمرة الظهر وبياض البطن ومؤنثه ادماء وادم هنا بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وبالميم جمع آدم كاسمر وسمر وهى السمرة مطلقا اوالشديدة وقيل انها البياض والاول اصح واستدل عليه بقوله تعالى تخرج بيضاء من غير سوء اى عيب كالبرص وانما يكون هذا اذا كان اسمر وخالف لونها لونه ويحتمل انها تخالفه لشدة بياضها كما قيل انها كانت ذات شعاع كشعاع الشمس (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه ابو يعلى وابن جرير من طرق واخرجه سعيد بن منصور فى سننه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما موقوفا (مابعث الله تعالى من بعد لوط عليه الصلاة والسلام نبيا) وهو لوط بن هاران وهو ابن اخى ابراهيم وخص ماذكر بما بعده لانه من الشام بعثه الله تعالى الى اهل قرية يقال لها سدوم ليست من بلاده وليست موطنا لقومه ومن بعده من الانبياء لم يبعث (الا فى ذروة من قومه ويروى فى ثروة اى كثرة) والذروة بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة اعلى كل شئ اى بين قومه ذوى جدة وسعة وشرف لاغرباء ولا من قوم ليسوا كذلك واشار بهذا الحديث الى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم مشاركوا نبينا صلى الله عليه وسلم فى علو النسب وشرف القوم

والثروة بمعنى الكثرة مطلقا و قد يختص بالمال وقيل الذروة المكان المرتفع وهى مثلثة الذال (ومنعة) بفتح الحروف اى ميم و نون و عين مفتوحات جمع مانع كخدمة جمع خادم و يجوز تسكين نونه او هو اسم مصدر في الاصل كصدقة اي قوم يمنعونه و يحمونه وقصة لوط عليه الصلاة والسلام مفصلة فى كتب التفسير وفى قوله تعالى * قال لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد * اشارة الى ما ذكر من انه لم يبعث فى قومه الذين ينصرونه و يحمونه (فان قلت كيف يكونون فى منعة وثروة وقد قال تعالى فى بعضهم وما آمن معه الا قليل وقد عاداهم قومهم وقتل بعضهم وما مناسبة ما ذكر لما عقد له الفصل من محاسن الخلق و الخلق من الصفات الذاتية (قلت قد توهم بعضهم ورود ما ذكر وليس كذلك لان ما ذكر من شرف القوم والاصالة يدل على المحاسن الذاتية لاستلزامه لها وكونهم كثيرون لا ينافى عداوتهم واما المنعة فاعتبار من اتبعه منهم ولذا ورد رحم الله اخى لوطا لقد آوى الى ركن شديد وهو لا ينافى الاية لان المراد الملائكة وما امده الله تعالى به (وحكى الترمذى عن قتادة ورواه الدارقطنى من حديث قتادة عن انس رضى الله تعالى عنه) تقدم ترجمة الترمذى وقتادة وان الدارقطنى منسوب لدار القطن وهى محلة ببغداد كان يسكنها وهو الحافظ الامام الجليل المشهور امام عصره فى الحديث والفقه والقرآت وغيرها من العلوم الشرعية والحديث المذكور فى الشمائل وغيرها مرسلا (ما بعث الله نبيا الا) وقد خلقه (حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم) من ابتداء وجوده وخلقته (احسنهم) اى الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وجها واحسنهم صوتا)لان حسن الصورة يدل على كمال الخلق والخلق اذ الظاهر عنوان الباطن كما قيل

* يدل على معروفه حسن وجهه * وما زال حسن الوجه اهدى الدلائل *

(وقال الاخر)

* يدل على قبح الطوية ما ترى * بصاحبها من قبح بعض ملامحه *

وحسن الصوت بكونه جهوريا يسمع من بعيد مع لطف فيه يدرك بالذوق ولا يلزمه كونه على رسم الموسيقى وهذا يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اجمل من يوسف واحسن صوتا من داود عليهما الصلوة والسلام وكانت قراءته صلى الله تعالى عليه سلم فى بيته ليلا تسمع عند الكعبة وفيما بعد من منازل المدينة و ما ورد فى حديث الطبرى فى يوسف فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن المراد منه تفضيله على من عداه صلى الله تعالى عليه وسلم لا سيما ان قلنا ان المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه كما ذهب اليه بعض الاصوليين و يدل عليه ما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى الحسن كله واعطى يوسف عليه الصلوة والسلام شطره اى نصفه اي ان الحسن كله جمع له صلى الله تعالى عليه وسلم من تناسب اعضاء

وصفاء لون وغيره مما يدرك ولا يوصف و يوسف اعطى من جنس الحسن الكامل فيه نصفا وجميع الخلق وزع بينهم ما يعدل نصفه الآخر فدل ذلك على انه احسن الناس كلهم كما صرح به فى الحديث الذى نحن فيه وما قاله السخاوى فى كتاب الامتنان من ان الجلال الدين المحلى رحمه الله سئل عن حديث اعطى نبينا جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف يكون الشئ الواحد جميعه فى شئ ونصفه فى آخر فقال لم يظهر لى جوابه وكذا قال ابن حجر وقد تأملت قوله فى البردة البوصيرية

* منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم *

فبان لى منه جوابه وهو ان حسن النبى صلى الله عليه وسلم غير منقسم بينه و بين غيره بخلاف حسن سائر الناس فانه منقسم بينهم و بين يوسف عليه الصلوة والسلام انتهى فيه نظر و هذه مغالطة وزهرة لا تحتمل الفرك ومنشاؤه عدم الفرق بين تقسيم شئ بعينه وتقسيم افراد نوع من الانواع فتدبر (وفى حديث هرقل) مر ضبطه الاضافة لادنى ملابسة لذكره فى الحديث كما يقال حديث الشفاعة والاصل اضافته كرواية الصحابى او التابعى او من خرجه كالبخارى ومسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما وابن عباس نقله عن ابى سفيان حين ارسله اليه هرقل وهو بالشام للتجارة فى ركب من قريش فى مدة محادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله عظماء الروم فسألهم عن احواله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان اول ما سأله عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقال هو فينا ذو نسب الى آخره فقال له كما اشار اليه بقوله (وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب) اى نسب عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف اصوله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه ليس فى امهاته سفاح ولا شئ من نكاح الجاهلية كما مر وتقلبه فى الاصلاب الطاهرة من الانبياء وقبيلته اشرف القبائل و بيته اشرف بيوتهم (وكذا الرسل) عليهم الصلوة والسلام (تبعث فى انساب قومها) اى كل نبى له نسب عال فى قومه لان من اختاره الله لنبوته يختار له عنصرا مناسبا ولم يتخذ وليا من الذل فشبه اتصاله باتصال الظرف بمظروفه (وقال تعالى فى ايوب) صلى الله عليه وسلم وكان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرية قرب نوى وعليه مسجد وقرية موقوفة على مصالحه وعنده عين جارية فيها اثر قدم فى حجر يقال انه اثر قدمه عليه الصلوة والسلام والناس يشربون من عينه و يغتسلون منها بالتبرك و يقولون انها المذكورة فى القرآن (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه وامتثال اوامره و نواهيه واستشهد بهذه الآية على حسن خلق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الصبر امر عظيم وخلق كريم ولذا اثنى الله عليه بقوله نعم العبد الى آخره ووصفه بالعبودية المناسبة للصبر وقد صبر على ما ابتلاه الله

به كما صبر يعقوب وغيره من الرسل ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم صبر على قومه وما ناداه منهم وقصة ايوب عليه الصلوة والسلام ونسبه مذكور فى التفسير واختلف فى زمن نبوته فقيل كان قبل موسى عليه السلام وانه من بنى اسرائيل ومدة بلائه ثلاث عشرة سنة او ثلاث سنين وامرأته اسمها اليا وقيل رحمة بنت يوسف (وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين) واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بما ذكر على محاسن الانبياء واخلاقهم اذ تلقى يحيى عليه الصلوة والسلام الكتاب التوراة اوغيرها بقوة فهم وعزيمة على العمل بما فيها وقد اتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرته وخلقته وكان حنانا فى طبعه الرحمة وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقايص وانه سلمه الله من يوم ولد الى مماته (وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الايتين) استشهد بهاتين الايتين على ما حواه الانبياء عليهم الصلوة والسلام من الصفات الجليلة ومكارم الاخلاق وانه تعالى جعلهم صفوة خلقه فآل ابراهيم اسحق واسمعيل واولادهما وآل عمران عيسى ومريم بنت عمران ذرية بعضها من بعض على سنن واحد (وقال فى نوح) عليه الصلوة والسلام (انه كان عبدا شكورا) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يفعل شيئا الا قال بسم الله والحمد لله (وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية) استشهد بهذه الآية على ما نعيسى صلى الله تعالى عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجلية التى وصفه الله تعالى بها من انه وجيه اى شريف قدره فى الدارين وانه تكلم فى مهده وقد تقدم ذكر من تكلم فى المهد غيره والكهل الشاب وقيل من وخطه الشيب او من جاوز الثلاثين الى خمس وخمسين وكونه رفع ابن ثلاث وثلاثين وان جزم به القاضى فى تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر فى الاصابة اقوالا اخر منها انه بلغ المائة اوزاد عليها وتقدم معنى كونه كلمة الله (وقال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الى مادمت حيا) قيل انه نبئ وهو صبى والهم حفظ التوراة والانجيل ووصف نفسه بالعبودية ردا لما اعتقده فيه النصارى وكان نطقه بما ذكر تبرئة لامه (وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) وذلك لانهم عابوه عليه الصلاة والسلام لشدة تستره حياء من الله بان فى بدنه برصا او به ادرة فبرأه الله من ذلك وبين انه كامل الخلق والخلق ولذلك ساق المصنف الاية وقال (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان موسى رجلا حييا) بحاء مهملة وبائين ثانيتهما مشددة بزنة صبى اى كثير الحياء (ستيرا) بكسر السين المهملة وكسر التاء المثناة المشددة بزنة سكين اى شديد الستر لبدنه وقد اشار لتفسيره بقوله (ما يرى من جسده شئ استحياء) وهذا يدل على عفته وحيائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خلق حميد وقال البرهان ان ستيرا بفتح السين وكسر التاء الفوقية

المخففة فعيل بمعنى فاعل والذى احفظه انه بكسرها وتشديد التاء الفوقية كسكيت وكذا ضبط فى نسخ البخارى انتهى ومن كان يستحى من كشف عورته وبدنه فهو اشد حياء من كشف غيره (الحديث) بالنصب اى اقرأ الحديث الذى رواه البخارى عن ابى هريرة اوتذكره وتتمته انه لما كان يكثر الستر ويغتسل وحده قالوا انه انما يفعل هذا البرص اوادرة به فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر فلما اراد ان يلبسه فر الحجر وجرى خلفه يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى مر على بنى اسرائيل فرأوه اكمل الناس واصحهم بدنا فبرئ مما سمعوه وآذوه به (وقال تعالى عنه) ضمنه معنى حكى فعداه بعن اى عن موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لى ربى حكما الاية) اى علما ونبوة وفراره صلى الله عليه وسلم لما قتل القبطى وذهب فكلمه الله كما هو مشهور (وقال فى وصف جماعة منهم) اى من الانبياء عليهم السلام (انى لكم رسول امين) وقع هذا من نوح وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام كما حكاه عنهم على وجه الرضاء والتصديق فلا يتوهم انه مدح لانفسهم فليس مما نحن فيه (وقال) موسى لشعيب عليهما الصلاة والسلام (ان خير من استأجرت القوى الامين) وقصته معه انه لما فر من القبط اذ خافهم لقتل رجل منهم ومر بابنتى شعيب عليه السلام جالستان ينتظران فراغ الناس ليسقى اغنامهما قال لهما لم تأخرتما فقالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء فقال اما عندكم بئر غير هذه فقالتا عندنا بئر مطبق عليها حجر لا نطيق رفعه وكان لا يرفعه الا عشرة من اشد الرجال فقال اذهبا اريتانيها فاريتاها ورفعه وحده وسقى لهما فقالتا له اذهب معنا ليجزيك ابانا على ما فعلت فقال ارشدانى للطريق وامشيا خلفى لانى رجل من ذرية ابراهيم عليه والسلام لا احب ان ارى منكما ما لا يحل لى فاخبرتا اباهما بقصته وقوته فى رفعه ذلك الحجر وامانته لامتناعه من النظر لهما فاستأجره على ما قصه الله لرعى غنمه قال البيضاوى الجملة معللة لما قبلها وللمبالغة جعل خير واسم ان معرفتين يعنى لم يقل ان من استأجرته قوى امين بل اتى بجملة معرفة الطرفين لحصر الخبرية فيه فتدبر (وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل) فوصفهم بالصبر وهو من احسن الاخلاق والعزم على التصميم على نفاذ الامر والحزم فى الشدائد وقد اختلف فى اولى العزم كما مر (وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا الى قوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده) ووقع فى هذه الاية بحث ذكره الطوفى فى تفسيره وهو انه استدل بهذه الاية على ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى امره بالاقتداء بهداهم جميعا ولا شك فى امتثاله واقتدائه صلى الله تعالى عليه وسلم واذا اتى بما اتوا به جميعا مع ما خص به كان افضل من كل فرد فرد بلا شبهة ومن المجموع ونقل عن العز بن عبد السلام انه قال انه افضل من كل واحد منهم لا من المجموع ولا دلالة فى الآية عليه قال ولما نقل عنه هذا قام عليه الناس ونسبوه فى هذه المقالة الى ما وصل الى تكفيره

(وانا اقول انا برئ من نسبة مثله للعز والقائل بهذا توهم انه مثل ما لوقسم عشرة دنانير على خمسة رجال واعطى اربعة منهم دينارا دينارا واعطى ستة للخامس فهو يزيد على كل واحد منهم لا على المجموع فلا يلزم من زيادته على كل واحد من الجماعة زيادته على الجميع فالاية لادليل فيها لما ادعوه وهذا انما يتم لو لم يثبت له صلى الله تعالى عليه وسلم غير ما لجميعهم وهو مقرر ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا المحل والهاء فى اقتده هاء سكت تثبت وقفا على القياس ووصلا اجراء له مجرى الوقف وحذفها حمزة وصلا وكسرها هشام اختلاسا وصلا ووصلها ابن ذكوان بها تشبيها لها بهاء الضمير وقيل هذا لا يصح وانما هى ضمير المصدر كقوله هذا سراقة للقراءة يدرسه (فوصفهم باوصاف خمسة) اى كثيرة (من الصلاح) ليس المراد بالصلاح المعنى المشهور فى قولهم رجل صالح حتى يقال انه ليس بمدح للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن توهمه قال المراد مدح الصفة لا الموصوف كما حقق فى شروح الكشاف بل الصلاح صفة جامعة لكل خير فهى ابلغ من غيرها كما فصله السبكى فى فتاويه (والهدى والاجتباء) وهو الاصطفاء والاختيار للرسالة (والحكم والنبوة) اى الحكمة او فصل الامر على مقتضى الحق (وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم) وهو اسحق فوصفه بالعلم والحلم وهما امران عظيمان قال الانطاكى كذا فى النسخ والذى فى القرآن فبشرناه بغلام عليم و بغلام حليم ولو قدم حليم وعطف عليه عليم بان الامر (قال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى) قوله (امين) والمراد بالفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الفضة اذا ادخلتها النار فشبه امرهم باتباعه بمعاملة المختبر او المراد انه ابتلاهم كما ابتلى العرب بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فوصفهم الله فى هذه الاية بصفات حميدة من الكرم والامانة وغيرهما (وقال) حكاية عن الذبيح (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح مسلما لله ولذا سلمه الله وفداه (وقال فى اسمعيل) عليه الصلوة والسلام (انه كان صادق الوعد الايتين) صرح باسمعيل مع ان المذكور قبله فى حقه اشارة للاختلاف فيه فانه قيل انه اسحق وقيل انه اسمعيل بن حزقيل وهو نبى بعثه الله لقومه فسلخوا رأسه فخيره الله بين تعذيبهم وغيره فاختار العفو والرضى بثوابه والجمهور على انه اسمعيل الذبيح ابن ابراهيم وهو رسول نبى وصدق وعده لانه وعد اباه بالصبر على الذبح ووفى بوعده وقدم الرسالة هنا على النبوة لانها اشرف على قول (وقال فى موسى عليه الصلوة والسلام انه كان مخلصا) فى طاعته لا يقصد بها الا وجه الله والتقرب اليه (و) قال (فى) شان (سليمان نعم العبد انه اواب) اى مسبح او رجاع اليه بالتوبة وقيل الاواب المطيع وقيل الرحيم او كثير الصلوة (وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وهو اسرائيل ابو انبياء بنى اسرائيل (اولى الايدى والابصار) الايدى جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر بمعنى بصيرة فانه يطلق على الحاسة الظاهرة وقوتها وعلى القوة الباطنة

المدركة للجارحة بصيرة كما فى عمدة الحفاظ معنى اخلصناهم خالصة ذكرى الدار جعلناهم خالصين بسبب انهم لا يذكرون الا الدار الآخرة واطلق الدار اشارة الى ان الدنيا ليست بدار مقر بل ممر ومعبر وعند هنا للقرب والاخيار جمع خير او خير المشدد بعد التخفيف (و) قال (فى داود انه اواب) تقدم تفسيره (ثم قال) فى حقه (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) اى قويناه لان بنى اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان يحرس محرابه ثلاثون الف متسلح او قويناه بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب اى الكلام الفاصل بين الحق والباطل وقيل هو اما بعد وهو اول من قالها وقيل هو البينة على المدعى واليمين على مدعى عليه وقيل غير ذلك (وقال عن يوسف) عليه الصلوة والسلام (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) قيل الارض هنا ارض مصر وفى الاية دليل على جواز طلب الحكم لمن وثق بنفسه وتوليه من الكافر وقيل ان فرعون يوسف اسلم وقصة يوسف عليه الصلوة والسلام اشهر من ان تذكر (و) قال (فى موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا) وهذه قصته مع الخضر عليهما الصلوة والسلام المشهورة (وقال عن شعيب ستجدنى ان شاء الله من الصالحين وقال) عنه ايضا (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) شعيب من نسل ابراهيم عليهما الصلوة والسلام ارسل الى مدين والايكة وهما امتان وقيل امة واحدة فوصفه الله بالصلاح والاصلاح وانه لا يامر الا بما فعله وهو خطيب الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) فلوط ابن اخى ابراهيم كما تقدم والحكمة والحكم بمعنى هنا (وقال) فى حقهم عليهم السلام (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات الآية) اى شانهم المبادرة الى فعل انواع الخير وسؤال الله تعالى فى الرغبة والرهبة (وقال سفيان) الثورى او ابن عيينة فى تفسير هذه الآية (هو الحزن الدائم) قيل ضمير هو راجع الى الخشوع فى قوله وكانوا لنا خاشعين وفى الشرح الجديد يريد ان ما ذكر فى الآية من الخيرات هو الحزن الدائم الذى ينشأ عن حيرات من سلك طريقها فقد وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول (فى آى) جمع آية (كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم) وهذا ابتداء كلام لا تعلق له بكلام سفيان رحمه الله تعالى اى ما ذكر من الآيات مندرج فى آيات كثيرة دالة على كمالهم وليس ما ذكر محيطا بما فيه بل هو بعض منه (وجاء من ذلك) اى من وصف كمالهم عليهم الصلوة والسلام فى غير القرآن (فى الاحاديث الصحيحة) كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبى ابن نبى ابن نبى ابن نبى) هذا الحديث فى البخارى بدون انما وقوله نبى ابن نبى الى آخره والكرم ليس بمعنى السخاء فانه استعمال طار وانما هو معنى جامع للخير والشرف ومكارم الاخلاق قيل وانما خص يوسف عليه الصلوة والسلام بما ذكر لما جمع الله له مع علو النسب جعله رابع اربعة

من الانبياء من الحسن المفرط والعفة والملك والعلم والحكمة الى غير ذلك مما لم يجتمع لغيره من الانبياء وفيه التكرار المعدود من المحسنات البديعية كقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام ياابت لم تعبد الآية كرر ياابت مبالغة استعطاف ابيه والاطراد كقوله واتبعت ملة اباآئى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والسجع وهو من المحسنات احيانا واما انكاره لمن خاطبه وقوله اسجع كسجع الكهنان لانه لبس فى محله وهو مقام الحكمة وقيل عليه ان ما ذكر لبس من قبيل التكرير لان كريما لبس معناه واحد فى الحديث وانما ذكره لبس من قبيل السجع ولبس بشئ لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ماصدق عليه والسجع ما اتحدت قافيته (وفى حديث انس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى (وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) فهو من خصائص الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومر ان الخصائص تنقسم الى اقسام فمنها مااختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون سائر الناس الانبياء وغيرهم ومنها مااختص به صلى الله عليه وسلم دون امته كالجمع بين زوجات فوق الاربع وان جاز لغيره فى الشرايع السابقة ومنها مااختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبياء كمانحن فيه ولذا كان وضوءه صلى الله تعالى عليه وسلم لاينقض بالنوم كما صرح به الشافعية ومنها مااختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم السابقة وانبيائهم كالتيمم (فان قلت كيف هذا وقد نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلوة الصبح حتى طلعت عليه الشمس ولايصح ان يكون هذا تشريعا لامته لانه لايفعل مايمتنع شرعا للتشريع وان لزمه ذلك من غير قصد له (قلت اجيب عنه باجوبة احدها وهو الاصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حالان حال لاينام فيها قلبه وهى الغالب عليه وحال نادرة فيها ينام قلبه (الثانى انه يغيب عنه فى نومه ما يحس بالبصر لا ما يدرك بالقلب كالحدث والالم ونحوهما ورجح بعضهم هذا (الثالث ان قلبه لايستغرق حتى يتعطل احساسه وقد يستغرق لاشتغاله بوحى كما كان يشاهد منه اذا نزل عليه الوحى فى اليقظة وقيل ان المراد انه لايستغرق قلبه حتى لايدرك الحدث قال ابن دقيق العيد وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة الضعيفة ان قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقظان وعلم بخروج الوقت ولكن فعله تشريعا لما مر وفى هذا اشارة الى يقظة قلبه وانه لايغفل وهذا من جملة الكمال فناسب الترجمة مناسبة تامة (وروى) رواه الطبرانى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان سليمان عليه الصلوة والسلام كان مع ما اعطى من الملك لايرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله) وذلك لتعظيم ملكوت الله وملائكته استصغارا لنفسه لا لان الله فى جهة وحيز كما توهم وكذا كان ابوه داود عليه

الصلاة والسلام كما ذكره الغزالى فى الاحياء اى حياء من ملئكة الله تعالى لقصور عمله من اعمالهم اى لايفترون عنها طرفة عين ولاينافى هذا قوله * افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت * لانه مقام آخر (وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير) جمع لذيذة وهو مايشتهى ويميل له الطبع من المأكولات (واوحى الله اليه يارأس العابدين) اى اعلاهم ورئيسهم (وابن محجة الزاهدين) اصل المحجة الطريق المسلوك فاستعير لجمعهم ومقصدهم اومقتداهم الذين يأتسون بسنته ومسلكه وفى نسخة حجة وزهده صلى الله تعالى عليه وسلم لاينافى ملكه وقدرته بل حقيقة الزهد انما تتم بذلك (وكانت العجوز) خصها لحقارتها (تعترضه) اى تجئ له صلى الله تعالى عليه وسلم وتقف مقابلته (وهو راكب (على الريح فى جنوده) وعزة سلطانه (فيأمر الريح فتقف فينظر فى حاجتها ويمضى) لقصده (وقيل ليوسف عليه الصلوة والسلام مالك تجوع وانت على خزائن الارض فقال انى اخاف ان اشبع فانسى الجايع) المراد بخزائن الارض المخزون من الاموال والارزاق (وروى ابوهريرة رضى الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البخارى عنه (خفف على داود القرآن) هو مصدر بمعنى القراءة كالغفران والمراد قرآءة كتابه وهو الزبور اوالمقرو وقيل ان اطلاقه هنا مع انه علم فيما انزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على المعنى القائم بذاته تعالى اشتراكا اومجازا على طريق الاستعارة اوالمجاز المرسل والمراد بتخفيفه سرعة قراءته فى زمن يسير (فكان يأمر بدوابه فتسرج) وروى بدابته والمراد الجنس المختص به (فيقرأ القرآن قبل ان تسرج) قالوا هذا من بسط الزمان له صلى الله تعالى عليه وسلم اومن البركة فى الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير قال النووى وبلغنا ان من الناس من قرأ اربع ختمات بالليل واربع ختمات بالنهار (ولايأكل الا من عمل يده) مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملك خزائن الارض بيده وكان آدم عليه الصلوة والسلام حراثا ونوح صلى الله تعالى عليه وسلم نجارا وادريس عليه الصلوة والسلام خياطا وموسى صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا وفيه دليل على فضل الكسب الحلال وانه لاينافى توكل الخواص ثم بين عمله بقوله (قال الله تعالى والنا له الحديد) فكان اذا مسه بيده لان كالشمع والعجين من غير نار وضرب (ان اعمل سابغات) اى دروعا طويلة تامة من السبغ وهو السعة (وقدر فى السرد) سرده نسجه اى عمله واصل معناه التتابع ومنه سرد الكلام ومعنى تقديره جعل ثقوب طرفى الحلق على قدر المسامير وكون المسامير غير رقيقة فتغلق ولاغليظة فتكسر الحلق وقيل ان دروعه عليه الصلوة السلام كانت بلا مسامير لالتيامها وان فى قوله ان اعمل تفسيرية او مصدرية بتقدير الجار قبل

كان سبب تكسبه لانه اختفى ودار يسأل الناس عن سيرته فيهم فلاقى ملكا فى صورة رجل
فسأله عن نفسه فقال له نعم الرجل لوكان لا يأكل من بيت المال واصول المكاسب
الزراعة والتجارة والصناعة وافضلها التجارة وقيل الزراعة لانها اقرب الى التوكل
وقيل صنعة اليد وفوق ذلك الجهاد ومن فضيلة الجهاد والكسب الاشتغال عن
البطالة (وكان) داود عليه الصلوة والسلام (سأل ربه ان يرزقه عملا بيده
يغنيه عن بيت مال الله) وسببه مامر ومن هنا يعلم ان السلطان ينبغى ان يكون له
مايكتسبه لئلا يأكل من بيت المال فان لم يكن له صنعة لا يأكل من بيت المال الا بقدر
الحاجة والاسراف منه حرام عليه فالويل كل الويل لسلاطين زماننا الذين
يظنون ان بيت المال ليس لاحد فيه حق غيرهم (وقال عليه الصلوة والسلام)
فى حديث صحيح رواه الشيخان الى قوله يفطر يوما الآتى وما بعده سيأتى من نقله
(احب الصلوة الى الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود) وبين ذلك
بقوله (كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه) وقيامه فى وقت يتجلى الله
فيه ويقول هل من سائل فاعطيه وليس المراد بقوله ينام سدسه انه ينام الى طلوع
الشمس بل الى قبيل الفجر فيستقبل الصبحة بنشاط لاستراحته وهكذا ينبغى للمتهجد
ولم يتعرض احد لصلاة الامم السالفة ولا لصلوته صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء
وبيان كيفيتها الا ان السيوطى رحمه الله تعالى نقل فى الخصايص الكبرى انها كانت
بغير ركوع ولذا قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا (و) كان (يصوم
يوما ويفطر يوما) وفى هذا اشارة الى ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهى عنه
مع ان هذا اشق منه لان من اعتاد هذا صار طبيعة له لا تضره وهذا آخر الحديث
وقوله (وكان) اى داود عليه الصلوة والسلام (يلبس الصوف ويفترش الشعر)
اى مانسج منه لانه خشن يمنعه لذة النوم والاستغراق فيه المانع له عن ورده وهذا
شعار الانبياء عليهم الصلوة والسلام والصلحاء (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد)
الملح ادام بخلاف الرماد فكانه كان يأتدم به على خلاف المعتاد او يضعه فى ادامه
لئلا يلتذ به (ويمزج شرابه بالدموع) لكثرة بكائه وعدم خلوه منه (ولم ير
ضاحكا بعد الخطيئة) وهى تزوجه بامرأة اوريا بعد ما سأله ان ينزل له عنها ففعل
وتزوجها فجاءه ملكان فى صورة رجلين يدعيان نعاجا على ما قصه الله تعالى
وليست هذه خطيئة ولكن علو مقامه وزهده يقتضى خلاف ذلك فلذا عوتب
عليه وكان يبكى وقد ذكر الله مدحه وعصمته مما لامزيد عليه (ولا شاخصا)
رافعا وفاتحا (بصره نحو السماء) اى جهة العلو (حياء من ربه) سبحانه وتعالى
كعادة من اذنب فانه يطأطئ بصره (ولم يزل باكيا حياته) منصوب على الظرفية
اى مدة حياته صلى الله تعالى عليه وسلم (كلها) تأكيد لما قبله (وقيل بكى حتى

نبت العشب من دموعه) لكثرتها وهذا رواه ابن ابى حاتم عن انس رضى الله تعالى
عنه مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا (وحتى اتخذت الدموع لخده اخدودا)
هو فى الاصل الشق المستطيل فى الارض استعير لتأثير الدموع فى مجراها اثرا يعلم
وبين الخد والاخدود تجنيس اشتقاق (وقيل كان يخرج) من منزله (متنكرا)
اى مستخفيا من معرفة الناس (ليتعرف سيرته) جملة مستأنفة لبيان سبب تنكره
(فيستمع الثناء عليه فيزداد تواضعا لله) لما يحمده من السيرة الحسنة والذكر
الحسن لا لكن يزداد بمدح الناس له غرورا (وقيل لعيسى عليه الصلوة والسلام) كما
خرجه احمد بن حنبل وابن ابى شيبة عن ثابت (لو اتخذت حمارا) لتركبه
لتستريح من المشى (قال انا اكرم على الله ان يشغلنى بحمار) هذا من زهده وسرحاله
اذ لم يقل انا اتواضع بالمشى وشغله به شغله بما يسأله له او شغله عن عبادته (وكان يلبس
الشعر) اى مانسج منه زيادة فى تواضعه وانما كره مالك لبس الصوف لمن يتخذه شعارا له
اظهارا لزهده فان اخفاءه افضل لما فيه من الرياء (ويأكل الشجر) اى اوراقه والمراد به
مطلق النبات تجوزا (ولم يكن له بيت) يملكه او يختص به (اينما ادركه النوم)اى
وقته (نام) اى ينام فى اى مكان يجن عليه الليل فيه (وكان احب الاسماء اليه)وفى نسخة
الاسامى اى الالفاظ التى ينادى بها (ان يقال له يامسكين) رغبة فى التواضع لعظمة الله
عز وجل وقيل عليه نحن مأمورون بتعظيم الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومحبتهم
وتعظيمهم تعظيم لله فلو قال احد لنبى من الانبياء يامسكين كان تحقيرا له
وتحقيرهم كفر ومعصية فلا ينبغى لنبى ان يرضى به وقد امرنا بتعظيم نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا ننا ديه باسمه بل لا نجهر له بالقول ولا نرفع
اصواتنا عنده توقيرا له وحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا كما
سيأتى بيانه وهذا مما اشترك فيه سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكان
يجب على امة عيسى عليه الصلوة والسلام ان يوقروه ويجب على عيسى ان لا
يرضى بعدم توقيره فان قيل انه فرار من العجب وقيل مثله لا يطرق عليه عجب
ولا يخشاه واجيب بحمل هذا على انه صدر ممن لم يؤمن به وكانوا يقصدون بذلك
تنفير الناس عن الايمان به واتباعه كما وقع مثله من المشركين فى حق نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم فكان عيسى عليه الصلوة والسلام اذا بلغه ذلك عنهم احبه
واما المؤمنون به ويجب عليهم تعظيمه اوذلك ممن آمن به اذا سألهم سائل عنه اهو
ذو مال ام فقير فيقولون هو مسكين كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى
دعائه اللهم احينى مسكينا وامتنى واحشرنى فى زمرة المساكين وكما قال ابو العتاهية

* اذا رأيت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين

والكلام على الفقير والمسكين اشهر من ان يذكر (اقول لا وجه للسؤال

ولا الجواب اما الاول فلان عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم غلب على امته الرهبانية واظهار المسكنة فيكون فى شرعهم يجوز منادانه وخطابه بمثله من مؤمنيهم وخواص حواريهم وان لم يجز مثله فى شرعنا ولا مايقرب منه واما الثانى فلان جعله من كفارهم اومؤمنيهم فى غيبته لايصح لان اظهار محبته واجب وقوله يقال وحرف النداء مناد على خلافه وصريح فى عكسه لمن له ادنى فهم وقد روى ما من كلمة كانت تقال لعيسى عليه الصلوة والسلام احب اليه الى آخره (وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء مدين) هذا الحديث رواه احمد فى الزهد وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما موقوفا وتقدم ان وروده صلى الله تعالى عليه وسلم لماء مدين كان لما فر من قبط مصر فلقى ابنتى شعيب على ذلك الماء وبينه وبين مصر ثمانى مراحل اواكثر فى قصته السالفة المذكورة فى القرآن وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حافيا من غير زاد وبه جوع شديد حتى كانت ترى امعاءه و(كانت ترى خضرة البقل) الذى كان يأكله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يجد غيره والبقل ما لبس بشجر من النبات التى لاتبقى ارومته واصوله بعد اخذه وهو معروف (فى بطنه من الهزال) بضم الهاء وزاى معجمة وهو ضعف مذهب اللحم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الحاكم عن ابى سعيد الخدرى وصححه (ولقد كان الانبياء قبلى يبتلى) بالبناء للمفعول ونائبه (احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك) الابتلاء (احب اليهم من العطاء اليكم) لثقتهم بما اعد الله لهم فى مقابلته وهوان نعيم الدنيا عندهم ولفظ الحديث ليس كما ذكره المصنف رحمه الله وهو ماقال ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قلت يا رسول الله من اشد الناس بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال العلماء قلت ثم من قال الصالحون كان احدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى بالفقر حتى لايجد الا العباء يلبسها ولاحدهم اشد فرحا بالبلاء من احدنا بالعطاء وهو صحيح على شرط مسلم والمراد مايعطى من السعة فى الدنيا قيل وهو يدل على الانبياء عليهم الصلوة والسلام لبسلطه عليهم القمل ويعرض لهم لانه من الاعراض البشرية الا ان ابن الملقن رحمه الله تعالى نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن يؤذيه صلى الله تعالى عليه وسلم تكريماله ونقل ابن عبد البر رحمه الله تعالى فى التمهيد ان نعيم بن حماد ذكر عن ابن المبارك ابن فضالة عن الحسن رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقتل القمل فى الصلاة والظاهر ان جسده الشريف لايتولد منه القمل لاعتدال مزاجه الشريف وانما كان يوجد فى ثيابه من الفقراء المجالسين له وكذا سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولو قيل ان الضمير يبتلى فى حديث الحاكم للصالحين كان اقرب انتهى وهذا ينافيه مانقله عن التمهيد وقد تقدم وفيما قاله دليل على صبر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وعلو همتهم

فى النظر للآخرة (وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه) المراد به الحيوان المعروف ويجوز ان يراد به الكافر او العدو او الجاهل وان كان صحيحا غير مناسب هنا (اذهب بسلام) اى اذهب مصحوبا بالسلامة (فقيل له فى) شان (ذلك) القول الذى قاله فانه لاينبغى (فقال اكره ان اعود لسانى النطق بسوء) عملا بقوله تعالى ادفع بالتى هى احسن وترغيبا فى العمل به (وقال مجاهد) كما رواه احمد وابن ابى حاتم (كان طعام يحيى عليه الصلوة والسلام العشب) وهو النبت الذى يخرج بغير زرع وعينه مضمومة (وكان يبكى من خشية الله عز وجل) والخشية خوف مع تعظيم (حتى اتخذ الدمع مجرى فى خده) اى صار محل جريانه منخفضا متميزا عن غيره لتأثيره بدوام جريانه فيه (وكان يأكل مع الوحش) اى كان يحيى صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل العشب فى القفار الخالية التى يسكنها الوحش اويألفهم فيها ويكون معهم (لئلا يخالط الناس) اى يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلونه عن العبادة وذكر الله وما ذكر رواه احمد فى الزهد عن الخولانى (وحكى الطبرى عن وهب ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يستظل بعريش) هو مايستظل به خيمة كان اوحشبا اونباتا (ويأكل فى نقرة حجر) بوزن حفرة فلا يأكل فى آنية ويضع طعامه فى الارض (ويكرع فيها) اى يضع مايشرب به فى نقرة يكب عليها ويشرب منها بفيه (اذا اراد ان يشرب) واصل معنى الكرع شرب الدابة بفمها من ماء فى الارض وضمير فيها راجع للنقرة المذكورة اولغيرها من جنسها كما تقول اعطيته درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره (كما تكرع الدابة) اى تشرب بفمها بلا آنية وقيل معنى كرع دخل النهر وصوب رأسه ليشرب (تواضعا لله بما اكرمه من كلامه) اذ كلمه بلاواسطة كما قال وكلم الله موسى تكليما (واخبارهم) اى الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فى هذا كله) من النعوت التى تقدمت فى هذا الفصل المعقود لها (مسطورة) فى كتب الحديث والتفسير المعول عليها (وصفاتهم فى الكمال وحسن الاخلاق) كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع (وحسن الصورة والشمائل) جمع شمال وهى الخلق والسجية وينبغى ان يراد بالاخلاق القوى الطبيعية وبالشمائل ماينشؤ عنها من الآثار (معروفة مشهورة) وعبر فى الاولى بانها مسطورة وفى هذه بانها مشهورة تفننا فى العبارة ولان الاولى اخبار يحتاج لنقلها من الكتب المعتبرة وهذه كمالات لايقة بهم تدرك بالعقل ولكونها مدونة مشهورة غير محتاجة للاعادة ولكن ذكرمنها ماذكر ليعلم قدرهم وفضلهم (فلانطول بها) مع انها معلومة ثم لما كان فى بعض الكتب امورا متعلقة بالانبياء عليهم الصلوة والسلام غير لايقة بهم حذر منها فقال (ولاتلتفت) اى لاتعتبر وتعتقد واصل الالتفات لى العنق اوانعطاف بالجانب لتنظر ماتريد معرفته

فيجوز به عما ذكرومنه الالتفات البديعى (الى ماتجده) تقف عليه (فى كتب بعض جهلة المورخين) جمع مؤرخ بالهمزة وقدتبدل واوا وهو المصنف فى التاريخ وهوفن معروف وهولفظ عربى اصله من الارخ مستعار للحادث من ولد البقرة اوهومعرب ماه روز وهو بعيد جدا واول ماحدث فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه (و) فى كتب بعض (المحدثين مما يخالف) امثال (هذا) المذكور ﴿فصل قد ابدنا اكرمك الله﴾ جملة اعتراضية والخطاب لمن سأله تصنيف هذا الكتاب كما مراولكل من يقف على كتابه وليس فيه تجريد لمخاطب من نفسه كما قيل ومفعول ابدنا مقدر اى مماعرفته وسمعته اومما فيه مقنع بقرينة ماسيأتى (من ذكرالاخلاق الحميدة) اى المحمودة الممدوحة وهو بيان لمقدر اولما الآتية بناء على جواز تقدمه (والفضائل المجيدة) اى المكريمة الشريفة (وخصال الكمال العديدة) اى الكثيرة المعدودة وقدتقدم انه قديفيد الكثرة لان القليل لايحتاج للعد وقديراد به القلة والمراد الاول (واريناك) اى اعلمناك واوضحنالك (صحتها له صلى الله عليه وسلم) اى كونها صحيحة فى حقه لايقة به (وجلينا) بجيم ولام مفتوحتين ومثناة تحتية ساكنة اى وضحنا وبينا وفى نسخة جلبنا بباء موحدة اى روينا ونقلنا وفى بعض النسخ حكينا بالكاف بدل اللام والمعنى واحد (من الآثار) جمع اثر وهو مايبقى من علامات الشئ الدال عليه ويطلق على الحديث وقد يختص بالموقوف وكلام الصحابة ويراد به مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع والموقوف وكلام الاكابر وهو المراد هنا (مافيه مقنع) بفتح الميم والنون وبينهما قاف ساكنة مصدر ميمى بمعنى القناعة اوهوصفة مشبهة بمعنى مابه القناعة والرضى وفى القاموس يقال شاهد مقنع وقنعان اى يرضى ويكتفى بشهادته وقد قال ابن الحاجب ان مفعلا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب الا انه نادر وعلى هذا فما ذكره هو المقنع نفسه فعدل عنه للمبالغة وهو تجريد كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد والتجريد يكون بمن وفى والباء وما قيل من ان المراد به الدليل وهذه الآيات والاخبار يتضمن الدليل تتضمن اللفظ للمعنى تكلف مذهب لرونق الكلام (والامر اوسع) جملة حالية اى شانه صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه اعظم مما ذكرنا واكثر فان محاسنه لا تطيق العبارات حصرها

* وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف *

(فمجال هذا الباب) بفتح الميم والجيم من جال يجول اذا طاف ودار اى محل تجول فيه الافكار حول نعوته وصفاته وهذا الباب عبارة عن خصاله ومحاسنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما يقال فى امره وشانه الذى يحق له (ممتد) اى واسع فكنى عن كثرتها وعظمتها بسعة محلها كما يقال المجلس والمقام العالى عبارة عمن هوفيه ثم بين سعته بقوله (ينقطع دون نفاده الادلاء)

جمع دليل وهو من يتقدم الركب ليهديهم الى الطريق وانقطاع سالك الطريق ان يعجز ويقف دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق ممتد طويل وشبه العلماء الذين يريدون معرفتها بركب سلكوا طريقا وشبه من يستفيدون منه بها ويهديهم فى الطريق وعجزه عن الوقوف على كنهها بمن انقطع ووقف فيها لا يهتدى لسبيله والادلاء جمع دليل لا بمعنى الحجة بل بمعنى هادى السابلة كانبياء جمع نبى واصله ادللاء وقيل انه جمع ادلة بمعنى دليل فهو جمع الجمع وليس المعنى ان محاسنه وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم لو اريد غايتها بالادلة كالآيات والاحاديث واقوال الصحابة لم يكن الآن يراد بين المقصود منه ونفاد بالفاء والدال المهملة بمعنى الذهاب والفناء قال تعالى ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ولا وجه لتفسيره بفراغه (وبحر علم خصايصه) من اضافة المشبه به بالمشبه كلجين الماء وقد تعكس لكنه قليل (لاتكدره الدلاء) جمع دلو وهو مايؤخذ به الماء من الاديم وعدم تكديره عبارة عن عدم بلوغ آخره لانه اذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماؤه وهو ترشيح للتشبيه فان الترشيح لا يختص بالاستعارة من الكدرة خلاف الصفو وفيه اشارة لصحته وكثرته (لكنا ابدنا فيه بالمعروف) المشهور الذى يعرفه الناس مما اكثره (فى الصحيح) اى الكتب الصحيحة كالكتب الستة واشار بقوله اكثره الا ان فيه احاديث غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكران بعض المصنفين اوردها لما فيها من الفضائل كما اشار اليه بقوله (والمشهور من المصنفات) التى لم يلتزم فيها الصحيح (واقتصرنا فى ذلك) اى ابدنا به واريناه اى اكتفينا (بقل من كل) وفى نسخة من اكثره والاصح ماذكرنا والقل بضم القاف وتشديد اللام بمعنى القليل او بمعنى القلة كالذل بمعنى الذلة اى ذكرنا امرا قليلا منه لا كثيرا اودون الجميع لانه لايمكن الاحاطة به (غيض من فيض) الغيض بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية والضاد المعجمة من غاض الماء اذا نقص والمراد انه قليل والفيض بفاء وياء مثناة تحتية وضاد معجمة من فاض الماء اذا اندفق وانسكب والمراد انه كثير وفيه طباق واقتنان (ورأينا) من الرأى لا من الرواية اى خطر له خاطر (ان نختم هذه الفصول) اى نجعل خاتمة هذه الفصول التى سبق ذكرها فى هذا الباب (بذكر حديث الحسن) رضى الله تعالى عنه بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه الذى رواه الترمذى فى شمائله واخرجه ابن سعد والبيهقى والطبرانى رواه المصنف رحمه الله تعالى عن مشايخه (عن ابى هالة) وهو هند بن ابى هالة الصحابى رضى الله تعالى عنه ربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ابن خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمته (لجمعه) الضمير للحديث وهو علة لذكره وجعله مسك الختام (من شمائله واوصافه) عطف تفسير

(كثيرا) مفعول جمعه المصدر المضاف لفاعله (وادماجه) اى اشتماله من ادمج الشئ اذا لفه وستره قبل المراد لاحكامه واتقانه وانه اولى (جملة كافية من سيره وفضائله) مفعول الادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهرى دمج دموجا اذا دخل واستحكم (ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله) اى نبين فى التنبيه ما فى الحديث من غريب اللغة يشكل من تركيبه (حدثنا القاضى ابو على الحسين ابن محمد الحافظ بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة) هو الامام الحافظ ابو على ابن سكرة الذى تقدمت ترجمته (قال حدثنا الامام ابو القاسم) التكنية بهذه الكنية جائز وما ورد فى حديث تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى محمول على حياته صلى الله تعالى عليه وسلم او على الجمع بينهما على ما يأتى فى ذلك من الخلاف (عبد الله بن طاهر) بطاء مهملة تقدمت ترجمته (التميمى) منسوب لبنى تميم قبيلة مشهورة (قرأت عليه خبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن الحسن النيسابورى) الاديب هو العارف بعلوم الادب لاثنى عشر المشهورة (والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدى) منسوب للمحمدية قرية من قرى تونس وتسمى بهذا الاسم قرى اخر بنواحى مصر وبغداد واليمامة (والقاضى ابو على الحسن بن على بن جعفر الوخشى) بواو مفتوحة وخاء وشين معجمتين نسبة لوخش قرية من اعمال بلخ وقيل بحاء مهملة والصحيح الاول وعليه اقتصر البرهان وهو الحافظ الرحلة الحسن ابن على بن محمد بن جعفر البلخى يروى عن جماعة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه الحسن بن على البلخى سنن ابى داود وهو ثقة ترجمته معروفة الا انه اتهم بالقدر توفى فى خامس ربيع الاول سنة احدى وسبعين واربعمائة ببلخ وعمره ست وثمانون سنة (قال حدثنا ابو القاسم بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعى) بضم الخاء المعجمة نسبة لخزاعة قبيلة معروفة (قال انبأنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى) نسبة لشاس بلدة معروفة بما وراء النهر وهو الحافظ الثقة ابو سعيد الهيثم ابن كليب بن شريح بن معقل صاحب المسند محدث ما وراء النهر سمع من الترمذى وغيره توفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة (قال انبأنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ) الامام الترمذى صاحب السنن وسورة بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء مهملة كما تقدم (قال حدثنا سفيان بن وكيع) بن الجراح ابو محمد روى عنه اصحاب السنن وله ترجمة فى الميزان توفى سنة سبع واربعين ومائتين (قال حدثنا جميع) بزنة مصغر جمع ضد المفرد (ابن عمر بن عبد الرحمن العجلى) الكوفى وعجل اسم قبيلة بكسر العين المهملة وسكون الجيم (املاء من كتابه) الذى بيده او بيد غيره وهو احد طرف الرواية المقبولة من الثقة المصحح لكتابه وما روى عن منع الرواية من كتابه المصحح

خلافه كما فصلوه (قال حدثنا رجل من بنى تميم من ولد ابى هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها يكنى ابا عبد الله) هذا الرجل هو عبد الله بن ابى هالة الذى كان زوج خديجة قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وهذا الرجل اخرج عنه الترمذى فى شمائله (عن ابن ابى هالة) قال الذهبى وتبعه البرهان ان هذا الرجل لا يعرف اسمه فهذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا وهالة علم منقول من هالة القمر وهى دارته (عن الحسن بن على بن ابى طالب قال سألت خالى هند بن ابى هالة) لانه اخو فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها لامها (قال القاضى ابو على) بن سكرة المتقدم فروى هذا الحديث من طريقين (وقرأت على الشيخ ابى طاهر احمد بن احمد ابن خداداذ الكرجى الباقلانى) وخداداذ بضم الخاء المعجمة وفتح الذال المعجمة والف ودال مهملة والف ثم ذال معجمة والف مقصورة كذا ضبطه البرهان وهو معرب خداداد بدالات مهملة ومعناه بالفارسية عطية الله والكرجى بفتح الكاف والراء المهملة ثم جيم منسوب لكرج اسم بلدة لابى دلف العجلى واسم بلدة بالدينور وبضم فسكون اسم مملكة معروفة والباقلانى بتشديد اللام قال الجوهرى الباقلاء اذا شددت لامها قصرت وان خففت مددت (قال) ابو على (واجازنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون) هو الحافظ المتقدم ترجمته (قالا اخبرنا ابو على الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بشين معجمة والف وذال معجمة ونون معرب ومعناه بالفارسية السرور (بن حرب) كضد السلم (بن مهران) بكسر الميم (الفارسى) منسوب لفارس ديار العجم (قراءة عليه فاقر به) هو شرط لقبول الرواية عمن قرئ عليه فيقال له اخبركم بهذا فلان عن فلان فيقول نعم اخبرنى به فلذا قيده المصنف رحمه الله تعالى بهذا (قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب المعروف بابن اخى طاهر العلوى) هذا الرجل ترجمه الذهبى فى الميزان ونسبه كما هنا وروى حديث على وذريته مجتمعون الاوصياء الى يوم القيامة وهذا الحديث يدل على كذبه ورفضه وهو متهم بالكذب ولولا هذا لازدحم الناس عليه لانه معمر توفى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب قال حدثنى على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين) على هذا هو جعفر ابن محمد الصادق روى عن ابيه واخيه موسى روى عنه الترمذى دون اصحاب السنن الا انهم لم يوثقوه وانفرد بالرواية عنه الترمذى (عن اخيه موسى بن جعفر) هو موسى بن جعفر بن محمد الكاظم وهو امام ثقة (عن جعفر بن محمد) هو الصادق وقد تقدم (عن ابيه محمد) هو محمد بن على ابو جعفر الباقر (عن على بن الحسين) هو زين العابدين الامام المشهور (قال قال الحسين بن

على) رضى الله تعالى عنهما (واللفظ لهذا السند) يعنى اللفظ المذكور مخصوص بالطريق الثانى والسند بالنون بمعنى الاسناد وليس السيد بمثناة تحتية لانه لم يذكر انه رواه عن على بن الحسين زين العابدين وكذا لم يذكر انه رواه احد مع الحسن هو ابن على كما فى المقتنى وهذا اسناد شريف لان رواته كلهم من اهل البيت ومثله حديث صفة الصلاة حتى نقل التلمسانى رحمه الله تعالى انه اذا قرئ على مصاب افاق ورجال سنده كلهم معروفون (سألت خالى هند بن ابى هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان اى ما يرى من وجهه الشريف وبدنه وهى بكسر الحاء المهملة وسكون اللام (وكان وصافا) اى فصيحا له خبرة بوصف الناس لحذقه او كان معروفا بذكر صفات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا ارجو) جملة حالية اى راجيا (ان يصف لى منها) اى من حلية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (شيئا) اى مقدارا منها لان جميعها لا تحصى او بعضها لا تفى العبارة به (اتعلق به) اى احفظه واتمسك به تبركا (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخما مفخما) بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة والمفخم بوزن المكرم والفخم بمعنى العظيم واصل الفخامة العظمة فى الاجسام ثم شاعت فى المقدار والشرف فان كان المراد الاول وهو الظاهر فالمعنى ان اعضاءه صلى الله تعالى عليه وسلم تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة كما تقدم فى الباب الثانى انه كان واسع الصدر وعينه نجلاء اى واسعة الشق ووجهه الشريف ممتلئ باللحم وقامته الشريفة غير قصيرة والمراد بكونه مفخما انه كذلك فى العيون الناظرة اليه ويحتمل ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان يراد بكونه مفخما ان له صلى الله تعالى عليه وسلم مهابة فى العيون والصدور مع الجلال (يتلألأ وجهه) اى يضئ ويشرق وهو مأخوذ من اللؤلؤ لصفائه ولمعانه (تلألؤ القمر ليلة البدر) اى فيه نور كنور القمر فى ليلة البدر وقد تقدم الكلام فيه وتفسيره (اطول من المربوع) وهو الذى بين الطول والقصر كالربعة وقال التلمسانى المراد به هنا القصير الذى تحت الربعة لئلا يناقض ما ورد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه ربعة واصل المربوع الحبل المفتول على اربع طاقات فاستعير لما ذكر انتهى (اقول لا حاجة لما ذكر لصرفه عن ظاهره لان المراد انه يزيد على الربعة زيادة يسيرة لا تخرجه عن كونه ربعة فهذا امر تحقيقى وربعة امر تقريبى فلا منافاة بينهما ولذا قال (واقصر من المشذب) بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين المشددة والباء الموحدة وهو المفرط فى الطول كالبائن وهو مستعار من النخلة المشذبة وهى التى قطع بعض جريدها والتشذيب قطع كالتقليم (عظيم الهامة) بالهاء وتخفيف الميم وهى الرأس وليس المراد انها مفرطة فى الكبر بل كبيرة كبرا نسبيا لان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح لدلالته على قلة العقل وقيل الهامة

وسط الرأس وقيل مجموعها معان اخر غير مناسبة هنا (رجل الشعر) بكسر الجيم على وزن حذر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها كنهر والمراد ان فيه تجعدا قليلا وهو من صفاته الممدوحة فيه ويقال لضده قطط وهو الشديد الجعودة والسبط المسترسل (ان انفرقت عقيقته فرق) انفرق اى صار شعر رأسه فرقتين والعقيقة الشعر الذى على رأس المولود الذى يخرج عليه حين يولد من عق اذا قطع لانه يحلق فى اليوم السابع فسمى به شعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق المجاز المرسل لاستعمال المقيد فى المطلق وليس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق ابقاه متفرقا على حاله اذا انفرق بنفسه يقال فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض الواقع بين شعر الرأس وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته (والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه) وفى رواية اذنيه بالتثنية وهما بمعنى كما يقال نظرت بعينى اذا نظر بعينيه وهكذا فى كل عضو كان كذلك كما هو مقرر فى العربية وشحم الاذن ما لان منها حيث يعلق القرط وتقدم فى هذا الحديث ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان اللمة الشعر الذى يجاوز شحمة الاذن فاذا وفر شعره صار لمة اى ما يلم بالمنكبين واللمة دون الجمة والوفرة دون اللمة والجمة اكثر من الوفرة وهى ما سقطت على المنكبين فالوفرة ابلغ منها اللمة والجمة ابلغ منهما وفيه كلام تقدم والفرق سنة بخلاف السدل من قدام او خلف ومعنى قوله والا وان لم يفرق فعلم منه اذا فرق جاوز الشحمة ووصل المنكب واحواله مختلفة فى الطول ولذا قيل له لمة وجمة (اذا هو وفره) وفى بعضها وفر بدون ضمير والمعروف رواية الاول كما قال المزى وفاؤه مخففة ومشددة اى كثره وقد نقل بعد الحلق وغيره كما عرفته وهذا اولى من حمل اختلاف الروايات عن التقريب (ازهر اللون) سيأتى معنى الازهر وان معناه ابيض مشرب بحمرة وقد ورد انه ليس بالابيض الامهق ولا بالادم وبهذا علم ما روى انه كان اسمر ولعله رآه عقب سفر ونحوه او لم يحققه لانه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحدق النظر فى وجهه وفى رواية انه كان ابيض شديد الوضح والمراد بالوضح البياض وقد يطلق عن البرص ولذا سمى جزيمة الابرش الوضاح ويؤيده انه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عنقه كوز فضة ويأتى وكان ساقه جماره وكشف ظهره وكأنه سبيكة فضة وقيل ان سمرته حمرته ولذا قيل فى الجمع بين الروايات انه كان يميل الى السمرة او البياض لونه وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة اسفاره (واسع الجبين) فى القاموس الجبينان حرفا الجبهة وجانباها عند الصدغين وبعد الحاجبين والجبهة وسطه او هو جميع ما بين الصدغين فتدخل فيه الجبهة الى قصاص الشعر (ازج الحواجب) ازج افعل كاحمر والزجج تقوس فى الحواجب مع طول فى طرفه وامتداد بدقة

فى طرفيه واراد بالحواجب الحاجبين وجمع لان اقل الجمع اثنان او لاطلاقه على اجزائه وهما العظمان فوق العينين بلحمها وشعرهما ويطلق على الشعر وسمى به لانه يحجب الشمس وغيرها عن العين (سوابغ) بالسين والضاد جمع سابغ لانه لما لايعقل وقيل جمع سابغة وفية اى طوال كاملة (من غير قرن) بفتحتين اى من غير اقتران واتصال لانه غير محمود عند العرب وما وقع فى حديث ام معبد من وصف حاجبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن فيحتمل انه كان بينهما شعر دقيق جدا اذا سافر وعلاه غبار السفر ظن قرنا وما قيل انه بطريق رأى اوانه لاختلاف الرؤية قربا وبعدا اوانه حدث له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك بعيد جدا بل لاوجه له (بينهما) اى بين الحاجبين وهذا يدل على ان الجمع فى الحواجب بمعنى المثنى هنا (عرق يدره الغضب) بضم الياء مضارع الادرار من ادر الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فحلب والمراد انه يظهر لغليان الدم بالغضب بعد ما كان خفيا لا انه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لاينافى ماورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم حليم لايغضب لانه باعتبار اكثر احواله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لا يغضب لنفسه ولا لاجل امر دنيوى ولكنه قد يشتد غضبه لله اذا انتهكت حرمه وفى ضربه للاعداء كما قال الصرصرى رحمه الله

* بجبينه عرق يدر اذا سطا * غضبا على الاقران يوم طعان *

والغضب يهيج الحرارة الغريزية فيغلى الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنتفخ العروق (اقنى العرنين) القناء فى الانف طوله ودقة ارنبته اى طرفه مع ارتفاع يسير فى وسطه والعرنين بكسر العين الانف او ماصلب منه او ما تحت مجمع الحاجبين وهو اول حيث يكون الشمم والجمع عرانين ويكنى به عن الاشراف لشموخ انفهم وارتفاعه على اقرانه قال

* ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا *

(له نور يعلوه) الضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم وجوزوا ان يعود للعرنين لانه وان كان وجهه كله له نور لكنه اول ما يتعلق به ولذا سمى انفا ايضا (يحسبه من لم يتأمله اشم) الشمم فى الانف ارتفاع وسط قصبته مع استواء اعلاه واشراف ارنبته قليلا يعنى ان وسطه فيه استواء مع اعلاه واسفله ولكنه لتلألؤه قد يظن ان فيه ارتفاعا اوان فيه ارتفاعا قليلا جدا لايعد شمما والشمم قد يعبر به عن عزة النفس وعدم التنزل للامور وهو مما يمدح به كما قال كعب رضى الله عنه

* شم العرانين ابطال لبوسهم * من نسج داود فى الهيجاء سرابيل *

والتأمل اعادة النظر وتكراره ليثبت فيه ويقف على كنهه وهو فى الاصل تفعل من الامل والرجاء لان الانسان لايعيد النظر غالبا الا لما فيه امل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة فيه وقيل الشمم طول الانف مع سيلانه ودقته والاول اصح واشهر (كث اللحية)

بفتح الكاف وتشديد المثلثة والكث كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولادقة شعر وما اشتهر من قوله من سعادة المرء خفة لحيته لم يثبت انه حديث مع انه قيل انما هو خفة لحييه مثنى لحى وان معناه كثرة تحريكهما بذكر الله اوالمراد عدم طولها (ادعج) اى سواد عينيه شديد مع بياضها ويقال رجل ادعج اى اسود ولبس بمراد وسيأتى فيه كلام (سهل الخدين) اى غير مرتفع الوجنة وكثير اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طلق منبسط (ضليع الفم) بضاد مفتوحة معجمة اى طويل انشقاق الفم واسعه وهو مما يمدح به ويعاب ضده لدلالته على الفصاحة وليس المراد به عظم الاسنان وتراصها كما قاله التلمسانى وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم فى مدائحهم وهو لمعنى آخر كما مر (اشنب) بنون بين شين معجمة وباء موحدة اى ذو شنب وهو كما فى النهاية بياض وبريق وصفاء وتحديد فى الاسنان وقيل هو رونقها وماؤها وقيل برد وعذوبة فيها وقيل نقط بيض وتحزيز فيها وسئل روبة عن قول ذى الرمة

* لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثاث وفى انيابها شنب *

فاخذ حبة رمان وقال هذا هو الشنب اى انه صفاءه وماء فيها كهذا ومن امثال المولدين فاتك الشنب لمن اراد التشبه بمن لايشبهه قال ابن الوكيل رحمه الله تعالى

* يابارقا باعالى الرقتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب *

(مفلج الاسنان) تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو انقى للفم واطيب وفى حديث على كرم الله تعالى وجهه افلج الثنايا وهو المراد بالاسنان اوالمراد الثنايا والرباعيات لان تباعد الاسنان كلها معيب وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم الميم مشدد اللام ويشبه به تقارب الدار مع عدم التلاقى كقوله

* مالى به مع قرب دارى ملتقى * فهل رأيت ثغرة المفلجا *

(دقيق المسربة) بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة تليها هاء وهو شعر كالخيط سائل من الصدر الى السرة ووصفه بالدقة لانه غير عريض ولامتكاثف طويل (كان عنقه جيد دمية) الجيد العنق الاان السهيلى قال ان العنق يستعمل فى غير المدح والجيد يستعمل فى مقام بخلافه وان قوله تعالى فى جيدها حبل من مسد تهكم لجعل الحبل عقدا لها وماهنا على اصل اللغة لاعلى نهج الاستعمال فلا اعتراض عليه والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية وهى الصورة من رخام اوعاج والمراد شدة بياضه وطوله ويؤيده ما روى من ان عنقه صلى الله تعالى عليه وسلم كابريق فضة ويشير اليه هنا قوله (فى صفاء الفضة) اى بياضها الخالص وهذا يؤيد ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس باسمر وانما شبه بالدمية لان صانعها يبالغ فى تحسينها ولهذا

ضرب بها المثل (معتدل الخلق) بفتح فسكون اى متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهزال والضخامة والصغر فهو متناسب الاعضاء مستقيم فى احسن تقويم (بادنا) اى ضخم البدن غير دقيق الاعضاء صغيرها واردفه بقوله (متماسكا) اى كان اعضاءه تمسكت بعضه بعضا لشدة ارتباطه به ومناسبته له وهو منصوب صفة بادنا وروى بالرفع خبر مبتدأ مقدر (سواء البطن والصدر) اى متساويهما لم يرتفع احدهما على الاخر (مشيح الصدر) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة بمعنى عريض متسع مع مسا واته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه وروى بفتح الميم وكسر السين المهملة وهو بمعناه (بعيد ما بين المنكبين) تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة وهو ما بين الكتف والعنق والمراد بعدهما سعتها وهو اقوى للبدن والبطش وعبر عنه تارة بالبعد وتارة بالعظم والكل واحد وما موصولة (ضخم الكراديس) جمع كردوس وهو رأس العظم او ملتقى كل عظمين كالمرفقين وضخم بمعنى كثير وكل عظم كثير اللحم كردوس (انور المتجرد) اسم مفعول يعنى ما خفى من البدن من التجرد وهو الكشف ورفع الثياب وانور بمعنى نير مشرق او افعل تفضيل لان ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقاته الهواء والشمس ابيض من الاطراف المكشوفة وورد فى وصفه صلى الله عليه وسلم انه اجرد وهو ضد الاشعر فان الشعر كان على اماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين وقال الشريف الغرناطى فى شرح البردة قال بعض الصحابة رأيت ساق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غرز الركاب كانه جمارة يعنى فى بياض اللون والطراوة فان قلت الوارد فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم انه ازهر اللون اى مشرب بحمرة وبياض الجمار خالص قلت يمكن الجمع بان ما تحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره انتهى (موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وهى النحر وقيل الصدر وقيل موضع القلادة وما موصولة لا زائدة (والسرة) وهى ما موضع ما يقطع من المولود والمقطوع سر (بشعر) متعلق بموصول (يجرى كالخط) وهو المسربة السالفة وجريانه امتداده كالجار والخط الطريقة المستطيلة المستقيمة وفى الاصطلاح ما وصل بين نقطتين متقابلتين فكانه جعل اللبة وهى النقرة التى فوق الصدر نقطة والسرة نقطة اخرى والشعر الرقيق بينهما خطا (عارى الثديين) تثنية ثدى بفتح المثلثة وكسرها تذكر وتؤنث وروى الثندوتين بثاء مثلثة ونون وهما بمعنى (قال الجوهرى الثدى يكون للرجل والمرأة ووافقه الصاغانى وفى درة الغواص الثدى خاص بالمرأة والذى للرجل ثندوة وهو غير مهموزة كترقوة على فعلوة وهو مغرز الثدى او رأسه فان ضمت همزته وهو فعلوة ففيه تفصيل بيناه فى شرح الدرة وعلى ما قاله الحريرى تبعا لبعض

اهل العصر صوب بعضهم رواية الثندوتين وزعم ان غيره خطأ لعدم ثبوته فى اللغة وما قيل من انه صحيح على الاستعارة غير صحيح ومعنى عاريهما انه لا شعر عليهما وقيل لا لحم عليهما لما سيأتى من انه اشعر الى آخره وفيه نظر لانه لم يذكر فيه انه على ثديه شعر كما ستسمعه قريبا (ما سوى ذلك) اى ما سوى الشعر الذى بين السرة واللبة وهو بدل من الثديين وفيه نظر وروى ما سوى ذين وهو اظهر (اشعر) اى كثير الشعر فى (الذراعين) بكسر الذال المعجمة ما بين المرفق وطرف الاصابع (والمنكبين) تقدم بيانهما (واعالى الصدر طويل الزندين) تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف وطرفاه الكوع وهو رأس الذراع مما يلى الابهام والكرسوع وهو رأسه مما يلى الخنصر وهما العظمان اللذان فى ظاهر الساعد والمراد عظم الذراع فسماه باسم بعضه ولذا وصفه بالطول (رحب الراحة) اى واسع الكف والكف والراحة بمعنى والراحة من الروح وهو الاتساع (شثن) بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون وهو الضخم الممتلئ لحما ويؤيده انه ورد فى رواية انه ضخم (الكفين والقدمين) وما فى النهاية فى تفسيره من انهما يميلان الى الغلظ والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة وقيل هو الذى فى انامله غلظ بلا قصر وذلك محمود فى الرجال دون النساء لانه اشد للقبض والبطش وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما وهى مع ضخامتها لينة وفى حديث انس رضى الله عنه ما مست حريرا الين من كفه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال الاصمعى الشثن غلظ مع خشونة لم يوافق عليه ولا حاجة لتأويله بانه لامر عارض فى اسفاره وجهاده واستعمال يديه فى مهنة بيته فانه مناف لعده من الحلية وهى الصفات الخلقية فان الذى ارتضاه اهل اللغة انه الضخم ولا ينافيه قوله (سائل الاطراف) وبسط الكفين او سبط الكفين كما قيل لان المراد بالاطراف الاصابع والكف والقدم مغرسهما فليست داخلة فى معناهما ومعنى سائل باللام طويل فكانه شبهها بعين سالت من بركة لطولها وصفائها وبياضها ولينها لان راحته صلى الله تعالى عليه وسلم تنبع منها الخيرات والمياه كما قلت فى قصيدتى الهمزية

* نبع الماء من اصابع كفه * باياد ما غاض فيها الماء *
* لا تقسها على اصابع نيل * كم لكسر من جبرهن وفاء *

(او قال شائن الاطراف) شك من الراوى فى قول ابن ابى هالة انه قال ما تقدم او قال شائن بنون مبدلة من اللام كما يأتى وقالوا جبريل وجبرين واسمعيل واسماعين (وسائر الاطراف) بالراء المهملة مكان اللام ومعناه باقى او جميع وليس الثانى خطأ كما قاله الحريرى وتبعه فى الشرح كما فصلناه فى شرح الدرة وعلى هذا الاخير هو مجرور معطوف على القدمين اى ضخم اطرافه كلها وليس شكه لتقارب الحروف الثلاثة فى الخط والمخرج

كما قيل وقد ضب فى النسخ على قوله ساين بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلاثة لما سيأتى فى تفسيرها كما قاله فى المقتفى وجاء هذا فى بعض الروايات من غير شك (سبط العصب) سبط بسكون الباء الموحدة وكسرها بمعنى ممتد ليس به تعقد وثيق كما فى النهاية والعصب وقع فى اصل البرهان بعين وصاد مهملتين كما ضبط ابن الانبارى والذى اتفق عليه ابن الاثير والهروى انه القصب بالقاف لا بالعين والمراد بالقصب ساعداه او ساقاه وفى الغريبين كل عظم عريض لوح وكل اجوف فيه قصبة وجمعها قصب ويشهد له ان العرب تمدح به كما قال *فجاءت به سبط العظام كانما * عمامته بين الرجال لواء * لانه يدل على قوة البدن والشجاعة والعصب بالعين ما يمتد فى البدن لربط الاعضاء وتحريكها كما بين فى علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به ههنا عظام الساقين والساعدين مجازا لما بينهما من المجاورة فتتحد الروايتان وهو بعيد جدا (خمصان الاخمصين) خمصان بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الميم لا بفتحها كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم هنا وبهما ضبط لفظ الشفاء ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافى عن الارض اى المرتفع والاخمصين مثنى اخمص بوزن احمر وهو ما دخل من باطن القدم ولم يصب الارض لعدم مساواته العقب ومقدم القدم وسمى به لضموره ودخوله ولما كان اخمص القدم قد يطلق على ما يلى الارض منها مطلقا اتى بقوله خمصان مضافا اليه ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع وليس المراد به المبالغة فى ارتفاعه كما فسره بعضهم هنا بالتشديد الجافى لهذا فجعله كليل البل وقد قال ابن الاعرابى اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفله فهو احسن فان استوى او ارتفع جدا فهو مذموم فمعنى خمصان الاخمصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان وسيأتى ما ينافى هذا يعنى قوله مسيح القدمين قال البارزى فى كتاب توثيق عرى الايمان خمصان الاخمصين متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لا يناله الارض من وسط القدم وقوله (مسيح القدمين ينبو عنهما الماء) قال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى اى املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى هريرة خلافه ففيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكلهما ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمى عيسى بن مريم مسيحا لانه لم يكن له اخمص وقيل معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما وهو مخالف لقوله شثن القدمين انتهى واقره صاحب المقتفى وفى الشرح الجديد فى النهاية معنى مسيح القدمين انهما املساوان لينان ليس فيهما التواء وانشقاق فاذا اصابهما الماء سال ومر سريعا من جانب الكعب القبلى وقال ابن الحنبلى فى شرح قصيدة الصرصرى النونية ليس المسيح باطن القدمين الذى هو محل الخمصان بل ظاهرهما للملاسة فلا تعارض بين العبارتين اقول هذا كله خاط منهما وليت شعرى ما يقول فى حديث ابى هريرة الذى نقله البارزى

فالاشكال الذى ذكره البرهان غير مندفع اللهم الا ان يقال ان الخمصة فيه قليلة جدا ومعنى ينبو يرتفع والمراد به مفارقة الماء وانصبابه مجازا وانشدوا هنا لبعضهم

* يا رب بالقدم التى اوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما *
* وبحرمة القدم التى جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما *
* ثبت على متن الصراط تكرما * قدمى وكن لى منقذا ومسلما *
* واجعلهما ذخرى فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما *

والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم والثانية قدم على رضى الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اصعد لكسر اصنام الكعبة فصعد على كتفه صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وفى بعض النسخ مشيح بفتح الميم وشين معجمة ولم يفسرها وكانها تحريف من النساخ او معناها خفيف المشى (اذا زال زال تقلعا) وروى اذا مشى يقلع اى رفع رجليه رفعا قويا ليتثبت فى مشيه فكانه يقلع رجليه من الارض فيقارب خطاه من غير اختيال واسراع كما ورد كانما ينحط من صبب وروى اذا زال زال قلعا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها وروى بالضم ايضا (ويخطو تكفؤا) اى اذا مد خطاه يميل الى قدامه كمن يتكفى وتكفؤا ان همز صحت فاؤه كالمصادر الصحيحة مثل تقدم تقدما لان الهمزة حرف صحيح فان ابدلت ياء كسر ما قبلها فقيل تكفيا كتسمى تسميا ونحوه من المصادر المعتلة الآخر (ويمشى هونا) بفتح الهاء اى اذا مشى مشى برفق ولين ووقار كما يأتى لانه ممدوح قال تعالى * ويمشون على الارض هونا (ذريع المشية) بفتح الذال معجمة وكسر الميم والذريع الواسع الخطو اى ما بين قدميه واسع فمع عدم سرعته يساوى مشيه المشى السريع او يفوقه (كانما ينحط من صبب) اى ينحدر من مكان عال والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة وانما قال كانما لانه ليس منحدرا على الحقيقة وانما هو كالمنحدر فى السرعة والسهولة (واذا التفت التفت جميعا) اى اذا اراد ان يدور لما خلفه او فى جانبه لا يلوى عنقه بل يصرف جميع بدنه فيقبل جميعا ويدبر جميعا من غير مسارقة نظر فانه خفة وطيش (خافض الطرف) مصدر بمعنى تحريك الجفن ثم صار بمعنى العين والخفض ضد الرفع والطرف العين وفسر هذا بقوله (نظره فى الارض اطول من نظره فى السماء) يعنى ان نظره لجانب السفل اكثر من نظره فى جانب العلو لخشوعه وحيائه ووقاره وليس هذا مخصوصا بالصلاة والدعاء فانه مكروه فيهما ولا ينافى هذا قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء لان هذا باعتبار الاغلب كما يشعر به لفظ قد (جل نظره الملاحظة) جل بضم الجيم بمعنى المعظم والاكثر والملاحظة النظر باللحظ

وهوطرف العين مما يلى الصدغ ومما يلى الانف موق وماق اى ينظر طرف عينه تأدبا وحياء (يسوق اصحابه) اى يمشى خلفهم وفى ساقتهم ولايدع احدا يمشى خلفه كما هو عادة المتكبرين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول خلوا ظهرى للملائكة وفى قوله يسوق اشارة الى انه هو المحرك لهم فاقيل من انه لايقدم الصغار الكبار الا اذا ساروا ليلا اوخاضوا سيلا ليس على وفق السنة (ويبدو من لقيه بالسلام) لانه من السنة ان يسلم الاكبر على الاصغر والسلام دعاء وتحية وهى تحية اهل الجنة كما ورد فى السنة فهو دعاء بالسلامة واسم من اسمائه تعالى وجوز ارادته هنا بمعنى ان الله معك ومطلع عليك وابتداؤه سنة لاواجب بالاجماع وفيه قول به ضعيف لايعتد به ورده فرض كفاية لاعلى كل احد لان السلام معناه الامان فاذا سلم احد ولم يجب توهم الشر فيجب دفعه كما قاله الحليمى وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم تواضع ولطف مناسب لمانحن فيه من حسن الخلق قال الحسن رضى الله عنه لراوى هذا الحديث (قلت) لخالى هند بن ابى هالة رضى الله تعالى عنه (صف لى منطقه) مصدر ميمى اى نطقه وكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال على معنى واما قول سليمان عليه الصلوة والسلام علمنا منطق الطير وقول الشاعر * لقد نطق اليوم الحمام لنطربا * فلتنزيله منزلة لفهم سليمان عليه الصلوة والسلام منه معنى ولادعاء الشعراء شوقه وطربه كما قاله الهروى (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) هذا مشتمل على الجواب و زيادة فالجواب قوله الآتى ولايتكلم فى غير حاجة فكانه قال كان كلامه موجز قليل وقيل معناه ان كلامه لم يكن بفرح و بطر بل بحزن واسف وقال ابن قيم الجوزية قول ابن ابى هالة متواصل الى آخره لم يثبت عنه و فى سنده مجهول كيف وقد صانه الله عن الحزن واسبابه ونهاه عنه بقوله لاتحزن وغفر له ما تقدم من ذنبه وماتأخر فلاخوف عليه ولاحزن فى الدنيا و الآخرة فمن اين يأتيه الحزن و قد ورد وصفه صلى الله تعالى عليه سلم بانه كان دائم البشر ضحوك السن و قد استعاذ من الهم والحزن ومر ان الهم لماسيأتى والحزن على مامضى وقال ابن تيمية فى حديث ابن ابى هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان ليس المراد بالحزن الالم على فوت مطلوب او حضور مكروه كانه لم يكن من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وانما المراد به التيقظ لمايستقبل من الامور وهو مشترك بين العين والقلب انتهى قيل وهو لم ينه عن ذلك لانه ليس باختياره وانما نهى عن تعاطى اسبابه كما قيل

* ومن سره ان لايرى مايسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا *

انتهى وقال ابن قيم الجوزية فى شرح منازل السائلين ليس الحزن من منازل السالكين وقد ورد النهى عنه فقال ولاتهنوا ولاتحزنوا وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم وحزن المؤمن

يسر الشيطان لانه يفتر العزم ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وهو من المصائب واما خبر ان الله يحب كل قلب حزين فلم يثبت (اقول هذا تطويل بغير طائل وانكار ورود الحديث مردود لانه ثابت كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره واما كونه ليس من المقامات فمع كونه غير مسلم كما مر فلا يضر والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة افكاره فى امور امته واحوالهم كما يدل عليه قوله (دائم الفكرة ليس له راحة) وكيف لاوقد قاسى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التبليغ مالايوصف واما وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالبشر والتبسم فهو فى حال آخر وهو مخاطبته للناس والنظر فى امورهم (ولايتكلم فى غير حاجة) له صلى الله تعالى عليه وسلم او لامته كما قال من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه (طويل السكوت) عما لايجدى نفعا لكثرة افكاره صلى الله تعالى عليه وسلم ودوام اذكاره (يفتتح الكلام ويختمه باشداقه) جمع شدق بفتح اوله وكسره وسكون داله المهملة وهو جانب الفم وذلك لسعة فمه الدالة على فصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وهو مما تتمدح به العرب واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ابغضكم الى الله المتشدقون فمعناه من يتكلف كثرة الكلام بلا احتياط فيه فسقط ما قيل انه من صفة الفم ولامدخل فى الجوانب (ويتكلم بجوامع الكلم) وهى الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم التى فيها الفائدة كسير الامثال جمع جامعة وتطلق على القرآن (فصلا) بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة اى كلاما فاصلا للخصومة وفارقا بين الحق والباطل (لافضول فيه) لازيادة فيه على اداء المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع فضل خص بما ذكر ونقل لمعنى آخر واذا نسب اليه فقيل فضولى كما فى المغرب (ولاتقصير) فيما يريده بتقليل مخل بالفهم (دمثا) بفتح الدال المهملة وكسر الميم وبالثاء المثلثة من الدماثة وهى سهولة الخلق مستعار من الارض الدمثة وهى ذات الرمل المتلبد اى لين الخلق لطيف المعاملة (ليس بالجافى) اى ليس غليظ الطبع وهو اصل معنى الجفاء اولم يكن يجفو اصحابه (ولا المهين) روى بضم الميم وفتحها فالاول من الاهانة والميم زائدة اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يهين احدا من الناس والثانى من المهانة وهى الحقارة والميم اصلية اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم حقيرا ممتذللا لاحد من الناس لشرف نفسه وعزتها وهذا وصف لذاته صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل ان يكون وصفا لمنطقه (يعظم النعمة وان دقت) اى يعد كل ما انعم الله به عليه عظيما وان لم يكن لذلك ومعنى دقت صغرت وقلت (لايذم شيئا) اى شيئا يستحق الذم (لم يكن يذم ذواقا) بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة والف وقاف فعال مصدر صار بمعنى مايذاق من مأكول ومشروب مما قدم له صلى الله تعالى عليه وسلم من طعامه ونحوه ان اعجبه اكل منه والا كف يده ولايقول

فيه شئ فلا يذمه (ولاشيئا يمدحه ولايقام لغضبه) من قام اذا ثبت اى لايثبت له احد
اومن قام بمعنى دام اى لايدوم احد على تحمل غضبه ويقام بضم المثناة التحتية مبنى
للمجهول وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب لله احيانا وقد
ورد مايدل على ذلك (اذا تعرض للحق بشئ) بضم التاء الفوقية والعين وكسر الراء
المهملتين المشددة والضاد المعجمة اى اذا اعترض احد للحق بما يبطله او يقتضى
خلافه وبشئ بالباء الجارة واللام وعامله امايقام اوتعرض (حتى ينتصر له) اى للحق
فيؤيده ويبطل خلافه (ولايغضب لنفسه ولاينتصر لها) اى اذا اذاه احد من
الاعراب وغيرهم بمايتعلق بنفسه كالاعرابى الذى امسكه صلى الله تعالى عليه
وسلم بردائه ولببه والذى قال ان هذه قسمة غير عادلة ونحو ذلك ككلام بعض المنافقين
كابى ابن سلول رأس المنافقين وماكان يصدر منه (اذا اشار اشار بكفه كلها) اى اذا
اشار لشئ خارج الصلوة اشار برفع يده واما فى الصلوة واذا اشار للتوحيد اشار
باصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الاشارتين وله صلى الله تعالى عليه وسلم
اشارات اخر نبه عليها بقوله (واذا تعجب قلبها) اى قلب كفه وجعل باطنها
نحو السماء وظاهرها للارض وتأنيث الكف لانها مؤنث سماعى وهو اشارة لانقلاب
الحال عما يعتاد من غير اظهار للتعجب واستغراب لامر وهذا مما يدل على سكونه
صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم خفته وهو امر ممدوح (واذا تحدث فصل بها)
فى شرح الدلجى بهمزة وفاء وصاد مهملة ولام والضمير للكف اى وجه كفه من
فصل علينا اذا خرج من طريق اوظهر من حجاب قاصدا بها اى بكفه ولم يدينه
غيره ووقع فى بعض النسخ اتصل بها اى بمثناة فوقية بدل الفاء وفى حاشية التلمسانى
والحديث يتصل بها اى لازال يحركها وذلك اثبت لانه قول وفعل انتهى وهذا يدل
على ان اتصل بها رواية فى العبارة ثلاثة وجوه افصل واتصل ويتصل والمعنى
انه صلى الله تعالى عليه وسلم فصل حديثه باشارته بيده لجهة من يخاطبه كعادة
من يهتم بكلامه فى امر مهم (اقول هذا كلام مع غموضه غير محرر مع مافيه امامااذكره
الدلجى من انه افصل بهمزة وفاء فتحريف لانه لم يسمع فى هذه المادة مزيد بزنة اكرم
فالصواب فصل او اتصل ومعناه انه صلى الله عليه وسلم فصل كلامه باشارته اووصل
احدى يديه بالاخرى ثم رأيته فى كتاب النعمة فى الصلاة والسلام على شفيع الامة ذكر هذا
الحديث وانه اتصل افتعال من الوصل وهو الصحيح يذكر انه صلى الله عليه وسلم كانت له
اشارات مختلفة فيشير بالمسبحة للتوحيد ويجمع كفه لغيره فرقا بينهما وانه كان اذا
حدث وصل حديثه بالاشارة بيده توكيدا له والظاهر ان الفاء فى قوله (فضرب)
تفصيلية كقوله ونادى نوح ربه فقال رب الى آخره ولم يبينوا معناه والظاهر ان المعنى
انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشير بجميع كفه اذا كان مع اصحابه على وجه

متعارف كالاشارة للذهاب والجلوس ونحوه فاذا تحدث وضع ابهامه على راحته
وقت حديثه لتثبيت حديثه وانتهائه فاعرفه وقوله (بابهامه اليمنى راحته اليسرى)
كذا فى اكثر الروايات وفى بعضها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى
والابهام معروف يذكر ويؤنث وجمعه اباهيم واباهم قالوا وهذا عادتهم اذا
تحدثوا (واذا غضب اعرض) عمن غضب عليه من غير لوم له لشدة حلمه صلى الله
تعالى عليه وسلم (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة بينهما الف قيل معناه صرف
وجهه فهو تأكيد لما قبله وقيل معناه قبض وجهه ورواه من غير لوم وعقاب
وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلايقال كيف ادرج هذا فى صفات المدح
فاجاب بان الغرض بيان صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم للسائل لان المقام
يأباه وسيأتى من المصنف تفسيره ممايقارب هذا وقيل ان فى النهاية ان المشيح الحذر
اوالجاد فى الامر اوالمقبل عليك المانع لماوراء ظهره وفى حديث سطيح اقبل على
جمل مشيح اى جاد مسروع فيجوز ان يريد احد هذه المعانى اى حذر من موجب
غضبه اوحذر فى الامر ايشعر باعراضه عن موجب غضبه او اقبل عليه ليمنع من
وراءه من ضرر المغضوب عليه ولايخفى انه تكلف مخالف لمااختاره المصنف مماهو
اظهر هنا (واذا فرح) لرؤية مايسره اوسماعه (غض طرفه) اى ارخاه واطرق
تباعدا من الاشر والمرح (جل ضحكه التبسم) اى اكثره وقد تقدم بيانه وقد يضحك
صلى الله تعالى عليه وسلم احيانا حتى تبدو نواجذه والتبسم مبادى الضحك (ويفتر)
بفتح الياء وسكون الفاء وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة من قولهم افتر
ضاحكا اذا ابدى اسنانه قال

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب*

وهو من فررت الدابة اذا كشفت فمها لتعرف سنها من سنها وذلك هو الفرار بالضم
(عن مثل حب الغمام) متعلق بيفتر والغمام السحاب واحده غمامة كسحابة
وحبه هو البرد المعروف لاقطر المطر كماتوهم فانه مع عدم مناسبته لايسمى حبا
لان الحب الجامد دون السائل وتشبيه اسنانه صلى الله تعالى عليه وسلم به لصفائه
ولمعانه ورطوبته دون جريه حتى يقال انه نوع منه وهو مشهور فى كلامهم كما
(قال الحسن) بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما (فكتمها) اى اخفيت
صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التى سمعتها من ابن ابى هالة (الحسين) مفعول ثان
لكتم وفى نسخة عن الحسين بن على (زمانا) مدة من الزمان (ثم حدثته) بما سمعته
من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فوجدته قد سبقنى اليه) اى الى الحديث
المعلوم من قوله حدثه اى حفظه قبلى الا انه رواه عن ابيه على رضى الله تعالى
عنهما (فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه

ومجلسه) وفى نسخة وملبسه بدل مجلسه فان كانت الثلاثة مصادر ميمية فظاهر
والا بان كان اسم زمان اومكان فالمراد سألته عن حاله فى مخرجه ومدخله والمراد
خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم للناس ودخول بيته وجلوسه عندهم كما سيأتى
وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة جلوسه وانما ذكر استقراء لجميع احواله يعنى
الحسن انه سمع هذه الصفات من ابن ابى هالة خاله ولم يخبر اخاه بما سمعه منه والحسين
لم يسمعها من خاله فلما حدثه بها وجد علما منها عنده علم انهما من طريق وهى
روايته لها عن امير المؤمنين ابيه مع زيادة وانما كتم ذلك عنه مع النهى عن كتمان العلم
عن اهله لانه لم يسأله ولم ينحصر علمها فيه ولو كان لذلك دخل فى حديث من كتم
علما الجمه الله بلجام من نار او انه كتم عنه كلام ابى هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم
اهل بيته بذلك فان الثبت والحديث لهم (وشكله) بفتح اوله اى هيئته فى ذلك الحال
وبكسره بمعنى الهدى والسمت قاله التلمسانى (فلم يدع من ذلك شيئا) اى لم يترك شيئا
من احواله الا بينه لى (قال الحسين سألت ابى رضى الله تعالى عنه عن دخول رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه) اى دخوله منزله ليجتمع باهله
لمصالحه وقضاء مأربه وقيلولته (مأذونا له فى ذلك) من الله اذنا عاما بحيث يدخل
اى بيت من بيوته فى اى وقت من غير استيذان من زوجاته رضى الله تعالى عنهن لانه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يجب عليه القسم وقيل المراد دخوله بيوت الصحابة
رضى الله تعالى عنهم وهو بعيد لقوله (فكان اذا اوى) الاصح قصره ويجوز مده
(الى منزله جزأ دخوله) اى قسم زمن دخوله بيته (ثلاثة اجزاء جزأ لله) اى لعبادته
والتفكر فى ملكوته (وجزأ لاهله) يدبر فيه امورهم ويصلحها ويتلطف بهم (وجزأ
لنفسه) من مأكل ومشرب وراحة وغيره مما يليق به لقوله (ثم جزأ جزأه بينه وبين
الناس) اى قسم الزمن الذى جعله لنفسه فجعل قسما منه مخصوصا بذاته واحواله
فى نفسه وجزأ آخر للناس وسائر الامة وهو فى منزله ولا يلاقيه فيه الا اهله اوخواص
صحابه الذين يؤذن لهم فى الدخول عليه وغيرهم لا يصل اليه ثمة فلذا قال
(فيرد ذلك على العامة بالخاصة) يرد بمعنى يوصل ويعطى كانه لما كان لهم حق
فى الجملة احد منهم ثم رده اليهم وقيل معناه يستعين لانه وردانه صلى الله عليه وسلم كان
يستعين بالخاصة على العامة وهو بيان لحصل المعنى وذلك اشارة لما فهم من السياق
وهو جزء الناس والعامة من عدا الخاصة التى عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة
بما سمعته منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يكن مما ينبغى كتمه عنهم والباء فى بالخاصة
للسببية وكونها للبدل كقوله * فليت لى بهم قوما اذا ركبوا * بعيد لانه ليس المراد
انه يجعل وقت العامة بعد الخاصة وبدلا منه وعلى على ظاهرها وقيل بمعنى الى ويروى

بدل يرد يبدل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة التحتية وفتحها فيهما (ولا يدخر
عنهم شيئا) اى عن المذكورين من العامة والخاصة وقيل عن الداخلين عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم والمآل واحد ويدخر بدال مهملة مشددة واصله يذتخر
بذال معجمة وتاء افتعال من الذخر قلبت تاؤه وذاله دالا وفعل به ما علم من كتب
الصرف وكذا امثاله من اذكر ويجوز يذخر بذال معجمة مشددة وخاء (فكان من
سيرته فى جزء الامة) وهو الجزء الذى جعله للناس وافرزه مما كان لنفسه اى كان دأبه
صلى الله عليه وسلم وعادته فى هذا الجزء (ايثار اهل الفضل باذنه) الايثار تقديم
ما يؤثره على غيره والمراد باذنه انه يأذن لهم فى الدخول فى خلوته فى بيته كما مر وما قيل من
ان المراد باهل الفضل اغنياء الصحابة رضى الله تعالى عنهم والفضل زيادة مالهم
على حاجتهم والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يأذن لهم ان يؤثروا بصدقاتهم
اقرباءهم كما وقع لابى طلحة رضى الله تعالى عنه فى بيرحاء تكلف اوقعه فيه قوله
(وقسمه على قدر فضلهم فى الدين) فتوهم ان المراد تقسيم المال والعطاء وليس
كذلك وانما معناه قسمة جزئه فى حديثه معهم واشتغاله باحوالهم وقوله فى الدين
لان اكرمهم عند الله اتقاهم فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال وفى بعض النسخ
وقسمه بدون تاء ثم بين سبب تفاوتهم بقوله (منهم ذو الحاجة) الواحدة (ومنهم
ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) الثلاثة فاكثر (فيتشاغل بهم) اى بقضاء حوائجهم
وارشادهم لما يصلح معاشهم ومعادهم (ويشغلهم) بفتح الياء المثناة التحتية مضارع
شغل واما اشغل فلغة رديئة كما مر اى يجعلهم صلى الله عليه وسلم مشغولين بما امرهم به
(فيما اصلحهم) وفى نسخة يصلحهم اى ما فيه صلاحهم (والامة) بالنصب اى واصلح
الامة لتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته عليه السلام بحالهم (من مسئلته عنهم) وهو
بيان لما اى سؤاله عن احوالهم وعن مسألتهم اى الخاصة ذوى الفضل (واخبارهم)
اى اخبار ذوى الفضل (بالذى ينبغى لهم) اى يليق ويناسب حال المسؤل عنهم من الامة
وهو مطاوع بغى بمعنى طلب قال الراغب اذا قيل ينبغى ان يكون كذا فهو على وجهين
احدهما ما يكون مسخرا للفعل نحو النار ينبغى ان تحرق الثانى الاستيهال نحو فلان
ينبغى ان يعطى لكرمه قال الله تعالى * وما علمناه الشعر وما ينبغى له (ويقول) صلى
الله تعالى عليه وسلم لمن حضر عنده (ليبلغ الشاهد) امر وهو للوجوب فى الامور
الشرعية وهو بتخفيف اللام بقرينة ذكر الابلاغ بعده ويجوز تشديدها
والاول اصح هنا والشاهد الحاضر عنده لمقابلته بقوله (الغائب) وهو من لم يكن
حاضرا او موجودا فهو من كبار الصحابة والغائب من صغارهم اوهم الصحابة
والتابعون قيل ويحتمل ان يراد العالم والجاهل واهل الحضر والبادية والسامع ومن
لم يسمع والمسلم والكافر وهذه احتمالات عقلية اوهى تأويلات وتعميم لمفهومه

فتأمل (وابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغا) اى حاجته وروى ابلاغ حاجته وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب والحث وبيان لسبب الامر (فانه) اى الامر والشان (من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها) قيل يريد ان من ابلغ سلطانا حاجة جوزى بهذا الجزاء العظيم فكيف بمن بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والا فهو اجل من ان يكون ملكا اوسلطانا وقد قال كما تقدم لست بملك قلت فيه نظر وقد يقال المراد بالسلطان هنا الامام الاعظم خليفة الله وقد اطلق الفقهاء ذلك عليه كما بيناه وفى حكمه بالسلطنة و الفتيا والقضاء المذكور فى القواعد للسبكى كما سيأتى وهذا الحديث مستقل رواه الاصبهانى وفى بعض الفاظه اختلاف (ثبت الله قدميه يوم القيامة) على الصراط يوم تزل الاقدام كما ورد مصرحا فى رواية ابن ابى الدنيا وذلك لانه مشى بقدميه وسعى لحاجة اخيه فهو جزاء من جنس العمل وهو كناية عن نجاته من اهوال الموقف (ولا يذكر عنده) اى لا يذكر فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا ذلك) الاشارة لجميع ما تقدم من ذكره مصالحهم وسؤاله عن الامة والامر بالتبليغ والحث عليه والترغيب فيه (ولا يقبل احد) بالبناء للفاعل والمفعول (غيره) اى لا يرضى كلاما غير ما يكون من هذا القبيل (وقال) اى على رضى الله تعالى عنه فى رواية (فى حديث سفيان بن وكيع) ابن الجراح ابو محمد الكوفى وهو امام حافظ روى عنه الترمذى والدارقطنى وغيرهما توفى سنة سبع واربعين ومائتين ووالده امام جليل حافظ رحمه الله تعالى (يدخلون) اى اصحابه رضى الله تعالى عنه (روادا) بضم الراء المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة جمع رائد واصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار لهم منزلا فيه الماء والكلاء فاستعير هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم وما يرشدهم وقيل يتحينون وقت الوصول اليه وقال التلمسانى ان رواد بكسر الراء وتخفيف الواو مصدر رود يرود لواذا بلام وذال معجمة اى ملتجئين لائذين به (ولا يتفرقون) من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا عن ذواق) بفتح الذال المعجمة والواو المخففة والف وقاف فعال من الذوق بمعنى المذوق وهو المأكول فاستعير للعلم الذى يتعلمونه ويحتمل ان يريد حقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عادته ان يطعم شيئا لمن يدخل بيته وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين وحقيقة الذوق كما قاله الراغب وجود الطعم بالفم واصله فيما يقل تناوله وفيه تفصيل ذكرناه فى كتابنا طراز المجالس اى لا يتفرقون الا عن علم وادب هو غذاء لارواحهم وسبب لبقائهم (ويخرجون) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ادلة يعنى فقهاء) عالمين بامور الدين اى هداة مرشدين للناس ويهتدى بهم غيرهم فادلة جمع دليل بمعنى هادى او بمعناه المشهور كما يقال فلان حجة الاسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية كما فى تحرير ابن الهمام

(قلت) فاسأله الحسين لابيه رضى الله تعالى عنهما (فاخبرنى عن مخرجه) اى عن حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد خروجه من منزله (كيف كان يصنع فيه) بعد خروجه من منزله (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام والتلذذ والتبرك بذكره (يخزن لسانه) بالخاء وضم الزاى المعجمتين والنون اى يصونه ومنه الخزانة لانه لا يحب كثرة الكلام قال * اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان * ولما فيه من المنع عداه بمن فقال (الا من ما يعنيهم) وفى نسخة الا فيما يعنى بفتح المثناة التحتية اى يهمهم وينفعهم من جواهر كلمه وزواجر حكمه (ويؤلفهم ولا يفرقهم) اى يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراتهم ولطفه بهم كما قال الله تعالى * ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك * او يجعل الله بينهم الفة لحثهم على التحاب والمواخاة بينهم (يكرم كريم كل قوم) كما قال اكرموا عزيز كل قوم لمعرفته صلى الله عليه وسلم بمقادير الناس (ويوليه عليهم) اى يجعله حاكما عليهم فلا يولى احدا من اصحابه غيرهم ولا غيرهم عليهم ولا يولى صغارهم عليهم رعاية لاهلية ذوى الولايات وتجنبا لاعلاء الاسافل ترغيبا فى الاسلام (ويحذر الناس ويحترس منهم) لان من الحزم سوء الظن وعدم الوثوق بكل احد وقال عمر رضى الله تعالى عنه احتجزوا بسوء الظن وهو من بديع حكمه وليس المراد بالناس جميعهم بل عوامهم بخلاف خواصهم والاحتراز والاحتراس والحذر متقاربة وقيل الاحتراس التحفظ والاحتراز التعوذ والحذر الخوف (من غير ان يطوى) اى يخفى ويمنع استعارة من طى الثياب (عن احد بشره) اى طلاقة وجهه وانبساطه معه تأنيسا له وتأليفا لقلبه واذهابا لخوف مهابته (وخلقه) اى حسن خلقه ولم يذكر الحسن اشارة الى انه مجبول على الحسن فيه (ويتفقد اصحابه) اى يسأل عمن لم يحضر عنده وفقد من مجلسه وقد يذهب صلى الله تعالى عليه وسلم لمنزله اذا طالت غيبته وتطلبه (ويسأل الناس عما فى الناس) من احوالهم وامورهم ليعلم امرهم فيتدارك ما ينبغى تداركه وينصح من يلزم نصحه وليس هذا من التجسس او الغيبة المنهى عنه بل من سؤال الطبيب ليشفى المريض فاذا اخبروه بحال حسن حمدا لله على ذلك (يحسن الحسن ويصوبه) اى يبين حسنه وكونه صوابا ويمدح فاعله ترغيبا له فيه (ويقبح القبيح ويوهنه) بضم اولهما وتشديد ثانيهما والنون او بالياء التحتية من الوهى وهو الضعف اى يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا نافعا والمراد الحسن والقبيح عادة اوشرعا وفيه صنعة الطباق (معتدل الامر) اى اموره صلى الله تعالى عليه وسلم كلها معتدلة فلا يبالغ فى تحسين وتقبيح غيره (غير مختلف) اى على سنن

واحد فى جميع اوقاته (لايغفل) عن شئ من احوال الناس (مخافة ان يغفلوا) عما يصلحهم وهو بضم الفاء فيهما (او يملوا) اى يحصل لهم فتور وكسل عن صالح امرهم اذا لم ينبههم عليه ولو ارجع هذا لقوله معتدل الامر لم يبعد ويجمع هذا قوله تعالى * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (لكل حال) من احوال الناس (عنده عتاد) بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة وهو كالعتيد العدة والحاضر المعد لاصلاحه وتداركه اذا وقع فهو متخلق بقوله رقيب عتيد وقيل اصل العتاد عداد لانه من العدة فابدلت داله تاء هربا من التكرار (ولايقصر عن الحق ولايجاوزه الى غيره) فاذا رآه عمله واذا رأى منكرا ازاله من غير تأخير (الذين يلونه من الناس) اى يقربون منه فى مجلسه ونحوه (خيارهم) اى افضلهم واشرفهم (وافضلهم عنده اعمهم نصيحة) اعم هنا بمعنى اكثر نصيحة او اكثر منصوحا بان ينصح فى امر كل احد بارشاده لما هو خير له ولذا قال عليه السلام الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين فنصيحة الله اخلاصه فى اعتقاده له بما يليق به من توحيده وعبادته مخلصا لوجهه ولكتابه فهم معانيه والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان به واجتناب نواهيه وامتثال اوامره ولائمة المسلمين طاعتهم وعدم الخروج عليهم ونصيحته العامة ارشادهم لصالحهم والنصح ارادة الخير لمن ينصحه باخلاص وهى كلمة جامعة يقال نصحته ونصحت له (واعظمهم عنده منزلة) اى رتبة وشرفا (احسنهم مواساة) لكل احد لان حذف المتعلق يفيد العموم والمواساة اعطاء من يريد ما يريد وبذله له يقال آساه وواساه بواو مبدلة من الهمزة اذا جعله اسوة له (وموازرة) اى اعانة لمن التجاء اليه يقال آزره ووازره اذا اعانه وقواه وساعده من الازر وهو الظهر لان قوة البدن به او من الوزر وهو الملجأ ومنه الوزير وفى الحديث ما احد عندى اعظم يدا من ابى بكر واسانى بنفسه وماله وهذا يدل على انه افضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قال الحسين رضى الله تعالى عنه (فسألته) يعنى عليا والده رضى الله عنهما (عن مجلسه) اى عن حاله فى مجلسه خارج بيته مع الناس ومعاملته لهم فيه ولذا اردفه بقوله (ما كان يصنع فيه فقال كان لايقوم) من مجلسه (الا على ذكر) لله يجعله صلى الله تعالى عليه وسلم ختام مجلسه فكان اذا قام منه قال * سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت * فيجعل ذلك علامة لانصرافه من العامة والذكر بالذال المعجمة اذا اطلق اريد به ذكر الله تعالى وان كان عاما وقال التلمسانى رحمه الله تعالى وقد تهمل ذاله قليلا فقيل انها لغة وقيل لغة ولا دليل لقائله فى نحو هل من مدكر فانه مغالطة (ولا يوطن) بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الطاء مشددة ومخففة وفتحها مشددة كما فى بعض الشروح وفى بعضها انه بالكسر من اوطنه ووطنه اذا اتخذه

وطنا (الاماكن) جمع امكن او امكنة جمع مكان فهو جمع الجمع ففى ميمه خلاف هل هى اصلية او زائدة (وينهى عن ايطانها) اى اتخاذها وطنا والمراد ملازمة محل مخصوصة فى غير بيته مما ليس بملك كالمسجد وغيره من الاماكن المباحة لان لكل احد حقا فيه والنهى الوارد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو فى حق المسجد بان يتخذ مصلى معينا منه ولذا نص الفقهاء على كراهة ارسال السجادة للجامع وفرشها فيه وفى الحديث نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يوطن الرجل المكان بالمسجد قيل وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن الف مكانا للافتاء والتدريس فله ايطانه واقامة غيره منه اذا كان من لايعرفه يأتى لاستفتائه فيعرفه فى مكانه وقوله ايطانها يؤيد ان يوطن مخفف ولايعينه كما قيل لانه يجوز ان يذكر فعل من باب ويذكر له مصدر او اسم فاعل او مفعول واسم مكان وغيره من باب آخر نحو وتبتل اليه تبتيلا وقوله * وداع دعا يا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب * ويجوز فى نحو اجراه مجراه ضم الميم وفتحها وقد تكون المغايرة ابلغ واكثر معنى وهذا مما ينبغى التنبيه له (واذا انتهى) مشيه قاصدا (الى القوم) الذين يريد الجلوس معهم (جلس حيث ينتهى به المجلس) اى فى اى مكان خال منه من غير تصدر على اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وينتهى من النهاية لانه نهاية محل الجالسين فيه (ويأمر) اصحابه (بذلك) تشريعا وتأديبا فعلم ان تحرى الصدر مكروه شرعا لما فيه من الكبر والترفع على اصحابه لاسيما اذا لم تطلب انفسهم بذلك فيأذنون به فانه قد يحرم كما يفعله علماء السوء فى زماننا (ويعطى كل) احد من (جلسائه نصيبه) اى ما يستحقه من ملاطفته ومجاوبة سؤاله وبشره صلى الله تعالى عليه وسلم له (حتى لا يحسب) اى يظن (جليسه ان احدا اكرم عليه منه) اى يظن انه اكرم الناس واجلهم عنده لما يرى من لطفه به فهو كقولهم ليس فى البلد اعلم منه كما مر تحقيقه فهو غاية لذلك الاعطاء (من جالسه او قاومه فى حاجة) اى من حادثه او قام مع قيامه لعرض حاجته او لغير ذلك فهى مفاعلة من الجلوس والقيام (صابره) اى صبر عليه او صبر مقدار صبره فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو كل ذلك لاشتمالهم وتطييب قلوبهم فلا يمل حتى يملوا (حتى يكون هو المنصرف عنه) والحصر بتعريف الطرفين فى محله هنا (من سأله حاجة لم يرده الا بها) اى رده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقضى الحاجة غير خائب (او بميسور من القول) اى اورده بقول لين سهل لاغلظة فيه كوعده وقد تقدم بيانه (قد وسع الناس) بالنصب مفعول وسع (بسطه وخلقه) باضافته لضميره ورفعه على الفاعلية اى عمهم بسطه اى بسط يده صلى الله تعالى عليه وسلم وسماحته اى بشره وطلاقة وجهه وابداء سروره وحسن خلقه فشبهه بمكان متسع رحب واثبت له السعة والبسط بهذا المعنى مسموع وليس

لغة مولدة كما يتوهم كما ذكره المصنف رحمه الله فى المشارق وتقدم فى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة منى يبسطنى ما يبسطها (فصار لهم ابا) اى بمنزلة الاب فى البر والصلة وقصد الخير وفيه دليل على انه يجوز ان يقال انه صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما يقال لزوجاته رضى الله عنهما هن امهات المؤمنين ولا ينافيه قوله تعالى * ما كان محمد ابا احد من رجالكم * لان نفى الحقيقة لا ينافى المجاز كما سيأتى (وصاروا عنده فى الحق متقاربين) اى يقرب بعضهم من بعض اذا كانوا على الحق او فى اداء حقوقهم اى فى اصل الحق فلا ينافيه قوله (متفاضلين فيه بالتقوى) اى بحسب مراتبهم فى تقوى الله لقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم * وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انزلوا الناس منازلهم وسيأتى فى الرواية الاخرى وصاروا فى الحق سواء فلا ينافيه هذه الرواية ولان بينهم تفاوتا تاما وفى الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فان تساووا هلكوا وصاروا كاسنان المشط لبس فيهم فضلاء او تنافسوا فى الفضائل فانكروا فضل بعضهم على بعض * وما عبر الانسان عن فضل نفسه * كمثل اعتراف الفضل من كل فاضل * (وفى الرواية الاخرى صاروا عنده فى الحق سواء) كما بيناه (مجلسه مجلس حلم وحياء) اى يظهر فيه حلمه عليهم وحلمهم على غيرهم بحيث لا يستفزهم الغضب وهم مظهرون للحياء لا يرفعون رؤسهم واصواتهم ولا يرتكبون ما لا ينبغى قولا وفعلا قيل ولو قدم هذا وادرجه فى جواب السؤال عن مجلسه كان احسن قلت ما بالعهد من قدم (وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات) احتراما له صلى الله تعالى عليه وسلم ولوقارهم وادبهم (ولا تؤبن فيه الحرم) كالكبر جمع حرمة وهى ما لا يحل والمراد النساء لحرمة النظر لهن ونحوه اى لا تذكرن بسوء من ابنه فابنه اذا ذكرته بما يكره مأخوذ من الابنة والابن وهى عقد فى القسى تعاب بها اى لا تذكر فيه النساء لانه رفث من القول او لا يذكر فيه ما يحرم كالغيبة وسيأتى تفسيره (ولا تنثى فلتاته) بتاء مثناة فوقية مضمومة ونون ومثلثة مقصورة من النثاء وهو ذكر القبيح ضد الثناء بتقديم المثلثة وهذا هو الموافق لما سيأتى وروى ولا يثنى بتقديم المثلثة على النون اى لا تعاد والفلتات بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون ويجوز تسكين لام فلتات ويجوز ضم فاء فلتة كما قاله التلمسانى وهى الزلة اى القبيح الذى يقع بغتة والمراد انه لا فلتة فيه حتى يذكر فى مجلس آخر فيعاد ذكرها فنفى الشئ بذكر لازمه لانها لو وقعت ذكرت كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * (وهذه الكلمة) اى قوله لا تنثى فلتاته (من غير الروايتين) رواية الحسن عن خاله ورواية الحسين عن ابيه ويجوز ان يراد ظاهره اى ان الفلتة اذا وقعت لا تذكر بل تستر (يتعاطفون بالتقوى) اى يعطف بعضهم على بعض ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله لا رياء ولا سمعة ولا خوفا

واتقاء شرفا لباء سببية كقوله رحماء بينهم (متواضعين) اى يتواضع بعضهم لبعض لا يتكبر احد على احد فيخدمه ويخفض جناحه له (يوقرون فيه) اى فى المجلس (الكبير) سنا (ويرحمون الصغير) شفقة عليه ورأفة وهو مفتوح الضاد ويكسر فى لغة رديئة (ويرفدون) بفتح المثناة التحتية وضمها اى يعينون ويواسون يقال رفده يرفده بالكسر وارفده بمعنى (ذا الحاجة) اى كل من كانت له حاجة ومسألة لهم اوله صلى الله تعالى عليه وسلم اعانوه بقضائها او ابلاغها او الشفاعة ويجوز ان يراد به الفقير المحتاج (ويرحمون الغريب) اى يشفقون عليه ويعطفون تأنيسا له وازالة لوحشة غربته قال الحسين (فسألته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جلسائه فقال كان صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) اى طلاقة الوجه وبشاشته واظهار السرور فى مجالسه وهذا لا ينافى ما مر من قوله دائم الاحزان كما مر فتذكره (سهل الخلق) اى خلقه وسجيته السهولة وعدم الشدة فى اقواله وافعاله وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملة السمحة السهلة (لين الجانب) بتشديد الياء وسكونها اى لا غلظة فيه ولا جفاء متواضعا (ليس بفظ) اى سيئ الخلق (ولا غليظ) اى شديد متوعد لاحد يمسك عنه لطفه ورفده (ولا صخاب) بالصاد والسين اى لا يرفع صوته جدا فى خصومة ونحوها (ولا فحاش) اى لا يتكلم بقبيح كالشتم (ولا عياب) اى ذاكرا لعيوب الناس ونقايصهم (ولا مداح) اى لا يكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة فوق ما فيه وان كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه كما مر وذكر هذه بصيغة المبالغة اشارة الى انه قد يصدر قليلها احيانا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمقتضى الحال ومثله لا يعاب والمدح انما يذم اذا كان زيادة عن حده لانه كذب ومداهنة واما مدح من يستحق المدح بما فيه اذا لم يلزمه محذور فامر حسن الا ترى الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالم لرجح وقوله لعمر رضى الله عنه لو لم ابعث لبعثت انت يا عمر فاى مدح يزيد على هذا لكنه صدق ناش عن بصيرة ولا يورثهم ذلك اعجابا ولا فتورا وما من شئ الا وهو ممدوح من جود مذموم من آخر (يتغافل عما لا يشتهى) اى يتغافل عن ما ليس بمنكر شرعا لكنه غير مستحسن عادة او طبعا اذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه ولم يقر عليه وهذا من مكارم الاخلاق كما قال ابو نواس * ليس الغبى بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى * (ولا يؤيس منه) قال فى المقتفى يؤيس بضم اوله وسكون الواو وهمزة مكسورة وهى ترسم ياء ويجوز فتحها على انه مبنى للفاعل او المفعول وهو من اليأس ضد الرجاء يعنى اذا سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما لا يليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى ييأس او يبين له انه سأل ما لا يليق فيخجل سائله (وقد ترك نفسه من ثلاث) اى نزهها عنه ومنعها وقيل فيه قلب اى ترك ثلاثا من نفسه (الرياء والاكثار وما لا يعنيه) بفتح المثناة التحتية اى يهمه وهى بدل من ثلاث مبينة لها والرياء اظهار

مافيه من الصفات الجيدة والافعال الجميلة للناس حتى يحمد بها و يشيع وهو الشرك الاصغر وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنه بلا شبهة فان قلت كونه غير ثابت له امر ظاهر الانتفاء عنه فما الحاجة لذكره قلت كانه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لايحبه من غير ان يقنط راجيه يعنى انه لم يقل انا لا احب هذا فلذا لم اجبك عنه حتى يتوهم انه سيفعله لما فيه من الرياء ولذا قال (وترك الناس من ثلاث) اى ابعد هم عنها او ترك ذكر الناس ونحوه من اجل ثلاث تضمنها قوله (كان لايذم احدا) من الناس يستحق الذم كالمنافقين لعنهم الله (ولايعيره) بعين مهملة يقال عيره كذا وبكذا اى ذكر ما فيه بما هو عار عليه وعيب فيه قد سلف منه فالفرق بينه و بين ماقبله انه اخص منه وليس عينه حتى لاتكون امور الناس المتروكة اربعة كما ذكره التلمسانى رحمه الله تعالى (ولا يطلب عورته) اى لايتجسس عن معايب الناس و يبحث عنها كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل مع المؤلفة قلوبهم واصل العورة الخلل وما يجب ستره كما فى حديث ابى داود يامعشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولاتعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته وهذا كما قيل فى المثل كل من عير ابتلى وهذا اذا لم يلزم اظهاره شرعا كالمتجاهر بفسقه ونفاقه وقوله (ولايتكلم الا فيما يرجو ثوابه) صفة اخرى مرتبطة بما قبلها وليست من الثلاث وهذا كنصيحة الامة وارشادهم وتعليم الخبر والتبليغ (اذا تكلم اطرق جلساؤه) اى خفضوا رؤسهم تأدبا وانصاتا (كانما على رؤسهم الطير) اى بسكون ووقار من غير طيش وخفة لان الطير لايقع الا على ساكن وهذا مثل مشهور (واذا سكت تكلموا) فلا يقطعون حديثه بحديثهم تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه مراعاة لعظيم قدره (لايتنازعون عنده الحديث) اى اذا كانوا فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يديرون الحديث بينهم فيتحدث بعضهم بعضا كما هو جار بين الناس اذا اجتمعوا فى ناد وهذا بيان لقوله تكلموا وان المراد يتكلمون مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤالهم له ونحوه من مهماتهم لانهم يريدون الحديث بينهم وهذا هو معنى تنازع الحديث فى كلامهم ومن فسره بالتخاصم لاغتراره بظاهر التنازع لم يصب لعدم مناسبته للمقام ولايخفى انه لامعنى لقولك تخاصموا الحديث الا بتأويل اى تخاصموا فى الحديث وهو ركيك قال امرئ القيس * فلما تنازعنا الحديث واسمحت * هصرت بغصن ذى شماريخ ميال * قال ابن السيد فى شرح ادب الكاتب تنازعنا الحديث اى تداولناه فحدثنى مرة وحدثتها اخرى (وههنا بحث وهو ان سيبويه قال فى كتابه لا تقول تفاعلت الا وانت تريد فعل اثنين فصاعدا ولايجوز ان يتعدى لمفعول تفاعلت بنصبه وفى تفاعلنا تلفظ بالمعنى الذى فى فاعلته كتضاربنا وتقاتلنا وقد يجئ تفاعلت

على غير هذا كتقاضيته انتهى فلم يجز تعدى تفاعل لمفعول الا اذا كان لواحد لان تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذى كان فى فاعل الا ترى انك تقول ضاربنى زيد فتأتى بفاعل ومفعول فاذا قلت تضاربنا لايتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول لبس لنا غيره وليس تنازعنا كذلك لان نازع يتعدى لمفعولين تقول نازعته الحديث فاذا قلت تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثانى لان تنازع لم يتضمنه كذا قاله ابن السيد فى المقتضب شرح ادب الكاتب (اقول فى كلام سيبويه حينئذ قصور لانه كان عليه ان يقول ان باب تفاعل بمعناه الاصلى ينقص عن فاعل مفعولا فان كان متعديا لواحد كان لازما وان كان متعديا لاثنين تعدى كما ذكره بعض النحاة فاطلاقه لاينبغى وقد نقل ابن السيد هذا فى محل آخر عن الكوفيين فقال قال ثعلب يقال فلان متعهد ضيعته ولايقال متعاهدها قال ابن درستويه انما انكرها لانها على وزن تفاعل وهو عند اصحابه لايكون الا من اثنين ولايكون عندهم متعديا لمفعول مثل تقاتلا وتعاملا وهو غلط لان تفاعل قد يكون لواحد ويكون متعديا كقول امرئ القيس * تجاوزت احراسا واهوال معشر * على حراص لو يسرون مقتلى * وجاء تفاعل متعديا لاثنين كقوله فلما تنازعنا الحديث الخ قال الخليل التعاهد والتعهد الاحتفاظ بالشئ واحداث العهد به وقول سيبويه السابق يشبه قول الكوفيين انتهى والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قرأ خلفه مالى انازع القرأن (من تكلم عنده) اى فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة اوغيرهم (انصتوا له حتى يفرغ) من حديثه وفى بعض النسخ (من كلامه) وانصت يكون لازما بمعنى سكت ومتعديا يقال انصته اذا اسكته (حديثهم حديث اولهم) مبتدأ وخبر او حديثهم فاعل يتفرغ بجمع الضمير وهو من رعاية للمعنى وحديث اولهم بدل منه اى لايقطع كلام من تقدم بكلام آخر ولايخاصم لهذا فى معنى لايتنازعون وهو مرتبط بماقبله فان كان مبتدأ بدليل رواية من كلامه فهو تشبيه اى حديث كل واحد منهم انما هو حديث من قبله يعنى انه لاحديث له معه يقطعه كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم زكاة الجنين زكاة امه وقد خفى هذا على بعض الشراح فعلقوه بانصتوا (يضحك) صلى الله تعالى عليه وسلم (مما يضحكون منه) اى الصحابة رضى الله عنهم (و يعجب مما يعجبون) وفى نسخة و يتعجب مما يتعجبون لانه من حسن الصحبة ان يسرك مايسره و يرضيك مايرضيه وهم على نهج واحد وطباعهم سليمة فلا يضحكون و يعجبون من غير مقتض فلا يقال انه يلزم من ضحك احد و يعجبه فعل غيره مثله لانه امر طبيعى وهذا فى احيان قليلة فلاينافى قوله السابق كانما على رؤسهم الطير (و يصبر للغريب على الجفوة) اى الغلظة وتكلمه بما يؤلم (فى المنطق) اى اى فى تكلمه مع النبى صلى الله عليه وسلم كتحليف الاعرابى له صلى الله عليه وسلم

وقوله له آلله ارسلك بهذا وانما قيد بالغريب لانه معذور لانه لايعرف احواله وهذا من مكارمه ومعاملة كل احد بما يليق به حتى ان كان اصحابه ليستجلبونهم (ويقول) صلى الله عليه وسلم لاصحابه (اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه) بوصل الهمزة وقطعها من رفده وارفده اذا اعانه اواعطاه لان الرفد العطية والارفاد الاعانة وكل منهما قابل هنا (ولايطلب الثناء) بمعنى تقبله كما ورد فى رواية فهو مجاز مرسل اواستعارة والثناء الذكر الجميل والمدح (الا من مكافئ) بالهمزة اختلف فى تفسيره اى ممن اثنى جزاء على نعمه واحسانه تقدم له منه وقد صرح به فى بعض الروايات بقوله عن يد ولايرد عليه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة عامة ما من احد الاوله عنده يد فالصواب تفسيره بمسلم اى غير متجاوز فى المدح مطر لان القرينة قائمة على ان المراد نعمة حادثة خاصة (ولايقطع على احد حديثه حتى يتجوزه) اى يخففه يقال تجوز فى الصلوة اذا اسرع وخفف (فيقطعه بانتهاء) اى اتمام لحديثه وبه ينقطع الكلام (اوقيام) من المجلس لانه انقطع كلامه فضى لشانه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) السابق ذكره (وزاد الاخر) اى صاحب الرواية الاخرى (قلت) القائل احد السبطين رضى الله تعالى عنهما كما مر (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر) لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوم وقد تقدم لم يفسره وقال (فاما تقديره) اى بم ينظر مقداره اذا صدر منه اومن غيره ممن يقتدى به (ففى تسوية النظر) فى الامور ومايترتب عليها من المنافع الدنيوية والاخروية (والاستماع) اى استماع الناس به صلى الله تعالى عليه وسلم او بامورهم فيما بينهم ومعنى الاستماع الانتفاع وقوله (بين الناس) متعلق بالتسوية وهى جعلهم متساوون وليس المراد تساويهم حقيقة بل ان يكون لكل احد مقدار يليق به (واما تفكره ففيما يبقى ويفنى) يعنى فى امور الدنيا الفانية والآخرة الباقية المخلدة فان قلت كيف يعلم هذا وهو امر مضمر فى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم لايطلع عليه الا الله قلت هذا بطريق الاستدلال العقلى والفراسة الصادقة الشاهد لها مايظهره من آثاره ويتعلق به اذا تكلم فان الظاهر عنوان الباطل (وجمع) بالبناء للمفعول اى جمع الله (له) وكذا ما سيأتى بعده (الحلم) باللام اى جمع له سائر جزئيات الحلم المختص كل حليم ببعض منه وفى بعض النسخ الحكم بالكاف ولاوجه (فى الصبر) اى مع الصبر على امور الناس والامة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع حلمه صابرا لايضجر ولايقلق كما اشار اليه بقوله (فكان لايغضبه شئ) مما يتعلق به فى نفسه وان كان قد يغضب لله (ولايستفزه) بكسر الفاء وتشديد الزاى المعجمة اى يستخفه بحيث يبدو منه خفة وقلق لامور الدنيا والاعداء (وجمع له فى الحذر) اى فى حال حذره واحتراسه من الناس اومع ذلك

(اربع) نائب الفاعل (اخذه بالحسن) وفى بعض النسخ ترك قوله اربع وهو مرفوع نائب الفاعل اومنصوب مفعول لاجله اى تمسكه بكل امر مستحسن مشروع (ليقتدى به) ويتبعه الناس (وتركه القبيح) شرعا وخلاف الاولى (لينتهى عنه) علة للترك اى لينتهى الناس عنه (واجتهاد الرأى) اى اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يراه رأيا (بما اصلح امته) اى فيما يصلحهم او بسببه (والقيام لهم) اى الامة (بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة) فى المعاش والمعاد ومعنى القيام التعهد والالتزام والاجتهاد وبذل مافى وسعه وطاقته من اصلاحهم اوهو بمعناه المصطلح بناء على جواز اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اختلاف مذكور فى كتب الاصول قال الابى فى شرح مسلم نقلا عن المصنف لاخلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتهد فى امور الدنيا ويرجع الى رأى غيره فى ذلك كما فعل فى تلقيح النخل واختلف فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم هل له ان يجتهد فى الشرعيات وهل هو معصوم فى اجتهاده ام لا والصواب ان له ذلك وانه معصوم وتفصيله فى اصول الفقه فلا حاجة للتطويل به

فصل فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله

المراد بالغريب مالم يكن استعماله مشهورا بين العرب بحيث يخفى على غير العرب العرباء الا ان لايكون جاريا على قوانين اللغة كما قيل والمشكل مالم يكن واضح الدلالة بحيث يحتاج للتأويل (المشذب) بضم الميم وفتح الشين وتشديد الذال المعجمتين المفتوحة والباء الموحدة (اى البائن) اى الظاهر احترازا عما فوق الربعة بقليل (الطول فى نحافة) هى قلة اللحم وضدها الضخامة وقيل الطويل مطلقا (وهو مثل قوله فى الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط) بضم الميم الاولى وفتح الثانية وتشديدها وكسر الغين المعجمة وطاء مهملة واصله منغط فابدلت النون ميما وادغمت بمعنى الطويل من امغط النهار اذا امتد ويقال بالعين المهملة بمعناه كما فى النهاية وقال التلمسانى بالمعجمة والمهملة والميم الثانية مشددة اومخففة وهو الطول فى نحافة اوالطول الذى ليس بفائق فليس بذم (والشعر الرجل) بفتح الراء المهملة وكسر الجيم من الترجيل وهو تسريح الشعر وتمشيطه والمرجل الذى سرح بمشط والرجل الذى يحاكيه خلقه كما فى الاكمال واليه اشار بقوله (الذى كانه مشط) بالتخفيف والتشديد (فتكسر قليلا) التكسر التثنى كانه كسر (ليس بسبط) بفتح الباء وكسرها وهو المرسل الذى فيه تثن كما قاله ابن عبد البر (ولاجعد) بفتح فسكون اى كثير الشعر كشعر الذنج وقال المازرى شعر رجل ورجل ورجل بفتح وكسر وسكون وبكسر الراء ثلاث لغات بين السبوطة والجعودة وقيل الذى كانه مشط (والعقيقة) وهى كما تقدم فى الاصل الشعر الذى يولد به الطفل لانه يعق اى يقطع سريعا ومنه العقيقة للطعام الذى يصنع عنده والشاة التى تذبح له (شعر الرأس) واصله كما علمت شعر المولود ثم اطلق على غيره (اراد)

اى ابن ابى هالة فى وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (ان انفرقت) انها انفرقت (من ذات نفسها) وذات مقحمة تأكيدا لنفسها ان وقع تفرقها من غير صنع (فرقها) بالتخفيف اى تركها متفرقة غير ملتفة (ولا تركها معقوصة) اى ان لم تستفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها والعقص ضفر الشعر على الرأس وليه وقيل هولى الخصلة من الشعر ثم عقصها ثم ارسالها وعقص شعره عقده فى قفاه (و يروى عقيصته) بدل عقيقته وهى الشعر المعقوص اى المضفور من العقص وهى اللى وادخال اطراف الشعر فى اصوله كما فى المغنى والمشهور عقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يعقص شعره وقيل ان هذا كان فى صدر الاسلام لانه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر به بشئ وكانوا يسدلون شعورهم والمشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد وقال النووى المختار جوازهما والفرق افضل (وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اى زينتها) من ازهر السراج اذا نوره ومما قلته كما تقدم

* من حرصك بالغناء كم تشتغل * والعمر مضى فايفيد الامل *

* مازهرة هذه الحياة الدنيا * للفرك بانمل المنا تحتمل *

(وهذا كما قال فى الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع) اى الخالص (البياض) والامهق شدة البياض من غير مخالطة حمرة وقيل مايقرب بياضه من الزرقة ويقال اهمق بتقديم الهاء ايضا وهو من القلب (والادم الاسمر اللون ومثله فى الحديث الآخر ابيض مشرب) بالتشديد على زنة المفعول المزيد ويقال مشرب بالتخفيف والتشديد للكثير والمبالغة والاشراب خلط لون بلون فكانه شرب واكثر مايقال فى الحمرة (اى فيه حمرة والحاجب الازج القوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع والاشم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين (اتصال شعر الحاجبين وضده البلج) كما تقدم مافيه ولا حاجة لقول التلمسانى البلج صباحة الوجه فلا ينافى ما فى حديث ام معبد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن الذى اشار اليه بقوله (وقع من حديث ام معبد وصفه بالقرن) ورواية مثله عن ابى عبيدة فان المشهور خلافه ويؤيده ان العرب تكرهه (والادعج الشديد سواد الحدقة) فى الصحاح الدعج شدة سواد العين مع سعتها وكذا فى غيره (و) هو لا ينافى قوله (فى الحديث الآخر اشكل العين واسجر العين) بسين مهملة وجيم (وهو الذى فى بياضها حمرة) اى اللون الذى فى بياض العين وحمرة بدل منه بناء على جواز ابدال النكرة من المعرفة او الذى صفة المقدر وحمرة خبر آخر وهو ممدوح لانه فى البياض لا فى الحدقة وقيل الاشكل طويل شق العين كما فى المصابيح الا انه غلط فيه كما مر فى الفصل الثانى ومنهم من قال الدعج لغة زرقة

فى بياض مستدلا بقوله * يارب ان العيون السود قد فتكت * فينا وصالت باسياف من الدعج * اذا السيوف زرق اى مخروقة من الدعج كقولهم انت مما تفعل وخلق الانسان من عجل على قول وقيل لا حجة فيه لاحتمال انه من الدعج بضمتين على انه تجريد وهو جمع ادعج وتشبيهها بالسيوف فى فتكها لا فى لونها فانها يقال لها البيض كما يقال للرماح والزرق انما هى السهام قال امرئ القيس

* اتقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كانياب اغوال *

(والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا) الى آخره كما تقدم مافيه وماؤها صفاؤها كما يقال ماء الجمال والماء تستعار لمعان فصلها الثعالبى فى المضاف والمنسوب وقيل المراد بالماء ريق الفم والمراد بتحزيزها بزائين معجمتين كون اطرافها دقيقة كالشرافات لها (ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك) اى لا سمين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن كذلك وهو ممدوح (فهو معتدل الخلق) فى المغنى وهو اشارة لدفع احتمال السمن وكذا قوله (يمسك بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث الآخر لم يكن بالمطهم) اى فاحش السمن منتفخ الوجه (ولا بالمكلثم) اى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اى مستويهما ومشيح الصدر) بضم الميم والشين المعجمة كما مر (ان صحت هذه اللفظة) فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فيكون من الاقبال) فى صدره (وهو احد معانى اشاح اى انه كان بادى الصدر) المراد به (لم يكن فى صدره قعس) بفتحتين وعين وسين مهملتين بعد قاف (وهو تطامن فيه) اى فى الصدر قيل ان هذا مخالف لقول الجوهرى القعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب لان التطامن الانخفاض كقول ابن مالك رحمه الله تعالى فى نظم الكفاية * والجل من ارنبة الانف خنس * وعرض انف تطامن فطس * وفى الروض الانف الحدب انحناء الظهر وقد يكون مستعملا فى معنى المخالفة اذا قرن بالقعس كقوله * فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا * لينتزعوا ماخلف ظهرك فاحدب * قلت وكذا فسره الشراح والظاهر ان مراده عدم الارتفاع بقرينة انه ورد انه مستوى البطن والصدر وقد صرح به المصنف فى قوله (وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن) والعجب منه بعد هذا كيف يعترض عليه وكيف يصح تفسيره بغير ماذكر ومفاض بضم الميم وفتح الفاء وآخره ضاد معجمة ضخم البطن وقيل مسترخى اللحم وقيل عظيم البطن او عظيمها مسترخى اللحم (ولعل هذه اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الآخر جليل

المشاش والكتد) جليل بفتح الجيم بمعنى عظيم (و المشاش) بضم الميم وشينين معجمتين واحدة مشاشة وهى رؤس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وفى الصحاح (رؤس المناكب) اى العظام اللينة التى يمكن مضغها ويقل بمشمشها (ولكتد) بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية ويجوز فتحها فسره المصنف بانه (مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اى طويل الاصابع) وسائل من الكلام عليه مفصلا (وذكر ابن الانبارى) محمد بن قاسم بن بشار اللغوى نسبة للانبار بفتح الهمزة قرية قريبة من الفرات ولهم انبارى اخر منها راو للحديث وهو محمد بن سليمان و الانبار معربة معناها مخزن القمح (انه روى سائل الاطراف او قال سائن بالنون و هما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها و اما على الرواية الاخرى و سائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه) عليه الصلاة والسلام (كما وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة اى واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء والجود) وقوله (خمصان الاخمصين) تقدم ضبطه ومافيه و فسره هنا بقوله (اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لاتناله الارض من وسط القدم) هو بفتح السين والكثير سكونها وضابطه انه ان استعمل فى متفرق الاجزاء كالناس والدواب فبالسكون و قد تفتح او فى متصلها كالدار والرأس فبالفتح وقد تسكن وقال الجوهرى وغيره والاول ظرف والثانى اسم ومن هنا يعلم انهم لايريدون بالاسم فى امثال هذا الكلام اسم المصدر بخصوصه اذ الوسط بالمعنى الثانى ليس اسم مصدر قطعا ثم قضيته انه ليس ظرفا اذ لايقال جلسنا وسط الدار بل فى وسطها اى ماتوسط منها (ومسيح القدمين اى املسهما ولذلك قال ينبوعنهما الماء وفى حديث ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه (خلاف هذا قال فيه اذا وطئ قدمه وطئ بكلها ليس له اخمص و هذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح عيسى بن مريم اى انه لم يكن له اخمص و قيل مسيح لالحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين) اذا فسر بلحيمهما واما اذا فسر بميلهما الى غلظ وقصر او بغلظ الاصابع فلا وزعم ابو عبيدة ان شثنهما بمعنى غليظهما مع قصرهما قال فى المطالع وقد جاء ضد هذا وهو سائل الاطراف يشير الى رد زعمه قال وليس الشثن بعيب فى الرجال بخلاف النساء ردا لمن زعم انه معيب (والتقلع هو رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع فيه رجليه بسرعة و يمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال فكانما ينحط من صبب و قوله) فى صفته عليه الصلوة والسلام (يفتتح الكلام ويختم باشداقه اى لسعة فمه و العرب تمدح بهذا وتذم

بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد و) قوله (فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه مايوصل الخاصة اليه فيوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامة و) قوله (يدخلون روادا اى محتاجين اليه و طالبين لما عنده و) قوله (ولاينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه منه عليه الصلاة والسلام (ويشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب او الاكثر و) العتاد العدة و الشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة (وقوله لايوطن الاماكن) اى لايتخذ للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه) صلى الله عليه وسلم (عن هذا مفسرا فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه) الشريفة (على مايريد صاحبه و) قوله (لاتؤبن فيه الحرم اى لايذكرن بسوء و) قوله (لاتنثى فلتاته اى لايتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت و) قوله (يرفدون) ذا الحاجة (يعينون والسخاب الكثير الصياح و) قوله (ولايقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم له) اى نعم واليد تطلق على الجارحة و على النعم لانها بمنزلة العلة الفاعلية لها لصدورها عنها الا انه خولف بينهما فى الجمع فقيل فى الجارحة ايد وفى النعمة ايادى ويدى بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة وتشديد الياء كقوله *فان له عندى يديا وانعما* والاصح انها فى الجمع سواء كما ثبت اهل اللغة بشواهده فلا حاجة للاطالة بذكره (ويستفزه يستخفه وفى حديث آخر فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم منهوس) بسين مهملة ومعجمة (العقب اى قليل لحمها) اى قليل لحم العقب (وقيل بالمعجمة معناه ناتئ العقبين معروفهما قاله ابن قرقول) واول هذين التفسيرين يوافق كلام المصنف والمراد جنس العقب لاعقب واحد كما تقدم مثله وثانيهما يخالفه لانه اعتبر فيه النتو مع قلة اللحم لانه معنى المعروق قليل اللحم كما فى الصحاح (واهدب) بدال مهملة (الاشفار) بشين معجمة وراء مهملة وهى حروف الاجفان التى ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب واحدها شفر بضم فسكون كهدب ويكون مطلق الطرف (اى طويل شعرها) انتهى التفسير والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد و آله وصحبه الطيبين وسلم تسليما كثيرا

﴿الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار﴾

المراد ماروته الثقاة بسند متصل وسلم من العلة القادحة وقد يطلق على ما يشمل الحسن كما فصل فى مصطلح الحديث والخبر تقدم انه يراد به الحديث وقد يراد به معناه الاعم الشامل له ولغيره وعلى هذا فالصحيح بمعناه اللغوى وماثبت صدقه فقوله (ومشهورها) ليس من عطف الخاص على العام ومن قاله كانه اراد به قسما منه وهو ما اشتهر بين المحدثين او ارجع الضمير لصحيح الاخبار وانثه رعاية لمعناه او لاكتسابه التانيث

من المضاف اليه فلاوجه لتخطئته فيه (بعظيم قدره عند ربه) متعلق بورد والباء
للتعدية او الالصاق (ومنزلته) عطف تفسير والقدر والمنزلة والمرتبة والرتبة
بمعنى الشرف (وماخصه به فى الدارين) الدنيا والآخرة غلب اطلاقه عليهما
(من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما وكرامته وجلالته وعزته وضمير
خصه له اولما وكذا به والباء داخلة على المقصور او المقصور عليه وكل منهما جائز
بلاخلاف انما اختلافهم فى اصله وحقيقته (لاخلاف) اى لاحد من المسلمين بل
العقلاء لانعقاد الاجماع عليه ولايعتد بمازعمه بعض اهل الكتاب (انه اكرم البشر)
والنوع الانسانى وتقديره فى انه وحذف الجار فى مثله مقيس مطرد (وسيد ولدآدم)
السيد من ساد غيره اى فاقه فى الشرف والكمال وفى اطلاق السيد عليه صلى الله
تعالى عليه وسلم وعلى الله وعلى غيره اقوال قال البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات
السيد اسم لله تعالى لم يرد فى القرآن وورد فى الحديث فعن مطرف انطلقت فى وفد
بنى عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال السيد
هو الله قلنا وافضلنا فضلا واعظمنا طولا فقال قولوا بقولكم او ببعض قولكم
ولايستجرنكم الشيطان (قال الحليمى ومعناه المحتاج اليه بالاطلاق الله فان سيد الناس
انما هو رأسهم الذى يرجعون اليه وبامره يعملون وعن رأيه يصدرون ومن قوته
يستمدون الى آخره فهذا دليل على اطلاقه على الله ودليل اطلاقه على غيره سواء
كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى هذا الحديث اوغيره كقوله تعالى * والفيا سيدها
لدى الباب فهذا يدل على اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا وهو القول الاصح
وحكى عن مالك امتناع اطلاقه على الله ويطلق على غيره وهو القول الثانى والثالث انه
لايطلق الا على الله لحديث السيد الله بالحصر والرابع انه اذا عرف بالالف واللام
اختص بالله كما ذكره الدمامينى فى اول شرح التسهيل وهو انه اذا اطلق على الله
فمعناه المحتاج اليه فى جميع الامور واذا اطلق على غيره فمعناه الرئيس الذى يتبعه قومه
كما فصلناه فى شرح اسماء الله الحسنى وقد ورد فى الحديث النهى عن تسميته سيدا
وهو اما تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد نهيه عن سيادة دنيوية
فلامنافاة بينه وبين هذا واما فى الصلاة فاختلف فى الافضل فيها اهل هو صلى الله
على سيدنا محمد اوعلى محمد ولابن حجر كلام فيه فى الفتاوى سيأتى فى محله والولد
يطلق على الواحد الذكر وغيره والمراد سيد آدم وولده ولذا عقبه بقوله (وافضل
الناس منزلة عند الله) واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الناس علم انه
افضل الثقلين ولاحاجة الى ان يقال ان الناس يطلق على مايشمل الجن وان ذهب
اليه بعض اللغويين فى قوله تعالى * قل اعوذ برب الناس * وقالوا قوله * من الجنة

والناس * بيان له والعرب تقول ناس من الجن وذهب السبكى فى فتاويه انه يطلق
على مايقابل الجن وعلى مايشملهما وانه على الاول اصله اناس من الانس وعلى الثانى
من نوس فالناس الاول غير الثانى وهو كلام حسن (واعلاهم درجة) الدرجة
واحدة الدرج وهى مواطئ السلم لما يعلو وذكره بعد المنزلة فيه لطف لان علو المراقى
يقتضى زيادة علو المنازل (واقربهم زلفى) اى قربى وهو كجدجده وقيل هو اسم
اقيم مقام المصدر المؤكد فهو فى معنى اقربهم تقريبا وليس تمييزا كمنزلة ودرجة
(واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على خلاف القياس قيل ولايناسب ان يكون جمع
احدوثة لانها تختص بالمضحكات والشر ورد بانها تستعمل فى الخير ايضا كقوله

* من الخفرات البيض ودجليسها * اذاما انقضت احدوثة او تعيدها *

وقول القاضى فى سورة المؤمنين فى قوله تعالى * جعلناهم احاديث * ان احاديث
اسم جمع للحديث وقد شرطوا فيه ان لايكون على وزن مختص بالجمع او يغلب فيه
وصيغة منتهى الجموع لاتوجد فى المفردات يدفع بما فى الكشف من ان اسم الجمع يطلق
بمعنى آخر وهو ماكان على خلاف القياس كما يقال فى ليال انه اسم جمع وقد علمت
ان الحديث مايضاف للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريراته
وصفاته وسائر احواله فى منامه ويقظته (الواردة فى ذلك) اى فى عظيم قدره
صلى الله تعالى عليه وسلم (كثيرة جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة
وهو مفعول مطلق محذوف عامله وجوبا لجريه مجرى الامثال وهو مؤكد
لما قبله اى متناه فى الكثرة واصله من الجد بمعنى الاجتهاد لان المراد
انه اجتهد فى كثرته وبولغ فيها (وقد اقتصرنا منها) اى من تلك الاحاديث الكثيرة
(على صحيحها) الصالح للاعتماد عليه والاحتجاج به (ومنتشرها) اى مشهورها
(وحصرنا) من حصر الكل فى اجزائه لا الكلى فى جزئياته (معانى ماورد منها فى اثنى
عشر فصلا) فيه مسامحة لان الفصول اسم للالفاظ وهى مغايرة للمعانى فتحتاج لتقدير
مضاف فى الاول او الثانى (الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه) المكانة
كالمنزلة علو قدره ويجوز ان يكون من التمكن وهو الثبوت كما يقال له مكنة وتمكن
من السلطان اى قرب (والاصطفاء) اى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره
وتقديمه (والتفضيل وسيادة ولد آدم) كما مر (وما خصه به فى الدنيا من مزايا الرتب)
جمع مزية برنة عطية وهى الفضيلة التى تقدمه على غيره وفى شرح المفتاح انه
لافعل له ويخالفه ما فى الاساس من انه يقال تمزيت عليه كما مر وفسرها الشريسى
بالتمام والكمال (وبركة اسمه الطيب) اى كونه يتبرك باسمه المشهور وهو احمد ومحمد
والطيب صفة لا بدل لان الطيب ليس من اسمائه المشهورة وهذا اشارة لما ورد
فى الحديث كل امر لايبدأ فيه بحمد الله والصلاة على فهو ابتر اى ممحوق البركة

ذكره السخاوى فى شرح الفية الحديث وقال هو وان كان ضعيفا لكنه يذكر فى الفضائل (اخبرنا ابو محمد عبدالله بن احمد العدل) لقب به وهو امام حافظ تميمى توفى سنة احدى وخمسمائة (اذنا بلفظه) اراد بالاذن الاجازة بروايته عنه وقاله بلفظه لانه لم يكن من كتابه وهو يقرؤ كما مر وهذا جائز قال (حدثنا ابو حسين الفرغانى) بالفاء والراء المهملة والغين المعجمة نسبة لفرغانه بلدة بما وراء النهر وهو الامام على بن عبدالله المقرئ و وقع فى بعض النسخ الحسن والاصح الاول قال (حدثتنا ام القاسم بنت ابى بكر بن يعقوب عن ابيها) قال (حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وهو ابن المهندى ابن المرارى اللولوى المشهور (عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم والف ونون وياء نسبة وهو يحيى ابن عبد الحميد بن عبدالرحمن بن ميمون ابو زكريا الكوفى وهو ثقة وضعفه بعضهم وقال انه كذاب وله ترجمة فى الميزان قال (حدثنا قيس) بن الربيع ابو محمد الكوفى اختلفوا فيه ايضا فقيل ثقة وقيل ضعيف واخرج له اصحاب السنن توفى سنة خمس اوسبع اوثمان وستين ومائة وترجمته فى الميزان (عن الاعمش) سليمان ابن مهران تقدمت ترجمته (عن عباية الربعى) بفتح العين وآخره باء ويقال عباءة بالهمزة علم منقول من اسم الكساء والربعى بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وعين مهملة وياء نسبة هو من غلاة الشيعة وله ترجمة فى الميزان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين) قيل هذه قسمة تقديرية فى علم الله تعالى وقيل حقيقته كما بينه فى قوله (فجعلنى من خيرهم قسما) منصوب على التمييز اى من القسم الذى هو خير يعنى اصحاب اليمين المشار اليهم فى قوله (فذلك) التقسيم ماتضمنه (قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال) لا العرب كما توهم لقوله (فانا من اصحاب اليمين) من تبعيضية اوابتدائية (وانا خير اصحاب اليمين) اى اكرمهم وافضلهم (ثم جعل القسمين اثلاثا) اى مجموع القسمين ثلثة اقسام لا كل قسم منهما كما يتبادر الى الذهن (فجعلنى فى خيرها ثلثا) وقيل اصحاب اليمين هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب الشمال هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار اوهم الذين كانوا عن يمين ادم والذين كانوا عن شماله فى عالم الذر اوالذين اخذوا من شقه الايمن والايسر او من اعطى كتابه بيمينه وشماله اوالذين رآهم فى الاسراء عن يمين آدم عليه الصلوة والسلام وشماله (وذلك) اى التقسيم الثلاثى مابينه (قوله اصحاب الميمنة) اى اليمين او اليمن على انه مصدر ميمى وهم بعض السعداء غير السابقين لئلا يتداخل الاقسام (واصحاب المشئمة) هى الميسرة بمعنى الشمال لان العرب تقول لليد الشمال شومى ومنه الشام لانها

عن شمال الكعبة فى قوله او المشئمة (والسابقون) وفى بعض النسخ والسابقون السابقون بالتكرير كما فى الآية ولابد من تغايرهما ليفيد الحمل فهو اما كقوله * انا ابو النجم وشعرى شعرى * اى الذين عرفوا بكمال السبق اوالاول بمعنى السابقين للايمان والطاعة والثانى بمعنى السابقين الى الجنة ونعيمها وهو احد التفاسير وقيل هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه ويحكمون لغيرهم بما يحكمون به لانفسهم وقيل السابقون للصلوات او التوبة وقيل هم الانبياء عليهم الصلوة والسلام (فانا من السابقين وانا خير السابقين) فهو من اعلى الاقسام لا قسم مستقل حتى تكون القسمة رباعية كما توهم ومن هذا القسم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو افضل من كل واحد منهم ومن مجموعهم كما تقدم (ثم جعل الاثلاث قبائل) اى جعل كل ثلث اومجموعها وهذا اظهر والقبائل جمع قبيلة وهم بنو اب واحد والقبيل بدون هاء الجماعة مطلقا ثلاثة فصاعدا (فجعلنى من خيرها قبيلة) وذلك قوله سبحانه وتعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية) والشعوب جمع شعب بالكسر وقيل انما هو بالفتح والذى بالكسر طريق بين جبلين واختلف فى تقسيم الناس فقيل الشعب اكثر من القبيلة وبعدها الفصيل ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة ثم الاسرة وهذا مخصوص بالعرب وقيل هم ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة فالشعب الطبقة الاولى وبعدها القبيلة ثم العمارة بكسر العين المهملة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة بالصاد المهملة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة يجمع العمائر والعمارة يجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فمضر شعب وكنانة قبيلة وقريش وهو النضر بن كنانة عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعبد المطلب والعباس فصيلة وقد تطلق القبيلة على مادونها تجوزا ولما لم يكن فى الآية مايؤذن بشرف الفصيلة فى نفسها فان الشرف انما هو بالفضيلة لا بالفصيلة ولكن شرف الاصل يستلزمه غالبا قال (فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولافخر) جملة حالية اى لا اقول هذا تفاخرا ومباهاة وتعظما وانما هو تحدث بنعم الله وبيانا للامة مايجب عليهم توقيرا واحتراما له وانما نلته بتكريم ربى وفضله وكل مؤمن تقى كريم على الله وكل فاجر شقى هين على الله وقال عيسى عليه الصلوة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله ويقال هو اكرم عند الله وعلى الله لكونه بمعنى اعز المتعدى بعلى حملا له على نظيره (ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى من خيرها بيتا) بيوت بضم الباء الموحدة وكسرها جمع بيت وهو المنزل والمسكن والظاهر ان المراد بالبيوت هنا الفخذ او الفصيلة لا البطن كما قيل والبيت يطلق مجازا على المجد والشرف كما فى قوله

* ان الذى سمك السماء بنا لنا * بيتا دعائمه اعز واطول *

وعلى الاصول والاقارب كما يقال هو بيت علم اى من قوم علم وفى اضافته للمكان اثبات لمن فيه بطريق الكناية التى هى ابلغ من التصريح كما قرر فى كتب المعانى (وذلك) اى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم من خير بيت واشرفه مادل عليه (قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) وهذا يدل على مافسرنا به البيت والرجس النجس المستقذر استعير للمعاصى والتطهير ترشيح للمعاصى ومااستعير لها لانها تلوث الاعراض واهل البيت والآل الاقرباء وقول الشيعة انهم على وفاطمة والسبطان وهم اهل الكساء رضى الله تعالى عنهم وادعاؤهم عصمتهم وان اجماعهم حجة استدلالا بهذه الآية ينافيه السياق وفى الآية مبالغة فى شرفهم بليغة لذكر تطهير اعراضهم من دنس المعاصى وهو جل النعم وتعريف الرجس بلام الاستغراق الدال عليه اطلاقه فى مقام المدح والتعبير بالاذهاب والازالة بالكلية وحذف مفعول يريد للتعميم لتذهب النفس كل مذهب ونصب اهل البيت على المدح والنداء وتعريف البيت العهدى والتعبير بالتطهير الدال على التكثير وتأكيده بالمصدر وسيأتى تتمة لهذا (وعن ابى سلمة) وهو ابن عبد الرحمن بن عوف احد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثين قولا كما تقدم وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه وقال انه حسن غريب (قال قالوا) اى بعض الصحابة (متى وجبت لك النبوة) اى فى اى زمان ثبتت لك اذ لايجب على الله شىء (قال وآدم بين الروح والجسد) الجسد والبدن والجسم بمعنى وهذه الجملة حالية من الجواب المقدر لمتى الزمانية اى ثبتت لى فى هذه الحال وفى هذا الحديث روايات متعددة صحيحة منها انى عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ومنها متى استنبأت قال وآدم بين الروح والجسد وفى رواية بين الماء والطين وقال ابن تيمية والزركشى وغيرهما حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين لا اصل لهما يعنى بهذا اللفظ (قلت) ليس معناه انه موضوع كما توهم فانه رواية بالمعنى وهى جائزة لانه بمعنى الحديث السابق ومعنى منجدل ساقط على الجدالة وهى الارض وليس المعنى انه كان نبيا فى علم الله كما قيل لانه لا يختص به بل ان الله خلق روحه قبل سائر الارواح وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاما للملأ الاعلى به واذ كانت النبوة صفة لروحه علم انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته نبى رسول ولا يضر انقطاع الاحكام والوحى وقد اكمل دينه وانكار ذلك جهل فاحفظه فانه نفيس جدا وهذا هو المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خلق نوره قبل ان يخلق آدم عليه الصلوة والسلام باربعة عشر الف عام كما رواه ابن القطان وفى رواية يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه وهذا يؤيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للملائكة كغيرهم فهذا صريح فى ان نبوته صلى الله تعالى

عليه وسلم ظهرت فى الوجود العينى قبل نبوة آدم وغيره وان الملائكة لم تعرف نبيا قبله وانه صلى الله تعالى عليه وسلم النبى المطلق وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام خلفاؤه والشرايع شريعته ظهرت على لسان كل نبى بقدر استعداد اهل زمانه فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اول الانبياء وآخرهم ولا يمكن ان يجرى على شريعته قلم نسخ ولا يكتب على نسخة رسالته حواشى زيادة كما قيل
* ابدا حديثى ليس بالمنسوخ الا فى الدفاتر *
وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم سابق على سائر الانبياء روحا لما مر وجسدا لان مادة جسده صلى الله تعالى عليه وسلم خلقت قبل سائر المواد لما روى ابن الجوزى فى الوفاء عن كعب الاحبار انه تعالى لما اراد ان يخلق محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم امر جبريل عليه الصلاة والسلام ان يأتيه بالطينة البيضاء فهبط فى ملائكة الفردوس وقبض قبضة من موضع قبره بيضاء نيرة فعجنت بماء التسنيم فى معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسى والسموات والارض حتى عرفته الملائكة قبل ان تعرف آدم عليه الصلوة والسلام اى عرفت روحه وعنصره والبينية فى هذا الحديث الظاهر ان المراد بها عدم الطرفين الروح والجسد اى لا روح ولا جسد كما صرح به فى الرواية السابقة لا آدم ولا ماء ولا طين لانك اذا قلت مسكنى بين البصرة والكوفة علم انه ليس بهما فاريد به لازم معناه بطريق الكناية وليس المراد انه قريب منهما كما يقال لون بين البياض والحمرة ومزاج بين الصحة والمرض كما قيل وليس معنى بين الماء والطين انه لم يكن ماء صرفا ولا طينا صرفا لنبوء المقام عنه وعدم ملاءمته لما قررناه وقد حققنا هذا المقام بما لم نسبق اليه ولله الحمد (وعن واثلة ابن الاسقع) بمثلثة ولام والاسقع بسين مهملة وقاف وعين مهملة الصحابى الجليل القدر من اهل الصفة اسلم رضى الله تعالى عنه ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجه لتبوك فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مشاهد الشام وتوفى بدمشق سنة خمس اوست وثمانين وله ثمانون سنة ويكنى ابا محمد وفضائله لا تحصى نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته وهذا الحديث رواه مسلم وقد تقدم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) اى اصطفى ابراهيم عليه الصلاة والسلام واختاره من الانبياء لشرفه واصطفى من ولده اى من اولاده اسمعيل عليه الصلوة والسلام فهو افضل من اسحق (واصطفى) اى اختار (من ولد اسمعيل بنى كنانة) وهم اربعة النضر وعبد مناف ومالك وملكان وكنانة علم منقول من كنانة السهام وجعبتها قال الشاعر
* صاح فى العاشقين بالكنانة * رشا فى الجفون منه كنانة *
(واصطفى من بنى كنانة قريشا) وهو النضر بن كنانة وقيل قريش بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة وتقدم سبب تسميته قريشا (واصطفى

من قريش بنى هاشم) بن عبد مناف بن قصى بن كلاب فبنوه مصطفون من قريش (واصطفانى من بنى هاشم) بن عبد المطلب (ومن حديث انس رضى الله تعالى عنه) بن مالك بن النضر خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا له واحاديثه والرواية عنه كثيرة مشهورة جدا وتوفى سنة ثلاث وتسعين وقدجاوز عمره المائة وهذا الحديث والذى بعده اخرجهما الترمذى (انا اكرم ولد آدم) اى اعزهم واشرفهم وتقدم ان لفظ ولد يطلق على الواحد المذكر وغيره (على ربى ولافخر) تقدم معناه (وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما انا اكرم الاولين والآخرين ولافخر) قيل قال فيما مر فى حديث انس ومن حديث انس هنا وفى حديث ابن عباس اشارة الى ان الاول بعض حديث طويل وهذا حديث مستقل وفيه نظر (وعن عائشة رضى الله عنها) كما رواه الطبرانى وابونعيم والبيهقى فى الدلائل مسندا (عنه عليه الصلوة والسلام) انه قال (اتانى جبرائيل) لم يذكر ما اتاه لاجله لان قوله (فقال قلبت) بتشديد اللام بمعنى فتشت وليس المراد به قلبها ظهر البطن لم يذكر فيه انه اوحى اليه هذا (مشارق الارض ومغاربها) جمع مشرق وهو الجهة التى تطلع منها الشمس وجمع مغرب وهو مقابله وجمعهما لان للشمس فى كل زمان مشرق او تشرق بعده من درجة غيره وكذلك المغرب واذا افردا فباعتبار الجهة واذا ثنيا فباعتبار المشرق الجنوبى والشمالى ولذا ورد فى القرأن بالوجوه الثلاثة كما بيناه فى حواشى البيضاوى واختار الجمع هنا لانه انسب للعموم والمراد انه فحص عن جميع اهل الارض مشرقا ومغربا ونظر احوالهم كمالا ونقصا (فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان رأى علمية ونفى الافضلية يدل على نفى المساواة ايضا كما بيناه سابقا (ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم) الذين هم عشيرته وبيته فهو خيار من خيار (وعن انس رضى الله تعالى عنه) فى الحديث الحسن الذى رواه الترمذى وقدتقدم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق) مبنى للمجهول اى اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام به ليركبه للاسراء وقد مر ان البراق بالضم على شكل دابة فوق الحمار دون البغل سمى به للمعانه وبريقه اولسرعته كالبرق الخاطف (ليلة اسرى به) ظرف اتى وهى ليلة سبع عشرة رمضان اوسبع عشر رجب قبل الهجرة وبعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم بخمس سنين او بخمسة عشر شهرا كما سيأتى فيه (فاستصعب عليه) اى لم ينقد له وامتنع منه لبعد عهده بركوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام لطول زمن الفترة اولسبب آخر لقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك مسست الصفراء اى الذهب اوصنم اصفر فقال انما مررت عليه فقلت تبا لمن يعبدك من دون الله (فقال له) اى البراق (جبريل عليه الصلوة والسلام ابمحمد تفعل هذا) الاستصعاب وقدم

متعلق الفعل اى اتفعله به دون غيره والاستفهام انكارى بينه بقوله (فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا) اى سال عرقه كما مر بيانه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما) رواه ابن الجوزى فى الوفا وابونعيم فى الدلائل وقال السيوطى رواه ابن عمر والمعدنى فى مسنده (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض) يعنى ان الله خلق نوره صلى الله تعالى عليه وسلم وعنصره الذى عجن بالتسنيم وهو الطف شئ فاودعه فى صلب آدم واهبطه فيه كما مر ثم نقله منه بوسائط (وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة) فكان ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وباسم الله مجريها ومرسيها (وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم) فكانت بردا وسلاما ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وفى المكررة هنا اما لان الاول بدل منه اولانه مطلق ومقيد كما قرر فى قوله كلما رزقوا منها من ثمرة فينزل ذلك منزلة التغاير فلا يرد عليه انه لايتعدى عامل بحرفى جر بمعنى (ولم يزل ينقلنى فى الاصلاب الكريمة) الشريفة (الى الارحام الطاهرة) من دنس الزنا ونكاح الجاهلية وفيه كلام تقدم (حتى اخرجنى) الى الدنيا اذ خلقنى (بين ابوى) يعنى اباه عبدالله الذبيح وامه امنة بنت وهب بن عبد مناف واختلف فى زمن موتهما فقيل مات ابوه وامه حاملة به وقيل فى المهد وقيل وهو ابن شهرين وقيل ابن سنتين ومات عند اخواله بنى النجار وماتت امه وقد بلغ سنه خمسا اوستا اوسبعا او اثنى عشر على اختلاف فيه (لم يلتقيا على سفاح قط) جملة حالية والمراد بالسفاح نكاح بغير عقد اوعقد جاهلى وهذا علمه بالوحى صلى الله تعالى عليه وسلم اولعلمه باخبار الجاهلية لا بالالهام كما توهم (والى هذا) المذكور فى الحديث بجملته (اشار) عمه (العباس رضى الله عنه بن عبد المطلب بقوله) فيه يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الشعر رواه الطبرانى وصاحب الغيلانيات وفى الزاهر لابن قتيبة ان العباس اتى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اريد ان امدحك فانشده هذه الابيات فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لايفضض الله فاك اولايفضى الله فاك وكان ذلك لما رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من غزوة تبوك * من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق * اى من قبل هذه النشأة او الدنيا وقيل قبل النبوة او قبل الولادة اوقبل كل ذلك فاعاد الضمير على غير مذكور لعلمه من السياق والجار متعلق بطبت وقدم لافادة ان طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت له قبل ظهوره لا بعده فقد وطبت اى تطهرت من الادناس البشرية لطيب عنصره صلى الله عليه وسلم والظلال جمع ظل بمعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم عليه الصلوة والسلام قبل ان هبط وليس المراد به المتعارف الذى تسخنه الشمس اذ لاشمس فى الجنة ولاقمر وقد ورد فى الحديث ظل الجنة سجسج اى لاحر ولابرد بل المراد الكن

والمقر اوهو وكما فى قولهم انا فى ظل فلان اى فى حمايته ومستودع بضم الميم وفتح الدال المهملة يعنى به مكان آدم وحوا من الجنة كما قال ابن قتيبة هو المحل الذى كان فيه آدم عليه والسلام من الجنة كانه وداعة فيه وفيه ايماء الى اخراجه منه للارض اواراد به الرحم وكان ابو عبيدة يقول فى قوله تعالى مستقر ومستودع المستقر الصلب والمستودع الرحم وخصف الورق الصاق بعضه ببعض ومنه الخصاف ويروى حيث يستر الورق يعنى به الجنة والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم عليه والسلام قبل ان يعلم الحياكة فلما اهبط الى الهند تفتت الورق الذى عليه قيل ومنه حصل العود والعنبر وغيره من الطيبات فاوحى الله اليه صنعة النسج واتخذ الثياب للسترة *ثم هبطت البلاد لابشر* انت ولامضغة ولاعلق* اى هبطت فى صلب آدم عليه والسلام من الجنة الى الدنيا وهى المراد بالبلاد والهبوط كما قال الراغب الانحدار قهرا وهو متعد وقال تعالى اهبطوا مصرا ولايحتاج لتأويله بالدخول كما قيل والبلاد وان اختصت بالبنيان فهو باعتبار الاول هنا ولما كان المراد من هبوطه صلى الله تعالى عليه وسلم هبوط نوره قال لا بشر وهى جملة حالية اى فى حال كونك غير جسد كاجساد البشر والمضغة قطعة لحم بمقدار لقمة تمضغ غير مخلقة والعلق بفتحتين جمع علقة وهى دم منجمد من المنى (بل نطفة تركب السفين وقد *الجم نسرا واهله الغرق) النطفة الماء الصافى والمنى فى الاصلاب والسفين جمع سفينة وهى المركب اى فى صلب نوح عليه الصلوة والسلام لما اغرق الله قومه بالطوفان والجم وصل الى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس والنسر طائر معروف سمى به صنم كان يعبده قوم نوح عليه والسلام وهو المراد هنا واهله قوم نوح والمراد بالغرق الماء المغرق اوهو على ظاهره والجم بمعنى ادرك لان الانسان اذا عم الماء فمه منع من الكلام والسفين المراد به سفينة نوح فان كان مفردا فهو ظاهر والا فهو جمع اريد به واحد تجوزا فلااشكال فيه كما هو ظاهر (تنقل من صالب الى رحم *اذا مضى عالم بدا طبق فى ابيات آخر) الصالب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم فسكون وفتحتين ففيه لغات اقلها صالب كما قاله ابن قتيبة وهو فقار الظهر والرحم مقر الولد من المرأة والعالم المراد به هنا قرن من القرون وبدا بمعنى ظهر ووجد وطبق بمعنى قرن ايضا لانه يطبق وجه الارض اى لاتزال تظهر فى عالم بعد عالم يريد اذا مضى قرن بدا قرن آخر ويروى هنا بيت هو * وردت نار الخليل مكتتما * تجول فيها ولست تحترق * ومعنى مكتتما محفوظا فى كنف اوتحيط بك نارها ولست تحترق وروى مكتمنا اى مستترا (حتى احتوى بيتك المهيمن من *خندف علياء تحتها النطق) احتوى بالحاء المهملة افتعال من حوى بمعنى حاز والبيت بمعنى الشرف والنسب كامر والمهيمن بمعنى المشاهد على فضلك اوالامين وخندف بكسر الخاء المعجمة وكسر الدال

المهملة ونون وفاء اسم امرأة الياس ابن مضر وهو من الخندفة وهى المشى السريع والعليا العز والشرف وتحتها روى دونها والمعنى واحد والنطق بضمتين جمع نطاق وهو مايشد فى الوسط كالمنطقة استعارته العرب لجبال واسعة فوق بعض وبيتك فاعل احتوى وهو تمثيل لشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم اى ان شرفك وعلو نسبك واصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال الشامخة وقال ابن قتيبة فى هذا البيت اقوال احدها انه اعلى قومه وهم دونه كالنطاق له والآخر انه يريد العفاف من نطاق المرأة الذى يحسنها اى تحتها العفاف والحسب والثالث ان النطق المتكلمون جمع ناطق اى كل خطيب من العرب فهو دون بلسان قومك من قوله بل هم قوم خصمون انتهى وروى فى هذا الشعر زيادة ذكرها الغسانى وهى

* وانت لما ولدت اشرقت الارض * وضاءت بنورك الافق *
* فنحن فى ذلك الضياء وفى * النور وسبل الرشاد نخترق *
* يا برد نار الخليل ناسبا * لعصمة النار وهى تحترق *

ومعنى نخترق بالخاء المعجمة نقطعها ونتجاوزها وضاء يكون لازما ومتعديا والافق الناحية وانثه هنا لتأويله بها قال العارف بالله ابن عربى ذهب بعضهم الى ان عالم الاجسام من وقت خلقه لم يزل فى سفر الى مالانهاية له فاذا لاح له منزل يقول هذا هو الغاية القصوى فاذا وصلت اليه لم يلبث ان يخرج منه راحلا فكم سافرت فى اطوارك الى ان تكونت بين ابيك وامك اذا اجتمعا من اجلك ثم انتقلت الى نطفة وعلقة الى مضغة الى عظم كسى لحما ثم انشئت نشأة اخرى واخرجت الى الدنيا فتنقلت الى اطوارك من الطفولية والصبا والشباب الى الكهولة والشيخوخة الى الهرم ومنه الى البرزخ ثم الى الحشر ثم الى دار القرار انتهى من كتاب الاسفار له (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا الحديث مشهور رواه ابوذر وغيره واخرجه احمد والبزار والبيهقى عن ابن عمر واخرجه الطبرانى وابونعيم فى الدلائل عن ابن عباس واحمد والبزار وابن ابى شيبة والبيهقى عن ابى هريرة واخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله فاخرجوه عن جماعة من الصحابة بين رواياتهم مغايرة فى بعض الالفاظ وقد ساقها كلها وذكر رواية كل واحد منهم على حدة الشيخ قاسم ابن قطلوبغا فى تخريجه لاحاديث هذا الكتاب كما رأيته بخطه ولولا خوف الاطالة اوردت كلا منهما على حدة والى هذا اشار المصنف بقوله (ابوذر وابن عمر وابن عباس وابوهريرة وجابر بن عبد الله) ابن عمرو ابن حرام الانصارى روى كل واحد من هؤلاء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (انه قال اعطيت خمسا وفى بعضها) اى فى بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد رواتها (ستا) اى ست خصال وخصايص ولذا حذف التاء مع انه غير لازم اذا لم يذكر المعدود

(لم يعطهن نبى قبلى) ولا رسول لان نفى الاعم يستلزم نفى الاخص ولا تنافى بين الروايتين ان قلنا ان مفهوم العدد غير معتبر وان قلنا به فنقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم اطلع اولا على بعض خصايصه فاخبر به ثم اطلع على باقيه فاخبر به ثانيا وروى احد قبلى اى لم يعط واحدة منهن احد (نصرت بالرعب مسيرة شهر) اى نصرنى الله تعالى على اعداء الدين الكفرة بالرعب بضم الراء المهملة المشددة وهو شدة الخوف الذى القاه الله فى قلوبهم فاذا سمع بى من بينى و بينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوى له وانما خص مسافة شهر وان خافه من هو ابعد منه قبل لانه لم يكن بينه صلى الله تعالى عليه وسلم و بين من اظهر العداوة له اكثر من ذلك وقد قال ذلك فى غزوة تبوك آخر غزواته وابعدها فاذكر بيان لما وقع له صلى الله عليه وسلم حال تكلمه فلا ينافى الزيادة وهذا من خصائصه حتى لو سار وحده بغير عسكر ارعب اعداء وقد وقع هذا لبعض خلفائه ومن اتقى الله من امراء الاسلام فهذه الخاصة بالنسبة لمن قبله من الامم وعليه يحمل رواية لم يعطهن احدا ونقول ان ذلك لا يتيسر لغيره او فعل اتباعه كفعله (وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما) وفى رواية و ايما بالواو بدل الفاء (رجل من امتى ادركته الصلوة فليصل) قال العلامة الزركشى فى احكام المساجد قال القاضى عياض هذا من خصائص هذه الامة لان من قبلنا كانوا لا يصلون الا فى موضع تيقنوا طهارته ونحن خصصنا بجواز الصلوة فى جميع الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبى هذا مما خص الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الانبياء قبله انما ابيحت لهم الصلوة فى مواضع مخصوصة كالبيع والكنايس وقال المهلب فى شرح البخارى المخصوص به جعل الارض طهورا واما كونها مسجدا فلم يأت فى اثرانها منعت من غيره وقد كان عيسى عليه والسلام يسيح فى الارض ويصلى حيث ادركته الصلوة فكانه قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيرى مسجدا ولم تجعل طهورا انتهى (اقول حاصله انه لو كان كل منهما مخصوصا به و بامته لزم دا اشكال وهو ان الانبياء السالفة وامهم كانت لهم صلاة مفروضة وكانوا يسافرون فلو لم تجز لهم الصلاة الا فى مساجدهم لزمهم اما ترك الصلاة او عدم صحتها وهو مخالف للظاهر فاجابوا عنه بالوجوه المذكورة وهو ان الخاص بهذه الامة مجموع الامرين لا كل واحد منهما او جعل جميع الارض مسجدا حتى تيقن نجاستها وهم لم تحل لهم الصلاة الا فيما تيقن طهارته وعلى هذا قوله تعالى *واجعلوا بيوتكم قبلة* كما فى بعض التفاسير فقوله فايما رجل الى آخره معناه على ظاهره او ما لم تيقن نجاسته ولك ان تقول انه مخصوص بغير حال السفر والضرورة لان الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلاة و يؤيده جعله قرين التيمم المخصوص بالضرورة وهذا اقرب ثم ان طهارة التيمم حكمية لا حقيقية كما بينه الفقهاء وفى قوله الارض

دون التراب نصرة لمن جوز التيمم بجميع اجزاء الارض ولم يخصه بالتراب وهو المناسب للمقام وان خصه الشافعى رحمه الله تعالى بالتراب لرواية وتربتها طهورا والمطلق يحمل على المقيد وتخصيص الرجل غير مراد لدخول النساء فى هذا الحكم ايضا وانما خصوا بالذكر لانهم الاصل ويعلم النساء بالطريق الاولى ومعنى ادركته الصلاة ادركه وقتها اذا دخل ولا ينافيه ايضا النهى عن الصلاة فى بعض الاماكن لثبوت المنع فيه بدليل اخر والمراد بالارض جميعها الامكنة وما حولها ولا ما رأى مسجدا او محلا للصلاة وقوله فايما الى اخره لدفع توهم انه مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم وحده (واحلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى) تحل بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر الحاء المهملة وروى بضم التاء وفتح الحاء وكان من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء منهم من لم يؤذن له فى الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه ولم يؤذن له فى الاكل منها فكانت الغنائم تجمع فى محل فتأتى النار من السماء فتحرق ما تقبل منه على ما مر بيانه وكانت فى صدر الاسلام تحل له صلى الله تعالى عليه وسلم فقط ثم امر بعد ذلك بتخميسها كما بينه الفقهاء والغنائم جمع غنيمة ما يؤخذ من الكفار بقتال ونحوه والفئ ما حصل منهم بدون ذلك (وبعثت) بالبناء للمجهول ارسلت وطوى ذكر الفاعل به اى ارسلنى الله (الى الناس كافة) المراد بالناس جميعهم او ما يشمل الانس والجن كما مر وروى الى الخلق كافة وكافة حال بمعنى جميعا وفى ارساله صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة كلام سيأتى وعموم البعثة مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم بالاحاديث الصحيحة ومر انه لا يرد عليه ان نوحا عليه الصلوة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم لان هذا العموم لم يكن فى اصل بعثته وانما اتفق لحادث اقتضى انحصار الخلق فى الموجودين على ان ارساله عليه الصلاة والسلام انما كان لقومه ولم يأت ما يدل على عموم رسالته واما دعاؤه على جميع اهل الارض واهلاكهم فلا يدل على ذلك لجواز ان يرسل غيره فى مدته ولم يؤمنوا به فلذا دعا عليهم قال ابن حجر هذا جواب حسن الا انه لم ينقل انه نبئ فى زمنه غيره ويحتمل ان خصوصيته ببقاء شريعته الى يوم القيامة بحيث لا ينسخها غيرها ويحتمل انه دعا الناس للتوحيد فاشركوا واستحقوا العقاب والدعوة للتوحيد يجوز ان تعم وان كانت فروع شريعته غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد واشار اليه ابن عطية فى سورة هود وانه لم يكن فى عهده غير قومه واولاده كآدم عليه الصلوة والسلام فلا يرد نقضا على هذه الخصوصية ما ذكر (واعطيت الشفاعة) اللام اما للعهد فالمراد الشفاعة العظمى فى فصل القضاء لاهل الموقف اجمعين بعد مراجعة سائر الانبياء واظهارهم العجز فيأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع وتقبل شفاعته وهو المقام الاعلى او هى للاستغراق كانت

الرجل اى الشفاعة الكاملة وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات كثيرة شاركه فى بعضها بعض الانبياء كشفاعته فى قوم يدخلون الجنة بغير حساب وهذه مخصوصة به وشفاعته فى قوم استحقوا دخول النار فلا يدخلونها وفى بعض اهل النار فيخرجون منها وفى تخفيف عذاب بعض اهل النار كابى طالب وشفاعته لمن مات بالمدينة ومن صبر على لاوائها وشفاعته لمن صلى عليه بعد الاذان وغير ذلك مما ورد فى الاحاديث الصحيحة (وفى رواية بدل هذه الكلمة) اراد بالكلمة قوله واعطيت الشفاعة وسماها كلمة لانها كلمة لغوية وهى تطلق على الجمل وفى نسخة الكلمات (وقيل لى سل تعطه) اى قال الله او حذف الفاعل للعلم به وقيل له ذلك لما انحصرت الشفاعة فيه ولم يلتزمها احد من الرسل فقال انا لها وخر تحت العرش ساجدا فقال له الله ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع وفيه كمال الادب اذ لم يسأل حتى اذن له فى السؤال وامر به وهذا فى القيامة ويحتمل انه اشارة الى لما فى الاسراء كما سيأتى فى حديث ابن وهب واصل سل اسئل فخفف بنقل حركة الهمزة واسقاطها واسقاط همزة الوصل وفى حذف المفعول عموم كرم اى سل كل ما تريد تعط اكثر مما تسئل وتعط مجزوم فى جواب الامر والهاء للسكت او ضمير عائد على مقدر (وفى رواية اخرى وعرض على امتى فلم يخف على التابع من المتبوع) اى الشريف والوضيع ويحتمل ان الله عرض عليه صلى الله عليه وسلم بالوحى تفصيل احوالهم وذواتهم وصفاتهم وسائر تصرفاتهم فى زمنهم اوانه ابرزهم له حقيقة فوجا فوجا متلبسين باعمالهم على وجه لا نقف على حقيقته وذكر العراقى فى شرح المهذب انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت عليه الخلائق من لدن آدم الى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم آدم الاسماء وروى الطبرانى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى قد رفع لى الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كانما انظر الى كفى هذه وحديث حذيفة الطويل المذكور فيه الفتن وما يكون فيها مطول ذكره العراقى قال فيه ما ترك فيه شيئا الا سماه باسمه واسم ابيه وقبيلته الى يوم القيامة ومنه اخذ الجفر الجامعة الذى رواه جعفر الصادق عن على رضى الله تعالى عنه وان توقف بعضهم فى صحته كما ذكره ابن خلدون فى اول تاريخه (وفى رواية بعثت الى الاحمر والاسود) اى الى جميع الناس او جميع الجن كما يكنى عن مثله بالعرب والعجم اى الى كل فرد فرد والمقصود عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للجن والانس وفيه رد على من زعم من اهل الكتاب ان بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوصة بالعرب كالعيسوية لانه يعود بالنقض عليهم اذ يقال لهم اذا اعترفتم بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وجب تصديقه فيما قاله وقد صح عنه انه قال بعموم رسالته واشار المصنف رحمه الله تعالى الى معناه بقوله (قيل السود) جمع اسود وفى نسخة الاسود (العرب)

وهذا مذكور فى الحديث معنى لان تعريف الاسود ليس للعهد بل للاستغراق فهو بمعنى السود وبين علته فقال (لان الغالب على الوانهم) اى العرب (الادمة) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وهى فى الادميين السمرة وفى الطعام بياض يشوبه سمرة (فهم السود) اى فهم المقصودون من قوله الاسود الذى بمعنى السود كما عرفته (والحمر) جمع احمر وعبر عن الاحمر بالحمر لما مر (العجم) اى المراد بهم فى الحديث العجم والمراد بهم من عدا العرب وقد يخص باهل فارس ولم يعلله لغلبته اى لغلبة لون الحمرة عليهم فاعتبر الغالب لان النادر لا حكم له لان القلة اخت العدم ولذا لم يعبر بها عنها (وقيل البيض) جمع ابيض يعنى قيل المراد بالحمر البيض اى بالاحمر الابيض لان العرب تقول امرأة حمراء بمعنى بيضاء وقال ثعلب العرب لا تقول ابيض من بياض اللون فاذا ارادوه قالوا احمر والابيض عندهم بمعنى النقى من العيوب قال ابن الاثير وفيه نظر فانهم قد استعملوا الابيض فى الوان الناس وغيرهم وهو اعتراض وارد وما قيل من ان مراده انه لا يستعمل فى محل اللبس كما هنا فانه لو قال بعثت الى الابيض لتوهم انه اريد به السالم من العيوب لا يجدى نفعا وكيف يراد المجاز من غير قرينة (وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن) وهذا مبنى على ما فى مخيلتهم من انهم سود (وفى الحديث الآخر عن ابى هريرة) الذى رواه البخارى ومسلم واورده لما فيه من الزيادة على قوله (نصرت بالرعب) قوله (واوتيت جوامع الكلم) جمع جامعة لجمعها الحكم والمنافع فى لفظ قليل والكلم اسم جنس جمعى للكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح وهو من اضافة الصفة للموصوف وفسرت بالقرآن لما فى جمعه من المعانى فى الفاظ الموجزة وقيل المراد به كلماته الموجزة المتضمنة الحكم والمنافع وفى نسخة (وخواتمه) فقيل هى بمعنى الجوامع وقيل التى ختم بها الكلام فلا يأتى بعدها ما يقرب منها لعدم الحاجة له (وبينا انا نائم) اصله بين فاشبعت فتحتها حتى صارت الفا وهو ظرف زمان كثيرا ما تتصل بما المزيدة ويجئ بعدها اذ كقوله (اذ جئ) بالبناء للمجهول اى جاءنى ملك ارسله الله واذ للمفاجأة وهو جواب لها ويغلب بعدها كقوله * استقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير * وقد تخلو عنها كقولك بينا انا جالس دخل على عمرو وهى مضافة لجملة انا نائم وقيل مضاف لمحذوف تقديره بين اوقات النوم موجود كما فصله اهل العربية (بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى) بتشديد الياء مثنى مضاف او بالتخفيف مفرد ومفاتيح جمع مفتاح وهو آلة تفتح بها الاقفال معروفة والخزائن جمع خزينة او خزانة وهى ما يدخر فيه المال والامور النفيسة لحفظها والمراد ما فى الارض من الكنوز والاموال فاما ان يكون رأى فى رؤيا نومه ملك الرؤيا وضع فى يده مفاتيح حقيقة وقال له هذه مفاتيح خزائن الارض ارسلها الله اليك ورؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى يقع بعينها تارة ويعبر بما يحكيها اخرى

وظاهر تعبيره ان امته تملك الارض ويجبي لهم اموالها وفى المواهب اللدنية انها خزائن من اجناس العالم بقدر مايطلبون فان الاسم الالهى لايعطيه الا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الذى بيده مفاتيح الغيب التى لايعلمها الا هو فالمراد ان الله خصه بتمكين امته من الارض ويحتمل ان الملك اخبره وقال له ذلك فيكون استعارة لما مر والقول بان المراد العناصر ومايتولد منها وانه لم يقبل ذلك تعسف وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقبله يأباه عده خاصية له بل قبله فان عطاء الكريم لايليق رده ولكنه ادخره لامته (وفى رواية) لمسلم (عنه) اى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (وختم بى النبيون) اى جعلنى خاتمهم وآخرهم حتى لايبعث نبيا بعده غيره فلا يرد عيسى عليه الصلوة والسلام ومجيئه آخر الزمان لانه يجئ على انه من امته ايضا واما الخضر فعلى تقدير ثبوته معناه فلم ينبأ بعده وفى هذا الختم تكريم له حيث لاينسخ شريعته ولايطول مكث امته فى الثرى واشارة الى ان دينه كامل جامع لجميع الكمالات لايحتاج الى ملة اخرى تتمه ومارؤى من قوله لانبوة بعدى الا ماشاء الله الاستثناء لايقتضى وقوع مثبته على فرض صحته والمنفى النبوة لاالنبى فيحتمل ان الذى تحت المشيئة الرؤيا الصالحة لانها جزء من اجزاء النبوة (وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه) وهو ابو اسد وابو حماد وابو عمر الجهنى الصحابى الفصيح السيد الجليل توفى بمصر سنة ثمان وخمسين وهذا الحديث رواه الشيخان وابو داود والنسأى (قال) عقبة (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا فرطكم على الحوض) الفرط بفتحتين والفارط الذى يتقدم القوم ليهيئ لهم فى منازل اسفارهم الماء والكلاء ونحوه مما يحتاجون له ويقال رجل فرط وقوم فرط ايضا وفى الدعاء لطفل الميت اللهم اجعله فرطا اى اجرا يتقدمنا حتى نرد عليه والحوض هو حوضه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يسقى منه عطاش امته يوم القيامة وعلى متعلقة بفرط اوحال من الضمير فيه لانه صفة مشبهة واهل الحوض الكوثر اوغيره اختلف فيه وعليه اوان كالنجوم وفى الحديث بلاغة بديعة اذ المراد ان موته صلى الله تعالى عليه وسلم قبلهم فيه مصيبة عظيمة هى سبب دخولهم الجنة واجر عظيم فشبههم بقوم مسافرين وشبه نفسه بمن تقدمهم لنفعهم والفرط من سبق للماء كما مر فذكر الحوض فيه مناسبة عظيمة وان متاع الدنيا قليل فهم على اثره صلى الله تعالى عليه وسلم واردون جمعنا الله به وسقانا من يده شربة لانظما بعدها (وانا شهيد عليكم) شهيد بمعنى شاهد قال الله تعالى * ويكون الرسول عليكم شهيدا اى يوم القيامة فان الله تعالى يسأل الرسل هل بلغتم فيقولون نعم فيقول لاممهم هل بلغوكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول للرسل من يشهد لكم فيقولون امة محمد فيشهدون بتبليغهم وهذا هو قوله لتكونوا شهداء على الناس ويشهد لهم صلى الله تعالى عليه وسلم ويصدقهم

ويزكيهم على مامر بيانه وهذه شهادة لهم لكنه عداها بعلى حثا على الطاعة لانه رقيب عليهم ومهيمن (وانى والله لانظر الى حوضى الآن) اى اشاهده الان لان الجنة والنار موجودتان وتأكيده بان والقسم يقتضى انها رؤية بصرية حقيقية لانكشاف الغطاء عن بصره الحائل عن رؤيته والبس وبطريق الكشف ونحوه وفى هذا بيان لما مر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال انه فرط على الحوض حقق ذلك بانه مشاهد له لاشبهة فيه والان مبنى على الفتح ولايستعمل الا بالالف واللام (وانى قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض) تقدم قريبا بيانه (وانى والله ما اخاف عليكم) الصحابة اومعاشر الامة (ان تشركوا بعدى) اى من ان تكفروا بعد موتى فمن مقدرة لانها تحذف هنا قياسا مطردا لان من ذاق حلاوة الايمان لايرجع عنها (ولكنى اخاف عليكم ان تنافسوا فيها) اى فى الدنيا اى اخاف عليكم من رغبتكم فى نفايس الدنيا وانهماككم فى تحصيلها حتى يؤديكم ذلك الى الهلاك وارتكاب مايلهيكم عن الله تعالى وهذا تنبيه لهم على انهم لاتلهيهم الخزائن عن المعاد (وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما) كما رواه عنه الامام احمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبى الامى) هو الذى لايقرأ ولايكتب نسب لامه لانه كانه على حاله يوم ولدته امه اوالى ام القرى لان الكتابة كانت عزيزة فى اهلها اوالى امة العرب وهذه الصفة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من اجل النعم عليه واعظمها اذ اعطاه علم الاولين والآخرين وحفظه هذا الكتاب الذى لم يعادله كتاب وهو لايقرأ ولايكتب ولم يدارس ولم يلاق احدا له شغل بذلك (تنبيه) كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اميا من معجزاته الشريفة الباهرة كما تقدم مبسوطا غير مرة واشار اليه الابوصيرى رحمه الله تعالى فى قوله * كفاك بالعلم فى الامى معجزة * وهذا كان فى اول امره الا ان بعضهم ذهب الى انه بعد ذلك قرأ وكتب من غير تعلم وهو معجزة اخرى الا ان الجمهور على خلافه كما ذكره الحافظ بن حجر فى تخريج احاديث الرافعى وقال ابن عربى فى سراج المريدين رحل ابو الوليد الباجى وابعد رحلته فلما عاد قرأ البخارى وقال فى درسه انه صلى الله عليه وسلم فى الحديبية محى الكتاب وكتب بيده الا ترى انه قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن الكتابة فكتب هذا ماقاضى الى آخره فابتدر رجل مغربى وصاح فى المجلس انه زنديق الا ان الامير كان متفننا فدعا الفقهاء وسألهم فشنعوا عليه وقالوا انه كفر فاستظهر الباجى بالحجة عليهم وقال ان هؤلاء جهلة فاكتب الى علماء الافاق فكتب علماء افريقية وصقلية فجاءت الاجوبة بتصديق الباجى الى آخر مافصله ورأيت فى بعض الكتب انه مما يدل على ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكاتبه طول السينات وقوله تعالى * ماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك * فقوله من قبله يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم

بعد ذلك كان يكتب نادرا فاعرفه وقوله (لانبى بعدى) تقدم بيانه (اوتيت جوامع الكلم وخواتمه) تقدم معناه ولفظه وانما كرره هنا ليبين انه مع كونه اميا اوتى مالم يؤته احد ممن افنى عمره فى القراءة والكتابة (وعلمت) بضم العين المهملة وسكون اللام المشددة او بفتحها وتخفيف اللام (خزنة النار) جمع خازن ككتبة وكاتب وهم الملائكة الموكلون بها (وحملة العرش) جمع حامل وهم الملائكة يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم علم مالم يعلمه غيره بمشاهدته لهم الاترى ماورد فى الاحاديث من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وبيان هيئاتهم مما كان له رأى عين وحملة العرش اليوم اربعة ويوم القيامة ثمانية كما نطق به القرأن العزيز (وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) كما رواه احمد بسند حسن (بعثت بين يدى الساعة) اى القيامة سميت ساعة لانها عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التى هى جزء من اجزاء الزمان وقال الراغب لسرعة الحساب فيها كما قال وهو اسرع الحاسبين اولما نبه عليه بقوله *كانهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الاساعة من نهار* وقيل الساعات التى هى القيامة ثلاث ساعات الكبرى وهى بعث الناس للحساب والوسطى وهى موت اهل القرن الواحد والصغرى وهى موت كل انسان وقد وردت الساعة بهذه المعانى فى الحديث والمراد هنا الاولى والمراد بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديها انه قريب منها ففيه استعارة مكنية وفى الحديث انا والساعة كهاتين يشير بالوسطى والسبابة وفيه اشارة الى بقاء دينه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم نسخه ولاجل هذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى (ومن رواية ابن وهب) من تبعيضية نبه بها اشارة الى انه بعض من حديث الاسراء الطويل الذى رواه البيهقى فى الدلائل وغيره عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وابن وهب هو عبد الله ابو محمد بن وهب بن مسلم الفهرى المصرى احد الاعلام فى الحديث وغيره روى عن مالك والليث وخلق كثير وروى عنه خلق كثير وكان افقه من ابن القاسم وطلب للقضاء فجنن وانقطع الى ان مات سنة سبع وتسعين ومائة والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال الله تعالى) له صلى الله تعالى عليه وسلم حين كلمه بغير واسطة فى الاسراء كما يدل عليه سياق الحديث (سل يا محمد) حذف احد مفعوليه للتعميم اى كل ما تريد والاخر للعلم به فانه لا مسؤل سواه ولدلالة قوله (فقلت ما اسئل يارب) عليه ورب بكسر الباء وضمها ولم يقل اسئلك تأدبا يعنى ان جميع الكلمات استودعتها الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبله فلم يبق مايختص به حتى يسأله ثم فصل بعض ما جمله فقال (اتخذت ابراهيم خليلا) اى اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها وسيأتى تحقيقها (واتخذت موسى تكليما) اى اصطفيته وفضلته بان كلمته بنفسك بكلامك القديم قبلى فلا يرد انه كلمه ايضا (واصطفيت نوحا) اى فضلته على غيره بان جعلته اول رسول

هلك من عصاه كما قال الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا فهو ابو البشر واول الرسل (واعطيت سليمان ملكا لاينبغى لاحد من بعده) اى لايتيسر لغيره من الرسل الملوك التسخير الجن والانس والريح وملك الدنيا كلها بعظمة البسته اياها من عظمتك (فقال الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما اعطيتك خير من ذلك) كله وهو مبتدأ وخبر بينه بقوله (اعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة وذكر البيضاوى فيه سبعة اقوال اشهرها انه نهر فى الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فى وسط الجنة حصباؤه الدر والياقوت وقيل هو القرأن وقيل النبوة وقيل غير ذلك مما تقدم (وجعلت اسمك مع اسمى) اى مقرونا باسمى فى التشهد والاذان وكلمة الشهادة وغير ذلك ولذا قال (ينادى به فى جوف السماء) اى تنادى الملائكة عليهم الصلوة والسلام باسمى وتصلى عليه لامر الله لهم بذلك اولما رأوا من منزلته صلى الله عليه وسلم وقربه من ربه وكتابة اسمه على ساق العرش وتفسير السماء هنا بالامكنة العالية كمنارة الاذان كما قيل لا وجه له (وجعلت الارض طهورا لك ولامتك) لان الله تعالى شرفها بك فكانت طاهرة مطهرة وهذا من خواص هذه الامة تسهيلا لها وما احسن قول ابن رشيق القيروانى

* سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهورا وطيبا *
* فقالت غير ناطقة لانى * حويت لكل انسان حبيبا *

وقد تقدم هذا الحديث وشرحه (وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى لو صدر كان مغفورا فلا ينافى هذا عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد بالذنب التقصير وان لم يكن صغيرة ولا كبيرة واعلامه بمغفرة كل مقدم ومؤخر تشريفا وتطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال العز بن عبد السلام ان هذا من خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقله الله لغيره من الانبياء ولذا قالوا فى الموقف نفسى نفسى والى هذا اشار بقوله (فانت تمشى فى الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك) فليس المراد باحد غير الانبياء كما قيل (وجعلت قلوب امتك مصاحفها) اى مننت عليك بان جعلت فى امتك حفظا لم يكن فى غيرهم من الامم السالفة حتى ان من كان يحفظ التورية وغيرها من الكتب الالهية افراد معدودون فى كل عصر وحفظة القرأن والحديث من هذه الامة لايحصون فى كل عصر والمصحف ما كان جامعا للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف ثم خص بالمصحف المكتوب فيها القرأن وقد قيل انه لفظ حدث فى الاسلام وكونه معربا من اللغة الحبشية لا اصل له وهذا تشبيه بليغ اى جعل قلوبهم كالمصاحف التى تحفظ القرأن وقيل انه استعارة تصريحية وله وجه وفى رواية صدور بدل قلوب وهذا بناء على ان محل الحفظ والادراك القلوب واضافته للصدور لانها محله والحكماء يقولون ان محل الحفظ الخيال الذى هو خزانة الحس المشترك فى الدماغ واهل الشرع والمتكلمون

من اهل الاسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة مع ان كلام الحكماء مضطرب فيها وفى محالها
كما ذكره الجلال الدوانى فى شرح هياكل النور وليس هذا محل تفصيلها (وخبأت)
بخاء معجمة مفتوحة وموحدة وهمزة اى اخفيتها واخرتها الى يوم القيامة (شفاعتك)
المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء ونحوها من الشفاعات الخاصة به كما
تقدم (ولم اخبأها لنبى غيرك) وفى نسخة قبلك وان كان لهم شفاعات غير هذه (وفى
حديث اخر رواه حذيفة) بن اليمان العبسى الصحابى رضى الله تعالى عنه صاحب سر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى سنة ست وثلاثين وهذا الحديث رواه ابن
عساكر فى تاريخه عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بشرنى يعنى
ربه) ولم يذكر الفاعل فى اصل رواية هذا الحديث للعلم به كما فى قوله حتى توارت بالحجاب
(اول من يدخل الجنة) مبتدأ ومن موصولة وجملة يدخل صلته (ومعى) ظرف
متعلق به و(من امتى) حال من عائد من المستتر تحت يدخل (سبعون الفا) خبره (مع
كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب) صفة سبعون او حال منه اى لا يحاسبون
ولا يناقشون بل يؤمر بادخالهم الجنة تكريما لهم وقوله مع كل الف سبعون الفا جعلهم
معهم لانهم اتباعهم وذرار يهم قوله وليس الى اخره صفة للالف الثانية فيعلم منه
عدم محاسبة الاولى بالطريق الاولى وفى البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال
ذلك دخل بيته فخاض الصحابة فى هؤلاء فقيل لعلهم الذين صحبوه وقيل لعلهم
الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا الى غير ذلك فخرج عليه السلام وسألهم عما خاضوا
فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة
رضى الله عنه فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال انت منهم ثم قام آخر فقال
مثل ذلك فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة وفى الحديث ايضا وعدنى ربى ان
يدخل الجنة من امتى سبعين الفا مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب
وثلاث حثيات من حثيات ربى رواه ابن ابى شيبة والطبرانى وقد حسب ما فى الحديث
فبلغ اربعمائة الف الف وسبعمائة الف وفى هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم فى
حادى الارواح (واعطانى ان لا اجوع امتى) اى ان لا ابتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا
عن آخرهم ويستأصلوا جميعهم فلا ينافيه ما وقع فى بعض الازمنة فى بعض الاقطار
بخصوصها اذ لم يعم ولم يستمر (ولا تغلب) بضم المثناة الفوقية اى الامة جميعها وتستمر
مغلوبيتها او هذا مشروط بالطاعة فاذا بدلوا وغيروا خرجوا عن اضافة التشريف
بقوله وقد شاهدناه فى بعض السنين واليه الاشارة بقوله ان تنصروا الله ينصركم
(واعطانى النصر) اى على من يعادينى ولو مع قلة العدد وفى بدء الامر (والعز)
اى الغلبة والقوة عليهم (والرعب يسعى بين يدى امتى شهرا) قيل شهرا مفعول
مطلق لا ظرف اى العدو الذى بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا وهذا

من خواصه صلى الله عليه وسلم وخواص امته وخص هذه المسافة لانها ابعد مسافة
اعدائه الموجودة فى زمانه كما مر وبهذا علم ان قوله فى المواهب فى حديث نصرت
بالرعب وكون هذا له صلى الله عليه وسلم ولامته فيه احتمال غفلة عن هذا الحديث
وفى قوله يسعى تشبيه للرعب بمقابله بتقدمه وفيه مبالغة بليغة كما قلت فى قصيدة

ولم يهزم عداه جيوش جنده وجيش الرعب قد هزم القلوبا*
ولو ثبتوا لفر الهام منهم وارواح وما عرفوا الهروبا*

(وطيب) بالتشديد والبناء للمجهول اى احل لقوله حلالا طيبا (لى ولامتى الغنائم)
هى شاملة للفىء هنا وقدم متعلقه (واحل لنا كثيرا مما شدد) فيه (على من قبلنا)
من الامم السالفة كقطع الاعضاء والتوبة بقتل النفس وقرض محل النجاسة ووجوب
القصاص فى العمد والخطاء الى غير ذلك مما ذكروه وتفنن فى العبارة ولم يراع
التقابل ولو راعاه قال سهل علينا ما شدد مع انه لو عبر به توهم انه رخصة وليس
كذلك على انه قد يقال احل فيه طباق او ابهامه للحل الذى هو ضد الشد (ولم يجعل
علينا فى الدين من حرج) اى شدة وضيق وقال علينا لانه له صلى الله تعالى عليه وسلم
ولامته فوسع عليهم بالرخص كترك القتال لمن له عذر واكل الميتة للمضطر وقصر
الصلوة والتيمم (وعن ابى هريرة رضى الله عنه) فى حديث صحيح رواه الشيخان
(عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من نبى من الانبياء) زاد من وبينه بقوله من الانبياء
للتعميم (الا وقد اعطى من الآيات ما مثله امن عليه البشر) اى كل نبى جعل الله له
معجزة اظهرها على يديه اطاعه بها الناس كعصى موسى عليه الصلوة
والسلام واحياء الموتى لعيسى الى غير ذلك مما هو مشهور مأثور مناسب لزمانه الا
ان تلك الآيات انقطعت بانقطاع عصره ومضت بمضيه بخلاف اعظم معجزات
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانها باقية غير منقطعة غضة طرية فى كل عصر
تتلى وتشاهد بركاتها وتستخرج من جواهر معانيها ما لا يفنى وهى القرآن كما اشار
اليه بقوله (وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحى الله الى) وما نافية ومن صلة لتأكيد
النفى وهو مبتدأ وسوغ الابتداء به وقوعه بعد النفى ومن الثانية تبعيضية او بيانية
والجار والمجرور صفة نبى وقوله الا وقد اعطى خبر والواو مزيد فيه لتأكيد الاتصال
واللصوق والضمير المستتر فى اعطى مفعوله الاول وما الموصولة او الموصوفة مفعول
ثان ومثله مبتدأ ايضا والجملة بعده خبر له وامن مضمن معنى غلب ولذا عداه بعلى
او هى بمعنى الباء والضمير المجرور بعلى عائد على ما فالجار والمجرور متعلق بامن او حال
منه اى مغلوبا عليه والمراد بالآيات المعجزات ومفعول اوتيت محذوف اى اوتيته
والحصر فى انما ادعائى او باعتبار الاعظم او المعظم ووحيا بمعنى كلام موحى به او قصر
افرادى اى اوتيته انا لا غيرى من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فليس حصرا حقيقيا

بمعنى انه لم يعط غيره اذ المعنى انه ما من معجزة اعطيت لنبي الا اعطيها وزاد عليها بما هو مخلد في صحايف الدهر يعرف في كل زمان ولذا رتب عليه قوله (فارجو ان اكون اكثرهم) اى الانبياء عليهم السلام (تابعا يوم القيامة) وذلك لان هذه المعجزة لما كانت باقية الى يوم القيامة وهى باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم اكثرية من آمن به عليه السلام واتبعه على من آمن بغيره من الرسل وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره فاذا مات انقطع التحدى بمعجزته وغابت عن الادراك وصارت خبرا كغيره من الاخبار اذ لم يأت احد منهم بمعجزة يدرك بعده اعجازها فاما التورية وسائر الكتب السماوية فلبست بمعجز نظمها ولذا وقع فيها التحريف والتبديل وترجمت بلغات مختلفة وسيأتي الكلام على الاعجاز مفصلا وقد حقق الله رجاءه والى هذا اشار بقوله (ومعنى هذا الحديث (عند المحققين بقاء معجزته) المذكورة (ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها وكون القرآن يرفع في آخر الزمان كما ورد في حديث حذيفة بن اليمان الذى رواه ابن ماجة ان الاسلام يندرس ويرفع كتاب الله في ليلة حتى لا يبقى منه في الارض آية ويبقى ناس يقولون ادركنا اباءنا على هذه الكلمة كلمة لا اله الا الله فقال له صلة ما ينفعهم هذه وهم لا يدرون صلاة ولا صياما ونسكا فقال تنجيهم من النار لا ينافيه اما لانه باعتبار الاكثر والظاهر فانه محقق بقاؤه في نفس الامر لم ينسخ ولم يبدل وقيل انه زمن يسير بقاؤه كالعدم (وسائر معجزات الانبياء) اى جميعها (ذهب للحين) المراد بالحين عقب وقوعها او انقراض عصره او المراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده وبينه بقوله (ولم يشاهدها الا الحاضر لها) بخلاف من اتى بعدهم (ومعجزة القرآن) اى القرآن المعجز او المعجزة التى هى القرآن فالاضافة بيانية (يقف عليها) اى يعلم بها ويحيط بها مجاز لان من وقف على شئ اطلع عليه كما في الاساس (قرن) فاعل يقف (بعد قرن) اى يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها (عيانا) بكسر العين كما مر اى مشاهدة (لا خبرا) اى لا باخبار غيرهم لهم (الى يوم القيامة) اى الى آخر الزمان وقيام الناس الى المحشر وهو كناية عن التأبيد والبقاء في الدنيا (وفيه) اى في هذا الحديث ومعناه للعلماء (كلام يطول هذا نخبته بضم النون وسكون الخاء المعجمة والباء الموحدة اى مختاره وزبدته قال في الاساس نخب الشئ وانتخبه اذا نزعه ومنه الانتخاب الاختيار كانك تنزعه من بين الاشياء وهؤلاء نخبة قومهم لخيارهم انتهى (وقد بسطنا) اى فصلنا من بسط يده اذا مدها (القول فيه هذا وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن على رضى الله تعالى عنه) في حديث رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه وهو موقوف عن على كرم الله وجهه له حكم الرفع لان مثله لا يقال بالرأى وسيأتى رواية ابى نعيم له مرفوعا (كل نبى) من الانبياء (اعطى سبعة نجبا) جمع نجيب وهو الكريم

الحسيب ويكون بمعنى الرفيق المعين في المهمات والشدائد وهو المراد هنا (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى اربعة عشر نجيبا) اى رفيقا كاملا شريفا وجعلهم ضعف ما لكل نبى مرتين تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم واشارة لكثرة امته حتى يحتاج زيادة في وزرائه والمراد بهؤلاء كما رواه ابو نعيم عن على ايضا رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبى الا وقد اعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وانى قد اعطيت اربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وابو بكر وعمر وعثمان وعبد الله ابن مسعود وابوذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وفى رواية بلال وقد وقع في تعيينهم اختلاف (اقول وبعد عصره صلى الله تعالى عليه وسلم خليفته القطب ووزراؤه النجباء والنقباء والبدلاء ومن فسر الاربعة عشر هنا بهؤلاء لم يصب رواية ودراية وقد ورد التصريح بهؤلاء في احاديث جمعها السيوطى في رسالة مستقلة ومن العجب ان هذا مع انه متفق عليه بين اهل الشرع والحكماء كما قال صاحب حكمة الاشراق في كتابه لابد لله من خليفة في ارضه وانه قد تكون متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين وباطنا كالاقطاب وقد يجمع بين الخلافتين كالخلفاء الراشدين كابى بكر وعمر بن عبد العزيز قد انكره بعض الجهلة في زماننا قال ذو النون النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمدة اربعة والغوث واحد وحكى ابو بكر المطوعى عمن لقى الخضر عليه الصلوة والسلام انه قال له لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شكت الارض الى ربها وقالت الهى وسيدى بقيت لا يمشى على نبى الى يوم القيمة فقال الله تعالى لها اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء لا اخليك منهم فقالت له كم هم قال ثلثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات جعل واحد من الثلاثة مكانه ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلثمائة وهكذا الى ان ينفخ في الصور (منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار) وقد بينا ذلك (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل) وهو حديث مشهور رواه الشيخان عن ابى شريح قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة تسع من الهجرة ومعنى حبس منع وفى رواية القتل بقاف وتاء فوقية وقصة الفيل مشهورة غنية عن البيان (وسلط عليها رسوله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل سلطنى اشارة الى انه مأمور من الله لا حظ له في ذلك من نفسه لنزاهته عن الحظوظ والاغراض النفسانية (والمؤمنين) من امته وجنده (وانها) اى مكة (لا تحل لاحد بعدى) وفى نسخة (من امتى) وفى نسخة لم

بدل لا وفى اخرى لن وفيه اشارة الى ان تحريمها سابق فى علم الله وفى زمن ابراهيم عليه الصلوة والسلام فانه حرمها وجعلها حرما آمنا وكان ذلك اظهارا لما سبق فى علمه وحكمه (وانما احلت لى ساعة من نهار) اى انما اعلمنى الله بحلها لى وكان حل القتال لى فيها فى ساعة من نهار يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وجعله ساعة تقليلا لزمانه لانه ساعة حقيقة كما قال الله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام * الى آخره والحرم مثل المسجد فى ذلك وهذه الآية محكمة عند ابن عباس ومجاهد تمسكا بهذا الحديث وقوله فيه ثم عادت حراما الى يوم القيمة وروى بمعناه من طرق آخر وقتاله صلى الله تعالى عليه وسلم امره بقتل من لجأ الى الحرم كابن خطل من اصحابه كما روى عن السلف وقيل عليه ان قوله احلت يدل على تقدم حرمته فيكون نسخا ولو كان نسخا استمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات اخر فى معناها وتمسكوا بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى (وعن عرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه احمد والبيهقى والحاكم وقال انه صحيح الاسناد والعرباض بكسر العين وسكون الراء المهملتين وموحدة واخره ضاد معجمة معناه القوى نقل للعلمية وهو من كبار الصحابة اهل الصفة رضى الله تعالى عنهم سكن بحمص من ارض الشام ومات بها سنة خمس وسبعين (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) جملة حالية او مفعول ثان على الخلاف فى سمع اذا تعلق بالذوات الغير المسموعة كما يعرفه من تبحر فى العربية وقدم بيانه (انى عبد الله) وفى رواية انى عبد الله مكتوب (خاتم النبيين) قدم على هذه الكلمات وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعبودية اشارة الى انها اشرف عنده مما سواه وانه انما نالها بمحض كرم الله وفضله واحترامها عن يطريه ان يتجاوز فيه الحد كما وقع للنصارى فى عيسى عليه الصلوة والسلام ولذا قال انى عبد الله آتانى الكتاب الآية وخاتم بكسر التاء وفتحها آخرهم ومن به كمالهم (وان آدم لمنجدل فى طينته) اى مختلط فى تربته او ساقط فيها كما تقدم وفى طينته خبر ثان لا ظرفا لمنجدل ثم اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم باول امره بانه (عدة ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال المهملتين مصدر بمعنى الوعد كالزنة وفى نسخة دعوة ابى ابراهيم وهى اشهر واظهر لانه اشارة الى قوله * ربنا وابعث فيهم رسولا منهم * ولثقته بالله انه لا يخيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته وجعله نفس الدعوة مبالغة باقامة السبب مقام المسبب لانه دعا ان يجعل من ذريته وذرية اسمعيل رسولا ولم يكن من ذريتهما معا غيره مرسلا فان الانبياء من ذريته كداود

وسليمان ليسوا من ذرية اسمعيل فتعين كونه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وبشارة عيسى ابن مريم) فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله * ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد * وجعله نفس البشارة مبالغة وهى بكسر الباء مصدر كالبشرى وبضمها ما يعطى البشير واسم مصدر بمعنى المبشور ويكون فى الخير والشر اذا اطلقت ثم خصت بالخير وصارت حقيقة ونحو فبشرهم بعذاب اليم تهكم على هذا وعلى الاول هى حقيقة مطلقا او اذا قيدت وسميت بشارة لتباشيرها فى بشرة الوجه ما يسمو وارد السرور وفى شرح الجامع الصغير الفرعى ان البشارة تختص بالصدق وجهل المخاطب والخبر لان ذلك يغير بشرة الوجه الفرح وهى فى اللغة خبر يغير بشرة الوجه مطلقا الا انه صار فيما ذكر حقيقة عرفية والاصل فيه ما فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا طريا كما انزل فليقرأ بقراءة ابن ام عبد فابتدر ابو بكر وعمر ليخبراه بذلك فسبق ابو بكر رضى الله تعالى عنه فكان يقول بشرنى ابو بكر واخبرنى عمر قال العلامة ابن كمال فان قلت الخبر الكاذب يغير البشرة ايضا وليس من شرط الحنث بقاء المعلق عليه كما لو قال ان دخلت الدار فانت طالق فدخلت ثم خرجت حنث قلت فى الكاذب لم تتم البشارة فوزانه وزان ما لو حلف على لبس خفيه فلبس احدهما ولم يذكر الصدق فى الهداية وفيه قصور ومن ثمه قالوا لو قال لعبيده ايكم بشرنى بقدوم زيد فهو حر عتق الاول لانه الذى ظهر السرور بخبره دون الثانى وبشرهم بعذاب اليم تهكم ومن هنا علم ان البشارة مشروطة بجهل المخبر اذ البشرة لا تتغير بما علمه قال وفى هذا الحديث دلالة على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبل عيسى لم يخبروا باتيان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فقوله فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان ابن سلام رضى الله تعالى عنه دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام وقال قد علمت انه تعالى قال فى التورية انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فيه انه صريح فى بشارة موسى بمحمد عليهما الصلوة والسلام باسمه الخاص وهو مخالف لنص القرآن والحديث الصحيح لا يقال اليهود حرفوا التورية فزال تلك البشارة وصح ان عيسى هو المبشر لانا نقول انما كان هذا بعد عيسى لقوله * مصدقا لما بين يدى من التورية * فنسبة البشارة لعيسى ظاهرة فى عدم البشارة قبله والا لقال بشارة اخى موسى وكذا قولهم فى الخطب المنبرية فى التورية والزبور والانجيل انتهى (اقول هذا غير وارد بل غير صحيح من وجهين الاول انه كونه مبشرا به قبل الانجيل فى الكتب السماوية كلها او جلها مما لا شبهة فيه وقد صنف فى ذلك كتابا مستقلا سماه خير البشر بخير البشر

الحافظ ابن ظفر ولولا خوف الاطالة اوردت مافيه هنا الثانى ان قوله انه مخالف
للقرأن والحديث كلام ناش من عدم تدبر معنى البشارة والفرق بينها و بين الخبر
الصادق فان كل بشارة على ما ورد خبر بلا عكس والبشارة خبرسار بما فيه ينفع
المخبر فى زمن مابعدا اوقريبا كالبشارة بالجنة ولما كان من قبل عيسى بينهم و بين
نبينا رسل وامم لم يكن ذلك بشارة لعلهم بان المخبر لايدركه بخلاف عيسى فان امته
ومؤمنوهم ادركوا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كسلمان ونحوه فكان اخباره به
بشارة لمن اتبعه منهم وحثالهم على اتباعه كما اشار اليه قوله من بعدى فلم يخالف
النص الا ابن اخت خالته فاعرفه (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى حديث
رواه البيهقى والدارمى وابن ابى حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه
وسلم على اهل السماء) يعنى ملائكة السماء وهم افضل من ملائكة الارض فيعلم منه
تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الملائكة حتى الخواص منهم ورسلهم
خلافا للمعتزلة والحليمى من الشافعية القائلين بتفضيل خواص الملائكة على الانبياء
ولم يختلفوا فى تفضيلهم على ملائكة الارض كما سيأتى (وعلى الانبياء كلهم) فردا فردا
وعلى المجموع فلاوجه لتخصيصه بالاول كما تقدم فتذكره (قالوا) اى الحاضرون
عند ابن عباس السامعون لكلامه (فمافضله على اهل السماء) اى ماسببه ودليله
(قال ان الله قال ومن يقل منهم) اى من اهل السماء (انى اله من دونه) اى من يثبت
منكم الهية غيره (فذلك) القائل (نجزيه جهنم) تهديدا لمن اشرك منهم وتقطيعا
لامر الشرك وتعظيما لتوحيده تعالى (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا
فتحنالك الآية) فجعله مغفورا له غير مؤاخذ بما صدر ومايصدر واورد عليه انه
لادلالة فيما ذكر على المدعى لانه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم وقد خاطبه بمثله
فى قوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولك ان تقول وجه الدلالة انه هددهم على سبيل
الفرض بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله وهذا يدل على انحطاط رتبتهم عنده
عن رتبته فتأمل (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس) اى
ان هذه الآية تدل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وتخصيص رسالة كل رسول
بقومه وكافة صفة مفعول مطلق مقدر اى رسالة كافة اى عامة وللناس متعلق به
والحاصل ان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فهم من هذه الآية العموم والخصوص
فاستدل بها فلا يقال انه لايلزم من انه لا ينطق الا بلسان قومه انه لم يرسل الا لهم لانه
على مقتضى الظاهر فلا يدعى غيره الا بدليل والدليل قائم على خلافه كما مر (وعن خالد بن
معدان) رحمه الله تعالى هذا الحديث روى من طرق كما اشار اليه المصنف ورواه ابن
اسحق مرسلا والدارمى واحمد موصولا عن خالد عن عبد الرحمن السلمى عن عتبة

بن عبد السلمى بطوله ومعدان حمصى تابعى من كبار التابعين وزهادهم ادرك سبعين
من الصحابة وتوفى سنة اربع ومائة (ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا يارسول الله اخبرنا عن نفسك) اى عن حالك وشانك من ابتداء امرك (وقد
روى نحوه) اى نحو مارواه خالد (عن ابى ذر) الغفارى الصحابى رضى الله عنه اخرجه
الدارمى (وشداد بن اوس) بن ثابت بن منذر بن حرام وهو ابن اخى حسام بن ثابت بن حرام
بالمهملتين المفتوحتين صحابى نزل بيت المقدس وتوفى بالشام سنة ثمان وخمسين والرواية
عنه اخرجها ابو نعيم فى الدلائل (وانس بن مالك) اخرجه ابو نعيم ايضا (فقال)
صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله عن نفسه (نعم) جواب اسؤالهم اى اخبركم بذلك
(انا دعوة ابى ابراهيم) بدل من ابى اوعطف بيان اى اثر دعوته اوعينها مبالغة
ونعته بانه اب لاطلاقه على الجد وليبان انه من ذريته الذين دعالهم (يعنى قوله ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم) فهو المراد بالرسول فى دعوته المجابة (وبشرى عيسى)
عليه الصلوة والسلام تقدم بيانه (ورأت امى) اراد رؤيا امه فغير الاسلوب لانه نوع
لماقبله فهو على نهج قوله وجعلت قرة عينى فى الصلوة كما تقدم (حين حملت بى)
وفى رواية حين وضعتنى فالرؤيا وقعت مرتين وهذا يحتمل انه رؤيا منام ورؤية
يقظة والمرئى محذوف دل عليه قوله (انها خرج منها نور اضاء له قصور بصرى)
بضم الباء والقصر بلدة من اعمال دمشق هنا وهى ايضا اسم بلدة اخرى من قرى
بغداد بقرب عكبرا كما فى معجم ياقوت وهى مدينة حوران وقيل انها قيسارية
اوخوارزم وهو غير صحيح لان قوله (من ارض الشام) يأباه فهو غفلة من قائله والصحيح
انها مدينة بين المدينة ودمشق وهى اول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة ثلاث
عشرة والشام الاقليم المعروف بهمزة ويجوز ابدالها الفا كراس وفيه لغة اخرى
شآم بالمد قال ابن قرقول اباها اكثرهم وحده طولا من العريش الى الفرات وقيل الى
نابلس وعرضا من جبل اجا وسلمى الى بحر الروم ومسامته ودخله من الصحابة كثيرون
ودخله صلى الله تعالى عليه وسلم اربع مرات مرة مع عمه ابى طالب لما رآه بحيرا
ومرة فى تجارته لخديجة مع غلامها ميسرة ومرة حين اسرى به ومرة فى غزوة تبوك
قال ابن عساكر رؤية آمنة النور حقيقة حين وضعته واما رؤيتها له حين حملت
فكانت فى المنام كما قاله الواقدى ثم حقق الله لها ذلك اذا وضعته لانها كما وردت
فى الحديث اتيت وقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وآية ذلك ان يخرج معه نور
يملأ قصور بصرى فحقق الله لها ما رأته اولا وهو كلام حسن وتخصيصه لانه اول
فتح فى الاراضى المقدسة (واسترضعت) بالبناء للمجهول اى طلب امى ان اكون
رضيعا (فى بنى سعد بن بكر) ارضعته منهم حليمة السعدية بنت ابى ذؤيب زوجة
الحارث بن رفاعة بعد ما ارضعته ثويبة مولاة ابى لهب وله اخوة من الرضاعة مذكورون

مع قصة ارضاعه فى كتب السير (فبينا انا مع اخ لى) من الرضاع لا من النسب اذ ليس له صلى الله تعالى عليه وسلم اخ ولا اخت من النسب وبينا ظرف والفه للاشباع او كافة كبينما والكلام عليها مفصل فى كتب العربية (خلف بيوتنا) اضاف البيوت له باعتبار السكنى او التغليب لان المراد بيوت بنى سعد (نرعى بهما) الرعى اكل الحيوانات النبات والذهاب بها لترعى وهو المراد هنا والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مع الرعاة لا راعيا لصغر سنه والبهم بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء والميم وهى جمع بهمة اسم لاولاد ضأن واولاد المعز سخال ويطلق على ما يعمهما قال * صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم (انا) اضافها له معهم لاختلاطه باصحابها لادنى ملابسة (اذ جاءنى رجلان) اى ملكان فى صورة رجلين فهو مجاز (عليهما ثياب بيض) وفى حديث آخر ثلاث رجال وهم جبريل واسرافيل وميكائيل عليهم الصلوة والسلام كما اشار اليه بقوله (وفى رواية اخرى ثلاثة رجال) وجمع بينهما بانه جاءه اثنان اولا لشق صدره والثالث اتى بعد لمباشرته (بطست من ذهب مملوءة ثلجا) وفى رواية ملكان وفى رواية كوكبان كانهما انقضا عليه كوكبان ثم تمثلا بصورة رجلين والطست بفتح الطاء وسكون السين المهملة ومثناة فوقية وفيه لغة اخرى طس بتشديد السين وطسة بهاء وفى طائه الفتح والكسر ففيه خمس لغات وهو اناء معروف واستعمال الذهب لم يكن حراما اذ ذاك لاسيما وهو من الجنة لا من جنس ذهبنا فلا حاجة للجواب بانه يجوز للصغار وانه يجوز تحلية آلات الطاعة به كالمصحف والسيف مع ما فيه وفى رواية انه من زمرد اخضر وانه صب عليه من ابريق فضة واما كون الطشت بشين معجمة فقيل انه غلط وقيل انه لغة فيه ومملوءة بالتأنيث لان الطست يذكر ويؤنث او هو لتأويله بانية وهى مجرورة صفة او منصوبة حال والمراد انه نقى بالثلج او بمائه ولا حاجة للبحث فيه هل هو مطهر ام لا لان هذه امور لا يطلع عليها وروى انه غسل بماء الجنة وبماء زمزم وهذا كان فى حال الطفولية ووقع فى رواية انه كان بعد هذه البعثة لما اسرى به فمنهم من قال الروايتان متعارضتان ورد هذه وقال السهيلى لا تعارض بينهما وانه وقع مرتين الاولى لتنقيته من الحظوظ النفسانية والاخرى ليقدس فيقوى على العروج لمشاهدة الانوار العلوية وكونه مخلوق من النور لا ينافيه كما توهم وروى بان الطست مملوء حكمة وايمانا وان الثلج لبرد اليقين فهو اما بتأويله او بتجسم الاعراض وليس ذلك على الله بعزيز والثلج بسكون اللام وقال التلمسانى بفتحها بمعنى اليقين فتجوز قراءته بالفتح فتكون هذه الرواية كرواية مملوءة حكمة وايمانا (فاخذانى) اى امسكاه صلى الله تعالى عليه وسلم واضجعاه (فشقا بطنى قال فى غير هذا الحديث من نحرى الى مراق بطنى) النحر اعلى الصدر ومراق بفتح الميم

وتشديد القاف وهو مارق ولان من البطن ولا واحد له من لفظه والميم زائدة (ثم استخرجا منه) عائد على الجوف المعلوم من السياق او للبطن لتأويله به (قلبى) مفعول استخرجا (فشقاه) اى القلب وهذا من المعجزات لان الاطباء اجمعوا على ان القلب لا يحتمل جراحة اصلا فكيف يعيش صاحبه اذا شق (واستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها) اى رمياها لانها حظ الشيطان ومغمزه وفيها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة والعلقة دم منجمد كالعلقة المعروفة فى دور الماء قال السبكى رحمه الله تعالى فى طبقاته سئل الوالد رحمه الله عن هذه العلقة التى اخرجت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فاجاب بان تلك العلقة خلقت فى قلوب البشر قابلة لما يلقى الشيطان فيه ولم يكن للشيطان فيه حظ وانما الذى نفاه الملك منه امر فى الجبلة البشرية فازيل القابل الذى لا يلزم من حصوله حصول الالقاء فى القلب وانما خلقت على هذا لانها من اجزاء البدن المكملة لخلقه فلا بد منه ثم نزعت بامر ربانى طرا بعده وقريب منه قول الاستاذ محمد البكرى فى رسالته النافعة نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر وقول الملك انها حظ الشيطان اى لو تعلق الشيطان بمحل منه كان هذا فخلق ابتداء تكملة لاصل الخلقة وتسوية للنشأة الانسانية مع زيادة اظهار يأس الشيطان باخراجها منه وهذا من تقديس السر وتنزيهه اعلاه واشرفه وقدر لا يدانيه احد فيه (اقول حاصله ان الله خلقه صلى الله عليه وسلم كامل البنية مكملا فاقتضت الحكمة الربانية ان يكون جسمه احسن الاجسام وقلبه اقوى القلوب كما ان روحه صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم الارواح وانورها ولما كان القلب رئيس الاعضاء بقوته تقوى صفاته من الشجاعة والفطنة وغيرها وهذه العلقة جزء سوداوى به يكون القلب قوى البنية زاهى الثمرة وعليه يبنى تكونه كحب العنب والفواكه فبعد نضج ثمرته ينزع عجمه ويرمى ولكونه سوداوى ردى الاخلاط كان محلا لاقذار الاوهام والخيال الذى هو لريحان الفكر كالحشيش النابت بينه بقلعه يقوى فاندفع انه لم لم يخلقه الله بدونها حتى يتطهر من دنس الوسوسة وما يقبلها فلا يألم بشق وقلع وظهر ان معنى كونها حظ الشيطان انها محل حظه لو كان امكنه لم يكن وانما اطلت هنا لانه سر من اسرار الله ولله در ابن قرناص الحموى فى قوله

* اما والله لو شقت قلوب * ليعلم ما بها من فرط حب *
* لارضاك الذى لك فى فؤادى * وارضانى رضاك بشق قلبى *

(ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه) ولما كان ارضه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ثلج بها غسل بذلك ليعلم انه من عالم الغيب والجنة ويقال نقاه بالتشديد وانقاه اذا جعله نقيا نظيفا والمشهور الاول وفى هذا دليل على عصمته صلى الله

تعالى عليه وسلم قبل النبوة من جميع الآثام والنقايص وكيف يتصور بعد هذا ان يصدر منه زلة او امر لايرضى الا سهوا ومثله لايؤاخذ به (قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث آخر ثم تناول احدهما) اى اخذ من ملك غيره او اخرجه من يده واصل المناولة الاخذ من غيره (شيئا فاذا بخاتم فى يده من نور) اى يتلألأ ويضئ اضاءة زائدة حتى كانه مجسم من النور ففيه مبالغة فى اشراقه كقوله * خلق الانسان من عجل * وفى رواية انه خيط بمخيط وكان يرى فى صدره الشريف اثر الخياطة (يحار الناظر دونه) اى فيما دونه او اقل منه (بهاء) اى نورا ونفاسة والناظر اما بمعنى الشخص الذى ينظره ويحتمل ان يريد به العين وانسانها لانه يطلق عليهما فعلى الاول المعنى انه يتحير من نوره وحسنه فى معرفته وعلى الثانى النسبة اليه مجازية والمراد صاحبه اومعناه يبهت ولايطرف اجفانه وفيه وفى قوله دونه لانه اذا تحير فيما دونه فكيف به (فختم به قلبى) كما يختم الكيس والخزانة التى فيها الجواهر وكل نفيس وختمه لئلا يصل اليه ما لايليق به من الوسوسة ولئلا يضيع ما فيه وفيه اشارة الى انه خاتم الانبياء وليس هذا ولا اثره خاتم النبوة المذكور فى الحديث حتى يقال انه اختلف فيه هل ولد به اوكان حدوثه حين نبئ ولا فى هذا الحديث بيان لانه كان حين شق صدره كما توهم والختم حفظا له عن ان يخرج مما احرزه شئ بغير علمه فلا يرد ما قاله السهيلى انه ينافى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم الناس الحكمة وتفجرت من قلبه ينابيع الحكم وفاضت انواره على العالم (فامتلأ ايمانا وحكمة) فى تفسيرها اقوال والذى صفا منها انها العلم المشتمل على معرفة الله مع البصيرة وتحقيق الحق والعمل به وفى التفريع هنا خفاء لان مقتضى الظاهر ان يقدمه على الختم ولا يرد عليه فيقول ملأه فامتلأ ثم ختمه لانه بعد الختم لايدخله شئ الا ان يأول بانه تبين فى انه امتلأ اللهم الا ان يقال انه دخل فيه نور من الخاتم ملأه بما ذكروه من ان العلم والحكمة معنى لايملأ حيزه فاما ان يقال انه تجسم اوجعل بمنزلته (ثم اعاده مكانه) اى اعاد الخاتم فى مكانه الذى كان من يده او يد غيره وليس الضمير للختم كما توهم حتى يقال انه يشعر بانه كان من اصل خلقته (وامر) بتشديد الراء المهملة اخره اى مسح والصق يده مارة (الاخر) اى الملك الاخر (يده على مفرق صدرى) بفتح الميم والراء وكسرها بينهما فاء ساكنة اى محل الشق والافتراق الذى كان منه فهو بمعناه اللغوى وان اختص عرفا بوسط الرأس وهو مصدر ميمى (فالتأم) بهمزة بعد المثناة الفوقية اى انضم واجتمع حتى لم يبق فرجة من الشق (وفى رواية اخرى ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال) بعد ما امر (قلب وكيع اى شديد) وفى كتب اللغة تفسيره بصلب وغليظ والمراد هنا ما ذكره المصنف ومنه نقل العلم (فيه) اى فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (عينان

تبصران واذنان سميعتان) لايخفى ان حمله على ظاهره كما قيل بعيد فالمراد انه شديد الادراك لما يبصر ويسمع وكون القلب لا يدرك المحسوسات لانه انما يدرك المعقولات لاوجه له فانه يدركها بواسطة الحواس وفى التعبير عن الاول بالمضارع وعن الثانى بالاسم الدال على الثبوت تفنن وايماء الى ان الاول لايكون الا بفعل يحدث منه كالمقابلة وفتح الجفن بخلاف الثانى واسنادهما ليس بمجازى وهذا كالتعليل لما قبله (ثم قال احدهما) اى الملكين (لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني فرجحتهم) الوزن معروف ورجحانه زيادة ما فى الكفتين وثقله فنزل الراجح ويعلو مقابله والمراد بامته من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن آمن به وهم امة الاجابة اومن وجد فى عهده وهم امة الدعوة فمن فسره بالاول يعلم الثانى منه بالطريق الاولى وعدم الاعتداد بغيرهم ويجوز ارادة الثانى وهذا الوزن الظاهر ان المراد منه مجرد المقابلة بين كماله صلى الله تعالى عليه وسلم وكما لاتهم بحسب النظر العلمى ومنهم من ذهب الى انه على ظاهره وحقيقته وان لم يعرف كيفيته الا انه يحتاج لتأويله لان الامة لم يكونوا موجودين فقيل المراد منهم ارواحهم وان الله اطلعهم على ذلك وانما ذكروه ليطلع على ذلك ويعلم به امته ثم انه وقع فى هذا الحديث اختلاف فى رواية ابى ذر رضى الله تعالى عنه ان الوزن قبل الشق وانه ابتدأ فى الوزن بالواحد ثم العشرة واختار المصنف هذه الرواية لان الرجحان بما اودعه الله تعالى فيه بعد اماطة ما لاوزن له عند الله وفيه ايضا انه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه وقال شيخ والدى الشهاب ابن حجر الهيثمى انه وقع فى بعض الروايات انه ولد بخاتم النبوة فان الحاكم روى بسند حسن عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن بعض الاحبار انه قال ولد فى هذه الليلة يعنى ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فيه شعرات وفيه دليل على انه ولد بخاتم النبوة لكن جاء بسند اصح من هذا ان الملكين لما شقا صدره الشريف ختماه بخاتم النبوة ويمكن الجمع بانهما ختما ذلك المحل الثانى عند الوضع بعد ختمه اولا اشارة الى زيادة الاعتناء والتشريف ثم رأيت من جمع بينهما بانه كان فى موضعين على الكتف وبين كتفيه وروى بسند ضعيف انه رفع بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم واعلم ان بعض الشراح قال ان الشق والغسل فى ذلك ليس مخصوصا به صلى الله تعالى عليه وسلم بل كان لسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام لما روى انه كان فى تابوت السكينة الطست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام (ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها) اى لغلبهم فى الوزن لاعادلهم وباب المغالبة معلوم من كتب الصرف وفى هذا الحديث دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من جميع

الناس واقواهم شجاعة و قدرة على الجماع وعلما وفطنة كما مر لما اودع فى قلبه صلى الله تعالى عليه و سلم مما لم ينله غيره (قال فى الحديث ثم ضمونى الى صدورهم) اى عانقونى اظهارا لمحبتهم وتكريمهم لى (وقبلوا رأسى ومابين عينى) بتشديد الياء للتثنية وفيه استحباب تقبيل الرأس ومابين العينين لمن ينبغى محبته واكرامه اظهارا لذلك (ثم قالوا يا حبيب) بالبناء على الضم واصله ياحبيب الله (لم ترع) بضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة وعين مهملة اى لم تخف وتفزع وهو مبنى للمجهول اى حصل لك من قوة القلب مالايعتريك بعده خوف من شئ والمراد تطمين قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما وقع من الشق له ثم استأنف بجملة مؤيدة لما قبلها فقال (انك لو تدرى مايراد بك من الخير) اى مايريده الله لك من الكمال والخير الدنيوى والاخروى (لقرت عيناك) اى لسررت سرورا عظيما وقد مر ان قرة العين الفرح وهو ضد سخنت فهو من القر بمعنى البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حر اومن قر بمعنى ثبت وسكن طرفه لانه لم يبق له شئ يطمح له عينه وينظره (وفى بقية هذا الحديث من قولهم) اى من قول هؤلاء الملائكة وهو موافق لكونهم ثلاثة كما مر (ما كرمك على الله) تعجب من وقعه صلى الله تعالى عليه و سلم وكرامته عند ربه (ان الله معك وملائكته) بعنايته وفضله وليس فى قوله من قولهم مايقتضى انه مشتمل على مقولهم ومقول غيرهم كما قيل (قال فى حديث ابى ذر) المشهور المذكور اولا وهذا الحديث رواه الدارمى (فما هو) اى فعلهما بعد ذلك وما نافية وقيل الضمير للشان وهو على حد قولك لم يلبث فلان ان فعل كذا والمراد السرعة (الا ان وليا) اى رجعا وانصرفا عنى بعد فعلهما ومقالتهما السابقة (فكانما ارى الامر معاينة) المراد بالامر هنا ما اكرمه الله وماسيكرمه به من مقدمات النبوة وارهاصاتها و مازاد فى فطنته وعلمه ولتحققه لذلك جعل كالمحسوس المرئى ببصره وليس المراد به القصة المذكورة من مشاهدة الملكين ومافعلاه كما توهم وقد اتى بخبط وخلط فى تفسيره لاطائل تحته (وحكى ابو محمد مكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما) تقدم ترجمتهما والكلام عليهما (ان آدم عليه الصلوة و السلام عند معصيته) اى اكله من الشجرة وسيأتى الكلام عليه فى عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهذا الظرف متعلق بقوله (قال) ومقوله (اللهم بحق محمد) اى بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة وهذا الحديث رواه البيهقى والطبرانى عن عمر رضى الله عنه بسند فيه ضعف وفيه دليل على انه يجوز ان يقال فى الدعاء بحق الانبياء ونحوه خلافا لمن افتى من علماء العصر انه لايجوز ان يقال مثله لانه ليس لاحد على الله حق وقد وقع مثله فى احاديث كثيرة ومعناه مامر (اغفرلى خطيئتى و يروى وتقبل توبتى فقال له الله من اين عرفت محمدا فقال رأيت فى كل موضع من الجنة) رأى هنا بصرية

(مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله) نائب فاعل اسم المفعول (ويروى محمد عبدى ورسولى) بدل رسول الله (فعلمت) بما رأيته من كتابته واقتران اسمه باسمك (انه اكرم خلقك) اى مخلوقاتك (عليك فتاب الله عليه وغفر له) لتوسله الى الله بحبيبه وصفيه وبما علمه من ذلك (وهذا) اى الحديث المذكور (عند قائله) اى عند من رواه واعتمده وهو مكى رحمه الله تعالى ومن سبق ذكره وليست الاشارة لقول آدم عليه السلام اللهم الى آخره كما قيل (تأويل قوله تعالى) اى تفسيره لان التأويل يرد بمعنى مطلق التفسير وبمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل مأثور ويكون ايضا بمعنى مايؤل اليه ويتحقق به فى الواقع وهو اصل معناه (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا فيه خفاء لان معنى تلقيها من الله اخذها منه بغير واسطة والمذكور انه رآها مكتوبة فى الجنة فكانه جعل الهام الله له الدعاء بمنزلة تلقيها عنه وقيل انه على قراءة ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات ومعنى تلقيها استغناؤها باخذها والعمل بها حين علمها واشار بقوله عند قائله الى ان فيه اقوالا اخر فقيل الكلمات المتلقاة هى * ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفرلنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين * وقيل * اللهم لا اله الا انت سبحانك و بحمدك انى ظلمت نفسى فاغفرلى فانك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم * فسقط ماقيل انه ليس فيه على هذه الرواية انه تلقى من الله و الكتابة لاتسمى كلمات الا مجازا ولا قرينة تدل عليه قيل وفيه دلالة على ان آدم عليه الصلوة و السلام كان يعلم الكتابة وسؤال الله له بقوله من اين الى آخره ليس استفهامه على حقيقته لعلمه به وانما هو تشريف له بخطابه وليبين له فضيلة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عقبه (وفى الرواية الاخرى قال فقال آدم عليه الصلوة والسلام لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) فيه خبر مقدم ومكتوب مبتدأ مؤخر صفة شئ مقدر ولا اله الا الله الى آخره بدل منه اوهو مبتدأ مكتوب خبره وفى بعض النسخ وفى رواية الآجرى بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة وياء نسبة نسبة للآجر المعروف وهو الامام القدوة ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة شيخ ابى نعيم سكن مكة وتوفى بها فى المحرم سنة ستين وثلثمائة (فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) ملازما لمقارنته قيل هذا فى الرواية الاولى ظاهر اذ فيها فى كل موضع واما هنا فهو فى موضع واحد واجيب بانه يحتمل ان الرواية الاولى زيادة على هذه وتركها لئلا يتكرر ولايخفى بعده ولاحاجة الى مافهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة فى هذا المحل العظيم تكفى فيما قاله قلت ومن هذا الحديث يؤخذ ان كتابة اسماء الله ونحوها

فى سقوف المساجد وغيرها غير مكروهة كما وهم فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى (انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك) فروحه صلى الله تعالى عليه وسلم مخلوقة قبل الارواح والانبياء كلهم خلقوا لاجله ووجوده سبب لوجودهم فهو اب معنوى لهم وكلهم اتباعه فى الوجود قبل قوله فاوحى الله اليه يقتضى ان هذا الخطاب وحى لامشافهة وقوله لما خلقتنى قبله يدل على خلافه وقد يقال انه خاطبه اولا واوحى اليه بعد ذلك مع ان الداعى مخاطب ربه وان لم يخاطبه فلا يدل كلامه الاول على ان كلام الله معه بدون وحى وقال (وكان آدم عليه الصلوة والسلام يكنى بابى محمد وقيل بابى البشر) كما رواه البيهقى عن على كرم الله وجهه مرفوعا والثانى اشهر (تنبيه) قوله ولولاه ما خلقتك خلاف اللغة فانها فى الاكثر تليها ضمير رفع منفصل بحذف خبره وجوبا اذا كان عاما وقد يكون مخصوصا فيذكر على قول ويليها ضمير مجرور صورة كما هنا قليلا فيقال لولاى ولولاك ومنعه المبرد رحمه الله تعالى واجازه غيره فقيل انها حرف جر وقيل انه نائب عن المرفوع واتصل بغير عامله ومنعه سيبويه بمنع النيابة فى غير الضماير المنفصلة وغيره يجيزه مع الحروف والافعال كما تقرر فى محله وعليه الزمخشرى (وروى عنه سريج بن يونس) بضم السين وفتح الراء المهملتين وياء مثناة تحتية وجيم وصحفه بعضهم بشين معجمة وحاء مهملة وهو غلط وهو ابو الحارث البغدادى امام الحديث توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وروى له مسلم والبخارى (انه قال) ان كان الضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المعلوم من السياق فهو ظاهر وان كان لسريج فهو فى حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالرأى (ان لله تعالى ملائكة سياحين) من السياحة من ساح الماء اذا جرى ثم شاعت فى السير الطويل والمشى فى الارض والسفر من غير مقصد معين للنظر فى المصنوعات ونحو ذلك (عبادتها) اى الملائكة وانث نظرا لظاهر لفظه او لتأويله بطائفة وعبادتها بتاء الوحدة ففيه مضاف مقدر اى حفظ (على كل دار فيها) من اسمه (اسمه احمد او محمد) او دخول كل دار ونحوه وضبط ايضا مثناة من تحت والمراد بالعبادة الزيارة وقدم احمد لانه مسمى به قبل محمد ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم معروف به عند الملائكة او للترقى (اكراما منهم) اى زيارتهم لاجل الاكرام وقال منهم لئلا يتوهم انهم اتوا باكرام من غيرهم وانهم رسل فى ذلك والا فهو حشو ويأتى ان اهل مكة ونقل ايضا عن اهل المدينة يقولون كل دار فيها من اسمه محمد يوسع الله رزقهم وهو عن تجربة منهم وقيل هذا لا يختص بهذين الاسمين بل كل من تسمى باسم من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك وفيه نظر (وروى ابن قانع القاضى) بقاف ونون بعد الف وعين مهملة وهو عبد الباقى ابن قانع بن مرزوق الاموى البغدادى صاحب معجم الصحابة وكتاب القوم وترجمته فى الميزان وهو ثقة فى الرواية الا انه قبل

انه تغير فى آخر عمره وتوفى سنة احدى وخمسين وثلثمائة قال البرهان كان على المصنف ان يذكر تقدم السند من بن قانع الى قوله (عن ابى الحمراء) حتى يعرفه ويعرف ابا الحمراء واعتذر بانه لم يلتزم الاسناد فى كتابه وانما اشترط ما صح عنده واشتهر والظاهر انه استغنى عنه بروايته عن بن قانع لانه ذكره مسندا فيه وقد اسنده الطبرى ايضا وفى بعض النسخ ابن نافع بالفاء وهو الفقيه صاحب الامام مالك وهو وهم وتحريف وابو الحمراء بحاء مهملة وميم وراء مهملة ممدود قال البرهان ولا يعرف من المراد به فان ابا الحمراء الصحابى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال ابن الحارث او ابن ظفر اخرج له ابن ماجة حديثا غير هذا وكان بحمص وقال يقال له صحبة ولا يصح حديثه ومن الصحابة ابو الحمراء مولى ال عفراء البدرى ولا يعرف له رواية ولا يعرف فى التابعين من اسمه ابو الحمراء ولا فيمن بعدهم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسرى بى الى السماء اذا) هى فجائية اى صادفت فجأة (على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) العرش فى اللغة سرير الملك وعرش الرحمن غير السموات وهو سقف الجنة وهل هو الكرسى او غيره فيه خلاف ليس هذا محله وكون اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوب مع اسم الله على العرش وفى الجنة ورد فى احاديث كثيرة والظاهر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عرف تلك الكتابة بالهام من الله او بذكر جبريل عليه الصلوة والسلام لها او غيره من الملائكة قالوا له هذا اسمك مكتوب هنا فلا يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم امى لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم ما فى ذلك (ايدته بعلى) كرم الله وجهه فى حياته لما له من الصحبة القديمة والآثار العظيمة فى غزواته معه والتأييد التقوية والنصر ولا يلزم من هذا تفضيله على غيره من الخلفاء كابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ولان تأييدهما له اعظم ولعل لتخصيصه هنا وجه لا يقف عليه الا الانفس القدسية (وفى التفسير) اى فى كتبه ولم يعين المنقول عنه لوجوده فى كثير منها (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) رواه الخطيب عن مالك وورد مرفوعا عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه واخرجه البزار موقوفا عن على وعمر رضى الله تعالى عنهما والبيهقى فى الشعب (فى) تفسير (قوله تعالى وكان تحته) اى الجدار الذى اقامه الخضر عليه الصلوة والسلام (كنز لهما) لليتيمين (قال) اى ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالكنز وهو المال المدفون (لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا) منصوب بفعل محذوف وجوبا اى اعجب عجبا واللوح بفتح اللام وقد تضم صحيفة مبسوطة (لمن ايقن بالقدر) اى تيقن قضاء الله وقدره وانه لا يكون الا ما قدر وما قدر لا بد ان يكون فلتضمينه معنى امن عداه بالباء واليقين الاعتقاد الجازم (كيف ينصب) بفتح اوله وثالثه من النصب بصاد مهملة وهو التعب والاستفهام للتعجب الانكارى اى كيف يتعب نفسه فى تحصيل

رزقه وماقدر له لايتخلف عنه مقدار ذرة ولحظة وللقاضى ناصح الدين الارجانى

* ياقلب تخل من هموم وشجون * باد ر فرص الزمان من قبل تخون *
* لاتأس فان حملك الهم جنون * ما قد ر ان يكون لابد يكون *

(عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك) اى من تيقن وجود النار وعلم انه لايخلو من زلة يعاقب عليها فكيف لايخاف منها و يكون ضاحكا مسرورا وهو لايعلم اشقى هو ام سعيد والموت اقرب له من حبل الوريد (عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها) اى تغيرا حوالها فى كل حين قال الراغب التقلب التصرف قال الله تعالى * او يأخذهم فى تقلبهم * فالباء بمعنى فى اومع اى تصرفها فى اهلها اوتغيرها وتغيراهلها (كيف يطمئن) قلبه و يركن (اليها) بعدمارأى منها وشاهد (انا الله لااله الا انا) فله الحكم والامر و بيده كل شئ فى قضية تصرفه (محمد عبدى و رسولى) ارسلته للناس كافة و هذا التفسير يشعر بانه حديث قدسى او حاه الله لبعض انبيائه و قد ذكره القرطبى فى تفسيره بهذا اللفظ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجب لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب عجب لمن آمن بالموت كيف يفرح عجب لمن آمن بالحساب كيف يغفل عجب لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لااله الا الله محمد رسول الله انتهى وعجب فى هذه الرواية مرفوع بالابتداء كسلام عليكم وهذه رواية عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل الكنز مال وقيل غير ذلك

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على باب الجنة مكتوب انى انا الله لااله الا انا محمد رسول الله من قالها) اى من نطق بكلمة الشهادة مؤمنا مخلصا (لااعذبه) و ان ارتكب الذنوب وهذا كقوله تعالى * لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا * وقدورد مثله كثيرا فى الاحاديث الصحيحة (وذكرانه وجد) بالبناء للمجهول فيهما ولم يذكر فاعلهما لعدم وقوفه عليهما ولاينا فى هذا انه ذكرهنا ماصح اواشتهر لانه باعتبار الاغلب وكونهما مبنيين للفاعل و الضمير المستتر لابن عباس كما قيل يحتاج النقل (على الحجارة القديمة) اى الموجودة قبل عصر النبوة لان الكتابة لوكانت جديدة بخط هذه الامة لم تكن دالة على مانحن فيه (مكتوب محمد تقى) اى ممتثل لاوامر الله مجتنب لنواهيه صلى الله تعالى عليه وسلم (مصلح) لجميع الناس بهدايتهم لكل خير وسعادة وللدنيا بعدله (وسيدامين) على الوحى وغيره كما تقدم (وذكر السمنطارى) بسين مهملة وميم مكسورتين ونون ساكنة وطاء مهملة بعدها الف وراء مهملة وياء نسبة مشددة قال صاحب القاموس فى تاريخ المدينة انه نسبة لسمنطار قرية من جزاير الغرب وقيل هو الذهبى بلسان اهل المغرب وهو ابو بكر بن عتيق بن على احد عباد الجزيرة وزهادها وله كتاب الرقايق فى اثنى عشر

مجلدا كبيرا لم يسبق لمثله ومنه نقل المصنف هذا الحديث انتهى وقال التلمسانى انه من الاجلة وله تأليف فى فنون العلم فمن قال لم ارله ترجمة و نحن فى غنية عمانقل عنه من الغريب فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع (انه شاهد فى بعض بلاد خراسان) هو اقليم معروف قيل وقد تسكن راؤه وتحذف الفه وفى الزاهر لابن الانبارى معناه مطلع الشمس لان خور بالفهلوية معناه الشمس (مولودا ولد) اى حين ولادته وخروجه من بطن امه فلايتوهم ان وصف المولود بانه ولد من اللغو (وعلى احد جنبيه) اى شق بدنه وصفحته (مكتوب لااله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون) المراد بهم المورخون الذين لهم اعتناء باخبار الامم السالفة ولما كان الاخبار جمع خبر وهو عام مخصوص بهذه الطائفة نسب للجمع لمشابهته العلم كانصار وانصارى ولولا هذا رد فى النسبة لمفرده كسائر الجموع المنسوب اليها (ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لااله الا الله محمد رسول الله) اى مكتوب فيه بلون ابيض عكس المشهور من كتابة الالوان فى البياض للدلالة على انه ليس من صنع البشر وهذا كقول الابوصيرى فى مطلع قصيدة له * كنت المشيب بابيض فى اسود * بفضاء لعين الحساد الخرد * وقدذكر ابن العديم فى تاريخه حكايات كثيرة منها انه وجد ببلاد الهند مثله فى الثمار والاوراق و ان الصيادين رأوا مثله فى السمك واعلم ان مااشتهر من ان الورد الاحمر خلق من عرق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اومن عرق جبريل عليه الصلوة والسلام موضوع كما نقله ابن حجر عن النووى والذهبى وابن عساكر وكذا ما فى الفردوس من ان الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق وعن انس رضى الله تعالى عنه يرفعه قال لما عرج بى الى السماء بكت الارض من بعدى فنبت اللصف وهو الكبر من مائها فلما ان رجعت قطر من عرقى على الارض فنبت وردا احمر الا من اراد ان يشم رايحتى فليشم الورد الاحمر والورد كما قاله ابو حنيفة الدينورى نور كل شجرة وزهر نبت ثم خص بهذا الورد المعروف فقيل لاحمره الحوجم ولابيضه الوتير وفى شرح سقط الزند الورد ما يضرب الى الحمرة يقال اسد ورد وعنبر ورد ودم ورد اى احمر والورد المشموم ليس بعربى فى الاصل الا ان العرب تسمى الزهر وردا انتهى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ينادى مناد فى الموقف لايبقى من كان اسمه محمدا فليدخل الجنة لكرامتى يأتى شرحه فيما بعده وفى رواية يقول الله له عبدى لم تستحى منى اذ عصيتنى واسمك محمد وانا استحيى ان اعذبك واسمك اسم حبيبى اذهبوا به الى الجنة والى هذا اشاره فى البردة بقوله * فان لى ذمة منه بتسميتى * محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم (وروى عن جعفر بن محمد) هو جعفر الصادق وقد تقدمت ترجمته ومحمد هو

محمد الباقر وقد تقدم ايضا (عن ابيه) ابوه محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب (اذا كان) هى تامة بمعنى وجد (يوم القيامه نادى مناد) من الملائكة امره الله بالنداء بقوله (الاليقم من اسمه محمد) الاحرف استفتاح وتنبيه والمراد بالقيام الانفصال عن معه ليمتاز عن غيره ممن لم يسم بهذا الاسم كمان من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم فهو استعارة او مجاز مرسل اريد به لازمه او كناية وليس هذا امر تسخير للاموات قبل احيائهم اى ليقوموا من قبورهم او لمن قعدوا فى ارض المحشر لما عرض له من الاهوال وطول القيام فانه بعيد من السياق ويأباه قوله (فليدخل الجنة) لانه مؤمن شرفه الله بهذا الاسم اذ لم يعهد لتسمية احد من الكفار بعد بعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (تكرامة اسمه عليه الصلوة والسلام) وهذا من تمة الحديث فهو من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما علم من الرواية المتقدمة ولم يقل باسمى التفاتا او تجريدا او هو مايدرج فيه من كلام جعفر رضى الله تعالى عنه وعلى الاول هو من كلام المنادى وليس هذا مما يقال بالرأى فهو حديث له حكم الرفع وماقيل من انه يؤدى الى الاتكال وعدم العمل مما لايلتفت اليه وقد تقدم تتمته قريبا (وروى ابن القاسم) فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وهو من الثقات توفى سنة احدى وتسعين ومائة (فى سماعه) اعنى كتابا له فى مسموعاته عن شيوخه (وابن وهب) ابو محمد عبد الله بن وهب تفقه بمالك وروى عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير وكان اسن من ابن القاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين (فى جامعه) وهو اسم كتاب له الفه على الابواب بخلاف ماالفه على الصحابة فانه من المسانيد (عن مالك) محيى السنة وامام دار الهجرة الامام المشهور رحمه الله تعالى (قال سمعت اهل مكة يقولون مامن بيت فيه اسم محمد) اى مسمى باسمه او المراد ظاهره لانه لايكون الاسم بدون مسماه (الا نمى) اى زاد ذلك البيت بكثرة الاولاد والاهل فيه وزادت البركة فيه (ورزقوا) اى زادالله رزقهم ببركة ذلك الاسم وفى نسخة الا وقد وقوا من الوقاية اى حفظهم الله من كل سوء واسم محمد يحتمل ان يكون اضافته بيانية اى اسم هو محمد فيختص بهذا الاسم او لامية اى اسم من اسماء هذه الذات فيشمل جميع اسمائه وفى نسخة (ورزق جيرانهم) جمع جار وهو لغة الملاصق وشرعا الى اربعين دارا ويحتمل ارادة هذا ايضا لان بركته تعم جميع الدنيا (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث مرفوع مسند كما قاله السيوطى وذكر سنده (ماضر احدكم) ما نافية واحدكم مفعول ضر (وان يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلاثة) فاعله فى محل رفع ولايصح كونها موصولة ونفى الضرر المراد به وجود النفع ولكن هذا يستعمل للحث بمعنى اولم يكن فيه ضرر

كنى سببا فكيف وفيه نفع عظيم واى نفع ويجوز ان يكون استفهامية وان يكون مجرورا بحرف مقدر اى اى شئ حصل له من الضرر لكونه فى بيته وتوهم بعضهم انه لايصح لان ان يكون فاعله فتبقى الجملة التى هى خبر عنها بلاعائد فيها وعندى انه احسن لقول الناس ماضرك لو صليت لمن ترك الصلاة وهذا فيه حث عظيم حتى لايتركه الالمانع وضرر والاستعمال عليه وكون الضرر باعتبار الالتباس فى تعدد المسمى باسم اشتقاق مما لايلتفت اليه وفى بعض النسخ (وعن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مااجتمع قوم فى مشورة) بفتح الميم وضم الشين المعجمة ويجوز سكونها اى فى امر يتشاورون فيه (معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه فى مشورتهم الا لم يبارك لهم) رواه جماعة منهم ابن عتاب (لان من تسمى به يبارك الله فيه وتلقى الرأى السديد ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اعرض عنه كان بضد ذلك (وعن عبد الله بن مسعود) فى حديث رواه احمد والبزار والطبرانى بسند رجاله ثقات وهو وان كان موقوفا له حكم الرفع لان مثله لايقال من قبل الرأى كما اتفق عليه فى مصطلح الحديث اكثر المحدثين (ان الله نظر الى قلوب العباد) ومافيها من العقل وقيل المراد ارواحهم لان القلوب تطلق عليها (فاختار منها قلب محمد) اى اصطفاه وارتضاه (فاصطفاه لنفسه) اى جعله صفيا له مقربا عنده مختصا به لاتعلق له بغير الله فى ظاهره وباطنه ولذا جعله محلا لسره ومبلغا لاوامره ونواهيه وهذا كله على طريق التمثيل فهو استعارة اى عامله معاملة عظماء الملوك الذين ينتخبون من الناس من يكون وزيرا مخزنا لاسرارهم والمراد ان روحه وقلبه اشرف مما عداه فلذا كان مقربا عنده وخليفة له وفى اطلاق النفس على الله من غير مشاكلة كقوله تعالى * ويحذركم الله نفسه * وادعاء انه مشاكلة تقديرية تكلف فقول اهل المعانى انه لايطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعالى * تعلم مافى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك * غير صحيح وجمع بين القولين بعض المحققين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم ومايلزمه من النفس اللوامة والامارة وهذا لايطلق عليه الا مشاكلة (وحكى النقاش) ابو بكر محمد بن الحسن المفسر المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت) آية (وما كان لكم) اى لاينبغى لكم ولايحل ولايجوز (ان تؤذوا رسول الله) باى اذية كانت (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده) اى من بعد موته (ابدا) لان حرمتهن مؤبدة وهى امهات المؤمنين حتى قال الشافعى رضى الله تعالى عنه من استحل ذلك كان كافرا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى لم تزل عصمته عنهن وهى معه فى الجنة وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال وسبب نزول هذه الآية ان بعض المنافقين قال ان مات محمد تزوجت عائشة وما قيل ان القائل ذلك طلحة احد العشرة المبشرة وانه ندم

فحج ماشيا واعتق رقبة وحمل على عشرة افراس فى سبيل الله كفارة لمقالته لايصح لان مثله لايصدر عنه مثل ذلك بل لايصدر ممن دونه بطبقات (قام خطيبا) على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اذا بلغه ما لا يجوز واراد اعلام الناس به (فقال) فى خطبته (يامعشر اهل الايمان) المعشر الجماعة (ان الله فضلنى عليكم تفضيلا) عظيما تفضل به على الامة (وفضل نسائى على نسائكم تفضلا الحديث) لانهن افضل من جميع نساء عصره وفى فضل بعضهن على بعض كلام ليس هذا محله واشار به الى عدم كفاءة احدلهن وان كان الله خصه بانه لايجوز لاحد نكاح زوجاته لامر

﴿ فصل فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم لما تضمنه كرامة الاسراء ﴾ اى ما اشتملت عليه قصة الاسراء ووقع فى ضمنها مما فضله الله به على سائر الرسل عليهم السلام والمراد ما اكرمه الله به من خارق العادة وليس المراد به مايقابل المعجزة فانه من اعظم معجزاته وقد اعلم به وبما فيه من فضله ولك ان تقول المراد به ظاهره لانه امر لايطلع عليه غيره وماهو كذلك لايتحدى به ولذلك عبر المصنف بالكرامة والباء للتعدية اوالسببية والاسراء مصدر اسرى ويقال سرى واسرى اذا سار ليلا واختلف فيهما فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق فقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار من آخره وقيل العرب تقول سرى ليلا اذا سار بعضه واسرى ليلة اذا سار جميعها ولايقال اسرى ليلا الا اذا وقع سيره فى اثنائه فاذا وقع فى اوله قيل ادلج فمعنى اسرى بعبده ليلا انه فى وسطه واسرى متعد ومفعوله محذوف هنا اى اسرى البراق وقيل انه لازم لسرى وانهما متغايران معنى كما مر ولفظا لان سرى من السرى واسرى من السراة وهى الظهر فمعنى اسرى به ذهب به فى سراة الارض وهى ظهرها كذا فى المفردات ويدل على تغايرهما اتفاقهما على التعبير بالاسراء هنا دون السرى واتفاقهم على القراءة به فصار معناه سيره الى بيت المقدس فالاسراء غير المعراج كما سيأتى ثم بين ما تضمنه بقوله (من المناجاة) وهى الكلام سرا لان السر يقال له نجوى وتخص المناجاة فى العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (والرؤية) اى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه يعنى ببصره اورؤيته ما فى الملأ الاعلى العجايب ورأى اذا كانت بصرية مصدرها رؤية واذا كانت علمية مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقادية مصدرها رأى * وقال السهيلى الرؤيا تكون بمعنى الرؤية ايضا وله شواهد فى كلام العرب وعليه قول المتنبى * ورؤيا ك احلى فى العيون من الغمض * فلا يرد عليه شئ كما توهم ومايقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة مايرويه (وامامة الانبياء) اى صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء اماما لهم فانه يدل على تفضيله عليه الصلوة والسلام ولذا استدل على تقديم ابى بكر رضى الله تعالى عنه فى الفضل بتقديم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له فى الصلوة

فى مرض موته وقالوا الا ترضى لدنيانا مارضيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لديننا (والعروج به الى سدرة المنتهى) العروج بمعنى الصعود فى جهة العلو وفعله عرج يعرج كقتل يقتل ويأتى فى الحديث عرج بى بفتحتين وقال المصنف رحمه الله تعالى انه بضم العين وكسر الراء ومنه المعراج والمعراج بكسر الميم وهو السلم ذو الدرج وجمعه معارج ومعاريج وللسماء معراج تصعد فيه ارواح الموتى وهو الذى يشخص اليه بصر المحتضر لما يرى من نوره وحسنه فاذا رآه لم يتمالك روحه ان تخرج وبه تصعد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذى المعارج فالاسراء سيره صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس والمعراج صعوده للسماء وهو مصدر ميمى او اسم السلم اطلق عليه او فيه مقدر وقد يطلق الاسراء على جميع الاسراء والمعراج ويطلق المعراج على كل ذلك مجازا فقيل انه تغليب وفيه نظر والسدرة شجرة معروفة وهى شجرة النبق وقيل للتى فى الجنة سدرة المنتهى وهذه الشجرة فى السماء السابعة وقيل فى السادسة واقتصر عليه المصنف رحمه الله فيما يأتى وجمع بينهما بان اصلها فى السادسة واعلاها فى السابعة ويأتى ان نبقها كقلال هجر وان اوراقها كآذان الفيلة وانه يغشاها نور من الله وفراش من ذهب وانه يسير الراكب فى ظلها مائة عام ويخرج من اصلها انهار اربعة منها النيل والفرات وانه انما سميت سدرة المنتهى لانه ينتهى اليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها وقيل انه ينتهى اليها علم الخلايق فلا يعلم وراءه او منتهى الملائكة فلا يتجاوزونها وقيل لان من وصل اليها انتهى لاقصى الكرامة الى غير ذلك من الاقوال (وما رأى من آيات ربه الكبرى) ما موصولة عائدها مقدر اى رآه او مصدرية والكبرى مفعول رأى ومن آياته بيان مقدم عليه او هو صفته لا آياته ومن تبعيضية او زائدة وآيات الله كل ما رآه مما يدل على عظمته او جبريل على صورته الاصلية او مايغشى السدرة من الانوار التى لايمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو رفرف اخضر سد السماء والرفرف مايسمى بالفارسية سايبان وقيل انه بساط (ومن خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ماخصه الله به من دون الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع ماله من المعجزات التى تساوى معجزات سائر الانبياء كما فصل فى محله (قصة الاسراء وما انطوت عليه) اى احتوت عليه وتضمنته (من درجات الرفعة) اى العلو فى الرتبة والدرجة المرقاة الحسية فشبه ما اعطيه من المراتب المعنوية بالمراقى الحسية واستعار لها اسمها استعارة مصرحة (مما نبه عليه فى كتابه العزيز) فى سورة الاسراء وسورة النجم (وشرحته) اى كشفته وبينته (صحاح الاخبار) وفى بعض النسخ صحايح الاخبار وكلاهما جمع صحيح قال فى القاموس يقال صح يصح فهو صحيح وقوم صحاح بكسر الصاد وصحايح انتهى وصحاح بفتح الصاد بمعنى صحيح او مصدر بمعنى الصحة وهو من اضافة الصفة للموصوف اى الاخبار الصحاح وهى

مارواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة كما فصل فى مصطلح الحديث (قال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية) وقد مر الكلام على لفظ الاسراء وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة فاذا اضيف قصد تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وانكره بعضهم بناء على انه غير معين فلا يتصور تنكيره وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا نكر صرف وانكر بعض النحاة علميته وخطأ من قال به كما ذكره ابو على فى تذكرته والكلام فيه طويل الذيل فسبحان مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه او اسم مصدر وابتداء السورة والقصة به لانه لما ذكر الاسراء والرؤية ربما توهم ان الله تعالى فى جهة فنزهه عن ذلك وهى مع التنزيه تدل على التعجب ولما كذبوه فى الاسراء نزهه الله عن الكذب وعجب عباده فى نسبته لذلك وما انعم عليه من النعم التى خصه بها قيل ويحتمل ان يكون بمعنى الامر اى سبحوه تسبيحا وقال ليلا اى فى مدة قليلة ولذا ذكره ونكره مع ان السرى يختص به كما مر وقال بعبده لان صفة العبودية اشرف الصفات واضافه له تشريفا وايماء الى انه مجرد بدخول سرادق العز والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون لمطلق الحرم وكل منهما صحيح هنا واسراؤه به صلى الله تعالى عليه وسلم كان من الحجر وهو نائم به وروى انه كان فى بيت امهانى وجمع بينهما بان جبريل اتاه فى بيت امهانى فايقظه جبريل عليه الصلوة والسلام وذهب به الى الحرم ثم تباطأ لجبته فنام فى الحجر والمسجد الاقصى بيت المقدس سمى به لبعده عن المسجد الحرام وضمير انه هو لله اى هو السميع لما قيل فى حقه والبصير المطلع على احواله وقيل انه للنبى صلى الله عليه وسلم اى هو السميع لكلام ربه المشاهد لآياته (وقال عز وجل والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى) الواو للقسم والنجم عام لكل نجم او المراد به الثريا لغلبته عليه او المراد به نجوم القرآن المنزلة عليه وهوى بمعنى غرب او انقض او طلع او نزل عليه وحيه واقسم به لوقوع ذلك ايلا وله تعالى ان يقسم بما شاء او التقدير ورب النجم والكلام عليه مبسوط فى التفاسير اذا علمت ما ذكر من النص (فلا خلاف بين المسلمين فى صحة الاسراء به عليه الصلوة والسلام) بحسب النقل الشاهد له العقل والمسلمون يجمعون عليه وانما اختلفوا فى كونه يقظة او مناما كما سيأتى (اذ هو نص القرآن) تعليل لعدم وقوع الخلاف فيه بعد نص القرآن الذى لا يجحده مسلم (وجاءت بتفصيله) بعد ما اجمله النص (وشرح عجائبه) الواقعة فيه (وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) اى ما خصه الله به فى الاسراء (احاديث كثيرة منتشرة) وفى نسخة اخبار كثيرة ومعنى منتشرة انها متفرقة فى كتب الاحاديث باسانيد مختلفة (رأينا) من الرأى وهو النظر والتدبر فى الامور المهمة بعد ما رأينا جمعها يطول ويعسر (ان نقدم اكملها) اى الحديث الذى هو اكملها اى اجمعها لهذه القصة واصحها والمراد بتقديمه اختياره

كما فى قوله * فقلت له هاتيك لعمى انها * ولا تبتئس ان المهم المقدم * وهذا رواه مسلم فلذا جعله اصح من غيره بناء على رأى المغاربة من انه اصح من البخارى (ونشير الى زيادة من غيره) اى من غير هذا الحديث وقعت روايتها لغير مسلم وهى مهمة (يجب ذكرها حدثنا القاضى الشهيد ابو على) هو الحافظ بن سكره وقد تقدمت ترجمته (والفقيه ابو بحر) بالباء الموحدة المفتوحة والحاء المهملة الساكنة ابن القاص الامام المشهور (بسماعى عليهما) اى بسماعى ممن يقرؤ عليهما فان حدثنا يختص بالسماع عند الجمهور وبعضهم يجعلها تشمل السماع وغيره فذكر المصنف هذا لدفع توهم غيره (والقاضى ابو عبد الله التميمى) وهو محمد ابو عبد الله بن عيسى التميمى استاد المصنف الذى تفقه عليه واليه اشار بقوله وغيره واحد من شيوخنا والشيخ فى الاصل معناه الكبير سنا ثم صار فى العرف اسما لمن يقرؤ عليه الناس ويستفيدون الناس منه لانه فى الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الا من كبر سنه وكان فى العصر الاول يقال لابى بكر وعمر رضى الله عنهما شيخا الاسلام كما ذكره السخاوى (قالوا حدثنا ابو العباس العذرى) بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة والراء المهملة نسبة لبنى عذرة قوم من العرب مشهورون وفى بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناسخ قال (حدثنا ابو العباس الرازى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو احمد الجلودى) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابو سفيان) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم ابن الحجاج) صاحب الصحيح الامام المشهور قال (حدثنا شيبان) بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة والباء الموحدة (بن فروخ) بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة المضمومة وواو ساكنة وخاء معجمة وقال ابن حجر فى التبصرة انه بدون واو والذى نعرفه فى لغة العجم انه بالواو فان صح ما قاله فلعله تغير بعد التعريب ومعناه السعيد طالعه وهو علم غير منصرف للعلمية والعجمة وقول البرهان انه ضبط فى بعض النسخ بالتنوين خطأ لا ينبغى ذكره وكذا قول التلمسانى انه يصرف ولا يصرف وصرفه اكثر (وقال صاحب المعين انه اسم لابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وهو ابو العجم كما فى المطالع ونقله النووى فى شرح مسلم وتبعه صاحب القاموس وهو ابو محمد الحبطى الابلى روى له اصحاب السنن فهو امام ثقة توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا حماد بن سلمة) بن دينار احد اعلام المحدثين وهو ثقة صدوق لكنه قد يغلط توفى سنة سبع وستين ومائة ترجمته فى الميزان قال (حدثنا ثابت البنانى) بضم الباء الموحدة نسبة لحى من العرب يقال لهم بنانة ونونه مخففة وهو ابن اسلم رأس العلماء العابدين فى عصره توفى سنة سبع وعشرين ومائة وعمره ستة وثمانون وهو ثقة ثابت كاسمه خرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان (عن انس بن مالك) صاحب

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت بالبراق) بزنة غلام وهو من دواب الجنة سمى به لشدة بريقه ولمعانه اولسرعته كالبرق الخاطف كما مر (وهودابة) اى على صورتها وهى فى عرف اللغة ذوات الاربع واصل معناها وضعا كل مايدب اى يتحرك و يمشى من ذوات الارواح وهو يذكرويؤنث (ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل) اى فى الجثة وابيض خبر بعد خبر لاصفة دابة وطوله باعتبار مابين عنقه وذنبه لانه اعون فى مد خطوه وليس المراد طول قوائمه وقيل انه بادى البشرة خده كخد الانسان وعرفه كالفرس وقوائمه كالابل واظلافه وصدره كالبقر وصدره ياقوت لايشبه الدواب قال ابن المنير فى المقتفى انما اوتى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق تأنيسا له بجريه على العادة والله تعالى قادر ان يرفعه بغير شى واظهارا لكرامته فان عادة الملوك اذا دعو من يحبونه بعثواله بمركوب فى وفادته ولم يكن على شكل الفرس تنبيها على انه حال سلم لاحرب واظهارا للآية فى اسراعه العجيب ولبس شكله مما يوصف بالسرعة عادة ولذا ركب صلى الله تعالى عليه وسلم البغلة فى حنين اظهارا لثباته وشجاعته وتساوى الحرب والسلم عنده وبغلته بيضاء ايضا كالبراق وقال ابن المنير شهباء والاشهب المائل الى البياض والشاة البرقاء هى البيضاء ومنه البراق ويجوز الجمع فى التسمية بين البياض واللمعان والسرعة (يضع حافره عند منتهى طرفه) الحافر مجازا كالمشفر فان الحافر لايطلق لغير الخيل ونحوها وهذا له ظلف كما للبقر لكنه لقربه من البغل سماه حافرا ومنتهى مصدر بمعنى الانتهاء كما مر والطرف العين والمراد به النظر ولايلزمه ان يصل الى السماء بخطوة كما توهم (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فركبته حتى اتيت بيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال المخففة وتقدم انه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وانه من التقديس وهو التطهير واختلف هل ركب جبريل عليه الصلوة والسلام معه ام لا فقيل ركب معه لانه ورد فى بعض طرق هذا الحديث فما زلت على ظهره انا وجبريل وسيأتى التصريح به عن حذيفة وحينئذ فيحتمل انه كان خلفه ويؤكده ماتقدم فى عدة ممن اردفهم ويحتمل انه كان قدامه قال ابن المنير والاظهر اختصاصه بالركوب وقد صرح فى الحديث بان صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم كان على البراق ولم يذكران هبوطه كان عليه فقال الدميرى ان الله انزله بدونه اظهارا لقدرته وقيل انه هبط به ايضا ولكنه لم يتعرض له اكتفاء بذكر العروج (فربطته) اى البراق (بالحلقة) بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وهى معروفة واختلف فى فتح لامها فجوزه بعض اهل اللغة وجعله بعضهم خطاء وقال الليث بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة (التى تربط بها الانبياء) وروى به فى مسلم وفى الشفاء لتأويل الحلقة بشئ ونحوه وقالوا امر التذكير والتأنيث سهل وعبر بالمضارع حكاية

للحال الماضية ولم يبين اين كانت الحلقة فقيل كانت بباب المسجد الاقصى والذى فى حديث الترمذى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار جبريل عليه الصلاة والسلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق فيها وهذا هو المعروف ولااعرف ماقبله عمن نقل ولم يذكر المربوط وظاهر السياق انه البراق بناء على ان الانبياء كانت تركبه وهو الصحيح فان ركبه جميعهم فهو ظاهر والافيراد بالانبياء الجنس واثبت الجميع فعل البعض وهو جائز واحتمال ان المعنى تربط دوابهم بعيد وكون البراق قوى يمكنه قلع الحلقة بجذبه فلافائدة فى الربط لا يضر لانه مسخر لايخالف فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه واشارة الى مباشرة الاسباب وانها لاتمنع التوكل وكفاك شاهدا اعقلوا وتوكلوا (ثم دخلت المسجد) الاقصى وعطف بثم للتراخى الرتبى وجعل بعد مرتبة المسجد عن الارض التى ليست بمسجد بمنزلة البعد الحقيقى (فصليت فيه ركعتين) تحية المسجد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى قبل فرض الصلوة بالاسراء وفرض عليه صلوة اختلف فيها فقيل صلوة الليل وقيل صلوة بالغداة وصلوة بالعشى ونقله ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلوات الخمس فى الاسراء من غير تعيين اوقاتها فكانوا يصلونها متى ارادوا مجموعة ومفرقة ثم عينت اوقاتها بوحى من الله (ثم خرجت) من المسجد (فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن) وخيرنى فى شرب ايهما اردت (فاخترت اللبن) بأخذه وشربه (فقال جبريل اخترت الفطرة) وروى اخذت الفطرة الجبلة والطبيعة التى فطر الناس عليها وتكون بمعنى الاسلام والاستقامة اى مااخترته هو الموافق للخلقة الانسانية التى خلق الله الناس عليها وللطبايع المستقيمة فان اللبن شراب لذيذ وطعام نافع موافق للانسان سريع النماء ولذا كان غذاء للاطفال دون غيره وفى حديث آخر هديت وهديت امتك ولواخترت الخمر لغوت امتك وفى طريق آخر هدى الله بك او اصاب بك وروى ان الآنية كانت ثلاثا واناء فيه ماء وفى رواية اربع هى واناء فيه عسل والاصح مارواه المصنف وقال ابن المنير التخيير انما يكون بين واجبين كخصال الكفارة او مباحين كمجالس الحسن او ابن سيرين اومابين واجب وممنوع اومباح وممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سواء اريد اباحتهما والاذن فيهما جميعا اواريد الاذن فى احدهما لابعينه مشكل فما معنى تخييره حتى اختار احدهما وقول جبريل له اصبت الفطرة باختيار اللبن اى نبت الخلقة عليه وبه نبت اللحم ونشز العظم او اخترته لانه الحلال الدائم فى دين الاسلام واما الخمر فحرام فيما سيستقر عليه الامر والذى يرفع الاشكال ان يكون المراد تفويض الامر فى التحريم والتحليل الى اجتهاده الذى وافق فيه الصواب بناء على جواز الاجتهاد له فيما لم يوح اليه شئ وانه صلى الله تعالى عليه وسلم

معصوم فى اجتهاده بخلاف غيره انتهى واجاب غيره بان الخمر لم تحرم اذ ذاك
او انه كان فى السماء وليست دار تكليف اوهى من جملة خمور الجنة وليست محرمة
و يجوز ان يترتب عليها غى امته كما تترتب القبائح على بعض المباحات قال ابن المنير
واللبن فى الرؤيا يعبر بالعلم ففيه اشارة الى انه لما ملئ قلبه ايمانا وحكمة اردف ذلك
بالعلم وجعل شرب ذلك اللبن سببا لترادف العلوم عليه وشحن قلبه وقالبه بالانوار
والاسراء وان كان يقظة الا انه ربما وقع فى اليقظة اشارات على حكم الفال تعبر
كما يعبر المنام ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفال الحسن وجاء فى الحديث
انه قدم له الاناآن قبل العروج وجاء فى حديث آخر انه بعده و يجمع بينهما بان
تقديمهما له صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين وكرر جبريل تصويب فعله
تأكيدا التحذير مما سواه (ثم عرج بنا الى السماء) بفتح العين والراء اى عرج جبريل
وصعد وضمير بنا له صلى الله عليه وسلم والبراق اوهوله وجبريل وفى نسخة بى وفاعل
عرج البراق والباء للتعدية او المصاحبة وتقدم انه يجوز ضم العين وكسر الراء والسماء
هى السماء الدنيا هنا ولم يبينه لظهوره (فاستفتح جبريل) وهو اما بقرع لها او بصوت
قيل والظاهر الاول لانهم يعرفون صوته اى طلب فتحها من الملائكة الموكلين لها
(فقيل) الموكل بها (من انت) ايها المستفتح (قال) المستفتح انا (جبريل)
فهو جبريل مبتدأ مقدر هو انا او المستفتح وفيه اشارة الى ان من دق الباب ينبغى
له ان يسمى نفسه ولا يقتصر على قوله انا وان السماء لها ابواب تفتح خلافا للحكماء
المانعين للخرق والالتيام عليها (قيل ومن معك قال محمد) عطف على مقدر اى
جبريل ومن معك قيل انما استفتح لان معه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كان
وحده لم يحتج لاستفتاح وقيل انما استفتح تكريما وتأنيسا له وقال ابن المنير استفتاحه
لان ابوابها مغلقة ولم تفتح الا لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم تنويها بقدره ولو
صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك (قيل وقد بعث اليه) اراد الاستفهام فحذف الهمزة
للعلم بها واصله اوقد بعث اليه والنحويون يمنعون حذفها و يحمل كلامهم على انه
اذا لم يكن قرينة على الحذف والا فالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير فى المقتفى ولم يرد
بالبعث بعث النبوة والرسالة فانه كان معلوما لهم وانما المراد انه بعث اليه للمعراج وقول
ابن حجر انه يجوز ان يكون استفهاما عن اصل بعثته بالنبوة والبواب لم يطلع عليها
لاشتغاله بشأنه لا وجه له لان المراد بسؤاله بيان سبب موجب لفتح السماء له ومجرد
نبوته ليست تصلح للسببية الا انه يحتمل كونه تعجبا مما انعم الله به واستبشارا بعروجه وهذا
مع ما فيه احسن مما قاله ابن حجر وفيما ذكر دلالة على ان من اذن له فى شئ يقتضى
رفع الموانع عما اذن له فيه فمن اذن له بالبيع اذن له فى قبض الثمن والوكيل اذا اذن له
فى شئ اذن له فى لوازمه فلذا لم يطلب البواب الاذن له فى الفتح واذا (قال) جبريل

(قد بعث اليه ففتح لنا) بالبناء للفاعل او المفعول وفى بعض الطرق ان الخازن قال
له مرحبا به ولنعم المجئ جاء قال ابن المنير وفيه دليل على ان حاشية الملك اذا فهموا
منه اكراما وافدا ان يبشروه وان لم يؤذن لهم فيه وليس هذا من افشاء السر لانه تفرس
لرضاه به لان استدعاءه انما هو لاكرام فعجل له بالبشرى ثم افاد فائدة هنا جليلة
منقسمة الى متعبد به لا يقوم غيره مقامه وان ادى معناه كالاحرام بلفظ التكبير
والتشهد الى ما لا حجر فى لفظه فيقوم مقامه كل ما ادى مؤداه كدعاء الجنازة
والقنوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه وهذا انما يعلم من جملة الشريعة اذا
علمت هذا فالتحية بالسلام هل هو تعبدى من القبيل الاول او من الثانى فيقوم مقامه
ما يؤدى معناه كاهلا وسهلا ومرحبا ولذا كان بعض المتورعين لا يرد سلام من
لم يلفظ به ويقول ليس هذا بسلام يستحق الرد واكثر السلف والخلف على التسمح
فيه وهذا الحديث دليل لهم فان الملك حياه بمرحبا ونعم المجئ وكذا من لقيه من
الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم (واذا انا بادم
عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعا لى بخير) اى قال لى مرحبا بك اى جعل الله
تعالى مكانك رحبا واسعا وهو كناية عن اكرامه وبره واذا هى الفجائية وبدأ بادم
عليه الصلوة والسلام لانه اسبقهم وجودا (قال ابن المنير فى المقتفى اختلف طرق
المتكلمين على حديث الاسراء فى ذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وترتيبهم فى
السموات فمنهم من لم ير التكلم فى سره اصلا ومنهم من تكلم فيه من مشايخ
الصوفية وفيه كلام طويل افردنا برسالة لا يسع المقام تفصيله ثم اختلف هؤلاء فمنهم
من قال انما اختص من الانبياء بلقائه صلى الله تعالى عليه وسلم على عرف
الناس اذا لقوا الغائب مبتدرين للقائه فالغالب ان يسبق بعضهم بعضا ومنهم من
يصادفه ومنهم من لا يصادفه وهذه طريقة ابن بطال فى شرح البخارى وذهب بعض
شيوخ الاندلس الى ان ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وتمثيل لما سيتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم كما اتفق لهم مما قص الله
تعالى فى كتابه قالوا وهذا يرجع الى فن التعبير فمن رأى فى منامه نبيا كان ذلك دليلا
على حاله فادم عليه الصلاة والسلام تنبيه على الهجرة لخروجه من الجنة بعداوة
ابليس وحيلته كخروجه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة باذية قومه له وللمسلمين
وعيسى ويحيى عليهما الصلوة والسلام دليل على ما سيلقاه الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم من اذى اليهود لانهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى فرفعه الله اليه
وكذلك فعلت اليهود برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ داروا حول قتله وسموه
فى ذراع شاة كانت سببا للشهادة فى قصته المشهورة ويوسف دليل على ما فعل به
قومه مما كان سببا لرفعته وظفره عليهم ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه

عباس وابن عمه عقيل اذا فداهما وقال يوم فتح مكة اذ عفا عن قريش واطلق الطلقاء اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم الى آخره ففعل كما فعل يوسف عليه السلام وهارون دايل على عداوة قومه وان تنقلب بغضتهم مودة كما كان هارون عليه السلام محببا عند بنى اسرائيل حتى آثروه على موسى عليه السلام وادريس دليل على كتبه صلى الله عليه وسلم الى الآفاق لانه اول من خط بالقلم مع رفعته وعروجه وموسى دليل بفتحه عليه السلام مكة وقهر المستهزئين كما فعل موسى بالجبابرة وابراهيم فى اسناد ظهره للبيت المعمور كحاله فى حجه فى آخر عمره ولذا القيد فى آخر السموات انتهى وفيه اشارة الى حكمة الترتيب فى منازلهم ولقياهم وهذا مما ينبغى تأمله فانه مما تفرد به وللمشايخ فى ذلك كلام كما مر واشار اليه الشيخ فى فتوحاته وقد تقدم ان اليقظة فيها احوال كالمنام من الفال ونحوه تعبر كما يعبر الرؤيا ولعمر رضى الله تعالى عنه فى ذلك امور كثيرة كقوله اذ سأل رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال ممن قال من الحرقة اسم قبيلة فقال اين مسكنك قال بالحرة فقال اين انت منها قال من ذات لظى فقال ادرك قومك فقد احترقوا فذهب فاذا النار مشتعلة فى بيوتهم وفى هذا الحديث انه رأى رجلا فى سماء الدنيا عن يمينه اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه ضحك واذا نظر ليساره بكى يعنى آدم وذريته وقد استشكل بانه يعارض قوله تعالى * ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء * والحديث الصحيح ان ارواح الكفرة فى سجين اسفل سافلين واجيب بان المراد بذلك ارواح العصاة وما فى الآية والحديث المراد به ارواح الكفار الجاحدين وهؤلاء يرحمهم وقد نهى ابراهيم عليه الصلوة والسلام عن استغفاره لابيه وللموعدة التى وعده جعل فى صورة ضبع بذبح حين القائه فى النار حين يحزن عليه واجيب ايضا بانه يجوز ان تمثل ارواح الاشقياء والسعداء ويراهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مثلوا له وان لم تكونوا هناك كما كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلف ظهره وهذا هو الجواب عن الاشكال الآخر وهو كيف يرى ارواح السعداء والاشقياء وكثير منهم لم يموتوا وما كون المراد بالاسودة العصاة فغير مستقيم لان المسلمين كلهم من اصحاب اليمين وعلم مما مر ان آدم عليه الصلوة والسلام انما كان فى اول السموات لانه اول الانبياء وجودا وليكون اقرب لاولاده فينظر لاسودتهم (ثم عرج بنا الى السماء الثانية) فيه ما مر اولا (فاستفتح جبريل) عليه الصلوة والسلام (فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد) عليه السلام (قيل قد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم الصلوة والسلام فرحبابى ودعوا لى بخير) بالف التثنية وفى بعض الروايات او قد ارسل اليه وهما بمعنى وقوله ابنى الخالة لان مريم بنت عمران اختها ايشاع ام يحيى على ما قاله السهيلى وهو الموافق للحديث وارتضى غيره ان مريم بنت حنة بنت فاقوذا وام يحيى ام ابيه زكريا فاقوذا ايضا فاتحدا فى الجدة

فبكونا ابنا خالة لان الخالة اخت ام والجدة يقال لها ام واستدل لهذا بقول زكريا لما اراد كفالة مريم عندى خالتها وارتضى هذا السعد فى شرح الكشاف فعلى هذا فى كونهما ابنا خالة تجوز سهل وقال الازهرى يقال هما ابنا عم ولا يقال ابنا خال ويقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة لان من كان ابن عم انسان كان الآخر ابن عمه ايضا ومن كان ابن خالة انسان كان الآخر ابن خالته ايضا بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كان فى الثانية لانه رفع الى السماء وسينزل منها فجعل فى مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لدته وبينهما من القرابة والمحبة ما لا يوصف ولذا جعلا فى سماء واحدة ولم يكن فى سماء اثنان من الانبياء غيرهما وقال ابن المنير لما كان عيسى عليه الصلوة والسلام سينزل كان معنى ليحيى وحده (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف) عليه الصلوة والسلام (واذا هو قد اعطى شطر الحسن) تقدم معناه وان الشطر النصف (فرحب بى ودعا لى بخير) لم يذكر الدعاء والقول بانه قوله مرحبا لا وجه له فانه لا يسمى دعاء ولما كان اقاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم دليلا على مفارقة اهله ووطنه على وجه يؤل لعزة ونصرة وهو بعد البعثة والدعوة فهو ثالث من اطواره رآه فى الثالثة وقد تقدم بسطه (ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس) عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعا لى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) ولما ترادف الوحى عليه عليه الصلوة والسلام بعد الهجرة واظهر المؤمنون شعائر الاسلام وهو طور رابع رأى ادريس فى الرابعة لشهرة علمه وكتابته وفيه عز الاسلام وكمال رفعته وفى تلاوة الآية ايماء لهذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية وهو سبط شيث وجد ابى نوح وهو المثلث بالحكمة لانه اول من نظر فى النجوم وخط ودرس وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح وفى اخرى شاذة بالابن الصالح وهو الظاهر وقد استشكل كونه اخا مع انه جد اعلى حتى قال بعضهم ان ادريس الذى لقيه غير ادريس هذا وهو الياس وروى هذا عن ابن مسعود وعلى هذا لا اشكال وقيل المراد اخوة النبوة والاسلام واختلف فى رفع ادريس الى السماء هل هو بعد موته كما يرفع سائر الانبياء او فى حياته كعيسى ففى قصص الانبياء ان الملائكة عليهم الصلوة والسلام احبته لكثرة عبادته فسأل ربه ان يذيقه الموت ملك الموت حتى يهون عليه فاذاقه ثم حيى ثم سأله ان يورده النار ليزداد رهبة فاورده ثم خرج منها فسأله ان يدخله الجنة ليزداد رغبة فيها فادخلها فلما قيل له اخرج قال يا رب انى ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها ان لا يخرج منها ابدا فاوحى الله لخازنها دعه فبا ذنى فعل ما فعل فبقى فى الجنة فى السماء الرابعة نقله ابن المنير ونبه على وجه كونه فى الرابعة على الاصح وقيل انه فى الثانية وقيل فى السادسة (ثم عرج بنا الى السماء الخامسة

فذكر مثله فاذا انا بهارون) عليه الصلاة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير) جعل فى الخامسة لانه كالوزير لموسى عليه الصلوة و السلام لايفارقه فلذا كان فى جواره (ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى) عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير) لما كان اجل الانبياء بعد ابراهيم عليه الصلوة والسلام وكتابه اعظم الكتب قبل القرأن وجاهد فى الله وظفر بما لم يظفر به غيره رفعت مرتبته على غيره وترقى فى حظائر القدس تحت منزلة الخليل فكان فى السادسة (ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم) عليه الصلوة والسلام لما كان ابراهيم افضل الانبياء قبل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خليل الرحمن كان ارفعهم منزلة وماذكرناه فى وجه التخصيص والترتيب هو بالنظر للظاهر نظرا لمناسبة الحال بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وما استدل به عليه ولعل هناك مناسبة اخرى بين اهل كل سماء ومن فيها من الرسل وهذا مما لانعرفه (مسندا ظهره الى البيت المعمور) وهو بيت تطوف به الملائكة وتحج له للعبادة وهو محاذ للكعبة و يسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين وسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه قال التلمسانى قيل فيه دلالة على ان الافضل فى غير الصلاة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها فعلى هذا لعله اسند ظهره ليتوجه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم و يخاطبه بما امر وانما اسند ظهره للبيت لانه الذى اول من بنى الكعبة من الناس اولا (واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه) لان الحج مرة كفرض الحج علينا اولاشغال غيرهم وكونه فى السابعة حذاء العرش هو الاصح وقيل انه فى الرابعة (فذهب بى الى سدرة المنتهى) لم يقل عرج لانها فى السماء السابعة وتقدم معنى سدرة المنتهى (واذا ورقها كاذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل وانما شبهه لها وان لم يكن بارض الحجاز لانها كثيرة فى بلاد الحبش وهم كثيرا ما يأتونها للتجارة واليها كانت الهجرة الاولى فهم يعرفونها والا فالتشبيه بما لايعرف عادة غير مقبولة (وثمرها كالقلال) جمع قلة وهى الجرة وشبهها بها لمد ظلها واطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رايحته وان كان شجر الجنة انما يحكى امور الدنيا صورة والفرق بعيد (فلما غشيها) اى طرأ عليها و غطاه (من امر الله) الظاهر ان المراد بامر الله وحيه او تجليه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانها بذلك اشرق عليها نور الهى فزهت به وحسنت حسنا لاينعت ونورلا يمكن ان تقابله الابصار لقوله بعده (ما غشى) اى امر عظيم غشى فان الابهام بمثله يفيده كقوله تعالى *الحاقة ما الحاقة* وامثاله (تغيرت) اى عن حالها التى كانت عليه (فما احد من خلق الله يستطيع) ويقدر (ان ينعتها من) اجل (حسنها) الذى طرأ عليها لكونها من اشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من اشجار

الارض احترقت كما صار الجبل دكا ويدل على ماقلناه قوله (فاوحى الله الىّ ما اوحى) وفى هذا الابهام تعظيم لطرق الكناية الابهامية حتى كانه مما لايمكن ان يدرك فيعنت وفى هذا الموصول وتعريفه اشكال اجابه عنه فى حواشى التسهيل لان ما موصولة تتعرف بالعهد الذى فى الصلة فاذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة معروفة وقيل المراد بها الملائكة التى تغشاها فانه شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش من ذهب وجواهر نزل عليها اوجراد من ذلك و قال مجاهد رفرف اخضر وقيل طيور خضر وانما نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع السدر لذلك وفسر ما اوحى بقوله (ففرض علىّ) وعلى امتى (خمسين صلاة) تكون (فى كل يوم وليلة) وقيل ما اوحاه اليه مبهم لايعلمه احد وقيل سورة الم نشرح وقيل ان الجنة حرام على الانبياء عليهم السلام حتى يدخلها هو صلى الله عليه وسلم وعلى الامم حتى يدخلها امته وقال السيوطى فى الخصايص فرضت الصلاة خمسين و الغسل من الجنابة وغسل نجاسة الثوب سبعا سبعا والوضوء لكل صلاة (فنزلت الى موسى) عليه الصلوة والسلام انما قال نزلت لانه كان فى السادسة والوحى فى السابعة وتخطى ابراهيم ونزل له ليشاوره لانه يعلم ما فى شريعته من الاحكام والصلوات ومارس من ذلك اكثر من ابراهيم لانه لم يفرض على امته مافرض على امة موسى عليه الصلوة والسلام (فقال ما فرض ربك على امتك) قال اولا فرض علىّ وقال هنا على امتك لان ما فرض على النبى فرض على امته ففيه احتباك وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف من كل منهما ماذكر فى الاخر فحذف من الاول وعلى امتى ومن الثانى علىّ ووقع فرض الصلاة فى السماء لانها اعظم العبادات ففرضت فى اجل المواضع و بين الله فرضها بنفسه من غير واسطة ملك اعتناء بشانها ولذا قيل يكفر تاركها اوذهب الشافعى الى انه يقتل كما سيأتى (قلت) فرض (خمسين صلاة) منصوب لانه تمييز (فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) منها برفع بعضها وانما اشار عليه بذلك لمحبته له وجعله له مايليق بنفسه وقيل ذلك لانه سأل الله تعالى ان يكون من امته لما رأى فى التورية مما لامته صلى الله تعالى عليه وسلم من الكمال فقال يارب من هؤلاء قال امة احمد فقال يارب اجعلنى منهم فخشى ان يفرض عليهم تكاليف شاقة وهو منهم فيقصر فيها وقال السراج البلقينى انما قصد موسى تكرار رؤية محمد عقب رؤيته لله بعينه كما قيل *لعلى اراهم اوارى من يراهم* وموسى عليه الصلوة والسلام وان كان يرى الله فى الاخرة لكن رؤيته روحانية وهى ليست جسدية عينية ولاتتيسر فى كل حين قال ابن حجر يحتاج ماقاله البلقينى الى ثبوت تجدد رؤيته فى كل مرة يعنى رؤية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لربه وقال مصلح الدين اللارى ما قاله البلقينى لايتوقف على تجدد الرؤية و يكفى حصول اصلها (فان امتك لايطيقون ذلك)

خص الامة اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يطيق ذلك لما رزقه الله تعالى من قوته على عبادته ولذا كان يواصل الصوم وقد نهى عنه ومعنى لا يطيقونه انه يشق عليهم فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبنى على تكليف المحال وهو جائز وفائدته الاخذ فى مقدماته حتى يعلم امتثاله و يطيقون بضم اوله مضارع اطاقه (فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم) عطف تفسير لان الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان يقال خبره يخبره كقتله يقتله وفيه مقدراى خبرتهم مع قوة اجسادهم وطول اعمارهم فلم اجدلهم صبرا على ذلك فكيف حال امتك وفى نسخة قبلك (فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف عن امتى) مفعوله محذوف للعلم به اى مافرضته عليهم من الصلاة ولم يقل وعنى لما مر اوحياء منه بسؤاله لنفسه (فحط عنى خمسا) منها واصل الحط معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل تشبيها مكنيا كما قال الله تعالى * لا تحملنا مالا طاقة لنا به (فرجعت الى موسى فقلت) له (حط عنى خمسا) منها (فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف) وفى نسخة فاسئله (قال فلم ازل ارجع بين ربى) تعالى (و بين موسى) اى بين موضع مناجاتى له تعالى وملاقاتى لموسى عليه الصلوة والسلام (حتى قال) الله تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس (يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة) استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر وجوابه مسطور فى كتب الفروع الحنفية (لكل صلاة عشر فتلك خمسون) فى الثواب والاعتبار لان الحسنة بعشر امثالها كما سيأتى تحقيقه (ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة) واحدة لنيته عملها (فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت له سيئة واحدة) الهم القصد من غير تصميم فان صمم فهو عزم ومذهب الباقلانى انه يأثم بالعزم المصمم وهذا الحديث محمول على الاول وانكار بعضهم المؤاخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة كقوله تعالى * ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم * والكاتب الملائكة فتكتب حتى مافى القلب كما قاله الطحاوى وفى حديث مسلم القدسى كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات الى سبع مائة الى اضعاف كثيرة و هو صريح فى ان المضاعفة تزيد على العشر ولا تقف على سبعمائة وقول القرطبى انها لا يجاوزها مردود بهذا الحديث المجمع على صحته وتحقيقه كما فى الاحياء ان اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له صورة امرأة وراء ظهره بحيث لو التفت لرآها والثانى هيجان الرغبة الى النظر وحركة الشهوة وميل الطبع المتولد من الاول المسمى حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغى ان يفعل بان ينظر اليها وهو يتبع الخواطر والميل والرابع تصميم القلب على الالتفات وجزم النية و يسمى هذا بالفعل وهذه قد يكون لها مبداء ضعيف فاذا اصغى الى الخاطر حتى طالت مجاوزته للنفس

حتى تنخرم النية واذا انخرمت فقد يندم و يترك وقد يغفل فلا يعمل وربما يعوقه عائق عنه فهى اربعة احوال وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فالخاطر لا يؤاخذ به لانه غير اختيارى وكذا هيجان الشهوة والميل المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عفى عن امتى ما حدث به نفوسها فحديث النفس خاطر يهجس فى النفس لا يتبعه عزم والثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب و هو اما اضطرارى لا يؤاخذ به او اختيارى يؤاخذ به والرابع وهو الهم بالفعل فان لم يعمل به وتركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه منه حسنة لمجاهدة نفسه وان عاقه عنه عائق غير خوف الله تعالى كتبت سيئة لان همه فعل اختيارى له (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فنزلت حتى انتهيت الى موسى) اى انتهى سيرى فوصلت له ولم يقل انتهيت قبل هذا وماقاله هنا اشارة الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة بعده (فاخبرته) بما قال الله تعالى له (فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) من الخمس (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما قصه من حديث الاسراء (فقلت) لموسى عليه الصلوة والسلام (قد رجعت الى ربى) مرارا وراجعته فى سؤال التخفيف (حتى استحييت منه) ان اراجعه فى السؤال بعد ذلك واعلم انهم اختلفوا فى جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ وقبل دخول الوقت فذهب اهل السنة الى جوازه و هو مبنى على جواز التكليف بما لا يطاق واستدلوا بانه وقع كما فيما نحن فيه و بقصة الذبيح اذا امره بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفداء ومنعه المعتزلة فنهم من قال لم يأمره لانه منام ورد بان رؤيا هم وحى يجب العمل به ولذا باشره ومنهم من قال انما امر بمقدماته من الشد والتل ونحوه ورد بان قوله انى اذبحك يرده و الفداء يأباه وقيل انه فعل ولكن انقلبت السكين او قلب عنقه حديدا وقيل ذبح والتحم وهو مكابرة وقالوا ان النسخ قبل البلاغ منا قض والجواب بانه المأمور وقد بلغه ضعيف لانه عام له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته لان الفرض عليه فرض عليهم ولذا قال له موسى عليه الصلوة والسلام ان امتك لا تطيقه وفيه ايضا النسخ قبل البيان لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو جائز واعلم انهم يريدون بالمنسوخ خبر التكليف لا نفس الامر كانه قد تم ووقع فى بعض طرق هذا الحديث ان موسى عليه الصلوة والسلام قال له اسئله التخفيف فانى اعلم بالناس منك فكيف يقول هذا وقد قاسى مع الخضر عليه الصلوة والسلام ما قاسى لما قال انا اعلم الناس منك وكيف يقوله للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والجواب ان مراده علم التجربة والرؤية لما رآه ومثله لا يضر وما قيل من انه خبر لا يدخله النسخ مردود بقوله وقيل ان قوله خمسون اولا بيان لما فى اللوح المحفوظ والمراد انها بحسب الثواب كذلك فلا نسخ فيه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم

فهمه على ظاهره فراجع ربه فى غاية البعد (قال القاضى) هو شيخه القاضى الشهيد المذكور فى اول السند السابق ولذا لم يسمه استغناء باعادة المعرفة معرفة وتعريفه عهدى (جود) بفتح الجيم وتشديد الواو اى حسن من الجودة ضد الرداءة والحسن ضد القبح (ثابت) البنانى الراوى (هذا الحديث عن انس رضى الله تعالى عنه ماشاء) اى احسن فى روايته واتقنها اتقانا محكما لان ما نكرة موصوفة اى تجويدا شاءه اى بذل جهده وفعل كل مادخل تحت ارادته والمراد ان روايته جيدة خالية عن الاعتراض ولذا اختارها من الروايات وقيل ماشاء كناية عن كثرة تجريده اى اتى بها مجودة تجويدا كثيرا (وقد خلط فيه غيره) خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث والخلط ادخال شئ فى شئ والمراد انهم ادخلوا فى حديث الاسراء ما ليس منه كشق الصدر كما سنبينه (لاسيما) اى لامثل روايته وفسرها الرضى رحمه الله تعالى بخصوصا وقال الدمامينى رحمه الله تعالى انه لاسند له فيه وشئ منصوب ومابعده يجوز رفعه ونصبه وجره وقد عدها النحاة من كلمات الاستثناء وفيه كلام طويل بيناه فى غير هذا الكتاب ونحن فى غنية عنه (من رواية شريك بن ابى نمر) بفتح النون وميم مكسورة تليها راء مهملة التابعى الصدوق الثقة القاضى المدنى وقد ضعفه ابن حزم رحمه الله تعالى لما وقع له فى حديث الاسراء من الاوهام الاربعة التى اشار اليها المصنف رحمه الله وقيل انها ثمانية وتوفى سنة اربعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (فقد ذكر فى اوله) اى ذكر شريك رحمه الله تعالى فى اول حديث انس رضى الله تعالى عنه (مجئ الملك له) اللام للتقوية لان جاء متعد بنفسه (وشق صدره) عليه الصلاة والسلام (وغسله بماء زمزم) وقد تقدم انه بالثلج وفى رواية بماء الكوثر وقد انكروا عليه روايته هذه وقالوا فيه انه وهم من وجوه تزيد على العشر منها ما فى سنده فان قتادة رحمه الله تعالى رواه عن انس رضى الله تعالى عنه عن مالك بن صعصعة والزهرى رحمه الله تعالى عن انس رضى الله تعالى عنه عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه وشريك جعله عن انس رضى الله عنه من غير واسطة وخالف سياقه سياقهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتأخير وقد نبه على ذلك مسلم رحمه الله فى صحيحه وماذكره المصنف رحمه الله موافق لقدح ابن حزم فيه الا ان الحافظ ابا الفضل ابن طاهر انتصر له فى جزء مستقل الفه فيه قال تعليل حديثه بتفرده به ودعوى ابن حزم ان الآفة من شريك اذ لم يسبق اليه لاتقبل فان ائمة الجرح والتعديل وثقوه ورووا عنه وقالوا لابأس به وحدث عنه مالك رحمه الله وغيره من الثقات وحديثه اذا رواه عنه ثقة لاضعيف لابأس به وقد روى عنه سليمان بن هلال وهو ثقة وتفرده بقوله الآتى وذلك قبل ان يوحى اليه لايقتضى طرح حديثه فوهم الثقة فى موضع لايقتضى رد جميع ماروى ولو قيل بهذا لزم رد كثير من السلف ولعله اراد

ان يقول بعد ان اوحى اليه فقال قبله انتهى وقد سبق ابن حزم الى هذا الخطابى رحمه الله تعالى وقال النسائى انه قول ليس بالقوى وكان بعضهم لايحدث عنه وقال محمد بن سعد رحمه الله وابوداود رحمه الله تعالى انه ثقة والحاصل انه اختلف فيه فيعد ما انفرد به شاذا منكرا وقد خالف غيره فى مواضع من هذا الحديث منها امكنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكون المعراج قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة والمشهور انها فيها اوفى السادسة وفى نهرى النيل والفرات وكون اصلهما فى سماء الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة وكون شق الصدر عند الاسراء وكون الكوثر فى السماء الدنيا وهو فى الجنة ونسبة الدنو والتدلى الى الله تعالى وهو لجبريل عليه الصلوة والسلام وكون مراجعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى سؤال التخفيف عند الخامسة وفى قوله فعلا به الى الجبار وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم راجع بعد الخمس فهذه مواضع مخالفته فى السند والمتن الذى قال المصنف رحمه الله تعالى انه خلط فيها وقد اجيب عن بعضها (وهذا) اى المذكور من الشق والغسل (انما كان وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (صبى) عند مرضعته حليمة رضى الله تعالى عنها (وقبل الوحى) واتى بانما ردا لقول شريك رحمه الله تعالى انه كان ليلة الاسراء واجيب عنه بان الشق وقع مرارا مرة وهو صلى الله عليه وسلم طفل صغير يلعب مع الصبيان لازالة حظ الشيطان معه كما مر ومرة وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين لازالة الطفولية عنه ومرة عند البعثة ليثبت قلبه بالوحى وليلة الاسراء ليقوى عليه وزيد خامسة ضعفها ابن حجر رحمه الله فى شرح البخارى وصحح هو والبرهان والحلبى الاربعة الاول (وقد قال شريك فى حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه) اى شق صدره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة (وذكر قصة الاسراء) فقال سمعت انس بن مالك رضى الله عنه يقول ليلة الاسراء جاءه ثلاثة قبل ان يوحى اليه وهو نائم فى المسجد ثم لم يرهم صلى الله عليه وسلم حتى اتوه ليلة اخرى الخ وقد اجيب عنه بان قبل متعلق بجاءه فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لابليالى فلا خطأ فيه (ولا خلاف انها) اى ليلة الاسراء (كانت بعد الوحى وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا) هذا اشارة الى الخلاف فى سنة الاسراء وزمنها فقيل كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل البعثة بخمس سنين وقيل بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقول شريك رحمه الله تعالى انه قبل ان يوحى اليه غلط منه الا ان يقال هذا الاسراء كان مناما غير هذا كالذى روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان بالمدينة فانه منام ايضا قال ابن المنير رحمه الله تعالى فى المقتفى رجح القاضى عياض رحمه الله تعالى انه كان قبل الهجرة بخمس سنين ولايرد عليه

ان خديجة رضى الله عنها كانت تصلى معه وقد اختلف فى مدة وفاتها قبل الهجرة على اقوال اقلها انها ثلاث سنين والصلوة لم تفرض الا فى الاسراء لان هذه الصلوة غير المفروضة كالتى صلاها فى بيت المقدس وصحح ابن المنير رحمه الله تعالى الاول لان قوله غيره تقدير وقوله تحديد وهو قول الحربى رحمه الله تعالى لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سنة معينة واذا تعارض خبران احدهما احاط بتفصيل القصة كان اولى لانه يدل على ان راويه احفظ واوعى قلبا كقول الفقهاء ان الشهادة المورخة تقدم وكانت تلك الليلة ليلة الاثنين كما قال ابن المنير رحمه الله تعالى وكان مقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الاول ثانى عشرة قبل الضحى وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثانى عشر الاثنين كان اوله الخميس واول شهر الاسراء السبت اوالاحد اوالاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلثة ايام اواربعة اوخمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم الوقفة التى قبلها اورابعة اوسادسة واعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبناء على اقل الاحتمالات اول ربيع الاول من سنة الاسراء الاثنين واول الاخر منه الاربعا بفرض ربيع الاول تاما فالسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ومبعثه ووفاته فان يوم الاثنين فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم كيوم الجمعة لآدم عليه الصلوة والسلام فانه فيه خلق ونزل الى الارض فيه وتاب الله عليه فيه ومات فيه وقيل انه كان ليلة الجمعة لفضلها ثم ان كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قيل ان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين واختلف فى شهره فقيل انه شهر ربيع الاول وقيل الاخر وقيل رجب وقيل رمضان وقيل شوال وقيل قبل نقض الصحيفة وقيل بعد ليلة سبع وعشرين اوسبع عشر اواثنى عشر ليلة الاثنين اوالجمعة وفى الهدى النبوى ان ابن تيمية رحمه الله سئل هل ليلة الاسراء افضل ام ليلة القدر فاجاب بان القائل ان ليلة الاسراء افضل ان اراد انها ونظائرها من كل عام افضل فلا وجه له وان اراد انها بخصوصها افضل لانه حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم فيها مالم يحصل له فى غيرها ومالم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ما انعم الله به عليه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من انزال القرآن وهو يحتاج الى علم بحقايق تلك الامور انتهى (وقد روى ثابت عن انس رضى الله تعالى عنه من رواية حماد بن سلمة ايضا) اى كما روى عنه قصة الاسراء بمجئ جبريل بالنصب مفعول روى (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان

عند ظئره) بكسر الظاء المشالة وسكون الهمزة والراء المهملة والهاء وهى المرضعة التى لبست بام وهى حليمة السعدية (وشقه) مصدر منصوب معطوف على مجئ (قلبه) مفعول الشق (تلك القصة) بدل من مجئ بدل اشتمال وفى نسخة بتلك اى معها (منفردة من حديث الاسراء) وفى نسخة مفردة وهو منصوب على الحال (كما رواه الناس) غير شريك وهم اكثرا لحفاظ المحدثين (فجود) من ضبطه اى هذا الراوى المميز بين القصتين كما اشار اليه بقوله (فى القصتين) اى قصة الاسراء وقصة شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احديهما بالاخرى (وفى ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة) لاقصتان كما فى رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء معراجا آخر (وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك) اى صعد به الى السماء من البيت المقدس لانه ارفع مكان فى الارض (فازاح) بزاى معجمة والف وحاء مهملة اى ازال واذهب (كل اشكال) اى مشكل (اوهمه) اى اوقعه فى ذهن الناس ووهمهم (غيره) اى غير ثابت كشريك الذى وقع فى روايته الوهم والتخليط السابق بيانه (وقد روى يونس) بن يزيد الايلى القرشى وفى يونس كيوسف لغات تقدمت مع ترجمته وهو يروى عن الزهرى ونافع وتوفى بمصر سنة تسع وخمسين ومائة (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن يزيد بن مرة الزهرى التابعى رحمه الله تعالى لقى عشرة من الصحابة توفى ليلة الثلاثا لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربع وعشرين ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشعب واوصى بدفنه على قارعة الطريق لتدعو له المارة وكان احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقا لمتون الاحاديث فقيها فاضلا كاملا (عن انس) بن مالك خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته (قال كان ابوذر) الصحابى الغفارى (يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج سقف بيتى) بضم الفاء وكسر الراء اى شق اورفع جانب منه حتى صار مكشوفا ينزل منه الملك المرسل اليه ولم يأته من الباب وقد قال تعالى *وأتوا البيوت من ابوابها* قال ابن المنير تنبيها على المبالغة فى المفاجأة وان استدعاءه للكرامة كان بدأ من غير ميعاد وقيل انه ليتيقن كونهم ملائكة اوهو تمهيد لشق صدره صلى الله تعالى عليه وسلم والتئامه من غير تألم لسبق الشق كما تقدم قبل وكان خلفاء بنى العباس اذا نصبوا خليفة نقبوا جداره واخرجوه منه تنويها بامره وانه لم يكن يطلب منه والبيت لام هانئ واضافه اليه لادنى ملابسة وروى انه كان بالحطيم وروى ببطحاء مكة فان كان مرارا فظاهر والايحتاج للجمع (فنزل جبريل) عليه الصلوة والسلام (ففرج صدرى) بفتح الفاء والراء وقد تقدم ان شق الصدر وقع مرات منها هذه فلا اشكال فيه

(ثم غسله) اى صدره (من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب) تقدم بيانه ومافيه
(ممتلئ حكمة وايمانا) تقدم تفسيره وانه بناء على التجوز اى ملئ نورا ينشوعنه
ماذكر او انه تعالى قادر على تجسيم المعانى والاعراض كما قيل فى وزن الاعمال
وذكر الطست وان كانت مؤنثة لتأويلها بالاناء فان كان قوله (فافرغها)
ضميره للطست رعاية للفظه فتقديره افرغ ما فيها يقال افرغت الاناء وفرغته
تفريغا اذصببت مافيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان فيها ولانه
عطف تفسير (ثم اطبقه) اى الصدر اى اعاده محله اشارة الى شقه والتيامه
بغير آلة وقيل شق بمنقار الملك وخيط بمخيط لما ورد كنت ارى اثر المخيط فى صدره
(فائدة) قال ابن الجوزى فى كتاب الوفاء بعدماذكر حديث ولادته مختونا ولم ير احد
سوأتى فان قيل فلم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان حتى شق صدره واخرج
قلبه قلت قال ابن عقيل لان الله سبحانه اخفى ادون التطهيرين التى جرت
العادة ان تفعله القابلة والطبيب واظهر اشرفهما وهو القلب واظهر آثار التجلى
والعناية بالعصمة فى طرقات الوحى (ثم اخذ بيدى فعرج) بنا (الى السماء فذكر القصة)
بتمامها واخذه بيده يحتمل انه على حقيقته وان تكون كناية عن جعله شارعا فى العروج
(وروى قتادة) ابن دعامة ابو الخطاب السدوسى الضرير اعلم الناس بالفقه والقرأن
والحديث توفى سنة سبع عشرة ومائة وعمره ست وخمسون بواسط ونسب للتدليس
وليس كذلك (الحديث) مفعول روى (بمثله) اى بمثل الرواية المذكورة (عن انس
عن مالك بن صعصعة) الخزرجى المازنى روى له البخارى واصحاب السنن حديث
الاسراء قال وروى خمسة احاديث (وفيها) اى فى رواية قتادة المفهومة من قوله
روى (تقديم وتأخير وزيادة ونقص) عن غيرها من الروايات (و خلاف فى ترتيب
الانبياء فى السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود) اى اكثر اتقانا وجودة
منها فى الروايات ولذا اختاره المصنف رحمه الله تعالى خلافا للنووى اذ رجح
رواية قتادة كما عرفت (وقد وقعت فى حديث الاسراء زيادات) من الرواة فى بعض
طرقه (نذكر منها نكتا مفيدة فى غرضنا) من تأليف هذا الكتاب وايراد حديث
الاسراء النكت بضم النون وفتح الكاف والتاء المثناة جمع نكتة وهى ماينكت من
الارض ومايكون فى الكون مما يخالفه كالنقطة فاستعير لكل معنى دقيق يحصل بالفكر
اما لمخالفته لغيره اولكون الفكر يخط فى الارض وشاع حتى صار حقيقة عرفية
فى ذلك وقد يجمع على نكات ايضا (منها) اى من النكت المفيدة (فى حديث
ابن شهاب) الزهرى الذى تقدم آنفا ومنها خبر مقدم وفى حديث الى آخره صفة
مبتدأ مقدر و جاز حذف الموصوف بوصف غير مفرد لانه بعض اسم مجرور بمن
قبله لان المعنى من النكت الى آخره ومثله جائز قياسا مطردا (وفيه) اى فى حديث

ابن شهاب ولو حذف قوله وفيه كما وقع فى بعض النسخ كان احسن والضمير فى فيه
راجع لحديث الاسراء (قول كل نبى له مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح الا آدم
وابراهيم فقالا له والابن الصالح) فانه ليس كل نبى من اجداده وفى عمود نسبه لكنه
جار منهم عن سبيل الشفقة والمحبة كما جرت العادة ان الاقدم والاسن يقول لغيره
ياولدى وفى غير هذه الرواية منهم من قال له الابن الصالح ومنهم من قال الاخ الصالح
وقد تقدم انه يشكل قول ادريس له الاخ مع انه جد له صلى الله تعالى عليه وسلم
وفى وصفه بالصلاح دون غيره وتكراره وكان الظاهر ان يقال الابن الكريم والنبى
العظيم مثلا انه وصف بالصلاح لانه امدح الصفات لانه بمعنى الجدير لكل خير كما
قاله السبكى فوصف الابن به بمعنى انه حقيق بمحبة الله ومحبة رسله ووصف النبى به
بمعنى انه المستحق بالذات لان يكون نبيا وان كان فى العرف لايمدح به الكبار لان
الصلاحية بشئ لايقتضى الاتصاف به بالفعل ولذا قال ابن المنير رحمه الله ان الله
اطلق على كثير من الانبياء انه كان نبيا صالحا ولايصلح ان يقال لاحد منهم انه
رجل صالح لانه يوهم التسوية بينهم و بين آحاد الامم كما انه لايجوز ان يقال لنبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وسلطان لايهامه التعظم والتجبر وان كان
كذلك فى نفس الامر انتهى ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال ان المراد به مدح
الصفة لا الموصوف كما فى شروح الكشاف ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا
فى مقام ومن قائل وذما فى غيره كصالح ومبارك (وفيه من طريق) البخارى المسندة
(عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (ثم عرج بى حتى ظهرت) اى علوت
وصعدت كما فى قوله والشمس فى حجرتها لم تظهر اى لم تعل او بعدت كقوله وتلك
شكاة ظاهر عنك عارها وفى نسخة ثم انطلق بى حتى ظهرت (بمستوى) بضم الميم
وفتح الواو والباء بمعنى فى او على وهو اسم مكان عال اووسط اوواسع منبسط (اسمع
فيه) اى المستوى (صريف الاقلام) الصريف بصاد وراء مهملتين وفاء كالصرير
وهو صوت حركة الاجرام والمراد صوت القلم على الورق اى انتهى صلى الله تعالى
عليه وسلم الى محل سمع فيه صرير اقلام الملائكة الكتبة وهى تكتب ماتنقله من
اللوح اومايؤمر بكتابته من الوحى وغيره فالاقلام على ظاهرها قيل ويحتمل ان الجمع
للتعظيم وهو صريح فى ان اللوح والقلم والكتابة على ظاهرها خلافا لمن تأوله ونحن
نؤمن بانه على ظاهره وحقيقته و يجب علينا اعتقاده وهذا عبارة عن غاية القرب منه
لان مثله لايسمع من بعيد وروى لمستوى بدل بمستوى قال التوربشتى بمعنى انه بلغ من الرفعة
لمقام اطلع فيه على التكوين ومايراد ويؤمر به من تدبير الله عز وجل وهذا منتهى
لايرام ولاتصل اليه الافهام ولاينطق فيه غير صرير الاقلام (وعن انس) فيما رواه
عنه الشيخان (ثم انطلق بى) بالبناء للفاعل و الضمير فيه لجبريل عليه الصلوة

والسلام او بالبناء للمجهول (حتى اتيت سدرة المنتهى) تقدم معناه (فغشيها الوان لاادرى ماهى) لكونها لبست مماتشبه الوان غيرها فى الحسن اولان شدة نورها يمنع تحقيقها (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ادخلت الجنة) وهذا يدل على انها موجودة الآن وانها فى السماء وهوالذى نعتقده بلاشبهة (وفى حديث مالك بن صعصعة فلماجاوزته) اى فارقته وقدتم لى ماتم وفسر ضمير المفعول بقوله (يعنى موسى عليه الصلوة والسلام بكا) لحزنه اذلم ينل هو وامته مانالهصلى الله تعالى عليه وسلم لامنافسة وحسدا لتنزههم عن مثله (فنودى) اى ناداه الله اوالملك وقال له (مايبكيك قال رب) هذايدل على الاول بحسب الظاهر (هذاغلام) اطلاقه هذاعليه وهواذ ذاك كهل اوشيخ لانه فى نحوالخمسين امالانه اسن منه اولانه فى الزمن الاول بعد مثله غلاما وقال ابن فرقول معناه القوى وهوغيرقوى (بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر ممايدخل من امتى) لماعلم عموم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وتأييد رسالته علم كثرة امته وقدورد انه يراهم فى عرض المحشر اضعاف الامم وقدجوز كون بكائه غبطة وهى غيرمذمومة كالحسد بل هى ممدوحة لانها من علوالهمة وقيل انه علم من اكثرية امته فى الجنة فضيلته على غيره لانه لازم بين واما كونه على قلة امته فليس بشئ (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى الاسراء الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء ضمير المتكلم و الرؤية هنا بصرية بناء على الصحيح من ان الاسراء يقظة الا انهم قالوا لا يتعدى عامل لضمير و الفاعل ضمير مثله الافى افعال القلوب وماحمل عليها كامر واجيب بانها لمشابهتها لرأى العلمية لفظا ومعنى لانها جهة ادراك اجازوافيها ذلك و قد سمع كقول عائشة رضى الله تعالى عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم ومالنا طعام الا الاسود ان الماء والتمر وقول الحماسى

* ولقد ارانى للرماح دريئة * من عن شمالى تاره وامامى *

(فى جماعة من الانبياء) اى بينهم اومعهم (فحانت الصلاة) بالحاء المهملة اى دخل وقتها وجاء حينها لابمعنى دنت وقربت كما قيل لانه مجاز قامت لقرينة على خلافه وهذه الصلاة قيل انها العشاء لان الاسراء يكون فى اول الليل كما هوالظاهر لانها كانت مفروضة على بعض الانبياء كمارواه المحدثون واختاره النووى قالوا وهذاكان بارواحهم ممثلة اوباجسادهم لانهم احياء ثم ان هذاان كان بعدالاسراء فهى الصلاة المفروضة لان المعراج تعدد كما سيأتى تفصيله و الافهى تنفل وليس المراد بالصلاة الدعاء كما قيل لان قوله (فامتهم) اى صليت معهم جماعة وانا امام لهم يأباه ظاهرا (فقال قائل) قيل هوجبريل عليه الصلوة والسلام (هذامالك خازن النار) اى الموكل بهاو باهلها (فسلم) مالك (عليه) اى على القائل اوسلم جبريل على مالك وهو

الظاهر و يحتمل ان جبريل امره عليه السلام بالسلام على مالك (فالتفت) اى مالك (فبدأنى بالسلام) على والالتفات الانصراف عما كان ينظراليه لغيره ولو بعنقه وانمابدأه بالسلام لانه قادم وليعظمه ويعلمه بامنه منه لتأمين الله له لان السلام امان وسلامة ومالك رئيس خزنة النار وملائكة العذاب واهم صور مهولة جدا وفى الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم لم يلقه احدمن الملائكة الاضاحكامستبشرا غير مالك فانه لم يضحك لاحدقط وهذا ينافيه ماورد انه صلى الله عليه وسلم تبسم فى صلاة فسئل عن ذلك فقال رأيت مالكا راجعا من طلب القوم وعلى جناحه الغبار فضحك الى فتبسمت واجيب بان المعنى انه لم يضحك منذخلقت النار الافى هذه المرة وهذه القصة وقعت بعد الخبر الاول وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصورته الاصلية وبغيرها وفى فتاوى النووى هذه الصلوة يحتمل ان تكون بعد صعوده صلى الله عليه وسلم للسماء ويحتمل ان تكون بعدها و الظاهر الاول (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ثم سار) اى جبريل عليه السلام (حتى اتى الى بيت المقدس فربط فرسه الى صخرة) المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها لان الفارس يطلق على مقابل الماشى سواء كان راكبا فرسا او حمارا او بغلا و قد ورد تسمية البراق فرسا فى حديث المعراج فى رواية اخرى انه اتى بفرس فحمل عليه و احتمال ان يكون جبريل ركب فرسا معه كما جاء فى قصة مقاتلة الملائكة معه بعيد والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التى كانت قبلة قال البرقى فى غريب الموطأ انها من غرائب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهى صخرة صماء فى وسط المسجد الاقصى كجبل بين السماء والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفى اعلاها موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء مالت من تلك الجهة من هيبته وفى الجهة الاخرى اثراصابع الملائكة التى امسكتها اذمالت ولذا كان بعضها ابعد من الارض من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعاء وعدى ربط بالى لتضمينه معنى ضم او الى بمعنى الباء اوعند كقوله

* الى اشهى من الرحيق السلسل

(فصلى) اى جبريل عليه الصلوة والسلام وقيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (مع الملائكة) لما وجدهم يصلون ثمه (فلما قضيت الصلاة) اى تمت وفرغوا منها وقضى مبنى للمجهول نائب فاعل الصلاة وتاؤه ساكنة للتأنيث وضبط فى الشرح الجديد بالبناء للفاعل وضم تائه على انه التفات وهوخلاف الظاهر فان استند لرواية فيها ونعمت (قالوا ياجبريل من هذامعك) خبر بعد خبر اوحال (قال هذامحمد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (خاتم النبيين) والرسل لان نفى الاعم يستلزم نفى الاخص وخاتم بكسر التاء وفتحها بمعنى آخرهم كما مر وقوله فى الحديث لا نبوة بعدى الا ماشاءالله المستثنى هوالمبشرات ان صحت هذه

الرواية كما مر ولا يرد عيسى عليه الصلوة والسلام لانه ينزل على شريعته صلى الله
تعالى عليه وسلم ولم ينبأ بعده كما مر (قالوا وقد ارسل اليه قال نعم) تقدم شرحه
(قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة) هى تحية ودعاء بالبقاء
والسلامة فان حي واحيي بمعنى ومن زائدة او مبينة للضمير وجعله الملائكة اخالهم
والمراد اخوة الايمان وخليفة لانه خليفة الله فى ارضه استخلفه فيها لعمارة الارض
وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه تعالى
بل لقصور الخلق عن التلقى بغير واسطة وتاؤه للمبالغة قال التلمسانى لا يقال للسلطان
خليفة الله لان الله حى لا يغيب وانما الخليفة لمن يغيب او يعجز وانما يقال له خليفة
فقط ان اتبع الشرع والسنة والا يقال له امير (ثم لقوا ارواح الانبياء) ببيت المقدس
بعد انقضاء الصلاة او بعد العروج فى مراتبهم فى السماء اى لقى الملائكة ارواح
الانبياء وفى هذا دلالة على تشكل الارواح وتمثلها فى الملاء الاعلى على ما كانوا عليه
فى الدنيا من الرتبة وما تقدم ايضا يحتمل هذا (فاثنوا وعلى ربهم) اى اثنى الملائكة
على ربهم اذ لاقوا ارواح الانبياء كما تقول اذا رأيت احدا من الصالحين الحمد لله
الذى من علينا بلقائك الا ان آخر الحديث يدل على انهم الانبياء عليهم الصلوة
والسلام بدليل قوله الآتى كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربى وقوله (وذكر كلام
كل واحد منهم) اى من الانبياء (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم
الصلوة والسلام ثم ذكر كلام النبى صلى الله عليه وسلم فقال وانا محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربى فاقول الحمد لله الذى
ارسلنى رحمة للعالمين) فيه مخالفة لما ذكر فى اول الحديث من الانبياء وهو من باب
الابدال لا الزيادة الا ان يكون اقتصر هنا على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه
تحديث بنعم الله لا مدح والعالمين شامل للمسلمين ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم
فى الدارين فى معاشهم ومعادهم وللكافرين بامنهم من الخسف والمسخ والاستيصال
(وكافة للناس) بيان لعموم رسالته فهو كما مر اما صفة مصدر اى ارساله كافة
اى عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلنى او اسم فاعل حال
من الباء اى حال كونى كافا للناس فالتاء للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على
على صاحبها المجرور قول ضعيف (بشيرا ونذيرا) اى مبشرا بالخير لمن آمن واتقى محذرا
من كفر وعصى وهو حال مترادفة او متداخلة حمل اولا على ما انعم به عليه ثم ثنى
بماله من المنافع والفوائد (وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شئ) سمى الفرقان لانه
يفرق بين الحق والباطل وهو بحسب اللغة عام وخصه العرف بالغلبة وهو مصدر
صار بمعنى الفارق او المفرق آياته او ازاله والتبيان بكسر التاء كتلقان شاذ قياسه
الفتح وهو جائز فى غير القرآن وكونه مبينا لكل شئ كما قال ما فرطنا فى الكتاب من شئ

يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا فى بعض واجمالا فى بعض واحالة
على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ امر باتباعه على الاجماع بقوله ويتبع
غير سبيل المؤمنين واتباع ائمة الدين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما فى الكشاف
وغيره من التفاسير (وجعل امتى خير امة) كما قال كنتم خير امة اخرجت للناس
وفسره بقوله تعالى * تأمرون بالمعروف الآية (وجعل امتى امة وسطا) اى
عدولا اخيارا جامعين بين العلم والعمل وسائر الصفات التى بين التفريط والافراط
استعير من المكان لمستوى الجوانب لما ذكر (وجعل امتى هم الاولون وهم الاخرون)
هم ضمير مبتدأ ويفيد الحصر وليس ضمير فصل لانه لو كان كذلك قال الاولين
ومعنى اوليتهم سبقهم الناس فى القيام من القبور وفى دخول الجنة وفصل القضاء
وتأخرهم باعتبار الوجود الخارجى وقد فسره بهذا فى حديث البخارى وهو قوله
نحن الاولون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب قبلنا وليس تفسيره بسبق
السعادة فى الازل كما قيل بواضح (وشرح لى صدرى) اى وسعه بالعلم والايمان والحكمة
واليقين بحيث لا احزن على امر من امور الدنيا او شقه وملاءه بانواره كما مر (ووضع
عنى وزرى) اى طهر قلبى من حظ الشيطان وعصمنى فلا ارتكب ما لا يرضى الله ولذا
قال الله تعالى * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر * فسوى بين ما تقدم
وما تأخر لعدم وقوعهما او خفف اعباء النبوة والتبليغ بافاضة بادية على فالجملتان
فى غاية التناسب (ورفع ذكرى) اى جعلنى مذكورا فى الملأ الاعلى وجعل اسمى طراز
الجنان ومقرونا مع اسمه على كل لسان وعلى المنار فى كل اقامة واذان كما قال حسان
رضى الله عنه * وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد *
(وجعلنى فاتحا) للنبوة اذ خلق روحى قبل الارواح ونبأها قبل كل نبى (فقال
ابراهيم عليه الصلوة والسلام بهذا) اى بمجموع ما ذكر وبكل واحدة منها
لا بالاول فقط كما قيل (فضلكم محمد) اى زاد فضله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم
وقدم المعمول للحصر وقال هذا ابراهيم عليه الصلوة والسلام خطابا بالانبياء
لما سمع مقالته صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ذكر انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
او جبريل فقاله (عرج به) مبنى للفاعل او المفعول (من السماء الدنيا ومن سماء الى سماء)
نحوه (كما تقدم وفى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) الذى رواه ابن عرفة
فى جزئه وابو نعيم فى الدلائل (وانتهى بى) اى جبريل عليه الصلوة والسلام اى وصل
نهاية عروجه بى او هو مبنى للمفعول (الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة) وتقدم
ان الاكثر على انها فى السابعة والجمع بينهما بان اصلها فى السادسة وفروعها فى السابعة
لانه قيل ان خروج النيل والفرات من اصلها يقتضى انها فى الارض وورد انها
فى الجنة قال ابن المنير رحمه الله تعالى فان قلت كيف انصبابها للارض قلت يمكن

ان يكون كالمطر فيفرق ثم يجتمع ويساق كل لمستقره ومجراه ويحتمل ان انصبابها
فى نواحى من الارض غائبة عنا شآبيب غزيرة متصلة بمبادى هذه الانهار فان منها
مالم نقف على مباديه الى الآن قلت يشهد له قصة النيل وبهذا يجمع بين كونها
فى السماء والجنة فى الارض وقوله (اليها ينتهى مايعرج به من الارض) بالبناء
للمفعول اى ماتعرج به الملائكة عليهم الصلوة والسلام من امور الارض للعرض
على الله من امور عبيده (فيقبض منها) بالبناء للمجهول والقاف والضاد المعجمة
قبلها باء موحدة مفتوحة كذا صححوه اى تقبضه الكتبة وتكتبه ومن للابتداء
والضمير للسدرة والمراد انه عندها يرفع اليهم (واليها ينتهى مايهبط من فوقها)
من العرش بواسطة الملائكة المقربين (فيقبض منها) اى يوحى اليهم علمه ولو قيل ضمير
منها للملائكة للعلم بهم من السياق كان اظهر (قال تعالى اذ يغشى السدرة مايغشى)
اى امر عظيم لايعلم كنهه وظاهر السياق ان المراد بهذا امر الله ووحيه فكان عليه
ان يبينه (وقال) ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فراش من ذهب) اى ذهب
على صورة فراش وفراش مرفوع عامله مقدر اى غشيها فراش والفراش معلوم
(وفى رواية ابى هريرة من طريق الربيع بن انس) البكرى البصرى نزيل خراسان
التابعى الثقة يروى عن انس رضى الله عنه والرواية عنه مشهورة توفى سنة تسع وثلاثين
ومائة (فقيل لى هذه سدرة المنتهى) التى سمعت بها والظاهر ان القائل جبريل
عليه الصلاة والسلام ووقع فى بعض النسخ السدرة المنتهى بتعريفهما دون
اضافة كالآتى اى السدرة التى هى المنتهى فالمنتهى مبدل منها (ينتهى) ويصل
(اليها كل احد من امتك خلى) بفتح المعجمة واللام المخففة اى مضى كقوله تلك
امة قد خلت وفى نسخة بضم الخاء وتشديد اللام المكسورة (على سبيلك) اى على
طريقتك وسنتك اى من مات من امتك مؤمنا بك عرج بروحه مع الملائكة اليها فيقال
هذا عبدك فلان ابن فلان فيؤتى له بصك الامان وبهذا فسر قوله تعالى * ان
كتاب الابرار لفى عليين الآية (وهى السدرة المنتهى يخرج من اصلها) اى
عروقها الداخلة فى الارض (انهار من ماء غير آسن) اى لايتغير طعمه ولونه ورايحته
اصلا وان طال مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفى التغير فى الحال لان كثيرا من
انهار الدنيا كذلك وهذا مع عذوبته فان المياه العذبة هى القابلة للتغير ولذا كان
البحر المحيط بالدنيا مالحا على ماقرره ارباب الطبايع فى علم الحكمة (وانهار من لبن
لم يتغير طعمه) اى لم يحمض كغيره اذا مكث (وانهار من خمر لذة للشاربين) اى لذة
سايغة ليس كخمر الدنيا المرة المستكره شربها حتى على من ابتلى بشربها حتى قالوا
اثقل من القدح الاول (وانهار من عسل مصفى) من القذا والشمع وان لم تمسه نار لانه

لبس رجيع النحل وقئ الذباب (وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما وان
ورقة منها مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المشالة وتشديد اللام المكسورة
اسم فاعل من اظل مضاف للخلق والمراد الجمع الكثير لاسائر الخلق اذ لايصح هنا
وهذا عبارة عن سعة ظلها فان قلت قد تقدم انها كآذان الفيلة قلت اجيب بانه
فى الشكل ومن قال التشبيه فى الكبر فيه مافيه (فغشيها نور) من الانوار الالهية
(وغشيتها الملائكة) وهم نور مصور قابل للصور (قال فهو كقوله تعالى اذ يغشى
السدرة مايغشى) اى فى تفسير هذه الآية على قول كامر (فقال الله تبارك وتعالى)
ولايخفى مناسبة هذا التمجيد هنا لان تبارك تفاعل من البركة وكثرة الخير الفائض منه
ولذا لاتسند هذه الصيغة لغيره والتعالى العظمة والرفعة فى عظمة الربوبية
كالمحسوس فانه منزه عنه (له) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) اصله اسئل
نخفف وحذف المفعول للعموم اى سل كل ماتريد (فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا)
اى اصطفيته وخصصته بالخلة وسيأتى تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة (واعطيته
ملكا عظيما) قال ابن المنير الملك العظيم الذى اوتيه ابراهيم يحتمل انه ما اوتيه ذريته
كيوسف وسليمان وداود وغيره من ملوك بنى اسرائيل من ذريته كما قال الله تعالى
* فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * وكونه ملك النفس
والزهد غير مناسب هنا او المراد قهره صلى الله تعالى عليه وسلم لعظماء الملوك
فى عصره كنمرود اذ القاهر اعظم من المقهور وجاء فى التفسير ان الملك النبوة فان
قلت كيف هذا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم للاعرابى خفف عليك فلست
بملك وقال ابو سفيان للعباس رضى الله تعالى عنهما اذا وقفا على كتائب الفتح
فلم يرضها حتى مرت الكتيبة الخضراء التى فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وكانوا يسمونها الخضراء لكثرة الحديد فيها وهو عند العرب اخضر ولذا قال ابن هانى

* وجنيتم ثمر الوقايع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر *

وربما سموا السيف بذلك بقلة فقال لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقال لاتقل ملكا
انما هو النبوة فلم يرض تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم ملكا قلت المنفى الملك العرفى
المذكور فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تعود ملكا
واما الملك الحقيقى الدينى فليس بمنفى ومع هذا لايجوز ان يطلق على نبينا وابراهيم عليهما
السلام انهما ملكان لان مقام النبوة اشرف وعدمه فيه صلى الله عليه وسلم وفى آبائه
من دلائل النبوة ولذا سأل هرقل هل كان فى آبائه من ملك وخرجت الخلافة عن اهل بيته
لئلا يتوهم انه ملك متوارث انتهى وبهذا يندفع مايرد على الفقهاء فى تقسيم احكامه الى
فتيا وقضا وسلطنة (وكلمت موسى تكليما) اى خصصته بكلامك له من غير واسطة
حقيقة كما يشير اليه التأكيد خلافا لمن انكره من المعتزلة كما بين فى الاصول (واعطيت

داود وملكا عظيما) اى ملكا شرعيا لاعرفيا وهو والخلافة العظمى حتى سخرت له الطير والجبال (والنا له الحديد) بحيث كان فى يده كالعجين يتخذ منه الدروع (وسخرت له الجبال) فكانت تسبح معه اذا سبح (واعطيت سليمان ملكا عظيما) اذ ملكته الدنيا باثرها (وسخرت له الجن والانس) فكانت الجن تخدمه عليه الصلوة والسلام فى بنائه وغيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى كان يضئ فى الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل ما فيه لمملكته بالعراق وكان جميع جنده ورعاياه لا يعصونه فى شئ (والشياطين) وهم مردة الجن فهو من عطف الخاص على العام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون الدرله والجواهر ويعملون له ما يريد (والرياح) فكانت تجرى بامره كما يشاء وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا (واعطيته ملكا لا ينبغى لاحد من بعده) كان سأله من الله وهو ملك الانس والجن والرياح فلك ما فوق الارض وما تحتها وقد عرض هذا على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبله واختار كونه عبد الله (وعلمت عيسى) وهو صغير (التورية والانجيل) الذى انزل عليه وحفظ التورية وعمل بها لان الانجيل ليس فيه احكام وانما هو حكم وحقائق التوحيد وقيل فيه احكام قليلة بالنسبة للتورية وفى نسخة وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل (وجعلته يبرئ الاكمه) الذى ولد اعمى بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمك وقال التلمسانى هو الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار قاله البخارى عن قتادة ولا يعلم هذا فى لغة والمعروف ما تقدم والذاهب البصر بعد الابصار اعمى والاكمه الذى سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر او الذى اعترته ظلمة فغيبت بصره انتهى وفى كلامه تناقض فان المعنى الاخير هو عين ما انكره فان كان منقولا عن اللغة صح ما قاله قتادة وهو ثقة ليس متهما بالمجازفة فى تفسير القرآن لاسيما وقد تابعه البخارى ومتابعته تعتمد فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف اللغة (والابرص) وهو علة مزمنة لا يتيسر علاجها للحكماء يبيض لون البدن ويصير قبيحا وهو اقبح الامراض بعد الجذام ولذا جوز الشافعى رضى الله تعالى عنه فسخ النكاح به (واعذته) اى حفظته واجرته (وامه) مريم (من الشيطان الرجيم) الرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا قال انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وسيأتى فى حديث مسلم ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه الا ابن مريم وامه وكذا نبينا عليه افضل الصلوة والسلام لان المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه ولانه علم بالحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مشيرا الى السماء ناظرا لربه ولم يسلط عليه شيطان كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير القرين الذى مع كل احد حتى الانبياء عليهم الصلوة والسلام وفى هذا كلام فى الكشاف وشروحه سيأتى بيانه مع الكلام

على الحديث (فلم يكن له عليهما سبيل) اذ حماهما وعصمهما منه (فقال له ربه) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما سمع مقالته وان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل عليهم الصلوة والسلام (قد اتخذتك حبيبا) هذا فى مقابلة الخلة والمحبة اعظم من الخلة كما سيأتى ولم يذكر ما يقابل ما بعده لانه معلوم اذ هو لم يرض الملك وقد خبأ دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما هو اعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقرآن اعظم من التورية والانجيل وابراء الاكمه ونحوه وقد وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم مثله كرد عين قتادة وبرء كثير من الامراض بمس يده الشريفة كما سيأتى وتقدم الكلام على اعاذته من الشيطان (فهو مكتوب فى التورية محمد حبيب الرحمن) وهذا من كلام الراوى كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة وفى السبعيات للهمدانى قال ثبت فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج ان اخلع نعلى فسمعت النداء من قبل الله تعالى يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما فقلت يا رب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يا ابا القاسم ادن منى لست عندى كموسى فان موسى كليمى وانت حبيبى انتهى وقد سئل الامام القزوينى عن وطئ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العرش بنعاله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب بان ذلك ليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت فى خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وانما الذى صح فى الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب واما الى ما ورائها فلم يصح وانما ورد ذلك فى اخبار ضعيفة او منكرة لا يعرج عليها انتهى وتابعه على ذلك وقوله (وارسلتك الى الناس كافة) قد تقدم شرحه وكذا قوله (وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون) لسبقهم فى دخول الجنة وتأخرهم وجودا والمنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم فى القبور وعدم نسخ لشريعتهم (وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة) هى كلام يقال على رؤس الاشهاد للاعلام بامر مهم وكان عادة العرب اذا اجتمعوا فى ناد قام منهم واحد فخطب اذا تفاخروا او تصالحوا او ارادوا وعظا وقس فى سوق عكاظ خطيب مشهور فجاء الشرع على نهجهم فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا وقع امر قام فيهم خطيبا فالخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبقى ذلك مشروعا فى الجمعة والعيدين والنكاح والاستسقاء لوعظ الناس ونحوه (حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) اى لا يعتد بخطبهم الا اذا اتوا فيها بكلمتى الشهادة لما ورد فى الحديث * كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء * اى هى ناقصة لا بركة فيها وهذا يقتضى ان التشهد فيها ركن او شرط قيل وهذا لم يقل به احد من الفقهاء وائمتهم فان قيل المراد انه لا يصح خطبة من لم يصدر منه الشهادة اى لا تصح الا خطبة المسلم المصدق بك والامة امة الدعوة فهو

بعيد واجيب بان الشافعى وغيره اشترط فى الخطبة الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى تتضمن الشهادة بذلك ولايخفى ان هذا غير موافق لظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فنسخ وجوب الاقتصار على مقدار تهليلة وتسبيحة وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى لابد من ذكر طويل يسمى خطبة واقله قدر التشهد الى قوله عبده ورسوله يثنى بها على الله ويصلى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعو للمسلمين لان الخطبة واجبة وما دون ذلك لايسمى خطبة عرفا كما قاله الزيلعى والحديث شاهد له (وجعلتك اول الانبياء خلقا) لانه خلق روحه قبل الارواح ثم خلق الارواح ونبأه فهو اولهم خلقا ونبوة (وآخرهم بعثا) وارسالا كما تقدم بيانه (واعطيتك سبعا من المثانى) اى الفاتحة لانها سبع آيات وهى تثنى وتكرر فى كل ركعة اوالسبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها اومع الانفال بناء على انهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما لتكرير المواعظ والعبر فيها (ولم اعطها نبيا قبلك) كما تقدم بيانه (واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشى) الكنز المال المدفون فشبه به ما فى اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه خلقه بجعل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعد لمن قرأها بمال عظيم اخرج من ذلك الكنز الذي هو اللوح وفى الحديث * من قرأها كفتاه * اى عن قيام الليل اومن الشيطان ويؤيده ماروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال * انزل الله على آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى عام من قرأهما بعد العشاء مرتين كفتاه من شر الشيطان ولايكون له عليه سلطان * قال التوربشتى المعنى انه استجيب له مضمون قوله غفرانك الى آخره ونصره ولما قرأهن صلى الله عليه وسلم قيل له قدفعلت واوثر الاعطاء لمناسبة الكنز (لم اعطها نبيا قبلك) اى لم يعط مثل ثوابها احد قبله صلى الله عليه وسلم (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى فاتحا لكل خير وشر يعة فهو اعم من قوله جعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فمن فسره فقد قصر (وفى الرواية الاخرى) التى رواها مسلم (قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا) من الفضائل المخصوصة به صلى الله عليه وسلم (اعطى الصلوات الخمس) اى لم تجتمع لغيره ولغير امته ولالنبى قبله فان الانبياء قبله كانت لهم صلوة موافقة لبعض هذه دون مجموعها وكان عليه السلام يصلى قبل الاسراء ولكن لم يشتهر بيان كيفيتها ونقل السيوطى رحمه الله فى آخر الخصايص انه لم يكن فيها ركوع ولذا نزل قوله تعالى * ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا * وقد مر ذلك (واعطى خواتيم سورة البقرة) كما تقدم (وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا من امته المقحمات) بضم الميم وقاف وحاء مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل

من الافحام وهو الالقاء والمراد الكبائر التى تلقى صاحبها فى النار اوالمهلكات وهذا كقوله تعالى * ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * اى بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور (وقال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فى الحديث الذى رواه (ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين) هذا لفظ القرآن والمقول عن راويه من الزيادة انما هو تفسيره بقوله (رأى جبريل فى صورته) الاصلية التى خلق عليها (له ستمائة جناح) لافى صورة تمثل بها فان الله اعطى الملائكة قوة التشكل باى صورة ارادوا ونقل الشمنى عن السهيلى فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله ابدل جعفرا رضى الله تعالى عنه بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء ليس هذا كما يسبق الى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة الادمية اشرف وانما هى عبارة عن قوة روحانية ملكية اعطيها جعفر رضى الله تعالى عنه كما اعطى الملائكة فان اجنحتهم صفات ملكية لاتدرك الا بالمعاينة لان قوله تعالى * فيهم اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع * يدل على ذلك اذلم يطر باكثر من جناحين فكيف بستمائة كما فى صفة جبريل عليه الصلوة والسلام فدل على انها صفات لا ضبط كيفيتها بالفكر انتهى واعترض عليه بان هذا اشبه بكلام الفلاسفة والحشوية فاى مانع من ابقائه على ظاهره وكون طيور الجنة ليس لها غير جناحين غير ضار والاحاديث صريحة فى انها اجنحة حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة كاجنحة الطواويس ولاينكر هذا الامن ينكر الملائكة وكون جناحى جعفر رضى الله تعالى عنه حقيقتين يؤيده كون ارواح الشهداء فى جيوف طيور خضر فى الجنة فاى حاجة للتأويل ومثله لايليق بمثل الامام السهيلى (وفى حديث شريك) المتقدم مع مافيه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى موسى فى السابعة) وهو مخالف لما مر انه فى السادسة فان كان الاسراء متعددا فظاهر لانه لامنافاة والا فيجمع بينهما بانه رآه اولا فى السادسة ثم صعد الى السابعة فرآه بعد رجوعه فيها (قال) اى النبى صلى الله عليه وسلم اوالراوى على انه من كلام شريك فهو مدرج فيه (بتفضيل كلام الله) اى علو رتبته عليه الصلوة والسلام وسعوده للسابعة لفضله على غيره بكونه كليم الله فالباء سببية وهو مضاف للفاعل قال شريك فى الحديث (ثم علا به) اى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من السابعة (فوق ذلك) الاشارة للسماء السابعة (بما لا يعلمه الا الله) اى بمقدار لايعلم محله وحقيقته وقيل نهايته وهو بدل من فوق والباء للاستعلاء كما فى قوله تأمنه بقنطار او بمعنى الى كما فى قوله تعالى * وقد احسن بى * فكان مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع من مقام موسى عليه الصلوة والسلام ولذا عقبه بقوله (فقال موسى) اذا رأى رفعته صلى الله تعالى عليه وسلم

(لم اظن ان يرفع على احد) ومنشأ ظنه تفرده بتكليم الله وقد شارك في ذلك وزاد عليه بما اقتضى رفعته على سائر الانبياء واعترض على هذا بانه كيف يقول موسى عليه الصلوة والسلام هذا وقد علم بتفضيله وهو مذكور في التورية واللايق بالانبياء عليهم الصلوة والسلام التواضع وهذا مما يطعن به في رواية شريك (وقد روى عن انس) ابن مالك (رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) اماما ولا حاجة الى حمله على انه بعد الاسراء الذى فرضت فيه الصلاة وان كان محتملا ايضا كما مر (وعن انس) رضى الله تعالى عنه كما رواه البزار والبيهقى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه الصلوة والسلام) اصله بين فاشبعت فتحته الفا وهو ظرف مضاف للجملة مضمن معنى الشرط والعامل في اذ معنى المفاجأة اى وقعودى يوما فاجأنى فيه دخول جبريل اووقت دخوله وذات يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان وذات وذو تزاد كثيرا كقوله رجل من ذى يمن (فوكز) اى ضرب ضربا خفيفا كما يفعل من يوقظ غيره بحيث لايطلع على ايقاظه وقيل الوكز الضرب بجمع الكف (بين كتفى) وفى رواية بينا انا نائم وجمع بينهما بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز ان ينام وهو قاعد ولذوكزه ليستيقظ وهذا من جملة الزيادة وفى بعض الشروح انه كان ببيت المقدس (فقمت) معه من محل قعودى (الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر) مثنى وكر وهو للطير كالبيت للانسان والجحر للحشرات والكناس للظبى كما بينه اهل اللغة اى بيتين شبيهين بالعش وضعا وهيئة لا مقدارا لانه لايسع الادمى ولوكان كبرا فى الطير كالنسر والعقاب (فقعد) اى جبريل عليه الصلوة والسلام (فى واحدة وقعدت فى الاخرى) قيل انثه لانه كالعش يذكر ويؤنث والغالب على السنة اهل مكة تأنيثه اوهو لتأويله بالزاوية والطاقة ونحوهما وما قيل لانه مأوى اناث الطيور غالبا لاوجه له (فنمت) بالنون والضمير للشجرة اى زادت وارتفعت وروى سمت بالسين من السمو كالعلو لفظا ومعنى (حتى سدت الخافقين) هما المشرق والمغرب لخفوق الشمس والنجم فيهما اى غيابهما اوحركتهما واصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة وما احسن قوله * اما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما القى برهطك *
* ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك *
(ولوشئت) لعلوها وقربى منها (لمسست السماء) بكسر السين وفتحها ويروى لمسبت بسين واحدة من اللمس او هو مخففة ونقل حركته (وانا اقلب طرفى) تقليب طرفه بمعنى نظره فى جوانبها لثباته صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم دهشته وتأمله فى آيات الله فى الافاق (ونظرت جبريل) اذ قلبت طرفى فوقع عليه بحذائى (كانه حلس) بكسر الحاء المهملة

وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط فى البيت (لاطئا) اى لاصق بالارض والمراد انه لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالارض من الغشى الذى هو فيه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم متثبت لم يمسه روعة كما غشى جبريل عليه الصلوة والسلام ويقال فلان حلس بيته لمن لايخرج منه قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة اومنية قاضية ولاطئ بلام وطاء مهملة مهموز بمعنى لاصق كما فى الصحاح وفى بعض النسخ حلس لاطئا بالتنوين ونصب لاطئ وصحح روايته ولم يفسر وجملة كانه حال جبريل (فعرفت فضل علمه بالله على) اى عرفت بما اعترى جبريل عليه الصلاة والسلام من الخشية انه اعرف بالله منى لانه بقدر العلم يكون الخوف والخشية قيل هذا تواضع منه عليه الصلوة والسلام لانه افضل منه ورد بانه قد يكون فى المفضول ماليس فى الفاضل والملائكة المقربون قد يعرفون من احوال الملكوت مالايعرفه غيرهم فان كان افضل والقول بانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم بتفضيله عليه لايناسب هنا (وفتح لى باب السماء ورأيت النور) قيل هو نور العرش او الله تعالى لانه يسمى نورا كما قال الله نور السموات والارض والحكماء والمتكلمون جوزوه من غيرنا ويل قال الاشعرى نور لا كالانوار وقال الغزالى النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وبعد هذا كلام لايصرح به (ولط دونى الحجاب) وفى نسخة واذا دونى الحجاب ولط بضم اللام وتشديد الطاء المهملة مبنى للمجهول يقال لططت الباب اذا اغلقته وكذا اذا سترته يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما شاهد النور ارخى بينه وبينه حجاب ستره عنه وسيأتى الحجاب وتأويله عن قريب (وفرجه) بضم الفاء وفتح الراء المهملة والجيم مضافا لضمير الحجاب جمع فرجة بوزن غرفة وهى مابين الشيئين من خلاء او بين اجزاء شئ مفتوحة اى فرج الحجاب المرخى وطاقاته الذى يخرج منها نوره (الدر والياقوت) وهما نوعان من الجواهر معلومان (ثم اوحى الله الى ماشاء ان يوحى) بالبناء للفاعل او المفعول وحديث انس هذا سقط من بعض النسخ (وذكر البزار) بفتح الموحدة وتشديد الزاى المعجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل البزر وهو بزر الكتان الذى يستخرج منه السليط وبالذال المعجمة كل بذر يبذر للزراعة وهذا هو احمد بن عمرو ابن عبد الخالق البصرى صاحب المسند الكبير المعلل توفى بالرملة سنة اثنين وتسعين ومأتين وترجمته مشهورة وهو ثقة حافظ واعلم ان البزار كذا هو فى اكثر النسخ قال البرهان الحلبى وفى نسخة بخط الحافظ مغلطاى البزاز بزاى معجمة آخره وفى صحتها نظر والمعروف انه براء مهملة آخره (عن على رضى الله تعالى عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يعرفه (الاذان) الذى شرعه له

للاعلام بدخول وقت الصلاة (جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق) مر الكلام عليه وظاهر سياقه ان هذا معراج آخر غير الذى كان بمكة قبل الهجرة كما مر وهذا بعده فان الاذان كان بالمدينة وسياقه يقتضى ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسيأتى ما فيه (فذهب يركبها) اى شرع فى الركوب وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا وليس من الذهاب بمعنى المضى تقول ذهب يقول كذا اى شرع فى مقاله وقوله (فاستصعبت) تلك الدابة (عليه) فقال لها جبريل اسكنى فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل (من هذا) الملك (قال والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه) تقدم شرحه فلا نكرره وتأنيث البراق لغة او مأول بدابة وهذا الحديث رواه بسند متصل بعلى رضى الله تعالى عنه وفى سنده زياد بن المنذر وقد قيل فيه انه كذاب والحديث ضعيف ومال السهيلى لصحته وذكر الحجاب وسيأتى بيانه (فقال الملك) الذى خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل عليه الصلوة والسلام (الله اكبر الله اكبر) الى آخر الاذان واجابة المؤذن بما يليق برب العزة فلذا شرع لنا ذلك بما يناسب حالنا على ما عرف فى كتب الفقه والسنة (فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى انا الله لا اله الا انا وذكر) الراوى (مثل هذا) الذى ذكر قولا وجوابا للمؤذن (فى بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفلاح) لانه لا يتصور فى حقه معناه اولان جوابه لا حول ولا قوة الا بالله اى لا يقدرنا على الصلاة والسعى لها واداء حقوقها الا من هى له وهذا لا يليق الا بالمخلوق بخلاف ما قبله (وقال) اى الراوى (ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمه) على من كان بحضرته من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (فام) اى صار اماما يؤم (اهل السماء) حال كونهم (فيهم آدم ونوح عليهما الصلوة والسلام) خصهما بالذكر لانهما ابو الانبياء الجسمانيين كما انه ابوهم الروحانى المتقدم عليهم تقدما حقيقيا ومعنى حى اقبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضى منذر بن سعيد والعرب تريد بها جئ سريعا حثيثا لا كما يقول الفقهاء مطيعا وفى حى لغات مذكورة فى كتب العربية واصلها حى هلا ثم قد تفرد حى وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة يقال افلح الرجل اذا اصاب خيرا وفاز وقيل معناه البقاء والمعنى اقبلوا على البقاء فى الجنة (قال ابو جعفر محمد بن الحسين) بن على بن ابى طالب وهو ابو جعفر الامام المشهور فى آل الرسول واهل بيته (راويه) اى راوى هذا الحديث الذى رواه عن ابيه عن جده (اكمل الله لمحمد

صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف) والعلو (على اهل السموات واهل الارض) اما على اهل الارض فلانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف الرسل وامته اشرف الامم واما على اهل السماء فلانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف من سائر الملائكة بدليل انه امهم وتقدم عليهم كما تدل عليه الاحاديث المذكورة بقى ههنا ان ما ذكر يدل على ان الاذان شرع ليلة الاسراء قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى بغير اذان منذ فرضت الصلاة الى ان هاجر الى المدينة وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما الصحيح المذكور فى الصحيحين قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلاة ليس ينادى لها فتكلموا فى ذلك يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بوقا مثل بوق اليهود فقال عمر رضى الله تعالى عنه اولا تبعثون رجلا ينادى بالصلوة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بلال قم فناد الصلوة وفى حديث ابى اسحق زيادة على ما ذكر فبينما هم على ذلك اذ سمع عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجى النداء فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد طاف بى الليلة طائف مر بى رجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت يا عبد الله اتبيع هذا الناقوس فقال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال اولا ادلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله اكبر الله اكبر الى آخره فلما اخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انها رؤيا حق فقم لبلال فالقها عليه فليؤذن بها فانه اندى صوتا منك فلما اذن بلال رضى الله تعالى عنه سمعه عمر رضى الله تعالى عنه وهو فى بيته فخرج يجر رداءه وهو يقول يا نبى الله والذى بعثك بالحق نبيا لقد رأيت مثل الذى رأى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله وفى وسيط الغزالى انه رأى هذه الرؤيا بضعة عشر رجلا وانكره النووى كابن الصلاح وقالا لم يثبت الا رؤيا زيد وعمر رضى الله تعالى عنهما فهذا يدل على ان الاذان انما روى بالمدينة وما ذكرهنا يدل على انه بمكة فى الاسراء وهما متعارضان الا ان الثانى صحيح والاول ضعيف وقال ابن حجر رحمه الله تعالى قول القرطبى انه لا يلزم من رؤيته فى الاسراء مشروعيته فى حقه فيه انه يأباه قوله فى الحديث لما اراد ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاذان وقول الطبرى يحمل الاذان فى الاسراء على معناه اللغوى يأباه ذكره بالفاظه بعينها وما قيل من انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه فى الاسراء ولم يؤمر به بمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين واخره الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم لما رأوا ذلك اظهره ليكون مدحه على لسان غيره فى غاية الضعف ولو كان كذلك لم يؤخره حتى قدم المدينة (اقول هذا كله كلام مضطرب والذى ظهر لى فى التوفيق بين الحديثين على وجه لا كدر فيه

ان المذكور فى رواية البزار اسراء غير المعروف وانه بروحه اوفى رؤياه لان الاسراء تعدد فيكون رأى فى منامه ذلك ورؤيا الانبياء وحى وعقب ذلك قص عليه الصحابة رضى الله تعالى عنهم رؤياهم فاظهر موافقتهم والعمل بها لتكون الشهادة والمدح من غيره وليسروا بموافقتهم رأيهم وكون ذلك مأثورا عنهم والا فهو فرض كفاية مشروع ومباح لايثبت برؤيا غيره فيحتاج الى انه اجتهاد بما يوافق الرؤيا وهو خلاف وهذا ان شاء الله من بركاته ولمعات مشكاته ثم ان المصنف رحمه الله تعالى استشعر اعتراضا فيما مر من الحديث الذى ذكر فيه الحجاب وهو فى حقه تعالى محال لاستلزامه الجهة والتحيز فاراد دفعه بقوله (قال القاضى) ابو الفضل عياض مؤلف هذ الكتاب (رضى الله عنه مافى هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حق المخلوق) ازائى (لافى حق الخالق) زاد الفاء فى خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جائز وكذا ماورد فى الحديث حجابه النور اذ الحجاب بمعنى المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير والحاجب يحيط بالمحجوب فيقتضى تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا قال ابن عطا رحمه الله كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى اظهر كل شئ كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو اظهر من كل شئ كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ (فهم) اى الخلق (المحجوبون والبارى جل اسمه منزه عما يحجبه) لما سيأتى ولذا علا على كرم الله وجهه بالدرة من قال لاوالذى احتجب بسبعة اطباق وقال ويحك بالكع ان الله لايحتجب ثم علل استحالة ذلك فى حقه فقال (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب او بفتح فسكون مصدر (انما تحيط بمقدر محسوس) اى بذى مقدار له طول وعرض وعمق فى جهة تحس بتوجه الناظر فيقتضى الجهة وهو منزه عن ذلك (ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصائرهم) جمع بصيرة وهى القوة المدركة لغير المحسوس من العقل ونحوه فلا تحيط به ابصارهم اى لا تدرك ادراك احاطة بذاته لاقتضائه التحديد والتناهى ونحوه مما هو منزه عنه كما فسره به قوله لاتدركه الابصار كما ذكره البيضاوى ردا على من انكر الرؤية واستدل بهذه الاية ويأتى الكلام عليها ولا تدركه بصائرهم والمراد بالادراك العلم اى لايعلم كنهه وحقيقته عقولهم ادراكا تاما يقينا (و) حجبه عن (ادراكاتهم) اى انواع العلم والادراك مغطاة عن ادراك ذاته فلا رؤية ولا تصور ولا اكتناه فى غيرناه (بما شاء وكيف شاء ومتى شاء) متعلق بحجب اى منعهم عن رؤيته وادراك ذاته ومعرفة حقيقته ليس بحجاب كحجاب البشر بل بسبب ارادة وكيفية لايدركها فى اى زمان اراده وفيه ايماء الى ان رؤية الله فى الدنيا ممكنة وفى الاخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح بل واقعة للانبياء عليهم الصلوة والسلام ومن امسك ذيل حقيقتهم (كقوله) اى كقول الله فى الكفار (كلا انهم عن ربهم) اى ان الكفار (يومئذ) اى يوم القيامة وفى الاخرة اذ تنعم

المؤمنون برؤيته ورضوانه (لمحجوبون) وقال كقوله بالكاف لان المدعى عام وهذا خاص بالكفار ولكن فيه اثبات لمدعاه اذ جعلهم هم المحجوبون لا الله فان قلت الحجب امر نسبى لابد من تعلقه بالطرفين فيلزمك مافررت منه قلت نعم هو نسبى ولكن بين حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وسائر العظمة والمحجوب مخلوقاته لاهو لانه محجوب عنه فيجوز ان يوصف بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره ومثاله حفرة عميقة فيها نمل على رأسها انسان حديد البصر فالنمل محجوب عن رؤيته بالحفرة لايرى من فوقه وهو يشاهد ويشاهد حركاته والحجاب للمشهود لاللشاهد فعلى هذا يطلق الحجاب ونحوه عليه لوروده بهذا المعنى مطلقا او مقيدا اذ ابهام ما سمع من الشارع لا يلتفت اليه كاليد والبصر وغيره فاعرفه فانه امر مهم كثير فى القرأن والحديث (فقوله فى هذا الحديث الحجاب) بالجر على حكاية الحجاب او الرفع (و) قوله (اذ خرج ملك من الحجاب) اراد ملك الاذان الذى سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل (يجب ان يقال) فى تفسير معناه (انه حجاب حجب به) الله تعالى (من وراءه ملائكته عن الاطلاع) بكسر الطاء المشددة اى رؤيتهم متعلق بحجب (على مادونه) اى ماخلفه ووراءه من جانب الغيب وباطنه فهو الباطن والظاهر (من سلطانه) الظاهر انه اراد به مايقبضه قدرته عند تصرفه مما لايطلع عليه رسل الملائكة وغيرهم الا باذنه نادرا (وعظمته وعجائب ملكوته) ومالايدرك من ذلك والمراد بالملكوت عالم غيب الغيب اى ماغيب عن الملائكة (وجبروته) وهو يطلق على القهر وعلى عظائم الملكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره وهو المراد وجبروته بغير همزة قال الحلبى وهو مهموز فى بعض النسخ وهو لحن (ويدل عليه) اى يدل على ان الحجاب لغيره لالذاته (من الحديث قول جبريل) له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الملك الذى خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه) فانه صريح فى ان الحجاب انما حجب الخلق فان جبريل قد حجبه الله تعالى عما فى سرادق جلاله وخلف حيطة عظمته (فدل على ان هذا الحجاب المذكور فى الحديث (لم يختص بالذات) اى لم تختص محجوبيته بذاته تعالى اذ حجب بعض الملائكة ايضا كملك الاذان وبما فسرنا به علمت انه لايتوهم ان المصنف رحمه الله حقه ان يقول يختص بغير الذات لان نفى الاختصاص يقتضى المشاركة كما لايخفى (ويدل عليه) اى على عدم اختصاص الحجاب بالذات كما مر (قول كعب الاحبار (فى تفسير سدرة المنتهى) اى فى بيان سبب تسميتها به (قال اليها ينتهى علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم) فهذا وجه تسميتها به ومنه يعلم ان الحجاب انما هو بالنسبة لغيره لا له وان المحجوب عنهم ذاته وامره وملائكته المقربون وقوله يجدون معناه يقفون ويعلمونه (واما قوله) فى الحديث (الذى يلى

الرحمن) لما كان ظاهره انه حائل بينه وبين غيره اشار الى تأويله بقوله (فيحمل) اى يفسر بانه (على حذف المضاف اى الذى يلى عرش الرحمن) فالمضاف المقدر لفظ عرش اولفظ امر (اوامر اما) زيادة ما للعموم اوللتعظيم اى يلى امر الرحمن (من عظيم آياته) من بيانية لايضاح ما ابهم اولا وهو اوقع فى النفوس لحصوله بعد التشوق اليه (اومن مبادى حقايق معارفه) اى امرا يكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله (مما هو) اى الله تعالى (اعلم به) من رسله وملائكته عليهم الصلوة والسلام (كما قال تعالى واسئل القرية التى كنا فيها اى اهلها) اشارة الى ان تقدير المضاف لقرينة عقلية كثير بليغ لان القرية لا تسئل وانما يسئل اهلها (وقوله) تعالى فى حديث الاذان اجابة للملك لما قال الله اكبر من كل كبير (فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى) اى الملك القائل (انا اكبر فظاهره انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (سمع فى هذا الموطن) اى المكان الذى كان قارا به كما يقر الانسان فى وطنه (كلام الله) من غير واسطة كما سمعه موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولكن من وراء حجاب) حجبه عن رؤية الله تعالى وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له وان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محجوبا عن رؤيته معاينة ثمة فهو لايراه ثم استدل على ذلك بقوله (كما قال تعالى وماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اومن وراء حجاب اى وهو) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لايراه) اى لايرى الله معاينة اذ (حجب بصره) اى بصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عن رؤيته) اى رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه فى هذه الدنيا ولما كان هذا يوهم امتناع الرؤية مطلقا قال (فان صح) الحديث و(القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه) عيانا حين اسرى به (فيحتمل انه فى غير هذا الموطن) الذى سمع فيه الاذان (بعد هذا) الموطن والمقام (اوقبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) عيانا فى مقام آخر (والله اعلم)

﴿ فصل ﴾

فى تحقيق الاسراء اعلم انهم اختلفوا فى المعراج والاسراء هل كانا فى ليلة واحدة اوليلتين وهل كانا جميعا يقظة اومناما او بعضه يقظة وبعضه مناما فقيل ان الاسراء كان مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة ومنهم من قال بتعدد الاسراء فى اليقظة ايضا بل قيل انه اربع مرات وبعضها كان بالمدينة ووفق ابوشامة رحمه الله تعالى بين الروايات بالتعدد وانه وقع من مكة لبيت المقدس فقط على البراق ومرة من مكة الى السموات الى آخر ما فصله وقال انه لبيت المقدس ثابت بنص القرآن والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسراء والمعراج وان الاول سيره للبيت المقدس والثانى صعوده منه للملاء الاعلى وان كلا منهما يطلق على الجميع واما حمل البدنى على انه بطريق الانسلاخ الذى ذهب اليه الصوفية فاخراج للحديث عن ظاهره لمعنى لاينبغى التعويل عليه وانما ذكرناه لننبهك عليه ائلا تغتر بكلام بعض جهلة

المتصوفة والحكماء (ثم اختلف السلف والعلماء) من عطف العام على الخاص والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم وبالعلماء من بعدهم (هل كان اسراء بروحه اوجسده) اسراء بالنصب خبر كان اى هل كان الاسراء اسراء الى آخره (على ثلاث مقالات) اى اختلف واقع على ثلاثة اقوال السلف والخلف ثم فسره وفصله بقوله (فذهب طائفة) اى جماعة ممن سيصرح به (الى انه) اى الاسراء (اسراء بالروح وانه رؤيا منام) عطف تفسير لابدل كما توهمه الدلجى وفى تفسير القاضى اختلف فى انه كان فى المنام اوفى اليقظة بروحه او بجسده وقوله بروحه او بجسده لف ونشر اى بروحه فى المنام او بجسده مع روحه فى اليقظة ولبس متعلقا بقوله فى اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثانى كما سيأتى قال البرهان وبقى قولان احدهما انه تعدد فمرة بجسده ومرة اومرات بروحه والثانى انانقول بالاسراء ولانعين كونه يقظة اومناما كما فى الهدى النبوى وهو غريب (مع اتفاقهم) سلفا وخلفا على (ان رؤيا الانبياء حق ووحى) لانهم عليهم الصلوة والسلام تنام اعينهم ولاتنام قلوبهم ولان الشيطان لم يسلط عليهم فيتمثل لهم والوحى على انواع منها المنام الا انه على قسمين منه مايقع بعينه وهو الاكثر ولذا ذهب الخليل الى ذبح اسمعيل عليهما الصلوة والسلام ومنها مايعبر ويأول (والى هذا ذهب معاوية) بن ابى سفيان بن حرب بن امية كما رواه عنه ابن جرير وابن اسحق وهو رضى الله تعالى عنه صحابى ابن صحابى توفى بالشام حاكما بها سنة ستين وعمره ثمان وسبعون اوست وثمانون وكان عنده ازار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وشئ من شعره وظفره فكفن بردائه وازاره وحشى شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه رضى الله تعالى عنه (وحكى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى وحكى مبنى للمجهول (والمشهور عنه) اى عن الحسن (خلافه) اى له قولان اشهرهما انه كان يقظة (واليه) اى الى ماذكر عن الحسن اولا (اشار محمد بن اسحق) بن يسار صاحب المغازى وهو ثقة وان طعن فيه بعضهم (وحجتهم) اى دليل القائلين بانه رؤيا منام (قوله تعالى وماجعلنا الرؤيا التى اريناك الافتنة للناس) لانكار كثير منهم له وارتداد بعض ممن اسلم حين بلغهم ذلك لضعف عقولهم وايمانهم ولاحجة فى ذلك لان لها تفاسير اخر وفى بعض النسخ هنا (وقيل رآها عام الحديبية) اسم بئر مشهورة وياؤها مخففة وروبت مشددة ايضا كما سيأتى بيانه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى انه هو واصحابه دخلوا مكة كما قال الله تعالى * لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق * الى آخره فلما صدوا عن الدخول فتن بعضهم فقيل لم يقل فى هذا العام وقيل الآية فى قصة بدر لقوله تعالى * اذ يريكهم الله فى منامك قليلا * وقيل المراد بها رؤيا بنى امية تنزو على منبره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) مما احتجوا به (ماحكى عن عائشة رضى الله

تعالى عنها مافقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة مافقد
بالبناء للمفعول وفى رواية لم تفقد مجهول ايضا قال التلمسانى وهى الاشبه بالصواب
فهو اخبار منها عن غيرها لانها لم تكن حينئذ زوجته بل لم توجد انتهى وسنأتى
الاشارة اليه فى كلام المصنف مع ان له صلى الله تعالى عليه وسلم زوجات اخر فلا يلزم
من عدم فقدها لذلك فقد غيرها له وقيل ولاحجة فيه ايضا لاحتمال انه تعالى اراد
ان يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفى مقدم على الاثبات ولايخفى مافيه من التكلف
(و) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى رواية (بينا انا نائم) قال ابن المنير فى المقتفى جنح
هؤلاء الى قضايا ظنوها تخيل الاسراء يقظة من حيث العقل وذلك غلط بين وانما هو
استبعاد عادى ظنوه محالا عقليا فاحتجوا بما ورد فى بعض الروايات من التصريح بانه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فايقظه الملك وقوله بين النائم واليقظان ليس
بصريح بان النوم استمر بل كان مجئ الملك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو وسن
وباقل من ذلك يستيقظ النائم المستغرق لاسيما الوسن واحتجوا على انه استمر بان المنام
مصرح به وبما ورد فى بعض الطرق اى الآتية فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام ورد
عليهم بان المراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية اى كما سيأتى بيانه وبالجملة فان
صح النقل فى الطرق وتعارضت وتعذر التأويل حمل على التعدد وتنزيله على
اسراآت بعضها يقظة وبعضها مناما لايقال لوكان كذلك لما تكرر فرض الصلاة
فانها انما فرضت دفعة قلنا فرضت فى اليقظة وجاء المنام بعد ذلك كالذكرى
وتجديد العهد اوتقدم المنام كالتقدمة والتعريض بالفرض وبما سيكون ثم فرضت
يقظة وكثيرا مايرى النائم انه فعل فعلا كان فعله قبله ويقع له انه الفعل المتقدم بعينه
فيكون ذلك لمعنى ما انتهى (وقول انس رضى الله تعالى عنه وهو نائم فى المسجد
الحرام وذكر القصة) الواردة فى حديث الاسراء الذى رواه البخارى وهو يدل
على انه كان مناما (ثم قال فى آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام) اى انتبهت
من منامى فوجدتنى به بهذه الحالة فاتفق كونه حجة لذلك وقد علمت مافيه (وذهب
معظم السلف والمسلمين) عطف للعام على الخاص وفيه اشارة الى ان خلافه لا
ينبغى لمسلم اعتقاده (الى انه اسراء بالجسد) مع الروح (وفى اليقظة) المقابلة للنوم
وهى بفتح الياء والقاف وتسكينها لحن الا لضرورة شعرية كقول التهامى * فالعيش
نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى * وبالتسكين علم كاليقظان (وهذا هو
الحق) الذى يقتضيه الاسلام اذ لاحاجة لصرف النصوص عن ظاهرها بغير داع
ولوكان كذلك لم ينكره احد من العقلاء (وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة
وعمر وابى هريرة) رضى الله تعالى عنهم وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من
الاقوال فى اسمه مشهور كما تقدم (ومالك بن صعصعة) الصحابى المدنى كما تقدم

(وابى حبة البدرى) بفتح الحاء المهملة بلاخلاف ثم باء موحدة مشددة على الاصح
وقيل انه بنون مشددة وقيل بمثناة تحتية مشددة ثم هاء واسمه عامر وقيل مالك وقيل عمرو
وقيل ثابت ابن النعمان كما فى الاستيعاب واختلف فى ابى حبة الانصارى وابى حبة البدرى
هل هما واحد او اثنان على اختلافهم فى ضبطهم المتقدم وقوله البدرى اى شهد بدرا
اشارة الى انه من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقيل اسمه كنيته (وابن مسعود
والضحاك) وهو مزاحم البلخى المفسر المكنى بابى القاسم او ابى محمد يروى عن ابن
عباس وابى هريرة وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفى سنة خمس ومائة وقيل
سنة ست واخرج له اصحاب السنن الاربعة دون الشيخين (وسعيد بن جبير)
المشهور وهو الوالبى ابو محمد اخرج له اصحاب الكتب الستة (وقتادة) المتقدم ترجمته
(وسعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها كما تقدم فى ترجمته (وابن شهاب) ابو بكر
محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن شهاب الزهرى كما تقدم (وابن زيد) عبد الرحمن بن زيد
ابن اسلم وترجمته فى الميزان (والحسن) ابن ابى الحسن البصرى كما تقدم (وابراهيم)
النخعى المتقدم ذكره (ومسروق) بن اجدع ابو عائشة الهمدانى احد الاعلام
الذى لم تخرج من همدان مثله صاحب المناقب الجمة وكان اعلم بالفتيا من شريح
توفى سنة ثلاث او اثنين وستين واخرج له اصحاب الكتب الستة ولقب بمسروق
لانه سرق وهو صغير ثم وجد (ومجاهد) بن جبر المتقدم ترجمته (وعكرمة) بن عبد الله
الامام المفسر مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما احد اوعية العلم الثقة وهو اباضى
وسيأتى بيان الاباضية آخر الكتاب روى له الشيخان وتوفى سنة خمس اوست او
سبع ومائة وترجمته مفصلة فى الميزان (وابن جريج) عبد الملك بن عبد العزيز
وقد تقدمت ترجمته (وهو دليل قول عائشة رضى الله تعالى عنها) قيل كيف يكون
الاسراء يقظة دليل قول عائشة ما فقدت جسده الشريف الدال على انه مناما
لايقظة وهذا عجيب اذ ذكره فى المذهبين وجعل مايبطله دليلا عليه كما سيأتى
فهذا سهو منه بلا ريبة (اقول لاشك انه وارد وان كلامه لايخلو من
اشكال الا ان يقال انه سقط منه شئ واصله دليل على عدم صحة قول عائشة لانه
لم يثبت نقله عنها وقد يقال مراده انه دليل على قول عائشة قرلا موافقا
لما عليه اكثر الصحابة وانها قائلة بانه يقظة كالجمهور كما سيأتى فى كلامه فالمراد
ابطال ما نقلوه عنها وهذا وان كان مخالفا للظاهر لكنه اسهل من تغليط
المصنف وهو الانسب بقوله (وهو قول) محمد ابن جرير (الطبرى) المتقدم ترجمته
(واحمد بن حنبل وجماعة عظيمة) اى كثيرة والعظمة تطلق بمعنى الكثرة كثيرا
وان كان المعروف خلافه اوالمراد انهم ائمة مقدارهم جليل (من المسلمين وهذا
قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين) فعلى كثرة نقلته
وشهرة الاخبار الصحيحة به لايناسب مخالفة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها فيه

(وقالت طائفة) هذا هو القول الثالث (كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد
الحرام الى بيت المقدس) فقط (و) منه (الى السماء بالروح) يعنى مناما ولايخفى بعده
اذلم ينقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام ثمة وهذه الحالة لاتناسب النوم ثمة وقوله
(واحتجوا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى بيت المقدس)
وفى نسخة الى المسجد الاقصى وهى الموافقة للنظم الشريف وهى اصح عندى
واعلم انهم فسروا العروج الروحانى بالمنام وليس بمتعين لانها قد تفارق البدن بدونه
وهذا مما اتفق عليه الحكماء واهل التصوف وليس هذا محل تحقيقه (فجعل الى
المسجد الاقصى غاية الاسراء) تفسير وتفصيل للاحتجاج لانه لما جعله غاية اقتضى
انه لم يتجاوز الى السماء ببدنه الشريف ولاحجة فيه لان كونه غاية لمسيره فى الارض
لاينافى صعوده لمايحاذيه فى جهة العلو وماقيل من انه انما يتم اذا كان الاسراء مرة
واحدة وعلى تقديره يكون غاية لركوبه البراق ثم عرج منه الى السماء والحكمة
فى عدم ذكره لها بيانه للسنة دون الكتاب وهوابلغ فى المدح انتهى ليس بشئ
ولوقيل انه هو الذى انكروه وانه اكتفى باقل ما تثبت به معجزته واقتصار على
ماتفهمه عقولهم القاصرة كان اظهر ونحوه قول ابن المنير فى المقتفى ورد الاحتجاج
بان الحكمة فى تخصيص المسجد الاقصى ان يسأل قريش على سبيل الامتحان عن
الاعلام التى عرفوها والصفات التى شاهدوها فى بيت المقدس وقد علموا ان الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسافر اليها قط فيجيبهم بما عاين ويوافق مايعلمونه
فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولذا لم يسألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عما رأى
فى السماء اذلاعلم لهم بذلك انتهى واقصى بمعنى ابعد لانه ابعد مسجد فى الارض
وآخر محل عبد الله فيه بحق وقوله (الذى وقع التعجب فيه) ضمير فيه للاسراء اى
وقع التعجب فى شانه لقطع مسافة طويلة فى بعض ليلة والتعجب يفيده قوله سبحان
لانه مصدر منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لايليق بعظمته ثم شاع
استعماله فى التعجب ووجهه مذكور فى الكشاف وشروحه والتعجب من المعجزات
بكونها خارقة للعادة وهو من الله تعجيب لما تعجب منه وقد ورد استعماله فى حق الله
اوورد فى الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * عجب ربنا من كذا وهو
من البشر لاستحالة ما تعجبوا منه اواستبعاده * واشار الى المراد من تعجب الله فقال
(تعظيم القدرة) منصوب لانه مفعول له اى لتعظيم قدرة الله الباهرة المؤثرة على
وفق الارادة وفى نسخة بعظيم بالباء الجارة (والتمدح بتشريف النبى محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم به) اى بالاسراء والجار متعلق بتشريف ويجوز رفعهما بوقع
اى وقع فيه تعظيم القدرة والتمدح وكذا قوله (واظهار الكرامة له) صلى الله
تعالى عليه وسلم (بالاسراء اليه) اى الى المسجد الاقصى وهو من وضع الظاهر موضع

الضمير اعتناء به لانه من اجل كراماته واعظم معجزاته (قال هؤلاء) الذاهبون الى
ان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد الاقصى وهم ارباب المذاهب
الثالث (ولوكان الاسراء بجسده الى) مكان ارفع (زائد على المسجد الاقصى لذكره)
الله تعالى فى القرأن حتى قص قصة الاسراء (فيكون) ذكره فيه (ابلغ فى المدح)
من عدم ذكره (ثم اختلفت هذه الفرقتان) الثانية والثالثة فى انه صلى الله تعالى
عليه وسلم (هل صلى ببيت المقدس) حين اسرى به (ام لا) فقيل صلى به وام
معادلة لهل وهو من نوادر العربية سمع ذلك فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
لجابر رضى الله عنه * هل تزوجت بكرا ام ثيبا وان انكره بعض النحاة (ففى حديث
انس وغيره ما تقدم من صلاته) صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء (فيه) اى ببيت
المقدس وسيأتى رواية اخرى انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم فى السماء
وفى رواية انه لم يصل بهم فيه كما اشار اليها بقوله (وانكر ذلك) اى صلاته بالانبياء
عليهم الصلاة والسلام فيه (حذيفة بن اليمان وقال) كما رواه احمد بن حنبل رحمه الله
تعالى (والله مازالا) اى جبريل والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزال هنا تامة
اى لم ينفصلا ولم ينزلا (عن ظهر البراق حتى رجعا) الى الارض فكان جبريل عليه
الصلاة والسلام راكبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى انه كان ماشيا (قال
القاضى) ابو الفضل عياض المؤلف رضى الله تعالى عنه (والحق من هذا والصحيح)
رواية (ان شاء الله) قيده بالمشيئة مع انه امر واقع وانقطع تبركا وتأدبا وللاشارة
الى احتمال التعدد فكل رواية لاتنافى الاخرى فلاينافى قوله ان شاء الله كونه حقا
صحيحا كما قد يتوهم وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * وانا ان شاء الله بكم
لاحقون (انه اسراء بالجسد والروح) فقط مناما او يقظة (فى القصة كلها) اى
فى قصة الاسراء الى المسجد الاقصى والسموات (وعليه تدل) اى ممايدل عليه نقلا
نص القرأن وهو (الآية) الدالة على شطرها صريحا (وصحيح الاخبار) المشهورة
المستفيضة الدالة على عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء والاحاديث
الاحاد الدالة على دخوله الجنة ووصوله الى العرش اوطرف العالم كما سيأتى وكل ذلك
بجسده يقظة (والاعتبار) بالرفع معطوف على ماقبله كما صححه البرهان والمراد به
التتبع لاقوال السلف او دقيق الفكر والتأمل فى الاحاديث المروية والقصة يعنى
انه يدل على ذلك العقل والنقل (ولايعدل) بالبناء للمجهول من العدول اى لايخالف
احد ويرجع ويميل (عن الظاهر) الذى يقتضيه العقل والنقل (والحقيقة)
المتبادرة من لفظ الحديث الصحيح وليس عطفا تفسيريا كما قيل (الى التأويل) متعلق
بيعدل اى لايصرف عن ظاهره ويؤول النصوص الواردة فيه (الاعند الاستحالة)
اى الا اذا كان ظاهره مستحيلا عقلا وشرعا حتى يتعذر حمله على حقيقته وليس

مانحن فيه كذلك (وليس فى الاسراء بجسده حال يقظته استحالة) يقتضى العدول عن الظاهر والتأويل وماقيل من ان ماذكره غيرمسلم لانه يكفى فى المصيرالى التأويل قيام المعاض للظاهرمن الروايات التى اوردها المخالف الذاهب الى انه منام لايقظة مردود بان هذه الرواية عنده اصح واقوى لتعدد من رواها وذهب اليها من كبار الصحابة وكثرتهم جدا كما قيل به فان قيل بالتعدد كما تقدم لم تكن معارضة ايضا فتدبر (تنبيه) الاستحالة المذكورة اى عد الاسراء محالا صدر من كفار قريش ومن بعض ضعفاء المسلمين اذتوهموا ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا فى بعض ليلة محالا لانها بعيدة بحيث تقطع فى ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الذين قالوا ان الافلاك لافرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتيام وكلاهما خطأ عقلا ونقلا الاترى نقل عرش بلقيس فى مسافة ابعد من هذه فى طرفة العين وغيرذلك مما هو مأثور مشهور وقدنطقت النصوص بان السماء لها ابواب تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوى تبعا للامام الرازى الاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية والاجسام كلها متساوية فى قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوفيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى وقد اورد عليه اعتراضات بسطناها مع جوابها فى حواشينا عليه واعلم ان كلامه مبنى على ان الحقيقة تقدم مطلقا وعند الشافعى تقدم المجاز الغالب عليها ثم ان التعجب والعجب اذا اسند الى الله فهو مأول وكذا صيغة التعجب وفى حديث عجب ربكم من شاب ليس له صبوة قال ابن فورك فى كتاب الكشف قد ورد مثله فى احاديث كثيرة والعجب والتعجب اصله ان يفاجأ امر لم يعلم من فاجأه فيستعظمه وهذا لايليق بالله عزوجل فاراد لازمه يعنى انه خلقه عظيما بحيث يتعجب من خلقه اواراد الرضاء والقبول لان من اعجبه شئ رضيه وقبله فلايتعجب مما يكره غالبا فاذا اراد تعظيم شئ اخبر عنه بما يقتضى تعظيمه الى اخر مافصله وسبحان كثر استعماله فى ذلك وقوله (اذلوكان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده) تعليل لصحة كونه يقظة ولعدم الاستحالة (وقوله مازاغ البصر وما طغى ولوكان مناما لماكانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به) ووقعوا فى فتنة اى بلية عظيمة توقعهم فى العذاب لردتهم وتكذيبهم له وانكارهم لما اخبر به صلى الله عليه وسلم بما هو خارق للعادة وهو قد اخبر به لانه معجزة تحداهم بها (اذ مثل هذا من المنامات لاينكر) تعليل لعدم

الاستبعاد والتكذيب فان قلت هذا يقتضى ان رؤية الله فى المنام جائزة بلا خلاف وقد قالوا انه اختلف فيها قلت قال الامام الغزالى ان الخلاف فيها غيرمعتدبه ولان المرئى مثاله وفرق بين المثال والمثل وقد افرده برسالة فان اردت تحقيقه فراجعها (بل لم يكن منهم ذلك) المذكور من الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان (الاوقد علموا ان خبره انما كان عن) اسرائه ب(جسمه وحال يقظته) اخذا مما قاله لهم واما كون رؤيا الانبياء وحى وحق فهذا انما يعرفه من صدقه وصدق بخبره فاقيل من انه ممنوع لان رؤياهم حق ولذاقال الله تعالى لابراهيم عليه السلام قدصدقت الرؤيا واذا كانت رؤياهم كذلك استقام كونها معجزة له ويتعلق الانكار بان رؤياهم حق كلام فى غاية السقوط اما ذكر فى الحديث المتقدم وذكر مبنى للمجهول ويصح بناؤه للفاعل ايضا والى بمعنى مع كقوله ولاتأكلوا اموالهم الى اموالكم وللغاية بتقدير من البيت المقدس الى المذكور فى الحديث بقرينة المقام وقوله (من ذكر صلاته ببيت المقدس) بيان لما وبيت المقدس هو مسجد البا ومعنى البا بالسريانية وهى لغة آدم عليه والسلام بيت الله (فى رواية انس اوفى اسماء على ماروى غيره) كما تقدم بيانه (وذكر مجئ جبريل له) صلى الله عليه وسلم (بالبراق وخبر المعراج) بكسر الميم اسم آلة للعروج وهو الصعود فى جهة العلو كالسلم وقدتقدم بيانه (واستفتاح السماء) اى طلب فتحها له صلى الله تعالى عليه سلم من جبريل (فيقال) من انت اى تقول ملائكة السماء لجبريل من انت فيقول جبريل فيقال له (ومن معك فيقول محمد ولقائه) الضمير لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الانبياء فيها) اى السماء (وخبرهم معه) فيما وقع له معهم من المكالمة (وترحيبهم به) اى قولهم له صلى الله تعالى عليه وسلم مرحبا بالاخ الصالح اوالابن الصالح كما مر وهو تفعيل من الرحب بضم الراء المهملة وفتحها ومعناه السعة اى صادفت مكانا رحبا ذا سعة وهو كناية عن وجوده فيه مايسره ويكرمه (وشانه فى فرض الصلاة) خمسين عليه وعلى امته ثم تخفيفها وهو مجرور معطوف على مجئ والشان الامر العظيم الذى جرى له فى ذلك (ومراجعته موسى) اى رجوعه فى المشاورة فى ذلك كما مر (وفى بعض هذه الاخبار) والحديث الذى رواه الشيخان عن انس رضى الله تعالى عنه (فاخذ يعنى جبريل بيدى) اى امسك يده ليصعد معه (فعرج بى الى السماء) اى صعد وانا معه (الى قوله ثم عرج بى) بالبناء للفاعل اوالمفعول وعرج كقعد عرجا ومعرجا ارتقى قال فى القاموس اذا كان خلقة فعرج فعرج اويثلث فى غير الخلقة وهو اعرج بين العرج انتهى ولبعض الادباء فى اعرج من رسالة

قامت العصا بيده مقام رجله وقلت اعواد الاغصان من اجله*

فعرج الى الارض لا الى السماء وغرس العود بكفه ولكن ما اورق ولا نما*
وحل العصا هو العذاب الاليم ولا افلح من لازمها بعد موسى الكليم*

انتهى (حتى ظهرت) اى صعدت وعلوت وهو كناية لانه يلزم من العلو على مكان عال ان يظهر ويشاهد من هو به (بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام) المستوى بضم الميم اوله مقصور اسم مكان وقد تقدم الكلام عليه وان الصريف والصرير بمعنى وهو الصوت الذى يسمع من الاجرام الجامدة اذا حركت وان المراد بالاقلام اقلام الملائكة عليهم الصلوة والسلام التى تكتب ما قدره الله وهناك وقع فرض الصلاة او هو قلم واحد لله جمع تعظيما ولكثرة مكتوبه وهو العلم المقارن للوح المحفوظ كما قيل (وانه وصل الى سدرة المنتهى) ورأى ما غشيها من الالوان وغيره كما تقدم (وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره) من جنابذ اللؤلؤ وترابها المسك الى آخر ما ذكره (قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فيما صح عنه من رواية البخارى (هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا رؤيا منام) ولا يعارضه ما روى عن عائشة وغيرها كما قيل لصحة هذا وكثرة طرقه وشهادة ظاهر النصوص له كما مر ولا وجه لما قيل ايضا ان صوابه رؤيا نائم كما لا يخفى (و) روى ابن اسحق وابن جرير مرسلا (عن الحسن) البصرى (فيه بينا انا نائم) وفى نسخ جالس (فى الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم ونقل التلمسانى عن بعضهم انه يقال بفتح الحاء المهملة وفى القاموس ان الاول معناه وما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال وديار ثمود والانثى من الخيل وبالهاء لحن اقول ما قاله وان سبقه اليه غيره ليس بصواب فانه ورد فى الحديث وصححه بعض اهل اللغة كالقز وينى فى مثلثاته واليه ذهب شيخنا المقدسى فى حواشيه والحجر معروف بجنب البيت الشريف كنصف دائرة عليه جدار قصير وهو من البيت وقيل الذى منه مقدار ستة اذرع او سبعة كما افاده البرهان (جاءنى جبريل فهمزنى بعقبه) همزه كضربه وما وقع فى بعض النسخ نهرنى من تحريف النساخ اى مسنى بشدة لينتهى والهمز والضغط بمعنى وفى العين همزته غمزته والهمزة فى الحروف لانها تهمز فتنهمز عن مخرجها انتهى وهو يدل على انها صحيحة لغة فلا وجه لما فى بعض شروح الكشاف من انها لم تسمع وانما اسمها الف وعقبه بفتح العين المهملة وكسر القاف ثم الموحدة مؤخر الرجل وهذا يدل على انه تمثل له صلى الله تعالى عليه وسلم بصورة رجل حين همزه والضمير لجبريل عليه الصلوة والسلام وليس فيه سوء ادب ممن لم يقصد التنقيص كما قيل (فقمت) اى انتبهت من منامى بدليل قوله (فجلست) والقيام بهذا المعنى كثير (فلم ار شيئا فعدت لمضجعى) اى رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم فالمضجع مصدر ميمى او اسم مكان (ذكر ذلك ثلاثا) وانما ذكره ثلاثا لانه وقع الهمز ثلاث مرات (فقال فى) المرة (الثالثة

فاخذ بعضدى) بالاضافة الى ياء المتكلم المخففة والعضد ما فوق المرفق (فجرنى الى باب المسجد) اى اخرجه اليه تأدبا منه اذ لم يدخل ما هو على صورة دابة لفناء بيت الله وقيل الله اعلم بصحة هذا لنزاهة جبريل عن ان يفعل به صلى الله عليه وسلم ذلك الجر وفيه نظر (فاذا بدابة وذكر خبر البراق) المتقدم فى شكله وهيئته وسرعته وهذا رواه ابن اسحق وابن جرير والطبرانى (وعن ام هانئ) بهمزة فى آخره وتبدل ياء واختلف فى اسمها فقيل فاختة وقيل عاتكة وقيل جمانة وقيل فاطمة وقيل رملة وهى بنت ابى طالب صحابية عظيمة المقدار اخرج لها اصحاب الكتب الستة وكانت اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة المخزومى فمات بنجران كافرا وخطبها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذرت بانها مصبية اى ذات اولاد (ما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى) وهو مخالف لما مر انه كان بالحجر وغيره فان قيل بتعدد الاسراء فلا اشكال (تلك الليلة) التى اسرى به فيها من بيتها (صلى العشاء الاخيرة) والعشاء الاولى المغرب (ونام بيننا) اى بين اهل بيتها واولادها وفى رواية ونام شبيئا بشين معجمة اى نام قليلا من الليل (فلما كان قبيل الفجر) بتصغير قبل تصغير تقريب وتقليل (اهبنا) بالهمزة اوله وتشديد الموحدة اى ايقظنا يقال هب اذا استيقظ واهبه ايقظه من منامه ونبهه منه (فلما صلى الصبح) اى صلاة الصبح (وصلينا معه قال يا ام هانى لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت) بكسر التاء اى كما شاهدت صلاتى لها (بهذا الوادى) اى بمكة وهى واد لاحاطة الجبال بها وانخفاضها بينها قالوا وهذا مشكل من وجوه لانها انما اسلمت عام الفتح كما مر فكيف تكون صلت معه العشاء وايضا ان الصلاة انما فرضت فى الاسراء واول صلاة صلاها بعد الفريضة الظهر فما معنى صلاة العشاء والصبح ولذا اشار المصنف لتضعيف هذا فى الفصل الذى يليه وايضا المغرب لا تسمى عشاء لغة وشرعا وقولهم العشاآن المغرب والعشاء تغليب وما قيل من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى قبل الاسراء قبل طلوع الشمس وغروبها وان المراد بقولها صلينا هيأنا له ما يحتاج اليه فى صلاته كلام لا يجدى لانه فى غاية الخفاء او هو مدرج من كلام غيرها نعم كون المغرب لا تسمى عشاء اولى غير متجه لانه ورد فى الحديث تسميتها عشاء اولى والمراد بالعشاء اول الليل وكون ما ورد تغليبا غير مسلم فان الاصل هو الحقيقة (اقول الذى يظهر لى فى التوفيق بين الروايات والجواب عما ذكر ان لم نقل بتكرار الاسراء مرارا اذ عليه الامر ظاهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ببيت ام هانى ثم خرج الى الحرم للصلاة فغشيه نوم ثم استيقظ وعرج به واما قول ام هانى رضى الله تعالى عنها وصلينا فيدفع اشكاله المذكور بانها بنت ابى طالب وابو طالب وآله كانوا محبين له صلى الله تعالى عليه وسلم معتقدين صدقه

ولم يظهر واذلك لغيره جاهلية وحكمة خفية ولذا اسلم على كرم الله وجهه فى صباه وكان رضى الله تعالى عنه معه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر ذلك ابو طالب فى شعره المشهور فى السير فلما خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه على فلاشك انه كان يصلى قبل الاسراء بالغداة والعشى صلاة غير الخمس المفروضة فقولها صلينا كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا و القاتل واحد منهم لان الفعل المرضى لجماعة اذا وقع من احدهم ينسب للجميع وهو مجاز بليغ مشهور اى صلى معه بعض آلنا وهو على رضى الله تعالى عنه او يقال انها كانت مسلمة سرا كما نقل مثله عن العباس رضى الله تعالى عنه فاندفاع الايراد الذى ظنوه غير مندفع ظاهر فلاحاجة لما قيل الصلاة هنا لغوية بمعنى الدعاء (ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون) وتشاهدون والغداة والغدو بمعنى وهو اول النهار وهو بتقدير مضاف اى صلاة الغداة وهى صلاة الصبح (وهذا) المذكور برهان ودليل (بين) بتشديد الياء المكسورة اى ظاهر واضح (فى انه) اى الاسراء (بجسمه) وروحه لابروحه فقط كما قيل وقيل انما البين فيه قوله ثم نام وفيه نظر (وعن شداد بن اوس) بن ثابت بن المنذر بن الحرام ابو يعلى الانصارى الصحابى نزيل بيت المقدس وليس بدريا كما توهم وقد اخرج له الائمة الستة واحمد فى مسنده وهذا الحديث ليس فيها وانما رواه البيهقى وابن مردويه توفى سنة ثمان وخمسين ودفن بفلسطين وهو ابن اخى حسان بن ثابت كما مر فى ترجمته عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه افضل الصحابة وفى اكثر النسخ عن ابى بكر من رواية شداد بن اوس عنه (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به) فى هذا ما لايخفى اذ لايصح مع قوله (طلبتك البارحة) وهى الليلة الماضية قبل ليلتك ومنه المثل ما اشبه الليلة بالبارحة ففيه تقدير بعد ليلة اسرى به ومعنى طلبتك اى تفقدت جسدك فى مضجعك (فلم اجدك) فيه او فيه تقديم و التفات اى طلبتك البارحة ليلة اسرى بك وهذا كله خلاف الظاهر ولم ينبهوا عليه فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (ان جبريل حملنى) وفى نسخة حمله (الى المسجد الاقصى) وان بكسر الهمزة او فتحها والتقدير بان الى آخره قيل هذا يحتمل انه كان ببيت عائشة رضى الله تعالى عنها بدليل السياق لكنه معارض بقول عائشة المتقدم وقوله حملنى جبريل مخالف لكونه على البراق الا ان يقال لكونه سببا له اسند اليه مجازا وفيه نظر وهذا دليل على انه كان يقظة بجسده وعن عمر رضى الله تعالى عنه كما رواه ابن مردويه من طرق (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد) الاقصى (ثم دخلت الصخرة) اى دخلت المسجد الذى تحت الصخرة المعروف الآن بمسجد داود عليه الصلوة والسلام ففيه مضاف مقدر اى تحت (فاذا بملك قائم) لم يسموه (معه آنية ثلاث

وذكر الحديث) اى ساقه الى آخره واذا هنا فجائية اى فاجأنى بغتة لقاؤه والآنية بالمد جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى واوانى جمع الجمع وليس مفردا كما توهم العامة كما مر ولذا وصفه بانه ثلاث فهو صفة او بدل منه وقيل خبرهى مقدرة وكان الظاهر ان يقال ثلاثة لان مفرده مذكر فكانه اول بكأس ونحوه يعنى اناء من خمر واناء من لبن واناء من ماء وانه خير فيه فاختار اللبن وقيل له اخترت الفطرة ولو اخترت الخمر غوت امتك وهذا تمام الحديث وقد تقدم واعترض عليه بانه محتمل لكونه مناما ولامانع فى هذه الرواية اصلا فقوله (وهذه التصريحات ظاهرة) فى انه كان يقظة (غير مستحيلة) شرعا وعقلا حتى تقتضى استحالتها التأويل (فتحمل على ظاهرها) ولايعدل الى التأويل مع عدم الحاجة اليه يؤيد ذلك (وعن ابى ذر) الصحابى الغفارى رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (فرج) مبنى للمجهول مخفف الراء ونائب فاعله (سقف بيتى) وفى نسخة عن سقف بيتى والمعنى كشف من السقف جانب حتى انفتحت منه فرجة ولم يبق حائل بينه وبين السماء (وانا) مقيم (بمكة) قبل الهجرة وهذا مع قوله سابقا بينا انا بالحجر او الحطيم وقول ام هانى السابق ما اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو ببيتى بينهما من المعارضة مالايخفى فان قيل بالتعدد فلا منافاة بين الروايات ولايكفى هنا كون اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هانى لكونه ملكها وقد تقدم قول ابن المنير ان فرج السقف وعدم اتيان بيته من بابه انه مبالغة فى الفجأة وتنبيه على ان دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته كانت على غير ميعاد وكان هذا عادة الخلفاء العباسيين قلت وليدل على ان هذا امر الهى وكرامة تسر ولاتضر ولو اتى من الباب لتوهم انه احد من اعدائه الذى هو بين اظهرهم (فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام فشرح صدرى) وفى رواية ففرج صدرى اى شقه وهى انسب بفرج البيت (ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة) لانه افضل المياه حتى الكوثر فى قول ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم الفه صغرا وكبرا وشرح الصدر لاينافى شق القلب لانه مقدم عليه ولاحاجة الى القول بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه شق قلبه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم وهو صغير عند ظئره حليمة رضى الله تعالى عنها فهذه مرة ثانية فالاولى ليطهره من الكدورات البشرية ويرشحه للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة عجايب الملكوت فهو وقع مكررا ففى مرة غسل بماء زمزم وفى اخرى بماء ثلج ليثلج صدره ويصبره فلاتعارض بين الروايات قال ابن المنير ولما لم يقع هذا للكليم عليه الصلوة والسلام لم يطق فى الدنيا رؤيا ولم يذكر هنا انه كان معه ملكان بطست وماء كما مر وانه وضع عليه خاتم النبوة وسيذكره (ثم اخذ بيدى فعرج بى) بالبناء للفاعل او المفعول كما مر

وشرح صدره كان بعد نزول جبريل عليه الصلوة والسلام اليه والتعقيب بالفاء عرفى نسبى فلا ينافى قوله (وعن انس اتيت) بالبناء للمجهول لا للفاعل كما توهم (فانطلق بى) مجهول ايضا وفى نسخة فانطلقوا بى بصيغة الجمع لان مع جبريل ملكان اخران معهما طست الذهب كما مر ولا منافاة بين الروايات كما يتوهمه من لا بصيرة له (الى زمزم فشرح عن صدرى) اى شق صدره وقلبه ووضع فيه نور النور ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجايبه (و) روى مسلم (عن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (لقد رأيتنى) جواب قسم مقدر للتأكيد بالمثناة الفوقية المضمومة ورأى علمية او بصرية (فى الحجر) تقدم ضبطه وما يتعلق به (وقريش تسألنى عن مسراى) جملة حالية والمسرى مصدر ميمى او اسم مكان اى سأله كفار قريش عن علاماته بعدما كذبوه تحقيقا لما زعموه (فسألتنى) قريش وتأنيثه باعتبار القبيلة (عن اشياء) من بيت المقدس واماراته (لم اثبتها) اى لم اكن اثبت صورتها فى ذهنى وفكرى لاشتغاله بما هو اهم منها من معاينة ما وقع له ثمه من صلاته مع الانبياء وتهيئه للعروج فسقط ما قيل من ان هذا يدل على انه كان مناما لان النائم اقل ضبطا لما يراه فى منامه من المستيقظ ورؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم حق وان نامت عيناه لا ينام قلبه (فكربت كربا ما كربت مثله قط) بضم الكافين من الماضى المجهول والكرب الغم والحزن الشديد مع القلق والاضطراب قال الراغب اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر والحرث والغم مثير النفس كاثارة ذلك وفى المثل الكراب على البقر وليس ذلك من قولهم الكلاب على البقر فى شئ (فرفعه الله لى انظر اليه) اى رفع الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بيت المقدس حتى ينظر اليه و يثبت ما فيه و يخبرهم به على حقيقته فجملة انظر اليه حالية او مستأنفة (ونحوه عن جابر رضى الله تعالى عنه وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حديث الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثم رجعت) عن مسراى (الى خديجة) ام المؤمنين رضى (وما تحولت) اى والحال ان خديجة رضى الله عنها ما تحولت وتحركت (عن جانبها) التى كانت عليه حين فارقها النبى صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضى انه كان فى بيت خديجة وقد تقدم انه كان فى بيت ام هانى رضى الله تعالى عنها وفى رواية انه كان فى الحجر وفى اخرى فى الحطيم وهو الحجر الذى يلى الميزاب الذى هو قبلة اهل المغرب وقيل الحطيم ما بين المقام الى الباب وروى عن مالك وعن ابن جريج هو ما بين الركن والمقام عند زمزم قيل والصحيح انه ما بين الركن الاسود الى الباب

﴿ فصل فى ابطال حجج من قال انها نوم ﴾ لا يقظة وان الاسراء لم يتكرر

مرارا اربعة كما ارتضاه ابو شامة رحمه الله تعالى وتأنيث ضميرانها لان الرؤيا مؤنث

سماعى لا باعتبار انها رؤيا منام كما قيل (احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة فسماها رؤيا) وهذا مبنى على ان رآى مشترك فيكون بمعنى ابصر يقظة ومصدرها رؤية ومناما ومصدرها رؤيا ورآى بمعنى علم وحكم ومصدر الاخير الرأى وهذا هو المشهور وقد رده السهيلى فى الروض الانف وقال الرؤيا مشتركة ايضا بين البصرية والحلمية واورد له شواهد من كلام العرب وقد مر جميع ذلك وقيل الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلا (قلنا) جوابا عما احتجوا به (قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده يرده لانه لا يقال فى النوم اسرى) اذ الاسراء كما مر هو السير ليلا وهذا انما يكون يقظة لا سيما وقد ذكر فى الحديث ما يستلزمه لزوما بينا من صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلوة والسلام واستصحاب البراق عليه وغير ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه رأى فى منامه انه اسرى به بعيد جدا ولذا جعله ابطالا لما قالوه لانه فى قوة الخطاء فما قيل ان الاولى ان يقول بخدشه ما ذكر ليس بشئ يعول عليه (وقوله فتنة للناس) اى بلية ومحنة جرأتهم على تكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ورده بعضهم (يؤيد انها رؤيا عين) باصرة يقظة (واسراء بشخص) اى سير بجسده حقيقة يقظة لا تخيلا نوما كما قيل (اذ ليس فى الحلم) بضمتين او ضم فسكون وهو ما يراه النائم واصل معناه العقل يقال حلم فى نومه يحلم حلما وحلما وقيل حلم بضم ثم فتح كرفع قاله الراغب (فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة) اقطار جمع قطر وهو الجانب والمتباين البعيد ومن بيان لذلك او لمثل اى يرى فى مدة قليلة انه وصل لاماكن بعيدة ولا ينكره عليه احد من العقلاء ثم اشار الى رد دليلهم بوجه آخر فقال (على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية) التى استدلوا بها وعلى بمعنى مع هنا والعلاوة ضم امر لآخر كقوله

* على ان قرب الدار خير من البعد *

والمراد بالاية وما جعلنا الرؤيا الآية (فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية) القضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا على الاصح لما سيأتى وروى قصة بالصاد المهملة والحديبية مصغرة بحاء ودال مهملتين وياء تحتية ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء مخففة وهاء تأنيث وتشد ياؤه ايضا وعليه اكثر المحدثين وبعض اهل اللغة فهى صحيحة رواية ودراية فلا وجه لمنعه وسميت بها الشجرة حدباء وقع تحتها بيعة الرضوان ثم صار اسما لبئر بها وقرية على مرحلة من مكة عند مسجد الشجرة وهل هى من الحل او من الحرم او بعضها من الحل وبعضها من الحرم اقوال ذهب الى كل منها بعض العلماء وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقام بالمدينة منصرفه عن غزوة بنى المصطلق فى شوال وخرج فى ذى القعدة معتمرا ومعه من الانصار والمهاجرين نحو الف وخمسمائة وساق

الهدى معه وهو محرم ليعلم انه لم يخرج لحرب فلما بلغ قريشا ذلك خرج منهم جمع صادين له صلى الله تعالى عليه وسلم عن دخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه وخرج مع الكفار خالد بن الوليد الى كراع الغميم فلما وصل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال حبسها حابس الفيل والله لاتدعونى قريش اليوم الى خطة فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ولم يكن ثمة ماء فغرز سهما له فى بئر ففار ماؤها حتى كفى الجيش ثم جاءت السفراء بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والكفار وتنازعوا حتى جاءه سهيل بن عمرو العامرى وقاضاه على ان ينصرف ويأتى فى العام القابل وان يكون بينهم صلح عشرة اعوام يأمن بعضهم بعضا على ان من اتاه مسلما منهم رده اليهم ومن اتاهم لم يردوه فعظم ذلك على المسلمين ووقع ما وقع ولذا سمى عام القضية قال ابن عبد السلام فى قواعده فان قيل لم التزم صلى الله تعالى عليه وسلم الصلح وما شرطوه مع ما فيه من ادخال الضيم على المسلمين والدنية فى الدين قلنا وقع ذلك دفعا لمفاسد عظيمة وهى قتل المؤمنين والمؤمنات الذين كانوا خاملين بمكة لايعرفهم اهل الحديبية وفى قتلهم معرة عظيمة على المؤمنين فاقتضت المصلحة ايقاع الصلح على ما ارادوه وهو اهون من قتل اولئك مع انه علم ان فى تأخير القتال مصلحة عظيمة وهى اسلام جماعة من الكفار ولذا قال تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء اى فى ملة الاسلام وقال لوتزيلوا الآية والى هذا اشار بقوله (وما وقع فى نفوس الناس من ذلك) اى من صلح الحديبية حتى راجعه عليه السلام فى ذلك عمر مرارا وقال ماقال واشمأزت خواطرهم وقال ابن المنير لم يكن ذلك شكا وريبة ولكن من فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والغضب لله ورسوله وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من علمه بالعاقبة الحميدة ما ليس عندهم فلما تبين لهم ذلك عادوا للرضاء والوفاق (وقيل) فى تفسير الآية وسبب نزولها (غير هذا) الذى تقدم من ان هذه الرؤية لم تكن عام الحديبية وانما كانت قبيل بدر وهى التى فى قوله تعالى * اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الآية (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث مناما وفى حديث آخر بين النائم واليقظان) كان ان جالسا (وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت) وانا بالمسجد الحرام (فلا حجة فيه) للقول بانها رؤيا منام كما مر (اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه وهو نائم) بدليل قوله فى الحديث فهمزنى بعقبه السابق مع ما يضاهيه (او اول حمله) على البراق (والاسراء به وهو نائم) ولا يخفى بعده مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم تنام عيناه ولاينام قلبه وقيل ايضا انه مخالف للظاهر فهو مشترك الالزام (وليس فى الحديث انه كان نائما فى القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام) فانه يقتضى انه صلى الله تعالى عليه

وسلم لم يستيقظ قبل وصوله اليه وعوده وكون استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظت من نوم آخر تكلف لاحاجة اليه وتأييده بانه لم يستغرق الليل باسرائه فيكون لسرعة مسيره ومشقته نام بعده للاستراحة ابعد منه فلذا عبر عنه بقوله (فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت) اى دخلت فى وقت الصباح لان صيغة الترجى تقتضى ضعفه على عادة المصنفين فى التعبير بها (او استيقظت من نوم آخر) غير ما كان قبله فى الحجر او فى بيت ام هانى او غيره (بعد وصوله بيته) اى البيت الذى كان فيه فالاضافة لادنى ملابسة فلا ينافى ماقلناه (ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه) بدليل قوله تعالى ليلا فى الآية كما ذكره المفسرون (وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام) وعبر بقد اشارة لضعفه ايضا (لما) بكسر اللام او تخفيف الميم احترازا من ما المصدرية (كان غمره) اى لاجل الذى عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره (من عجائب ما طالع) اى شاهد ورأى (من ملكوت السموات والارض) الذى لم يطلع عليه غيره من البشر فاستعار لتلك المشاهدة الغمرة وهو ما يغمر من الماء ويقطر منه ففيه استعارة تصريحية تبعية او مكنية وتخييلية او هو تشبيه بليغ كقوله الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت المطالعة بمعنى المشاهدة بالحواس الظاهرة قدمها واتبعها بقوله (وخامر باطنه) بالخاء المعجمة والف وميم وراء مهملة بمعنى مازجه وخالطه لا بمعنى ستره ومنه الخمر لسريانها فى بدن شاربها وان قيل انما سميت بها لسترها العقل والمراد بباطنه قلبه وحواسه الباطنية (من مشاهدة الملأ الاعلى) وتعبيره بالمشاهدة يقتضى ما فسرنا به المخامرة وان اشتهرت بمعنى الستر كما فى قول سلمان الفارسى لابى الدرداء رضى الله عنهما حين دعاه الى الارض المقدسة يا اخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على ارفه خمر الارض يقع على اى خصب يستر وجه الارض يعنى ان وطنه ارفه وارفق به فلا يفارقه والمراد بالملأ الاعلى السموات وما فيها او الملائكة لان الملأ الجماعة الاشراف (وما رأى من آيات ربه الكبرى) العظيمة التى تدهش عظمتها من رآها وما قيل من انه خلاف الظاهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اثبت الرسل قلبا فلا تعروه لذلك دهشة ليس بشىء لانه لم يرد بها دهشة بمرتبة الذهول وان كان قوله (فلم يستفق) يقال افاق واستفاق بمعنى تنبه واستيقظ من نومه (ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام) يوهمه اذ المراد به حالة اعترته وانسته عالم الدنيا وكسته حلة ملكية على انه لو سلم كان مؤيدا للمصنف غير وارد عليه وليس المراد انه عرض له صلى الله عليه وسلم النوم فى رجوعه كما توهم فانه ينافى قوله (ووجه ثالث) وهو ان (يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى) ظاهر (لفظه) وضاد مقتضى يجوز فيها الفتح والكسر والمراد

بلفظه قوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام (ولكنه سرى بجسده) وعيناه نائمتان (وقلبه حاضر) وان غض بصره كالنائم منامًا فهو مساو لليقظان (ورؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام (حق تنام اعينهم ولاتنام قلوبهم) وقد قيل عليه ان كون عينه صلى الله تعالى عليه وسلم نائمة مع الاسراء بجسده مع انه خلاف المعتاد لافائدة فيه وماذكره المصنف من الحكمة الآتية من انه لئلاتشغله المحسوسات عن الله لايدفع ماذكر لان الحكم حينئذ للروح فلامعنى لرفع الجسد وهو حاصل بدونه وقوله تعالى * لنريه من آياتنا * يأباه وقد استدرك عليه المصنف بقوله الاتى ولا يصح ان يكون هذا فى وقت صلاته الى اخره والجواب بانه ليشاهده الملائكة ويفيض عليهم بركاته لايجدى نفعا (وقدمال بعض اصحاب الاشارات) يعنى بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارة مايأخذونه من الحقايق من النصوص القرآنية وغيرها وهم لايقصدون بتفسيرهم انه صريح النص كما ذكره العزبن عبد السلام ومن لايعرف ذلك يعترض عليهم بمالاوجه له (الى نحومن هذا) اى الى قريب مماقاله صاحب هذا الوجه حيث (قال تغميض عينيه لئلايشغله شئ من المحسوسات عن الله) قال الزمخشرى فى شرح الفصيح قولهم جسم حساس لحن كما لحنوا فى قولهم محسوسات لان فعال لايبنى من افعل والحق ثبوته وثبوت حس بمعنى احس كما قاله الدمامينى فى شرح التسهيل والنووى فى شرح مسلم فعلى هذا لالحن فى هذه العبارة (ولا يصح ان يكون هذا) المذكور من الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم وهونائم ليوفق بين الروايتين ان لم نقل بالتعدد (فى وقت صلاته بالانبياء) عليهم الصلوة والسلام لان النائم لايصلى ولا تصح صلوته وظاهره انه فيما عداه من امور الاسراء صحيح بلا تردد وانما يأباه لفظ الحديث ولا يخفى ان مناجاة ربه ومراجعة موسى عليه الصلوة والسلام لذلك فكان ينبغى ان يقول والامور الواقعة فى حديث الاسراء لايصح فى بعضها ان يكون مناما فان قيل يجوز ان يكون رأى ذلك فى المنام قلنا وكذا يجوز ان يكون رأى فى منامه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم ايضا الا ان يفرق بينهما (ولعله كان له) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذا الاسراء حالات) فكان فى بعضها نائما غاضا لبصره تأدبا اولئلا يرى سوى ربه وفى بعضها مستيقظا وفى بعضها بين النائم واليقظان وبهذا يجمع بين الروايات وقيل ان الحديث الذى وقع فيه هذا ملفق من احاديث وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين ولو تركه المصنف كان احسن لمامر (ووجه رابع) لتأييد كونه يقظة وتأويل مايخالفه (وهو ان يعبر بالنوم هنا) فى هذه الرواية (عن هيئة النائم من الاضطجاع) بيان للهيئة والاضطجاع الصاق بدنه ممتدا بالارض غير جالس ولاقائم فهو استعارة

اومجاز مرسل للزومه غالبا النوم فكان على هذه الهيئة عند وصول الملك اليه وفى بعض النسخ اذ كثيرا مايعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من الملابسة وفى بعض الشروح هنا تكرار لاحاجة اليه ولذا قال انه يتعين كونه مجازا مرسلا وليس بلازم (ويقويه) اى يقوى هذا التأويل (قوله فى رواية عبد بن حميد) الامام الحافظ المقدم ترجمته وعبد غير مضاف هنا وهو ابونصر عبد الرحمن ابن الكشى ويقال الكجى بشين اوجيم (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم الاولى ابن يحيى العوذى بفتح العين المهملة وسكون الواو وذال معجمة وياء نسبة منسوب للعوذ بطن من الازد امام ثقة اخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث وستين ومائة (بينا انا نائم وربما قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (مضطجع) فتعبيره بهذا تارة وبهذا اخرى يشهد لانهما بمعنى (وفى رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة والموحدة وتاء تأنيث ابن خالد القيسى البصرى الحافظ الثقة روى له الشيخان وغيرهما وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وفى بعض النسخ بدل هدبة معاوية (عنه) اى عن همام (بينا انا فى الحطيم وربما قال) فى الحجر تقدم الكلام فيه والتوفيق (وقوله فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان) يؤيد كون المراد بالنائم المضطجع (فيكون سمى هيئته) اى هيئة النبى صلى الله عليه وسلم اوهيئة النوم (بالنوم لما كانت) تلك الهيئة (هيئة النائم) حقيقة (غالبا) اى فى الغالب وبما ذكرنا سابقا من ان هذا فى اول وصول الملك له سقط ماقيل من ان هذا ينبو عنه السمع لان ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم البراق وربطه بالحلقة وصلوته بالانبياء عليهم الصلوة والسلام يأباه واماقوله فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام فأول ايضا بمامر فلا ينافى هذا فتأمله (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب) اى قربه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الواقعة فى) رواية (هذا الحديث) اى حديث الاسراء (انما هى من رواية شريك عن انس رضى الله تعالى عنه وهى منكرة من روايته) لامطلقا والانكار المراد به معناه اللغوى او مصطلح المحدثين وهو روايته المتغير بسوء حفظه والمخالف للثقاة وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره وقالوا ليس بثبت (اذ شق البطن) اى بطنه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الاحاديث الصحيحة انما كان فى صغره عليه الصلوة والسلام) وهو عند مرضعته حليمة كمامر (وقبل النبوة) اى قبل ظهورها للناس هذا بيان لوجه انكار هذه الرواية وقد تقدم عن الامام السهيلى وغيره ان الشق وقع مرتين مرة لتثبيته للنبوة ومرة اخرى بعد مبعثه ليقوى على المعراج ومشاهدة عجايب الملكوت فلا يرد ماذكر على هذه الرواية تقتضى انها منكرة وقيل انه وقع اربع مرات عند حليمة وبحراء وليلة الاسراء ومرة اخرى فى النوم الاان ابن حجر قال ان هذه لم تثبت

كما تقدم (ولانه) اى شريك (قال فى) هذا (الحديث) الذى رواه عن انس رضى الله عنه (قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع) من المحدثين (كان بعد المبعث) مصدر ميمى بمعنى البعث وقد تقدم الكلام فيه (فهذا كله يوهن) بتشديد الهاء اى يضعف او تخفيفها لانه يقال وهنه واوهنه فوهن اى ضعف (ما فى رواية انس) هذه التى رواها شريك عنه (مع ان انساقد بين من غير طريق) اى من طرق متعددة لامن طريق واحدة (انه انما رواه عن غيره) من الصحابة كمالك بن صعصعة وابى ذر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من مرسل الصحابى وفيه ان مرسل الصحابى اذا روى من طرق مقبول فهذا لايضعفه (وانه لم يسمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لانه سمعه من غيره (فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك) من مسلم فلعل مستعارة من الترجى بجامع عدم الوقوع فيهما وقال الحاكم مدار حديث المعراج على انس رضى الله عنه وقد سمع بضعة عن مالك بن صعصعة وبعضه عن ابى ذر وبعضه عن ابى هريرة (وقال انس مرة كان ابوذر يحدث) اى ينقل حديث الاسراء السابق عنه صلى الله عليه وسلم (واما قول عائشة) رضى الله تعالى عنها (مافقد جسده) صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه عنها ابو اسحق وجرير وتقدم ان فيه رواية ما فقدت بالاسناد لضميرها والاسناد للفاعل وهو فى هذه الرواية مبنى للمجهول (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة) له صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان بمكة قبل تزوجها او قبل ولادتها كما اشار اليه بقوله (لانها لم تكن حينئذ) اى فى وقت الاسراء وزمانه (زوجة) له صلى الله عليه وسلم (ولا فى سن من يضبط) بالتحتية والفوقية اى لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط واتقان لعدم تميزها لصغرها فهو مستعار من الضبط وهو الامساك والحفظ للعلم والتميز فالرواية عنها ليست مسلمة او هى حدثت به عن غيرها فعلى رواية ما فقد الامر ظاهر وعلى رواية ما فقدت فيه تقدير اى قال فلان اوفلانة مافقدت الى آخره وهو فى غاية البعد كما قيل (ولعلها لم تكن ولدت) بالبناء للمجهول (بعد) مبنى على الضم اى بعد هذه القصة ووقوعها وهى ضد قبل ويستعملان فى التقدم والتأخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول او المراد زمان وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شايع وحينئذ لاينبغى ان ينسب لها هذا القول اذ لم يثبت كما سيأتى وكونها حدثت به عن غيرها يأباه سياقه (على الخلاف فى) زمن (الاسراء متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام) بمكة قبل الهجرة (على قول) محمد بن مسلم بن شهاب (الزهرى ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة فى) وقت (الهجرة بنت ثمانية اعوام) فعلى هذا لم تكن ولدت فى زمن الاسراء (وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة) هذه

اللام توقيتية اى وقت هى سنة خمس كما فصله النحاة فى باب العدد وفصل التاريخ (وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه) اى القول الاصح الاولى والاحسن (انه لخمس) لان مثله يكون كثير الشبه بخلاف النادر الغريب الذى لانظيرله (والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا) اى ليس مقصودنا فى هذا الكتاب بسط الادلة والحجج بل الاكتفاء بما صح من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد ان مقصوده الاختصار وعدم التطويل وتفصيله كما فى المقتفى لابن المنير قال الاقوال فيه كثيرة اصحها عندى قول ابراهيم الحربى انه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحق اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد فشا الاسلام وفى مسلم عن شريك انه قبل ان يوحى اليه ولايصح هذا بوجه لا على القول بانه منام كما وقع لعائشة انه كان بالمدينة ورجح القاضى عياض القول بانه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحق انه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا بان خديجة صلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى ماتت قبل الهجرة بمدة اقل ما قيل فيها ثلاث سنين والصلوة لم تفرض الا فى الاسراء وهو غير وارد لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى قبل الاسراء صلوة غير الخمس على خلاف فيها والحجة لنا فى ترجيحه ان كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد لانه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم وقول الحربى عين فيه ليلة بعينها من شهر بعينه وسنة بعينها فقال ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة واذا تعارض خبران احدهما احاط راويه بتفصيل فى القصة زائد فالمفصل حضر ذهنا ووعى قلبا بمن احمل وعليه الفقهاء فى كتاب الشهادة اذا ارخت احدى البينتين واليوم الذى اسفرت عنه ليلة الاسراء يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الاول واذا كان الثانى عشر من الشهر يوم الاثنين كان اوله الخميس قطعا فاول ربيع اما السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متفقا بلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة ولذا يكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التى قبلها او رابعة او سادسة واعدل لاحتمالات الخامس والجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين تعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب التمام والنقص الى آخر ما ذكره وقد قدمناه (واذا لم تشاهد ذلك) المذكور من زمن الاسراء (عائشة) رضى الله تعالى عنها (دل) عدم مشاهدتها على (انها حدثت بذلك عن غيرها) من الصحابة فحديثها من مرسلات الصحابة فهو صحيح ايضا كما عليه المحدثون الا انه لم يوفق بينه وبين غيره (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) الظاهر ان يقول فيرجح خبر غيرها على خبرها لروايتها عن مجهول بل لعدم ثبوته عنها كما سيأتى (وغيرها يقول

خلافه مما وقع نصا) اى صريحا فان النص له معان منها هذا (فى حديث ام هانى) وفى نسخة من حديث ام هانى بيان لما (وغيره) كحديث ابى ذر ومالك بن صعصعة وابى هريرة وقد قيل عليه ان حديث ام هانى المذكور فى الفصل الذى قبل هذا غير صريح فيما ذكر ويدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لا وجه له (وايضا) منصوب على المصدرية مصدر آض بمعنى رجع (فليس حديث عائشة) اى قولها مافقدت جسده (بالثابت) عنها عند المحدثين لما فى متنه من العلة القادحة وفى سنده محمد بن اسحق وقد ضعفه مالك وغيره (والاحاديث الاخر) الواردة فى الاسراء عن غيرها (ثبت) اكثر ثبتا واصح من حديثها (لسنا نعنى) اى لا اريد انا وغيرى من المحدثين بقولنا انها اثبت (حديث ام هانى) وقولها ما اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى (وما) اى وحديث عن غيرها كحديث عمر رضى الله تعالى عنه الذى (ذكرت فيه خديجة) رضى الله تعالى عنها لانهما لم يردا فى الصحيح بل احاديث آخر تعارضها غير هذين (وايضا فقد روى فى حديث عائشة مافقدت) باسناد الفعل المعلوم لضميرها كما روى مافقد بالبناء للمجهول المسند لغيرها كما مر (ولم يدخل بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة) والاسراء كان بمكة وهى صغيرة ليست عنده اولم تولد والجملة حالية وهذا يدل على عدم صحته وتأويله بما علمت من هذا او بكونه حكاية لكلام غيرها فى غاية البعد (وكل هذا) اى ذلك المذكور سابقا ولاحقا مما سبق وما تأخر (يوهنه) بالتشديد والتخفيف اى يضعفه (بل الذى يدل عليه) اى الذى يدل على ماذكر من عدم صحته عنها (صحيح قولها) اى ماصح عنها رضى الله تعالى عنها من رواية اخرى (انه) اى الاسراء (بجسده الشريف لانكارها رؤياه لربه) ليلة الاسرى (رؤيا عين) فان هذا يدل على انه اسرى بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه لم ير ربه عيانا (ولو كانت) الرؤيا فى الاسراء (عندها مناما لم تنكره) لان رؤيا المنام جائزة وانما الكلام فى رؤيا العيان والخلاف فيها فنزاعها فى ذلك الآتى يدل على ماذكر وهذا يدل على ان لها قولا آخر مرويا عنها مخالف لما اشتهر وهذا معنى قوله فيما سبق دليل قولها فتذكره وليس وصف قولها بانه صحيح مناقض لما مر من الطعن فى حديثها لان هذا رواية اخرى لها وما قيل من انه مؤيد لكونه مناما عندها ناش من عدم التدبر (فان قيل) فى رد كونه يقظة (قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فجعل مارآه للقلب) اى اثبت الرؤية للقلب دون البصر وعلقها به وفيه اشارة الى ان الفؤاد بمعنى القلب وله معان اخر وما مصدرية والجار والمجرور متعلق بجعل او بمقدر اى مسند للقلب (وهذا) الجعل او المذكور (يدل على انه رؤيا نوم ووحى) بالجر عطفا على نوم (لا مشاهدة عين وحس) بصرى والعطف تفسيرى (قلنا) فى الجواب عنه (يقابله) اى يعارضه فيسقطه عن مرتبة الاحتجاج وسيأتى الاشارة الى انه لا يعارضه

ايضا (مازاغ البصر وماطغى) زاغ بمعنى مال وطغى تجاوز عن الرؤية المحققة بل اثبتها وتيقنها (فاضاف الامر) اى امر الرؤية (للبصر و) يقابله ايضا (ما قد قال اهل التفسير) فى تأويله اى معناه حتى لا يعارضه وينافيه (فى) تفسير (قوله ما كذب الفؤاد ما رأى) معناه (لم يوهم القلب العين) فهو مقول القول والقلب مرفوع فاعل يوهم والعين منصوب مفعوله وقوله (غير الحقيقة) مفعول ثان له لانه ينصب مفعولين وغير بغين معجمة ومثناة تحتية وراء مهملة ونقل عن بعض الشروح انه يجوز فى كل من العين والقلب الرفع والنصب والمرفوع فاعل تقدم او تأخر وتوقف فى فهمه التلمسانى وليس بمحل توقف لان المراد ان البصر والبصيرة متفقان لم يخالف احدهما الاخر لوقوفهما على الحقيقة لان العين قد ترى امرا ثم يتبين خلافه وانه غير محقق وقد يتصور القلب شيئا فيشاهد خلافه والحاصل ان رآه ليس تخيلا كاذبا بل امرا محققا تواطأ عليه العين والقلب وما قيل من ان الامور القدسية يدركها القلب اولا ثم يوردها على البصر ليس بسلم (بل صدق رؤيتهما وقيل) فى التوفيق بينهما ودفع التنافى (ما انكر قلبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما رأته عينه) وهذا قريب مما قبله ولتعارضهما ظاهرا لم يدرجه فى حجج ابطال كونه مناما ويعطفه عليه واورده سؤالا وجوابا ولما كان محصل الجواب انه يدل على ثبوت الرؤيتين سقط ماقيل انه مشترك الالزام والاعتراض بانه لافرق بين الجوابين لان المراد انه لم يطرأ عليه وسوسة نفس ونزغة شيطان تشككه فيما رآه وتوهمه خلاف ما شاهدت عيناه

﴿ فصل واما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه عز وجل ﴾ بعينه

يقظة فى اسرائه بجسده والرؤية تختص بالبصرية فلذا عبر بها هنا وان اطلقت على غيرها تكون على خلاف المشهور عكس الرؤيا كما تقدم (فاختلاف السلف فيها فانكرته عائشة رضى الله عنها) ذكر ضمير الرؤية لان تأنيث المصدر غير معتبر او باعتبار الوقوع كما قيل وفى بعض النسخ فانكرتها وهى ظاهرة وانكارها لها وقع فى مسلم وغيره كما اشار اليه بقوله (حدثنا ابو الحسن سراج) بكسر السين وفتح الراء المهملة المخففة وآخره جيم (ابن عبد الملك) المراد بالملك الله فى الاعلام لكراهة التسمية بعبد فلان حتى بعبد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو امام حافظ شيخ المصنف رحمه الله تعالى ووجده وزير لغوى جليل القدر (الحافظ بقراءتى عليه) تقدم الكلام فيه (قال حدثنى ابى وابو عبد الله بن عتاب) تقدمت ترجمته (قالا حدثنا القاضى يونس ابن مغيث) بضم الميم وكسر الغين المعجمة والمثناة التحتية الساكنة وبالمثلثة يونس مثلث النون كما مر وهو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الانصارى المعروف بابن الصفار ولد فى رجب سنة سبع واربعين واربعمائة وتوفى بقرطبة سنة

اثنين وثلاثين وخمسمائة لثمان من جمادى الاولى (قال حدثنا ابو الفضل الصقلى) بفتح الصاد المهملة والقاف وتشديد اللام المكسورة نسبة لصقلية بلد بالاندلس (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده) ثابت بن حزم العوفى السرقسطى وابوه ابو محمد قاسم بن ثابت مؤلف كتاب الدلائل فى غريب الحديث روى عن ابيه وجده وعمر جده حتى قرأ عليه وكان ثابت وقاسم يشتركان فى التأليف والشيوخ والرحلة وولد ابوه سنة خمس وخمسين ومأتين ومات بسرقسطة سنة اثنين وثلاثمائة (قالا حدثنا عبد الله ابن على قال حدثنا محمود بن آدم) هو المروزى توفى سنة ثمان وخمسين ومأتين (قال حدثنا وكيع) بن الجراح بن مليح بن عدى الحافظ الثقة ولد سنة تسع وعشرين ومائة وتوفى سنة ست او سبع وسبعين ومائة (عن ابن ابى خالد) هو اسمعيل بن سعيد البجلى الكوفى توفى سنة خمس او ست واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عامر بن مسروق انه قال لعائشة) رضى الله تعالى عنها (يا ام المؤمنين هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) عزوجل ليلة الاسراء بقرينة السؤال لانها لا تنكر رؤية الاخرة ولا رؤية المنام (فقالت) مجيبة له (لقد قف شعرى) القفيف فى الشعر معناه قيامه وانتصابه وانما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوى (مما قلت) اى خفت من كلامه ان يهلك الله من قاله واستعظمه لانه امر منكر لا يرضاه الله ولم يثبت عندها وقال التلمسانى قف بمعنى اقشعر واصله ان الجلد ينقبض عند البرد والجزع فيقوم الشعر لذلك والمراد انكار ماقاله واستعظامه وما فى قولها مما قلت مصدرية او موصولة (ثلاث من حدثكم بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) مستدلة لما قالته لا تدركه الابصار الآية بناء على ان الادراك شامل للرؤية وانه حكم كلى فان قلنا الادراك بمعنى الاحاطة اى لا تحيط به الابصار ولا تعرف كنهه ورفع لايجاب الكلى سلب جزئى لم يكن فى الآية دليل على ماذكروا يأتى بيانه عن قريب وقد استدل بهذه الآية المعتزلة على نفى الرؤية مطلقا ورده اهل السنة كما فصل فى كتب الاصول وروى فى بعض النسخ من حدث بلا كاف عن العرفى والثلاث الاولى هى هذه والثانية قولها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئا من الوحى ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الى آخره والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون فى غد فقد اعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية واعلم ان هذا الحديث فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وهو فى البخارى عن يحيى عن وكيع بسند المصنف رحمه الله تعالى فهو بدل وموافقة كما فصله البرهان (وذكر) مسروق (الحديث) بتمامه كما سمعته آنفا من ذكر الثلاث

قال مسروق وكنت متكئا فجلست وقلت يا ام المؤمنين انظرونى ولا تعجلى الم يقل الله تعالى ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلوة والسلام فقال انما هو جبريل لم اره على صورته التى خلق عليها غيرها تين المرتين كما رواه مسلم (وقال جماعة) من المحدثين والعلماء لا المتكلمين لان خلافهم ليس فى رؤية الاسراء بقول عائشة رضى الله تعالى عنها (وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره ومثله) اى مثل قول ابن مسعود وعائشة (روى عن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه فى تفسير قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى (انه) بفتح الهمزة (قال) اى ابو هريرة (انما رأى جبريل) لا ربه عزوجل كما قيل فاتى بصيغة انما للرد على من فسر الآية بما ذكر (واختلف) بالبناء للمفعول فى النقل (عنه) اى عن ابى هريرة فروى عنه انه قال رآه بعينه كغيره وفى رواية اخرى انكره (وقال بانكار هذا) القول المجوز لرؤيته ووقوعه (وامتناع رؤيته تعالى فى الدنيا) وجوازه فى الآخرة (جماعة من المحدثين) انكروا صحة نقله عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (والفقهاء) ذكروه فى مباحث الردة والكفر وان احد الوقال رأيت الله بعينى فى الدنيا هل يكفر ام لا (والمتكلمين) من علماء اصول الدين والخلاف بين اهل السنة والمعتزلة فى هذه المسألة وادلتها مشهور فى كتبهم حتى انه افرد بالتأليف (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه راه بعينه وروى عطاء عنه) اى عن ابن عباس (انه رآه بقلبه) وعطاء هو ابن ابى رباح الفقيه المكى (وعن ابى العالية) وهو رفيع بن مهران الرياحى وقيل هو زياد بن فيروز وقيل اسمه فيروز (عنه) اى عن ابن عباس (انه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق) صاحب المغازى عن عبد الله ابن ابى سلمة (ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم) مراده هل رآه يقظة بعينه فقوله (والاشهر عنه) اى عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينه) وفى نسخة بعينيه مثنى وهما بمعنى تفسير للرواية التى قبله وان كانت ظاهره انه غيره لتخالفهما فى العبارة (وروى ذلك عنه من طرق) اى باسانيد مختلفة لفظا لا معنى يقوى بعضها بعضا وهو لا ينافى ماروى عنه انه رآه بفؤاده فهو كقوله تعالى * ما كذب الفؤاد ما رأى ما زاغ البصر وما طغى * كما مر (وقال) اى ابن عباس فيما روى عنه الحاكم والنسائى والطبرانى وهو فى معنى ماقبله فى ان الرؤية فيهما بصرية (ان الله اختص موسى بالكلام) بغير واسطة لقوله تعالى * وكلم الله موسى تكليما (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء المعجمة لقوله تعالى * واتخذ الله ابراهيم خليلا (ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالرؤية) البصرية لا القلبية لعدم اختصاصها به صلى الله تعالى عليه وسلم قيل عليه ان الخلة والكلام

بنا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا فتفريق هذه الخصايص غير ظاهر واجيب عنه بان مراده ان موسى الكليم اشتهر بذلك وان كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كلمه الله فى الاسراء فى مقام اعلى والخلة ثبتت له مع زيادة المحبة فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم خليل وحبيب كما اعترف به الخليل عليه الصلوة والسلام فى حديث الشفاعة حيث قال انما كنت خليلا من وراء وراى هذا الجواب لايجدى نفعا فالاولى ان المراد بالكلام مناجاته تعالى بغير واسطة فى الارض وبالخلة معاملة مخصوصة له مع الله تعالى فى هذه الدار ايضا وسيأتى بيانه (وحجته) اى دليله على الرؤية (قوله تعالى (ما كذب الفؤاد مارأى) اى ما اعتقد قلبه خلاف مارآه ببصره فى مشاهدة ربه فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما فى ان كلا منهما خلاف الواقع اى ما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره ليلة الاسراء لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة واما انكار عائشة رضى الله تعالى عنها لذلك فقد تقدم مافيه واستدلالها بقوله تعالى * لاتدركه الابصار * اجابوا عنه بوجوه منها ان الادراك بالبصر ليس رؤية مطلقة بل رؤية على وجه الاحاطة بجوانب المرئى لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول فى المكان كقول اصحاب موسى انا لمدركون والزمان كما يقال ادرك فلان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او الصفة كما يقال ادرك الغلام اذا بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل لابصار الشئ المتناهى المحدود بالجهات لتوهم معنى اللحوق فيه كما ان البصر قطع المسافة التى بينه وبينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار ماليس فى جهة لايتحقق فيه معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة نفى المطلقة وهذا تحقيق مافى التفسير وكتب الكلام (افتمارونه على مايرى) اى اتجادلونه فى رؤيته لما رآه من مريت الضرع اذا مسحته للحلب فاستعير للجدال لان كلا من المتجادلين يمترى ماعند صاحبه لطلبه له (ولقد رآه نزلة اخرى) اى مرة اخرى قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت له فى تلك الليلة مرات من العروج ولكل مرة نزلة لسماء اخرى لما راجع فى حط الصلوات وهذا مراده هنا (قال الماوردى) الامام الجليل ابو الحسن على بن محمد الشافعى صاحب التأليف الجليلة كالتفسير الكبير والحاوى وغيرهما وتقدمت ترجمتها وهذا نقله عنه ابن سيد الناس فى سيرته (قيل ان الله قسم) اى جعل (كلامه ورؤيته) مقسومين (بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم فرآه محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (مرتين) حيث كان قاب قوسين اوادنى وعند سدرة المنتهى (وكلمه موسى) عليه الصلاة والسلام (مرتين) مرة وقت ارساله لفرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه للطور والحق انه كلمه فى الدنيا مرارا عديدة فى مناجاته ولذا خص عليه الصلاة والسلام بالكليم لانه لم يكلمه فى الدنيا بغير واسطة غيره ولايلزم من هذا شرفه على نبينا صلى الله تعالى

عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه منه فى حظائر قدسه لكن لكون تكليم موسى مما يعرفه الناس خص بكونه كليما فاندفع مامر (وحكى ابو الفتح الرازى) ليس هو الفخر الرازى كما توهم (وابو الليث السمرقندى) الحنفى وقد قدمنا ترجمته والمحكى مامر عن الماوردى كما اشار اليه بقوله (الحكاية) الذى ذكرها الماوردى (عن كعب) وليس ضعيفة وصيغة قيل فى كلامه ليست للتمريض فانها يقصد بها مجرد النقل فان قلت كيف قال قسم الكلام والرؤية والقسمة انما يكون فى امر واحد يوزع بين اثنين فاكثر ولذا قيل ان هذه العبارة ممالاينبغى قلت هذا وهم من قائله فان المراد قسم تقريبهما وتعظيمهما قسمين وجعل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله

* قسم الاله الامر بين عباده * فالصب ينشد والخلى يسبح *

(وروى عبد الله بن الحارث) كما ذكره الترمذى وهو عبد الله بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب البصرى سكن الوالى بهامات بعمان بعد انقضاء فتنة ابن الاشعث لما خرج اليها هاربا من الحجاج وولد فى زمنه صلى الله عليه وسلم ومات سنة اربع وثمانين ومن الرواة ايضا عبد الله بن الحارث ابو الوليد البصرى حدث عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو زوج اخت محمد بن سيرين وجزم الشمنى رحمه الله انه هو المذكور هنا وهو الراجح لان عبد الله الاول وان وافقه فى الاسم والنسبة لكن الحارث جده وهذا راوى ابن عباس كما مر (قال اجتمع ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكعب الاحبار (فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا رأى ربه مرتين) خص بنى هاشم لانهم اقرب اليه واعرف بحاله لاسيما قبل الهجرة وكان اجتماعهما بعرفة كما ذكره الترمذى وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما فى النسخ ولو نصب على الاختصاص جاز وليس المراد بنى هاشم ماسوى العباس وظاهره انه رأى واجتهاد منهم وهذا لاينافى مامر عن ابن عباس رضى الله عنهما لان عنه روايتين فلا وجه للاعتراض على المصنف (فكبر كعب) الاحبار لسروره بمقالته الموافقة لما عنده (حتى جاوبته الجبال) اى رفع صوته بالتكبير حتى سمع صداه من الجبال وجعله جوابا تجوزا ويجوز ان يكون تكبيره تعجبا مما قاله واستعظاما له كقوله (وقال) اى كعب الاحبار (ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه) فيكون منكرا لرؤيته بعين رأسه اونقول هو موافق لان الرؤية القلبية لاتنافى البصرية وعليه الشراح وانفراد موسى عليه الصلاة والسلام بكونه كليما لما مر من ان المراد كلامه مرارا فى الارض فلا ينافى كون نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كلمه ايضا بغير واسطة كما مر (وروى شريك) تقدم الكلام عليه وعلى روايته (عن ابى ذر فى تفسير الآية) المذكورة ما كذب الفؤاد مارأى الآية وفيه نظر (قال رأى محمد) وفى نسخة بدله النبى (صلى الله عليه وسلم ربه) هذا كلام مجمل متفق عليه وقيل المراد انه رآه

بقلبه بشهادة اول الآية وفيه نظر (وحكى السمرقندى) الحنفى المتقدم (عن محمد ابن كعب القرظى) بضم القاف وفتح الراء المهملة وكسر الظاء المعجمة نسبة لبنى قريظة وهو تابعى واسمه محمد كما تقدم (وربيع ابن انس) التابعى الذى تقدمت ترجمته فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى) وهذا يحتمل ان يكون فى المرة الاولى فانه روى عن ابن عباس وغيره انه رآه مرتين فلا ينافى ما مر وماقيل من ان المراد نفى مجرد الرؤية اونفى رؤيته كسائر الاشياء المرئية تعسف لاينبغى ذكره هنا (وروى مالك ابن يخامر) بضم المثناة التحتية وخاء معجمة بينهما الف وميم مكسورة ثم راء مهملة علم منقول ممنوع من الصرف وهوسكسكى حمصى يقال ان له صحبة والاصح انه تابعى روى عن معاذ ابن جبل كما ذكره المصنف وعبدالرحمن بن عوف وغيرهما ومات سنة سبعين او اثنين وسبعين وروى عنه جماعة (عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى) فى حديث رواه احمد بن حنبل وغيره وهو حديث صحيح اوله قال معاذ رضى الله تعالى عنه صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغداة ثم اقبل علينا فقال انى ساحدثكم انى قمت من الليل فصليت ماقدر لى ونعست وفى رواية فوضعت جنبى فاذا انا بربى فى احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملاء الاعلى قلت انت اعلم اى ربى فوضع كفه وفى رواية يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثدئى فعلمت مافى السموات والارض ثم تلى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض الى آخره ثم قال فيم يختصم الملاء الاعلى يامحمد قلت فى الكفارات قال وماهن قلت المشى على الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه فى المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه وروى يخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم انى اسئلك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفرلى وترحمنى وتتوب على واذا اردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون وهذا الحديث اخرجه ايضا الترمذى والبغوى فى المصابيح وهو تمثيل لتجلى الله له بلطفه وحسن معاملته وما افاضه عليه من المعارف المكاشفة تغشيه مع ثلج صدره ببرد اليقين وتحقيقه فى شرح المصابيح وشرح الاربعين للصدر القونوى وادراج بعض الشراح له هنا فى المتن كعادته غير متجه (وذكر كلمة) اشارة لما مر وهواسم جمع لكلمة مضافا لضمير الله او الحديث لادنى ملابسة (فقال) الله (فيم يختصم الملاء الاعلى) اى فيم يسأل الملائكة بعضها بعضا عن المراتب المقربة الى الله المكفرة بالخطايا

ولذا امره صلى الله تعالى عليه وسلم بالدعاء بنيل كمال هذه المراتب (الحديث) بالنصب اى اقرأ اواذكر (وحكى عبد الرزاق) همام بن رافع الصنعانى صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الائمة الستة وتوفى سنة احدى عشرة ومائتين وترجمته مشهورة (ان الحسن) البصرى السابق ذكره وترجمته (كان يحلف بالله لقدراى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعين بصره (وحكاه ابو عمر الطلمنكى) عمر بزنة زفر وهو بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات وسكون النون وكاف مكسورة يليها ياء نسبة كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقرئ احمد بن عبدالله بن لب بن يحيى المغافرى الاندلسى عالم قرطبة ولد سنة اربعين وثلاثمائة وتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة وروى عنه ابن حزم وابن عبدالبر وغيرهما من الاعلام (عن عكرمة) مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب) وهو رؤية الله بعينه (عن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه (وحكى ابن اسحق) محمد بن اسحاق بن يسار الامام الحافظ صاحب المغازى وقد تقدمت ترجمته (ان مروان) بن الحكم بن ابى العاصى ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى ولد سنة اثنين ولم يصح له سماع ولارواية وانما له رواية عن عثمان رضى الله تعالى عنه وبسر وغيرهما وكانت دولته تسعة اشهر واياما وتوفى سنة خمس وستين فى رمضان ثم تولى ابنه عبدالملك وترجمته مفصلة فى التواريخ (سأل اباهريرة رضى الله تعالى عنه هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعينه (فقال نعم وحكى النقاش) محمد بن الحسن بن زياد وقد تقدم ترجمته (عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث بن عباس بعينه رأى ربه) بدل من حديث ولم يزل يكرر ما قاله رافعا بصره (رآه رآه حتى انقطع نفسه) بفتحتين اى عجز عن التكلم واعيى فترك التكلم (يعنى نفس احمد) بن حنبل وانما فسره بذلك لئلا يتوهم عوده لابن عباس (وقال ابو عمر) السابق ذكره (قال احمد بن حنبل رآه بقلبه جبن على القول) بفتح الجيم وضم الباء وحكى الجوهرى فتحها وهو ضعف فى القلب يقتضى عدم الاقدام يريد انه لم يتجرأ تأدبا عن ان يقول اى عن القول (برؤيته فى الدنيا بالابصار) بكسر الهمزة وفتحها جمع بصر وتعبيره بالجبن يدل على انها جائزة عقلا عنده وهو الحق (وقال سعيد بن جبير) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (لا اقول رآه ولا لم يره) اى توقف فى ذلك ولم يمل لاحد القولين (وقد اختلف فى تأويل الآية) يعنى قوله تعالى * ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى * فى النقل (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه) رواه مسلم عنه فى صحيحه فى تفسير هذه الآية فالضمير فى رآه لله والرؤية قلبية (وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل) فالضمير فيها لجبريل عليه

الصلوة والسلام كما فى مسلم عن ابن مسعود وابى هريرة فرآه بالافق الاعلى وله ستمائة جناح ينتشر منها الدر والياقوت كما قاله المهدوى (وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه) وهو كابيه امام فى السنة والفقه اخذ عنه الاعلام وتوفى سنة تسعين ومائتين فى سن ابيه (انه قال رآه) اى بعينه لانه المتبادر وقد روى عنه التصريح به ولا ينافى ذلك مامر من انه جبن عن القول بذلك لانه قد يخفيه فى بعض المجالس لمقتض لذلك (وعن ابن عطاء فى) تفسير (قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام) اى قوى قلبه واذهب رعبه حتى يسرع مشاهدة جلاله وعظمته وسماع كلامه (وقال ابو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى) ابن ابى بشير بن اسحق بن ابى سالم بن اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابى بردة ابن ابى موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمعروف ان ابا الحسن هذا شافعى المذهب وقال التلمسانى انه مالكى المذهب ونسبته الى اشعر وهو ثابت بن ادد ويشجب بن يعرب زيد بن كهلان بن سبا وكان حبرا عظيما وهو امام اهل السنة صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة سبعين ومائتين ومات سنة اربع وعشرين وثلثمائة وقيل لاربع وثلاثين فى ذى الحجة (وجماعة من اصحابه انه صلى الله تعالى عليه وسلم راى الله ببصره وعينى رأسه) تأييد لكون الرؤيا بصرية واضافة العينين للرأس احتراز عن عين قلبه وظهره فانها وردت فى الحديث فان لم تكن عينا حقيقية (وقال) الاشعرى رحمه الله تعالى (كل آية) ومعجزة (اوتيها نبى) اى اعطاها الله لنبى (من الانبياء فقد اوتى مثلها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد فصله ابن المنير فى المقتفى والكلام فيه طويل لا يسعه كتابنا هذا ولا ينافى هذا تخصيص موسى عليه الصلوة والسلام بالكلام كما مر قبل الحقيقة المحمدية صورة الاسم الاعظم الجامع للاسماء بالكلام كما مر فله التصرف فى العوالم ومنه تستفيد وتستمد ما فيها من جهة حقيقته لا من جهة بشريته فهو الخليفة حقيقة واى معجزة كانت لنبى فهو له اولا وبالذات ثم جاءت منه لغيره والى هذا اشار فى البردة بقوله * وكل آى اتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم * اقول الحق ان نقول ان الله خلق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الارواح وخلع عليها خلعة النبوة ثم خلق ارواح البشر وامر ارواح الانبياء بان يؤمنوا به واخذ عليهم الميثاق باتباعه ان ادركوه كما نطق به الكتاب العزيز فلما اجابوه اشرق عليهم نوره الروحانى الربانى وصارت فى ارواحهم قوى مستعدة لاظهار المعجزات كما لاولياء امته اذا اظهروا الكرامات لما اشرق عليهم نوره وهذا هو الذى قصده الابوصيرى رحمه الله تعالى فاعرفه (وخص من بينهم) اى اختص صلى الله تعالى عليه وسلم عن سائر الانبياء (بتفضيل الرؤية) اى بتفضيله

برؤية ربه عيانا فى الدنيا فلم يره غيره فيها (ووقف بعض مشايخنا فى هذا) اى توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه والمشايخ جمع مشيخة او شيخ على خلاف القياس وفيه كلام فى شرح ادب الكاتب (وقال ليس عليه) اى على ثبوته (دليل واضح) اى صحيح ظاهر (ولكنه جائز) بحسب العقل (ان يكون) اى ان يصح ويوجد فى الدنيا (قال القاضى ابو الفضل) عياض المصنف (رضى الله تعالى عنه والحق الذى لا امتراء فيه) اى القول الحق الذى لا شك فيه ولا شبهة لان المرية هى الشبهة (ان رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا) لانه موجود حقيقة فى كل موجود وكل موجود تجوز رؤيته عيانا (وليس فى العقل ما يحيلها) اى ما يقتضى انها مستحيلة ثم ذكر دليلا نقليا يؤيد العقل فقال (والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى عليه الصلوة والسلام لها) بقوله رب ارنى انظر اليك وموسى من اولى العزم لا يسأل من الله تعالى ما لا يجوز فلو لم يعتقد صحة ذلك ما سأله والا كان جهلا منه باحوال الربوبية وهو مبرأ منه وكلامه فى تحقيق الرؤية لا فى وقوعها فقط فما قيل من انه ليس الكلام فى جوازها بل فى وقوعها والفرق بينهما ظاهر والقائلون بامتناعها لهم ادلة على مقالهم وان كانت مردودة والقائلون بالجواز العقلى ذاهبون للمنع الشرعى ولذا قال النسفى رؤية الله فى الدنيا جائزة عقلا ممتنعة شرعا والمصنف بصدد اثبات الوقوع له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو امر نقلى لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج عن المطلوب الا ان يقال انه استطرادى انتهى ليس بشئ لانه ان لم يثبت الجواز لا يثبت الوقوع والوقوع امر نقلى قد بينه اولا ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا وما نقله عن النسفى مخالف لما ارتضاه المصنف واذا كان هذا نقليا وثبت نقله كيف لا يكون عقليا فما ذكره كلام مموه تركه خير منه وما ذكره المصنف هو دليل اهل السنة على جواز رؤيته تعالى والمعتزلة يقولون لم يسأله لجوازه عنده بل لتبكيت القائلين له ارنا الله جهرة ومحال ان يجهل نبى ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بتنوين نبى للتنكير والتعميم اى اى نبى كان فكيف بالكليم عليه الصلوة والسلام وقيل انه للتعظيم اى نبى عظيم من اولى العزم كبار الرسل والاستحالة عادة مقررة وعقلا لانه بعث لتعليم امته الشريعة والعقائد الحقة وهى معرفة ما يجوز على الله ويمتنع فلو جهل ذلك كان الله امر له بما لا يعلمه وهو محال لانه اما جهل او عبث والمعتزلة يقولون انما يلزم هذا لو كان سؤالا حقيقيا اما لو كان لالزام غيره او بتبكيته لمن سألها من قومه فلا وهذا مردود لان السياق يأباه وتفصيله فى علم الكلام (بل لم يسئل) موسى من الله تعالى (الا جائزا غير مستحيل) لان سؤال المحال من مثله محال وكونه سألها مع علمه باستحالتها ليتأكد الدليل العقلى بالسمع وليطمئن قلبه كما قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى ثم قال ليطمئن قلبى فان العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بان تفاوته غير مسلم والخليل

لم يسئله لذلك وانما كان علم ان الله متخذا خليلا يحيى الموتى بدعائه فسأل ذلك ليعلم اهو هو ام لا ولو سلم فلا يلزم طلب ما لا يجوز وينافى الادب عنده بهذه الطريقة اذ له ان يقول رب بين لى علم ذلك جوازا او استحالة (ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب) اى جوازه مقرر ثابت ووقوعه له دون غيره بمشاهدة ربه امر مغيب عن كل احد كسائر المغيبات الجائزة كالخمس وغيرها فالغيب بمعنى الغيب عن البشر (الذى لا يعلمه الا من علمه الله) باخباره به واطلاعه على حاله وقوعا وعدمه مطلقا او فى بعض الاحوال فلذا اعلمه الله به (فقال له الله لن ترانى) اى الرؤيا جائزة ولكنك لا تصل اليها فى الدنيا (اى لن تطيق) اى تقدر (ولا تحتمل رؤيتى) اى لا تقوى عليها فى هذه الحالة وهذا كله مما يدل على الجواز (ثم ضرب له مثالا) اى اتى له بمثال من المخلوقات فانه لا يطيق تجلى الله عيانا ليكشف له امرها ويعلم حاله من حال غيره (مما هو) وفى بعض النسخ بما متعلقا بضرب (اقوى من بنية موسى واثبت) اى اشد قوة واكثر ثباتا وبنية بكسر الباء الموحدة وسكون النون الخلقة والتركيب (وهو الجبل) فى قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما لم يثبت الاقوى علم عدم ثباته بالطريق الاولى ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق به ممكن ايضا فعلم منه جواز الرؤية والى ذلك اشار بقوله (وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا) اى يقتضى استحالته فيها (بل فيه) ما يقتضى (جوازها على الجملة) كما سمعته آنفا من ان سؤاله وتعليقه بالممكن يقتضى امكانه وقوله على الجملة بمعنى انه بطريق الاجمال لا التفصيل فانه من قبيل اشارة النص والمعروف فى كلامهم فى الجملة والمعنى واحد لان المراد جوازا اقتضاه على طريق الاجمال وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها (ولا) دليل قاطع على (امتناعها) وان لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا او فى الدنيا (اذ كل موجود) فى الخارج جوهرا كان او عرضا الا فى العلم والذهن كما قيل لتصور الممتنعات وهو تعليل الجواز لان اذ تأتى للتعليل كما حققه النحاة واهل المعانى والتعليق بالمشتق يقتضى علية مبدأه فالعلة الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين البارى تعالى وسائر الموجودات فكما تجوز رؤيتها تجوز رؤيته الا انه قيل انه يقتضى صحة رؤية نحو الاصوات والروائح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة بالبصر الا ان هذا الدليل منقول عن الاشعرى وهو التزام جواز رؤيتها والكلام فى الجواز لا الوقوع (فرؤيته جائزة غير مستحيلة) تفسير للجواز فانه قد يقابل الحرمة والوجوب (ولا حجة) مسلمة عند الخصم (لمن استدل على منعها) اى الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار (لاختلاف التأويلات فى) هذه (الآية) كما حققناه لك فلا فائدة فى الاعادة (واذ ليس) معطوف على قوله اذ كل موجود او على قوله لاختلاف لان معناه ليس (يقتضى قول من قال) بمنعها (فى الدنيا الاستحالة) مطلقا بل تخصيص

الدنيا يقتضى وقوعه فى الآخرة فيدل على الجواز فى الدنيا وهذا رد على المعتزلة فان هذه الاية اعظم ادلتهم على نفى الرؤية فى الدنيا والاخرة ثم بالغ فى الرد عليهم بان ما استدلوا به عليهم لا لهم (وقد استدل بعضهم بهذه الاية) اى قوله لا تدركه الابصار (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة) كما يعلم من ذكره اختلاف التأويل وانما استدل بها لان نفى الشئ عند البلغاء يقتضى جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحائط انه لا علم له والله تعالى قد ساق نفى ادراك الابصار فى سياق المدح وانما يمدح بامر ثبوتى كمالى لا بالعدم الصرف فكل نفى مدح به تضمن امرا وجوديا كنفى السنة والنوم المتضمن لكمال القيومية ونفى الموت المتضمن للحياة السرمدية فلو كان نفى الابصار معناه انه لا يرى اصلا كسائر المعدومات لم يكن مدح بل المراد لا يحيط بعظمته وجلاله الابصار وهذا ما فهمه الصحابة رضى الله عنهم ولذا فسره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بلا تحيط به الابصار كما ذكره المصنف وكذا ذكره غيره ففى الاحاطة تفسير للرؤية بدونها او المراد العموم اى لا تراه جميع الابصار فان منها ما حجبه فهى سالبة فى قوة موجبة جزئية كما مر واليه اشار بقوله (وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل) معنى (لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس) لانه كما قيل يحتمل ان يكون رفعا للايجاب الكلى بان لا يلاحظ الايجاب الكلى اولا ثم يرد عليه النفى وحينئذ لا احتجاج لهم علينا فانا قائلون بان الكفار لا يرونه او المنفى ادراك بتقليب الحدقة نحو المرئى فانه المتبادر من اطلاق ادراك البصر وهو المعتاد وانما يحتاج لهذا اذا كان تعريف الابصار استغراقيا والا تكون القضية سالبة مهملة فهى فى قوة السالبة الجزئية كما تقرر بمعنى لا تدركه بعض الابصار وتخصيص النفى بالبعض يدل بالمفهوم على الاثبات للبعض فالاية حجة لنا وعلى تقدير تسليم عمومها للاشخاص لا نسلم عمومها للاوقات لانها سالبة مطلقة وهى اعم من السالبة الدائمة وما ذكر من ان تدركه الابصار موجبة مطلقة فنقيضها سالبة دائمة ممنوع لجواز كون الامر بالعكس بل الظاهر عكسه اقول كونه دالا بالمفهوم على الاثبات للبعض قال بعضهم فيه نظر لان القضية المهملة والدال على رفع الايجاب الكلى ليس صريح مفهومها السلب الجزئى والتعرض النفى عن البعض بل السلب الجزئى لازم معناها الصريح المحتمل للسلب الكلى والجزئى مع الايجاب للبعض فبمجرد كون مفهومها مستلزما للسلب الجزئى لا يدل مفهومه على مفهوم السلب الجزئى فلا حجة لنا فيه وانما يكون حجة ان لو كان صريح مفهوم القضية (وقد قيل) فى بعض التأويلات (لا تدركه الابصار) نفسها (وانما يدركه المبصرون) يعنى ان الادراك نوع من العلم وهو صفة الناظر حقيقة لا نفس النظر فانه واسطة وآلة ولا يخفى ركاكة هذا التأويل وان كانت عهدته على قائله (وكل هذه التأويلات) السالفة (لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها)

بل جوازها كما مر فلا حجة فيها (وكذلك لاحجة لهم بقوله تعالى لن ترانى الاية) التى استدل بها بعض المعتزلة وقال لن للنفى المؤبد والمؤكد فاذا نفى عن موسى عليه الصلوة والسلام فغيره يعلم بالطريق الاولى وقد ورد بانها للنفى فى المستقبل فقط وكلام الله تعالى وغيره دال عليه كما اثبته النحاة مما هو مشهور فى كتبهم ونفى الرؤية عنه لايدل على نفيها عن غيره لانه نفى مخصوص فلا دليل لهم فيه (وقوله تبت اليك) من سؤال الرؤية المقتضى لانه محال وطلب ما لا يليق فهو ذنب وسيأتى جوابه (لما قدمناه) من ادلة الجواز الصريحة المقتضية لتأويل هذه الاية (ولانها) اى هذه الاية (ليست على العموم) بل مخصوصة بموسى عليه الصلوة والسلام فى المستقبل والنفى الخاص لايدل على عموم ولا استحالة (ولان من قال معناها ان ترانى فى الدنيا انما هو تأويل) فلا دليل فيه على مدعاهم العام ولا على الاستحالة فان القائل بين معنى الاية ولم يذكر انه تفسير مأثور ولا انه برهان على المنع العقلى والعموم فلا حجة فيه (وايضا فليس فيه نص الامتناع) اى صريح عموم امتناع الرؤية لكل احد (وانما جاءت فى حق موسى عليه الصلوة والسلام) اى ان آية لن ترانى مخصوصة بموسى عليه الصلوة والسلام فكيف يستدل بها على امتناع الرؤية مطلقا فى الدنيا وغيرها يقظة ومناما كما ذهب اليه المعتزلة ولايلزم من نفى الوقوع نفى الجواز الذى نحن بصدد اثباته (وحيث تتطرق التأويلات) اى اذا امكن تأويل ما استدلوا به (وتتسلط الاحتمالات) اى توجد احتمالات فى الدليل (فليس للقطع به سبيل) فلا يصح القطع والجزم بما استدل كما قالوا اذا ظهر الاحتمال سقط الاستدلال وفيما استدلوا به على امتناع الرؤية امور كثيرة ذكرها المفسرون والمتكلمون كما قدمه المصنف واصل معنى التطرق وجود الطريق وسلوكه فشبه التأويلات بصاحب مطلب وجد الطريق اليه على سبيل الاستعارة التبعية او المكنية والتخييلية وكذا فى التسلط لانه من السلاطة وهى القهر والغلبة قال الله تعالى ولوشاء الله لسلطهم عليكم ومنه السلطان كما قاله الراغب وغيره من اهل اللغة وقيل يتطرق من الطرق وهو الخلط او من التطارق وهو التتابع والازدحام وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط (وقوله تعالى تبت اليك) الذى استدلوا به على انه دال على امتناعه عقلا لعدهم سؤال الرؤية ذنبا لاستحالتها لادلالة على مدعاهم لان له تفسيرا آخر (اى من سؤالى مالم تقدره لى) فى الدنيا فى ذلك الوقت لحكمة خفية لما غشيه من انوار عظمته حتى صعق كما يقول من فعل امرا جائزا اعتراه منه مشقة عظيمة تبت عن مثل هذا كما قال ابن نباتة السعدى * أأمل مأمولا لغير صدودها * فوا خجلتى انى الى المجد تائب * وتقدره بضم المثناة وتشديد الدال وتخفيفها (وقد قال ابو بكر الهذلى) الامام العلامة تلميذ ابن القوطية صاحب الافعال كان من الادباء الظرفاء وله شعر بديع

(فى) تفسير (قوله تعالى لن ترانى اى ليس لبشر ان يطيق) اى يقدر (ان ينظر الى فى الدنيا وانه من نظر الى) فيها (مات) وقيل هذا مأخوذ من قوله وخر موسى صعقا فانه يدل على ان القوى البشرية لاتطيق النظر فى الدنيا لسبحات جلاله الامن اقدره الله تعالى واذا لم يطق ذلك مثل موسى عليه الصلوة والسلام فغيره يموت فجأة لخوفه اولاحراق سبحات النور له وفى هذا دليل على جواز وقوعه فى الدنيا لكنه من وقع له فيها لا يعيش كما قيل ان من رأى الملك فى الدنيا يعمى كما نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وان قيل انه لم يصح والمراد غير الانبياء هنا (وقد رأيت لبعض السلف) من المتقدمين (و) لبعض (المتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة) لمانع منها لالذاتها من حيث هى هى لما مر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض (لضعف تراكيب اهل الدنيا) اى لضعف ابدانهم المركبة كما قال الله تعالى خلق الانسان ضعيفا (وقواهم) جمع قوة وهى امر اودعه الله تعالى فى البدن بها الادراك او المراد به المعنى اللغوى (وكونها) اى التراكيب والقوى او هو راجع للقوى فقط (متغيرة) بالازدياد فى اول امرها ثم التنزل والنقص بعده وذلك يدل على ضعفها (غرضا للافات) هو حال او خبر بعد خبر لكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه ان ذلك مخصوص بالجمل كما حقق فى مباحث الفصل والوصل والغرض بالغين والضاد المعجمة اصله الهدف الذى ينصب لرمى السهام فشبه الجسد بهدف وافات الدهر ومصائبه كسهام لاتزال يرمى بها حتى يفنى كما قال ابو العتاهية * ان الفتى لغرض الالام * يرميه نبل الدهر والايام * يصيبه رام ويخطى رام * يجوز ان يكون بالعين المهملة اى معرضا لها ولكن الاول اصح رواية ودراية وقال التلمسانى روى معترضة بدل قوله متغيرة اى ذات اعراض وهى الآفات والامراض او من العرضة اى متعرضة للآفات وقيد بعضهم عرضا بفتح العين المهملة اى منصوبا للآفات مقابلا لها كالهدف والافة والعاهة كل مايعرض بشئ فيفسده (والفناء) بفتح الفاء والمد وهو الزوال والعدم (فلم يكن لهم قوة على الرؤية) لضعف ابدانهم وقواهم فى الدنيا (فاذا كان فى الآخرة) اى اذا احياهم الله تعالى وادخلهم دار البقاء (وركبوا تركيبا آخر) غير تركيبهم الاول (ورزقوا قوى ثابتة) بمثلثة ونون ومثناة تحتية اى قوى غير القوى الاولى الدنيوية وفى بعض النسخ ثابتة بموحدة ومثناة فوقية فقوله (باقية) تفسير له اى مخلدة لاتفنى لقوة تركيبها وتمام قواها (واتم انوار ابصارهم وقلوبهم) اى جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدى (قووا بها على الرؤية) جواب اذا والضمير راجع للمذكورات من التركيب والقوى والانوار التى منحها الله تعالى لهم فى الآخرة

فهذا يدل على وقوع الرؤية فى الآخرة وجوازها فى الدنيا لانه لو رزقهم ذلك فى الدنيا صح ذلك منهم ايضا ولذا شق صدر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واودع فيه ما قوى به على ذلك كما تقدم وهذا مما اوحى لايوب عليه الصلاة والسلام قال عطاء اوحى الله لايوب انك لتنظر الى غدا فقال يارب افبهاتين العينين فقال اجعل لك عينين باقيتين فينظر الى البقاء بالبقاء (وروى) وفى نسخ وقد رأيت (نحو هذا لمالك بن انس) رحمه الله تعالى (قال لم ير) بضم التحتية ونائب الفاعل عائد على الله (لانه باق ولا يرى الباقى بالفانى فاذا كان) النظر او الناظر (فى الآخرة ورزقوا ابصارا باقية وروى الباقى بالباقى) ظاهره ان البقاء الابدى علة لصحة الرؤية والفناء مانع ولا مدخل للبقاء فى الرؤية كما ان الفناء والحدوث لا مدخل له فى المنع لان الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشئ عند اهل السنة فكانه اراد ان البقاء يلزمه قوة التركيب والقوى المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ما قبله ولذا قيل ان مراده ان الرائى والمرئى لابد ان يكون بينهما مناسبة وابصار هذه الدار فانية فاذا عادت وكساها الله صفة دوام البقاء تحملت رؤية الحى القيوم للمناسبة فى الجملة وان كان بقاؤه قديما ذاتيا وبقاؤها طار عرضى وهو كلام اقناعى (وهذا كلام حسن مليح) عنده على ما فيه (وليس فيه دليل على الاستحالة) والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذ لا مانع منه (الا من حيث ضعف القدرة) البشرية فى الدنيا (فاذا قوى الله من شاء من عباده) بان رزقه قوة تطيق ذلك (واقدره على حمل اعباء الرؤية) اى جعل له قدرة وطاقة على رؤيته ومشاهدته والاعباء جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة وهو الحمل الثقيل وهو فى المحسوسات حقيقة فاستعيرت للمعانى (لم تمتنع) الرؤية (فى حقه) لتمكنه منها بما منحه من القوة (وقد تقدم ما ذكر فى قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ونفوذ ادراكهما) بذال معجمة اى خروجه وبلوغه (بقوة الهية منحاها) بضم اوله مبنى للمجهول اى اعطياها (لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم) بحقيقة ذلك (وقد ذكر القاضى ابو بكر) محمد بن الطيب امام اهل السنة الباقلانى بالنون نسبة الى الباقلاء على خلاف القياس كالصنعانى توفى سنة ثلاث واربعمائة وقيل ثلاث وتسعين وثلاثمائة قالوا وليس هو الامام ابو بكر بن محمد بن العربى شيخ المصنف (فى اثناء اجوبته عن الآيتين) اى فى خلال كلامه فى الجواب عما استدل به المانعون من الآيتين لا تدركه الابصار ولن ترانى (ما معناه) ما موصولة او موصوفة مفعول ذكر اشارة الى انه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة (ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى الله فلذلك خر صعقا) مغشيا عليه مع صحته لان وقوع مثل هذا بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد وان جاز ان يكون لتجليه وظهور انواره لكن هذا مناف لظاهر قوله لن ترانى وقوله

انظر الى الجبل ولما نقله المصنف اولا من ان الله قسم الكلام والرؤية بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وان الجبل) ايضا (رأى ربه) اى خلق فيه ادراكا وحياة (فصار دكا) اى انهد حتى صار ترابا من هيبة الله وذلك (بادراك خلقه الله له) كما نقله الماتريدى عن الاشعرى رحمهما الله تعالى وهذا مما يدل على جواز الرؤية لان الذى قدر الجماد على ذلك كيف لا يقدر كل البشر (واستنبط) اى استخرج (ذلك) واصل الاستنباط استخراج الماء من البئر فاطلق على مطلق الاستخراج او استعارة له وذلك اشارة لرؤية موسى عليه الصلوة والسلام ورؤية الجبل (والله اعلم) فيه اشارة الى انه لم يصرح به (من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) اى مدكوكا والدك والدق متقاربان وفسر دكه بانه صار رملا او ترابا وقيل غبارا وقيل استوى بالارض وقيل انخرق فرقا قال الواحدى هذا الجبل يسمى زبيرا وليس هو الطور (وخر موسى صعقا) اى سقط صائحا مغشيا عليه من هول ما رآه من هذا الجبل (وتجليه للجبل ظهوره له حتى رآه) اى شاهد المتجلى ونوره فذاب كذوب الحديد من النار فلو لم يخلق له حياة وادراكا ورؤية لم يخف خوفا هده وفتته (على هذا القول) اى قول ابى بكر الباقلانى السابق بان موسى والجبل رأياه معا وهذا بناء على مذهب اهل السنة فى انه يجوز خلق العلم والنظر فى اى جرم اراد وليس من شرطه البنية والمزاج كما قاله المعتزلة فانه وهم باطل كما قاله ابن عرفة قيل هذا غير ظاهر لان التجلى لموسى لا للجبل وكون موسى خر صعقا انما هو لادكة الجبل وشدة وقوعه لا بتجلى الله له ورؤيته ويناسبه قوله (وقال جعفر) (بن محمد) الصادق المتقدم ترجمته (شغله الله تعالى (بالجبل) واصوات دكه حين امره بالنظر اليه (حتى تجلى) اى ظهر ظهورا تاما لموسى عليه الصلوة والسلام فرآه (ولولا ذلك) اى اشتغاله بالجبل بان ظهر له نور التجلى ابتداء (مات صعقا) بسكون العين وكسرها وعلى الاول وهو تمييز وعلى الثانى حال (بلا افاقة) من صعقته وغشيه (وقوله هذا) اى قول جعفر (يدل على ان موسى عليه الصلوة والسلام رآه) كالجبل لانه معنى التجلى لانه لا يقال تجلى له الا اذا شاهده فما قيل من انه فى غاية البعد لان التجلى الواقع فى الآية انما هو للجبل لا لموسى عليه الصلوة والسلام غير متجه لان المصنف رحمه الله تعالى انما بنى كلامه على ما قاله هؤلاء وفهموه والناقل لا عهدة عليه فان حاصله ان موسى لما سأل الرؤية فى مناجاته لربه امره بالنظر للجبل ليلهيه به حتى اذا تجلى له ابتداء لم يهلك وتحرقه الانوار ويموت هذا بناء على انه حين صعق لم يمت وذهب كثير من المفسرين الى انه مات ثم احياه الله وما قاله هؤلاء مخالف لكلام المفسرين فانهم ذهبوا الى انه انما امر موسى عليه الصلوة والسلام بالنظر للجبل ودكه ليعلم انه لا طاقة له على رؤيته تعالى

فان مالا تطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الانسان (وقد وقع لبعض المفسرين) انه قال (فى الجبل انه رأه) بحياة وادراك خلقه الله تعالى فيه فرأه وشاهده وقد نقله الماتريدى عن الاشعرى وهو الظاهر من التجلى وان حملوه على معنى آخر قال فى الكشاف فى تفسيره فلما ظهر اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اى مدكوكا والظاهر انه عنده استعارة تمثيلية وقيل انه على حذف مضاف وفيه مجاز آخر حيث استدل التجلى للاقتدار وليس بشئ (وبرؤية الجبل) لله عزوجل (استدل من قال برؤية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم له) قيل الجبل ليس له ادراك ونظر الا انه يجوز ان يخلق الله فيه ذلك وليس جعله دكا متوقفا على الرؤية ومستلزما لها ولو كان كذلك قال فان رأى واستقر فانما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الانوار وفى الحقيقة جعله دليلا فيه ما فيه الا ان يقال معنى قوله (اذ جعله دليلا على الجواز) انه جعل تعليق الرؤية بامر ممكن فى نفسه دليلا على جوازها فاذا كانت امرا جائزا لا حاجة لتأويل الاحاديث الواردة بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه (ولا مرية) بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد (فى الجواز) اى جواز الرؤية (اذ ليس فى الايات) التى استدل بها على عدمها كاية لا تدركه الابصار ولن ترانى ونحوها (نص فى المنع) للرؤية صريح فيه اذ هى مأولة بل مشيرة للجواز كما مر (واما وجوبه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وجوب وقوع رؤيته لربه فى الاسراء بعين رأسه واعترض عليه بانه لم يقل احد بالوجوب وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصائصه التى يجب اعتقادها تعسف وليس المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لا يجب عليه شئ وكل ذلك محض تفضل منه وقيل المراد وجوب الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع فى الخارج انقلب واجبا لغيره وان كان فى حد ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية انتهى ولا يخفى ما فيه من التعسف والتمحل الذى لا يساعده العبارة وكون الجائز اذا وقع انقلب واجبا لغيره ولا معنى له فالظاهر ان نقول ان الوجوب هنا بمعناه الاصطلاحى لانه لو ورد مصرحا به فى نص قطعى من القرأن او الحديث المتواتر او المشهور وجب علينا اعتقاده ولا يسع احدا من اهل الملة ان يخالف فيه واليه اشار فى اخر الفصل بقوله وجب المصير اليه الا ترى انه لما صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بالاسراء وورد فى القرأن انه اسرى به من الحرم للبيت المقدس لا يجوز انكاره سواء كان مناما او يقظة او هو بمعناه اللغوى وهو الوقوع فانه اصل معناه واطلاق الواجب على اللازم عقلا او شرعا معنى عرفى منقول منه والمراد بالعرف فيه عرف اللغة وهذا مما صرح به ائمة اللغة والمصنف منهم قال الامام الراغب يقال وجبت الشمس اذا وقعت ومنه قوله فاذا وجبت

جنوبها وقول الفقهاء الواجب اذا لم يفعل استحق عليه العقاب وصف له بما هو عارض له فيجرى مجرى قولك الانسان اذا مشى مشى برجلين انتهى والى هذا اشار فقهاؤنا فى الفرق بين الفرض والواجب فقوله (والقول بانه رأه بعينه) يشير اليه من طرف خفى فلا اشكال فى كلامه وهذا يقع فى مقابلة الجائز بمعنى الممكن بلا وقوع كما صرح به الراغب ايضا فلا يرد على ما قلنا ان وقوعه فى مقابلة الجائز فى كلامه يأباه فان هذا كله انما جاء من توهم انه اريد بها ما قاله الفقهاء وقوله بعينه متعلق برآه او توكيد للضمير ففيه صنعة من البديع وهى حسنة اذا جاءت احيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء مصر فانه قبيح وهذا كقوله * رأيت من اهواه لما ازرما * فقلت هذا قاتلى بعينه (فليس فيه قاطع) اى دليل قطعى (ايضا) كما ان المنع لم يقم لمدعيه دليل قطعى (ولا نص) اى دليل صريح فيه من الكتاب والسنة (اذ المعول فيه) اى المعتمد فى استدلالهم على وقوعه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (على آيتى) اى على آيتين فى سورة (النجم) ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رأه نزلة اخرى الاية * (والتنازع فيهما مأثور) اى النزاع فى المراد منهما منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بان الضمير لجبريل والرؤية له بصورته الاصلية (والاحتمال لهما ممكن) لعدم صراحتهما وقطعيتهما فى المدعى (ولا اثر) اى حديث (قاطع متواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) اى بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه بعين رأسه (وحديث ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما الموقوف عليه المتقدم الذى ذكر فيه انه رأه بعينه (خبر عن اعتقاده) اى اخبر به عما كان يعتقده بحسب ما ادى اليه علمه الجازم (ولم يسنده الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لم ينقله عنه ويقول انه صرح له بذلك حتى يعتبر (فيجب العمل) اى القول به والجزم (باعتقاد مضمنه) بضم الميم الاولى وفتح الضاد المعجمة والميم المفتوحة المشددة اى ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه بعينه فسماه عملا لانه من الاعمال القلبية وان اشتهر ان العمل فيما يكون بالجوارح الظاهرة يعنى ان الرؤية العينية ليس فيها نص قرآنى ولا حديث قطعى حتى يجب اعتقاده ويكفر منكره لمخالفة كثير من الصحابة والعلماء فى وقوعها وان كان الراجح عندهم ثبوتها وبه صرح الغزالى والنووى واليه ذهب المصنف رحمه الله تعالى وان قيل انه مال لخلافه فى شرح مسلم (ومثله) اى مثل قول ابن عباس فى اثبات الرؤية (حديث ابى ذر) الغفارى رضى الله عنه الذى رواه مسلم قال سألته صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك فقال رأيت نورا الى آخره (فى تفسير الاية) يعنى آية سورة النجم (وحديث معاذ ابن جبل) (محتمل للتأويل) بما مر (وهو مضطرب الاسناد) اى الطريق فى روايته (والمتن) هو نفس الحديث وكلام الرسول الذى رواه لانه المراد منه والمتن اصله

الظهر الذى به قوام البدن فشبه به مايقصد من الكلام كلفظ الحديث و للفظ المنقول لبشرح واضطرابه اختلاله واختلافه افتعال من الضرب قيل اضطراب سنده لانه رواه تارة عن ابن عباس الحضرمى مرسلا لانه ليس بصحابى وتارة عن معاذ بن جبل واضطراب متنه لانه قال فيه رأيت ربى فى احسن صورة فقال ففيم يختصم الملاء الاعلى الحديث الذى تقدم وفيه لما صلى الغداة قال صليت الليلة ماقضى لى ثم وضعت جنبى فاتانى ربى وفى اخرى عنه قمت من الليل فصليت ماقدر لى فنعست فى صلاتى حتى استيقظت فاذا انا بربى واختلافه والسند واحد يوجب الاضطراب وقيل ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذى وقال انه حسن غريب وقال انه صحيح الاسناد وهو احسن ما يتمسك به فى الرؤية وكذا قال المنذرى فى الترغيب فاذكره المصنف رحمه الله تعالى من اضطرابه ان اراد معناه اللغوى لاختلاف الفاظه فهو غير قادح لان الحديث الواحد قد تختلف الفاظه ولا يختلف معناه وان اراد معناه الاصطلاحى وهو ما اختلف فيه رواياته فاكثر فرووه بوجوه مختلفة لم يترجح احدها فليس فيه شئ منه ولو كان كذلك اوجب ضعفه وائمة الحديث صححوه كما سمعته آنفا وفيه نظر (وحديث ابى ذر آخر مختلف) الفاظه المرء يه ومثله قد يوجب الضعف لدلالته على عدم ضبط الراوى (محتمل) للرؤية لعينية وغيرها (مشكل) من حيث المعنى لجعله ذاته تعالى نورا (روى) بالبناء للمجهول (نور) منون مرفوع ويروى منصوبا ايضا (انى) بفتح الهمزة وتشديد النون والف بعدها مقصور بمعنى كيف (اراه) اى منعنى وحجبنى اوظهر لى نورا اورأيت نورا غشينى فكيف ارى ذات الله وقد حال بينى وبينه سبحات النور المانعة من الرؤية فى جارى العادة وروى نورانى بالنسبة للنور على خلاف القياس كصنعانى وقيل انه تصحيف والصواب الاول وفى المقتفى للبرهان ان يحتمل هذه الرواية ماسبق بان يكون معناه الخالق للنور المانع للرؤية فهو من صفات الافعال وقال المصنف رحمه الله تعالى لم ارهذه الرواية ومن المستحيل ان يكون ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه عنه باجماع المسلمين ومعنى نور السموات منورها اوهادى اهلها اومنور قلوبهم اوذو بهجة وجمال وقال العراقى فى تخريج الاحاديث الاحياء ما رأيت لهذا الحديث منكرا وقال ابن خزيمة فى القلب من صحة اسناده شئ وزاد احمد فى حديث ابى ذر رجال اسناده رجال الصحيح انتهى وقيل هذا الحديث لا يشعر برؤية ولا بعدمها والمتفق على روايته هو الاول وكيف للانكار او التعجب اى كيف يمكن من رؤيته ويحتمل انه قاله لان عنده من حديث اسلامه ممن لا يفهم مراده لانه روى رأيت نورا وماذكره البرهان تكلف فان النور من اسمائه تعالى (اقول كل هذا كلام مدبج والذى ارتضاه الغزالى ان النور يطلق على الله تعالى حقيقة فان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره

وهو وان كان منزعا حكميا صوفيا فقد وقع فى كلام الاشعرى ما يوافقه فانه قال الله نور ليس كالانوار كما سيأتى وعلى هذا فالروايتان بمعنى فانه نور النور الخفى بفرط الظهور فان فهمت فهو نور على نور وقوله انه جسم غير مسلم (وحكى) اى نقل (بعض مشايخنا انه) اى هذا الحديث اوهذا اللفظ (نورانى اراه) قد عرفت معناه وسمعت ماقاله المصنف اى فى شرح مسلم من ان هذه الرواية لم تثبت (وفى حديثه) اى حديث ابى ذر (الاخر) اى المروى من طريق آخر (سألته) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له هل رأيت ربك (فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا) هذا محتمل لان يكون اطلق عليه النور حقيقة كما مر او باعتبار لازمه كسائر اسمائه التى لا تليق حقيقتها به اوان المراد انه لم يره لان حجابه النور والى هذا اشار المصنف بقوله (فهو) اى النبى صلى الله عليه وسلم (قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى) بناء على ما فهمه ولم يرتضه بعض الشراح (والى هذا) المعنى وانه لم يره (يرجع قوله نور انى اراه) فانه تعجب او انكار لرؤيته (اى كيف اراه) هذا كقوله تعالى * كيف تكفرون بالله * فكيف للانكار او التعجب اى كيف يمكن من رؤيته (مع حجاب النور المغشى للبصر) اى الساتر والمانع له عن الرؤية كالغشاوة (وهذا مثل ما فى الحديث الآخر حجابه النور) وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسى والبخارى عن ابى موسى الاشعرى وهو ان الله لاينام ولا ينبغى له ان ينام ولكنه يخفض القسط ويرفعه ويرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه احرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهو حديث صحيح (وفى الحديث الآخر لم اره بعينى ولكن رأيته بقلبى مرتين وتلى) قوله تعالى (ثم دنى فتدلى) اى نزل ليقرب من عنده وهذا بناء على ان الضمير فيهما لله تعالى لا لجبريل عليه الصلوة والسلام وتدليه من المتشابه كقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا والكلام فيه مشهور ثم بين معنى الرؤية القلبية فقال (والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب) بان يدرك بقلبه مايدرك ببصره حتى يكون مشاهدا محسوسا له واقفا على ذاته لان فى القلب نورا هو مبدأ الابصار فيقربه الله حتى يرى بلا واسطة للعين (او كيف شاء) اى بكيفية اخرى غير خلق الادراك فى قلبه ارادها لمن اراد ان يتجلى له بان يجعل له علما ضروريا يدركه به على وجه لا يعلمه الا هو (لا اله غيره فان ورد حديث نص) صريح (بين فى الباب) فى ثبوت الرؤية له بحيث لا يحتمل التأويل (اعتقد) بالبناء للمجهول اى اعتقده كل من وقف عليه وثبت عنده (ووجب المصير اليه) اى وجب علينا ان نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه (اذلا استحالة فيه) اى فيما ذكر من صحة الرؤية ووقوعها وهذا معنى الوجوب الذى قاله اولا كما وعدناك به (ولا مانع قطعى يرده) فيمنع من اعتقاده ويوجب تأويله او التوقف فيه

كسائر المتشابهات (والله الموفق للصواب) اى الخالق للتوفيق المنعم به على عباده وفى
الختم بهذا لطف لما فيه من الاشارة الى ان تعارض احاديث الرؤية محتاج للتوفيق
ولا شبهة فيما قاله وهو لا ينافى ان الاصح الراجح انه عليه السلام رأى ربه بعينى رأسه حين
اسرى به كما ذهب اليه اكثر الصحابة الا انه لما ورد ونقل خلافه ايضا ذهب الى انه امر
غير قطعى فلا اعتراض عليه بانه ان اراد بالقطعى كلام الله او حديث متواتر فمسلم
لكنه ليس بلازم فكم من امر علمناه وجزمنا به و هو ليس فى القرأن ولا فى الحديث
المتواتر وان اراد انه ليس فيه حديث صحيح صريح يعمل به فهو غير مسلم ساقط واه
تركه خير منه ﴿فصل واما ما ورد فى هذه القصة﴾ اى قصة الاسراء (من مناجاته لله)
اى مخاطبته له ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى والمناجاة تكون بمعنى المحادثة وبمعنى
المسارة مما يرضاه واصل معناها ان يخلو بمن خاطبه على نجوة اى مكان مرتفع من
الارض وقيل هو من النجاة لان من سره نجا من ان يطلع عليه غيره ثم شاع فى مطلق
المخاطبة فلذا عطف عليه قوله (وكلامه معه) ليبين المراد به والضمير الاول للرسول
كضمير مناجاته او لله كضمير معه اى كلامه معه الثابت بقوله (فاوحى الى عبده) المقرب
اليه والى سرادقات عظمته وهو الرسول المكرم عليه السلام او جبريل وقدم ان مقام
العبودية اشرف المقامات فلذا قال الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه (ما اوحى) اى ما
يوحى امرا عظيما لا يحيط به العبارة ففى الابهام اشارة الى تفخيمه وتعظيمه وانه محرم
الاسرار المعارف لا يطلع على ما اطلعه الله عليه غيره ففى الابهام ولفظ العبد هنا
موقع لا يليق بغيره (الى ما تضمنته الاحاديث) الاتية والى بمعنى مع او غاية الابتداء
مقدر اى ينتهى من الكلام الى ما تضمنه الاحاديث (فاكثر المفسرين) جواب اما
قيل الاكثر يقابله الكثير فلا يناسب مقابلته بالشاذ والنادر منهم فلحق العبارة جمهور
المفسرين والامر فيه سهل (على ان الموحى) اسم فاعل للايجاب قوله فاوحى
فى هذه الاية (الله الى جبريل عليه الصلوة والسلام و جبريل الى محمد صلى الله
تعالى عليه و سلم لا شذوذا منهم) اى الجماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم
فيه فشذوذا اما جمع شاذ كقعود جمع قاعد او مصدر اطلق على الفاعل مبالغة
فى اتصافهم به حتى كانهم عينه (فذكر) مبنى للمفعول (عن جعفر بن محمد الصادق)
صفة جعفر وقد تقدمت ترجمته انه (قال اوحى اليه بلا واسطة) اى كلم الله محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطة ملك او غيره والمراد بالوحى هنا الكلام وان
كان اعم منه فعلى هذا ضمير اوحى لله والمراد بالعود محمد صلى الله عليه وسلم وهذا
بيان للمذهب الشاذ (ونحوه) اى ومثل ما قاله جعفر نقل (عن الواسطى) وقد تقدمت
ترجمته (والى هذا) القول المنقول عن جعفر و الواسطى (ذهب بعض المتكلمين
ان محمدا كلم ربه فى الاسراء) بفتح همزة ان وهو وما بعده بدل من هذا (وحكى)
بناء المجهول (عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس) رضى الله تعالى

عنهم (وانكره) اى انكر تكليم الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطة قوم
(آخرون) وليس المنكر النقل فقط كما توهم لان السياق يأباه (وذكر النقاش) السابق
ذكره فى تفسيره المشهور نقلا (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قصة الاسراء
عنه عليه الصلوة والسلام فى) تفسير (قوله فدنى فتدلى قال) صلى الله تعالى عليه
وسلم (فارقنى جبريل) اى تخلف عنه فى المعراج لان له مقاما لا يتعداه (فانقطعت
الاصوات عنى) بعد ما فارقته و بعدت عنه (فسمعت كلام ربى وهو يقول لى)
جملة حالية اى قائلا لى (ليهدأ روعك يا محمد) بلام الامر و يهدأ بفتح الياء المثناة
التحتية وسكون الهاء ودال مهملة خفيفة مفتوحة وهمزة ساكنة لانه مضارع
مجزوم بلام الامر فاذا ابدل الفاء جاز حذفها كالمعتل الاخر والروع بفتح الراء الخوف
والهدأ معناه السكون والمعنى ليسكن فزعك اى ليذهب فزعك وخوفك ويجوز
ضم الراء المهملة والروع بالضم القلب والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف
ويجوز ان يراد بالمفتوح ايضا القلب لانه محله فالروايتان بمعنى (ادن ادن) امر من
الدنو وهو القرب اى تقدم وادخل الى حظائر القدس وانما قال له تشريفا له صلى الله
تعالى عليه وسلم واعلاء لمنزلته و تأنيسا لاستيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات
ولذا امره باطمئنان قلبه اولا وكرر امره تأكيدا او بيانا لزيادة قربه من الله تعالى
وان كان اقرب اليه فى كل حال لتنزهه عن المكان وانما هذا بالنسبة له فاخباره عنه
بقوله دنا اشارة الى امتثاله الامر (وفى حديث انس رضى الله تعالى عنه فى الاسراء)
السابق ذكره (نحو منه) اى ما يفيد مثله فالحاصل فى قوله فاوحى الاية ان الضمير
الاول فى اوحى لجبريل وفى عبده لله والمراد به محمد صلى الله تعالى عليه و سلم وفيه
اضمار قبل الذكر لانه معلوم وضمير اوحى الثانى يجوز ان يكون لجبريل وفيه تفخيم
وتعظيم للوحى او لله اى اوحى جبريل لعبد الله محمد ما اوحى الله اليه و يجوز ان يكون
الضمير فى اوحى الاول لله وعبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اى اوحى الله الى محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل اى اوحى الله تعالى الى
جبريل والضمير فى اوحى الثانى لله اى اوحى الله الى عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ما اوحاه الله اليه ففيه تفخيم للوحى ايضا ويجوز ان يكون لجبريل اى اوحى الله لعبده
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما اوحى جبريل اليه فايحاؤه اليه بواسطة وعلى ان
المراد بعبده جبريل وضمير اوحى الثانى لله والمعنى اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى
لمحمد او لكل رسول لانه امين وحيه وما مصدرية او موصولة والذى اوحاه احكامه
او امر الصلاة او اوحى اليه لا يدخل نبى وامة الجنة قبلك وقبل امتك او هو سر فى سر
كما قيل ﴿بين المحبين سر ليس يعرفه ﴿ قول ولا قلم للخلق يحكيه ﴾
وسيأتى تفسير بقية الاية وتحقيقه (وقد احتجوا فى هذا) اى استدلوا على انه تعالى

كلمه بلاواسطة (بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اومن وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء) ووجه الاحتجاج بينه بقوله (فقالوا هى اقسام الكلام المثبتة فى هذه الآية على وجه يفيد نفى ما عداها لان معنى ما كان لا يصح ولا يقع (ثلاثة اقسام) منحصرة فيها الاول منها (الكلام من وراء حجاب) يحجب من خاطبه وكلمه عن رؤية ذاته لايحجب الله فانه يراه ولايحجبه شئ كامر تفصيله فهو يسمع كلامه من غير واسطة وهو لايراه والحجاب سبحات النور ومالايعلمه الا الله (كتكليم موسى) اى كتكليمه تعالى لموسى عليه الصلوة والسلام فى الدنيا وموسى لايراه فالتشبيه فيما ذكر فانه سمع من الشجرة كلام الله تعالى من غير واسطة ملك وهو لايرى ذاته تعالى (و) القسم الثانى من الوحى يكون (بارسال الملائكة) الى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذى اوحاه اليهم وهذه الحالة فى الوحى (كحال جميع الانبياء) عليهم الصلوة والسلام (واكثر حال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وموسى ايضا فى غير ماندر من كلامهما بغير واسطة فى الدنيا قيل سواء رؤا الملك اولم يروه فان الوحى على اقسام كما كان يسمع كصلصلة الجرس من غير ان يراه وفيه نظر فان هذا داخل فى قوله وحيا وفى قوله بارسال الملائكة اشارة الى انه غير مختص بجبريل لما روى ان اسرافيل عليه الصلوة والسلام وكل به صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين فى اول الامر وقد قسموا الوحى الى نحو اربعين قسما ولكنهما لاتخرج عن هذه الاقسام (الثالث) من اقسام الوحى وكلام الله لرسله عليهم الصلوة والسلام (قوله وحيا) اى القاء فى قلبه بالهام ونحوه قال الراغب فى مفرداته اصل الوحى الاشارة السريعة ولتضمنه السرعة قيل امر وحى وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وباشارة بعض الجوارح وبالكتابة ويقال لمابلغ لانبيائه وحى وهو على اضرب حسبما دل عليه قوله وما كان لبشر الى اخره فذلك اما برسول مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صورة معينة واما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله واما بالقاء فى الروع كما ذكر ان روح القدس نفث فى روعى واما بالهام اومنام انتهى فالاخير هو المراد بالوحى هنا وسيشير اليه المصنف (ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة) اى الكلام من غير وهو فى الاصل مأخوذ من الشفة فتجوز به عن هذه المخاطبة والمكالمة (مع المشاهدة) اى معاينة المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من الرؤية فيختص الله بها من شاء من خلص عباده المقربين كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استدل بهذه الآية على نفى الرؤية لحصر تكليم البشر فى الثلاثة فاذا لم يره من يكلمه وقت الكلام لم يره غيره اجماعا واذا لم يره هو اصلا لم يره غيره ايضا اذ لاقائل بالفصل والجواب

انه يحتمل ان يكون المراد حصر التكليم فى الدنيا فى هذه الثلاثة اونقول يجوز ان تقع الرؤية حال التكليم وحيا اذ الوحى كلام بسرعة كما تقرر وهو لاينافى الرؤية فلا دليل على ما ذكر اصلا كما حققه ابن الخطيب فى رسالته المشهورة يعنى ان اعلام احد احدا بامر اما بغير مشافهة وكلام معروف وبمشافهته بواسطة او بدونها والثانى انه مع مشاهدة او بدونها فانحصر فى هذه الصور الاربعة والآية استوفت الاقسام الا ما كان مع مشاهدة الذى خص الله من اراد وقد علمت ان ماذكره غير متعين ولذا قال بعضهم ان قوله لم يبق الا المشافهة مع المشاهدة ممنوع الا ان سند منعه غير صحيح ولم يعرج احد منهم على تحرير كلامه هنا (وقد قيل) القائل هو الراغب وغيره كما سمعته آنفا (الوحى هنا) فى هذه الآية (ما يلقيه فى قلب النبى) اى فى قلب اى نبى كان من الانبياء عليهم الصلوة والسلام الهاما ونحوه (دون واسطة) اى بغير واسطة ملك يبلغه مااوحاه الله اليه والالهام كما قال الزركشى ماحرك القلب بعلم يلقيه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذى عليه الجمهور انه خيال لايجوز العمل به الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحى بقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها ونحوه وقال السمعانى انكار اصله لايجوز انتهى ولايخفى ان الخلاف فى غير الهام الانبياء ومن كان فى حكمهم فانه وحى وعلى هذا ينبغى تقييد ما فى شرح جمع الجوامع وقال الواحدى فى تفسيره نقلا عن الواقدى فى تفسير قوله تعالى * وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى * الآية ان الرسول الذى ارسل الى الخلق باخبار جبريل عيانا وشفاها والنبى يكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا وقال النووى فى تهذيبه ماظاهره ان النبوة المجردة لاتكون برسالة ملك وليس كذلك وكلام الغزالى الذى يستشهد به يرد عليه انتهى (وقد ذكر ابو بكر البزار) بموحدة وزاى معجمة والف وراء نسبة لعمل بزر الكتان واستخراج زيته وهى لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذى تقدمت ترجمته (عن على كرم الله وجهه فى حديث الاسراء) الذى رواه المصنف رحمه الله تعالى بتمامه فى اول الباب (ما هو اوضح فى سماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله من الآية) يعنى قوله تعالى * فاوحى الى عبده مااوحى لان الآية فيها احتمالات وحديث على رضى الله تعالى عنه فيه التصريح بسماعه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام الله من وراء الحجاب وقوله صدق عبدى فلا يأباه كون ضمير عبده لجبريل فى قول ولان خلافه شاذ وكذا كون الوحى فى الآية مبهم وثمة معين ولا ينافيه اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشافهة مع الرؤية اختصاص موسى عليه الصلوة والسلام بالتكليم كما توهم (فذكر) اى البزار او على رضى الله تعالى عنه (فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لى من وراء الحجاب) اى

قال الله تعالى لملك الاذان (صدق عبدى انا اكبر انا اكبر وقال فى سائر كلمات الاذان مثل ذلك) الا قوله حى على الصلاة حى على الفلاح كما مر ولكونه معلوما لم ينبه عليه ووجهه ان المشروع لسامع الاذان ان يقول ما يقوله المؤذنون كلمة بكلمة تصديقا له باقراره الا قوله حى على الصلاة الى آخره فانه يقول فيه لا حول ولا قوة الا بالله وهذا لا يليق به تعالى فلذا لم يجبه (تنبيه) هنا امران الاول اختلف العلماء فى صفة الاذان على اربع كيفيات مشهورة احدها تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب اهل المدينة ومالك وغيره واختار جماعة من اصحاب مالك الترجيع وهو ان يثنى الشهادتين اولا خفيا ثم تثنيتهما مرة ثانية برفع الصوت والصفة الثانية اذان المكيين وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى وهو تربيع تكبير الاول والشهادتين وتثنية باقى الاذان والصفة الثالثة اذان الكوفيين وهو تربيع التكبير الاول وتثنية باقى الاذان وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى والصفة الرابعة اذان البصريين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث الشهادتين وحى على الصلاة وحى على الفلاح يبدأ باشهد ان لا اله الا الله حتى يصل حى على الفلاح ثم يعيده كذلك مرة ثانية اعنى الاربع كلمات نسقا ثم يعيده ثالثة وبه قال الحسن البصرى وابن سيرين كذا قال ابن رشد فى كفاية المقتصد الثانى ان حديث على رضى الله تعالى عنه يقتضى ان الاذان شرع ليلة المعراج وحديث الصحيحين المشهور انه شرع بعد الهجرتين لما رآه بعض الصحابة فى منامه كما مر ولا يخفى ما بين الحديثين من التعارض ولم يتعرض احد للتوفيق بينهما وان اعترض ذلك بانه كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجيب بانه ثبت بوحى لكنه صادف ذلك المنام فاظهر العمل به تطمينا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم والظاهر ان يقال انه لم يثبت بحديث الاسراء الا انه لم يبين له زمانه ولم يمكن اعلامه به قبل الهجرة فاخر ذلك حتى يستقر ظهور الدين وبهذا تم التوفيق بينهما (ويجئ الكلام فى) بيان (مشكل هذين الحديثين فى الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفى اول الفصل من الباب منه) وسنذكر ما فيه ثمة (وكلام الله) عز وجل (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه) اختص ورد لازما ومتعديا كما هنا بمعنى خصه (جائز غير ممتنع عقلا) اى ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا كما مر فلا يضر نزاع المعتزلة فيه كما توهم (ولا ورد فى الشرع قاطع يمنعه) اى دليل قطعى يمنعه كما لم يرد دليل قطعى بثبوته ايضا (فان صح فى ذلك) اى فى الكلام بلا واسطة لغير موسى عليه الصلوة والسلام (خبر اعتمد عليه) فى الجزم بوقوعه وروى احتمل وكلاهما مبنى للمجهول كما قاله البرهان (وكلامه تعالى لموسى) وروى ومكالمته لموسى عليه الصلوة والسلام (كائن حق مقطوع نص ذلك) بالبناء للمجهول على الحذف والايصال كمشترك اى نص عليه (فى الكتاب) العزيز والقرآن (واكده)

الله تعالى (بالمصدر دلالة على الحقيقة) اى دلالة على ان الكلام فيه بمعناه الحقيقى وان اختلف اهل السنة فى معناه الحقيقى القديم بل هو الكلام اللفظى او النفسى كما ذهب اليه الاشعرى وتحقيقه فى كتب الاصول وهو مبحث طويل الذيل لا يسعه هذا المقام وهذا رد على المعتزلة القائلين بان الله لم يكلمه وانما خلق الكلام فى جسم آخر كالشجرة فسمعه عليه الصلوة والسلام منها لانهم نفوا الكلام النفسى وقالوا اللفظى حادث لا يقوم بذاته ودعوى قدمه لا يعقل عندهم فمعنى متكلم عندهم خالق الكلام وموجده قائما بغيره فان قالوا انه حقيقة لانه الخالق له والفاعل فباطل لان الفاعل الحقيقى فى اللغة من قام به الفعل لا من اوجده فهذا ناش من عدم الفرق بين الفاعل الحقيقى اللغوى والحقيقى فى الحقيقة ونفس الامر كما حققه الابهرى فى حواشى العضد فيلزمهم اثبات المشتق بدون ثبوت مأخذه له فان قالوا هو مجاز فالتأكيد بالمصدر فى قوله وكلم الله موسى تكليما يرده لان التأكيد اللفظى والمعنوى يمنع التجوز كما ذكره اهل المعانى وهذا من قبيل الاول كما اشار اليه المصنف هكذا قرره الاصوليون ورده ابن عبد السلام بان التأكيد بالمصدر لمنع التجوز فى الظرف ودفع الشك فى الحديث لا المحدث عنه والاسناد اذ التأكيد انما هو للفعل فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن صدر والتأكيد لتحقيق وقوعه فقط واجاب ابن عرفة بان تأكيد المصدر وان كان لازالة الشك فى الحديث فلا بد من ملاحظة من صدر عنه فهو لازالة الشك عن حديث فلان ولذا قال البيانيون فى قول هند زوج ابن زنباع تهجوه

بكى الخز من روح وانكر جلده وعجت عجيجا من جذام المطارف*

انه ترشيح للمجاز (اقول هذا كلام ساقط جدا فانهم ادعوا ان تأكيد المصدر يرفع التجوز عن الاسناد فيقتضى ان التكليم مسند لفاعله الحقيقى والمعترض يمنعه ويقول انما يمنع التجوز فى الظرف وهو الكلام لا مؤكد لفعله كما صرح به واهل المعانى لم يتعرضوا لهذا والبيت وارد عليهم لان العجيج مجاز وقد اكد فلا يمنع مجازا اصلا وكونه ترشيحا عليه لا له وبهذا عرفت ما يرد على المصنف (ورفع مكانه) اى مكان موسى الكليم (على ما ورد فى الحديث) الصحيح الذى فيه مقامات الانبياء عليهم الصلوة والسلام الذين لقيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى السموات حين اسرى به انه (فى السماء السابعة) هذا بناء على بعض الروايات والذى صححه الحاكم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى السماء السادسة وجزم به ابن المنير وغيره وما ذكره المصنف رحمه الله موافق لما ذكره البخارى فى التوحيد وعدل عن المشهور لانه انسب بمراده فالقول بانه غلط وان الذى فى السماء السابعة ابراهيم عليه الصلوة والسلام وهم من قائله وقوله (بسبب كلامه) متعلق برفع اى سبب رفعته عليه الصلوة والسلام على غيره كونه شرفه بكلامه فى الدنيا (ورفع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) حين اسرى به (فوق هذا كله) اى فوق هذه المقامات كلها

فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم بهيكله البشرى (حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام) تقدم شرحه (فكيف يستحيل) ويمتنع عقلا (فى حق هذا ويبعد) بعد جوازه وثبوت ما يدل عليه (سماع الكلام) من كلام الله تعالى بغير واسطة (فسبحان) تنزيه لله وتعظيم له جدا على ما انعم به لا تعجب فانه غير مناسب هنا (من اختص من شاء) من رسله وخلص عباده (بما شاء) من جزيل نعمه وكرمه (وجعل بعضهم) راجع لمن باعتبار معناه (فوق بعض درجات) كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على جميع الانبياء وخصه بنعم لم يصل اليها سواه وهذا اقتباس من قوله تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * فالمراد ببعضهم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وابهمه تفخيما لشانه واشارة الى تعينه كما قيل

* واقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وانت كل الناس *

وان اختلف المفسرون فى المراد به فى الآية ولا يخفى ما فى ختم الفصل بهذه الآية من حسن المناسبة وبراعة المقطع لما فيهما من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام

﴿ فصل واما ما ورد فى حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب ﴾ عطف تفسيرى وهو بيان لما وظاهر بالرفع والجر (من قوله ثم دنى فتدلى) الدنو القرب ولذا عطفه عليه عطفا تفسيريا وهو حسى ومعنوى والتدلى الامتداد من علو الى اسفل كما يلقى الدلو فى البئر هذا اصله ثم استعمل فى القرب من العلو حسا او معنى فهو اخص مما قبله فلا تقديم ولا تأخير فيه اصلا والاصل فتدلى فدنا وليسا بمعنى لان العطف بالفاء يأباه والتأسيس خير من التأكيد وقيل دنا بمعنى قصد القرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الدلال كتمطى اصله تمطط والضمير فيها لجبريل عند الجمهور اى دنا جبريل من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى عليه لانه لما رآه بصورته هاله فرده الله تعالى لصورته التى كان عليها فقرب منه وقيل الضمير لله اى دنا من نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مجاز عن اجابة دعائه واعطائه ما تمناه باشراق نور المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب لانه منزه عن المكان كما سيأتى بيانه (فكان قاب قوسين او ادنى) القاب ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان وقيل القاب حيث الوتر من القوس وقيل معناه قدر والقوس معروف وقيل هى هنا الذراع لانه يقاس به فالمعنى قدر ذراعين وروى عن ابن عباس وعلى الاول قيل فيه قلب اى قابى قوس اى بينهما مسافة مقدار قاب قوسين اى بين النبى وجبريل لان جبريل هو الموصوف بما قبله وهذا رواية عائشة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورجح هذا الوجوه على رواية شريك انه الله ولهم فيها كلام كثير

وقال الرازى هذا على عادتهم اذا تعاقد كبيران او تصالحا جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما يضع كفه بكفه او لتحقق قدر المسافة لا للشك كقوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقيل للشك بالنسبة للراوى وقيل بمعنى بل او الواو وادنى افعل تفضيل اى اقرب من قاب (فاكثر المفسرين) جواب اما (ان الدنو والتدلى منقسم بين محمد وجبريل عليهما الصلوة والسلام) اى كل منهما ثبت لكل منهما لا لله اى دنا محمد من جبريل ودنا جبريل من محمد وتدلى كل منهما للآخر او المراد ان الدنو لمحمد والتدلى لجبريل فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما وهذا لما رآه بصورته الاصلية (او مختص باحدهما من الآخر) اى مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم او بجبريل والمعنى دنى وتدلى محمد من جبريل او دنا وتدلى جبريل من محمد (او من السدرة المنتهى) اى يختص الدنو والتدلى من السدرة لا من الآخر (قال الرازى) فخر الدين المشهور (وقال ابن عباس) كما رواه ابن ابى حاتم عنه (هو) اى الذى دنى وتدلى فى الآية (محمد دنا فتدلى من ربه) ودنوه كناية عن قرب منزله ومشاهدته من قدسه ما لم يتيسر لغيره (وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد فى القرب) فهو ترق فى تقربه من ربه قربا معنويا لا حسيا (وقيل هما) اى دنا وتدلى (بمعنى واحد اى قرب) قربا معنويا بنيله انعامه ولا يخفى ان العطف بالفاء غير وارد فى مثله ولذا ضعفه واخره والقول بانه للتأكيد وافادة انه قرب بليغ لا تساعده العبارة (وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فى رواية ابن جرير عنه (هو) اى من اسند اليه الدنو (الرب دنا من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد الدنو المكانى لتنزه الله عنه ولا العلم لانه لا يختص به حتى يذكر فى مقام مدحه وتعظيمه بل قرب المنزلة باعلاء مقامه واطلاعه على عجايب ملكوته (فتدلى اليه) اى نزل الرب لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو على حد قوله تعالى * ينزل ربنا الى السماء الدنيا فى الثلث الاخير * اى تجلى له ونظر اليه بلطفه وكرمه وتشريفه بخطابه كما سيأتى بيانه فقوله (اى امره وحكمه) لم يرد به انه فاعل تدلى كما قيل وانما هو ضمير الله ايضا وهو استعارة او كناية عما ذكر واليه اشار القاضى رحمه الله تعالى بقوله المقصود من الآية تمثيل تحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفى البعد عنه (وحكى النقاش) فى تفسيره (عن الحسن) البصرى انه (قال دنى) الله (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) دنو مرتبة وقرب معنوى (فتدلى) اى (فقرب منه) بعنايته واختصاصه والاولى فزاد قربه اليه كما مر (فاراه ما شاء ان يريه من) آثار (عظمته وقدرته) فارى بصرية تعدت لمفعولين او علمية مفعولها الثالث مقدر اى اراه عظمته وقدرته مشاهدة معاينة والاول اظهر واقرب (قال) اى النقاش او الحسن (وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر) فاصله

فتدلى فدنى اى (فتدلى الرفرف لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج) وهو البساط مطلقا او البساط الاخضر وقيل ما كان من الديباج وفى الصحاح الرفرف ثياب خضر تتخذ منه المجالس وكسر الخباء وجانب الدرع وما تدلى منه واحد • رفرفة فهو من البسط والفرش وفسر بالزرابى والمرافق وقيل الثوب العريض او حواشيه من رف يرف تحرك ومنه رفرفة الطائر بجناحيه ويطلق على الستارة وطرف الخيمة وفى الحديث زرنا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرفع لنا الرفرف فرأينا وجهه ومنه رفرف الاولياء فى الجنة وهو بساط اذا استقروا عليه طار بهم لاى جهة ارادوها بقدرة الله تعالى وورد فى المعراج انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل عليه الصلوة والسلام فتناوله فطار به الى العرش يرفعه ويخفقه وجبريل رافعا صوته بالتمجيد فهو مركب له صلى الله تعالى عليه وسلم كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف خضر ببعض هذه الوجوه وبانه رياض الجنة والى هذا اشار بقوله (فجلس عليه ثم رفع) اى رفعه الله بقدرته وهو مبنى للمجهول (ودنا) الرفرف او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من ربه) بالمعنى السابق (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم بيانا لما هو عليه بعد ان على الرفرف (فارقنى جبريل وانقطعت عنى الاصوات) اى اصوات الملائكة عليهم الصلوة والسلام (فسمعت كلام ربى) عز وجل من غير واسطة وليس كلاما خلقه الله تعالى فى بعض الاجرام كما زعمه المعتزلة كما مر وفيه اثبات الكلام اللفظى لله تعالى كما ذهب اليه السلف وتبعهم الشهرستانى فى مقالته المشهورة ومن ينكره يقول الكلام النفسى يسمعه الله تعالى بقدرته والبحث بطوله مقرر فى علم الكلام (وعن انس فى الصحيح) اى مروى فى صحيح البخارى (عرج بى جبريل) صاعدا (الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة) عطف بيان او بدل والجبار هنا بمعنى العلى الاعلى من قولهم نخلة جبارة اى طويلة مرتفعة هذا هو المناسب للمقام لانه انسب من تفسيره بالقاهر لعباده على ما اراده من امر ونهى وان فسر به ايضا والعزة من عز يعز بالفتح اشتد وبالكسر صار عزيزا وهذا من حديث شريك السابق وقد استغربه الذهبى وفيه نظر (فتدلى) تقدم تفسيره (حتى كان) رب العزة (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة) كما مر (وذكر حديث الاسراء) بتمامه كما تقدم (وعن محمد بن كعب) القرظى السابق بيانه (هو) اى الموصوف بانه دنى كما سيأتى بيانه (محمد) صلى الله عليه وسلم اى (دنى) محمد صلى الله عليه وسلم (من ربه فكان قاب قوسين) اى مقدار قوسين فى القرب منه (او ادنى قال) اى محمد بن كعب (وقال جعفر بن محمد) وهو الآتى بعده ايضا (ادناه ربه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد) المذكور (والدنو من الله

لا حد له) اى الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بحيز كالاجسام بل دنوا معنوى (ومن العباد بالحدود) المكانية الحاضرة لهم لا الحد المنطقى المميز للماهية (وقال) جعفر (ايضا) كما قاله السابق (انقطعت الكيفية عن الدنو) من جانب الله اى دنو من عباده ليس له كيفية مخصوصة وحالة معروفة لانه امر معنوى غير محسوس والكيفيات احوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسئل عنها بكيف وهذه لفظة مولدة لم تسمع من العرب ومخالفة للقياس لان كيف لا تنسب اليها وصح ذلك بقوله (الا ترى) الخطاب عام لكل من وقف عليه كقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار والرؤية نظرية او ادعائية او علمية والا بفتح الهمزة وتخفيف اللام وما فى بعض النسخ الا بصورة الاستثناء وانه سمع منه بعيد (كيف حجب) بالبناء للفاعل اى منع (جبريل) بالنصب مفعوله ويجوز بناؤه للمجهول ورفعه (عن دنوه) الى ربه (ودنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما) موصولة او موصوفة وفى نسخة ودنوه مصدر منصوب على كيف اى الا ترى الخ وترك دنوه (اودع قلبه) صلة ما او صفة له واودع مبنى للمجهول وقلبه نائب فاعله وفى بعض النسخ بالبناء للفاعل ونصب قلبه مفعوله كما قاله البرهان (من المعرفة) الالهية والمواهب الربانية (والايمان) مما لا طريق له الا السمع بعد البعثة وعليه حمل قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى الايمان بما يقتضيه العقل كوجود البارى ووحدانيته ومعنى قوله (فتدلى) اى نزل عما كان عليه قبل هذا (بسكون قلبه الى ما ادناه) اى ربه لما اطمأن قلبه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) فى انه هل يصل الى حضرة القرب وينال اناقته بالاكرام والانعام ويترقى الى اعلى مقام فانجح الله تعالى امنيته وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله ومعرفته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى الناس معرفة وايمانا واثبتهم جاشا وايمانا واشدهم طمأنينة وسكونا وبهذا سقط ما قيل انه لم يكن عنده شك لامتلاء قلبه بالمعرفة والايمان وتطهيره من دنس الشك ووسوسة الشيطان وقيل انه لما فارق جبريل حين اختطفه الرفرف خشى ان يكون ذلك الاخذ مؤديا الى الهلاك وخاف من مكر الله وشك فيما يؤول اليه امره فلما خاطبه الله وقال له ليهدأ روعك علم ان الله انما اراد تقريبه والانعام التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين وحصول مراتب التمكين والا فظاهره لا يليق بمقامه (قال القاضى ابو الفضل) عياض المؤلف (رضى الله عنه اعلم انما وقع) بفتح الهمزة وتقدم معنى اعلم (من اضافة الدنو والقرب هنا) اى من اسناده (الى الله ومن الله تعالى) ووصفه به فالاضافة بالمعنى اللغوى لا الاصطلاحى وقوله هنا اى فى هذه الاية (فليس بدنو مكان) هو خبر ان المفتوحة وزيد فيه الفا لان اسمها موصول اى ليس فيه قربا محسوسا بل معنوى (ولا قرب مدى) بزنة فتى فسر بالغاية والنهاية والظاهر ان معناه المكان الممتد كما يقال مدى البصر ومده ولا عبرة بما قيل ان الثانى خطأ فانه

ورد فى الحديث كما ذكره النووى فى شرح مسلم (بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد
الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه
ابانة عظيم منزلته) الابانة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو مرفوع خبر دنو المبتدأ
وتقدم معنى المنزلة والرتبة وانها العلو المعنوى (وتشريف رتبته) بالجر ويجوز رفعه
واشراق انوار معرفته) اى اظهار آثار معرفة الله عليه ففيه استعارة مكنية اوتشبيه
ان كان من قبيل لجين الماء (ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته) اى وقوفه على ما فى
عالم الملكوت لما هو مغيب عن خلقه الا من خصه الله تعالى باطلاعه عليه (ومن الله
تعالى له) اى انما دنو الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه بعد العلم بتنزيهه
عن الحيز والقرب الحسى معناه (مبرة) مفعلة بالفتح بمعنى البر وله معان منها القبول
والاحسان (وتأنيس) اى لطف به يذهب استيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات
وغاب اليفه وهو جبريل عليه الصلوة والسلام (وبسط) اصل معناه التوسعة
قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده ومنه البساط ويطلق على المسرة ايضا
وليس بمعنى تولد لانه ورد فى الحديث فاطمة بضعة منى يبسطنى ما يبسطها كما مر
وذكره ابن قرقول فى مطالعه وهو المراد اى تأنيسه بما يسره من مخاطبته بما يسره
(واكرام) بتحايه وتعظيمه (ويتأول فيه) اى يأول الدنو الوارد فى الحديث (ما يتأول
فى قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا) يعنى ان الدنو الواقع فى الآية كما ورد مثله فى بعض
الاحاديث ان اولياء الله تعالى قريبون من الله ليس على ظاهره قربا حسيا بل معنويا
باللطف والاكرام وقد يأول بعلم الله ببواطنهم وظواهرهم وقدرته على التصرف
فيهم وعليه قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون كما اول النزل المسند
الى الله تعالى فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه المتفق على صحته انه صلى الله عليه
وسلم قال ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من
يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له بالاقبال عليهم بانعامه
واجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم وافاضة مواهبه عليهم وتأويله بنزول ملائكته
بعيد هنا وان ذهب اليه بعضهم ويتأول فيهما مبنى للمجهول (على احد الوجوه)
فى تأويله من ان نزوله تعالى انما هو (نزول افضال) بتفضيله وانعامه (واجمال) اى فعل
جميل بهم على عادته (وقبول) لتوبتهم واستغفارهم (واحسان) بالجود والكرم عليهم وليس
المراد انه بتقدير مضاف من مجاز النقص اى ينزل احسانه كما قيل فهو تمثيل لسرعة
اجابته وانجاح طلبته وزيادة لطفه واعتنائه به بمن قربه كبير له مقام عال حتى
انه قد ينزل اليه اذا سمع نداءه فهو استعارة تمثيلية او تبعية تصريحية (وقال
الواسطى) المتقدم ترجمته (من توهم انه) تعالى وله المثل الاعلى (بنفسه دنا) دنوا
حقيقيا محسوسا بذاته لا دنو لطف واكرام معنوى مجازى فقد (جعل ثم) بفتح المثلثة
وتشديد الميم ويقال ثمة بتاء ايضا كما يكون بها مرسومة خطا ثابتة لفظا فى الوقف

ومعناه هناك واصل وضعها للاشارة الى المكان بعيدا او قريبا على اختلاف فيهما
وقد يتجوز بها عن المعنى ونحوه بتشبيهه بالمكان على انه استعارة فيه كما هنا فانه
اشارة للآية والحديث المذكور فيه الدنو والنزول وقوله (مسافة) باعتبار مدلوله
فان جعلت الاشارة اليه على تقدير انه على حقيقته فلا والمسافة لمفازة من السوف
وهو شم التراب والبول ومنه قيل للمفازة مسافة لان الدليل يشم ترابها كما حققه الراغب
ولا مسافة لاستحالتها عليه تعالى (بل كلما دنا) احد من المخلوقات بزعمه (بنفسه
من الحق) اى الله تعالى (تدلى) نزل من علو الى اسفل (بعدا) اى لبعده عما قصده
فهو مفعول له او تمييز من نسبة تدلى (يعنى) الواسطى بقوله هنا تدلى بعدا اى كلما
حاول القرب نزل اساحة البعد (عن درك حقيقته) متعلق بمقدر يعنى بعدا او بعدا
عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبى فى حاشيته درك بفتح الدال والراء المهملين
وضبطه بعضهم باسكان الراء والاشهر هنا الفتح ومعناه الادراك واما الدرك ضد
الدرج فبالفتح لا غير وحكى فيه الوجهان وفيه نظر (اذ لا دنو للحق ولا بعد) بالمعنى
المكانى لاستحالتهما عليه تعالى وما يرد مما يوهمه مأول كما عرفته واما علم حقيقته بكنهها
ففيه خلاف ليس هذا محله ولا وجه للتعرض له هنا (وقوله قاب قوسين او ادنى) بالمعنى
الذى مر بيانه وهذا جواب عن سؤال يدفع ما يتوهم من انه يقتضى قربا حقيقيا ومسافة
كما اشار اليه بقوله (فمن جعل الضمير) المقدر فى قوله تعالى ثم دنا فتدلى (عائد
الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا) التأويل السابق آنفا (كان) الدنو
المذكور (عبارة عن نهاية القرب) اى معبرا به عن غاية القرب المعنوى من عباده
(ولطف المحل) اللطف عبارة عن الامور الخفية وما لا يدرك بالبصر كما فى قوله وهو
اللطيف الخبير اى هو عبارة عن دنو معنوى ومنزلة معنوية لا تحس بالابصار (واتضاح
المعرفة) الالهية التى وهبها من العلم اللدنى فى حظائر قدسه لمن خصه برفعة المنزلة
من خلص عباده الذين جعلهم محرم اسراره واتضاح بالمثناة الفوقية افتعال من
الوضوح وفى بعض النسخ بالمثناة التحتية مصدر اوضحه ايضاحا (والاشراف
على الحقيقة) اى الاطلاع عليها واصله من اشرف اذا وقف على شرف وهو
المكان العالى ثم اريد به لازمه من الوقوف والاطلاع كناية او مجازا (من محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كان الدنو بالمعنى المذكور من نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم (و) وكان الدنو المعنوى (عبارة عن اجابة الرغبة) اى اجابته لمأموله
الذى هو غاية لمطلوبه ومرغوبه (وقضاء المطالب) اى اعطاه مطلبه الذى طلبه
منه ووعده به وفى القضاء اشارة الى انه كالدين لان عدة الكريم دين (واظهار
التحفى) بحاء مهملة وفاء ومثناة تحتية وهو المبالغة فى البر (وانافة المنزلة) بالنون
والفاء بمعنى اعلائها ورفعها (والمرتبة) عطف تفسير (من الله) متعلق بما قبله

اشارة الى انه كله فضل وموهبة منه تعالى (ويتأول فيه) بالبناء للمجهول اى يتأوله القرب والدنو بتأويل مثل (ما يتأول فى قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى على طريق التمثيل والاستعارة فى قوله تعالى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتانى يمشى) اى من اطاعنى وسعى فى اداء امتثال اوامرى والمراد انه يمشى مشيا غير بطئ بالهوينا لمقابلته بقوله (اتيته هرولة) وهى المشى والجرى بسرعة والمراد انى اعجل له جزائى واوصل اليه احسانى سريعا وتفسيره بسبقته بجزائى غير صحيح هنا (اى) والتأويل الذى اول به من تقرب الى آخره ومابعده هو (قرب بالاجابة) لدعائه وهو مرفوع خبر لمبتدأ مقدر (والقبول) لتوبته (واتيان بالاحسان وتعجيل بالمأمور) اشارة لمعنى الهرولة وهذا بعض حديث قدسى صحيح رواه ابو هريرة رضى الله تعالى عنه اوله قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى فى واحد منهما قذفته فى النار ومن اقترب منى شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب منى ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منه واطيب ومن جاءنى يمشى اتيته هرولة ومن جاءنى يهرول جئته سعيا قالوا معناه سرعة الاجابة والثواب لمن دعاه واطاعه فالتقرب تمثيل للتحبب الى الله بالطاعة والعبادة وتفويض اموره وانه يضاعف ثوابه ويزيد بما هو خارج عن القياس وليس فى قوله فى ملاء خير منه دليل على افضلية الملائكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى وهذا تأييد لما سبق وتوضيح له فلا يعترض عليه بانه تكرار من غير فائدة

﴿فصل فى ذكر﴾ ما يدل على (تفضيله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى القيمة بخصوص الكرامة) اى بما خصه يوم القيمة وفضله به على سائر الانبياء والرسل عليه وعليهم الصلوة والسلام وذكر ما يدل على ما عقد له بحديث اسنده المصنف من طريق الترمذى فقال (حدثنا القاضى ابو على) الشهيد المعروف بابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو الفضل) ابن خيرون السابق ترجمته ايضا (وابو الحسين) بالتصغير وهو المبارك بن عبد الجبار هكذا هو فى اكثر النسخ الصحيحة وفى بعضها ابو الحسن مكبرا والصواب الاول كما ذكره الحافظ البرهان فالحسن لبس بالحسن هنا وهذا الحديث فى اول الكتاب مسندا الى الترمذى بهذا السند (قالا حدثنا ابو يعلى) بفتح اوله وهو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم فى ترجمته (حدثنا السنجى) ابو على الحسن بن محمد بن احمد بن شعبة السابق ذكره وضبطه قال (حدثنا ابن محبوب) ابو العباس المحبوبى راوى جامع الترمذى عنه قال (حدثنا الترمذى قال حدثنا الحسين ابن يزيد الكوفى) المعروف بابن الطحان اخرج له ابو داود والترمذى وقال

ابو حاتم انه لين توفى سنة اربع واربعين ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا عبد السلام بن حرب) النهدى روى عنه اصحاب الكتب الستة وترجمته فى الميزان (عن ليث) ابن ابى سليم بالتصغير القرشى الكوفى العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء حفظه توفى سنة ثمان وثلاثين ومائة (عن الربيع بن انس عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا) اى خرجوا من قبورهم الى المحشر لانه صلى الله عليه وسلم رأسهم وقائدهم فيبعث قبل موسى وسائر الرسل كما سيأتى وهذا الحديث انفرد به الترمذى وقال انه حسن غريب (وانا خطيبهم اذا وفدوا) اى قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب واصل الوفد الجماعة تقدم الى من لهم فيه رجاء وعنده قضاء امورهم وعطاياهم ولما كان صلى الله عليه وسلم هو الشفيع المشفع فى المحشر المأذون له فى التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب * على عادتهم اذ كان لكل وفد خطيب فى المجمع غالبا وهذا انسب هنا من قوله امامهم لا لانه لا تكليف ثمة كما توهم وفيه دليل على افضليته صلى الله عليه وسلم وانه لم يدهش لهول المحشر (وانا مبشرهم) بالخلاص من المحشر وطول موقفه (اذا آيسوا) من النجاة من شدة ذلك اليوم وهوله اذ زفت الازفة وبلغت القلوب الحناجر والاياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمزة وهما لغتان وروايتان (لواء الحمد بيدى) يوم القيامة ليعرفه صلى الله تعالى عليه وسلم ويتبعه كل من فى الموقف واللواء معروف وهو لواء حقيقى سمى لواء الحمد لانه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره او لحمد الناس كلهم له ويجوز ان يكون كناية عن شهرته وتقدمه كقوله

* اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين *

فهو اشارة لتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده وامته الحمادون وهو احمد ومحمد وتقدم الكلام عليه واللواء والعلم والراية والبند متقاربة معنى لكن اللواء اكبرها وروى الطبرى ان لواء الحمد يحمله على كرم الله وجهه بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمد فلا مخالفة بينهما (وانا اكرم ولد آدم على ربى) اى اشرفهم ذاتا وصفة واقربهم منزلة والكرم صفة تجمع كل خير وان اختص عرفا بالسخاء وهذا تحدث بنعم الله تعالى واظهار لما يجب اعتقاده وفى نسخة على ربه والضمير لاكرم او آدم والرواية الصحيحة الاولى والولد صفة مشبهة بمعنى المولود يطلق على الواحد وغيره (ولا فخر) جملة حالية مؤكدة اى انا لا اذكره للفخر بل للتحدث بنعم الله اولا افخر بهذا اذ لى عند الله ما هو اعظم واشرف من هذا مع انى لم انله بسعى واجتهاد منى وخبر لا محذوف اى فيه او عندى ونحوه والفخر الافتخار والتبجح بالامر بان يذكره ليظهر علوه على غيره (وفى رواية ابن زحر عن الربيع بن انس فى لفظ هذا الحديث)

وزحر بفتح الزاى المعجمة وسكون الحاء ثم راء مهملتين وهو عبد الله بن زحر الافريقى
العابد واصل معنى الزحر الصوت والانين ومنه الزحير للمرض المعروف فى الامعاء
والعامة تغلط فيه وتقول زحيل باللام وروى عنه اصحاب السنن وله ترجمة فى الميزان
واخرج له البخارى فى الادب وفى روايته زيادة ومغايرة فى اللفظ على الرواية السابقة
وهى ظاهرة وفى الاصل بخطه وفى رواية ابن زحر والربيع بن انس وفى رواية العزفى
عنه عن الربيع عن انس وعلى كلا الوجهين المروى عنه انس بن مالك رضى الله
تعالى عنه كما قاله التلمسانى (انا اول الناس خروجا اذا بعثوا) كما تقدم (وانا
قائدهم اذا وفدوا) القائد فى الاصل الذى يقود الدابة بزمام ونحوه ثم صار حقيقة
فى الرئيس الذى تتبعه الناس ويرتضونه وفى امراء الجيوش وجمعه قادة وتقدم معنى
الوفد وان المراد به القادمون للمحشر فالمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم
ثمه حسا ومعنى (وانا خطيبهم اذا انصتوا) اى انا المتكلم بين يدى ربى فى امرهم
والشفاعة لهم وقد سكتوا ولم يطيقوا انطقا لحيرتهم والانصات السكوت بمعنى
(وانا شفيعهم اذا حبسوا) فى الموقف واضطربوا وفزعوا للانبياء عليهم الصلوة
والسلام فقال كل منهم نفسى نفسى فيشفع لهم صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة
العظمى فى فصل القضاء (وانا مبشرهم) بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه
(اذا ايئسوا) انقطعت حجتهم وتحيروا وسكتوا ليأسهم من النجاة وقيل الابلاس
الحيرة والندم ومنه ابليس (لواء الكرم بيدى) قريب مما مر لفظا ومعنى (وانا اكرم
ولد آدم على ربى ولا فخر ويطوف على الف خادم) فى الجنة من الحور العين
(كانهم لؤلؤ مكنون) رواه الترمذى وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور
لم تمسه الايدى فهو كناية عن كونها بكرا ذات بهاء بحيث لم ير مثلها (وعن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه الترمذى وصححه (واكسى حلة من حلل
الجنة) اصل معنى الحلة ثوبان من برد اليمن واحد فوق واحد ثم اطلق على كل لباس
فاخر يعطى رعاية للابسه ففيه دلالة على قربه صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته
اذ كسى وجميع الناس عراة وحفاة (ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيرى) ذلك فى محل نصب على الظرفية وفى مقامه صلى الله تعالى
عليه وسلم فى جانب اليمين فى مقام لم يقم فيه نبى مرسل ولا ملك مقرب من التكريم
الدال على غاية القرب وسماع كلامه وقبول رجائه بما يليق بمقامه الشريف
والخلائق جمع خليقة وهو اسم جمع بمعنى جماعات من المخلوقين (وعن ابى سعيد
الخدرى فى حديث رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه (انا سيد ولد آدم يوم القيامة)
ظرف متعلق بسيد وتقييده به ليس للتخصيص كما سيأتى بل لانها سيادة مسلمة

له صلى الله تعالى عليه وسلم وهى اشرف من سيادة الدنيا ومر ان الصحيح ان السيد
يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره والخلاف فيه مشهور على ثلاثة اقوال مشهورة
(وبيدى لواء الحمد ولا فخر) تقدم معناه (وما من نبى آدم فمن سواه) بدل من نبى
اى جميع الانبياء (الا تحت لوائى) اى تابع لى فى القيامة وليس المراد انه تحته حقيقة
وعطف فمن بالفاء لانهم بعده من غير فاصلة والمراد الترتيب الرتبى او الحقيقى
(وانا اول من تنشق عنه الارض) يوم تبعثر من فى القبور وتنشق بقدرة الله تعالى
وفيه اكرام له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا فخر) تقدم معناه (وعن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه) فى حديث صحيح رواه مسلم (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
انا سيد ولد آدم يوم القيامة) اى انا اشرفهم واقربهم عند الله فى يوم لا يسود فيه
غيرى كما مر (واول من ينشق عنه القبر) اى قبره الشريف (واول شافع) يشفع
للناس فى الموقف (واول مشفع) بفتح الفاء المشددة اى اول من يؤذن له فى الشفاعة
وتقبل شفاعته وتفصيله ما فى حديث البخارى يحبس المؤمنون يوم القيامة فيقولون
له صلى الله تعالى عليه وسلم استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فاستأذن على
ربى فيؤذن لى فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء ان يدعنى فيقول ارفع رأسك
محمد وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى حديث
رواه الترمذى والدارمى (انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر) كما مر (وانا اول
شافع) فى ازالة هول الموقف (واول مشفع) تسمع شفاعته وتقبل (ولا فخر) لى فخر
تكبر وتبجح فيما خصنى الله به (وانا اول من يحرك حلق) باب (الجنة) لتفتح لى ولمن
يدخلها بعدى وحلق بفتح الهاء المهملة واللام ويجوز كسر الحاء فيكون بزنة ندر
جمع حلقة بسكون اللام وقد تفتح وتكسر وفى القاموس ليس فى الكلام حلقة
محركة الا جمع حالق او هى لغة ضعيفة والمراد بباب الجنة مخصوص به صلى الله تعالى
عليه وسلم يسمى باب محمد وباب الرحمة ولها ابواب غيره وقيل المراد جميع ابوابها
وانه الظاهر والظاهر خلافه (فيفتح لى) بابها (فادخلها) وفى رواية وادخلها
بالواو (و) يدخلها (معى فقراء المؤمنين ولا فخر) وبفتح بالتحتية والبناء للمجهول
والفاتح خزنتها او الفوقية والضمير للجنة والفاء للتعقيب من غير مهملة فى الفتح
والدخول والمراد بالفقراء الفقراء الصابرين وهو شامل للمساكين والفرق بينهما
مشهور والخلاف معروف وفى هذا دليل على ان الفقير الصابر افضل من الغنى
الشاكر وقيل الغنى الشاكر افضل والاول اصح ولذا اختار الفقر كثير من الانبياء
والاولياء وانفق ابو بكر رضى الله تعالى عنه ماله فى سبيل الله ليدخل فى سلكهم
والمحمود منه ما كان مع غنى القلب والنفس فان الغنى ليس بكثرة العرض وانما هو
غنى النفس وهو كما قيل * غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة * فان زاد شيئا عاد

ذاك الغناء فقرا * وفقر النفس ولو مع المال مذموم ولذا استعاذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منه وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اول من يدخل الجنة لاينافى ماورد فى حديث الترمذى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا رضى الله تعالى عنه وقال له يابلال بم سبقتنى الى الجنة فما دخلتها قط الا سمعت خشخشتك وفى رواية سمعت دق نعليك بين يدى فى الجنة فانه كان فى رؤياه لافى هذا الدخول اوهو كما قال ابن القيم كان دخوله دخول الخادم والحاجب الذى يتقدم سيده و المطرق فى طريق سيده وهو بيان لفضيلة الاذان وانما سأله صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان اعلم به تطييبا لنفسه والمراد بقوله معى ليس المساواة بل التبعية فلايقال لاحاجة لقوله معى فى الجملة وهى حالة تقتضى المقارنة (وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر) المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف من جميع الخلق (وانا اكثر الناس) اى الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكذا روى ايضا (تبعا) جمع تابع كخدم جمع خادم يعنى ان امته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر من سائر الامم و يقتضى هذا اكثرية اجره عليهم و يأتى التصريح به وافضليته على كل واحد منهم و على جميعهم ايضا كما قررناه فى محله (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (انا سيد الناس) واجلهم واعظمهم (يوم القيامة) خصه مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم فى الدنيا والآخرة لظهوره ثمه واختصاصه به ظاهرا من غير منازع ومنكر كما وقع فى الدنيا من المشركين وسيأتى تفصيله فى كلام المصنف رحمه الله تعالى (وتدرون لم ذلك) فيه استفهام مقدر اى اتدرون ما سبب هذه السيادة وحذف الاستفهام لقرينة جائز كما صرحوا به (يجمع الله الاولين والاخرين) فى المحشر (وذكر حديث الشفاعة) اى ذكر انس رضى الله عنه هذا الحديث المذكور فيه الشفاعة بتمامه ولم يذكره هنا لانه سيأتى فى الشفاعة وانه اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم فى بعض فيأتون آدم عليه الصلوة والسلام ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فاقول انا لها الخ (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اطمع) اى ارجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه له كقوله والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى يوم الدين وتعبيره صلى الله تعالى عليه وسلم بالطمع هضما لنفسه (ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيامة) لان امته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الامم واجر اعمالهم له مثله لان من سن سنة حسنة له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة واعمالهم له مضاعفة وله صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها ومثل اضعافها وهو اعظمهم مشقة لعموم دعوته وكثرة من عتا وعاند من الكفرة مع تحمله وصبره حتى قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك باخع نفسك (وفى حديث آخر اماترضون) معاشر المسلمين (ان يكون ابراهيم) الخليل عليه الصلوة

والسلام (وعيسى) عليه الصلوة والسلام (كلمة الله فيكم) اى محسوبان من جملتكم ومحشوران معكم (يوم القيامة) فيعدان من امتى وخصهما بالذكر لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اشرف الانبياء بعد محمد صلى الله تعالى عليه سلم وهو ابو الانبياء وابو اسمعيل عليهما الصلوة والسلام الذى كانت العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى يبعث آخر الزمان على دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويغير احكام النصرانية واما اداة استفتاح كالامر اومركبة من همزة الاستفهام وما النافية والمعنى واحد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (انهما فى امتى يوم القيمة) اى يعدان منهم (اما ابراهيم فيقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (انت دعوتى وذريتى) اذ دعوته فقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك الخ فجعل عين الدعوة مبالغة اى انت ممن جعله الله منهم باجابة دعوتى والذرية النسل والولد يطلق على الواحد وغيره ولا شبهة فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل ولده اسمعيل عليه الصلوة والسلام ولم يبعث فيهم نبى سواه فهو المجاب دعوته (واما عيسى) اى كونه تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى جملة امته يوم القيامة (فالانبياء كلهم اخوة) اى كالاخوة فى اتحاد امورهم مع الله تعالى ومع الخلق والاخوة اما لاب وام ويقال لهم بنوا الاعيان اولاب فقط وهم بنوا العلات اولام وهم بنوا الاخياف فلذا قال (بنوا علات) المراد بالعلات الزوجات الضرائر وهم من العلل وهو الشرب مرة بعد مرة والشرب الاول يسمى نهلا فكان الزوجات موارد للزوج اوكان اولاد مشاربهم مختلفة فى الرضاع وهذا اقرب الى هذا اشار بقوله (امهاتهم شتى) وامهات جمع ام واصلها امهة ولذا جمع على امهات وصغر على اميهة وقيل انه فى الاصل مضاعف لقولهم امات واميمة وقيل اكثر مايقال امات فى البهائم ونحوها وامهات فى الانسان وهو يطلق على الام القريبة والبعيدة وشتى من الشتات وهو التفرق جمع شتيت كمرضى ومريض اى مختلفة فى الذوات والنسب فشبه الدين والعقيدة الحقة التى هى سبب لبقائهم بالاب الواحد لاتحاد اعتقادهم ومعرفة ربهم على طريقة الاستعارة واثبت لهم الاخوة تخييلا وكونه بنوا علات ترشيح وليست الاستعارة تحقيقية كما توهم وشبه فروع الشرائع والاحكام بالامهات فى حفظهم وتعيشهم فهو استعارة مستقلة تحقيقية اوترشيح بناء على جواز التجوز فيه والحاصل انهم صلى الله عليهم بعثوا متفقين فى اصول التوحيد مختلفين فى فروع الشرايع وقيل اراد انهم فى ازمان متباينة والاول اولى (وان عيسى اخى) بكسر همزة ان واقيم الظاهر فيه مقام الضمير والاخوة بمعنى المشابهة فى الرسالة والصفات الحميدة (ليس بينى وبينه نبى) لانه لم يبعث فى الفترة التى كانت بينهما احد من الانبياء

(و) لما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومعنى كان (اولى الناس به) وهوافعل
تفضيل من الولاء والتوالى وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عبارة عن القرب
فيقال اولى بمعنى احق واقرب من حيث المكان اوالزمان اوالنسب اوالدين كما ذكره
الراغب وهو المراد هنا وهذا من حديث رواه البخارى ومسلم وهو انا اولى الناس
بعيسى ابن مريم فى الاولى والآخرة الانبياء بنواعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد
وليس بيننا نبى وهوحديث صحيح روى من طرق فعلم ان ما ذكره الراغب والزمخشرى
وابن عربى فى فصوصه من انه كان بينهما نبى اسمه خالد بن سنان كان هو وقومه
بعدن فخرجت نار عظيمة من مغارة اهلكت الزرع والضرع فالتجاء قومه اليه
فاخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة الى المغارة التى خرجت
منها فقال لقومه انا ادخل خلفها المغارة حتى اطفيها وامرهم ان يدعوه ثلاثة
ايام تامة فانهم ان نادوه قبلها يخرج ويموت وان صبروا اخرج اليهم سالما فلم يصبروا
ونادوه فى اليوم الثانى فخرج وقال لهم اضعتمونى واضعتم امرى وامرهم ان يدفنوه
اربعين يوما يصبرون فيها فاذا تمت اتاهم قطيع غنم يقدمه حمار مقطوع الذنب
فاذا حاذى قبره نبشوه فيقوم ويخبرهم باحوال البرزخ وما عاينه يقينا فلما تم الميعاد
كما قال هم مؤمنوا قومه ان ينبشوا قبره فابى اولاده خوف العار وان يقال لهم اولاد
المنبوش فمنعتهم الحمية الجاهلية على ان ضيعوه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم جاءته ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبى اضاعه قومه غير صحيح وما قيل
من ان المراد نفى نبى مشرع مبلغ للاحكام يأباه لفظ الحديث فان النبى اعم ولوكان كما ذكر
لقال انه رسول واحسن منه ان يقال انه كان مستعدا للنبوة ولم يرزق ذلك وكل
ما نقل من انه كان بينه وبينه غيره كلقمان وسفيان فان مثله لا يعارض حديث
الصحيحين كما ذكره الحافظ ابن حجر والبرهان وغيرهما واعلم انه صلى الله تعالى
عليه وسلم انما خص هذين بالذكر لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام ابو الانبياء
عليهم الصلوة والسلام واسمعيل كان على شريعته والعرب يزعمون انهم على ملته
وعيسى عليه الصلوة والسلام قريب العهد وسيصير من امته حقيقة وهذا لاينافى
قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كما توهم لان المأمور به اتباعه
فى التوحيد والعقائد دون غيرها من الاحكام وليس المراد تقليده بل مراده انه موافق
له فتأمل (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاحاديث السابقة (انا سيد الناس
يوم القيامة) جواب عن سؤال مقدر وهو لم خص سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم
بذلك اليوم وهو غير مخصوصة به (وهو سيدهم فى الدنيا ويوم القيامة) بل سيد
جميع المخلوقات والجملة حالية (ولكن اشار) عليه الصلوة والسلام بقوله هذا
كما تقدم (لانفراده) عن غيره (فيه بالسودد والشفاعة) العظمى الدال

على عظمة قدره عند الله (دون غيره) من الرسل والملائكة المقربين والسودد بضم
السين المهملة وفتح الدال الاولى وقد تضم وتهمز الواو لضم ماقبلها وهى لغة طى
بمعنى السيادة وسيدوزنه فيعل اوفعيل وداله الثانية للالحاق (اذلجأ الناس اليه) اى
التجاؤا واستندوا للتوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم (فى ذلك) الوقت اوذلك
الامر وهو تعليل لما قبله (فلم يجدوا سواه) صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم
ويخلصهم مماهم فيه من الكرب الذى لايطيق غيره دفعه (والسيد) معناه لغة (هو
الذى يلجأ الناس اليه فى حوائجهم) اى يعتمدون عليه اذاقصدوه لقضاء مصالحهم
فلذا وقع هنا موقعه اذالمعنى انا من يقضى حوائج جميع الناس فى الموقف ومن هذا ظهر
للتخصيص وجه آخر الا ان هذا تفسيرله بلازم معناه لان معناه من يتبعه جماعة
قومه وسواده والحوائج جمع حاجة على خلاف القياس اومفرده حائجة مقدر
اونادر وقد ورد فى الاحاديث وكلام العرب كثيرا فصيحا فلاوجه لمن انكره كالحريرى
وقد شنع عليه ابن برى وانشد له شواهد كثيرة وقدكان صلى الله تعالى عليه وسلم
يحب قضاء الحاجة وهو دأبه فى الدنيا والآخرة ولله در الصرصرى فى قوله

* الا يارسول الله الاله الذى * هدانا به الله فى كل تيه *
* سمعت حديثا من المسندات * يسرفؤاد النبيل النبيه *
* وانك قد قلت فيه اطلبوا * الحوائج عند حسان الوجوه *
* ولم ار احسن من وجهك * الكريم فجدلى بما ارتجيه *

(فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (حينئذ) اى فى وقت التجائهم اليه (سيدا
منفردا من) سائر (البشر) اى منفردا عن جميع الناس حتى الانبياء عليهم الصلوة
والسلام بهذه السيادة (لم يزاحمه احد فى ذلك) اى لم يشاركه احد فى كونه ملجأ
للناس واصل معنى المزاحمة المدافعة (ولاادعاه) لانكشاف الامر يوم القيامة حتى
لايمكن احدا ان يدعى ماليس فيه (كما قال تعالى لمن الملك اليوم) يعنى انه تعالى يقول
يوم القيامة لمن الملك فى هذا اليوم اوينادى به مناد على رؤس الاشهاد فلايجيبه
احد فيجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) اى الملك مخصوص به اويقول اهل
الموقف يعنى ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اناسيد ولد آدم اليوم كقوله تعالى
* لمن الملك اليوم * ووجه الشبه انه خص الملك بذلك اليوم كماخص رسوله
صلى الله تعالى عليه وسلم سيادته به (والملك له تعالى فى الدنيا والآخرة لكن) انما
خصصه بملك هذا لانه (فى الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك فى الدنيا)
متعلق بالمدعين ان ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى
ذلك لهم وتفضله عليهم ظنوا ان لهم ملكا حقيقة فلما قهرهم بالموت وكشف الغطاء
ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم من الامر شىء فانقطعت الدعاوى (وكذلك)

اى مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حين انقطعت الدعاوى وتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى (جاء الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة) العظمى المعهودة (فكان سيدهم فى الاخرى) اى الاخرة لانه يقال لها اخرى وآخرة وفى نسخة فى الآخرة (دون دعوى) من احد من اهل الموقف انه سيد لعدم المنازع والمدافع (وعن انس رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم (آتى) بمد الهمزة (باب الجنة يوم القيامة فاستفتح) اى اطلب الفتح بتحريك الحلقة (فيقول الخازن) اى بواب الجنة الموكل بها والمراد به رضوان رئيس خزنتها لانه ورد التصريح بان لها خزنة (من انت فاقول) انا (محمد فيقول بك امرت) اى بسببك امرت بالفتح اذا قرع الباب وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاول الفتح كما اشار اليه بقوله (ان لا افتح لاحد قبلك) والجملة مستأنفة لبيان ما امر به وقيل انه بدل مما قبله اى امرت بلا افتح لاحد قبلك وانما فتح له قبل كل احد لسبق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم للنبوة وسبق ذرته فى الاجابة على سائر الذرات وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس عملا واعتقادا وافضلهم لقوله تعالى *وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون (وعن عبد الله بن عمرو) ابن العاص حديث رواه الشيخان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى مسيرة شهر) اى مسافة كل جانب منه مقدار شهر والحوض مجمع الماء وهو معروف وهذا الحوض لعظيم مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح به القرطبى فى شرح مسلم وورد فى حديث مرفوع رواه الترمذى ان لكل نبى حوضا ترده امته وروى انه صلى الله عليه وسلم له حوضان احدهما فى ارض الموقف والآخر بعد الصراط له ميزاباب من الكوثر وقوله (وزواياه سواء) يدل على انه مربع (وماؤه ابيض من الورق) بفتح الواو وفتح الراء المهملة وكسرها وسكونها الفضة مطلقا او ما ضرب منها وفى نسخة من اللبن وابيض افعل تفضيل من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد فى الحديث الا ان صاحب القاموس قال انه شاذ وعلى الاول فلا وجه لاطلاق بعض النحاة انه لا يبنى افعل من الالوان ومن العيوب وانما يقال اشد بياضا وابلغ ونحوه (وريحه اطيب من المسك) الريح كالرائحة ما يشم ويطلق على الهواء وهو الاشهر ويجوز ارادته ايضا لان الهواء اذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا ايضا (كيزانه كنجوم السماء) كثرة واشراقا وكونها اكثر من النجوم حقيقة لا مانع منه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث والذى نفسى بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء لتأكيده بالقسم وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو اناء صغير يتناول به الماء للشرب والاصل انه اناء ضيق الفم له عروة فان لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه اكواب كما تقدم فان كان

فيه شراب فهو كأس (من شرب منه شربة لم يظمأ ابدا) اى لم يعطش بعده ابدا وروى لن يظمأ ولا يظمأ ولا كلام فيه واما هذه الرواية فاستشكلت بان لم لنفى الماضى والمراد هنا نفى الظمأ فى المستقبل بدليل قوله ابدا المفيدة لاستغراق المستقبل واجيب بان المراد نفى الماضى كانه لم يذق ظمأ فى الماضى لشدة اللذة التى انسته ما قبلها واما ابدا فانها تكون للماضى ايضا كما فى التسهيل (اقول) هذا تعسف فالحق انها لنفى المستقبل بقرينة قوله ابدا وهى ترد كذلك اذا قرنت بالشرط نحو ان لم تحسن لى غدا كان كذا وهو كثير فى كلامهم ومن هنا شرطية او فى معناها فهذا سهو من قائله ويظمأ مهموز ساكن الهمزة ويجوز ابدالها الفا وقيل ان لذة المشروب انما تكون بالاشتهاء وهو انما تكون لمن عطش واهل الجنة منعمون فى المأكل والمشرب واجيب بان المراد انه لا يشتد عطشه وليس بشئ لانه قد يشرب بدون عطش للتلذذ كما يشاهد فى خمور الدنيا وروى من يشرب بالرفع على ان من موصولة ومجزوما على انها شرطية كما تقرر (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه) جندب ابن جنادة (نحوه) اى روى عنه ما هو بمعناه او قريب منه وان لم يكن مثله (وقال) زيادة على ما مر فى روايته (طوله ما بين عمان الى ايلة) اى طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدين وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة وبفتح العين وتشديد الميم وهو المروى فى حديث الحوض قرية بالشام وحكى فيه التخفيف ايضا وهو المراد والتى باليمن بالضم والتخفيف لا غير وقيل انها المرادة هنا لرواية ما بين بصرى وصنعا والمراد زيادة الطول فلا تتعارض الروايات وايلة بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بلدة بالشام بساحل البحر بين طيبة ودمشق وقيل غير ذلك وهى سميت بعمان ابن لوط لانه سكنها وقيل بعمان بن سنان من ولد ابراهيم عليه الصلوة والسلام (يشخب فيه ميزابان من الجنة) بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الشين وضم الخاء المعجمتين وفتحها وموحدة ومعناه انه ينصب مع صوت وروى يغت بغين معجمة مضمومة ومثناة فوقية ومعناه يتوالى صبه وروى ابن ماهان يثعب بمثلثة وعين مهملة وموحدة ومعناه يتفجر ماؤه واصل الشخب ما يخرج من الضرع عند الحلب والميزاب بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء مسيل الماء (وعن ثوبان مثله) اى مثل حديث ابى ذر (وقال) اى ثوبان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (احدهما) اى احد الميزابين (من ذهب والاخر من ورق) اى فضة (وفى رواية حارثة بن وهب) الخزاعى الصحابى المعروف رضى الله عنه واخرج له اصحاب الكتب الستة (كما بين المدينة وصنعا وقال انس ايلة وصنعا) هى بصاد وعين مهملتين مدينة باليمن والنسبة اليها صنعانى على خلاف القياس وبينها وبين المدينة مسيرة شهر والمراد عظمه فالروايات كلها بمعنى وبقرب دمشق قرية تسمى صنعا ايضا

(وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه الشيخان (كما بين الكوفة) مدينة العراق المشهورة (والحجر الاسود) والروايات متحدة كما عرفته فانها تقريبية لا تحديدية فخاطب صلى الله تعالى عليه وسلم كلا بما يعرفه ولا حاجة الى ان يقال انه وقع الخطاب به عند الحجر الاسود كما قيل واصل معنى الكوفة رمل مستدير او حجارة بيض فسمى بها ثم شرع المصنف رحمه الله فى بيان هذا الحديث روى من طرق كثيرة دالة على صحته وانه على ظاهره ولذا ذهب المصنف رحمه الله تعالى انه متواتر فقال (وروى حديث الحوض ايضا) كالروايات المتقدمة (انس) بن مالك الانصارى الصحابى خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه عنه مسلم من غير الطريق المتقدمة فلا يقال انه تقدمت روايته وايضا يقتضى مغايرة ما تقدم (وجابر بن سمرة) بفتح فضم ابن جنادة الصحابى السوائى وما فى بعض النسخ هنا فى اول الشفاء جابر وسمرة قال البرهان صوابه جابر بن سمرة وكذا هو على الصواب فى النسخ مكتوب عليه صح فان صحت الرواية الاخرى فالحديث رواه جابر بن عبد الله وسمرة الا ان رواية جابر بن عبد الله فى مسند احمد واما رواية سمرة فلم اقف عليها فالثابت رواية بن سمرة كما فى مسلم وغيره (وابن عمر وعقبة) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابى احد العبادلة وعقبة وهو ابن عامر الصحابى المشهور الجهنى (وحارثة بن وهب الخزاعى) الصحابى المنسوب لخزاعة قبيلة معروفة (والمستورد) بصيغة اسم الفاعل ابن شداد الفهرى نزيل مكة ثم مصر الصحابى (وابو برزة الاسلمى) نضلة بن عبيد الله الصحابى الامام الجليل و برزة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وزاى معجمة تليها هاء توفى سنة ستين او اربع وستين وحديثه فى الصحيح والترمذى واسلم قبيلة معروفة (وحذيفة بن اليمان) العبسى الاشهلى الصحابى صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه رواه مسلم وابن ماجة (وابو امامة) بن صدى بن عجلان الباهلى الصحابى وحديثه اخرجه الطبرانى وامامة بضم الهمزة (وزيد بن ارقم) الخزرجى الصحابى المشهور وحديثه اخرجه ابن حنبل والحاكم وصححه (وابن مسعود) الصحابى المشهور وحديثه اخرجه الشيخان (وعبد الله بن زيد) الصحابى الذى ارى الاذان فى منامه كما مر وحديثه اخرجه الشيخان ايضا (وسهل ابن سعد) الصحابى (الساعدى) منسوب لساعدة وبنو ساعدة قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التى كانت فيها بيعة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (وسويد بن جبلة) بفتحات وهو سويد بن جبلة الفزارى قيل لم تصح صحبته فحديثه مرسل وقيل انه صحابى ولم يرو عنه الا حديث واحد وقيل لعله سويد بن عقلة واهم سويد بن عامر وهذا الحديث عنه فى سنن البيهقى والاولى تأخيره للاختلاف فى صحبته (وابو سعيد الخدرى) الصحابى المشهور وقد تقدم (وعبد الله الصنابحى) بضم الصاد المهملة وفتح النون والف يليها باء موحدة

مكسورة وحاء مهملة وياء نسبة صحابى وقيل نسب لجده صنابح واسمه عبد الله وقيل ابو عبد الله وقيل ابو عمرو وقيل انه منسوب لصنابح اسم بطن من العرب وفى الشرح الجديد لم اقف على من نسب لهذا البطن من الصحابة سوى عسال الصنابحى وآخر اسمه صنابح بن الاعز فلعله نسب لجده وفى التابعين عبد الرحمن بن عبلة الصنابحى فلعله التبس على القاضى وقيل صوابه الصنابح (وابو هريرة) وحديثه فى الصحيحين (والبراء) بن عازب وحديثه فى الصحيحين ايضا (وجندب) عبد الله بن سنان البجلى الصحابى وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة وضمها وفى الصحابة من يسمى جندب غيره ولكنه متى اطلق فالمراد هذا (وعائشة) ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها (واسماء ابنة ابى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنهم والحديث فى الصحيحين وفى بعض النسخ (وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة) مصغر بردة ولبريدة ابنان سليمان وعبد الله قاضى مرو وعالمها وهما تابعيان فلا ينبغى ذكرهما هنا مع الصحابة وفى مسند احمد رواية حديث الحوض عن عبد الله بن بريدة وقال حدثنى به اخى قال البرهان لعل القاضى اراد بابن بريدة هذا او قال بريدة فزيد عليه ابن ولم ار لبريدة بن الحصيب حديثا فى الحوض فى الكتب الستة ومسند احمد وله ذكر فى مسند البزار (وابو بكرة) وهو منيع بن الحارث كناه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به لانه تدلى ببكرة من حصن الطائف لما منع من الخروج (وخولة بنت قيس) بن فهد بن قيس الانصارية النجارية الصحابية زوجة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وحديثها فى مسند احمد والطبرانى (وغيرهم) من الصحابة وترك المصنف ذكرهم اختصارا فلذا تركناهم اقتداء به وقد تقدم ان المصنف لكثرة طرق هذا الحديث قال انه متواتر وقيل تواتره معنوى لقول ابن الصلاح انه لا تكاد توجد شروطه

﴿ فصل فى تفضيله ﴾

صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء (ب) صفتى (المحبة والخلة) كما سيأتى تحقيقه اى بكونه حبيب الله وخليله (جاءت بذلك الآثار الصحيحة) معنى ورواية وقد تقدم الكلام على الاثر والحديث وان الاثر يطلق على الحديث مرفوعا كان او موقوفا اوغيرهما واما تخصيص الفقهاء الاثر بالموقوف فاصطلاح لهم وما رواه الخطيب فى جامعه مرفوعا ما جاء عن الله فهو فريضة وما جاء عنى فهو حديث وما جاء عن اصحابى فهو سنة وما جاء عن اتباعهم فهو اثر وما جاء عمن دونهم فهو بدعة فهو موضوع كما نص عليه ابن حجر والسخاوى والمحبة من العبد لله ومن الله لعبده كما قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وهذا مما لا خلاف فيه الا ان المحبة ميل القلب لما تلتذ به حواسه الباطنة والظاهرة ولا يتوقف هذا على الصورة الحسنة كمحبة الصلحاء والعلماء اوغيرهم من ارباب الكمال فهى فى حقه تعالى وليست بميل قلب ونحوه بل هى ارتضاؤه له لاتصافه بالكمال وانقياده لطاعة مولاه وحبه له من طريق الفضل

لامن طريق الانس والراحة وهو الذى كمله وحببه ولذا قيل انه عبر عن اللطف بالمحبة ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة صفات كماله ومعاملته لانعامه واحسانه فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والخلة صفة الخليل وهو مما يستوى فيه المذكر والمؤنث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله معناه من اصطفاه وخصه بكرامته لتخلقه باخلاق الله لان الخليل من يخاللك اى يوافقك فى خلالك ويسايرك فى طريقتك من الخل وهو الطريق فى المرسل او يسد خلتك ومعنى كون الله خليل عبده انه محب له قائم باموره بحيث لا يحوجه لغيره اصلا (واختص صلى الله تعالى عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله) اى جرى على الالسنة تخصيصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك دون خليل الله لاطلاقه على ابراهيم عليه الصلوة والسلام وان كان غيره من الانبياء محبوبا لله ايضا ثم استدل على اتصافه صلى الله عليه وسلم بالخلة بحديث رواه مسندا عن البخارى فقال (اخبرنا ابو القاسم ابن ابراهيم الخطيب وغيره) هو الامام المقرى خلف ابن ابراهيم المعروف بابن النخاس بالخاء المعجمة المشددة ولد سنة سبع وعشرين واربعمائة ومات بقرطبة سنة احدى وعشرين وخمسمائة يوم الثلاثا سادس عشر صفر والتكنية بابى القاسم جائزة بعده صلى الله عليه وسلم على الصحيح كما سيأتى (عن كريمة بنت احمد بن محمد) وفى نسخة بنت محمد وصححها رواية بعض الشراح وفى الاكمال انها كريمة بنت احمد ابن محمد ابن حاتم المروزية سمعت صحيح البخارى من الكشميهنى وروت الحديث وحدثت به كثيرا وجاورت بمكة الى ان ماتت قالت (حدثنا ابو هيثم) الكشميهنى وقد تقدم ضبطه وترجمته (وحدثنا حسين بن محمد) بن سكرة (الحافظ) السابق ذكره (سماعا عليه) فهو احد شيوخه وهذا سند وطريق آخر للمصنف فى رواية هذا الحديث وفى نسخة وحدثنا ونكتب عند الانتقال من سند لاخر اشارة الى التحول كما فصلوه فى مصطلح الحديث قال (حدثنا القاضى ابو الوليد) الباجى الذى بيناه سابقا قال (حدثنا عبد بن احمد) عبد بغير اضافة ابو ذر الهروى السابق ذكره قال (حدثنا ابو الهيثم) الكشميهنى السابق فى الطريق الاول قال (حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) الفربرى الامام الحافظ راوى البخارى المشهور كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخارى صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا محمد بن عبد الله) المعروف بالمسندى والبخارى يروى عن اربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد هنا هذا كما ذكره الكلاباذى وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن السمان توفى يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين قال (حدثنا ابو عامر) عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدى بفتح العين والقاف ودال مهملتين وهو محدث بصرى مشهور اخرج له الائمة الستة توفى سنة خمس ومائتين

قال (حدثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام ومثناة تحتية وحاء مهملة ابن سليمان العدوى المدنى اخرج له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة وقيل ليس باقوى توفى سنة ثمان وستين ومائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ابو النضر) بالضاد المعجمة الساكنة سالم ابن ابى امية المدنى الثقة راوى انس توفى سنة تسع وعشرين ومائة (عن بسر بن سعيد) بضم الباء الموحدة وسكون السين وراء مهملتين المدنى الزاهد الثقة توفى سنة مائة (عن ابى سعيد) سعد بن مالك ابن سنان الخدرى السابق ترجمته رضى الله تعالى عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر) هذا حديث صحيح رواه البخارى وغيره من طرق متعددة ومفعوله الثانى محذوف تقديره خليلا ولو حرف شرط لامتناع ما يليه وهو الشرط فان لم يكن للجزاء سبب غيره لزم من امتناعه امتناعه والا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع اتخاذ ابى بكر خليلا فالمعنى لا اصل فى محبة احد من الخلق الى مرتبة الخلة فانها مختصة بربى فلو فرض جعلها لاحد كان ابو بكر اليق بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه واهله فى طاعته وهذا صريح فى تفضيله على غيره وتقدمه عنده فان كان من الخلة بالضم وهى الصداقة والمحبة التى تتخلل باطن القلب فالمعنى ان محبته مقصورة على ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهى الحاجة فالمعنى انى ابرؤ من الاعتماد والافتقار الى غير ربى وفى هذا الحديث دلالة على ما عقد له الفصل وهو تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة والخلة وقد تقدم ما اتفق عليه المسلمون من المحبة وما هنا دال على الخلة وما قيل من انه كان ينبغى للمصنف ان يذكر حديثا صريحا فى اتخاذ الله خليلا وتقدم ما ذكره فى آخر الفصل غنى عن الرد (وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التجريد والاحاديث تفيد ان المخاللة من الجانبين اذا كانت بمعنى المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة فان الله غنى عن العالمين (ومن طريق عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه) التى رواها البخارى وغيره وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا كما اتخذ ابراهيم عليه الصلوة والسلام ولا يصح ان يراد بصاحبكم ابا بكر كما توهم وفى هذا دلالة على انه من جانب الله فتم دلالته على انه من الجانبين بخلاف ما قبله ولا ينافيه كون ابراهيم عليه الصلوة والسلام خليلا كما سيأتى تحقيقه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما) فى رواية الدارمى والترمذى (قال جلس ناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه) اى ينتظرون خروجه من بيته لمجلس اصحابه والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور (قال) ابن عباس رضى الله عنهما (فخرج) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى اذا دنى) قرب (منهم سمعهم يتذاكرون) اى يذكر بعضهم لبعض فيتحادثون او يذكر بالتشديد كل منهم من عنده ما نسيه (فسمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حديثهم) وفسر هذا الحديث بقوله

(فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) اى من دون خلقه اواختاره للخلة من بينهم اى تعجب عجبا من هذا والعجب يكون من امر فيه غرابة ولا اغرب عند من عرف عظمة الله وغناءه عن مخلوقاته وان كل شئ من فضله واحسانه استغرب اتخاذه خليلا من عبيده وهو ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم غير ان نبينا كان خليلا انه كان مختصا بذلك فلا وجه لما قيل انه يرد اختصاص ابراهيم بكونه خليلا على ما مر (وقال آخر ماذا) اى لبس اتخاذ الله ابراهيم عليه السلام خليلا (باعجب من كلام موسى) حتى ناجاه فى الدنيا (وكلمه الله تعالى تكليما) مع انه تعالى فى الدنيا لم يكلم انبياءه الا بواسطة ملك الوحى (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه) هذه الفاء فصيحة فى جواب شرط مقدر اى اذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم من ذلك فاذكروا عيسى عليه السلام وكونه كلمة الله وروحه وسمى عيسى كلمة الله لان الله خلقه من دون اب بمجرد قوله كن اولاهتداء الناس كما اهتدوا بكلامه وقال الصدر القونوى فى نفحاته لكل شئ فى عرصة العلم الالهى الازلى مرتبة الحرفية فاذا صبغه الحق بنوره الذاتى وذلك بحركة معقولة معنوية يفيضها شان من الشؤن الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى تلك الصورة كلمة فالموجودات كلماته تعالى كما قال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب * اى الارواح الطاهرة انتهى ومعنى روحه انه روح منه بدون واسطة تولد فالاضافة للتشريف (وقال آخر) ممن كان ثمه (وآدم اصطفاه الله) اى اختاره وجعله صفيه وهذا كله مما يتعجب منه من لاحظ عظمة الربوبية وانه غنى عن العالمين (فخرج النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم فسلم) لما ذكر قوله فخرج اولا ثم اعاده هنا وهو مكرر ولا يصح كونه تأكيدا فقيل كرره ليرتبط به غير ما ارتبط به اولا ويحتمل ان يكون الخروج الاول من مكان والثانى من آخر قلت هذا لتوهم ان العطف ينافى التأكيد وليس كذلك فان النحاة ذكروا كما فى التسهيل ان التأكيد قد يقترن بالعاطف فالاكثر انه كقوله * كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون * وقد يكون بالفاء وصرح المفسرون بانه قد يعاد اللفظ اذا طال الكلام تذكيرا به وههنا بحث نفيس وهو ان ما قاله النحاة ينافى ما اتفق عليه اهل المعانى من ان التأكيد لا يصح عطفه لما بينهما من شدة الاتصال ولان العطف يقتضى المغايرة والتأكيد عين المؤكد والعجب منهم انهم لم يتعرضوا لما قاله النحاة والمسئلة من مسائل الكتاب فان لم يقفوا عليه فهو عجيب وان وقفوا عليه واعتقدوا خلافه فهو اعجب كما قيل * فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة * وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (قد سمعت كلامكم وعجبكم) اى تعجبكم وقولكم عجبا كما مر فى اول الحديث وقد قيل ان سمعت مضمن معنى ادركت اوفيه مقدر عامل فى الثانى اى وعرفت عجبكم على حد قوله قلدته سيفا ورمحا

اى واعطيته ولا حاجة لما ذكر لما قدمناه لك وقوله (ان الله اتخذ ابراهيم خليلا) وقد صحح فى النسخ المقررة بفتح همزة ان فهو بدل وفى الشرح الجديد يجوز ان يكون جملة مستأنفة كان سائلا سأل ما كلامهم وما تعجبوا منه فاجابهم بقوله ان الله الخ وان يكون مقول قول محذوف وهو يقتضى ان ان مكسورة الهمزة (وهو كذلك) اى اتخذه خليلا (وموسى نجى الله) اى كليمه والمناجاة المكالمة واصل معناها ان يخلو بنجوة من الارض ليسار غيره ثم شاع فيما ذكر وقيل اصلها من النجاة فمعناه ان يكلمه بما فيه خلاصه (وهو كذلك) اى هو نجى الله وكليمه فذكره واقع (وعيسى روح الله وهو كذلك) اى هو روح الله كما قلتم وتقدم بيانه وان الاضافة للتشريف اوهو بمعنى رحمة الله (وآدم اصطفاه الله وهو كذلك) كما قلتم فان الله اصطفاه واختاره للنبوة والخصائص الروحانية وكونه ابا البشر (الا وانا حبيب الله) لا بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤكد به الكلام المستأنف فيحقق ما بعده نحو * الا ان اولياء الله لا خوف عليهم * وتدخل على الجملتين ودخولها هنا على العاطف لتحقيق اختصاصه بكونه حبيب الله واشارة الى ان هذه الصفة اعلى درجة مما قبله اى من عجب مما وصف به الانبياء قبلى فانا موصوف بما هو اعجب واعلى وهو كونى حبيب الله اى محبوب له فانه فعيل بمعنى مفعول وما قيل من انه من القول بالموجب البديعى كقوله تعالى * ليخرجن الاعز منها الاذل * ولله العزة ولرسوله * فانه سلم لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذى ارادوه فانهم ارادوا بالاعز غير المؤمنين وبالاذل المؤمنين فعكسه عليهم وهو على ضربين كما تقرر فى علم المعانى غير صحيح لانهم لم يقصدوا تفضيلهم على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقصد الرد عليهم حتى يقال انه من هذا القبيل باعتبار نفى لازمه واذا قال التلمسانى انه قريب من القول بالموجب لانه قرر اولا ما ذكروه من فضائلهم بقوله هو كذلك ثم نبه على انه افضل منهم كلهم وقوله (ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى) تقدم شرحه فى حديث آخر (ويدخلنيها) بضم المثناة التحتية والضمير الثانى للجنة ويجوز فيه الفصل والوصل خلافا لسيبويه للزوم الفصل عنده كقوله ان الله ملككم اياهم (ومعى فقراء المؤمنين) اكراما لهم وفيه اشارة الى ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر كما مر والجملة حالية (ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وفى حديث ابى هريرة) الذى رواه البيهقى وصححه (من قول الله تعالى) وفى نسخة فى قول الله والاصح روايته بلفظ من (لنبيه صلى الله عليه وسلم انى اتخذتك خليلا) كما تقدم (فهو مكتوب فى التورية انت حبيب الرحمن) قال الشمنى انه وقع هكذا فى النسخ المعتمد من الشفاء بهمزة مفتوحة وسين مهملة ساكنة

وباء موحدة وهي هكذا وفي نسخة لمصنف المبيضة المروية عنه و صحفها بعضهم فكتب انت و هي لفظة عبرانية بمعنى انت وقال الدلجي ان بعد السين تاء مثناة فوقية وفسره بانت وعبر الشمني بقوله بعد السين جرة اى مدة خطبة فلم يعينها لشكه فيها قيل حاصله انه ثبت لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وصف المحبة من غير مشاركة فيها والخلة التى شاركه فيها ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقد اثبتها صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه فى آخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة ايام فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه عز اسمه انه قد كان لى فيكم اخوة واصدقاء وانى ابرأ الى الله ان اتخذ احدا منكم خليلا ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابابكر خليلا ان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا او تيت البارحة مفاتيح خزائن الارض والسماء وهو تعريف منه صلى الله تعالى عليه وسلم باعلى مقامه واكمل حالاته و بين خلته وخلة ابراهيم عليه الصلوة والسلام فرق لان خلته حقيقية اصلية وخلة ابراهيم مستعارة من خلته الذاتية ولذا قال ابراهيم فى حديث الشفاعة انما كنت خليلا من وراء وراء فالخليل غيره وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مختص بالمحبة وبالخلة الحقيقيتين والافقد قال تعالى * يحبهم و يحبونه * ولكل صفة مراتب فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مختص باعلاهما وسيأتى تحقيقه قريبا (قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) هو عياض المصنف (اختلف) بالبناء للمجهول اى اختلف العلماء (فى تفسير الخلة) وبيان معناها (واصل اشتقاقها) بيان لمحل الخلاف ومنشائه وفى قواعد الطوفى الاشتقاق اقتطاع لفظ من لفظ يوافقه فى حروفه الاصول كضارب من الضرب والاشتقاق الاكبر رد تراكيب المادة الواحدة المختلفة الى معنى واحد مشترك بينهما وقد يكون ظاهرا فى بعضها خفيا فى البعض فيحتاج فى رده الى ذلك المعنى الى تلطف فى معرفة المناسبات انتهى وتفسير اقسام الاشتقاق وتحقيقه مذكور فى كتب ابن جنى كالخصائص وغيرها (فقيل الخليل المذكور هنا (المنقطع الى الله) اى الذى قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله (الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال) اى خلل ونقص يحتاج لجبر وتكميل لخلوصه فيه ويقينه الذى لا يختل اصلا وتحقيقه ما قاله الامام الراغب انه يقال خل الثوب بالخلال والرمية بالسهم ادخله فيه والخلة بالضم الطريق فى الرمل وبالفتح الاختلال العارض للنفس لشهوتها او لحاجتها اليه ولذا فسرت الخلة بالحاجة والخصلة والمودة لانها تتخلل النفس اى تتوسطها وتؤثر فيها تأثير السهم فى الرمية اولفرط الحاجة وابراهيم عليه الصلوة والسلام خليل لافتقاره الى الله وقيل

من الخلة واستعمالها كاستعمال المحبة وقال ابو القاسم البلخى هو من الخلة بالفتح لا من الخلة بالضم ومن قاسه بالحبيب فقد اخطأ لانه تعالى لا يجوز ان يحب عبده فان محبته الثناء منه لا يجوز ان يخالله وهذا منه تشبه فان الخلة من تخلل الود نفسه ومخالطته ولذا يقال تمازج روحاهما والمحبة بلوغ الود حبة القلب يقال حببته اذا اصبت حبة قلبه فاذا استعملت فى الله اريد مجرد الاحسان و كذا الخلة فيجوز فى احدهما كما يجوز فى الآخر فاما ان يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب وبالخلة جبر الخلل فحاشا الله عنه انتهى وفى كلام المصنف رحمه الله تعالى دلالة على ان الخلة تستلزم المحبة ومن تفسيره للخليل يعلم معنى الخلة التى هى مأخذه ولا يرد ان اول كلامه فى الخلة وما ذكره تفسير للخليل فسقط ما قيل من انه انما يستقيم على ان الخلة بمعنى الخليل يستوى فيه المؤنث والمذكر لانه مصدر فى الاصل وان الكلام فى معناه اللغوى الوضعى الثبوتى فتفسيره بالسلبى غير مناسب لانه بيان لحاصل معناه (وقيل الخليل) معناه (المختص) بمن خالله مطلقا فهو الصديق الذى صار من خاص احبابه واصدقائه وتفسيره بانه اختص بمحبة الله واختبار ما كلفه من فعل وترك اقتصار فيه قصور (واختار هذا القول غير واحد) من الائمة المحققين و رجحه الشراح (وقال بعضهم اصل الخلة) بالضم (الاستصفاء) اى كون محبته ومودته صافية اى خالصة من الكدورات و قيل هو من الصفوة بمعنى الاختيار وهو من لوازم الصداقة ثم فرع على الاقوال قوله (وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه و يعادى فيه) الموالاة المحبة وفى بمعنى اللام كقوله تعالى *والذين جاهدوا فينا * اى لاجلنا اى لا يحب الا من احبه الله من المؤمنين اهل الطاعة و لا يبغض الا اهل المعصية والضلال كقوله تعالى * لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله * ولذا قالوا

* اذا صافى صديقك من تعادى * فقد عاداك وانفصل الكلام *

(وخلة الله له) اى لابراهيم عليه الصلوة والسلام (نصره) على عدوه كنمرود وهذا جواب سؤال مقدر اى قد علم معنى كون ابراهيم خليل الله فما معنى كون الله خليلا له (وجعله اماما لمن بعده) لقوله تعالى * انى جاعلك للناس اماما * اى مقتدى متبعا لجميع من بعده لان الانبياء بعده كلهم من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه او لم ينتصر خالفه من بعده ولذا ذكره معه تأييدا او تأكيدا (وقيل الخلة اصله) اى اصل معناه الذى وضع له لغة (الفقير المحتاج) صفة كاشفة مفسرة له (المنقطع) اى المنفرد عن الناس لعدم اعوانه واخوانه (مأخوذ من الخلة) بفتح الخاء (وهى الحاجة) لاحتياج صاحبها لغيره لعجزه عما يقوم بامور (فسمى بها) اى لقب بما اشتق منها وهو الخليل (ابراهيم) فالضمير للحاجة او للفظة الخلة والاظهر انه بتقدير مضاف اى بمشتقها

ونحوه (لانه قصر) بفتح القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى التخصيص (حاجتـه على ربه) اى لم يكن له حاجة الا الى ربه فلا يؤمل نفعا من غيره ولا يقبله (وانقطع اليه بهمه) الهم هنا ما يهتم به المرء ويعتنى به ويعزم عليه يعنى كما انه قصر حاجته على الله قصرا له وعزمه على الله وعلى ما يرضيه (ولم يجعله قبل غيره) قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى المقابل الذى يدرك ويرى فما اراد انه عنده وفى جانبه وانه لم يجعل امره ورجاءه فى غير الله اى لم يطلب شيئا من غيره ولم يؤمله (اذ جاءه) اى جاء ابراهيم عليه الصلوة والسلام (جبريل) عليه الصلوة والسلام (وهو فى المنجنيق ليرمى به) اى وقد وضع فيه ليرمى به (فى النار) التى اوقدت لاحراقه وكان لهبها اشد حتى لم يمكن احدا ان يدنو منها حتى يرمى شيئا فيها فصنعوا المنجنيق لالقائه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها آلة لرمى العدو بحجارة كبيرة بان يشد سوارى مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ثم تضرب بسارية توصله لمكان بعيد جدا وكانت هذه الآلة قديمة قبل وضع النصارى البارود والمدافع وهو فارسى معرب وفى وزنه ومعناه قبل التعريب كلام طويل لهم واصله من جى نيك اى ما اجود نى وهو مؤنثة كما قال

* لقد تركتنى بمنجنيق ابن جندل * احيد عن العصفور حين احيد *

وميمه زائدة ووزنه منفعيل وقال سيبويه فعليل والاستدلال عليه مشهور (فقال له جبريل عليه الصلوة والسلام (الك حاجة) عندى من سؤال ما ينجيك ونحوه (قال اما اليك فلا) حاجة لقصر حاجته على ربه كما مر وهذا رواه ابو نعيم (وقال) ابو بكر (ابن فورك) بضم الفاء وفتح الراء المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقال البرهان انه صحح فى النسخ بالتنوين والصرف لظن انه علم مرتجل وقيل انه عربى معناه انفار ولا يعرف فى اللغة وانما المذكور فيها انه بمعنى نوع من الظباء ومن قال معناه الفار لعله اراد انه من عجمة اندلس وتحريف عامتهم قلت رأيت فى كتب التواريخ ان ملك الهند ارسل للاسكندر رسولا اسمه فورك وسألت عنه فقيل معناه غلام حقير وهو يقتضى انه اعجمى غير مصروف وعندى انه يجوز فيه الوجهان وقدمر فيه كلام لنا وما قلناه هنا زبدته (الخلة صفاء المودة) وهى المحبة مع التودد وهى المؤانسة والمساعدة وصفوها خلوصها بان يوافق الظاهر الباطن كما قال المعرى

* والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر *

(التى توجب الاختصاص) اى يلزمها اختصاص الواد بمن يوده بان يلازم صحبته واسعافه (بتخلل الاسرار) جمع سر وهو ما يخفيه المرء عن غيره وتخللها دخولها فى باطنه لاطلاعه عليها وعلمه بها فلا يخفى عليه شئ من احواله والباء سببية وقيل

الاسرار نجاويف حبات القلوب وهو مجاز اومعناه رسوخ المودة فى القلب واعلم انه تقدم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة ان المحبة ميل القلب لما هو حسن عنده سواء كان حسن صورة او كمال كمحبة العلماء والصلحاء اوانتفاع وانعام لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والمودة مواصلة من يحبه والتودد اليه فاذا زادت المودة وخلصت كانت خلة فان قلت فحينئذ الخلة اخص من المحبة فيكون افضل فلم قيل ان المحبة افضل قلت المحبة اعم فقد تكون من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها الا ان المحبة قد تصل الى مرتبة بحيث يكون الحبيب لا يغيب عن ذكره وذكره طرفة عين حتى يصل الى الهيام وذهاب العقل وتبذل لها الارواح فضلا عما سواها وهذه تسمى عشقا والعشق لا يجوز فى الشرع اضافته لله فلا يقال عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره وان وقع من بعض الحكماء والصوفية وان كان مع هذه المرتبة خلة وتقريب فليس كهذا المحب محب ولا كحبيبه حبيب وهذه المحبة هى التى اختص بها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الاسراء لما رأى الله وشاهد من جماله وجلاله ووصل من قربه لمرتبة لم يصل لها رسول ولا ملك مقرب وتمت له خلة مقربة لم ينلها غيره فلم يحتج لغيره ولا سأل سواه وعرض عليه مفاتيح خزائن السموات والارض واعانه الله ونصره نصرة عزيزة وغفر له ما تقدم وما تأخر مع انه لم يصدر عنه زلة واطلعه على اسراره وحظائر قدسه واى خلة كهذه فلذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوصا بانه خليل الله ايضا وقال الخليل عليه الصلوة والسلام انا خليل من وراء وراء كما مر وكرر وراء اشارة الى زيادة قرب نبينا فى الارض والسماء فلا منافاة بين اختصاصه ووصف ابراهيم وان اشتهر بذلك لانه اجل صفاته واشتهر محمد بالحبيب لانه بهذا المعنى اجل من الخليل وهذا من جانب العبد واما من الله فحبه له بمعنى تقريبه وانعامه وتعليمه ما لم يعلمه غيره وتفضيله على ما سواه وخلته له اسعافه له بجليل هذه النعم وتوفيقه لجعله نصب بصره وبصيرته حتى كانه معه فى كل حين فاعرفه (وقال بعضهم اصل الخلة المحبة) يحتمل ان اصل معناها الوضعى المحبة لانها من تخلله فى قلبه وروحه ويحتمل ان المراد ان المحبة اساس الخلة ومنشؤها لانها تكون بعد تحققها (ومعناها) اى معنى الخلة الوضعى بناء على الثانى وهو الراجح وقيل ضميرها راجع للمحبة المرادفة للخلة (الاسعاف) اى الاعانة والنصرة والامداد لكل ما اراد (والالطاف) بفتح الهمزة اى الانعام والاحسان قال الزمخشرى فى شرح مقاماته الالطاف الهدايا واحدها لطف بفتحتين قال كن له عندنا التكريم واللطف انتهى ويحتمل انه جمع لطف كقفل وهو التوفيق لفعل كل خير وتسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف

(والترفيع) باعلاء رتبته بالكمالات الظاهرة والباطنة (والتشفيع) باذنه له فى الشفاعة وقبولها وله صلى الله عليه وسلم شفاعات كما مر فيشفع فى فصل القضاء ولرفع درجات قوم فى الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذى وسيأتى ولبعض المؤمنين فى التجاوز عن سيئاتهم ولبعض من كان من اهل النار بعدم دخولها واخراجه منها ولتخفيف عذاب بعض الكفرة كابى طالب لجعله فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه كما رواه البخارى وهو لاينافى قوله تعالى لايخفف عنهم العذاب كما قيل وقد بيناه فى حواشى القاضى ولقبول شفاعة بعض الانبياء والصلحاء وقيل التشفيع بمعنى التأييد والتقوية من الشفع (وقد بين ذلك تعالى) اى كون المحبة والخلة تقتضى الاسعاف وما بعده بطريق المفهوم واللزوم (فى كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه فلم يعذبكم بذنوبكم الآية) يعذبكم مضارع بمعنى الماضى اى عذبكم فى الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا برهان اى لو كنتم ابناؤه واحباؤه ما عذبكم لكنه عذبكم فلستم كذلك اوهو على اصله اى لم يعذبكم فى الآخرة فعلم منه ان من كان محبوبا لله لا يعذبه ولايسوءه لاقتضاء المحبة لذلك والعجب ان هذا مع ظهوره قيل عليه انه لادليل فى الآية على مدعاه وليس فيها على تقدير التسليم الا عدم مؤاخذة المحبوب بذنبه على انه ممنوع فى احباء الله لان من احبه الله عصمه من الذنوب وبمحنه بالمناقشة والابتلاء ولادليل فيها على ان اصل الخلة المحبة وهو مما يقضى منه العجب وقولهم ابناء الله اى منا ابناؤه وهو المسيح وعزير اونحن اتباع بنيه وقيل انهم ادعوا ذلك لانهم رؤا فى التورية ياابناء احبائى فبدلوها يا ابناء ابكارى (فاوجب للمحبوب) اى بطريق اشارة النص فيهم ان كل محبوب وخليل يحب (ان لايؤاخذ بذنوبه) اى لايعاقب بها ويجازى عليها (قال) ذلك البعض (هذا) اسم الاشارة يتخلص به من كلام لآخر فيكون خبر مبتدأ مقدر اى الامر هذا او مبتدأ خبره مقدر وقد يذكر كما فى قوله هذا ذكر او مفعول فعل مقدر اى خذ هذا وقد يقال ها اسم فعل بمعنى خذوذا مفعوله لكن الرسم يخالفه (والخلة اقوى من البنوة) بموحدة ونون مصدر بمعنى كونه ابناء متولدا منه ثم بين ذلك بقوله (لان البنوة قد يكون فيها العداوة) اى معها اوفيمن اتصف بها وهو من ظرفية الصفة للموصوف (كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) اى منهم من يظهر العداوة والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم وخافوا شرهم (ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة) لان المحبة معناها اود داخلة فيه اولازمة له وهى ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف البنوة فانها وان كانت الفطرة تقتضى المحبة لكن قد يتخلف لعارض ويكفى هذا فلا وجه للاعتراض بان الاصل فيها المحبة والعارض لايعتدبه كما توهم ومن العجب انه ايده بقولهم زيد ابوك عطوفا وكم له مثلها تجاوز الله عنه (فاذن) تفريع على

ماقبله (تسميته ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام بالخلة) اى بما اخذ من الخلة وهو الخليل او المراد بالتسمية الوصف تجوزا وقدم ابراهيم عليه الصلوة والسلام لتقدمه رتبة وشهرته وهو باضافة تسميته وفى نسخة اضافه بالضمير (اما بانقطاعهما الى الله تعالى) هذا ناظر لان الخلة الحاجة اى لاعتمادهما عليه واما لمنع الخلو فقط (ووقف حوائجهما عليه) اى جعلها موقوفة على انعامه لاكتفائهم بفضله (ولانقطاع عمن دونه) اى الانقطاع اليه تعالى وترك غيره (والاضراب عن الوسائط والاسباب) الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال اضرب عن كذا اذا امسك عنه وتركه (اولزيادة الاختصاص منه تعالى لهما) معطوف على ما بعد اما بان الله اختصهما زيادة اختصاص به فاغناهما عما سواه كما يغنى الخليل خليله وهذا ناظر الى انه من الخلة بالضم (اوخفى الطافه عندهما) خفى بالخاء المعجمة لان الطافه يكون من حيث لايدرى اوبالحاء المهملة اوزيادة مبالغة فى اكرامه لهما يقال احفى به وحفى اذا بالغ فى اكرامه وهو مجرور معطوف على زيادة او ما اضيف اليه والطاف بالفتح تقدم تفسيره وقيل انه بكسر الهمزة مصدر وفيه مامر (وماخالل) اى تخلل ودخل (بواطنهما من اسرار الهيته) اشارة الى انه من التخالل كما تقدم وفى نسخة من اسرار الهيبة بمثناة تحتية فوحدة (ومكنون غيوبه) جمع غيب وهو ما لايدرك بالحواس الظاهرة او ماسيكون قبل وقوعه وهو من جملة المعجزات ولايطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول والمكنون بمعنى المستور (ومعرفته) اى معرفة افاضها عليهما من علمه اللدنى اومعرفة ذاته وصفاته مما لايطلع عليه كل احد (اولاستصفائه لهما) اى لاختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه والمصدر مضاف لفاعله وقوله (واستصفاء قلوبهما) مضاف لمفعوله واسم العضو المضاف لمثنى يجوز افراده وجمعه وتثنيته اى جعل مراتبهما صافية خالصة له صالحة لاسراره ومعرفته (عمن سواه) بحيث لايكون فيها غير معرفته وحبه (حتى لم يخاللهما) اى يدخل فى خلالهما (حب لغيره) هو نتيجة الاستصفاء وما له فارتضاهما وصفى قلبهما من كدر حب السوى الناشى عن الطبع البشرى (ولهذا) اى لكون معنى الخلة الانقطاع عما سواه والاعراض عن العوارض البشرية (قال بعضهم الخليل من لايتسع قلبه لسواه) لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله بحيث لايبقى فى قلبه سواه وسوى مراقبته كما قيل * تملك بعض حبك كل قلبى * فان ترد الزيادة هات قلبا * (وهو) اى ماذكر من معنى الخليل ونعته (عندهم معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث البخارى اى من امن الناس على فى صحبته وماله ابا بكر (ولو كنت متخذا خليلا) من الناس غير ربى ارجع اليه فى امورى واعتمد عليه فيما يهمنى (لاتخذت ابا بكر خليلا) لانه اعز اصحابى واقدم اصدقائى فلو تعلق قلبى باحد لم يكن يتعلق

بغيره لما اعرفه من ايثاره لى على نفسه واهله (ولكن اخوة الاسلام) وقديم الصحبة الذى هو بمنزلة القرابة القريبة النسبية كما قيل * صحبة يوم نسب قريب * وذمة يعرفها اللبيب * وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية فنفى الخلة واثبت الاخوة المؤذنة بالمساواة تفضلا منه فالخلة اعظم من البنوة والاخوة واخوة بهمزة مضمومة وروى فى الاكمال انه خوة بدون الف وهى لغة قليلة (واختلف العلماء وارباب القلوب) اى اصحاب القلوب الكاملة الصافية فجعل غيرهم كانه لاقلب له والمراد بهم الاولياء وذوالنفوس القدسية وقيل المراد بهم الباحثين عن احوال القلوب وقيل المراد بهم اكابر الصوفية وسموا بذلك لنظرهم فى العلوم الباطنة دون ظواهر الالفاظ (ايهما) اى المحبة والخلة (ارفع) اى ايهما افضل فى نفس الامر وعند الله (درجة الخلة او درجة المحبة) وكنى برفع الدرجة عن رفع مافيها وافضليته والتقدير اهو درجة الخ (فجعلهما بعضهم سواء) اى الدرجتين او المحبة والخلة متساويتين فى الفضيلة لاتفاوت بينهما (فلايكون الحبيب الاخليلا ولا الخليل الاحبيبا) لايخفى ان هذا انما يقتضى تلازمهما لامساواتهما رتبة ودرجة ثم اشار الى جواب سؤال مقدر وهو انهما اذا استويا وتلازما فلم خص كل منهما بموصوف فقال (لكنه) اى الله او الامر والشان (خص) مبنى للفاعل او المفعول ابراهيم بالخلة ومحمدا) بالنصب او الرفع (بالمحبة) بان سمى الاول خليلا والثانى حبيبا وهو امر اتفاقى لمجرد التمييز بينهما ولايخفى ضعفه (وبعضهم قال درجة الخلة ارفع) منزلة وافضل واعلا درجة ويشهد له ان المحبة مأخوذة من معنى الخلة واخص منها لكنه قيل انه يرد عليه ماتقدم من قوله فى مناجاته حيث قال له الله سل تعطه فقال يارب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال تعالى له الم اعطك خيرا من هذا واتخذتك حبيبا ومافى معناه مما يقتضى ان درجة المحبة ارفع الا ان قوله لوكنت متخذا الحديث يخالفه فالمقام لايخلو من الاشكال والجواب ان القائل انما فضله بمجموع ماذكر فى الحديث (واحتج) هذا القائل لمدعاه (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه البخارى (لوكنت متخذا خليلا غير ربى فلم يتخذه) اى غير الله خليلا (وقد اطلق المحبة) اى وصفه بمحبته غير ربه والجملة حالية (فاطمة) الزهراء ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق باطلق (وبنيهما) الحسن والحسين (واسامة) ابن زيد بن حارثة فانه ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغيرهم) كابى بكر وعمر وعائشة رضى الله تعالى عنهم وقد ورد هذا كله مصرحا به فى احاديث صحيحة وقد قدمنا لك ان محبة الله تعالى لعبده بمعنى غير محبة العبد لله ولغيره وان محبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لله بمعنى كونه ليس فى قلبه وذكره غيره وانها مأخوذة من حبة القلب كما قلت

* قد تملكت حبة القلب منى * واذا سمى الحبيب حبيبا *

فلا ينافى كونه يحب فلانا لانها مطلق الميل وبهذا سقط الاحتجاج بما ذكر وسيأتى مايؤيده (واكثرهم) اى اكثر العلماء وارباب القلوب (جعل المحبة ارفع) درجة وافضل (من الخلة لان درجة الحبيب نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من الحبيب او عطف بيان (ارفع من درجة الخليل ابراهيم) فيقتضى ان صفته وهى المحبة افضل من صفته وهى الخلة وفيه انه لايقتضى ذلك لان تفضيل الذات على الذات قد يكون لمعنى آخر غير تلك الصفة لاسيما اذ قلنا ان الخلة هى المحبة او غايتها (واصل المحبة) الوضعى الحقيقى (الميل الى مايوافق المحب) بضم وفتح الحاء بمعنى المحبوب يقال حبه واحبه بمعنى الا انهم اخذوا اسم الفاعل فى اكثر استعمالهم من المزيد فقالوا محب واسم المفعول من الثلاثى فقالوا محبوب وحبيب وقالوا فى غير الاكثر حاب ومحب بالفتح كقول عنترة فى معلقته * منى بمنزلة المحب المكرم * فراعوا كلا منهما والمراد بما يوافقه ما يرتضيه ويميل اليه فيحب كل مايحبه ويبتغيه ويترك لاجله مراداته والمراد بالميل ميل قلبه ولذا قال (ولكن هذا المعنى يكون (فى حق من يصح الميل) القلبى (منه) اى المحب لا المحبوب والعكس جائز وجزم به بعضهم (والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء قبل القاف اى الموافق فسمى الفاعل بالمصدر او هو على اصله بمعنى الموافقة بين الشيئين وهذا الاخير خير (وهو درجة المخلوق) وهو راجع الى المحبة بمعنى الميل القلبى ممن يصح منه او انث باعتبار الخبر فيرجع للميل والدرجة مجازا عن الصفة (واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض) بغين معجمة وراء مهملة وضاد معجمة على ماتقدم فالميل بمعنى ترجيح شئ وتقديمه على غيره لفائدة غرض وعلة للفعل لايجوز على الله ولذا ذهب اكثر الاصوليين الى ان افعاله تعالى لاتعلل بالاغراض لانه يقتضى استكماله تعالى بغيره وهو منزه عنه اما بمعنى الثمرات والفوائد المترتبة على الفعل فلايضر وخالفهم بعض المحققين وقال النصوص تدل على خلافه والاستكمال عنده غير مسلم وقد بسطنا الكلام عليه فى غير هذا الكتاب وفى نسخة الاعراض بعين مهملة وليس جمع عرض بمعنى مرض وبزنته كما قيل بل بمعنى الكيفيات النفسانية الحادثة والميل منها وفى نسخة الاعتراض ولامناسبة لها هنا الابتكلف واذا كانت المحبة بهذا المعنى لاتليق برب العزة (فمحبته) اى الله (لعبده تمكينه من سعادته) اى اقداره على مايفيده سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته (وعصمته) من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على تمكين وسعادة والعصمة هنا معناها الحفظ (وتوفيقه) فى اموره بجعلها على وفق رضاه ويجوز رفعه وجره ايضا (وتهيئة اسباب القرب) تهيئة بزنة تكرمة بياء مثناة تحتية بعد الهاء وهمزة وهاء تأنيث مصدر هيأته اذا جعلته حاضرا سهل التناول اى يسر له الله كل سبب

يقربه الى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة ونحوها (وافاضة رحمته عليه) اى ايصال الخيرات الدنيوية والاخروية اتصالا كثيرا متواليا فشبه الرحمة بالماء واثبت الاضافة بمعنى الصب بكثرة على طريقة المكنية والتخييلية (وقصواها) بضم القاف وسكون الصاد المهملة فعلى من اقصاه اذا ابعده والمراد غايتها والضمير للمحبة المفسرة بمكينه ومابعده وذكر الغاية لان صفاته تعالى التى لا تليق به تؤخذ باعتبار غايتها وغاية المحبة (كشف الحجب) بضمتين جمع حجاب اى ازالة الموانع (عن قلبه) كالشواغل الدنيوية (حتى يراه بقلبه) اى يعلمه علما يقينيا كالمشاهدة المحسوسة (و ينظر اليه ببصيرته) وهى قوة للقلب كالبصر يدرك بها مايتوجه اليه (فيكون كما قال) اى الله تعالى او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الناقل له (فى الحديث) الذى رواه البخارى (فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به) ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وهو حديث قدسى طويل ومعناه اذا اصفى قلبه وشغل نفسه بانه احبه الله ومحبة الله تقدم انها عنايته ولطفه به وافاضة نعمه على ظاهره و باطنه فتكون حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها كلها متوجهة لله ولما فيه رضاه من غير تصنع ومشقة فيقويه على ذلك حتى يكون كان افعالها صادرة عن الله والى هذا اشار المصنف بقوله (ولا ينبغى ان يفهم) بالبناء للمجهول اى لايفهم احد (من هذا) الحديث والكلام (سوى التجرد الى الله) اى تجريد افعاله واحساسه عما يشغله عن الله (والانقطاع الى الله) بترك غيره واخراجه عن فكره ونظره (والاعراض عن غير الله) حتى يصير مراقبا له فى جميع احواله (وصفاء القلب لله) بحيث لايكون فى فكره غيره فيصفو من كدر الاوهام ودنس الخلق (واخلاص الحركات لله) بان لايحرك عضوا من اعضائه الالعبادته اولمايعين عليها (كما قالت عائشة رضى الله عنها) كما تقدم (كان خلقه القرآن) اى اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كلها على وفق ما امر به فى القرآن فجعلت القرآن غير خلقه مبالغة والى هذا يشير قولها (برضاه يرضى) اى يرضى ويحب ماذكر فى القرآن انه فعل مرضى لله من واجب ومندوب ومباح يقصد به مايصيره قربة (وبسخطه) بفتحتين وضم وسكون (يسخط) اى يكره ماذكر فيه ان الله يكرهه من كل حرام ومكروه وخلاف الاولى وقدم الجار والمجرور للحصر فلا يرضى الا مايرضاه ولايكره الا ما اباه والحاصل علم مماذكر ان اخلاقه صلى الله عليه وسلم الطبيعية اضمحلت وذهبت لماشق قلبه الشريف فلم يبق له ارادة لغير ما يريده الله ولا رضا لغير ما يرضاه ولا يخفى ارتباط هذا بما قبله من قوله كنت سمعه وبصره فاعرفه (ومن هذا) اشارة الى ما سبق فى اول كلامه من معنى الخلة قبل ذكر الخلاف فيها ومأخذ اشتقاقها عبر بعضهم عن الخلة بقوله

* قد تخللت مسلك الروح منى * وبذا سمى الخليل خليلا *
* فاذا مانطقت كنت حديثى * واذاماسكت كنت الغليلا *

وفى رواية كنت الدخيلا يعنى ان الشاعر عبر عن معنى الخلة بناء على انها من التخلل كانها تخللت باطنه وجرت مجرى الروح المجسمة السارية فى البدن سريعا مسرى ماء الورد فى الورد بناء على ان احد الاقوال فيها الاعلى انها مجردة خارجة عنه ومتصلة او بناء على انها لطفة نورانية فى احد طاقتى القلب لها الحياة والاحساس ومسلك منصوب على الظرفية بتخللت المتضمن معنى دخلت اسند التخلل اليه مبالغة والمراد تخلل محبته ومودته فى مسالك روحه اوفى قلبه الذى هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كما مر ثم فرع على انه لبس فى روحه وقلبه غيره انه اذا تحدث لم يذكر غير محبوبه وخايله واذا سكت لم يكن فى فكره وقلبه غيره فالمراد بالغليل بالغين المعجمة ما كان داخل القلب من قولهم تغلغل الماء وتغلل بين النبات اذا جرى تحته مستترا وكذا المراد بالدخيل ماهو داخل القلب والبدن لا الاجنبى كما فى قول السكاكى لبس الدخيل كالناشى هذا ماقصده الشاعر واشار اليه المصنف وان كان ظاهر الشعر على تفضيل الخلة على المحبة فالمراد بالخليل فيه كل متصف بالخلة لا ابراهيم كما قيل فانه لايصح هنا وليس المراد بالغليل حرارة العطش اى كنت لعدم ذكرى لك مضمرا جوانح قلبى عطشا لعدم ذكرك فان ازاحة الغم واراحة النفس بذكر الاحبة وما زائدة فى الشعر والدخيل بدال مهملة وخاء معجمة ومن العجيب قوله فى الشرح الجديد ان المعنى اذا سكت كتمت حبك فى قلبى كما يكتم الحقد والضغائن فالمراد بالغليل الحقد والضغائن ولايستقيم الا على الاستعارة فانه تعسف لاينبغى ذكره (فاذن) تفريع لجواب سؤال متفرع على ماسبق (مزية الخلة) اى فضيلة الخلة وفى شرح العلامة انه لم يبين له فعل وتقدم انه يرده قوله فى الاساس تميزت عليه اذا زدت فى الفضل عليه (وخصوصية المحبة) بفتح الخاء وضمها بمعنى اختصاصها وعبر فى الاول بالمزية اشارة الى ان الخلة وان يشارك فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والخليل عليه الصلوة والسلام فهى مختصة بنبينا باعتبار معنى زائد فيها لاشتمالها على المحبة المختصة معنى ولفظا وان لم يطلق على الخليل حبيب الله كما مر وان كانت محبته شاملة لهما بل لغيرهما كما قال تعالى * فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه * الا ان هذه غير المحبة المختصة كما مر تحقيقه وكما ان المحبة من الجانبين فكذلك الخلة فانه يقال حبيب الله والله حبيبه كما يقال خليله خلافا لمن توهم ان الخليل لا يطلق على الله للحديث المتقدم ولوكنت متخذا خليلا غير ربى وبهذا تبين نكتة تعبيره بالمزية والخصوصية (حاصلة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة خالصة اى مختصة وكان الظاهر ان يقول

حاصلتان لكنه افرد لجعلهما كالشئ الواحد (بما دلت عليه الآثار الصحيحة) الباء للتعدية متعلقة بحاصلتان ويجوز ان يكون سببية والمراد بالآثار الاحاديث التي تقدمت كقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربي الى آخره وقوله الا وانا حبيب الله وقوله (المنتشرة) اى الشائعة المشهورة (المتلقاة بالقبول من الامة) ذكر شهرتها والقبول لها مؤيدا لاختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادته على غيره من الرسل ثم استشهد لذلك بنص القرآن فقال (وكفى بقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية) الباء زائدة فى فاعل كفى او للتعدية وكفى بمعنى اكتف كما هو مشهور ووجه الدلالة فى هذه الاية انه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم انه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة ومقرب تقربا لايدانيه احد فيه فعلم منه خلته وحبه ولذا قال المصنف وكفى الى آخره ومن لم يفهم مراده قال هذا لايدل على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فيما جاء به من الشرائع وتصديقه وذلك محبوب لله وانما يدل لو علق محبته على محبتهم للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان كنتم تحبون الله فاحبوا الرسول (حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد بقوله لنا اتبعوني يحببكم الله (ان نتخذه حنانا) بفتحتين مخفف النون معناه الرحمة والاشفاق مأخوذ من الحنين وهو يكون مع صوت والمراد ان نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرحمة اى نتبرك ونتضرع به وقد تقدم الكلام فيه (كما اتخذت النصارى عيسى) ابن مريم عليه الصلوة والسلام حنانا ومعبودا يتقربون بعبادته الى الله تعالى (فانزل الله تعالى غيظا لهم) مفعول له اى انزل الله ليغيظهم ويعلمهم بغضبه عليهم فان الغيظ الغضب على الفاجر (ورغما على مقالتهم) بتثليث الراء المهملة وسكون الغين المعجمة والميم وهو الذل والخزى والاساءة بما يكره واصله كل مود يصب الانف ولذا يقال رغم انفه وعلى رغم انفه وضمنه معنى التبكيت والتقريع فعداه بعلى والمآل انه اذله بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه وقوله (هذه الاية) مفعول انزل (قل اطيعوا الله والرسول) ثم بعد ما تبين سبب النزول من انكارهم جعل اتباعه سبب محبة الله لهم وتقربهم الى الله تعالى ذكر الاية وانها ابلغ من الاولى واشد لان الاولى لاتقتضى لزوم اتباعه فانه يتقرب اليه بالنوافل ويحب فاعلها والامر بطاعته يقتضى الوجوب واقترانها بطاعته يدل على تأكيده مع تعظيمه وتشريفه كما دل عليه قوله (فزاده شرفا بامرهم بطاعته) وايجابها عليهم (وقرنها بطاعته) اي الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة فى تشريفه والاتباع وان كان عين الطاعة ولازمها فليس هو امر وايجاب ومن غفل عنه قال هما سواء الا ان هذا فيه التصريح بالطاعة (ثم توعدهم على التولى عنه) بالاعراض عن طاعته وهو عدمها (بقوله فان تولوا فان الله لايحب الكافرين) كان الظاهر

ان يقال فان الله لايحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعلقه بالمشتق الذى هو علة للحكم فكانه قال لايحبهم لانهم كفروا بالله سواء كان تعريفه للاستغراق اوللعهد فهذه الاية اصرح وادل على وجوب طاعته وعلو مرتبته صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء كعيسى عليه والسلام (ونقل الامام ابو بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة يطول) هذه الجملة صفة قوله كلاما فاشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استأنف فقال (جملة اشاراته ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه) اى من كلام ابن فورك (طرفا) بفتحتين اى بعضا قليلا (يهدى) اى يدل (على ما بعده) اى باقيه فالبعدية غير مرادة لانه مجاز (فمن ذلك قولهم) اى قول المتكلمين الذى نقله ابن فورك عنهم (الخليل يصل) الى من خالله (بالواسطة) اى بتوسط آخر بينه وبين خليله كما بينه قوله يصل به الآتى ثم بين ان هذا المعنى مأخوذ (من قوله) عز وجل (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فوصل لمعرفة الله بواسطة ما رأه من ايات ملكوته التى اوصلته لمعرفته (والحبيب يصل لحبيبه به) اى هو دله على نفسه بنفسه من غير واسطة لغيره وهذا مأخوذ (من قوله فكان قاب قوسين او ادنى) فاراه عين اليقين كما تقدم وهذا وان كان المصنف رحمه الله تعالى ناقلا له والعهدة فيما نقله على قائله الا ان هذا غير ظاهر لانه ان اراد بالوصول الوصول الى الله برؤيته وسماع كلامه من غير واسطة فالاية لامناسبة لها بما ذكر وان اراد الوصول الى معرفة الله ومشاهدته فكذلك ثم انه لايتم الفرق لانه ان اراد بين مفهوم المحبة والخلة فما ذكر لايدل عليه بل ليس بصحيح وان اراد بين ذتى من قامابه فلايفيد شيئا مما نحن فيه ثم انه مبنى على القول بان ابراهيم عليه الصلوة والسلام لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبياء مطلقا وقبل البلوغ مع ان المحققين على انه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب وبالجملة فهذا كلام غير منقح (وقيل الخليل الذى تكون مغفرته) اى مغفرة الله له ماقد يصدر عنه محتاجا لعفوه عنه (فى حد الطمع) اى واقعة فى حال يطمع صاحبها فى التجاوز عنها لان الخليل لايؤاخذ خليله بزلاته واصل معنى الحد الحاجز بين الشيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير للحال المميزة له والمقتضية لتحققه (من قوله والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى يوم الدين) اى قول ابراهيم عليه الصلوة والسلام فى قصته مع قومه هضما لنفسه وتعليما لامته والا فهو معصوم (والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين) اى متيقنة وهذا مأخوذ (من قوله) اى قول الله لمحمد حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى كل ما صدر عنك وما لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك قد يقتضى نقصا وفى الاية اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصدر

منه اذ سوى المتقدم بالمتأخر فى عدم الوقوع ولذا سر صلى الله تعالى عليه وسلم بها لما نزلت مرجعه من الحديبية وقال نزلت على آية احب الى مما على وجه الارض والكلام على الآية مبسوطة فى التفسير وقد تقدم طرف منه ايضا ثم ذكر فرقا آخر قريبا من هذا فقال (والخليل قال ولا تخزنى يوم يبعثون) اى لا تفضحنى ولا تعذبنى فى يوم القيامة وقد قيل انه ورد فى الحديث ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اذا رأى اباه فى المحشر يقول يارب وعدتنى ان لا تخزنى فيمسخ الله آزر ذيخا بذال معجمة ومثناة تحتية وخاء معجمة وهو ضبع مبين فيقال له انظر لما تحت قدميك فيراه فينكره ويلقى فى النار فحول الله صورته حتى لا يعرفه الناس حين يلقى فى النار فيفتضح بين امته قيل ومنه يعلم ان ابوى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليسا فى النار وفيه ما سيأتى (والحبيب) اى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يوم لا يخزى الله النبى فابتدئ بالبشارة) بنفى الخزى عنه برؤية ما يكره (قبل السؤال) لذلك كما سأله غيره منهم والخزى ليس هو العذاب كما فى قوله تعالى * ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته * وانما هو الفضاحة بكل مولم له اولامته كالعتاب فلا يقال ان الله امنه من غضبه وعذابه فما فائدة البشارة بعد هذا ثم ذكر فرقا (والخليل قال فى المحنة) هى الامتحان بمعنى الابتلاء والمراد بذلك قصته مع نمرود حين القاه فى النار فكانت عليه بردا وسلاما وقال (حسبى الله) اى هو كاف لى فى جميع امورى (والحبيب) وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يا ايها النبى حسبك الله) يعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذلك طالبا كفاية الله له وهذا قاله الله له فتكون كفايته له محققة مقررة بخلاف الاول كما ستسمعه قريبا (والخليل قال واجعل لى لسان صدق) اى ذكرا جميلا صدقا فعبر باسم الالة عما يصدر منها مجازا (فى الآخرين) اى فى الامم الآتين من بعدى الى يوم القيامة فهو طلب ودعاء واجابة الله فما من امة الا وهى تثنى عليه وتحبه (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) اى جعلناه عاليا شريفا لما تضمنه من الثناء مقرونا باسم الله فى الصلاة والخطبة والاذان وغيرها (اعطى) الحبيب (بلا سؤال) منه وهذا بيان لمزية الحبيب كما نبهناك عليه اولا (والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام) اجنبنى جنبنى بمعنى بعدنى بعدا حسيا ومعنويا بان لا يصدر منهم ذلك وقد اجاب الله تعالى دعاءه لان المراد بنواصلبه وفيهم انبياء عصمهم الله تعالى واتقياء حفظهم (والحبيب قيل له) اى قال الله تعالى له (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) هو كل مستقذر حسا اوطبعا اوعقلا اوشرعا اى الله كرمكم بان حفظكم من الذنوب وما يدنس الاعراض وقال يريد الله ليذهب ولم يقل اذهب مع انه اخصر اشارة الى انه قضى لهم بذلك فى الازل وفى عالم الارواح والذر (اهل البيت) منصوب على المدح اوالنداء اوالمراد اهل بيت النبوة فيشمل اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجاته واتباعه واقاربه ولا يختص ذلك بعلى وفاطمة والحسنين كما زعمته الشيعة وهذا

ابلغ مما فى حق ابراهيم بوجوه لاختصاصه بنفى عبادة الاصنام وهذا عام فى كل ذنب ونقص وذاك خاص ببنيه وهذا شامل لكل من شمله بيته كما سمعته آنفا ومبالغته فى تطهيره بقوله * ويطهركم تطهيرا * ولا يخفى ان كل ما نقله ابن فورك انما يدل على شرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة علو مرتبته على غيره ولا علاقة له بنفس المحبة الخلة لاسيما الآيات لم يذكر فيها بعنوان لفظ الحبيب (وفيما ذكرناه) من تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما والخلاف فى ايهما ارفع درجة (تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال) المقصد مصدر ميمى بمعنى القصد اوهو بمعنى المقصود لان مفعل يأتى مفعول كمركب وان كان نادرا اوهو مجاز من المصدر اومن اسم المكان باستعارته منه استعارة مصرحة اصلية (من تفضيل المقامات والاحوال) بيان للمقصد والمقامات بفتح الميم جمع مقام وهو محل القيام وبضمها محل الاقامة وجمعه جمع المؤنث لاطراده فيما لا يعقل كحمامات وسجلات والمراد بالمقام هنا امر يكون عليه العارف بالله تعالى من الانبياء والاولياء يرتفع به من حضيض البشرية فى درجات العبودية حتى يرقى الى المقام الاعلى وما يطرق عليه هو المراد بالاحوال وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل المقامات الصفات الثابتة والاحوال الصفات الزائلة وهو قريب مما قلنا والظاهر ان المراد بقوله السابق ما ذكرناه ما لخصه من كلام ابن فورك هو جواب عما تقدم من ان هذا لا يدل على بيان الخلة والمحبة الذى هو بصدده فاشار الى انه وان تعلق بذات الحبيب والخليل فالمقصود بيان تفاوت وصفهما فيرجع ما قاله الى بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم من يقصد الايماء والتلويح (وكل يعمل على شاكلته) اى لكل احد طريقة يختارها والمشاكلة فى الآية التى اقتبس منها المصنف وهى قل كل يعمل على شاكلته بمعنى سجيته وجبلته وهى كما قال الراغب مأخوذة من الشكال وهو قيد يقيد به الدابة لانها قيدته وذلك لان سلطان السجية قاهر لصاحبه ومنه شكل الكتاب يقال شكلت الخط كما يقال قيدته واشار بقوله (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اى الله يعلم من طريقته اقوم واكثر ايصالا الى الحق وارشادا للهداية يشير الى ان الخلاف السابق فى تفضيل الخلة والمحبة مبنى على امور نظر اليها كل من الفريقين فكأنه لم يجزم باحدهما لان الخلاف كاللفظى وقد قيل ان غاية ما ذكره ابن فورك تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلوة والسلام فى حد ذاته من غير نظر لما جعلوه علة من تفضيل الصفة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم الجوزية وقد علمت ما فيه وقد قدمناك ما يغنى عنه

فصل فى تفضيله

صلى الله تعالى عليه وسلم برفعة مقامه على غيره (بالشفاعة) ان كان تعريفه للعهد والمراد الشفاعة العظمى فى المحشر التى يخلص الله بها اهله من هوله وكربه فقوله (والمقام المحمود) عطف تفسير والا فهو من عطف الخاص على العام والمحمود كل

مقام يتضمن كرامة محمد ولكنه خص هنا بفرد معين من افراده اختلف فيه كما قاله البرهان نقلا عن القرطبي على ستة اقوال فقيل هي الشفاعة العامة السالفة وقيل اعطاؤه لواء الحمد وهو لاينافي ما قبله وقيل هو ان يجلس صلى الله عليه وسلم مع الله على الكرسي وهذا انما نقل فيه حديث طعنوا فيه وياتي مافيه ومنهم من اوله وقيل هو شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لاخراج بعض اهل النار منها وقيل هو شفاعته رابع اربعة اذ يقوم له روح القدس جبريل عليه الصلوة والسلام ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم موسى اوعيسى عليهم الصلوة والسلام ثم يقوم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع ولايشفع احد بعده في اكثر مما يشفع وبه فسرت الآية وقيل هو مقام يكون اقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم بالاجماع الا انها عند اهل السنة لاصحاب الكبائر لحديث شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وعند المعتزلة لزيادة الثواب لا لدرء العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه محمودا على ظاهره او اسناد مجازي اي صاحبه محمودا (قال الله تبارك وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) استشهد بالآية على ما قاله وقد علمت ما فسر به المقام المحمود ومقاما منصوب على الظرفية بمحذوف اي يقيمك مقاما او بتضمين يبعث معناه او حال بتقدير اي ذا مقام واما الوجه الثالث وهو جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله على العرش والكرسي وقال الواحدي رحمه الله تعالى انه قول فاسد مبني على التجسيم وبين فساده بوجوه منها ان البعث هو الاثارة والاقامة والجلوس ضده فكيف يفسر به وايضا هو يقتضي التحديد والتناهي المستلزم للحدوث وايضا انه قال مقاما ولوكان كذلك لقال مقعدا ومثله لايدل عليه البعث ورد هذا بانه رواه احمد من طرق شتى ومثله من المتشابه كقوله الرحمن على العرش استوى وقد صححه الدارقطني وقال ردا على منكره واجاد في ذلك رحمه الله تعالى رحمة واسعة

* حديث الشفاعة عن احمد * الى احمد المصطفى نسنده *
* وقد جاء الحديث باقعاده * على العرش ايضا ولا نجحده *
* امروا الحديث على وجهه * ولا تدخلوا فيه ما يفسده *
* ولا تنكروا انه قاعد * ولا تنكروا انه يقعده *

فجلوسه صلى الله عليه وسلم لامانع منه واما نسبة ذلك لله وقوله انه معه فليس المراد ظاهره بل هو وامثاله مأولة وهي كثيرة وعسى للترجي ومعناها وعملها مشهور في كتب النحو فمعناها الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه والترجي منه صلى الله عليه وسلم ظاهر ومن الله قالوا انه ايجاب اي جزم بوقوعه اذ الله لايجب عليه شئ كما تقرر في الكلام (حدثنا) وفي نسخة اخبرنا (الشيخ ابو علي الغساني الجياني) شيخ المص وغسان اسم ماء في الاصل سمي به قبيلة من اليمن نزلت عليه وجيان بالجيم المفتوحة وتشديد الياء المثناة التحتية بوزن شداد بلدة بالاندلس منها ابن مالك وابو حيان رحمهما الله تعالى (فيما كتب الي بخطه)

اشارة الى ان هذا الاخبار ليس بالمشافهة اي اخبارا كائنا في ضمن امور اخر واحاديث كتبها له والكتابة نوع من التحمل والاجازة لها حكم الاتصال عند كثير من المحدثين واهل الاصول كالسمعاني وصاحب المحصول ووقع ذلك في الصحيحين سواء كاتبه حاضرا اوغائبا بشرط ان يعرف خطه قال (حدثنا سراج بن عبد الله القاضي) السابق ذكره وترجمته قال (حدثنا ابو محمد الاصيلي) الذي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته قال (حدثنا ابو زيد) المروزي وقد تقدمت (وابو احمد) محمد بن محمد بن يوسف بن مكي الجرجاني (قالا حدثنا محمد بن يوسف) الفربري السابق ترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو امام السنة صاحب الصحيح البخاري وقد تقدم قال (حدثنا اسمعيل بن ابان) ابو اسحق الوراق الازدي الكوفي وابان بفتح الهمزة وتخفيف الباء علم منقول تردد في صرفه وعدم صرفه بعضهم واجاز بعضهم فيه الصرف وعدمه وسبب الخلاف فيه ان منهم من قال وزنه فعال فيه من صرفه وقيل انه منقول من ماضي ابان يبين وجزم به ابن مالك وصاحب التوضيح وقال القرافي المحدثون والنحاة على منع صرفه ونقله ابن يعيش عن الجمهور بناء على ان وزنه افعل بمعنى اوضح فاعل على خلاف القياس وبقي على اصله واندفع قول الدماميني لوكان كذلك وجب تصحيحه لان افعل الاجوف الوصفي لايعل وفي شرح مسلم انه جوز فيه الصرف وعدمه والصحيح صرفه كما في جامع اللغة وبه جزم ابن السيد (اقول عدم صرفه تعسف وقد تتبعت كلام العرب فوجدته مصروفا فيه كقول ابي عطاء الحماسي

* اتعرف مسجدا لبني تميم * فويق الميل دون بني ابان *

(وقول مهلهل)

* لهف نفسي على عدي ولم * اعرف عديا اذ تمكنني اليدان *
* طل من طل في الحروب ولم * اعرف قتيلا اباؤه من ابان *

الى غير ذلك مما لايحصى فلاوجه للتردد فيه ولذا قال بعض ائمة اللغة من لم يصرف ابان فهو اتان وهو امام ثقة توفي سنة ست عشرة ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا ابو الاحوص) بحاء وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد اللام بن سليم بالتصغير الامام الثقة الرواية توفي سنة مائة وتسعة وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة وقيل اسمه عوف بن مالك بن فضاله والصحيح الاول (عن آدم بن علي) العجلي الثقة التابعي يروي عن ابن عمر وغيره (قال سمعت ابن عمر) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه (يقول) حال اومفعول كما بينه النحاة وقد تقدم بيانه (ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى) هذا الحديث رواه البخاري في التفسير موقوفا على ابن عمر ومثله مما لامجال للرأي فيه له حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من اهل الكتاب بعيد لايعول عليه وكونه سمعه من صحابي آخر لايضر لان مرسل

الصحابى مقبول اقول هذا مما قاله اهل الاصول وقبله الائمة فى مصطلح الحديث وفيه بحث لانه يجوز ان يكون الصحابى ممن قرأ الكتب القديمة او يكون استنبطه من كتاب اوسنة فينبغى تقييده بما ذكروجثى بضم الجيم مقصور منون و جوز كسر جيمه ايضا جمع جثوة مثلث الاول واصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه فاستعير لمعنى الجماعة اى يجتمعون جماعات كل امة جماعة تابعة نبيها كما ذكره وروى البرهان عن الحافظ العراقى جثاء بضم الجيم والمد وانه كذا صحح فى نسخ البخارى وصححه الهروى وابن الاثير وروى جثى بضم الجيم وكسر المثلثة و تشديد الياء جمع جاث وهو البارك على ركبتيه وقيده بعضهم بان يجلس كذلك للخصومة وانشدوا (قوله

* اخاصمهم مدة قائما * واجثوا اذا ما جثوا للركب *

ولا شاهد فيه وهذا على خلاف القياس اذا صحت الرواية فلا يرد عليه ان فاعل لا يجمع على فعل كما قيل (كل امة تتبع نبيها يقولون) حال من فاعل يقول اى تكون معد تابعة له بانضمامها اليه (يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا) اى تنادى كل امة نبيها باسمه يسئلونه ان يشفع لهم عند ربهم فى الخلاص من هول الموقف كما مر فيجيبهم بانه لا يقدر على الشفاعة كما تقدم فيذهبون لغيره من الرسل فيجيبهم مثله (حتى تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حتى تنتهى الامم وسؤالهم لواحد بعد واحد تكون غايته ان يلتجؤا له صلى الله تعالى عليه وسلم فيجيبهم و يشفع لهم فتقبل شفاعته فى الحديث طى لجمل علمت من السياق ومن احاديث اخر صرح فيها بذلك ومعنى تنتهى تبلغ وتصل كما يقال بلغ الامير قصتى وهذه هى الشفاعة العظمى وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات اخر (فذلك) اى ما ذكر من الشفاعة وما معها يوم يبعثه الله (المقام المحمود) اى كائن فى ذلك اليوم بنصب يوم على الظرفية فان رفع بجعل القصة المختصة به كانها عينه مبالغة و يجوزا جاز (وعن ابى هريرة رضى الله عنه سئل عنها رسول الله عليه السلام) اى عن الآية المذكورة كما اشار اليه بقوله (يعنى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وضمير يعنى راجع لابى هريرة وهذا الحديث رواه احمد والبيهقى (فقال) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جوابا عن السؤال (هى الشفاعة) العظمى الواقعة لفصل القضاء وقيل لاخراج المذنبين من النار والمشهور هو الاول وضمير هى راجع للشفاعة كقولك هى الحياة اوللمقام وانث رعاية للخبر اوللآية بالتجوز على ان المراد المعنى المقصود منها وقيل المراد انها هى الشفاعة فى اليوم المسمى بالمقام المحمود وهو تكلف جدا (وروى كعب ابن مالك) الانصارى الصحابى احد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك وتاب الله عليهم بنص القرآن وهذا الحديث رواه احمد بن حنبل مسندا (عنه عليه الصلوة والسلام)

انه قال (يحشر الناس يوم القيامة) بعد الخروج من القبور اى يجتمعون للحساب (فاكون انا وامتى على تل) بمثناة فوقية مفتوحة ولام مشددة هو رابية من تراب اورمل ونحوه عالية مرتفعة وجمعه تلال واتلال نادر وفى القاموس التل من التراب والكوم من الرمل وتفسيره بمكان عال كالجبل بيان للمقصود اوتسامح و فيه اشارة الى اعلى مقامه صلى الله عليه وسلم ومقام امته واللطف بهم فى تخليصهم من زحام الموقف ومشقته (فيكسونى ربى حلة خضراء) وفيه استيناس لما يلبسه الاشراف الآن من العمامة الخضراء وان كان ذلك مما حدث فى زمن السلطان الاشرف تمييزا لهم عن غيرهم وان لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فعل ذلك كما فصلناه فى محله والحلة بضم فتشديد من برود اليمن ولا تسمى حلة الا اذا كان ثوبين احدهما فوق الآخر او ثوب واحد له بطانة وسمى بذلك لان كلا منهما يحل على الآخر اولكونهما جديدين كما حل طيهما ثم شاع فى مطلق الكسوة النفيسة وكسوته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد كسوة ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام فى الزمن كما سيأتى التصريح به فى الحديث وليس فيه تفضيل له عليه لان حلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى واحسن وانما قدم جزاء لما فعله به نمرود حين عراه ليلقيه فى النار ورعاية له بما يسر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه جده وزمنه اسبق وسنه ازيد (ثم يؤذن لى) بالبناء للمجهول من الاذن اى يأذن الله لى فى التكلم بين يديه والشفاعة لاهل المحشر اجمعين فيقال له قل واشفع تشفع كما مر (فاقول ما شاء الله ان اقول) من حمد الله بمحامد لائقة والشفاعة العظمى (فذلك المقام المحمود) وهذا لا ينافى تفسيره بالشفاعة العظمى كما قال المحب الطبرى و ذلك اشارة الى جميع ما تقدم من اول الحديث الى آخره (وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث ساقه (وذكر حديث الشفاعة) معطوف على مقدر و قوله (قال فيمشى) يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من قوله ذكر (حتى يأخذ بحلقة) باب (الجنة) وفى رواية قال فامشى حتى آخذ والحلقة معروفة بسكون اللام وجوز فتحها وانكره بعض اهل اللغة كما تقدم والحديث تقدم بتمامه (فيومئذ) اى يوم اذ مشى صلى الله تعالى عليه وسلم واخذ بالحلقة واليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الوقت (يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده) به فى القرآن فى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وهو مقام يشفع فيه لسائر الخلايق الشفاعة العظمى و يحمده فيه الاولون والآخرون فلذا سمى بذلك ووعده مبنى للمجهول و مفعوله الاول عائد على المقام ويجوز بناؤه للفاعل ايضا وقيل المقام المحمود هنا وقوفه ثمه واخذه بحلقة باب الجنة وهو مغلق ليفتحه فيدخلها من هو معه والحامدون له على هذا المسلمون واهل الجنة لان من عداهم الى فى النار فهذا تفسير آخر فتأمله (وعن ابن مسعود) رضى الله

تعالى عنه (عنه عليه الصلوة والسلام انه) اى المقام المحمود الموعود به (قيامه عن يمين العرش مقاما لايقومه غيره) ظاهره ان المقام هو القيام نفسه على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية وليس كذلك فان المراد ان المقام هو المحل الذى قربه الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل المراد اقامته ومكثه فى ذلك المقام فلاينافى مامر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس على منبر عن يمين العرش (يغبطه فيه الاولون والآخرون) اى جميع الامم والناس والغبطة بالغين المعجمة والموحدة والطاء المهملة هى تمنى المرء ان ينال مثل مارأه عند غيره من النعم وكل امر محمود من غير ان يحب زوالها فان احب زوالها فهو الحسد المذموم وقيل الحسد تمنى الامر المحمود مطلقا فهو اعم من الغبطة ومنه مايذم و يحمد والمشهور الاول و يغبط بزنة يضرب وفى نسخة به والباء ظرفية اوسببية والغبطة لاضرر فيها وقد تكون حيدة وفى الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط انتهى وفى النهاية الاثيرية ان الغبط لايضر ضرر الحسد وانما يلحق الغابط منه ضرر يسير وا ثم ينقص ثوابه كما يلحق العضاة بخبط ورقها والذى يظهر لى انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما اراد انه لاضرر فيه على الغابط فى امر محمود تمناه من غير تمنى زواله بل ربما يناله منه نفع لجده فى تحصيل مثله اونيله شيئا من صاحبه فهو على حد قوله * ولاعيب فيهم غير ان سيو فهم * بهن فلول من قراع الكتائب (ونحوه) اى مثله معنى مروى (عن كعب) هو كعب الاحبار (والحسن) البصرى (وفى رواية هو) اى المقام المحمود (الذى اشفع لامتى فيه) فتكون هذه الشفاعة غير الشفاعة العظمى لسائر الناس وهو احد الاقوال فى تفسيره كما مر ومافى الشرح الجديد من عود الضمير لقيامه على يمين العرش وان المراد بالشفاعة الشفاعة العظمى فى فصل القضاء وهى وان لم تكن خاصة بامتى فهم المقصودون بالذات منها تعسف لاحاجة اليه (وعن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه احمد فى مسنده (انى لقائم المقام المحمود) بكسر همزة ان لوقوعها فى ابتداء كلام مستأنف وقيل انه جواب قسم مقدر اى والله انى لقائم وفيه بيان انه يجوز القسم فى الامر العظيم ولذا اكد بان والاسمية وفيه نظر والمقام منصوب على الظرفية اوالمصدرية (قيل وماهو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى عن كرسيه) وفى نسخة على كرسيه (الحديث) اى اذكر اوانظر تمامه وهو كما رواه احمد رحمه الله قيل له ما المقام المحمود قال ذلك يوم ينزل الله على كرسيه فيئط كما يئط الرحل الجديد من تضائقه به وهو بسعة مابين السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابراهيم عليه الصلوة والسلام فيقول الله عز وجل اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره ثم اقوم عن يمين الله مقاما يغبطنى

فيه الاولون والآخرون وقد علمت ان هذا الحديث من المتشابه لانه تعالى منزه عن صفات الاجسام كالنزول والجهة قيل ولذا تركه المصنف رحمه الله تعالى وهو تمثيل لتجليه تعالى لعباده بعظمته وجلاله واقباله عليهم لفصل القضاء واجراء حكم عدله فيهم كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر فى امورهم ويقرب من شاء منهم والكرسى غير العرش كما مر والحديث فى المصابيح والكلام عليه مفصل فى شروحه (وعن ابى موسى) عبدالله ابن قيس الاشعرى الصحابى المشهور وهذا الحديث رواه ابن ماجة فى سننه رواية (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خيرت) اى خيرنى الله بين احد امرين (بين ان يدخل) بالبناء للفاعل اوالمفعول (نصف امتى الجنة) اى امة الاجابة لا الدعوة (وبين الشفاعة) لبعض المذنبين منهم الذين استوجبوا دخول النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء (فاخترت الشفاعة) على دخول نصف امتى الجنة ثم بين وجه اختياره بقوله (لانها) اى الشفاعة (اعم) اى اشمل واكثر من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار وقيل انها شاملة لها وهذه الشفاعة ثابتة باحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولايعتد بمن انكرها من الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله تعالى * ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع * لان المراد بالظالمين الكفرة فان الشرك ظلم عظيم (اترونها) بهمزة الاستفهام وضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة والضمير للشفاعة اى اتظنون الشفاعة خاصة (للمتقين) جمع متق بكسر القاف اسم فاعل من التقوى وفى نسخة للمؤمنين قال البرهان والاول هو المحفوظ من مشايخي وردوا على من رواه المنقين بنون مفتوحة ثم قاف مفتوحة مشددة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة جمع منقى اسم مفعول وهو النظيف وكذا فى اصلنا لسنن ابن ماجة وهو اصل صحيح وكتب على هامشه لب ق وعليها تصحيح مرتين انتهى ففيه ثلاث روايات والمنقين من النقى قال المزى وحسن هذه الرواية انه روى (ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين) فقابلته للمتلوثين تحسنه وهو اسم مفعول من التلوث بمثناة فى اوله ومثلثة فى آخره والتلوث التلطخ بالاقذار لان الذنوب كالنجاسة والخطائين جمع خطاء وهو الكثير الخطاء وروى الترمذى شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وقيل المنقى بالنون عام لانه يجوز ان يكون مذنبا نقى بالتوبة والمنقى اخص وفيه نظر (وعن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه فى حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقى (قلت يارسول الله ماذا رد عليك فى الشفاعة) بضم الراء المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبنى لما لم يسم فاعله كذا رواه البرهان واقتصر عليه وروى ورد من الورود مبنى للفاعل كما ذكره التلمسانى وتبعه غيره من الشراح وما اسم استفهام وذا اسم موصول بمعنى الذى ويجوز ان يكون اسم اشارة والرد الجواب وورد بمعنى جاء اى ما اجابك به الله اوالملك لما سألته الشفاعة فى امتك (فقال

شفاعتي) هوفاعل مرفوع تقديرا اى جاءنى اورد على ان اشفع (لمن شهد ان لا اله الا الله) اى لمن اقر بوحدانية الله تعالى ولم يقل وانى رسول الله اكتفاء باحد جزئى كلمة الشهادة للعلم بانه لا بد من الاتيان بهما فى صحة الاسلام (مخلصا) حال من الموصول اى غير مشوبة شهادته بشك اوشرك (يصدق لسانه) بالنصب على المفعولية وقوله (قلبه) مرفوع فاعله ويجوز عكسه اى يطابق اعتقاده لما نطق به (وعن ام حبيبة رضى الله تعالى عنها) فى حديث رواه الحاكم والبيهقى وهى ام المؤمنين بنت ابى سفيان ابن حرب اخت معاوية رضى الله تعالى عنهم واسمها رملة على الصحيح وقيل هند وهى من السابقات الى الاسلام وترجمتها معروفة توفيت سنة اربع واربعين (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اريت) بضم الهمزة والبناء للمجهول اى اعلمنى الله واخبرنى بواسطة الملك (ماتلقى امتى من بعدى) اى اريت مااطلعت به على ماينوبها فرأى علمية وقيل انه من باب الكشف عما سيكون بتوقيف من الله له صلى الله تعالى عليه وسلم كرامة وليس من الرؤية البصرية (وسفك بعضهم دماء بعض) منصوب معطوف على ماتلقى وسفك الدم اراقته وصبه وهو مصدر مضاف لفاعله قيل اراه ذلك وحيا اومشافهة اوالهاما لما يقع بينهم من الحروب والفتن التى يقع فيها القتل واراقة الدماء (وسبق لهم من الله ماسبق للامم قبلهم) ماض معطوف على تقى صلة الموصوف اى اريت واعلمت بما سبق لامتى مما قدره الله تعالى عليهم واراده لهم فوقع على وفق ارادته فى الازل وعلمه القديم (فسألت الله تعالى ان يؤتينى فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل) اى اعطاه الله تعالى ما سأله فشفعه فى المذنبين منهم (وقال حذيفة) بالتصغير وهو ابن اليمان الصحابى رضى الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث موقوف عليه رواه البيهقى والنسائى (يجمع الله الناس فى صعيد واحد) اى فى مكان يجتمعون فيه غير متفرقين واصل معنى الصعيد التراب فاريد به هنا ارض المحشر وقيل هو تربة ليس فيها رمل ولا شجر يوم تبدل الارض غير الارض والمراد بالناس الثقلان من الجن والانس او اراد الانس واقتصر على الاشرف فلا يرد ان الجن والبهائم تحشر معهم ايضا (حيث يسمعهم الداعى) صوته ونداءه كما قال تعالى * ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون * ويسمع بضم التحتية مضارع اسمع وحيث ظرف مكان مبنى على الضم (وينفذهم البصر) بفتح الياء المثناة التحتية وروى بضمها وكسر الفاء وعلى الاول هى مضمومة والمراد ببصر الرائى اى يراهم دفعة واحدة وليس المراد بصر الله كما قاله ابو عبيد وقيل المراد يبلغهم ويجاوزهم لانهم فى ارض مستوية لا عوج ولا شجر فيها وهو بالدال المهملة والمحدثون يروونه بالذال المعجمة وهو صحيح ايضا لانه لاحاطته

بهم وتجاوزه كانه يخرقهم فلا وجه للرد مع صحة الرواية (حفاة عراة) منصوبان على الحالية وحفاة جمع حافى وهو الذى لانعل له ولا خف وقيل جمع حفى وهو الذى رق جلد قدميه وعراة جمع عارى وقيل جمع عريان وهو قليل فى الاستعمال وهو الذى لاثوب له ولا لباس يستره ويعارضه ماروى فى الحديث الصحيح ان اباسعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها وعن معاذ بن جبل ايضا رضى الله تعالى عنه احسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهداء وثيابهم التى قتلوا فيها والحديث وارد فيهم وابو سعيد حمله على العموم وقيل ان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم تتناثر من عليهم فى المحشر وقيل المراد بثيابهم اعمالهم كقوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير ولا يخفى ما فى هذا من الضعف فليحرر (كما خلقوا) حال اى كائنين على حال خلقهم الاول من غير نقص شئ من اجزائهم كما ورد غرلا فشبه حال اعادتهم بحال اخراجهم من العدم كما قال كما بدأكم تعودون وما كافة اومصدرية (سكوتا) جمع ساكت حال من الناس اومن ضمير خلقوا (لا تكلم) اصله تتكلم فخفف (نفس الا باذنه) فلا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر اوالثانى مخصوص بذوى الاعذار الباطلة فلا تعارض بينهما وبهذا يجاب ايضا عن قوله واقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقوله يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها (فينادى) بالبناء للمجهول (محمد) بالتنوين نائب الفاعل اوهو غير منون مبنى على الضم والنداء بمعناه الظاهر اى يقال له يا محمد فحذف حرف النداء وعلى الاول ينادى بمعنى يدعى ويطلب وكلا الوجهين حسن وفى نسخة فينادى يا محمد (فيقول لبيك وسعديك) منصوبان على المصدرية بفعل لا يظهر فى الاستعمال من التلبية وهى اجابة المنادى من الب بالمكان اذا اقام ولا يستعملان الا بصيغة التثنية والمراد بها مجرد التكرير ولو مرارا عديدة اى اجبتك اجابة بعد اجابة واساعدك بطاعتى لك وانا مقيم على ذلك لا انصرف عنه (والخير فى يديك والشر ليس اليك) اى مقضيك بالفرض وصادر عنك بالتبع لان بعض مايتضمن الخير الكثير يستلزم شرا قليلا فكان ترك الخيرات الكثيرة لاجل ذلك الشر القليل شرا لا يصدر عنه وهو المنزه عن الفحشاء ولا يجرى فى ملكه الا ماشاء والى هذا اشار القاضى فى تفسيره والمعتزلة قدروا فى مثله والشر ليس منسوبا اليك واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم قدره والشر ليس متقربا به اليك كما يتقرب الى بعض ظلمة الملوك ببعض القبائح

قاله القرافى فى قواعده او المعنى لا يضاف اليك تأدبا وقيل المعنى لا يصعد اليك فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة واصله يدى بالسكون لقولهم فى جمعه ايد وقيل يدى بالفتح لقولهم فى تثنيته يدان واستعير للنعمة وللملك والتصرف والقدرة والقوة والنصرة واذا اضيف الى الله تعالى يراد به المعنى المجازى لتنزهه عن الجارحة وثنى هنا وفى قوله تعالى * لما خلقت بيدى * اشارة الى زيادة تصرفه فيه واختصاصه به وجعل الخير مستقر فيهما ترشيحا للاستعارة والاحسن انه يقال انه اشارة لما مران وجهى تصرفه فى الموجودات بالخير والشر خير وكله فتدبر (والمهتدى من هديت) اى الموفق للهداية من خلقته مهتديا او وفقته لطاعتك وتعريف الطرفين تفيد الحصر اى لا مهتدى الا من هديته (وعبدك بين يديك) اراد به نفسه الشريفة اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاضر لديه واقف فى مقام المذلة والفقر وقيل انه تشبيه لقربه من ربه ومزيد اختصاصه من الجهتين المسامتتين لدى الانسان واستعير لذلك (ولك واليك) اى امره كله لك فانه عبدك وامره موكول اليك (لا ملجأ) بالهمز والقصر للازدواج اى لا ملجئ ولا يستند لاحد سواك (ولا منجا) بلا همز او به للازدواج اى لا ينجيه ولا يخلصه احد (منك) اى هو عبدك ومصيره اليك (الا اليك) ولبس باتباع ولا لف ونشر كما قيل (تباركت وتعاليت) اى كثر خيرك وزاد عن كل شئ وعلا قدرك فى ذاتك وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك والكلام عليه مفصل فى التفسير (سبحانك) اى تنزهت (رب البيت) بالرفع خبر مبتدأ مقدر او بالنصب على النداء اى يارب البيت والمراد به الكعبة او البيت المعمور فى السماء ولما كان البيت قد يشعر بالحلول قدم التنزيه عليه احترازا عن توهمه وقال رب البيت دون رب العالمين اظهار الشرفه وشرف الحج اليه المشابه جمع الخلائق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة (قال) اى النبى عليه السلام لانه معلوم من السياق او حذيفة راويه وهو فى حكم المرفوع (فلذلك) اى المقام الذى جمع فيه ووقع فيه هذه المناجاة (هو المقام المحمود الذى ذكره الله) فى القرأن فى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا دخل اهل النار النار) قدمه ترهيبا وترغيبا فى تجنب سبب دخولها ولان ذكر النعمة بعد النقمة وقع فى النفس (واهل الجنة الجنة) بجر الاول ونصب الثانى اى ودخل اهل الجنة الجنة والمراد غالب اهل النار وغالب اهل الجنة بدليل قوله (فبقى آخر زمرة من الجنة) اى من اهل الجنة (وآخر زمرة من النار) اى من اهل النار والزمرة الجماعة القليلة ومنه شاة زمرة اى قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة او من الزمر وهو الصوت لانها لا تخلو عنه (فتقول زمرة النار) اى الزمرة الباقية من اهل النار (لزمرة الجنة) اى للزمرة الباقية من اهل الجنة الذين لم يؤذن لهم فى دخولها (ما نفعكم ايمانكم) ما استفهامية

انكارية او نافية خبرية اى لم ينفعكم ايمانكم ولم يغن عنكم شيئا لانهم بجهلهم باحوالهم ظنوا انهم لا يدخلون الجنة وانهم منعوا من دخولها (فيدعون ربهم) الضمير للزمرة المتخلفة من اهل الجنة (ويضجون) اى يصيحون ويرفعون اصواتهم فزعا مما لحقهم من تعيير اهل النار لهم واصل الضجيج بضاد معجمة وجيم الصياح من الفزع للحوق المكروه والضجة ارتفاع الاصوات المختلفة مطلقا (فيسمعهم اهل الجنة) اى يسمعون صياحهم واستغاثتهم بربهم ليأذن لهم فى دخول الجنة (فيسألون آدم) ان يشفع لهم فى دخول الجنة (وغيره بعده) اى يسألون بعد آدم غيره من الانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام (فى الشفاعة لهم فكل يعتذر) لهم بانه لا يقدر على الشفاعة ولم يؤذن له كما مر تفصيله (حتى يأتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل (فيشفع لهم فذلك المقام المحمود) الذى يحمده فيه الناس ويظهر فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس وهو فى حكم المرفوع (ونحوه) اى فى معناه حديث مروى (عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره على بن الحسين) بن على ابن ابى طالب وهو زين العابدين كما تقدم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مرفوعا وما قبله موقوف (وقال جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنهما الصحابى وقد تقدمت ترجمته (ليزيد الفقير) هو ابن صهيب ولقب بالفقير لانه اصيب فى فقار ظهره فكان يشكوها وفقار الظهر خرزات العظم التى من عجب الذنب الى نقرة القفاء وهى اثنان وثلاثون فقرة فهو فعيل بمعنى مفعول وقول عائشة رضى الله تعالى عنها فى حق عثمان رضى الله تعالى عنه ارتكبوا منه الفقراء الاربع استعارة اى انتهكوا له حرمات اربع الصحبة والصهر والخلافة والبلد وهذا الحديث رواه مسلم ويزيد هذا امام ثقة روى عنه ابو حنيفة واصحاب الكتب الستة (سمعت) بفتح تاء الخطاب واصله اسمعت فحذف همزة الاستفهام اوهل اى اسمعت اوهل سمعت (بمقام محمد صلى الله عليه وسلم) اى هل رويت فيه شيئا يفسره (يعنى الذى يبعثه الله فيه) اى فجابر اراد السؤال عن حقيقة المقام المذكور فى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفى قوله فيه اشارة الى انه منصوب على الظرفية وانه محل القيام حقيقة (قال) يزيد (نعم) اى سمعت ما ورد فيه اجمالا (قال) اى جابر بن عبد الله الصحابى المشهور وكان الظاهر ان يقول فقال (فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار) ضمير به للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم او للمقام اى يخرج الله بسبب الشفاعة الواقعة فيه فالمراد به مقام آخر فيه شفاعة غير الشفاعة العظمى لاهل المحشر واليه اشار بقوله (وذكر) اى جابر رضى الله تعالى عنه (حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين) المنسوبين لجهنم لانهم المؤمنون الذين

دخلوا النار بمعاصيهم وهذا بعض حديث رواه مسلم اقتصر منه المصنف على محل الشاهد لما هو بصدده ولفظه قال يزيد الفقير رحمه الله تعالى كان قد شغفني رأى من رأى الخوارج فخرجت فى عصابة ذوى عدد نريد ان نحج فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذى تقولون والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذى تقول فقال اتقرأ القرآن قلت نعم فقال هل سمعت بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج به من يخرج قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذلك وقال غير واحد ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها كانهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس الى آخر الحديث الذى رواه مسلم والكلام عليه مبسوط فى شرحه فالمعنى ان يزيد مال الى رأى الخوارج فى خلود عصاة المسلمين فى النار فلما سمع من جابر ما رواه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له علم بطلان رأيهم ورجع عنه (وعن انس) فى حديث رواه احمد فى مسنده (نحوه) اى ما هو فى معنى هذا الحديث (وقال) انس بعد ما ذكر ما تقدم (فهذا المقام المحمود الذى وعده) بالبناء للمجهول ونائب الفاعل ضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير البارز للمقام (وفى رواية انس وابى هريرة وغيرهما) فى حديث رواه الشيخان (ودخل حديث بعضهم فى حديث بعض) اى وافق رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى (قال عليه الصلوة والسلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة) فى ارض المحشر للحساب وفصل القضاء (فيهتمون) افتعال من الهم بمعنى الحزن او العزم والتصميم يقال اهتم اذا اغتم وحزن واهتم بكذا اذا جعله من همه وليس من الهمهمة وهى الصوت الخفى (او قال فيلهمون) بالبناء للمجهول من الالهام وهذا شك من الراوى فى لفظ الحديث اى يلهمهم الله (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) اى لو طلبنا من يشفع لنا عند الله فى ان يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته ولو للتمنى هنا وقد ذكره النحاة مفصلا فى بابه فنزلوا الشفاعة لخوفهم منزلة الممتنع الذى لا يمكن (وفى طريق آخر عنه) عليه الصلوة والسلام اى فى رواية اخرى (ماج الناس بعضهم فى بعض) اى دخل بعضهم فى بعض واختلطوا لاضطرابهم (وعن ابى هريرة) فى حديث الشفاعة الذى رواه الشيخان (وتدنو الشمس) اى تقرب من رؤس اهل الموقف (فيبلغ الناس من الغم) اى من الكرب وشدة الحر (ما لا يطيقون) اى ما لا يقدرون على تحملهم له (ولا يحتملون)

عطف تفسير اى لا يقدرون ولا يستطيعون (فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم) اى يقول بعضهم لبعض هذا الكلام (فيأتون آدم) عليه الصلوة والسلام بدؤا به لانه اول الانبياء وابوهم المشفق عليهم كما قال (زاد بعضهم فيقولون انت آدم ابو البشر) فينبغى لك ان تشفع لهم وترحمهم (خلقك الله بيده) اى اوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة ام واب (ونفخ فيك من روحه) اضافة الروح له تعالى للتعظيم والاختصاص ونفخ الروح ايجاده متصلة بجسده كما يقال بيت الله (واسكنك جنته) بعد نفخ الروح فيه وايجاده والمراد الجنة المعروفة على الاصح وقيل المراد بها بستان فى الارض والخلاف فيه مشهور فى كتب التفاسير والادلة من الطرفين مفصلة فى محلها (واسجد لك ملائكته) اى امرهم بالسجود لك سجود تحية وتعظيم له واداء لحقه لا سجود عبادة هو كالقبلة له وكان ذلك جائزا شرعا ثم نسخ (وعلمك اسماء كل شئ) كما ذكره الله تعالى فى القرآن وهذا كله مما يدل على شرفه صلى الله عليه وسلم وعلو رتبته عند ربه ومزيد قربه المقتضى لقبول شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه بقوله (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا) هذا وهو المحشر ويريحنا بمعنى يحصل لنا راحة (الا ترى ما نحن فيه) من الكرب والهول الذى لا يطاق (فيقول) لهم آدم (ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) اى اظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه مريدا ايقاع العذاب الذى فى الآخرة بادخالهم النار وهذا لم يكن قبل يوم القيمة ولا بعده فلذا خاف آدم عليه الصلوة والسلام وقال (ونهانى عن الشجرة) اى عن الاكل منها والمراد بها العنب الذى فى الكرم او الحنطة وسماها شجرة مجازا لان الشجر ماله ساق (فعصيت) اى خالفت امره تعالى بالاكل منها وفى كون هذا معصية كلام سيأتى فى عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام (نفسى نفسى) اعتذارا عن تركه الشفاعة لهم لخوفه على نفسه وكررها تأكيدا وبيانا لانه لا يقدر على مصلحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر الانبياء تدريجا الاول فالاول والاقدم فالاقدم على وجه يظهر به فضل نبينا صلى الله عليه وسلم (اذهبوا الى غيرى) من الرسل يشفع لكم ثم بين من يذهبون له فقال (اذهبوا الى نوح) فانه الاب الثانى لكم بعدى ولم يقل اذهبوا الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليعلم فضله بانه صاحب الشفاعة وانها منحصرة فيه (فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض) كافة لانحصارهم وانحصار التبليغ فيه وهذا لا ينافى اختصاص عموم رسالة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لان عمومها لا يختص بعصره وقال ابن حجر رحمه الله تعالى لانه لم يكن بعد الطوفان الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم والعموم لم يكن فى اصل بعثته وانما اتفق بعده

فالحادث الذى وقع وهو انحصار الخلق الموجودين بعد هلاك سائر الناس واما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك واما كونه اول رسول كما صح فى حديث الشفاعة فالمراد به انه اول رسول ارسل الى جميع اهل الارض فى حياته فليس المراد عموم بعثته مطلقا بل اثبات اولية ارساله ولو سلم فهو مخصوص بعدة آيات على ان بعثة نوح عليه الصلوة والسلام كانت الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل على عموم رسالته بدعائه على جميع من فى الارض فاهلكوا غير اهل السفينة ولولاه مااهلكوا لقوله تعالى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يرسل غيره فى زمنه وعلمه انهم لم يؤمنوا فدعا عليهم وهو حسن لو نقل مجئ رسول فى زمنه غيره اوخصوصية نبينا صلى الله تعالى عليه سلم ببقاء شريعته الى يوم القيمة اودعوته لقومه بتوحيد بلغ الناس عنه فتمادوا واستحقوا العذاب واليه ذهب ابن عطية فى سورة هود وبعد عدم بلوغ نبوته القريب والبعيد مع طول مدته وقال ابن دقيق العيد يجوز ان تكون الدعوة للتوحيد عامة فى بعض الانبياء وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك ويحتمل انه لم يكن فى عهده غير قومه فبعثته خاصة وان عمت صورة (اقول هذا ما قاله ابن حجر فى شرح البخارى ولم يبين كون نوح اول الرسل مع من تقدمه من الانبياء وتحقيقه ان آدم صلى الله عليه وسلم كان نبيا رسولا ولكنه ارسل لبنيه ولم يظهر الكفر فى حياته قوة واثار فكان كالعظيم الضابط لاهله وخدمه فلذا لم يكن كغيره من الرسل عليهم الصلوة والسلام وادريس تنبأ فى زمنه وشيث كان وصيه الى ان بعث لله تعالى نوحا فاظهر الناس الكفر ومخالفة دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم فهو اول رسول بعث لدعوة الناس ومجادلتهم ومعاقبتهم ومن قبله لم يكن كذلك كما لا يخفى (وسماك الله عبدا شكورا) فى الكتب القديمة لانه كان كلما اكل اوشرب شكر ربه فاشتهر بذلك فى الامم السالفة والصحف الموحى بها كما نقل فى تفسير قوله ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا على الاصح من ان الضمير راجع له لا لموسى كما قيل فانه قول غير مرضى (الا ترى ما نحن فيه) من شدة الموقف وهوله (الا ترى ما بلغنا) بسكون الغين المعجمة وفتحها اى ما اوقعنا فيه من الكرب وما وصل الينا منه وقال النووى الاصح المعروف فتح الغين بدليل انه روى الا ترون ما بلغكم واو كان بالاسكان قال ما بلغتم والوجه ما تقدم (الا تشفع لنا الى ربك) فى الخلاص مما نحن فيه (فيقول مثله) اى ما تقدم بعينه وفى نسخة التصريح به (فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسى نفسى) وقد تقدم شرحه (قال فى رواية انس ولم يذكر خطيئته التى اصاب) صفة خطيئة والعائد

محذوف اى التى اصابها اى التى عملها والانبياء معصومون كلهم ولكنهم لشدة تعظيمهم لله وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا وغفلة ذنبا عظيما والمراد بخطيئته ما فسره بقوله (سؤال ربه بغير علم) فهو منصوب بدل اوعطف بيان من قوله خطيئته مفعول يذكر وقوله بغير علم صفة مصدر محذوف اوحال اى سؤالا كائنا بغير علم منه بان ما سأله لا يليق ان يسأله وهو قوله رب ان ابنى من اهلى وقد وعدتنى ووعدك الحق ان تنجى اهلى من الغرق وهو منهم فنجه فقيل له انه ليس من اهلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم وابنه هذا هو كنعان وليس ربيبه وابن زوجته كما زعمه اهل الكتاب قيل انما عاقبه هذا عن الشفاعة وزجره به وجعل جهلا لانه ممن سبق عليه القول من اهله ودلت الحال على ما يمنعه من السؤال ولكن حب الولد شغله حتى اشتبه عليه امره وهذا قول قريب من قول من قال انه ظنه مؤمنا بدليل قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فلا وجه لتخطئة قائله (وفى رواية ابى هريرة) فى حق نوح عليه الصلوة والسلام (وكانت لى دعوة دعوت بها على قومى) اشارة الى ما ورد فى الحديث ان لكل نبى دعوة والمراد ان الله تعالى وعد كل نبى بان يجيب له دعوة يدعو بها على جميع امته فيستجاب اويدعو بها لهم فلا ينافى كون دعاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام مستجابا وهذا اعتذار منه عليه الصلوة والسلام فى ترك الشفاعة ولذا عقبه بقوله (اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله) وابو الانبياء ومقتداهم فانه احق بالشفاعة واقدر عليها منى (فيأتون ابراهيم فيقولون) له (انت نبى الله وخليله من اهل الارض) اى انفردت من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه اشارة الى انه اهل للشفاعة (اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله) اى مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات كذبهن) هى قوله انى سقيم لما دعى الى الاصنام وقوله لزوجته لما طلبها الملك منه انها اختى وقوله فى حق الاصنام فعله كبيرهم هذا وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده الا ان ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلوة والسلام لم يقصد به حقيقته وانما قاله لضرب من التأويل قصده فليس بكذب فان المعاريض مندوحة منه وانما سماه كذبا نظرا لما يظهر منه للمخاطب وخاف ان يؤاخذ به لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده وان مقامه يقتضى ان لا يدارى مخلوقا اويخافه والا فهو صلى لله تعالى عليه وسلم كسائر الانبياء معصوم من الكذب وغيره وعد منها فى مسلم قوله من الكواكب هذا ربى والمشهور خلافه لانه ذكره على طريق الالزام والجدل ويلزمه زيادة على الثلاثة وقد صرح بالحصر فيها فى بعض الروايات وقيل فى قوله انى سقيم انه كانت به حمى حقيقة لا تعد سقما وفيه نظر وسيأتى تفصيله فى محله ان شاء الله تعالى وهذا اعتذار منه عليه الصلوة والسلام

فى عدم الشفاعة (نفسى نفسى) اى انا مشغول بنفسى وتخليصها (لست لها) اى لست اهلا للشفاعة لغيرى (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما لزم من كلامه الاول من خيبة املهم ويأسهم من الشفاعة وعليكم اسم فعل والباء زائدة اى الزموه فانه اقدر منى واقرب الى الله وهذا تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين مزيته عليه بقوله (فانه كليم الله) اى انه كلم الله فى الارض شفاها من غير واسطة فهو اقوى على الشفاعة منى (وفى رواية اخرى فانه عبد اتاه الله التورية) التى هى اعظم الكتب الالهية قبل القرأن (وكلمه) بيان لكونه كليما او المراد اوحى الله اليه كلامه (وقربه نجيا) اى جعله قريبا منه حال كونه نجيا له اى مناجيا ومخاطبا له والقرب ليس مكانيا بل رتبيا (قال فيأتون موسى) عليه الصلوة والسلام (فيقول لست لها) اى لست اهلا للشفاعة لكم (ويذكر) موسى (خطيئته التى اصاب) اى التى وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله ما اعجلك عن قومك ياموسى كما هو مبين فى التفسير (وقتله النفس) وهو القبطى الذى استغاثه الاسرائلى عليه فوكزه موسى فمات ولم يكن عامدا لقتله وانما هو لدفع الصائل ومثله جائز لكنه عليه الصلوة والسلام خشى المؤاخذة به ولذا استغفر منه وعده من فعل الشيطان فلا ينافى هذا عصمته عليه الصلوة والسلام ثم قال كما قال غيره (نفسى نفسى ولكن عليكم بعيسى) عليه الصلوة والسلام (فانه روح الله وكلمته) تقدم بيانه مفصلا (فيأتون عيسى) عليه الصلوة والسلام (فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد) بدل مجرور لا صفة كما قيل لانه نكرة ويجوز رفعه ونصبه وفى نسخة فانه عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) اى غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاتب عليه وان لم يكن معصية لعصمته من الذنوب ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه (فاوتى) بالبناء للمفعول اى فيأتينى اهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم (فاقول لهم انا لها) الفاء فصيحة اى فيسئلونى ان اشفع لهم فاقول لهم انا اهل الشفاعة مدخرلها (فاستأذن على ربى) اى اطلب منه ان يأذن لى فى القرب منه والشفاعة للناس (فيؤذن لى) بالبناء للمجهول اى يأذن الله لى فى الدخول الى مكان لايقف فيه داع الا اجيب وهو موقف ليس بينه وبين الله فيه حجاب وانما لم نقل من موقف العرض والحساب الى موقف اخر لان الموقف الاول محل سياسة وخوف والثانى موقف كرامة ولطف ورحمة فهو ادل على قبول الشفاعة واطمئنان قلب الشفيع (فاذا رأيته وقعت ساجدا) اى اذا رأى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه عيانا سجد تعظيما لله وشكرا لله على تقريبه له وفيه دليل على وقوع رؤية الله فى الآخرة (وفى رواية فاتى تحت العرش) اى اتى انا مكانا تحت العرش قريبا منه (فاخر ساجدا) اى اقع واسقط فى ذلك المكان ساجدا لله سجدتين وقال الراغب خر بمعنى سقط سقوطا يسمع معه صوت كصوت خرير الماء والريح وغير ذلك مما يسقط

من علو وقوله خروا سجدا تنبيه على اجتماع امرين السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله تعالى * وسبحوا بحمد ربهم * تنبيه على ان ذلك الخرير كان تسبيحا بحمد الله لا بشئ آخر انتهى وقال التلمسانى هذا المكان الذى يأتى له صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى فحصة العرش وهى دار عظيمة وجنة هى اوسع الجنان واكثرها بساتين يجتمع فيهما اهل الجنة لرؤية ربهم فى كل جمعة ولم تعد الا لرؤيته تعالى واكرام من اكرمه الله برضوانه ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه عن الحلول والمكان وفى المشارق بدل قوله فاوتى فيأتونى وفى شرحه للكازرونى انه سمع بتشديد النون وبه ضبط قال البرهان ومقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما فى مسند احمد وقيل مقدارها سبع سنين فانظره (وفى رواية فاقوم بين يديه) اى بين يدى الله تعالى وهو تمثيل لشدة القرب منه وتصويره وقيل الضمير للعرش وهو بعيد ركيك (فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن) اى لا احسنها ولا اعرف كيفيتها فى الدنيا (الا ان يلهمنيها الله) اى الا ان يوقعها الله فى قلبى بالهام منه والهام الانبياء عليهم الصلوة والسلام نوع من الوحى وهو فى غيرهم ليس بحجة لانه لا ينبنى على دليل (وفى رواية فيفتح الله على من محامده) هو قريب معنى من قوله يلهمنى لان الفتح ازالة الاغلاق الحسى كفتح الباب والقفل ثم شاع فى حصول الشئ ابتداء من غير عسر (وحسن الثناء عليه) هو عطف تفسير لما قبله (شيئا لم يفتحه على احد قبلى) مطلقا والمراد انه لم يتيسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده ففيه اكتفاء (قال فى رواية ابو هريرة فيقال لى) وانا ساجد (يا محمد ارفع رأسك) من السجود (وسل) ما شئت من الشفاعة وغيرها (تعطه واشفع تشفع) والفعلان مجزومان فى جواب الامر (فارفع رأسى فاقول يارب امتى يارب امتى) اى ارحم او انج امتى وفى رواية تأتى امتى امتى بدون قوله يارب وهو معنى الرواية الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل النداء اى يا امتى وناداهم ليأتوه ويكونوا معه لينجوا بما هم فيه وانما خصهم على ان هذه الشفاعة هى الشفاعة العظمى الشاملة لسائر الامم اعتناء بهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحذف الفاعل لضيق المقام وشدة الاهتمام بتعجيل خلاصهم ولذا كرر (فيقول) الله له بعد رفع رأسه (ادخل من امتك) اى ائذن له فى دخول الجنة (من لا حساب عليه) اى خواص امتك المتقين الذين لا ذنب لهم يحاسبون بسببه (من الباب الايمن من ابواب الجنة) الذى هو اشرف ابوابها وهو الباب الثامن وهو مخصوص باتقياء هذه الامة (وهم) اى الذين لا حساب عليهم (شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) وهى باب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين وباب الراضين وباب الصلاة كما بينه المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم

(ولم يذكر فى رواية انس هذا الفصل) الذى فى رواية ابى هريرة من قوله فيقال يامحمد ارفع رأسك الى هنا (ثم قال مكانه) وفى نسخة وقال مكانه اى اتى به بدلا منه (فاخر) وفى نسخة ثم اخر (ساجدا فيقال لى يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه) الضمير لما سأل اوهو هاء سكت للوقف (فاقول يارب امتى امتى فيقال انطلق) امر اى اذهب من مقام الشفاعة المقرب به (فمن كان فى قلبه مثقال حبة من بر اوشعير) المثقال بكسر الميم وسكون المثلثة معناه موازن ومواز لانه يقابله ليعرف مقدار ثقله فعبر به عن مطلق المقدار ومن بر الى آخره بيان للحبة وهى واحد البر المعروف وقوله (من ايمان) بيان لمثقال اى من كان فى قلبه اقل قليل من الايمان والموزون صحف الاعمال اوهى نفسها بناء على جواز تجسيم الاعراض وامور الآخرة لاتقاس بامور الدنيا (فاخرجه) بقطع الهمزة امر من الاخراج معطوف على الامر قبله (فانطلق فافعل) ماامرنى به الله من اخراج من فى قلبه اقل قليل من الايمان وهذه الشفاعة ان كانت هى الشفاعة العظمى فالمراد باخراجهم تخليصهم من هول الموقف وكربه وان كان المراد ما بعدها فالمراد اخراجهم من النار وانطلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من مقام القرب الذى وقع فيه الشفاعة كما تقدم ولذا قال (ثم ارجع الى ربى فاحمده بتلك المحامد) التى الهمنيها كما تقدم (وذكر مثل الاول) اى مثل الكلام الاول فى قوله فاخر ساجدا الخ (وقال فيه) اى فى الحديث الذى رواه مسلم (مثقال حبة من خردل) وهو حب معروف فى غاية الصغر والمعنى واحد فى كونه كناية عن غاية قلة الايمان (قال فافعل ثم ارجع الى ربى وذكر مثل ماتقدم وقال فيه) كما رواه مسلم (من كان فى قلبه ادنى ادنى ادنى) وهو افعل تفضيل من الدنو واصل معناه القرب فى المكان اوالزمان اوالمنزلة كقوله تعالى قنوان دانية ثم عبر به عن الاقل ويقابل بالاكثر وعن الاصغر ويقابل بالاكبر وعن الارذل ويقابل بالخير كما قال تعالى اتستبدلون الذى هوادنى بالذى هوخير وافعل هنا مضافة لما بعدها للمبالغة اى اقل من الاقل وفى صحيح مسلم من رواية انس تكرير لفظ ادنى ثلاثا وهو كذلك فى بعض نسخ الشفاء وفى بعضها كرر مرتين ووقع كذلك فى صحيح البخارى من رواية الكشميهنى وقوله (من مثقال حبة من خردل) بيان لادنى الادنى وقوله (فافعل) اى اخرج من فى قلبه اقل قليل من الايمان (وذكر فى المرة الرابعة) من رجوعه الى ربه ومراجعته له فى الشفاعة فانه وقع مرارا فى رواية البخارى وفيما ذكر دلالة على ان الايمان يزيد وينقص فان قلنا بدخول اعمال الطاعة مطلقا اوالفرض فهوظاهر وان قلنا انه لمجرد التصديق القلبى فاختلف فيه فقيل لايقبله فانه لايقبله الا باحتمال النقيض وهو كفر وذهب العضد وغيره من المحققين الى انه يقبله ايضا فان اعتقادنا وتصديقنا ليس كتصديق الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتفاوته باعتبار قبوله

التشكيك وعدمه وتحقيقه فى الكتب الكلامية (فيقال لى ارفع رأسك وقل تسمع) اى تجب ويقبل رجاؤك (واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يارب ائذن لى فى) الشفاعة واخراج (من قال لا اله الا الله) اى من نطق بكلمة التوحيد والظاهر انه مع اعتقاده لذلك اعتقادا ما من غير مناقشة له وتفتيش عن حاله فاقيل من انه ان اعتبر تصديق لقلب اللسان فهو كمال الايمان فاوجه الترقى من الادنى المؤكد وان لم يعتبر دخل فيه المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر (قال) اى الله تعالى (ليس ذلك اليك) اى ليس ذلك مفوضا اليك بل الى (ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى) قسم دال على تحقق المقسم عليه والعزة الغلبة والقهر والكبرياء بمعنى الترفع عن الانقياد والعظمة ظهور ذلك وزيادته وهى متقاربة (وجبريائى) بالمد مضاف لياء المتكلم وجيمه مكسورة وجوز فتحها وياؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومد لمشاكلة الكبرياء ورد بانه سمع كذلك من غير ازدواج وهو والجبروت بفتح الباء وسكونها بمعنى وتاؤه للمبالغة كالملكوت (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) من غير شئ زائد عليه واستدل بهذا الكرامية على ان مجرد النطق بكلمة الشهادة كاف فى صحة الايمان لاحتجاجهم فيه وفيه رد على من قال بخلود اصحاب الكبائر من المعتزلة وما خص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باخراجه من اعمر ايمانه مزيد يقين اوعمل ما وما اخرجه رب العزة من تجرد ايمانه عن كل شئ عداه ويدل له قوله فى حديث الشيخين الذى فيه لم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط يعنى غير قولهم لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ورد فى رواية اخرى وقوله من قلبه للتأكيد كنظرت بعينى وسمعت باذنى (ومن رواية قتادة عنه) اى عن انس رضى الله تعالى عنه (قال) اى انس لا النبى صلى الله عليه وسلم كما توهم لان الشك فى قوله (فلا ادرى فى الثالثة والرابعة) انما هو من الراوى والمراد بالثالثة والرابعة مرات مراجعته ربه وانطلاقه لاخراج المشفوع لهم قيل فى هذا الحديث اشكال لان اوله يدل على ان هؤلاء اهل الموقف والمحشر وآخره يدل على انهم دخلوا النار واخرجوا منها بشفاعته واجيب بانهم صاروا فرقتين فرقة فى المحشر شفع لهم فلم يدخلوها وفرقة دخلوها ثم اخرجوا منها بشفاعته ففى الكلام اختصار وطى (فاقول يارب مابقى فى النار الا من حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود) اى لم يبق بعد هؤلاء الخارجين الا من حكم الله فى القرآن بخلوده فى العذاب ولم يؤذن فى الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى * ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * اى شفيعا وقوله ان الله لايغفر ان يشرك به * ونحوه من الآيات كقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا (وعن ابى بكر) الصديق (وعقبة بن عامر وابى سعيد) الخدرى الصحابى المشهور (وحذيفة) بن اليمان (مثله) اى مثل الحديث السابق (قال) ان قال كل واحد منهم

اوالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيأتون محمدا
يأباه ظاهر اذ الظاهر ان يقول يأتونى اى يأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مراجعة
الانبياء وذكرهم العذر فى عدم الشفاعة لهم والآتون هم اشرف اهل المحشر
من اتباع الرسل وقال الغزالى فى الكشف انهم العلماء العاملون يلهمهم الله
تعالى طلب ذلك من الانبياء قال وبين اتيانهم لكل نبى وآخر بعده الف عام لكن
قال الحافظ ابن حجر هذا التعيين للازمن لم اقف له على اصل وقد اكثر فى كتبه من
مثله فلا تغتر به انتهى (فيؤذن له) اى يأذن الله تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
فى الشفاعة (وترسل الامانة والرحم فيقومان عن جنبتى الصراط) اى ناحيته يمنة
ويسرة واحده جنبة بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم القرابة
واصلها مقر الحمل يعنى انهما يمثلان او يجسمان بقدرة الله تعالى ليشهدا على الخائن
وقاطع الرحم وخلافهما وقيل المراد بالامانة العظمى التى فى قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال وهى التوحيد والاقرار به فى عالم الذر التى فطر
الناس عليها او الرحم هى المذكورة فى قوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام
وهذا لتعظيم امر الله وشفقته على خلقه وفى هذا ونحوه مما بلغ حد التواتر المعنوى رد على
المعتزلة المنكرين للصراط كما بين فى الكتب الكلامية ورأى يحيى بن اليمان رجلا
نائما وهو اسود الرأس واللحية شاب فاستيقظ وهو ابيض شعر الرأس واللحية فاخبره
انه رأى فى منامه كان الناس قد حشروا واذا بنهر من نار وجسر يمر عليه الناس
فدعى فدخل الجسر فاذا هو كحد السيف يمور به يمينا وشمالا فشاب من ذلك (وذكر
فى رواية ابى مالك عن حذيفة فيأتون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع لهم)
فى الخلاص من الموقف وهوله نسأل الله السلامة (ويضرب الصراط) اى يوضع
كما ورد فى رواية اخرى وعبر به فيما يأتى من ضرب الخيمة اذا نصبها وعبر بالضرب
لدق اوتاده واطرافه وتوهم بعضهم ان الضرب بمعنى الجلد فقال ان ضربه
يشعر بمرور الصراط نفسه مع من عليه فان كان المراد مرور من عليه فضربه
لاستعجالهم وتخويفهم وهذا مما يقضى منه العجب وهو جسر ممدود اى منصوب عليها
للعبور المسلمين عليه الى الجنة وعن الفضيل ابن عياض قال بلغنا ان الصراط مسيرة
خمس عشر الف سنة خمسة الاف صعود وخمسة الاف مستوى لا يجوز عليه
الا ضامر مهزول من خشيته عز وجل وهذا معضل لا يثبت فتأمل نفسك اذا
جزت على الصراط ووقع بصرك على جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار
وزفيرها وسوادها وسعيرها وكيف بك اذا وضعت احدى رجليك عليه فاحسست
بحده ثم اضطررت الى ان ترفع القدم بعد القدم والخلائق بين يديك يزلون

والزبانية تلتقطهم بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر الى ذلك فياله من منظر
ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه نسأل الله السلامة والاعانة والعافية
انتهى وهو على متن جهنم ادق من الشعرة واحد من السيف او الموسى وعند ابن المبارك
وابن ابى الدنيا عن سعيد بن هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض
الناس ولبعض مثل الوادى الواسع وهو مرسل معضل انتهى كما ورد فى الحديث
وما قيل انه شعرة من عين مالك لا اصل له وانما هو من اكاذيب الوعاظ واصحاب
القصص والصراط بالصاد والسين والزاى كما بين فى اللغة وكتب التفسير وعلم
القراآت (فيمرون) اى يمرون الناس عليه فمنهم من يقع فى النار ومنهم من ينجو
وهم فرق (اولهم كالبرق) فى السرعة من غير مهلة ومشقة (ثم كالريح والطير)
فى السرعة مع الزمان الممتد اكثر من الاول (وشد الرجال) بالجيم جمع رجل ضد المرأة
كما صحح فى النسخ والشروح وصحح العر فى تلميذ المص رواية عنه كما نقله التلمسانى
انه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهى رواية ابن ماهان والمراد به هنا البعير فقد
ذكر بعضهم ان الرحل ما يوضع على البعير ويعبر به تارة عن البعير انتهى فما قيل
ان روايته بالحاء المهملة خطأ خطأ وان كان لا يخلو من التكلف وفى بعض الشروح
هنا ما يتعجب منه ولا حاجة لنا بايراده والشد سرعة الجرى وقال الراغب انه مستعار
من قولهم اشتد الريح وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم)
فى هذا الحديث يعنى به نفسه على طريق التجريد المعروف فى علم البديع (على
الصراط) يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم
وقف عنده لكنه لقربه منه كالواقف عليه (يقول اللهم سلم سلم) جملة حالية
تدل على اعتنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بهم والدعاء لهم بالسلامة من الوقوع
فى جهنم (حتى يجتاز الناس) يجتاز افتعال من الجواز وهو المرور وهو غاية لقوله
اى لا يزول يقوله حتى يمروا او علة له اى قوله حتى يسلموا فيمروا والناس اعم من امته
وذكر آخرهم جوازا الحديث اى ذكره اى سمى آخر من يمر على الصراط قيل هو
هناد وقيل جهينة وقيل هما واحد واحدهما اسم والآخر لقب والذى رأيناه ان
جهينة آخر من يخرج من النار وعند جهينة الخبر اليقين كما ذكر فى كتب الحديث
وفى شرح التلمسانى قيل آخر من يخرج من النار هناد ولم يقع اسمه فى الصحيح وروى
ان الحسن قال يا ليتنى كنت هنادا فقيل انما تمنى هذا لانه علم انه قطع له بخاتمة الايمان
فى الحديث وقيل لانه بدخوله الجنة كملت النعمة على اهلها لانهم كالجسد الواحد
انتهى (وفى رواية ابى هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ) هذا مما رواه الشيخان فهو
اول من يجيز امته من الرسل وهو يقتضى ان المراد بالناس السابق امته وانهم اول الامم
جوازا على الصراط فله صلى الله تعالى عليه وسلم قصب السبق فى كل امر فهو

اول من نبي فى عالم الارواح والذر واول من يشفع واول من يفتح باب الجنة واول من يدخلها و اول من يجيز امته على الصراط و يجيز مضارع ولبس بمعنى جاز كما قيل (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (توضع للانبياء) عليهم الصلوة والسلام فى ارض المحشر (منابر من نور) جمع منبر اى كرسى مرتفع (يجلسون عليها) والناس وقوف على اقدامهم اكراما لهم وتمييزا لهم عمن عداهم برفعه مقامهم ليسر المؤمن بهم و يخزى من كفر (ويبقى منبرى) خاليا عنى (لا اجلس عليه) حال من المضاف وقوله (قائما) حال من فاعل اجلس فهى متداخلة لاحال بعد حال (بين يدى ربى منتصبا) اى قريبا منه تعالى قربا معنويا تنزهه عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل وقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع جلوس غيره من الانبياء فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة الى انه من المقربين فى حظائر القدس الناظرين فى امور غيرهم عند ربهم ولذا فرع عليه قوله (فيقول الله ما تريد ان اصنع بامتك) لما فيه من الدلالة على زيادة محبته واكرام اتباعه بما هو فى صورة الاستشارة له (فاقول يارب عجل حسابهم) اى قدم النظر فى امورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول الموقف ويدخل الجنة من هو داخلها منهم ويعلم من عذب منهم عدم خلوده فى النار فلا منافاة بين هذا وحديث من نوقش الحساب عذب ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لايحاسب احد يوم القيمة لادخل الجنة (فيدعى بهم) اى بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبنى للمجهول كقوله (فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) تعالى من غير شفاعة لغلبة حسناته على سيئاته ولطف الله تعالى به (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى) له وذلك رحمة ايضا (ولا زال اشفع) فى العصاة (حتى اعطى صكاكا) عناية او علة لاستمرار شفاعته وامتدادها وصكاك بالصاد المهملة وكاف جمع صك كصكوك واصك وهو الورقة التى تكتب للمصالح والعرف خصها بحجة القاضى وهو معرب جك بالجيم المعجمة (برجال امر بهم الى النار) فهى متعلقة بهم فكانها ترسل خلفهم بعد ذهاب ملائكة العذاب بهم وامر مبنى للمجهول اى امرهم الله باخذهم ليدخلوها او باخراجهم بعد ما دخلوها (حتى ان خازن النار) الملك الموكل بها وهو مالك والمراد خزنتها فيشمل مالك واتباعه (ليقول) لما رأه من كثرة انقاذه لمن امر به (يا محمد ما تركت لغضب ربك فى امتك من نقمة) الغضب ارادة الانتقام والنقمة بكسر اوله العذاب اى لم تدع احدا ممن استحق العذاب يعذب وحتى هنا ابتدائية (ومن طريق زياد) بن عبد الله البصرى (النميرى) بالتصغير نسبة الى نمير قبيلة سميت باسم ابيها وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لايحتج به وهذا الحديث رواه البيهقى وابو نعيم فى الحلية

(عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض) اى تنشق والفلق شق الشئ وابانة بعضه من بعض قال تعالى فالق الاصباح (عن جمجمته) بضم الجيم الاولى والثانية وهى الرأس او قحف الرأس وعظمه الذى فيه الدماغ وخصها لانها اول ما يظهر منه (ولا فخر) اى لا اقول هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل بيانا لما انعم الله به على وتحدثا بنعمته ولا ينافيه ما ورد فى الحديث * لاتفضلونى على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى اخذ بساق العرش لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل علمه بانه سابق عليه فى البعث وانه لايلزم منه افضلية موسى عليه فتأمل (وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر) المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم واشرفهم فى الدنيا والآخرة وخص الثانى بالذكر لعدم اعتداده بغيره اولانه يعلم منه بالطريق الاولى او لانه مسلم لاينكر كما مر (ومعى لواء الحمد يوم القيمة) اى معى لواء موضوع عندى او هو بيده صلى الله تعالى عليه وسلم على عادة العرب فى اخذ رئيس اللواء والمراد لواء الرياسة العظمى الذى يحمده و يغبط به سائر الخلق لتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم به وهو على حقيقته او كناية عن تقدمه على غيره (وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر) اى يفتح له بابها وفى نسخة ابواب الجنة (فآتى فآخذ بحلقة) باب (الجنة) بسكون اللام كما مر اى امسكها واحركها حتى يسمع خزنتها (فيقال من هذا) الذى دق الباب (فاقول) انا (محمد فيفتح لى) لعلمهم بانه اذن له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك (فيستقبلنى الجبار تعالى) اى فارى الله عيانا بعد الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه يوم جزاء وانتقام كما مر ان الله غضب فى ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده (فاخر له ساجدا) لما شاهده صلى الله عليه وسلم من عظمة الله تعالى وانعامه عليه وتجليه له برؤيته ورضوانه (قال السنوسى فى هذا تمثيل بجعله كمن قدم على ملك عظيم فى سلطانه وكرسى مملكته ودار كرامته فاستقبله لما قدم عليه تشريفا له واظهار العظمة مقامه عنده وتطمينا له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وجبروته واستغنائه عن خلقه فلا يتوهم ان المقام يناسب ان يقال استقبلنى الرحمن لا الجبار (وذكر نحو ما تقدم) من حمده بمحامد لم يكن حمده بها قبل (ومن رواية انيس سمعت رسول الله عليه السلام يقول) بالتصغير وفى بعض النسخ انس مكبر والصحيح الاول وهو صحابى انصارى اشهلى ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب وروى عنه شهر ابن حوشب ولم ينسبه وذكر حديثه هذا الطبرانى فى الاوسط وقالوا اسناده ليس بقوى وقول بعضهم يؤيد ضعفه تعلق الشفاعة بما لايعقل من الشجر والحجر سهو لان معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر) انه يشفع لناس اكثر عددا من عدد الشجر والحجر لا ما توهمه والعجب ممن اعتذر له بانه لايبعد

ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم الجمادات فرقا من نار جهنم وزمهريرها (فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار) اى اذا سمعت ماتقدم من الاحاديث مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف الفاظها فى شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير المقام المحمود الذى وعده الله تعالى به تبين لك من مجموعها (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه المحمود) بالنصب عطفا على اسم ان وخبرها قوله الآتى من حين الى آخره فلا يتوهم انه لاخبر لها مذكور وانه مقدر وقوله (من اول الشفاعات الى آخرها) بيان لمقامه المحمود وفيه اشارة الى تعدد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال القرطبى انها اربعة وفى الحديث زيادة عليها وهى شفاعته العظمى فى الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول اهل الجنة الجنة وللمذنبين فى العفو عن ذنوبهم ولمن امر به الى النار ولمن قال لا اله الا الله ولاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات اهل الجنة كما مر جميع ذلك (من حين يجتمع الناس للحشر) هذا خبر ان ومن ابتدائية (وتضيق بهم الحناجر) هذا كناية عن شدة الهول والكرب والحشر جمع الناس فى المحشر والنشر الخروج من القبور بعد الاحياء والحناجر جمع حنجرة وهى الحلقوم او طبقتان منه مما يلى الغلصمة اورأسه او المراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته لتراكم الغم والهم حتى يبلغها كما قال الله تعالى * اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين (ويبلغ منهم العرق) بفتحتين وهو معروف (والشمس والوقوف مبلغه) اى نهايته التى يمكن بلوغها والوصول اليها وفى الحديث يكون عرق الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه لكعبه ومنهم من يكون لركبته ومنهم من يزيد حتى يلجمه قالوا وهذا امر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا فى الماء فى مكان مستو يكون تغطية الماء لهم على السواء ومبلغ الشمس قدر ميل وهذا ايضا خارق للعادة فان الشمس الآن فى سماء الدنيا كما انهم عراة ولا يرى احدهم عورة غيره (وذلك قبل الحساب) الاشارة الى اجتماعهم للحشر (فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف) اى حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك مبلغه (ثم يوضع الصراط) السابق ذكره ومر انه ادق من الشعر واحد من السيف (ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث) الذى تقدم ذكره (عن ابى هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن) اى اكثر اتقانا من غيره (فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه) من اتقياء امته ويشفع معلوم او مجهول لكونه معلوما (الى الجنة) متعلق بتعجيل (كما تقدم) من دخولهم من الباب الايمن (ثم يشفع شفاعة ثانية (فيمن وجب عليه العذاب) اى تحقق فالوجوب ليس على ظاهره (ودخل النار منهم) كما تقدم (حسب) بسكون ثانيه وفتحه ونصبه على المصدرية او الظرفية اى على وفق ومثل (ماتقتضيه الاحاديث الصحيحة) السالفة (ثم) يشفع

(فيمن قال لا اله الا الله) خالصا مخلصا من قلبه كما تقدم فان قلت هذا ينافى ماتقدم من قوله فاقول يارب ايذن لى فيمن قال لا اله الا الله فيقول ذلك ليس اليك قلت اجيب عنه بانه ليس فيه الا ان اخراجهم من النار مفوض الى الله لا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا ينافى اخراجهم بشفاعته وفيه خفاء وقد يقال المذكور شفاعته فقط وقيل المراد من اثمر توحيده زيادة طمأنينة له والسابق المفوض لله تعالى من تجرد توحيده عما عداه (وليس هذا) اى الشفاعة فيمن قال لا اله الا الله (لسواه) من الشفعاء (وفى الحديث المنتشر) اى الشايع ولا يلزم منه صحته فلذا قال (الصحيح) الذى رواه الشيخان (لكل نبى دعوة يدعو بها) تقدم ان المراد بها دعوة لجميع امته لا مخصوصة به او ببعض امته والا فللانبياء عليهم الصلوة والسلام دعوات كثيرة مستجابة بل لبعض اممهم بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (واختبأت دعوتى شفاعتى لامتى يوم القيامة) واشار المصنف رحمه الله تعالى الى جواب آخر بقوله (وقال اهل العلم معناه) اى معنى هذا الحديث المقصود منه (دعوة اعلم) بضم الهمزة وكسر اللام مبنى للمجهول اى اعلمه الله وروى اعلموا بالبناء للمجهول اى الانبياء وعلى الاول النائب للفاعل ضمير مستتر وقوله (انها تستجاب لهم) مفعول ثان له اى يتيقنون اجابتها (ويبلغ فيها مرغوبهم) بالبناء للمجهول ومرغوبهم اى مطلوبهم الذى رغبوا فى حصوله واحبوه نائب الفاعل (والا) اى وان لم تقل ان معناه ماذكر بان يبقى على ظاهره وانه يستجاب له دعوة فقط كان مخالفا للواقع (فكم لكل نبى من دعوة مستجابة) اى اجاب الله تعالى دعاءه بها فى الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصا (منها ما لا يعد) من الدعوات المشاهد استجابتها (ولكن حالهم عند الدعاء بها) قبل تحقق اجابتها (بين الرجاء) لاجابتها (والخوف) من عدم قبولها (وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة) اى ضمن الله لهم قبولها يقينا وهذه هى الدعوة المذكورة فى هذا الحديث والجار والمجرور حال اى متيقنا اجابتها ثم اشار الى جواب آخر بقوله (وقد قال محمد بن زياد) الجمحى البصرى الثقة الذى اخرج له اصحاب الكتب الستة (وابو صالح) ذكوان السمان الثقة (عن ابى هريرة فى) تأويل (هذا الحديث) وتفسيره (لكل نبى دعوة دعا بها فى) حق (امته) وشانهم سواء كانت لهم ام عليهم (فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتى شفاعة) بالنصب اى لاجل الشفاعة (لامتى يوم القيامة وفى رواية ابى صالح) السابق ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه (لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته) فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لان المقام مقام بشارة يطلب فيه البسط (ونحوه فى رواية ابى زرعة) ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الامام الثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة وقد اختلف فى اسمه فقيل جرير وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل هرم وقيل

هذا وهم وانما هو هارم وقيل عمرو (عن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه (وعن انس مثل رواية بن زياد عن ابى هريرة) اى موافقة لها معنى واشار بكثرة طرقه الى صحته وقوة روايته ثم بين المراد بهذا الجواب و انه غير الجواب السابق بقوله (فتكون هذه الدعوة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا) اى ان لم يفسر الحديث بما ذكر لزم الخلف (فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سأل لامته اشياء من امور الدين والدنيا منع بعضها واعطى بعضها) فتبين انها ليست الدعوة الموعود بها وهذا اشارة لما فى الصحيح من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت الله عز وجل ثلاث خصال فاعطانى ثنتين ومنعنى واحدة منها سألته ان لا يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسألته ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسألته ان لا يلبسنا شيعا وفى رواية يذيق بعضنا بأس بعض فمنعها وهو المذكور فى سورة الانعام فى آية قل هو القادر على ان يبعث الخ ومن فسر الدعوة التى ادخرها بهذا فقد اخطاء وغفل عن قوله (وادخر لهم هذه الدعوة) بالدال المهملة المشددة اى جعلها ذخيرة مؤخرة (ليوم الفاقة) وهى الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيمة لاحتياج الناس فيه الى رحمة الله تعالى وشفاعة نبيه حيث لا ينفع غيره (وخاتمة المحن) جمع محنة بكسر الميم وهى البلية المحيرة يعنى هول الموقف اذ لا بلية بعده الا النار (وعظيم السؤال والرغبة) بالجر معطوف على يوم الفاقة او على الفاقة او جعل اليوم نفس محنة والرغبة عطف تفسيرى لما قبله او هو اخص منه ولما ذكر ما تفضل به النبى صلى الله عليه وسلم على امته الداخل فيهم دخولا اوليا ختم الفصل بدعائه له بقوله (جزاه الله تبارك وتعالى (ماجزى نبيا عن امته) اى بما جزاه او بمثله و فى نسخة احسن (وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا) دائما ابدا الى يوم الدين ولبعض الشراح هنا كلام طويل لاطائل تحته تركناه خوف السامة مع لا فائدة فيه والله تعالى اعلم ﴿ فصل فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾ على غيره (فى الجنة بالوسيلة) اصل الوسيلة امر يكون موصلا لامر تبتغيه كالهدية والتودد ونحوه قال الراغب الوسيلة التوسل الى الشئ برغبة وهى اخص من الفضيلة ولتضمنها معنى الرغبة عديت الى قال تعالى * وابتغوا اليه الوسيلة وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيلها بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة وهى كالقربة انتهى والمراد بها منزلة عالية فى الجنة كما سيأتى فهو مجاز من باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله تعالى فقد تسامح فى العبارة قال الزبيدى يقال وسل اذا تقرب لانها المقرب (والدرجة الرفيعة) اى المرتفعة العالية و الدرجة هنا المنزلة و اصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم وهذا تفسير لما قبله وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة لم ترد هذه اللفظة فى الدعاء الذى يدعى به عقب الاذان كما يفعله من لا خبرة له بالسنة فذكره فى الدعاء

لا اصل له (والكوثر) تقدم تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به نهر فى الجنة (والفضيلة) فعيلة من الفضل ضد النقص ثم ذكر المصنف شواهد لتفضيله فى الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وابو داود والترمذى واقتصر فى الرواية على ما فى ابى داود دون الترمذى ومسلم لقرب سنده الى الاول دونهما فقال (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) نسبة لتميم قبيلة وقد تقدمت ترجمته (والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد) تقدم ايضا (بقراءتى عليهما) لا بسماعى من لفظهما وفى نسخة عليه بالافراد وهذه اعلى من السماع من شيخه كما عابت (قالا حدثنا ابو على الغسانى) الجيانى السابق ذكره قال (حدثنا النمرى) بفتح النون والميم وهو الامام ابن عبد البر المتقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) قال (حدثنا ابو بكر التمار) بفتح المثناة الفوقية نسبة الى التمر المعروف وتقدم ان الاول عبد الله بن محمد ابن عبد المؤمن القرطبى و ابو بكر التمار تقدمت ترجمته ايضا قال (حدثنا ابو داود) الحافظ صاحب السنن وقد تقدم ايضا قال (حدثنا محمد بن سلمة) بفتح السين واللام وما فى بعض النسخ من انه مسلمة بميم فى اوله سهو من الناسخ وهو ابو الحارث محمد بن سلمة المرادى المصرى اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة مائتين وثمان واربعين قال (حدثنا ابن وهب) هو عبد الله بن وهب تقدمت ترجمته (عن ابن ابى لهيعة) بفتح اوله وكسر ثانيه وهو عبد الله الحضرمى ثم المصرى الامام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبى اذ ضعفه روى عنه مالك واصحاب السنن وتوفى سنة مائة واربع وسبعين (وحيوة) بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وواو وهاء وقياسه حية بالادغام الا انه لم يغير فرقا بين العلم وغيره وهو ابن شريح الحمصى ثم البصرى توفى سنة مائتين واربعة وعشرين وروى عنه اصحاب السنن (وسعيد بن ابى ايوب) ابو يحيى ابن مقلاص الخزاعى المصرى الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفى سنة احدى وستين ومائة (عن كعب بن علقمة) بن عمرو بن زيد بن جشم الانصارى الخزرجى الصحابى البدرى توفى سنة اربع وثلاثين وسنه سبعون سنة وفى بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الاول (عن عبد الرحمن بن جبير) القرشى مولى نافع الثقة توفى سنة سبع وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) السابق ذكره (انه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) حال وعبر بالمضارع للحكاية حتى كانه مشاهد حاضر (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول) من كلمات الاذان غير الحيعلتين فانه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفى قول عند الشافعية انه واجب و اذا تكرر سماعه تكفى اجابة الاول وفى فتاوى ابن عبد السلام انه يندب اجابة الكل والاول اصح وكذا فى الاقامة عند الشافعى ويقول عند قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها وعند

قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبررت قيل ولايلزم سماع جميعه ولا فهمه (ثم صلوا على) اى قولوا عقب الاجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب ايضا (فانه من صلى على) اى اتى بصيغة من صيغ الصلاة مرة بقرينة قوله (صلى الله عليه بها) اى بصلاته وضميرانه للشان (عشرا) لتضاعف احدة الحسنات (ثم سلوا الله لى الوسيلة) اى ادعوا الله لى بان يؤتينيها فقولوا اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها بقوله (فانها منزلة فى الجنة) اى مقام عال فيها اعلى مما عداه (لاينبغى) اى لايليق اعطاؤها (الا لعبد) عظيم جليل عند الله فالتنوين والتنكير للتعظيم (من عباد الله) الاشراف الاقربين فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هى اقرب منازل الجنة الى العرش واعلاها واشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو التقرب فان قلت ما وجه تخصيص الدعاء بها بعد الاذان قلت لما كان المؤذن يدعو الناس للصلاة وهى مقربة الى الله ومعراج المؤمنين وهذا مما من الله به علينا بارشاده وهدايته ناسب ان يجازى ذلك بالدعاء بالقرب من الله ورفعة المنزلة فان الجزاء من جنس العمل (وارجو ان اكون انا هو) ضمير الغيبة للعبد وانا مبتدأ وهو خبر والجملة خبر اكون واكون انا تأكيدا للضمير وهو خبر استعير ضمير الرفع للمنصوب اووضع موضع الظاهر والاصل اكون انا اياه وذلك خلاف الظاهر وتعبيره صلى الله عليه وسلم بالرجاء مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل عند ربه تأدبا وتشريفا لامته بالدعاء له وفيه دليل على جواز دعاء المفضول للفاضل ليفوز بالثواب كما اشار اليه بقوله (فمن سأل الله تعالى لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة) بالحاء المهملة وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب او غشيته ونزلت عليه من حل يحل كقعد يقعد وروى وجبت وروى له بدل عليه ولاحاجة لجعل اللام بمعنى على لان وجب يتعدى وليس المراد بالوجوب معناه المشهور بل التحقق والتيقن ولايستشكل بان الشفاعة للمذنبين وقائلها ليس بمذنب بل عابد لله تعالى لان الشفاعة انواع كما مر كالشفاعة فى دخول الجنة من غير حساب وفى رفع الدرجات وزيادة العطيات ولايختص هذا بمن قاله مخلصا مستحضرا لاجلاله صلى الله تعالى عليه وسلم بل يكفى فيه مجرد قصد الثواب الا انه ينبغى ان لايكون غافلا لاهيا واستحباب هذا لغير المصلى فرضا اونفلا فانما قاله فيها لابطل صلاته لانه ذكر الا فى قوله صدقت فانه من كلام الناس فتأمل (وفى حديث آخر) رواه الترمذى ايضا (عن ابى هريرة الوسيلة اعلى درجة فى الجنة) مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهى اقرب الى العرش من سائر المنازل وليس هذا معلوما من الحديث السابق الا انه المراد منه (وعن انس) فى حديث رواه البخارى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير فى الجنة) تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان سيره هذا كان مناما ويحتمل انه يقظة فى الاسراء (اذ عرض لى نهر)

اى فاجأنى عروضه اى ظهوره بمرورى عليه (حافتاه) اى جانباه وشطاه وهو بتخفيف الفاء المفتوحة وهو مبتدأ خبره (فيهما لؤلؤ مثل القباب) وفى نسخة حافتاه قباب اللؤلؤ جمع قبة المعروفة او هى بيت صغير تضرب العرب لتنزل فيه والجملة صفة نهر بسكون الهاء وفتحها والمراد انها لؤلؤ حقيقى او مثله فى الحسن والنضارة (قلت لجبريل ماهذا) النهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعرفه (قال هذا الكوثر الذى اعطاكه الله) اى وهبه لك فى قوله انا اعطيناك الكوثر وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه واوانيه ولذا فسره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالخير الكثير كما يأتى بمافيه وهو اصل معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر ودخلت عليه اللام للمح الاصل ووصل الضميرين المنصوبين اللغة الفصحى ولو فصل وقال اعطاك اياه جاز وورد فى صفته انه ابيض من اللبن واحلى من العسل كما يأتى (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ضرب) جبريل عليه الصلوة والسلام (بيده الى طينه) بالتنوين والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه بمنزلته وعلى صورته وضرب يده مجازا عن ادخالها فيه (فاذا يخرج مسكا) اى اخرج من قعره وارضه ليعرفه بفضله وان طينه مسك فليس كانهار الدنيا (و) روى (عن عائشة وعبد الله بن عمرو) بن العاص (مثله) اى مثل حديث انس المذكور (قال) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (ومجراه) بفتح الميم مصدر ميمى اى جرى هذا النهر اى يجرى مائه (على الدر والياقوت) الذى فوق طينه الذى هو مسك كما ان الانهار تجرى على طين وحصى فهذه طينه مسك وحصاه جواهر فلامنافاة بين كون مجراه على الجوهر وكون طينه مسكا كما مر (وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج) بفتح المثلثة وسكون اللام قبل الجيم وبفتحها مصدر ثلج صدرى بكذا اى بردانه منه ابيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع من العرب على خلاف القياس فلاينافى قول النحاة ان افعل التفضيل لايصاغ من الالوان كما مر ويجوز ان يكون صفة كاحمر واسود الا انه خلاف الظاهر وفى الحديث ان الله اعطانى نهرا يقال له الكوثر لايكاد احد من امتى يسمع خريره الاسمعه فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال ادخل اصبعيك فى اذنيك وسدهما فالذى تسمعه خريره نقله السهيلى وفى رواية ابيض من اللبن وكونه احلى من العسل لاينافى ان من انهار الجنة نهر من عسل (وفى رواية عنه فاذا هو) اى الكوثر (يجرى) جريا معتدلا (ولايشق شقا) جملة حالية من ضمير يجرى اى لايشق الارض بشدة جريه وكذا سائر انهار الجنة تجرى من غير ان تتخذ اخدودا كما قاله التلمسانى ويشق مبنيا للفاعل وقيل انه روى مبنيا للمجهول وقيل المراد انه يجرى معترضا لامستطيلا من قولهم شق البرق اذا لمع مستطيلا وهو بعيد لما ورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تظنون ان انهار

الجنة اخدودا لا والله انها السائحة على وجه الارض وقد يرجع ما ذكر اليه فيكون المعنى واحدا (عليه) اى على الكوثر (حوض) والظاهر انه بجانب قريب منه كما يقال مررت على زيد اى على مكان قريب منه والحوض معروف وقد قيل المراد بكونه عليه انه يمد منه لان عليه ميزابين يشخبان فيه من الكوثر الا انه بجانبه اذ هو فى الجنة والحوض خارجها للحديث الآتى ليردن على اقوام اعرفهم ولا يعرفونى ثم يحال بينى وبينهم فاقول انهم امتى فيقال لا تعلم ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدى فتأمل (ترد عليه امتى) اى يأتونه للشرب منه ولعله بعد الحساب والنجاة من النار (وذكر حديث الحوض) الآتى وهذا يدل على انه غير الكوثر وقد جاء فى بعض الاحاديث ان الكوثر هو الحوض والحق انه غيره على قول من اقوال عدة ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد (ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى روى عن ابن عباس ما يوافقه (وعن ابن عباس ايضا) اى فى رواية اخرى ذكرها البخارى (قال) فى تفسير (الكوثر الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه) تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتكريما وهذا بناء على انه فوعل من الكثرة مطلقا ثم خص الكثير من الخير وبالنهر الذى فى الجنة فان اراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة او بيان معنى عام خاص فى الحديث والآية فلا كلام فيه وان اراد تفسير ما فى الآية فالاحاديث الصحيحة وردت بخلافه وفى الآية ستة عشر قولا فقيل انه النهر السابق ذكره وقيل النبوة او الكتاب وقيل القرآن وقيل الاسلام وقيل تحقيقات الشريعة وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر وقيل نور النبوة المحمدية وقيل كثرة المعجزات وقيل الدعوات المجابة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه فى الدين وقيل الخمس صلوات التى خصت بها امته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الحوض والاصح انه نهر فى الجنة مخصوص (وقال سعيد بن جبير والنهر الذى فى الجنة من الخير الذى اعطاه الله اياه) يعنى انه على عمومه وهذا داخل فيه وهو المراد منه (و) يؤيده ما روى (عن حذيفة) ابن اليمان (فيما ذكره عليه الصلوة والسلام عن ربه) حيث يسنده له فى الحديث قال فيه (واعطانى الكوثر وهو نهر فى الجنة يسيل فى حوضى) الذى فى الموقف او بعد الصراط يسقى منه امته وفيه اشارة الى تفسيره بالحوض لان ماءه منه (وعن ابن عباس) فى حديث صحيح رواه ابن جرير بسنده وابن حبان (فى) تفسير (قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى) اى يعطيك الى ان ترضى بما اعطاه لك وتقر عينك (قال) من جملة ما اعطاه (الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك) اى هى من لؤلؤ وترابها من المسك فالضمير للقصور الذى دل عليها وقوله الف قصر (وفيه) اى فى كل قصر فاعاد الضمير عليه مفردا رعاية للفظه لان كل مفرد مذكر (ما يصلحهن) الضمير عائد عليه ايضا رعاية

لمعناه وقيل ضمير فيه عائد عليه نظرا للفظ قصر او لتأويله بما ذكرنا قبل ان صوابه فيهن لا وجه له والمراد ما يقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات والآلات كالاوانى كما اشار اليه بقوله (وفى رواية اخرى وفيه ما ينبغى له) اى فى كل قصر ما يناسبه ويليق به (من الازواج والخدم) بفتحتين جمع خادم وفعل جمع لفاعل ورد فى الفاظ ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواج جمع زوج او زوجة وذكر هذا هنا لمناسبته للمنزل والمقام وهذا الحديث رواه المصنف موقوفا على ابن عباس انه كان فاعل قال ابن عباس لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر ورواه الاوزاعى مرفوعا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال حدثنا اسمعيل بن عبد الله عن على ابن عبد الله بن عباس عن ابيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه ارى ما هو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل عليه والضحى والليل اذا سجى الى قوله فترضى فاعطاه الله عز وجل الف قصر الخ وقيل فى الآية انه اعطاه ما هو شامل لكل خير اعطاه ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه الا الله وتقدم انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذن والله لا ارضى وواحد من امتى فى النار وقد تقدم الكلام عليه

﴿فصل﴾ فى بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الرسل واعظمهم عنده وجرد من نفسه سائلا خاطبه بقوله (فان قلت) واتى بالفاء الاستئنافية اشارة الى نشأته مما قبله وترتبه عليه (قد تقرر من دليل القرآن) وفى نسخة فاذا تقرر اى تحقق وثبت واضافة دليل للقرآن بيانية او تخصيصية لا مية (وصحيح الاثر) اى الحديث وهو معطوف على القرآن او على دليل (واجماع الامة المحمدية (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اكرم البشر) اى اشرف بنى آدم (وافضل الانبياء) والرسل خاصة منهم ولم يقل اكرم الخلق لان قوله اجماع الامة يأباه لما فيه من خلاف المعتزلة فى خواص الملائكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك (فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل) بين الانبياء او الناهية بتفضيله عليهم (كقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان ورواه المصنف رحمه الله تعالى من طريق مسلم (فيما حدثناه) متعلق بقوله او حال منه (الاسدى) نسبة الى اسد قبيلته قال (حدثنا السمرقندى) تقدمت ترجمته (قال حدثنا الفارسى) عبد الغافر السابق ترجمته (قال حدثنا الجلودى) تقدم بيانه وبيان نسبته قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق ترجمته قال (حدثنا مسلم) الامام صاحب الصحيح المتقدم قال (حدثنا ابن المثنى) محمد ابو موسى البصرى توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين كما تقدم قال (حدثنا محمد بن جعفر) ابو عبد الله الهذلى البصرى الملقب بغندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفى فى ذى القعدة سنة ثلاث او اربع وتسعين

ومائة قال (حدثنا شعبة) ابن الحجاج ابن بسطام كما تقدم (عن قتادة) تقدم بيانه قال (سمعت ابا العالية) التابعى السابق ترجمته (يقول حدثنى ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما ابن عبد المطلب المشهور وهو احد العبادلة وغالب روايته عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لصغر سنه فى زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فيما رواه عنه بلا واسطة فقيل اربعة احاديث وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل عشرون حديثا (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ماينبغى) اى مايصح ولايجوز (لعبد) من عباد الله نبيا كان اوغيره (ان يقول انا خير من يونس بن متى) بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية والف مقصورة وهو اسم امه وقيل اسم ابيه وصحح كلا من القولين طائفة والاول اشهر كمامر وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلوة والسلام وكان بعد سليمان عليه الصلوة والسلام وقيل كان بينهما ايوب عليه الصلوة والسلام وكان قبل النبوة من عباد بنى اسرائيل فهرب ونزل بشاطى دجلة فبعث الله الى اهل نينوى من ارض الموصل وهو ابن اربعين سنة فضاق ذرعا بالرسالة فشكى ذلك لثلاث واعلمه انهم ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب واجل لهم اربعين يوما واعلمهم بالاجل فقالوا ان راينا امارات ذلك آمنابك وانصرفوا فلمامضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما غامت السماء بغيم اسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا من القرية باهلهم وفرقوا بين النساء واولادهن وضجوا الى ربهم فرحمهم فقبل توبتهم وساح يونس عليه الصلوة والسلام فى الارض ومر براع سقاه لبنا فقال له اقرأ على قومى السلام فقال له يانبى الله لااستطيع فان من كذب منا قتل فقال له ان كذبوك فشاتك وعصاك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا مقاله فشهد له الشاة وعصا فصدقوه وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل كان ميقاته ثلاثة ايام فانتظر يونس فخاف لانه من كذب ولم يقم بينة قتل فى شرعهم فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن يسير فسألوه عن سبب ذلك فقال ان عبدا ابق من ربه وانها لاتسير حتى يلقوه فى البحر فقالوا اما انت يانبى الله فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث مرات وسهم القرعة يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فالقوه فابتلعه حوت وغاص به الى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى فى الظلمات ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين* فنبذ بالعراء وهو سقيم كطير ممعوط لاريش له فانبت الله عليه شجرة يقطين استظل بها واصاب منها فيبست فبكى فاوحى الله اليه اتبكى على شجرة يبست ولاتبكى على مائة الف اوزيادة هلكوا فنادى ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين* واختلف فى مكثه فى بطن الحوت فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما

﴿ وقيل ﴾

وقيل ثلاثة وانما خص يونس بالذكر لما يعلم مما يأتى وهو خشية ممن سمع قصته ان يقع فى نفسه شئ لقلة صبره وعدم ثباته فى الشدائد ويأتى ان المنهى عنه تفضيل يؤدى الى تنقيص احد منهم ولذا قيل ان من قال انا خير من بعض الانبيا يخشى عليه الكفر ان لم يكن نبيا فان كان فلاينبغى له ذلك وهذا مخصوص بما اذا لم يكن لذلك وقاله افتخارا ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله (وفى غير هذه الطريق) المذكور آنفا (عن ابى هريرة قال يعنى رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (ماينبغى لعبد الحديث) اى اذكره الخ كما مر (وفى حديث ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الشيخان فى رجل من الانصار تنازع مع يهودى بالمدينة وبينه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فى اليهودى) اى فى رجل من اليهود ولم يذكروا اسمه (الذى قال والذى اصطفى موسى على البشر) اى اختاره وفضله على سائر بنى آدم من الانبياء وغيرهم (فلطمه رجل من الانصار) لم يذكروا من هو وفى سيرة ابن اسحق ان اسم اليهودى فنحاص (وقال) اى الرجل الانصارى (تقول ذلك) اى تفضيل موسى على البشر (ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا) جملة حالية اى مع وجود النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو افضل من موسى وغيره ولفظ اظهر جمع ظهر مقحمة اى بيننا (فبلغ ذلك) الذى قاله اليهودى والرد عليه (النبى صلى الله عليه وسلم فقال لاتفضلوا بين الانبياء) بالضاد المعجمة اى لاتقدموا على الحكم بافضلية بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سيأتى وجوز بعضهم ان يكون بالصاد المهملة اى لاتفرقوا وتميزوا بعضهم على بعض (وفى رواية لاتخيرونى على موسى) وهذه الرواية فى الصحيحين وسنن ابى داود والنسائى والنهى عن تفضيل يقع من غيره مؤد الى نقص اوعلى سبيل العصبية والتفاخر فلاينافى قوله انا سيد ولد آدم ولافخر وسيأتى تفصيله (فذكر الحديث وفيه ولااقول ان احدا افضل من يونس ابن متى) وفى هذا الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظماء الرسل اولى العزم فالتفضيل عليه اقوى فيما نحن بصدده فلاوجه لما قيل من انه كان ينبغى تقديم هذا الحديث على الذى قبله والحديث المذكور اوله استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم مقسما والذى اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودى والذى اصطفى موسى على العالمين فلطمه المسلم فذهب اليهودى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بما جرى بينهما فقال لاتخيرونى على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلاادرى احوسب بصعقة الطور او بعث قبلى ولااقول ان احدا افضل من يونس بن متى وكانت القصة فى عرض سلعة وقال البرهان لااعرف اسم اليهودى والمسلم اللاطم له وقال غيره اليهودى اسمه فنحاص

اى كما تقدم واللاطم ابو بكر رضى الله تعالى عنه الا ان قوله فى الحديث رجل من الانصار يأباه الا ان يقال الانصار هنا بمعناه اللغوى وهو خلاف الظاهر وهذه الصعقة هى المذكورة فى قوله تعالى * ويوم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله * وهذا هو الاستثناء المذكور فى الحديث فالصعق الاحياء والاخراج من القبور مجازا لان حقيقتها الصراخ مع غشى يخرمته وقبل المراد بها حقيقتها وانها فى عرصات القيامة بعد الحشر يوم الفزع الاكبر وقال ابن قيم الجوزية فى كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبى ان هذه الرواية دخل فيها حديث فى حديث ولذا استشكل عليهم والذى يزيح الاشكال ان الموت ليس بعدم محض بل ترحال وانتقال من حال الى حال والانبياء والشهداء احياء لكنهم غيبوا عنا فى مراقدهم فاذا نفخ فى الصور فمن مات حيى ومن كان حيا من الانبياء ونحوهم كالمغشى عليه صعق ثم افاق ولذا ورد فى حديث مسلم فاكون اول من يفيق فلذا تردد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى انه اول من تنشق عنه الارض وافاق ام موسى عليه الصلوة والسلام سبقه لانه حوسب بصعقة الطور فلم يغشى عليه ويصعق وهذه فضيلة لموسى عظيمة فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وان لم يلزم كونه افضل منه من سائر الوجوه فلذا خصه بالذكر وخص يونس لما مر وسئل امام الحرمين عن نفى الجهة ودليلها فقال دليلها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى لانه خاطب الله فى قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام قربه قاب قوسين على الرفرف فلم يكن ثمه اقرب من يونس (وعن ابى هريرة) فى حديث رواه البخارى (ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب) ذكروا فيه احتمالين ان يكون انا عبارة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى من فضلنى على يونس عليه الصلوة والسلام فقد كذب وان يكون انا عبارة عن القائل غيره اى اى احد من الناس قال انا خير من يونس لتوهمه انه فضله بعلمه وعبادته وغير ذلك من الفضائل لان احدا لا يبلغ درجة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد قالوا انه كفر وهذا يؤيد ان المراد الاول ويأتى بيان الثانى فى كلام المصنف رحمه الله (وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفى حديثه الآخر) اى حديث ابن مسعود الذى رواه مسلم وابو داود والترمذى (جاءه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية) اى يا افضل الخلق كلهم والبرية اى يا افضل الخلق كلهم والبرية بتشديد الياء من برأ يبرأ مهموزا بمعنى خلق من البرأ بمعنى التراب الا انه التزم فيه ابدال الهمزة ياء كما فى النهاية (فقال ذاك) وفى نسخة ذلك والاشارة فخير البرية (ابراهيم) الخليل عليه الصلوة والسلام وهو فى الحقيقة افضل البرية والرسل بعد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السيوطى انه متفق عليه (فاعلم) جواب الشرط فى قوله

فان قلت وهو شروع فى تحقيق المسئلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة فى التفضيل وعدمه (ان للعلماء فى هذه الاحاديث) الناهية عن التفضيل وما يخالفها (تأويلات) تقدم بعض منها وسيأتى تحقيقها (احدها انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم) بالبناء للفاعل او المفعول اى يعلمه الله وهذا دليل على ان قوله انا السابق عبارة عنه عليه الصلوة والسلام (فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيفه) اى اعلام به من الله واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل وكون التفضيل فى الحديث خاصا بموسى ويونس عليهما الصلوة والسلام فيه دلالة عليه فى الجملة فلا يرد ما قيل انه لا يقتضى المنع مطلقا فتأمله (وان من فضل بلا علم فقد كذب) لانه لا يطابق ما فى نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا تشديد فى النهى والا فاخباره على غلبة ظنه انه واقع لا يعد كذبا (وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضى تفضيله هو) لانه نفى لقوله وهو لا يدل على انتفائه فى نفس الامر وما كل ما يعلم يقال وضمير تفضيله هو للنبى صلى الله تعالى وعليه اى تفضيله على يونس اوليونس صلى الله تعالى على نبينا وعليه السلام (وانما هو فى الظاهر كف) اى امتناع او منع لغيره (عن التفضيل) بينهم وقد يكون لامر آخر (الوجه الثانى انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفى التكبر والعجب) بضم فسكون اى عجبه وخيلائه بنفسه ومدحها فانه كذلك فى الغالب والتكبر اظهار عظمته والعجب استحسانه لنفسه وسيأتيه والتواضع لين الجانب وخفض جناحه لغيره (وهذا) الجواب (لا يسلم من الاعتراض) الوارد عليه لانه يعد الاخبار بخلاف الواقع الذى هو كذب مذموم تواضعا قيل ولان نفى التكبر والعجب يقتضى ثبوتهما له وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم فى غيره من صلحاء امته ولا يخفى انه اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه صلى الله عليه وسلم كما تقدم (الوجه الثالث) ان مقصوده صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه (ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى) بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اى يجر ويوصل (الى تنقيص بعضهم) تفعل من النقص اى يقتضى وصفهم بما فيه نقص اعم وذم (او الغض منه) بفتح الغين والضاد المعجمتين المشدد المكسورة كالغضاضة وهى النقص والعيب واصله من غض الطرف والصوت وهو خفضه فاستعير لما ذكر وضمير منه للبعض وفى نسخة منهم ويفهم من هذا جوازه ان لم يؤد لما ذكر (لا سيما) اى خصوصا (فى جهة يونس عليه الصلوة والسلام) اى فى حقه ووصفه لان الجهة تطلق على الصفة ومنه موجهات القضايا ولا سيما عده النحاة من ادوات الاستثناء وليس هذا محل الكلام عليه (اذ اخبر الله عنه بما اخبر) فى قوله ولا تكن كصاحب الحوت الخ (لئلا يقع فى نفس من

لايعلم منه) اى لايعلم من يونس ومانقص من قصته (بذلك) اى بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله (غضاضة) اى نقص وحقارة يتوهمها من لاعلم عنده وعطف عليه عطف تفسير قوله (وانحطاط من رتبته الرفيعة) استعارة بتنزيل شرفه منزلة امر عال حسا نزل من علو الى سفل (اذ قال الله تعالى) حاكيا (عنه اذ ابق الى الفلك المشحون) اى خرج الى سفينة مملوءة بما فيها من الناس والمتاع والاباق هروب العبد من سيده حسن اطلاقه عليه اذ خرج بغير اذن ربه وقال تعالى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم (فظن ان لن نقدر عليه) اى لن نضيق عليه بالعقوبة ويؤيده انه قرئ مثقلا وتمثيلا لحاله بحال من ظن انا لانقدر عليه فى مراغمة قومه لعدم انتظاره لامرنا روى ان معاوية قال لابن عباس ايظن نبى ان لايقدر الله عليه فقال هو من القدر لا القدرة قال ابن برى اى من الارادة فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله حطيطته وقوله (لمن لاعلم عنده) بمعانى القرأن وماقيل فى تأويل هذه الاية متعلق به (حطيطته) اى نقصه (بذلك) ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل لظاهر الاية وقد نقل المفسرون فيه اقوالا فقيل معنى ذهب مغاضبا انه غضب من قومه لامر ربه وهذا خلاف الاولى اذ كان حقه الصبر كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى احد وغيرها فلا يذهب بغير امره ولذا قال الله تعالى له * ولاتكن كصاحب الحوت * واما قوله فظن ان لن نقدر عليه فقد تقدم تأويله وقيل احسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول البيضاوى انها خطرة شيطانية سبقت الى وهمه سميت ظنا للمبالغة مما لايليق ان يقال لعصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام عن مثله (الوجه الرابع منع التفضيل) بين الانبياء والرسل الذى افاده النهى الوارد فى الحديث انما هو (فى حق النبوة والرسالة) نفسهما لا الانبياء والرسل قال السنوسى فى شرح عقايده بعدما ذكر ما قاله المصنف ومما دل على عدم التفاضل بين الانبياء فى نفس النبوة وحقيقتها منع ان يقال ثبت لفلان النبى النصيب الاقل من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من العبارات التى تقتضى ان النبوة مقولة بالتشكيك ولاشك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل ذلك على ان حقيقة النبوة من المتواطئ المستوى افراده ولايلتفت الى من خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهى وفى ذكره ذلك فى النبوة دون الرسالة ايماء لفرق بينهما فى ذلك فتأمله وقريب منه قوله (فان الانبياء فيها) اى فى النبوة من حيث هى هى (على حد واحد) فرتبتها وقدرها متحد فيهم (اذ هى شئ واحد) اى متحد فى جميعهم (لا تفاضل) اى لا تزيد بعضا على بعض (وانما التفاضل) والتفاوت (فى زيادة الاحوال) اى العوارض الطارية عليها (والخصوص) اى ما خص به بعضهم دون بعض (والكرامات)

التى اكرم الله بها بعضهم (والرتب) الدنيوية والاخروية (والالطاف) اى العطايا التى اعطاها الله بعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر فهو استعارة هنا (واما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور آخر زائدة عليها) طارية ليست من نفس حقيقتها كما بيناه (ولذلك) لما ذكر من ان التفاضل لامر زائد كان (منهم رسل) غير اولى العزم (ومنهم اولو العزم من الرسل) والعزم القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه اولى به وبغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب الرسالة من الله بشريعته المأمور بالتبليغ فهو اخص من النبى على المشهور من الرسل بالكسر وهو تتابع الذر ومنه على رسلك اى تمهل وتثبت وقد اختلف فى اولى العزم والحزم منهم فقيل هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وهم اصحاب الشرايع وقيل اربعة نوح وهود وابراهيم ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل هود ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على نسق فى الاعراف والشعراء وقيل هم نوح لصبره على اذى قومه وابراهيم لصبره على النار واسحق لصبره على الذبح فى قول ويعقوب لصبره على فقد ولده ونور بصره ويوسف لصبره على السجن وايوب لصبره على الضر وقيل هم المأمورون بالجهاد وقيل نجباء الرسل المذكورون فى الانعام واختاره الحسن لقوله * اولئك الذين هدى الله الخ * وهذا مبنى على تفسير العزم ثم بين بعض ما وقع فيه التفاضل فقال (ومنهم من رفع) اى رفعه الله (مكانا عليا) وهو ادريس سبط شيث وجد نوح واسمه قديما اخنوخ رفع الى السماء او الجنة كما قاله المفسرون وكذا عيسى (ومنهم من اوتى الحكم صبيا) وهو يحيى اذ احكم الله عقله ونباه واتاه الحكمة وفهم التورية واكثر الانبياء نبى بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا فى عيسى ايضا (واوتى بعضهم الزبور) وهو داود وفى نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب فيشمل موسى وعيسى وادريس وشعيب وداود وقيل انه يكون مصدرا كما فى الحجة لابى على (واوتى بعضهم البينات) اى المعجزات الظاهرة الباهرة التى لم يؤتها احد قبله من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحوه مما فضله الله تعالى به وهو عيسى عليه الصلوة والسلام (ومنهم من كلم الله) من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور ولما رأى نارا (ورفع بعضهم درجات) غاية فضله بها على غيره وهذا اجمال لفضائل لم تذكر والمراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على من سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والانس والملائكة ومعجزاته الباقية الى يوم القيمة ومن اجلها القرأن وغيره مما يفوت الحصر (قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال) تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية)

هذا بيان لماقبله اوناظر لجميعه كما اشرنا اليه و قوله ثلاث انثه باعتبار الجماعة (قال
بعض اهل العلم) بالكتاب والسنة (والتفضيل المراد لهم هنا) عطف على مقدر
اوعلى ما تقدم وهنا اشارة لما ذكرقبله (فى الدنيا) متعلق بالتفضيل (وذلك بثلاثة
احوال) وفى نسخة اوجه (ان تكون آياته ومعجزاته ابهر) اى اقوى واغلب
من بهرضوءالقمرالكواكب اذاغلبها اواظهر (واشهر) عطف تفسيرله كانشقاق
القمر والقرأن وانفلاق البحر و انقلاب العصا حية (اوتكون) بالنصب (امته
ازكى واكثر) اى انقى واكثرمن غيرهم كنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى * كنتم
خيرامة اخرجت للناس * وقد ارسل للناس كافة (او يكون) بالنصب (فى ذاته
افضل) بزيادة علمه وخصاله المحمودة (واظهر) بالمعجمة اى اشهر و بالمهملة انقى
وانقى (وفضله فى ذاته) ونفسه (راجع الى ماخصه الله به) اى ماله ومعناه
(من كرامته) اى اكرام الله له بمآثر ومناقب عظيمة وهبها له (واختصاصه) بالجر
معطوف على مدخول الى اومن وقوله (من كلام) بيان لاختصاصه بمعنى ماخصه به
بغير واسطة كموسى و نبينا صلى الله عليه سلم (اوخلة) تقدمت وانها لابراهيم
اوله ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (اورؤية) عينا قبل دخول الجنة كما فى
المعراج (اوماشاء الله) واراده لهم غيرما ذكر (من الطاف) بفتح الهمزة اى
عطايا كما تقدم وفى نسخة الطافه بالاضافة (وتحف ولايته) اى تحف اولاها
لهم (واختصاص) بما حبهم به من قرة اعين لايعلمها الا هو (وقد روى)
بالبناء للمجهول وهذا رواه ابن ابى حاتم والحاكم فى مستدركه عن وهب بن منبه
وهو رجوع الى تنزيه يونس صلى الله تعالى عليه وسلم عماذكر من الاوهام (ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا) اى احمالا ثقيلة قال تعالى وتحمل
اثقالكم جمع ثقل كعنب و يسكن مقابل الخفة قال الراغب واصله فى الاجسام ثم
يقال فى المعانى كاثقله العزم والرزء وهو فى الانسان ذم فى اكثر المتعارف وقديكون
مدحا كقوله * تخف الارض اما بنت عنها * وتبقى مابقيت بها ثقيلا *
* حللت بمستقر الارض منها * فتمنع جانبيها ان تميلا * والمراد هنا المشاق
التى تكون فى تبليغ الرسالة (وان يونس تفسخ منها) الضمير للاثقال والاحمال
وتفسخ بالفاء والسين المهملة المشددة والخاء المعجمة تفعل من الفسخ اى تقطعت
اعضاؤه وتفككت لعدم طاقته صلى الله تعالى عليه وسلم بحملها يقال تفسخ
البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ ثيابه اذاازالها ومنه فسخ العقود عند الفقهاء
(تفسخ الربع) تفعل مصدر من الفسخ والربع بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة
والعين المهملة وهو الفصيل اى ولد الناقة الصغير الذى يولد فى الربيع و بعده
الهبع الذى يولد فى الصيف وتفسخ منصوب بالمصدرية لتفسخ اى تفسخ كتفسخة

اى لم يطق مشاقها ولم يصبر عليها وفى تشبيهه بالربع اشارة الى انه كان فى مبدأ امره
وفى قوله ثقالا استعارة تصريحية و فى تفسخ استعارة تصريحية تبعية ولاينافى
التشبيه و يجوزان تكون استعارة تمثيلية وهواحسن ثم بين مراده فقال (لحفظ رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) بنهيه عن التفضيل (موضع الفتنة) اى مايقع الناس
بسببه فى فتنة وامر محذور من تنقيص الانبياء عليهم الصلوة والسلام فجعله
كانه موضع لها تقرفيه (من الاوهام) التى يتوهمها من لا علم له وهومتعلق بحفظ
اى صانه مما يتوهم اوهو بيان لموضع (من يسبق اليه بسببها) اى المواضع اوالاوهام
وقيل المراد بسبب اثقالها من سام وضجر وقيل بسبب فتنة وقيل بسبب قصة يونس
عليه السلام (جرح فى نبوته) بفتح الجيم اى ذكرمالايليق بمقام النبوة ممايقتضى عدم
العصمة (اوقدح فى اصطفائه) اى ذم وتنقيص لكونه صفوة مختاراعندربه مفضلا
على غيره والقدح ذكرالمعايب والنقايص (وحط من رتبته) اى تنزيل له من علومقامه
(ووهن فى عصمته) اى عدعصمته فيها ضعف لما توهمه من ظاهر قصته السالفة
فلذا نهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه
لتساويهم فى حقيقة النبوة وان تفاوتت احوالهم وصفاتهم كما سمعته مفصلا
(شفقة منه) صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصب مفعول له اوعلة لحفظ (على امته)
اى يقع منهم ما لايليق بمقام النبوة فيكون لهم وزر يستحقون به سوء العاقبة
بسخط الله تعالى وعقابه (وقد يتوجه) اى يحصل توجيه آخر فى الجواب عما
او يتأتى وينبئ (على هذا الترتيب) اى على مارتبناه على النبوة من الاختصاص
بامور اكرمها الله تعالى بها (وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا) فى احاديث
السابقة (راجعا الى القائل نفسه) المذكور فى قوله لاينبغى لاحدان يقول فليس
المراد بضمير المتكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الوجوه المتقدمة اى (لايظن
احد) من الناس غيرالانبياء (وان بلغ من الزكاء) اى انه بلغ من الزكاء بالزاى المعجمة
اى الصلاح وزيادة الخير قال التلمسانى انه بخط المصنف رحمه الله تعالى هكذا ورواه
العرفى تلميذ المصنف بالذال المعجمة وهوالفطنة (والعصمة) اى الحفظ من الذنوب
وليس المراد بها ماخص به الانبياء وهى المذكورة فى قوله اسألك العصمة فى الخطرات
والسكنات ولذاجوز بعضهم الدعاء بها ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر فى فتاويه
والطهارة اى البراءة من الاوزار (مابلغ) اى مبلغا عظيما فما مصدرية اوموصولة
(انه خير من يونس) ابن متى وهذا معمول يظن المنفى (لاجل ماحكى الله عنه) تعليل
لظنه اى ماقصه فى قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه لتماديهم فى غيهم
وعدم اجابتهم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم للايمان وسوق كلامه موذن

بان القائل من غير الانبيا كما يشهد له قوله (فان درجة النبوة) ورتبتها العالية (افضل واعلى) عند الله من درجة غيرهم من الاتقياء وهذا امر فرضى اومبنى على عدم العلم بالنهى عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون نقيا وقد صدر منه تنقيص الانبياء الذى قيل انه كفر وايضا كيف وصفه بالعصمة وهو غير نبى (فان تلك الاقدار) جمع قدر بفتح القاف والذال المهملة اى ماقدره الله عليهم لحكمة باهرة وليس بمحمة وان جاز تأويله بانه بالنسبة لمقامهم ذنب مستقذر فانه غير مناسب لفظا ومعنى (لم يحطه عنها) اى لم ينزل يونس عليه الصلوة والسلام عن درجته (مقدار حبة خردلة) التى هى اصغر الحب والاحسن حبة خردل بدونها (ولا ادنى) اى اقل واصغر من خردلة اى لم ينقص اصلا (وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بيانا) بايضاحه وتفصيله (ان شاء الله) ذلك (فقد بان لك الغرض) المقصود الذى قصدناه فى هذا الكتاب (وسقط بما حررناه) اى بما قررناه اولخصناه اوكتبناه (والتحرير التخليص) واظهار الزبدة لان اصله جعل الشئ حرا اى خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذى صار عاما واصله كتابة ملخصة اوكتابة العتاقة كما فى الكشف (شبهة المعترض) الذى اعترض على ما تقدم ولو قال من اعترض كان سجعا لكن المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده ولما كان ما تقدم فى ذكر فضائله واسمائه صلى الله عليه وسلم دالة على ذلك عقبه بذلك كما اشار اليه بقوله

﴿ فصل فى اسمائه ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم

(وما تضمنته من فضيلته) اى ماهو بعض مدلوله اولازم لمقتضاه حتى كانه ضمنه والاسماء جمع اسم والكلام على كونه من السمة اوالسمو اغنانا شهرته عن ذكره واما البحث عن كونه عين المسمى اوغيره فبحث لاطائل تحته فلا وجه لذكره هنا وقد افردناه بالتأليف والاسم له معان فيطلق على مقابل الفعل والحرف وعلى مقابل اللقب والكنية وعلى مقابل الصفة المشتقة ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به هنا ماشاع اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم سواء كان علما اوصفة اوغيرهما وسواء اختص به وضعا ام لا فهو العلم ومايشبهه وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ولو ادعاء فلا يرد كثرة اسماء الخمر وهواكثرى وهو ظاهر وفى شرح الترمذى ان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الف اسم كما ان الله تعالى الف اسم ونقل مغلطائى انها تبلغ ثلثمائة وقيل انها تسعة وتسعون كاسماء الله ومنها ماهو بلفظ الفعل والمصدر واكثرها صفات مادحة كما اشار اليه المصنف بقوله تضمنته من فضيلته ولابن دحية تأليف مستقل فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكر ها حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن ابيه بسند متصل الا ان المصنف رواه عنه مرسلا لعلو سنده فيه بدرجتين فقال (حدثنا ابو عمران موسى ابن ابى تليد الفقيه) تليد

بفتح المثناة الفوقية وآخره دال مهملة بمعنى قديم العهد لولادته معه فتاؤه مبدلة من واو وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا ابو عمر الحافظ) ابن عبد البر وقد تقدم ايضا قال (حدثنا سعيد بن نصر) تقدمت ترجمته ايضا قال (حدثنا قاسم ابن اصبغ) بهمزة مفتوحة وصاد مهملة وموحده تحتية وغين معجمة وهو قاسم ابن اصبغ ابن محمد بن يوسف بن واضح بن عطاء الامام الحافظ محدث الاندلس ابو محمد الاموى مولاهم القرطبى كان صدرا عالى الاسناد ثقة ولذا قطع الرواية فى آخر عمره خوفا من الغلط ولد سنة سبع واربعين ومأتين وتوفى بقرطبة فى جمادى الاولى ولد سنة سبع واربعين ومأتين وتوفى بقرطبة فى جمادى الاولى سنة اربعين وثلثمائة قال (حدثنا محمد بن وضاح) بن بزيغ متولى ملك الاندلس ابو عبد الرحمن ابن معاوية الحافظ محدث الاندلس ابو عبد الله القرطبى مولده سنة تسع وسبعين ومائة اوسنة مأتين بقرطبة وتوفى فى المحرم سنة سبع وثمانين ومأتين قال الذهبى انه صدوق روى عنه كثير من اهل الاندلس قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثى عالم الاندلس وراوى الموطأ وليس له رواية فى الكتب الستة الانادرة وقد تقدم الكلام عليه (عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه) ومحمد هو ابو على وقد روى عنه الزهرى وهو روى عن ابيه جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل وهو صحابى اسلم بعد الحديبية وروى عنه ابنا محمد ورافع وروى عنه ابن المسيب وكان سيدا وقورا توفى سنة تسع وخمسين واخرج له الائمة الستة واحمد فى مسنده وهذا الحديث اخرجه مالك فى الموطأ والترمذى فى الشمائل والبخارى وهو حديث صحيح مسندا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسما) قدم الجار والمجرور للتقرير والتأكيد اوللتخصيص باعتبار انه لم يسم بها احد قبله اولاشتهارها فى الامم الماضية فالتخصيص المستفاد من التقديم اضافى لاحقيقى لزيادتها على ذلك وقال السيوطى فى كتاب الروض الانيق فى اسماء خير الخليقة انه يطلعه الله تعالى على بقية اسمائه وقال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى قيل انها موجودة فى الكتب القديمة وعند الامم السالفة ورد بان فيها اكثر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا يفيد الحصر وقال ابن عساكر فى كتاب المبهمات يحتمل ان لفظ العدد ليس من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوالتخصيص لان المراد خمسة اسماء فاضلة او معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى ما فيه وانه مخالف للظاهر وقال ابن فارس ان اسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم الفان وعشرون وقيل المراد خمسة سمانى بها ربى وباقيها اوصاف واسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية فلا يجوز ان يسمى بما لم يسمه به الله او يسمى هو به نفسه او ابوه وجده (انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى

الكفر) اى يزيله حقيقة من جزيرة العرب وحكما من جميع الارض وقيل كما يأتى في الحديث يمحو به سيئات من تبعه كقوله تعالى * قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف * وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كان الظاهر ان يقول به لكنه راعى فيه المعنى كقوله * انا الذى سمتنى امى حيدرة * والكلام عليه مفصل في كتب العربية (وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) بتشديد الياء مفتوحة وتخفيفها ساكنة اى يحشرون على اثرى و بعد نبوتى اذ ليس بعده صلى الله تعالى عليه وسلم نبى كما يأتى تفسيره وقد روى ان الحشر الذى يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره (وانا العاقب) الآتى عقب الانبياء عليهم الصلوة والسلام فلا نبى بعده وعيسى عليه الصلوة والسلام تقدم انه يأتى على شريعته وقال ابن الاعرابى العاقب من يعقب غيره في الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسيأتى تفصيل معنى الحديث (وقد سماه الله في كتابه) وهو القرآن (محمدا واحمد) في قوله تعالى * ما كان محمد ابا احد من رجالكم * وقوله يأتى من بعدى اسمه احمد * وكونه محكيا عن عيسى عليه الصلوة والسلام لا ينافى كون المسمى له الله ولذا قيل ان عيسى عليه الصلوة والسلام انما اطلعه الله عليه باعلام الله واذنه له فالمسمى حقيقة هو الله (من خصايصه تعالى له) اى الكائنة له ان قلنا بجواز حذف الموصول مع بعض الصلة فهو صفة له او هو متعلق به لما فيه من معنى التكريم وقيل انه مفعول له واللام زائدة للتقوية والظاهر انه اسم غير موصوف بالتعدى وضده (ان ضمن اسماه) فاعل ضمن ضمير الله والضمير المضاف اليه للنبى صلى الله عليه وسلم (ثناءه) مفعول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل او للمفعول باعتبار ان الضمير لله او للرسول ان ثناء الله عليه (وطوى اثناء ذكره) بفتح الهمزة وسكون المثلثة والمراد جمع ثنى كقفل وهو ما انعطف من الوادى ويقال هو في اثنائه ومثانيه اى داخله ونصبه على الظرفية وطوى من قولهم طوى الثوب اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم والاخفاء فالمعنى اخفى داخل ذكر النبى اى في اسمائه التى سماه بها (عظيم شكره) اى شكره لعظيم والضمائر لله والنبى فان كان ضمير شكره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاضافته له من اضافة الفاعل او المفعول اى كونه شاكرا ومشكورا شكرا عظيما لأن اكثرها اوصاف غلبت عليه او اختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقاء الوصفية واعلام منقولة لوحظ اصلها فيفيد المدح والاعلام وضعت لتعيين الذات لكن المنقولة من الصفات تشعر بمعانيها الاصلية ولذا جاز دخول آل عليها ومعظم اعلامه كذلك (فاما اسمه احمد ف) وزنه (افعل مبالغة في صفة الحمد) مبالغة مرفوع خبر بعد خبر او منصوب مفعول له والجار والمجرور صفة والمبالغة لانه افعل تفضيل حذف المفضل عليه قصد التعميم نحو الله اكبر اى من كل شئ ثم نقل ولحظ اصله فلا يرد عليه انه علم

فكيف يفيد ما ذكر وما قيل من انه للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد وهم واطاله من غير طائل على عادته وقال السخاوى في سفر السعادة احمد اسم النبى صلى الله عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع ولا من افعل التفضيل فهو كاحمر واصفر وهو ابلغ من محمد وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية في الحمد قال الاعشى

* اليك ابيت اللعن كان كلالها * الى الماجد الفرع الجواد المحمد *

انتهى وفيه نظر لا يخفى وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لانه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب القديمة وقد سماه به موسى وعيسى عليهما السلام كما نطق به القرآن وسماه الله به لانه حمد في مقام لم يحمده فيه سواه بمثل محامده كما تقدم وستأتى تتمته (ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد) فهو في الاصل اسم مفعول من التفعيل فبنى عن الكثرة ففيه مبالغة ايضا ولهذه الصيغة معان اخر مذكورة في كتب التصريف وفي شرح الهادى انه مرتجل قال ابن معطى وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل في غير العلمية يرده بيت الاعشى المذكور وروى عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقى في دلائل النبوة انه لما ولد صلى الله تعالى عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم آبائه فقال اردت ان يحمده اهل السماء ويحمده الناس في الارض واخرج عنه ابن اسحق مسندا ان امه آمنة بنت وهب حدثت انها اتيت حين حملت به صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولى * اعيذه بالواحد * من شر كل حاسد * وكل بر عاهد * وكل عبد زائد * يرود غير رائد * وروى فانه عند الحميد الماجد * حتى اراه قد اتى المشاهد * فاذا وضع فسميه محمدا فانه اسمه في التورية احمد يحمده اهل السماء والارض واسمه في الفرقان محمد فسمته بذلك وقال ابو الربيع ابن سالم في سيرته روى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذا سماه محمدا مع ما حدثته به آمنة انتهى (فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد) بفتح الحاء وكسر الميم والبناء للفاعل اى اجل الحامدين (وافضل من حمد) بالبناء للمجهول قيل انه لف ونشر مرتب فالاول راجع الى اسم احمد والثانى لمحمد والتفضيل استفيد من محمد لما فيه من التكثير وكون الله لم يسم به غيره فكان افضل من حمد والحمد مصدر محتمل للحامدية والمحمودية وان تعين في محمد الثانى وجوز

ابن القيم فى احمد ان يكون بمعنى المفعول اى اكثر محمود به والفرق بينه و بين محمد انه لزيادة الكيفية ومحمد لزيادة الكمية وهذا ابلغ فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو اريد الفاعل لقيل حماد بدل احمد واعترض عليه بانه تخصيص من غير مخصص وبناء اسم التفضيل من المفعول شاذ كاشغل من ذات النحيين وكون حماد ابلغ من احمد كما اقتضاه كلامه لاوجه له (اقول هو لم يعين ماقاله وانما ادعى جوازه وانه اولى لسلامته من التكرار والترادف الذى هو خلاف الاصل وترجيحه حماد على احمد ليس لابلغيته بل لانه اكثر واقيس واما كون التفضيل من المفعول شاذ فمسلم ولكنه سمع من العرب فى قولهم العود احمد واثبته العلامة الزمخشرى واول من قال العود احمد خداش ابن حابس التميمى وقول المصنف (واكثر الناس حمدا) اى محمود به بدليل قوله (فهو احمد المحمودين) والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم ساقط لما سمعته آنفا (واحمد الحامدين) هو وما بعده بيان لوجه التسمية بهما ويصح ارجاعه لكل منهما من غير لف ونشر وقيل اسمه احمد قبل محمد فى النشأتين فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق حمده بمحامد الهمه اياها لم يحمده بها غيره فكان احمد من دخل تحت كلمة كن فى عالم الخلق والامر ولما ظهر للثقلين حمده على السنتهم استحق ان يسمى محمدا فاذا كان يوم القيامة كان احمد الخلق فسمى احمد فلما عمت شفاعته العظمى حمده الخلق فسمى محمدا وفيه من التكلف مالا يخفى ويأتى فيه كلام للسهيلى (ومعه لواء الحمد يوم القيامة) تقدم ان اللواء علم الجيش وهو اكبر من الراية اى انه تحت امره او فى قبضته وهذا يحتمل انه على حقيقته ليعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم نال هذه المرتبة بتفوقه على كل مخلوق فى كونه حامدا ومحمودا ومعنى لواء الحمد انه لواء يتبعه كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله او بنداء الملائكة معه او باعلان الحمد خلفه ونحوه واصحاب الحمد حينئذ من لهم الشفاعة وكذا الانبياء ويحتمل انه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم فى اهل الموقف وعدم التأويل اسلم (ليتم له كمال الحمد) مبنى للمفعول اوالفاعل واختار البرهان الاول واتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل احد له من غير تردد كما كان فى الدنيا لبعض اهلها كما اشار اليه بقوله (ويشتهر) وفى نسخة وينشهر (فى تلك العرصات) بسكون الراء ويجوز فتحها وعرصة الدار ساحتها وهى البقعة الواسعة التى ليس فيها نبات وجمعها عراص وعرصات وفى التهذيب سميت ساحة الدار عرصة لان الصبيان يعرصون فيها اى يلعبون ويمرحون والمراد هنا ارض الموقف والمحشر (بصفة الحمد) وهو الثناء على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم وقيل حقيقته اظهار الصفات الكمالية باللسان او بغيره وفيه كلام فى شرح الزوراء للجلال الدوانى (ويبعثه ربه هناك) اى فى العرصات (مقاما محمودا كما وعده) بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا

ونصب

ونصب مقاما على المفعولية بتضمين يبعث معنى يعطى او على الظرفية لشابهته للمبهم او هو حال على ما فصل فى الكشاف وشروحه ثم بين محموديته بقوله (يحمده فيه الاولون والآخرون) اى جميع الخلق لانهم تحت لوائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع (بشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم) فى فصل القضاء كما تقدم (ويفتح عليه فيه) اى فى ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى حمد اى يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها ثمة واصل الفتح ضد الخلق فاستعير للاعطاء والالهام وتيسير الامور كما استعير المغلق للصعب ومن بيان لمقدر اى امرا ونحوه ولما بعده ان قلنا بجوازه كما مر وقوله (كما قال عليه الصلوة والسلام) اشارة الى وروده فى الحديث كما تقدم (مالم يعط غيره) من الانبياء ويعطى مبنى للمجهول وغيره بالرفع نائب الفاعل (وسمى) الله تعالى لعلمه من السباق او هو مجهول وهو الاولى (امته فى كتب انبيائه) كالتورية والانجيل كما ورد فى الاحاديث (بالحامدين) اى المبالغين فى الحمد وروى الدارمى عن كعب انه قال نجد مكتوبا فى التورية محمد رسول الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون الى آخره (فحقيق ان يسمى محمدا واحمد) اى بان يسمى لانه يتعدى بالباء وقد يتعدى بعلى كما فى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لما فيه من معنى الوجوب كما فى الحجة لابى على وتفريعه على ماقبله لانه اذا حمد بما لم يحمده غيره وحمده الاولون والآخرون وكثر حمد امته كان جديرا بذلك (ثم فى هذين الاسمين) محمد واحمد اى فى تسمية الله له بهما قبل وجوده (من عجائب خصائصه) اى من العجائب التى خصه الله بهما ولم يسبق احد لمثلها (وبدايع آياته) اى غريب علاماته التى اخترعت وتفسير البديع بالحسن فيه مسامحة (فن آخر) اى نوع آخر غير ماتقدم (وهو ان الله جل اسمه) اى عظم فى ذاته وفيه مناسبة وايماء لعظمة اسم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قرنه باسمه وخصصه كما اختص باسمائه الحسنى (حمى) اى منع وصان عن (ان يسمى بها احد قبل زمانه) مع ذكرهما فى الكتب القديمة والامم السالفة كما مر وبشر نبى اسمه احمد وانما صان اسمه ليعلم اذا سمى بهما انه النبى الموعود به وعد من الخصائص لانه بعد الاعلام باسمه منع من التسمية به مع انهما اعلام منقولة فلا يرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة للانبياء وغيرهم لم تسبق تسمية غيرهم بها كآدم وشيث ونوح ويحيى قال تعالى * ولم نجعل له من قبل سميا (اما) اسمه (احمد الذى اتى فى الكتب) الالهية السالفة (وبشرت به الانبياء) كعيسى وموسى كما قال تعالى * ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد * وقال تبع الاول كما نقل فى السير * ويملك بعدهم رجل عظيم * نبى لا يرخص فى الحرام * يسمى احمد ياليت انى * اعمر بعد مخرجه بعام (فمنع الله بحكمته) اى بسبب حكمته

او منعا ملتبسا بعلمه وحكمته التى استأثر بها اواظهرها لبعض خلص عباده (ان يسمى به احد غيره ولايدعى) مبنى للمجهول بوزن يرمى اى يسمى (به مدعو قبله) يسمى قبله قال اكثر العلماء ان هذا هو الصواب وما نقل من ان الخضر عليه الصلوه والسلام اسمه احمد قول مردود واه كما قاله ابن دحية واما احمد بن عجيان بضم الغين المعجمة وسكون الجيم ومثناة تحتية بزنة سفيان وبفتح الجيم وتشديد الباء فلا اصل له وقيل تسمى فى الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل احمد بن ثمامة الطائى واحمد بن دومان البكيلى واحمد بن زيد بن خراش السكسكى ومن القبائل بنو احمد فى همدان وبنو احمد فى بكيل وبنو احمد فى طى ولم يكن قريبا من عهده من تسمى صيانة له واما بعده فاول من تسمى به احمد بن عمرو ابن تميم الفرهودى اوالفراهيدى ابو الخليل النحوى الزاهد وببركة هذا الاسم كان له من العلم والتقوى مالم يكن لغيره ثم بين حكم صيانته بقوله (حتى لايدخل على ضعيف القلب لبس) اى التباس واشتباه لعدم تمييزه وضعف القلب من لاعقل له تام ورأى صائب ونظر مفرق بين الحق والباطل فيتردد فى صدق مدعى النبوة بمجرد شئ سبق له فيجوز كونه احمد الموعود به فى الكتب فضعف القلب كناية عن قلة العقل الذى هو محله وقوته كناية عن ضده وان اشتهر فى الجرأة وعدمها (اوشك) معطوف على لبس ويجوز ان يراد به هنا مايقابل الوهم والظن ومطلق التردد وعدم الجزم ومن ظن بقينه هنا وتأييده بمالايجدى لبس بشئ (وكذلك محمد) اى مثل احمد فى عدم التسمية به قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وجعله مشبها به لانه لم يسم به اصلا على الاصح (ايضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع ويراد به فى العرف التشبيه فهو تأكيد لقوله كذلك (لم يسم به احد من العرب ولاغيرهم الى ان شاع واشتهر قبل وجوده صلى الله عليه وسلم) قبيل فى النسخ مصغر كبعيد لتقليل زمانه وتقريبه (وميلاده) عطف تفسير على وجوده اى ولادته اوزمانها وقيل الميلاد وقت الولادة والمولد مكانها وحملت به صلى الله تعالى عليه وسلم امه آمنة نهارا وولد ليلا فى شعب ابى طالب عند الجمرة الوسطى ووافق مولده يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من التاريخ الاسكندرى وقيل كان فى الساعة العاشرة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فكان كما قيل * ربيع فى ربيع فى ربيع * وقيل ولد فى شعب بنى هاشم بعد الفيل بشهر او اربعين اوخمسين او تسعة وخمسين يوما وقيل غير ذلك وسيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى (ان نبيا يبعث) اى يرسل من بعث بمعنى اثار وقد فصل زمان بعثه بعثه وسنه اذ بعث فى السير (اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك) الاسم (رجاء ان يكون) اى لاجل رجاء ان يكون الولد المسمى به (احدهم) اى احد ابنائهم المسمى بمحمد (هو) اى النبى الموعود بعثه فهو اسم يكون واحدهم منصوب

خبر مقدم اومرفوع اسمها وهو خبرها استعير فيه ضمير الرفع لضمير النصب والاصل اياه والاول اولى (والله اعلم حيث يجعل رسالاته) اقتباس لبيان انه لم يفد هم ذلك اذ ليس كل محمد رسول ولا كل فاطمة بتول والآية رادة لهم كما تبطل قول من زعم من الحكماء ان النبوة والرسالة تكتسب بالمجاهدة وتصفية الباطن فانها موهبة الهية وان اختصت بمن جد فى العبادة والتصفية حتى صار احسن الناس خلقا وخلقا الى غير ذلك مما يستعد به لتلقى وحيه ومشاهدة ملائكته وحيث ظرف متصرف هو هنا مفعول به لفعل مقدر اى يعلم لان افعل لاينصب المفعول وان صح تعلق الجار والظرف به وليس هو هنا ظرفا لان علمه تعالى لايوصف بانه فى مكان او زمان لقدمه وتفصيله فى كتب العربية ويجوز افراد رسالته كما قرئ به هنا وانما سموا الابناء هم به لما بلغهم من الاخبار والكهان وروى فى المبشرات وبشروا بقريب زمانه فكانوا ينتظرونه انتظار المحب لحبيب له سيقدم (وهم) اى المسمون باسمه قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم رجاء لكونه المبشر به (محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى) وقال البلادرى انه محمد بن عقبة بن احيحة وتردد فيه ابن حجر فى الاصابة واحيحة بضم الهمزة وحاء مهملة مفتوحة يليها مثناة تحتية ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وهاء والجلاح بضم الجيم وفتح اللام المخففة ثم الف وحاء مهملة والاوسى نسبة للاوس قبيلة الانصار (ومحمد بن مسلمة الانصارى) ابن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصارى ووصف هذا بالانصارى دون محمد بن احيحة وهو من قبيلة الانصار لانه لم يسلم وانما يقال الانصارى لمن اسلم منهم ولذا قال الذهبى من عدة محمد بن احيحة من الصحابة فقد وهم لانه لم يدرك الاسلام وانما هذا ابو عبد الرحمن المدنى حليف بنى عبد الاشهل المولود قبل البعثة باثنين وعشرين سنة وهو ممن سمى محمدا فى الجاهلية كما فى الاصابة عن الواقدى من غير تردد فيه وهو صحابى شهد بدرا وكان عمر رضى الله تعالى عنه يعده لكشف المعضلات فى خلافته ومات بالمدينة سنة ثلاث واربعين وقيل غير ذلك وهو من قدماء الصحابة وقول بعض الشراح ان ذكر المصنف لمحمد ابن مسلمة ليس فى محله لانه بصدد ذكر من سمى محمدا قبل مولده وهو ولد بعد مولده بنحو عشرين سنة لاوجه له لما سمعته من خلافه مما هو مصحح فى السير نقلا عن الواقدى وما قاله قول مرجوح وان ما قاله مغلطاى فى سيرته (ومحمد بن براء البكرى) نسب لبكر قبيلة مشهورة وبراء بموحدة تحتية مفتوحة وراء مهملة تليها مدة وهو ابن ظريف بن عتوارة بن عاذب بن لهب بن بكر بن عبد مناف بن كنانة واسم ابيه براء رأيته مصححا كذا فى حواشى الحلبى وفى غيره بدا بفتح الوحدة وتشديد الدال المهملة قيل وقد تخفف وقال البرهان الحلبى ان محمد بن احيحة ومحمد بن مسلمة

ومحمد بن براء لم يدركوا الاسلام بل هلكوا فى الجاهلية فعدهم فيمن اسلم امر عجيب فلا يليق بالمصنف وان كانوا ممن سمى بمحمد قبل البعثة (و) كذا (محمد بن سفيان بن مجاشع) التميمى فانه لم يدرك الاسلام وقد خطئ ابو نعيم فى عده من الصحابة (ومحمد بن حمران الجعفى) بضم الجيم نسبة لجعفة قرية معروفة وحمران بضم الحاء المهملة وسكون الميم وراء مهملة ثم الف ونون وفى بعض نسخ السير عمران بدله وهذا ايضا لم يدرك الاسلام كما قاله البرهان (ومحمد بن خزاعى السلمى) بضم السين المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة لقبيلة وخزاعى بضم الخاء وزاى معجمتين والف وعين مهملة نسبة لخزاعة وهو من بنى ذكوان واسم ابيه علقمة وهو لم يدرك الاسلام ايضا كما قاله البرهان الا ان هذا لا نعترض به على المصنف لانه انما عد من تسمى محمدا قبل الاسلام اسلم ام لا وهم ست (لا سابع لهم) وهذا على ما اختاره المص ومنهم من نقص عددهم كالسهيلى فانه لم يزدهم على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله ابن حجر مع تكرار فى بعضهم وتردد فى بعض وسيأتى لهم سابع وقد علمت ما طعن به فى محمد بن مسلمة (ويقال ان اول من تسمى به) اى باسم محمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة بمحمد (محمد بن سفيان) ابن مجاشع التميمى السابق ذكره (واليمن) اى اهله فهو من اطلاق اسم المحل على الحال فيه (تقول) وفى نسخة يقولون لم يسم به اولا هذا (بل) الذى سمى اولا (محمد بن اليحمد من الازد) وفى نسخة الازدى نسبة الى الازد من اليمن ابوهم ازد ذى الغوث ويقال اسد وفى نسخة بعد ما ذكر ومحمد بن سراة باليمن ايضا ومن نسله الانصار كلهم وازد شنوءة عمان والسراة واليحمد قال البرهان انه فى النسخ بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقال ابن ماكولا انه بضم الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الميم واصحاب الحديث يضمون الميم وفى شرح مسلم للنووى انه بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم وكذا فى تقييد المهمل للغسانى وهو علم منقول من المضارع وآل مقارنة لنقله لا داخلة بعد العلمية فانه شذ قبلها كقوله * ما انت بالحكم الترضى حكومته * فكيف به بعدها * وقال ان هذا ليس من الستة فيكون سابعا وهو ينافى قوله هنا لا سابع لهم وفى سيرة مغلطاى زيادة محمد بن عدى بن ربيعة المنقرى ومحمد بن عثمان السعد قال واظنهما واحدا ومحمد الاسيدى ومحمد بن عنواة الليثى ومحمد بن جرمان العمرى ومحمد بن خولة الثمالى ومحمد بن يزيد بن ربيعة ومحمد بن ابروابة بن مالك فزاد تسعة او ثمانية وتوقف المصنف رحمه الله تعالى فى واحد منهم وقد قيل فى بعض هؤلاء انه ادرك الاسلام وكلام المصنف لا ينافى هذا الا فى قول الانصارى كما تقدم والامر فيه سهل اذ لا مانع من اطلاقه على من لم يسلم لقرابته منهم تسمحا (ثم حمى الله) اى صان ومنع بصرفه الهمة (كل من تسمى به) اى بمحمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعى النبوة) تقديره من ادعى ادعائها بنفسه بان يقول انا نبى

(او يدعيها احد له) بان يقول هو نبى (او يظهر عليه) بفتح الياء التحتية وضمها مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمجهول والاول اظهر وضمير عليه لمن (سبب تشككه احد فى امره) اى شئ فى ذاته يكون سببا موقعا للناس فى شك فى انه هو النبى الموعود كنجابته وصفاته الباهرة كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من الارهاصات والاخلاق الباهرة او يجرى على يديه ما يشككهم من سحر ومخرقة والعطف باو بعد حمى الذى هو فى معنى النفى والنهى يفيد العموم كقوله ولا تطع منهم آثما او كفورا ولو عطف بالواو اوهم ان المحمى عنه المجموع وان وقع بعض منها (حتى تحققت) اى ظهرت وتبينت فى الخارج (السمتان) اى الصفتان اللتان هما المحمدية والاحمدية اللتان هما علتان لموافقة اسمه لمسماه وفى بعض النسخ السيمتان بياء بعد السين وهو خطأ كما قال التلمسانى وطغيان من القلم (له صلى الله عليه وسلم) متعلق بالفعل او بالسمتان وهو تسميته بما هو دال على انه المبشر به فى الكتب السالفة والامم الماضية فادعى الرسالة وشهدت له الكائنات بصدق دعواه (ولم ينازع فيهما) بفتح الزاى المعجمة والبناء للمجهول اى لم ينازعه احد فى السمتين (واما قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (وانا الماحى الذى يمحو الله به الكفر) بيان لمعناه المراد منه ولذا اتى بقوله بعده (ففسر فى الحديث) بالفاء التفسيرية وفسر مبنى للمجهول اى فسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقرينة قوله فى الحديث وهو صفة له وقيل علم منقول ولاحظ الوصفية ولما رآى هنا سؤالا لان احدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته كما قيل وان المحو معناه الازالة بالكلية والكفر موجود فى كثير من الناس والبلدان اشار الى دفعهما بقوله (ويكون محو الكفر اما من مكة) بعد الفتح اذ اظهره الله تعالى عليهم ولم يبق بها منه عين ولا اثر (وبلاد العرب) الظاهر انه وجه آخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق منه الا ما لا شئ واضمحل حتى صار كالعدم وقد كانت مملوءة بالشرك فاستأصله الله على يد خيرته من خلقه (و) كذلك قوله و (ما زوى له من الارض) اشارة لما ورد فى الحديث من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم زويت لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها واصل الزوى بالزاى المعجمة الجمع ومنه انزوى اخلد بالنار اى انه تعالى جمع له جميع الارض بيد قدرته وطواها فى قبضة قدرته حتى نظرها كلها وبشره بان امته تملكها كلها حقيقة بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام او قبله ان قلنا ان ما ملكوه منها اعظمها واشرفها وهو الذى ارتضاه المصنف لقربه (ووعد) اى الله او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما ورد فى الحديث (انه يبلغه) اى يصل اليه ويحوزه (ملك امته) بضم الميم ويجوز كسرها اى تملكها وسلطانها على الوجه السالف وقد ورد انه زوى له جانبا من الارض واخبره بانه يبلغه ملك امته ويمحو

مافيه من الكفر لاضمحلاله حتى يصير ما بقي منه كالعدم ولما كان محو الكفر بامره وشرعه وبركته نسب المحو له صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه الماحي حقيقة وقد قيل انه كله جواب واحد وقوله (او يكون المحو عاما) شاملا لجميع الارض وليس المراد بها ارضا مخصوصة (بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله) جواب ثان فيبقى على عمومه ولا يخص بما مر فالمراد بالمحو علو الدين وغلبته لغيره من الاديان بنسخها وبيان ما غير وبدل منها وعلو اهله على جميع من عداهم بتسلطهم عليهم وقهرهم وايقاع الرعب في قلوبهم كما هو مشاهد قال الله تعالى عز وجل * هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله * ويوضحه ان المحو لغة اذهاب الاثر وهو قد يكون مع بقاء العين وان ما لا اثر له كالعدم ولذا عبر بالماحي دون المزيل وما قيل من ان هذا جعله المصنف وجها واحدا وحمل المحو على ازالة يدهم عن تلك الاراضي وجعل بعض اهل الارض كالعبيد بضرب الجزية عليهم وجعلهم بازالة تصرفهم كالموتى وجعل محو آثار غيرهم كمحو ذواتهم ونسخ اديانهم وكتبهم التي هي بمنزلة ارواحهم وابطال شوكتهم وقهرهم كازالة ذواتهم ونحوها من صحائف الوجود ففيه مجاز باعتبار وجوه مختلفة (وقد ورد تفسيره) اى الماحي بغير ما مر (في الحديث) والتفسير المذكور (انه الذى محيت به سيئات من اتبعه) بما انعم الله تعالى به على امته من المكفرات وبما قبله من شفاعته لهم في الدنيا والآخرة والعفو كالمغفرة موافق للمحو لغة ومعنى وهذا مروى عن المصنف وقد سقط من بعض النسخ فاسناده الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مجاز اذ هو سببه والعافي والغافر حقيقة هو الله تعالى وهذا من خصائص امته وقد فسر قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر سيغفر لامتك وقد روى هذا التفسير الذى ذكره المصنف للماحي الحاكم في مستدركه وابو نعيم والبيهقي وقال ابن دحية انه حديث مرسل صحيح الاسناد وقال السيوطي انه متصل ولفظه واما ماحي فان الله محى به سيئات من تبعه وقال ابن حجر في شرح الشمائل معناه ان من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم يمحى ذنب كفره وما عمله فيه قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفي الحديث الاسلام يجب ما قبله او يهدم ما قبله وخص بهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يمح احد الكفر كما محاه اذا جاء على فترة وقد عم الكفر وعبد الحجر فبلغ مسير النيرين والمراد بكونه من خصائصه ان الله تعالى لطف بامته بكثرة المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو مطلق مخصوص او وقوع خلافه في الآيات والآثار كقول نوح عليه الصلاة والسلام لامته استغفروا ربكم انه كان غفارا (وقوله) في هذا الحديث (وانا الحاشر) فسره صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله بعده (الذى يحشر الناس) جميعهم مؤمنهم وكافرهم لدخولهم كلهم في شفاعته العظمى لتخلصهم من هول الموقف والمحشر وتعجيل

الحساب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين (على قدمى) بالتخفيف والتشديد كما مر وفي رواية على عقبي ولما كان ظاهره انه يسوق الناس للحشر وليس بمراد فسره بقوله (اى على زمانى وعهدى) وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد الخلفاء في عصرهم ثم قال (اى ليس بعدى نبي كما قال وخاتم النبيين) فهو اما بتقدير مضاف اى على اثر قدمى من غير فاصل او القدم سواء كان مفردا او مثنى ما يتبعه الناس فيه وهو الشريعة وقال الكرمانى معناه على اثرى كما جاء على عقبي او على زمانى ووقت قيامى على القدم بظهور علامات الحشر فيه اذ لا نبي بعده ويحتمل انه يريد اول محشور لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اول من تنشق عنه الارض كما تقدم والقدم معروفة وهي مؤنثة لتصغيرها على قديمة ويتجوز بها عن معان اخر كما في الاساس فيقال جعله تحت قدمه اذا عفا عنه وله قدم في كذا اى تقدم فنسب له ذلك لتقدمه فيه وكونه السبب فيه ثم انهم يحبسون في المحشر حتى يشفع لهم وهو حاشر في هذا الحشر الثانى الى مقرهم من جنة او نار فيتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الخلائق فهو على هذا حاشر حقيقة وهذا هو المراد في رواية من روى قدمى بالتشديد مثنى وقول الكرمانى ويحتمل الخ سبقه اليه الخطابى وان كان ظاهره انه من بنات افكاره وارتضاه ابن دحية وما ذكره المص وان سبق اليه فيه حقا الا ان يريد ان القدم مجاز عن الاثر كناية او مجازا الا انه يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطي ان الله وصف نفسه بالحشر في قوله ويوم نحشرهم فيكون هذا من اسمائه التي سماه بها فان سلم ما قاله كان ما قبله كذلك وحشر الناس في وقت نبوته لبقاء ملته لانها لا تنسخ وليس بعدها شرع آخر فلا يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على وجه الارض من يقول الله وتقدم ان كونه خاتم النبيين اى آخرهم او من ختموا به على قراءة الفتح لا ينافيه نزول عيسى عليه السلام بعده لانه ينزل تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم عاملا بشرعه ولذا يدفن عنده لانه آخر خلفائه وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم آخر من نبئ وعيسى نبئ قبله وان مات بعده كالخضر والياس على قول سمى حاشرا لانه حشر بنى النضير من حصونهم وخرب ارضهم وهو ضعيف رواية ودراية (وسمى عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء) عليهم الصلوة والسلام اى خلفهم في الخير ومنه عقب الرجل لولده وفسر بمن لا نبي بعده فان العاقب الآخر وقد فسر في حديث مروى عن ابن جبير فهو اصح واحسن (وفي الصحيح وانا العاقب الذى ليس بعده نبي) وقيل العاقب عند العرب من يكون خلف سيد لقوم فمعناه خليفة الله لانه احق بخلافته من جميع الرسل ومن الغريب ما قيل انه اسمه عند اهل النار من امته لان الله تعالى ينسيهم اسمه محمدا فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب وهو ضعيف (وقيل معنى على قدمى انه يحشر الناس بمشاهدتى) اى بقربى ومعى برأى منى اسبق للناس في القيام من القبر (كما قال الله تعالى لتكونوا

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وهذا بناء على انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على انه الشهادة الحقيقية كما ورد فى الصحيحين من ان امته تشهد للرسل بالتبليغ وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد لامته بالصدق وهو معنى جعلهم امة وسطا اى عدولا وخيارا كما مر بيانه واخر المصنف رحمه الله تعالى هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى انهما بمعنى (ومعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لى خمسة اسماء) جواب عن سؤال مقدر تقديره ان له صلى الله تعالى عليه وسلم اسماء كثيرة فجعلها خمسة او عشرة ان قلنا بمفهوم العدد مخالف للواقع والا فهو زيادة بغير فائدة (قيل انها موجودة فى الكتب المتقدمة) المنزلة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالتورية والانجيل (وعند اولى العلم من الامم السالفة) اى السابقة فتخصيصها بالذكر لهذه الفائدة ومرضه لما سيأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم له اسماء اخر فى الكتب القديمة ايضا وكون العدد لا مفهوم له لا يدفع السؤال كما توهم وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقف على هذه الزيادة حتى ذكره بعد (والله اعلم) بوجه التخصيص فيما ذكر (وقد روى عنه عليه الصلوة والسلام) فى حديث رواه ابو نعيم فى الدلائل وابن مردويه فى تفسيره من طريق يحيى التميمى وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابى الطفيل (لى عشرة اسماء) وقد تقدم انه لا معارضة بينه وبين غيره من الاحاديث (وذكر منها طه ويس كما حكاه مكى) تقدمت ترجمته وقد تقدم هذا وانما اعاده ليتبعه تفسيره الذى ذكره وقال ابو بكر ابن العربى فى احكام القرأن اختلف الناس فى معناه على اربعة اقوال الاول انه اسم من اسماء الله تعالى قاله الامام مالك وروى عنه اشهب قال سألته هل ينبغى لاحد ان يسمى يسين قال ما اراه ينبغى لقوله تعالى * يس والقرأن الحكيم * اى هذا اسمى يسين قال ابن عباس يس يا انسان بالحبشة ويا طه ويا رجل وروى عنه انه اسم الله كما قال مالك الثالث انه كنى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيل له يس اى يا سيد كما يأتى الرابع انه من فواتح السور وروى عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمانى الله تعالى فى القرأن سبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وهذا حديث لم يصح وروى اشهب عن مالك لا يتسمى احد بيسين لانه اسم الله وهو كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كعالم وقادر وانما منع مالك من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسماء التى لا يدرى ما معناها فربما كان ذلك معنى ينفرد به الرب فلا ينبغى ان يقدم عليه من لا يعرف لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل فقد قال الله تعالى * سلام على آل يسين * قلنا ذلك مكتوب بهجائه فتجوز التسمية به وهذا ليس بمتهجى وهو الذى تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام نفيس الا

ان فيه بحثا لان تجويزه للتسمية بيس من وجه ومنعه من آخر وانه عند التلفظ لا يعرف منه الهجاء وعدمه اللهم الا ان يقال مراده المنع فى غير ما ورد فى القرأن فتدبر (وقد قيل فى بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادى) على انه اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه السيوطى عن ابى الطفيل وتقدم انه قيل انه من اسماء الله وما ذكره السيوطى رحمه الله مروى عن الواسطى واراد به ان كل حرف منه يروى من اسم فالطاء من طاهر من كل عيب وذنب والهاء من هاد الى كل خير فهو اسم مركب من اسمى حرفين كما فى الم وفى البخارى عن سعيد بن جبير معناه يا رجل بلغة عك وقيل معناه اطمئن وقيل معناه طاء الارض والهاء ضمير الارض وقيل يا رجل بالسريانية فعرب وقيل هو بالنبطية وهى لغة اهل سواد العراق قيل معناه بلغة عك يا حبيبى وقيل طوبى لمن هدى (و) قيل (فى) بعض التفاسير (يس انه يا سيد حكاه السلمى) بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد الرحمن كما تقدم فى ترجمته (عن الواسطى) نسبة الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت ترجمته (وجعفر بن محمد) هو جعفر الصادق الامام المشهور كما تقدم وهذا مروى فى اسمائه عن ابى الطفيل ورواه البيهقى فى دلائله مسندا وقال السهيلى لو كان من اسمائه لقيل يا يسين بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه روى عن الكلبى انه قرأه بالضم ايضا وقيل معناه يا انسان بلغة طى واصله يا انيسين فاقتصر على بعض منه وقد بسطنا الكلام عليه فى حواشى البيضاوى وكذا فيما مر اوائل الكتاب وقيل معناه يا رجل وقيل يا سيد البشر (وذكر غيره) اى غير الواسطى انه روى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لى عشرة اسماء فذكر الخمسة التى فى الحديث الاول) الذى سمعته آنفا (و) زاد عليها و(قال وانا رسول الرحمة) لقوله تعالى * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * لانقاذهم من العذاب فى الدنيا والآخرة فمن اتبعه نجا فى الدنيا من القتل او من ذلة الكفر والجزية وفى الآخرة من العذاب المخلد والخزى المؤبد واراحهم من التعب فيها فلذا سمى بذلك كما قال (ورسول الراحة) لانه صلى الله عليه وسلم راحة للمؤمنين فى الدنيا لما رفع عنهم مما كان فى الامم السالفة من الاصر والمشاق بما فى شريعته من الرخص والتخفيفات وفى الآخرة راحتهم العظمى لامتهم وازالة تعبهم ورفع التكاليف عنهم وراحة للكافرين بترك قتلهم وسبى ذراريهم اذا قبلوا الجزية فنزلوا فى حوم الايمان آمنين وامنت امته من عموم الخسف والمسخ وسترت عليهم معاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى اصبح وقد كتب على باب داره فلان فعل الليلة كذا وكذا وتسميته صلى الله عليه وسلم بنبى الرحمة رواه ابن ماجة والحاكم مسندا عن ابى هريرة وصححوه وورد فى بعض طرقه نبى الراحة وما سبق انسب بالاية (ورسول الملاحم) جمع ملحمة وهى الحرب والقتال سميت بذلك

لالتحام الابطال فيها اى ازدحامهم فيها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل بالسيف
وامر بالجهاد ولم يقع لنبى ولا امته من الجهاد والقتال ما وقع له صلى الله تعالى عليه
وسلم ولامته ولا يزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه
الصلوة والسلام وهذا لا ينافى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لانه رحمة
حقيقة اذ فى قتاله غنيمة للمسلمين وهداية بعض الكافرين الى الاسلام وامن دار
الاسلام وغير ذلك مما لا يحصى والجواب بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لاوليائه
حرب لاعدائه مع ما فيه لا يناسب العالمين (وانا المقفى قفيت النبيين) كلاهما
بتشديد الفاء كما قال تعالى ثم قفينا على آثارهم وهو اما بمعنى التابع الذى جاء على اثرهم
لان معنى قفا تبع ومنه القافية وفيه من الفضل انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف
على احوالهم وشرايعهم فاختار له الله من كل شئ احسنه وكان فى قصصهم له
ولامته عبر وفوائد او المراد انه خاتمهم وآخرهم ووقع فى بعض النسخ المقفى بزيادة
التاء الفوقية واقتصر عليه بعض الشراح ونقله عن الطيبى ثم ان المقفى ذكره غير
الطيبى ولم يرد به نص صريح وفيه نظر (وانا قيم) بالقاف ومثناة تحتية
بزنة سيد (و) فسره المصنف بقوله و(القيم الجامع الكامل) اى الجامع لمكارم
الاخلاق النفسية الكامل فيها او الجامع لشمل الناس بتأليفه بينهم وجمع شتاتهم
لان القيم يكون بمعنى السيد لقيامه بامر الناس وامر الدين كما قاله ابن الاثير لما ولد
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الآمدى * بدلت دينا بعد دين قد يدم *
* وكنت فى الدين كانى فى ظلم * يا قيم الدين اقنا نستقم * كما ورد فى الحديث
انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتانى ملك فقال انت قيم وخلقك قيم * اى
مستقيم حسن وفى النهاية القيم القائم بامور الخلق ومدبر العالم فى جميع اموره وهو
مرادف للقيوم الذى هو من اسمائه تعالى ولا بعد ان يسمى النبى صلى الله عليه وسلم
بشئ من اسماء الله تعالى بمعنى يليق كالقيم اذا كان بمعنى القيوم كما يسمى بغير ذلك
من اسمائه والقيم ايضا من اسماء الله تعالى كما ورد فى الحديث فى قوله صلى الله عليه وسلم
* انت قيم السموات والارض ومن فيهن * وقال ابن دحية هو بمعنى القائم كما نقله
السيوطى فى الرياض الانيقة (كذا وجدته) اى تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم
بالقيم فى كتب الحديث (ولم اروه) بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين الا انى
وجدته فيما رواه غيره وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة وله شروط عندهم وهو
مما يستأنس به وهذا رواه الديلمى فى مسند الفردوس وفى النهاية الاثيرية ايضا
كما مر (وارى ان صوابه) بحسب الرواية (قثم بالثاء) المثلثة المفتوحة المخففة
وضم القاف فرأى انه تصحف عليهم وهو معدول عن قاثم ممنوع الصرف كما ذكره
ابن فارس وغيره ورواه ابن اسحق فى حديث غريب هو وقال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم * اتانى ملك فقال انت قثم وخلقك قثم ونفسك مطمئنة * قال
ابن دحية فى اشتقاقه معنيان احدهما من القثم وهو الاعطاء يقال قثم له من العطاء
اذا اعطاه فسمى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه والثانى من القثم
وهو الجمع يقال للرجل الجامع للخير قثوم وقثم وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا
للفضائل وجميع الخير والمناقب وقد علمت ما فيه (كما ذكرناه بعد) بالبناء على الضم
اى فيما سيأتى (عن الحربى) قال البرهان لهم ابو اسحق الحربى واسحق بن الحسين
الحربى والثانى ثقة حجة سمع من هودة وحسين بن محمد وغيرهما ووثقه الدارقطنى و
صحح عليه فى الميزان وذكر الذهبى انه مبهم (وهو اشبه بالتفسير) يعنى انه اقرب شبها
بتفسيره المأثور بالجامع وفيه نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى مجمع ايضا كما تقدم آنفا وقد كان
عبد الله ابو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى بابى محمد وابى قثم وقالوا انه الجامع
للخير او لشمل امته ويأتى ان هذا الاسم معروف فى جماعة من اهل البيت منهم قثم
شقيق الحارث عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابن عبد الملك وبه سميت محلة
بسمرقند دفن فيها وبها مدرسة قثم ايضا وقثم بن عبد الله بن العباس ثم عاد المصنف
الى ذكر القيم بالتحتية واشار الى ما يصححه فقال (ووقع ايضا فى كتب الانبياء)
المنزلة من السماء كصحف ابراهيم وداود (قال داود عليه الصلوة والسلام اللهم) اى يا الله
والحقوا الميم فى آخر هذا الاسم ايذانا بجمع اسمائه وصفاته فالسائل اذا قال اللهم
فكانه قال ادعو باسمائه وصفاته فاتى بالميم المؤذنة بالجمع فى آخره ايذانا بسؤاله
باسمائه كلها ولذا قال العطاردى اللهم فيها تسعة وتسعون اسما من اسمائه وقال النضر
من قال اللهم فقد دعا الله بجميع اسمائه ووجه هذا بان اللهم بمنزلة واو الجمع فانها من
مخرجها فكان الداعى بها يقول يا الله الذى اجتمعت له الاسماء الحسنى والصفات العلى
وشددت لتكون عوضا عن الواو والنون فى نحو مسلمون (ابعث لنا محمدا يقيم السنة)
اى الطريقة الشرعية والدين (بعد الفترة) اى انقطاع الوحى والرسل وضمير لنا
للناس (فقد يكون القيم بمعناه) اى بمعنى المقيم للسنة المأخوذ مما ذكر لدلالته بمادته
عليه فيكون اذا سلم انه اسم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى وقد قالوا
انه اسمه فى الزبور كما يشير اليه كلام المصنف وفى التورية كما نقله السيوطى ولن
يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فالسنة سنة الرسل وهى
الشريعة والتوحيد والفترة ما بين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد يخص
ما بين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واصل معناها الضعف وتسمية ترك
العبادة فترة منه فليس معنى اصليا كما توهم فان كان ضمير لنا له ولقومه فجملة ابعث
الدعائية تمنى ان يبعث فى زمنه وقيل ضمير بمعناه لقثم بالمثلثة وفى كتاب فضل الصلاة
على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابن القيم ان اللهم لا تستعمل الا فى الطلب

نحو اللهم اغفر لى فلت وهذا ينافى قوله بعد هذا انه يسوغ استعماله فى موضع لا يكون بعده دعاء نحو اللهم لك الحمد واليك المشتكى فتأمله (وروى النقاش) تقدمت ترجمته (عنه عليه السلام) انه قال (لى فى القرأن سبعة اسماء) تقدم المراد بالاسماء وانها تشمل الصفات غير الاعلام ثم ذكرها فقال (محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله) تقدم الكلام على بعضها وسيأتى تتمته ومحالها من القرأن معلومة فى اوائل السور وغيرها كقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واقتصر على هذه لشهرتها والا فقد ورد فيه غيرها كالرسول والنبى والخاتم والرؤف والرحيم والصاحب ومفهوم العدد غير معتبر وقيل انه كان قبل وصف الله له بهذه او المراد ما يختص به كما يشعر به تقديم الخبر والجواب بان رؤف ورحيم صفتان لا اسمان لتعلق الجار بهما كما فى قوله تعالى * بالمؤمنين رؤف رحيم * ثم استفيد كونهما اسمين بعد القرأن غير مسلم لما مر وقوله فى القرأن يشير الى ان له اسماء اخر ابست فيه وفى الصحيحين فى فترة الوحى بينا انا امشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء على كرسى بين السماء والارض فرعبت منه ورجفت فقلت زملونى زملونى وفى رواية دثرونى فانزل الله تعالى * يا ايها المدثر قم فانذر والمدثر والمزمل اسمان من الحالة التى كان عليها حين النزول والمدثر المتلفف فى الدثار وهو الثياب والمزمل بمعناه واصله المتدثر والمتزمل فقلب وادغم كما هو معلوم من علم التصريف وقال ابن الوردى انما نزل يا ايها المدثر عقيب قوله زملونى لان هذا التزمل اريد به الدثار من برد يعترى المروع كالمحموم كما كان يعتريه صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول الوحى عليه فخاطبه بما طلب من تزمله اى يا ايها المتزمل المتدثر دع الدثار وجه فى الانذار تأنيسا له من الروع وتنشيطا له على فعل ما امر به كما تقول لمن ارسلته لامر فتخوف وتبطأ عنه يا ايها المتخوف امض لامرك وقال السهيلى فيه ملاطفة لانه ورد انا النذير العريان فوصفه بالانذار مع الدثار تمليح بالطباق وهو منزع بديع وكان تدثره صلى الله تعالى عليه وسلم بقطيفة فى بيت خديجة وذكر عائشة بدل خديجة خطأ لانه كان بمكة وعائشة انما كانت معه بالمدينة وقيل معناه المدثر بالقرأن وقيل معنى المزمل الحامل لاعباء الرسالة من الزاملة فهو استعارة تصريحية وقال السهيلى ليس المزمل من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو مشتق من حالته المتلبس بها حال الخطاب والعرب تفعله ملاطفة ومعاتبة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه وقد نام على الارض قم يا ابا تراب ملاطفة لما كان بينه وبين فاطمة رضى الله تعالى عنها من المغاضبة وما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان بمرطها مزملا امرطا طوله اربعة عشر ذراعا نصفه عليها وهى نائمة لا اصل له فان نزول يا ايها المزمل بمكة ودخوله صلى الله تعالى عليه وسلم على عائشة انما كان بالمدينة وقد علمت ان عبد الله سماه الله تعالى به فى آيات

والعبودية اشرف صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم واصل معناها الخضوع والتذلل وان العبد هو الانسان رقيقا ام لا وقال المشايخ العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر لما صدر منه بعين التقصير وفى بعض النسخ (وفى حديث عن جبير بن مطعم هى) اسماؤه صلى الله عليه وسلم (ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحى) وقد علمت معانيها (وفى حديث ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمى لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى) وفى رواية كما تقدم المقتفى (والحاشر ونبى التوبة) هذا الحديث اسنده السيوطى فى الرياض الانيقة وقد مر تفسير هذه الاسماء غير الاخير ومعناه ان توبة امته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها او يغرغر وكانت الامم السالفة منهم من لا تقبل توبته اصلا ومنهم من تقبل توبته بشرط امور شاقة كما لم تقبل توبة بنى اسرائيل من عبادة العجل الا بقتل انفسهم وهذه الامة تقبل منهم مطلقا وان تكررت مع تكرر الذنوب وبه فسر قوله تعالى * ان الله يحب التوابين * بشرط الندم والعزم على عدم العود ورد حقوق العباد او استحلالهم ونحوه كما فصلوه فى محله فهو لا ينافى قبول توبة غير هذه الامة فى الجملة (ونبى الملحمة) تقدم تفسيره (ونبى المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله) رواية ودراية كما تقدم ايضا (ومعنى المقفى هو معنى العاقب) كما مر مفصلا والاولى تفسير كلا منهما بمعنى هربا من التكرار فمعنى المقفى التابع لهدى النبيين وسننهم والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة واليه اشار بقوله (قيل) معنى المقفى (المتبع لهدى النبيين واما نبى الرحمة والتوبة) يأتى جوابه اما وقيل معنى نبى التوبة انه كثير التوبة والاستغفار لنفسه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة (والمرحمة والراحة) لان من رحمه الله تعالى فقد اراحه من العقاب واذا اعلمه بذلك اراحه من القلق (فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافى انه نبى الملحمة والسيف اى القتال به لما تقدم وفى شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات يعذب بالاستئصال فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهاد بسيفه ليرتدعوا عن الكفر فالسيف فيه بقية لهم ويؤيده نزول ملك الجبال عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ليطبقها عليهم واباؤه ذلك رجاء ان يكون من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم الاصر واثابهم الكثير على العمل القليل مع قصر اعمارهم وقد اثاب الله تعالى الامم السالفة مع كثرة اعمارهم واعمالهم باقل من ذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفى جعله صلى الله تعالى عليه وسلم عين الرحمة وتعميم العالمين بها مبالغة ظاهرة (وكما وصفه) اى مثل وصفه الذى وصفه به فى هذه الآية

وصفه له فى غيرها (بانه يزكيهم) اى يطهرهم من الاخلاق الذميمة والآثام المدنسة لهم بقاله وحاله وضمير يزكيهم للعالمين وقيل لامته (ويعلمهم الكتاب) اى القرآن (والحكمة) اى العلوم النافعة والعقائد الحقة ومعانى القرآن وفسرت ايضا باصابة الحق قولا وفعلا ووردت بمعنى القرآن ايضا والحكمة من الله معرفة حقايق الاشياء وايجادها على غاية الاحكام ومن الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو الذى وصف به لقمان ويصح ارادته هنا ايضا (ويهديهم الى صراط مستقيم) اى يدلهم على طريق لاعوج فيه بالوحى والشريعة يوصلهم الى سعادة الدارين (وبالمؤمنين رؤف رحيم) قدم متعلقه للتخصيص او للاهتمام والتشريف مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القرآن قصد الاقتباس عن مشكاته وتقديم الرؤف كامر لانه الشفقة والتلطف بالمنعم عليه وهو مقدم على مامر وماقيل من انه قدم للفاصلة وحقه التأخير بناء على انه اشد الرحمة تقدم رده (وقد قال) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او الله فى غير القرآن اذ لم يقع فيه بهذا اللفظ (فى صفة امته انها امة مرحومة) فى الدنيا والآخرة فى الحياة والممات والامة امة الدعوة او الاجابة (وقد قال تعالى فيهم) اى فى حقهم وشأنهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) معطوف على جملة الصلة فى قوله تعالى الذين آمنوا (اى يرحم بعضهم بعضا) اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وبالرحمة على خلق الله (فبعثه الله) وفى نسخة فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه (رحمة لامته) متفرع على ماقبله باعتبار العلم والظهور وهو فى الحقيقة سببه ورحمته المختصة بهم ظاهرة ورحمة مفعول له او حال من الله او من ضمير النبى بمعنى راحما لهم (ورحمة للعالمين ورحيما بهم) اى جعله عين الرحمة لارشاده لهم ولطفه بهم وحمله على ذلك فلا تكرار فيه مع ماقبله (ومترحما) و(مستغفرا لهم) اى داعيا لهم بالرحمة والمغفرة لشفقته صلى الله عليه وسلم عليهم ففيه حسن ترتيب وايهام للتأكيد (وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة) لاجابة دعائه وتحقيق رجائه لهم ويجوز ان يكون بيانا لمامر لاعتنائه وتفضيله (وامرها) اى الامة (عليه الصلوة والسلام بالترحم واثنى عليهم) اى امر امته بان يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله (وقال) عليه الصلوة والسلام (ان الله يحب من عباده الرحماء وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن) وهذا خبر لفظا مآل معناه الامر فلذا اردفه بصريحه بقوله (ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء) بالرفع والجزم وحديث ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية قيل ويؤخذ من كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة انه لا ينبغى ان يدعى له بالرحمة فيقال اللهم ارحم محمدا ورده العراقى بان كونه رحمة للعالمين من جملة الرحمة فهو دليل لهم لا عليهم وماورد فى الحديث يتبع وقيل انه مخصوص بالتشهد لعدم وروده

فى غيره وسيأتى تفصيله فى بحث الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واما رواية نبى الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف وهى صحيحة) متنا وسندا كما ذكره المحدثون وظاهرة معنى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم فرض عليه القتال واحلت له الغنائم ونصر بالرعب ووقع له من الحرب والجهاد والنصرة ما لم يتفق لغيره من الرسل وبقى ذلك فى امته الى يوم القيامة وما احسن ما قيل

* جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن المحراب فى المحراب *

فلاختصاصه بذلك اضيف له (وروى حذيفة) وفى نسخة عن حذيفة وهذا رواه احمد والترمذى فى الشمائل (مثل حديث ابى موسى) الاشعرى السابق اى بمعناه ولفظه (وفيه ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم) بالجمع للكثرة اشارة الى انه اختص بكثرتها (وروى الحربى) تقدم ذكره وانه متعدد ولم يعينه المصنف رحمه الله تعالى ورواه ابو نعيم فى الدلائل عن يونس بن ميسرة (فى حديث انه عليه الصلوة والسلام) بيان لانه مرفوع (قال اتانى ملك فقال انت قثم) بالثاء المثلثة كامر اى مجتمع اى مجموع فيك كل كمال وخير فكنى عن ذلك بكونه مجتمع فى ذاته ولذا عقبه بقوله (قال والقثوم الجامع للخير) كله فى ذاته ولغيره (وهذا اسم) له صلى الله عليه وسلم (هو فى اهل بيته معلوم) فسمى به غيره كما تقدم هو وتفسيره (وقد جاءت من القابه) وهى اسماؤه المنقولة واللقب ما اشعر بمدح واما قوله تعالى ولاتنابزوا بالالقاب فمخصوص بما فيه ذم مؤذ كما ذكره المفسرون (وسماته) بمعنى صفاته او هو عطف تفسيرى والسمة فى الاصل الوسم والكى ثم عم لكل علامة واشتهر بمعنى الصفة او المراد الصفات الواردة (فى القرآن) لان اكثر ما فيه صفات منزلة منزلة الاعلام (عدة كثيرة سوى ما ذكرناه) مما تقدم ذكره ومنها ماهو حقيقة ومنها ماهو استعارة (كالنور والسراج المنير) كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وقال وسراجا منيرا وفسر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور لا ينطفى ويأبى الله الا ان يتم نوره وهذا بناء على ما اختاره ومنهم من فسره بالقرآن ولكل وجهة والذى حققه المشايخ نور الله تعالى مراقدهم كما فى مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم مشحون بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التى يفيض بعضها على بعض قال والنور الحقيقى هو الله فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعرى انه نور ليس كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شرر تلك الانوار وبهذا صرح فى هياكل النور فلذا سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نورا ولاقتباسه من الانوار الالهية سمى سراجا لما فاض عليه من الانوار العلوية فليس الوصف به لغوا ولا مؤكدا فان فهمت فنور على نور فهو فى الاصل استعارة ثم ان كان سمى به صار حقيقة (والمنذر والنذير)

وهما متقاربان معنى واصل الانذار الاعلام بما فيه تخويف قال تعالى * انما انت منذر ولكل قوم هاد * وقال انى انا النذير المبين * وفى البخارى انما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال ياقوم انى رأيت الجيش بعينى وانا النذير العريان فالنجاة النجاة فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل ما عصانى وكذب ما جئت به من الحق والنذير للمبالغة فى صدقه وجده فى انذاره ووصفه بالعريان لانه ابلغ فى انذاره وقيل كان النذير يتجرد من ثيابه ويلوح بها مع الصياح تأكيدا لانذاره (والمبشر والبشير) قال تعالى * انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * ونحوه من الآيات وهما من البشارة بكسر الباء وضمها وهو الاخبار بخبر سار وقوله تعالى * فبشرهم بعذاب * تهكم وسميت بهما لتغيرهما بشرة الوجه اى ظاهره وقيده بعضهم بالخبر الصادق وبنوا عليه ما لو علق عليه طلاقا او عتاقا كما بين فى كتب الفقه والاصول وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقد مر ذلك كله وقال السيوطى انه من اسماء الله ايضا لقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وفيه نظر (والشاهد والشهيد) قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ويكون الرسول عليكم شهيدا * ونحوه والشهادة كما فى الصحاح الخبر القاطع واصل معنى الشهادة المعاينة وسمى به لشهادته على الامم لتبليغ انبيائهم لهم ويشهد على امته بالايمان كما ورد فى الحديث ويأتى ان الشهيد من اسماء الله تعالى ومعناه العالم او الشاهد على عباده يوم القيامة ثم سمى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والحق المبين) قال تعالى * حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم * ونحوه وفسرا به صلى الله تعالى عليه وسلم والحق والصدق متقاربان وفرق بينهما الامام بان الصدق نسبة الشئ الى الواقع والحق نسبة ما فى الواقع الى الشئ من حق اذا ثبت وسمى به صلى الله تعالى عليه وسلم لحقية نبوته ورسالته وما جاء به وجعل عين الحق مبالغة والمبين من ابان ويكون متعديا ولازما بمعنى تبين فمعناه الظاهر فى نفسه والمظهر لغيره قال تعالى * لتبين للناس ما نزل اليهم وان المبين من اسمائه تعالى لتبين الوهيته وعظمته وتبيينه لعباده امر معادهم ومعاشهم وشرايعهم (وخاتم النبيين) بكسر التاء اسم فاعل وبفتحها اسم آلة كطابع كانه ختمهم بنفسه فهو استعارة فى الاصل شاع وصار حقيقة قال تعالى * ولكن رسول الله وخاتم النبيين * من ختمت الامر اذا تممته وبلغت آخره وفى الصحيحين مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا واحسنه واكمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما ليكون الختم رحمة ولئلا يطول مكث امته تحت الارض ولئلا تطلع الامم على احوال

امته ولئلا تنسخ شريعته ولذلك نزل عيسى عليه السلام على شريعته كما تقدم (والرؤف الرحيم) تقدم معناهما مفصلا (والامين) فعيل بمعنى مفعول مبالغة ويكون بمعنى فاعل كقوله تعالى * وهذا البلد الامين * وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع فى القرآن فى قوله تعالى * انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين * فى قول بعض المفسرين ان المراد به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وان كان المشهور خلافه وانه جبريل وقال المصنف انه قول اكثر المفسرين كما نقله السيوطى عنه وقيل انا لم نعلمه فى القرآن فى غير هذه والراجح خلافه الا انه وقع فيه بطريق الالتزام لانه وصف به فيه من هو دونه كقوله تعالى * فى موسى انى لكم رسول امين * وفيه تكلف وقد سمى به وبالمأمون فى الجاهلية قال كعب بن زهير

* سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا *

ومر انه لما تشاحت قريش فيمن يضع الحجر الاسود قالوا اول من يدخل من هذا الباب نضعه فدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رأوه قالوا قد جاء الامين وانه كان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودايع والامانات (وقدم الصدق) كما عده كثير من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى البخارى عن زيد ابن اسلم فى قوله تعالى * وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم * قال هو محمد صلى الله عليه وسلم ومر الكلام عليه مفصلا اول الكتاب وعن على كرم الله وجهه كما اخرجه ابن مردويه انه قال فى تفسيره هو محمد شفيع وفيه اشارة الى وجه التسمية بتشبيه بان يشفع لهم لان من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له فعلى هذا انه سماه الله تعالى به وكذا روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان معناه شفيع مصدق ومر عنه فى كلام المصنف رحمه الله تعالى شفيع صدق عند ربهم ومر فيه عن سهل ان معناه سابقة رحمة اودعها الله تعالى اى عهد له بها ازلا انه سيجعله رحمة لهم ولذا اعقبه المصنف رحمه الله بقوله (ورحمة للعالمين) فهو كالتفسير له والقدم واحد الاقدام ويطلق على التقدم لانه يكون بها ويقال لفلان قدم اى مقدم كما قال ذو الرمة

* لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادى طمت على الفخر *

وكونه رحمة لجميع العالمين كما فى قوله تعالى * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * وقد مر الكلام عليه (ونعمة الله) فهو صلى الله عليه وسلم نعمة لهم وعن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فسمى نعمة كما سمى رحمة وذلك حقيقة لمن اتبعه ولذا قال (والعروة الوثقى) قال ابن دحية وابو عبد الرحمن السلمى فى قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى * هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والوثقى الوثيقة المثبتة فيه استعارة تمثيلية تصريحية لان من اتبعه لا يقع فى هوة الضلال كما ان من

يمسك حبلا متينا صعد من حضيض المهالك (و) من اسمائه صلى الله تعلى عليه وسلم (الصراط المستقيم) ذكره ابن دحية وقال ابو العالية فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن ابى حاتم وسمى به لانه طريق الى الله تعالى موصل اليه وتقدم ان الصراط بالصاد والسين والزاى المشمة الطريق المستوى او الواضح والمستقيم الذى لاعوج فيه فاستعير له صلى الله تعالى عليه وسلم لان التابع له واصل لسعادة الدارين ناج والمنحرف عنه ضال غير مهتد فلذا عقبه بقوله (والنجم الثاقب) اشارة لقوله تعالى وبالنجم هم يهتدون وروى عن السلف فى قوله تعالى والنجم الثاقب انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل قلبه وهو بعيد وقدمر هذا وماقبله فى كلام المصنف رحمه الله عن جعفر الصادق فى تفسير والنجم اذا هوى وان الثاقب بمعنى المضئ المتوهج قال * اضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه * وهو تشبيه بليغ او استعارة من مطلق النجم او من نجم مخصوص وهو زحل لانه يهتدى به صلى الله تعالى عليه وسلم كما يهتدى بالنجم او لانه استنارت به ظلمة الجهل فان رخص بزحل فوجه الشبه الاضاءة مع الرفعة كما قيل (والكريم) المتفضل او العفو او الكثير الخير او العلى كما يأتى وكله صحيح فى حقه صلى الله تعالى عليه وهو سمى به فى قوله تعالى * انه لقول رسول كريم * بناء على انه المراد به وقيل المراد جبريل كما مر ويأتى والخلاف فى تفسيره مشهور ولاحاجة لاثباته بهذه الآية لاتصافه صلى الله عليه وسلم به وبمعناه فى الاحاديث الصحيحة (والنبى الامى) قال الله تعالى * الذين يتبعون الرسول النبى الامى * وهو من لايقرؤ ولايكتب وقيل هو الذى يقرؤ ولايكتب ورجحه السبكى والسيوطى وفيه اقوال احدها وثانيها هذان وقيل كان يقرؤ ويكتب وقيل كان لايقرؤ ولايكتب فى اول امره ثم لما زالت الشبهة علمه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين من علماء المغرب ومن تبعهم وسيأتى تفصيله مع انه مقدم مرارا والامى منسوب الى الام كانه على الحالة التى ولدته امه عليها او الى ام القرى وهى مكة او الى امة العرب وكنى به عما ذكر لان القراءة والكتابة لم تكن معروفة فيهم وقيل منسوبة الى الامة لانه امة نفسه وامية معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وان عدت منقصة لغيره لانه مع ماظهر منه من العلوم والمعارف اللدنية ومعرفته بالاخبار الامم السالفة وشرايعهم وهو لايقرؤ ولايكتب ولم يدارس ولم يتلقن ممن قرأ وكتب امر غريب عجيب والمقصود من القراءة والكتابة ذلك لانهما آلة وواسطة له غير مقصودة فى نفسهما فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغنى عنهما بخلاف غيره مع مافى ذلك من الرتبة والاستغناء بكتابة عن ملائكة كما قال الله تعالى * وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون * وروى انه صلى الله تعالى

عليه وسلم قال لااريد الخط لئلايقع ظل القلم على اسم الله تعالى رواه الترمذى ولم يسنده فجزاه الله تعالى على ذلك ان يرفع ظله عن الارض فلا يوطأ وان لاترفع الاصوات على صوته وسيأتى ان من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالامية على وجه يشعر بالتنقيص له حكم الساب (وداعى الله) اى داعى الناس الى توحيد الله وطاعته كما قال الله تعالى * وداعيا الى الله باذنه واجيبوا داعى الله ونحوه وفى الحديث الصحيح ان ربكم فتح دارا وصنع مأدبة فمن اجاب الداعى رضى عنه السيد ودخل الدار واكل من المأدبة فالسيد هو الله والداعى محمد والدار الاسلام وقال البخارى الجنة وكذا المأدبة قال السيوطى وقد وصف الله تعالى نفسه بانه داع فى قوله تعالى * والله يدعو الى دار السلام * فهو من جملة اسماء الله تعالى التى سماه بها وقال على لسان الجن اجيبوا داعى الله ففيه دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم وقال مقاتل لم يبعث الى الجن نبى قبله وفسر قوله بعثت الى الاسود والاحمر بالانس والجن كما تقدم وهو مشكل بسليمان عليه والسلام وقد يوفق بينهما بان الله سخرله الجن مع امره لهم بتوحيد الله تعالى لانه لايرضى الكفر الا انه لم يكلفهم بفروع شريعته والنبى صلى الله عليه وسلم مأمور بدعوتهم وتكليفهم بالعمل بشرعه ولم يؤمر باستخدامهم وتسخيرهم له كسليمان (فى اوصاف كثيرة وسمات جليلة) عظيمة مبجلة اى ورد ماذكر فى القرآن والآثار مع صفات اخرى كثيرة اطلقت عليه كاطلاق الاسم على مسماه فجعل الكثير باشتماله على غيره كالظرف المحتوى على مظروفه وسمات جمع سمة وهى العلامة لكن تجوز بها عن مطلق العلامة كالرسم للانف وشاع حتى صار كالحقيقة او بمنزلتها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به للتفنن فى العبارة (وجرى بها وكتب الله المتقدمة مثلها) اى وقع منها فى كتب الله المتقدمة على القرآن كالتورية والانجيل وغيرهما وجرى حقيقته اسرع من المشى وفى المابعات بمعنى سال كجرى النهر ثم شاع عرفا بمعنى وقع وحدث فيقال جرى الماء على كذا ولذا تلطف الشاعر فى قوله * ويحدث الماء الزلال مع الصفا * فجرى النسيم عليه يسمع ماجرى (وكتب انبيائه) قيل المراد بها كلمات منقولة فانهم عليهم الصلوة والسلام احاديث دونها احبارهم فى زمانهم قبل نسخ احكامهم ونقلها المسلمون عنه ودونها كالاسرائيليات وهذا يعلم من مقابلته لماقبله (واحاديث رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم الواقع فيها وصفه او تسميته لنفسه اوقالها اصحابه بنقل عنه وبدونه وهذه كلها تسمى احاديث ايضا (واطلاق الامة) غير الصحابة والمراد الاعم اى تسميتهم له صلى الله عليه وسلم ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعنى استعماله سواء كان حقيقة ام لا مشهور ومتعارف وهو فى الاصل من الاطلاق بمعنى فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر واسماؤه صلى الله عليه وسلم وان كانت توقيفية عند بعضهم

كاسماء الله تعالى فما اشتهر فيها وتلقى بالقبول فى حكم المنقول فان الامة لاتجتمع على الضلالة وقد وقع هكذا فى كثير من اسمائه وصفاته (جملة شافية) فاعل جرى من شفا المريض اى شافية من داء الجهل اومن شفا الغليل وهو حر العطش لانه يروى الظمأ ويثلج الصدر (كتسميته بالمصطفى والمجتبى) هذا مما اطلقه عليه الامة ولم يرد فى كتاب ولاسنة وهما بمعنى وفى الصحاح اجتباه بمعنى اصطفاه واختاره واصله كما قاله الراغب من جبيت الماء فى الحوض اذا جمعته لجمعه صلى الله تعالى عليه وسلم المكارم والصفات الحميدة بفيض الهى من غير سعى كما قال تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب * قال السيوطى المصطفى من اشهر اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله المختار وفى مسند الدارمى ان فى التورية محمد رسول الله عبدى المختار الى آخره (وابى القاسم) وهذا اشهر كنية له صلى الله عليه وسلم ومنها ابو ابراهيم كما يأتى وابو المؤمنين وابو الارامل كما ذكره السيوطى وهذا ورد فى الحديث الصحيح ففى مسلم عن جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى فانى ابو القاسم اقسم بينكم ويأتى الكلام فى اوائل القسم الرابع ومثله مافى كتاب الذخائر والاخلاق فى ادب النفوس ومكارم الاخلاق انه كنى به لانه يقسم الجنة بين اهلها يوم القيامة والذى جزم به اهل السير انه كنى بابنه القاسم وهو اول اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم من خديجة ولادة ووفاة وظاهر النهى فيه تحريم التكنى بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعى وقيل انه جائز بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم والنهى مخصوص بحياته ورجحه النووى ووجهه ان النهى عن ذلك لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره فيجد المنافقون فرجة لاذاه وهو يزول بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا لم ينه عن اسمه مع منع الله تعالى من ندائه به وفى قول يحرم لمن اسمه محمد دون غيره لما روى عن جابر مرفوعا من تسمى باسمى فلا يتكنى بكنيتى ويأتى بسط ذلك فى القسم المذكور قال السبكى وحيث حرمناه فالمحرم الكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكنى وهو قبول المسمى لذلك واما الاطلاق فامر ثالث الا ان يكون ذلك الشخص لايعرف الا به فيكون عذرا واختلفوا فى عمر ابنه القاسم فقيل سنتان وقيل غير ذلك (والحبيب) وحبيب الله تعالى وهذا ثبت بالحديث الصحيح الذى رواه البيهقى فى الشعب عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذنى حبيبا وقال وعزتى وجلالى لاوثرن حبيبى على خليلى ونجيى وقد مر الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما والكلام على ايهما افضل وهذا الحديث صريح فى تفضيل المحبة لان لها معنيين احدهما مطلق وهو فى الخلق مطلق الميل وفى الله ايثاره وتفضيله على غيره وخاص وهو فى الناس ايثاره على نفسه وغيره وجعله نصب عينه بحيث لايفتر عن ذكره وتملكه لقلبه بحيث لايكون فيه محل لسواه والخلة المودة والمعاونة مع ميل ما ولاشك انها

بهذا المعنى افضل واعلى فقول ابن القيم فى كتاب الداء والدواء ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة اكمل من الخلة فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة فانها نهاية المحبة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره صلى الله عليه وسلم بمحبته عائشة وغيرها لم يصادف محزه (ورسول رب العالمين) لم ينظم هذا فى سلك ماوقع فى القرآن لانه وان ورد فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهرى الرسول المبلغ لاخبار من بعثه من قولهم جاءت الابل رسلا اى متتابعة والفرق بينه وبين النبى مشهور (والشفيع المشفع) اى المقبول شفاعته وسمى شافعا ايضا وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات سبعة كما تقدم تفصيله (والمتقى) والتقى والاتقى لحديث مسلم انا اتقاكم لله والتقوى لها مراتب مفسرة فى تفسير البيضاوى (والمصلح) للخلق بارشاده وهدايته قال المصنف رحمه الله وجد على بعض الحجارة القديمة محمد تقى مصلح امين لانه الف بين قلوب الناس وازال مابينهم من الضغائن كما كان بين العرب والعجم وقبائل العرب كما قال الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم (الطاهر) بالمهملة لطارته صلى الله عليه وسلم من النقايص والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب الشافعية الى طهارة فضلاته كغائطه وبوله ودمه ورجحه السبكى والبلقينى وافتوا به كما مر وقد شربت بوله ام ايمن وشرب جماعة من دمه ولم ينكره صلى الله تعالى عليه عليه وسلم وطهارته من الذنوب والاخلاق الردية كما تقدم (والمهيمن) ويأتى ان هذا سماه به عمه العباس رضى الله تعالى عنه فى شعره المشهور الذى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم به وقد تقدم راويته له وفيه

*حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق*

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وروى فتحها ايضا وهو كما انه اسم له صلى الله عليه وسلم صح انه من اسماء الله تعالى ومن اسماء القرآن قال الله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وفسر فى الآية بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم على انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقرآن على انه حال بعد حال من الكتاب ولذا لم يذكره المصنف فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة فى القرآن وقال ابن قتيبة انه من اسماء الله تعالى معناه الشاهد وقيل الحفيظ وقيل الرقيب وقيل القائم على خلقه وقيل الامين اى وتبعه المصنف فى بعض ذلك كما يأتى بيانه واصله مؤيمن قلبت همزته هاء وقيل المهيمن وهو فى اسماء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعنى الاول اوالرابع اوالخامس انتهى وهو عنده اى المصنف مصغر مؤمن على ماسيأتى وتصغيره للتعظيم وقد رد هذا وشنع عليه فيه بان اسماء الله واسماء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن بل كل معظم

لايجوز فيها التصغير كما يأتي ولم يرد مثله ولذا ارتضى ابو على فى الحجة انه اسم مكبر ورد بهذه الزنة كالمبيقر والمسيطر وفيه ما يدل على ماقاله واذا وصف به القرآن فمعناه رئيس الكتب العالى عليها لحفظه من التغيير والتبديل واعجازه ببلاغته ومزاياه وقيل معناه المصدق ويبعده تعديته بعلى الان يقال انه لمافيه من معنى العلو وعلى انه من الامن ظاهر لانه امنهم من الخوف (والصادق والمصدوق) وسمى بالصدق ايضا والمصدق اسم فاعل بالتشديد كما ذكره ابو بكر ابن عربى وفى صحيح البخارى حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق قاله ابن مسعود وكذا ورد هذا فى عدة احاديث رواه السيوطى لانه صدق الانبياء والكتب التى قبله والمصدوق اسم مفعول من صدق المتعدى كما ورد صدق وعده والصادق من اسماء الله ايضا ورد فى حديث الاسماء كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى (والهادى) عده جماعة من اسمائه اخذا من قوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم وهو من اسماء الله تعالى ايضا ويأتى ان الهداية تطلق على خلق الاهتداء ويوصف بها الله تعالى خاصة وهو المنفى فى قوله انك لاتهدى من احببت على قول وعلى البيان والدلالة بلطف وهذه يوصف بها الله تعالى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على الداعى ومنه ولكل قوم هاد ولاتستعمل الافى الخير وقوله واهدوهم الى صراط الجحيم تهكم وهدايته صلى الله عليه سلم لمافيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهرة وقد اشبعنا الكلام عليه فى حواشى القاضى (وسيد ولد آدم) وقد ورد اطلاقه عليه فى احاديث كثيرة صحيحة كما فى حديث الشفاعة انطلقوا الى سيد ولد آدم وفى الصحيحين انا سيد الناس يوم القيامة وهو من اسماء الله تعالى ايضا كما اثبته البيهقى فى كتاب الصفات فيجوز اطلاقه على الله تعالى وعلى غيره مطلقا وهو احد اقوال اربعة فقيل يختص بالله مطلقا وقيل يختص به معرفا وقيل يختص بغيره ولايجوز اطلاقه عليه واستدل للاول بانه لماقال له صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر انت سيدنا قال السيد هو الله وهو حديث صحيح كما مر وتحقيقه انه على الاطلاق معناه العظيم المحتاج اليه غيره وهذا مما يوصف به الله وغيره واما تخصيصه بغير الله كما روى عن مالك فلانه لم يثبت عنده اطلاقه على الله تعالى ولان معناه رئيس القوم الذى يفخر ويعز باتباعه وسيد القوم منهم وهذا لايليق بالله تعالى ولذا فسر اذا اطلق على الله بمامر واما اختصاصه بالله فلان معناه المالك المتصرف فى امور غيره وهذا فى الحقيقة انما هو لله واما التفصيل فلانه معرفا المعهود بالعظمة وكونه ملجأ لكل احد وهو مختص به تعالى وهذا اضعفها فان قلت اذا صح الاول فماتصنع بالحصر فى حديث السيد هو الله قلت اذا ثبت وصف لشئ وحده اومع غيره واريد رده فللعرب فيه طرق اظهرها ان يؤتى بصريح الحصر كقولك لامعبود الا الله قلبا وافرادا او يعرف الطرفان كالمعبود

الله وهو كالذى قبله معنى الا انه قد يختار ايماء لفطنة مخاطبه فهو ابلغ فى مقامه او يجعل من ابتداء الزاعم له الصفة عين من هى له فى نفس الامر كما يقال للدهرى الدهر هو الله اى لادهر ولاتصرف لسوى الله فاثبت له التصرف ونفاه عما عداه بطريق برهانى كقوله ان كان للرحمن ولد الى آخره وهذا نوع ادق من غيره سماه الشيخ التنويع وذكره سيبويه فى باب الاستثناء فقوله السيد هو الله يحتمل اجراؤه على ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلادليل فيه على انه من اسماء الله تعالى فضلا عن اختصاصه فاعرفه فانه من نفائس الذخائر المكنوزة فى دقائق الخواطر وقد قدمنا ذلك اول الكتاب فى الباب الاول وانما اعدناه لطول العهد به والمراد بولد آدم النوع الانسانى وكذا كل جماعة سموا باسم ابيهم جاز اطلاق الاولاد عليه واطلاقه عليهم كما يقال تميم له ولاولاده وكذا يقال بنو تميم لمايشمل تميم وهو القبيلة وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية كما فصله القرافى فى كتاب العقد المنظوم وعده من الفاظ العموم فنقل الولد للواحد والجمع فان كان مفردا ينبغى ان يكون الاضافة للاستغراق بقرينة المقام اى انا سيد كل ولد آدم وان كان للجمع والامر ظاهر ويلزم من كونه سيد ولد آدم سيادته على آدم اذ فيهم من هو افضل من آدم كابراهيم وموسى عليهم الصلوة والسلام فقد تكلف مالاحاجة اليه لعدم وقوفه على ماذكروه فى الحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة وانه خص يوم القيامة لانه يظهر فيه سيادته على سائر المرسلين من غير منازع فيه وان كان سيدا فى الدارين كما مر (وسيد المرسلين) كما ورد فى احاديث صحيحة وذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من سائر المرسلين فهو افضل من سائر النبيين لان الرسول افضل من النبى وان اختلف فى تفضيل الرسالة والنبوة (وامام المتقين وقائد الغر المحجلين) جمعهما المصنف رحمه الله تعالى لورودهما كذلك فى حديث رواه البزار انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليلة اسرى بى انتهيت الى قصر من لؤلؤة يتلألؤ نورا واعطيت ثلاثا قيل لى انك سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وقد ورد تسميته صلى الله عليه وسلم بامام النبيين وامام المتقين وامام الناس وامام الخير كما فى الرياض الانيقة والاول ذكره ابن سيد الناس فى سيرته وعن قتادة فى قوله تعالى * يوم ندعو كل اناس بامامهم ان الامام المراد به النبى صلى الله عليه وسلم والامام فى اللغة المقتدى به ويطلق على الواحد كقوله تعالى * انى جاعلك للناس اماما وعلى الجمع كقوله تعالى * واجعلنا للمتقين اماما * قاله ابن الانبارى وسمى صلى الله تعالى عليه وسلم امام النبيين لانه اسبقهم فى النبوة الروحانية ولانه امهم فى الاسراء كما مر واخرج احمد والترمذى اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم وفى رواية لاحمد كنت امام الناس ومنها اخذ تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم به وامام المتقين

ان اريد به امته صلى الله تعالى عليه وسلم فظاهر وان اريد لاعم موافقة لرواية امام الناس فلاقتداء الانبياء به وفي بعض الشروح ان كل نبي سواء كان من امته او من الامم السالفة مقتد به لانهم في السير الباطني اشرفوا على المقام المحمدي وآمنوا به واهتدوا بهديه وامام الخير ورد في حديث رواه ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا له فعلمنا قال قولوا * اللهم اجعل صلواتك ورحمتك و بركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير رسول الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون * وقايد اسم فاعل من القود وهو مقدم على من يتبعه باختياره وهو يقودهم الى الجنة برضاهم وفي القاموس القود نقيض السوق والغر جمع اغر واصل الغرة بياض في جبهة الفرس فالمراد به مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض في القوائم وفي الصحيحين ان امتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وورد بمعناه من طرق كثيرة وفيه زين لهم وقد جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها بين الامم يوم القيامة والتعبير به وبالقود مما هو معروف من صفات الخيل فيه اشارة الى انهم جياد سابقون على غيرهم ففيه استعارة مكنية وتورية كقوله * الناس للموت كخيل الطراد * والسابق السابق منها الجواد * و بها استدل على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل انه غير مختص بهم وانما المختص بهم الغرة والتحجيل لحديث هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي واجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبياء عليهم الصلوة والسلام اختصوا به دون اممهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة اثر الوضوء لاينافي كونه من اثر السجود وادعاء انه غيره فيه نظر (وحبيب الله) تقدم بيانه مفصلا (وخليل الرحمن) تقدم تحقيقه (وصاحب الحوض المورود) رواه ابن حبان والحاكم وقال السيوطي حديث الحوض مروى عن اكثر من خمسين صحابيا وتقدم سرد بعضهم في كلام المصنف ومنهم ابو برزة الاسلمي وحديثه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان لي حوضا ما بين ايلة الى صنعاء عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة احدهما من ورق اي فضة والآخر من ذهب ماؤه احلى من العسل وابرد من الثلج وابيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة فيه اباريق عدد نجوم السماء وقال القرطبي ذهب جماعة الى ان حوضه صلى الله عليه وسلم بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان او بعده والصحيح انه قبله والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا ويزداد عطشهم

في السعي الى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط و ورد ايضا تسميته صلى الله عليه وسلم بصاحب الكوثر وسمي به لاختصاصه به وفي بعض الكتب لكل نبي حوض وتسميته به صلى الله تعالى عليه وسلم لعظم حوضه و زيادته ومثله يحتاج لنقل والمورود اسم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للماء ويلزمه الشرب عادة فلذا عبر به وهو وان كان اسم مفعول لايدل على المبالغة فالمراد به كثرة الواردين عليه ولولاه كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به (والشفاعة) اي من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب الشفاعة وقد تقدم بيانه (و) صاحب (المقام المحمود) وهو مقام الشفاعة العظمى كما مر (و) صاحب (الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة) الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمي به لانه سبب لكل خير وفسر في الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد في حديث مسلم السابق سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لاتنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوان اكون هو واصل الوسيلة كما قال السيوطي القرب من الله والمنزلة عنده وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حساومعنى في الدنيا والآخرة غني عن البيان (وصاحب التاج) قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن المصنف رحمه الله تعالى والعمائم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم فكني به عن انه من صميم العرب واشرفهم حسبا ونسبا و روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لم يلبس العمامة غيره من الانبياء وفي مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل في السير وللنافية رسالة مستقلة وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة تسمى السحاب تحتها قلنسوة ودخل مكة في الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء وهو لاينافي رواية انس رضي الله تعالى عنه انه كان على رأسه مغفر ولبس صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة حمراء ايضا ولم يلبس خضراء اصلا (و) صاحب (المعراج) وهو السلم فهو اسم آلة وقال السيوطي هو عروجه وصعوده صلى الله تعالى عليه وسلم للسماء والاسراء سيره من مكة الى القدس فهو مصدر ميمي فبينهما فرق وان اطلق كل منهما على الآخر كما مر وهو الذي تصعد عليه الارواح و الملائكة ولم يصعد عليه في الدنيا بجسده احد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص بالتسمية به (و) سمي ايضا صاحب (اللواء) قال السيوطي المراد به لواء الحمد الذي تقدم وقد يحمل على اللواء الذي كان يعقده صلى الله تعالى عليه وسلم للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو ما يحمل في الحرب ليعلم به صاحب الجيش يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب منه الراية وفرق بينهما وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت رايته صلى الله تعالى عليه وسلم سوداء ولواؤه ابيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله واول ما حدثت الرايات في الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية

(والقضيب) اى من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب القضيب وهو السيف كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وتبعه السيوطى ويأتى انه وقع مفسرا به فى الانجيل حيث قال معه قضيب من حديد يقاتل به وانه يحتمل ان يراد به القضيب الممشوق الذى يمسكه الخلفاء وفى كتاب البيان للجاحظ انه كانت له صلى الله تعالى عليه وسلم مخصرة وقضيب وعنزة تحمل مابين يديه وهكذا كانت عادة عظماء العرب وخطبائهم فاذا اريد الاول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله وان كان الثانى فعبارة عن كونه من صميم العرب وخطبائهم وماقيل من ان المراد به القضيب الذى اعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلب سيفا كما هو معروف فى معجزاته تكلف ناش من ضيق العطن (وراكب البراق والناقة والنجيب) البراق بزنة غراب من المخلوقات العلوية وروى ان وجهه كوجه الانسان وجسده كالفرس وقوائمه كالثور وذنبه كالغزال وليس بذكر ولا انثى وسمى به لسرعته اولبياضه وصفائه اولمافيه من قليل سواد من قولهم شاة برقاء وركبه صلى الله عليه وسلم لما اسرى به واختلف فيه هل ركبه غيره من الانبياء ام لا وهل ركب معه جبريل ام لا كما تقدم ذلك كله فان قلنا لم يركبه غيره فوجه التسمية به ظاهر وان قلنا ركبه غيره فوجهه ان ركوبه بهذه السرعة وصعوده به الى السماء مخصوص به على ان وجه التسمية لا يلزم اطراده والنجيب الجمل وقد سمى براكب الجمل ايضا فى الكتب القديمة كما سمى عيسى عليه الصلوة والسلام براكب الحمار ولذا قال النجاشى لما جاءه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به اشهدان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وسمى به مع ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الفرس والبغل والحمار لانه كناية عن تواضعه اولهجرته عليه اوكونه من صميم العرب وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم جمال ونوق مذكورة فى السير وقيل المراد بالنجيب الناقة وقيل النجيب اسم فرس له صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه من اعرابى وهو الذى شهد له به خزيمة وهو غريب (وصاحب الحجة) وهى الدليل الذى يحج به الخصم وهو المراد او المراد المعجزة وقد بلغت الفا واعظمها القرآن (والسلطان) بضم السين وسكون اللام وقد تضم وهو يذكر ويؤنث وله معان منها البرهان والملك والنبوة والغلبة ويصح ارادة كل منها هنا وسمى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا فى كتاب شعيا وبعض الكتب القديمة (والخاتم) اى صاحب الخاتم بالكسر والفتح وهو خاتم النبوة الذى كان بين كتفيه صلى الله تعالى عليه وسلم كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه كان فيه كتابة الله وحده لاشريك له او محمد رسول الله اوتوجه حيث شئت فانك منصور وذكره مع السلطان لانه ورد مقرونا به فى كتاب شعيا وقيل المراد به الخاتم المعروف لانه لم يعرف فى العرب ولافى الانبياء من ختم الكتب سواه وفيه نظر (والعلامة) اى علامة النبوة وفى الخاتم ايضا وقد ورد

نعته به فى الكتب القديمة وهو من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم والدال على ان الانبياء ختموا به كما ورد فى حديث ويجوز ان يراد به مطلق العلامات التى كان اهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون ابناءهم (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء ثم راء مهملة والف وواو وتاء تأنيث وهى العصا قال فى النهاية لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمسك بيده القضيب ويمشى بالعصا بين يديه وتغرز له ليصلى اليها وقال الجوهرى هى العصاة الضخمة وجمعها هراوى كمطايا وقال المصنف كما يأتى انها العصا الواردة فى حديث الحوض انه يذود بها الناس عنه وقال النووى انه ضعيف او باطل لان المراد وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه الناس ويعلم اهل الكتاب انه المبشر به فى كتبهم فلا وجه لتفسيره بامر يكون فى الآخرة فالصواب ماتقدم ومن سنن الانبياء حمل العصا تواضعا (والنعلين) اى صاحب النعلين وقد ورد تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا فى الانجيل وفى كيفية نعليه كلام مفصل افرده بعض اهل العصر بالتأليف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نعلان سبتية بكسر السين اى لاشعر عليها اومدبوغة وماقيل من انه سمى به لما فيه من مخالفته لاهل الجاهلية من تنعلهم فى رجل واحدة وقد ورد النهى عنه فى الحديث الاولى تركه (ومن اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب) الالهية المنزلة على من قبله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (المتوكل) هو اسمه فى التورية ونصها انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل وهو الذى يكل امره الى الله ويعتصم به والتعلق بالله على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وهو فرع التوحيد وكان صلى الله عليه وسلم ارسخ الانبياء قدما فيه وتوكل العوام مباشرة الاسباب مع الاعتماد على مسببها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما ترزق الطير تغدو بطانا وتروح خماصا وتوكل الخواص وهو ترك الاسباب بالكلية (والمختار) اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفاء لانه من خيار وفى التورية عبدى المختار لافظ ولاغليظ (ويقيم السنة) سمى به فى التورية والزبور فى قوله اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد الفترة لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء والمراد سنة من قبله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وطريقتهم باظهار التوحيد ودعوة الخلق من قامت السوق نفقت ففيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالامتعة المرغوب ويعد لها ويسويها (والمقدس) بالتشديد اسم مفعول وفى الرياض الانيقة معناه المفضل على غيره وقال ابن دحية معناه المطهر المنقى من دنس الذنوب والنقايص من التقديس وهو التطهير ومن اسماء الله تعالى القدوس اى المنزه عن سمات النقص والحدوث وقيل تقدست به الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروح القدس) بضمتين وضم وسكون وهذا سقط من بعض نسخ الشفاء اى الروح

المقدسة من النقايص وروح القدس فى القرأن فسر بجبريل عليه الصلوة والسلام والقدس الطهارة اوالله واضافة روح له تشريفية كروح الله لعيسى (وروح الحق) الحق هوالله وقال الشيخ ابن عربى فى الفصوص انه اسم الله الاعظم وهوصلى الله عليه وسلم مظهره (وهو) اى روح القدس وروح الحق (معنى البارقليط فى الانجيل) فانه فيه سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الفارقليط وفسر بماذكر وروايته مفسرابه فى شرح الانجيل للمسيحى الطبب الا انه حرفه وقال المراد بروح الحق احد الاقانيم الثلاثة عندهم قاتلهم الله (وقال ثعلب) وهواحمد بن يحيى الشيبانى البغدادى امام اهل اللغة والعربية المشهور ومولده فى حدود المأتين ووفاته فى جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومأتين فى تفسيره له (البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل) قال ابن دحية وهواسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب المنزلة القديمة وروى عن ابن عباس ايضا وروى بالفاء الفصيحة وبالباء غيرصافية وفى المقتفى للحلبى الذى احفظه انه بموحدة فى اوله والف وراء مكسورة وقاف ساكنة ثم لام تليها ياء مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة وهوالصحيح وفى بعض الحواشى انه روى بفتح الراء وقد تسكن وقاف تفتح مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد وفى الرياض الانيقة معناه الحامد والحماد والذى عليه اصحاب الانجيل ان معناه المخلص وعبارة الانجيل انى ذاهب الى ابى وابيكم ليبعث اليكم الفارقليط وفى شرح هياكل النور للدوانى انه بالفاء ثم الف وراء مكسورة وقاف ساكنة ولام مكسورة ثم طاء مهملة والف مقصورة وهو لفظ عبرانى معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد مظهر الولاية التى هى باطن النبوة والمراد بابى وابيكم ربى وربكم والاوائل يسمون المبادى بالاباء انتهى فالحاصل انه بباء مشوبة بفاء وآخره الف ثم عرب بياء وفاء وحذفت الالف من آخره ففيه ثلاثة اوجه وقالوا حقيقته المخلص كما علمت وتفسيره بالفارق الى آخره بيان لحاصل المعنى ومن كذب جهلة النصارى ان الفارقليط نار تنزل على التلاميذ من السماء بها يفعلون العجايب وفى ترجمة الانجيل اذا وحشتمونى فاحفظوا وصيتى وانا اطلب ليعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله قال بعض اهل العلم بالكتب السالفة هذا صريح فى ان الله يبعث اليهم من يقوم مقامه فى تبليغ رسالته وتكون شريعته مؤبدة وليس الاهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يختلفون فى معنى الفارقليط والذى صح عنهم انه الحكيم الذى يعرف السر وفى الانجيل مايدل على ان الرسول فانه قال هذا الكلام الذى تسمعونه ليس هولى بل للاب الذى ارسلنى كلمكم بهذا وانامعكم واما البارقليط فروح القدس الذى يرسل الى باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكر جميع مااقول لكم وهم يزعمون ان روح القدس تفسير للبارقليط كما رأيته فى شرح الانجيل واما الاب فكلمة تعظيم للعلم وهم يسمون العلماء آباء روحانية وقوله يرسل باسمى اى يشهد بصدق

رسالتى وبهذا اتضح لك لفظه ومعناه وهذا مما انتخبته من كتب عديدة فاحفظ (ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب طيب) وروى موذموذ ومبذومبذ الاول هوالذى صح روايته عند المصنف والثانى ذكره العزفى وقال انه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التورية وهو بميم مفتوحة والف غيرمهموزة وذال معجمة ساكنة كما فى المقتفى وقال انه ينبغى ضم ذاله لانه اسم غيرمنصرف للعلمية والعجمة وتقديره انت ماذ ماذ اى ياماذ ونقل الشهاب الحجازى الاديب شيخ السيوطى نقلا عن السهيلى ان ميمه مضمومة والفه مهموزة بين الواو والالف وقال انه سمعه من بعض احبارهم والظاهر انه تكرار للتأكيد والمراد انه طيب فى نفسه وفى دنياه وطيب فى صفاته وآخرته وكونه اسما واحدا مثل مرمر اومركب خلاف الاصل وقيل ان داله مهملة وفى شرح رسالة الكندى المنسوب للغزالى انه سمع ممن اسلم من احبار اليهود انه فى التورية اشارة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله لابراهيم انى قد استجبت لك فى اسمعيل وانا اباركه واعظمه بماذ ماذ وهو محمد من طريق العدد لان فيه ميمين فى مقابله وباء موحدة والفين ودالين باثنى عشر وهو عدد الحاء والدال من محمد وهذا يقتضى ان داله مهملة وهذا مما لم يذكره احد من ارباب الحواشى والشروح وما قاله التلمسانى من انه يحتمل ان يكون مأخوذا من الماذى وهو العسل الابيض لحلاوته فى ذاته وصفاته اوالماذى بمعنى الدرع اللينة السهلة لانه حصن حصين للعالمين ليس بشئ لانه يقتضى انه عربى ولم يقل به احد قط (وحمطايا) هذا وماقبله رواه ابو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وضبطه الشمنى فى حاشيته بفتح الحاء المهملة وفتح الميم المشددة وطاء مهملة مخففة والفين بينهما مثناة تحتية وفى الغريبين انه بكسر الحاء وميم ساكنة تليها ياء مثناة تحتية والف ثم طاء والف هكذا حمياطا وفى المواهب انه بفتح الحاء وسكون الميم ومثناة تحتية والف وطاء مهملة والف بعدها وقال انه بكسر وياء اونون واما معناه فقال ابو عمرو عن بعض الاحبار ان معناه يمنع من الحرام ويحمى الحرم اى يمنع ماكان فى الجاهلية من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم بفتحتين او بضم ثم فتح وفى الرياض الانيقة معناه حامى الحرم او نبى الحرم (والخاتم والحاتم ذكره كعب الاحبار) تقدمت ترجمته واختلف الشراح فى ضبطه وروايته فقيل هما بالخاء المعجمة الا ان الاول بفتح التاء والثانى بكسرها اوبالعكس وهو بعيد لانه تقدم فلاوجه لاعادته وقيل الاول معجمة والثانى مهملة وفسر بانه احسن الانبياء خلقا وخلقا وكما ذكره الظاهر انه من الحتم وهو الاحكام لاحكام القضاء والاحكام ويجمع على حتوم كما قال امية ابن ابى الصلت

* عبادك يخطئون وانت رب * بكفيك المنايا والحتوم *

والخاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انه جمال الانبياء كالخاتم الذي يتزين به فهذا اذا كان تفسير للخاتم بالمعجمة فهو في قوله (وقال ثعلب والخاتم الذي ختم الله به الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا) تكون اشارة الى تفسيره على وجه يسقط به التكرار وسكت عن الثاني لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثاني بالمهملة كما ضبط في الشروح والحواشي وهو مروى عن المصنف ففيه مع التكرار ان تفسير الحاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا في اللغة وانما معناه ما تقدم حتما الا ان يتكلف انه من الحتم بمعنى الخالص وقد قالوا فيه انه مقلوب من المحت ولك ان تقول انه من الحتامة وهي بقية الطعام كانه آخر ما بقى من نعم الله تعالى وقرن بالخاتم وان تكرر لهذه النكتة والعجب من الشراح اذ لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره (ويسمى بالسريانية) وهي لغة آدم عليه الصلوة والسلام واول اللغات ومنها تشعبت سائر اللغات ثم صار اصول اللغات ثلاثا السريانية والعبرانية والعربية وفي بيان معنى نسبتها كلام لا حاجة اليه هنا وهي بضم السين وراء ساكنة او مكسورة وما قيل انه من السر لان الله تعالى علمها لآدم سرا بعيد وقال السيوطي رحمه الله تعالى ان سؤال القبر بالسريانية (مشفح) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفاء مفتوحة او مكسورة مشددة فيهما وروى بالقاف وحاؤه مهملة وسمى به صلى الله تعالى عليه وسلم في كتاب شعيا وقال البرهان لا اعلم صحته ولا معناه ونقل بعض اهل العصر عن ابن فورك ان معناه محمد لانهم يقولون شفح لاها اى يحمد الله وتبع فيه التلمساني (والمنحمنا) قال البرهان هو بضم الميم ونون ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة والف مقصورة وقال التلمساني الميم الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو بالسريانية محمد وبالرومية البرقليطس ونحوه في تذكرة الصفدي وضبطه بعضهم بفتح الميمين ونقله السيوطي عن ابن دحية وقال ابن سيد الناس في السيرة معناه محمد وهو محتمل لانه اسم له ولكونه بمعناه (واسمه في التورية احيد) قال الشمني هو بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها ودال مهملة وقيل انه بفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية والمحفوظ فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية وهو غير عربي وفي الكامل رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل احمد وفي التورية احيد وانما سميت احيد لاني احيد امتي عن نار جهنم وكذا اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ويؤيده انه ضبطه بكسر الحاء مع فتح الهمزة وضمها وهو عربي من حاد يحيد اذا عدل ومال ان لم يكن من توافق اللغات وذكره الماوردي في تفسيره وضبطه بمد الالف وكسر الحاء كما في الرياض الانيقة وفي الشرح الجديد ان الذي في النسخ بضم الهمزة وحاء مكسورة مهملة ومثناة

تحتية ساكنة والمشهور فتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الياء وفي نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون الياء وما قيل انه من الواحد لانفراده في ذاته وصفاته فيه ما لا يخفى (وروى ذلك ابن سيرين) الامام الحجة الثقة الزاهد الورع الشايع صيته في الآفاق ابو بكر محمد بن سيرين الانصارى وروى عنه الائمة الستة وتوفى بعد مائة وعشر وهو من اعلم التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ثم انه رجع الى تفسير بعض الاسماء السابقة فقال (ومعنى صاحب القضيب اى السيف) كما تقدم ومعنى مبتداء خبره (وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال) اى الله في الانجيل وكون فاعله ضمير الانجيل تجوزا تكلف وفي القاموس القضيب السيف القاطع كالقاضب سمى به من القضب لانه اقتطع من الحديد (معه قضيب حديد يقاتل به وامته كذلك) اى يقاتل بالسيف الاعداء ثم اشار الى معنى آخر فقال (وقد يحمل على انه القضيب الممشوق) اى قد يفسر به وهو مجاز من الحمل على الظهر فيجعل التأويل به كجعله عليه استعارة صارت حقيقة شايعة فيه وقد للتحقيق وقد تجعل للتقليل لقلة تفسيره بالنسبة لما قبله وقضيب فعيل بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه فهو في السيف بمعنى انه بالغ في القطع الى حد لم يصل اليه سواه فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنايمه فان كان بمعنى العصا فهو بمعنى مفعول لانه مقطوع من الشجر وقد مر انه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصا على عادة العرب في اتخاذ عظمائهم وخطبائهم عصيا يشيرون بها كما قال الشاعر * في كفه خيزران ريحه عبق * في كف اروع في عرنينه شمم * كما في كتاب العصا للجاحظ وفي القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو جذب الشيء ليطول وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب يسمى الممشوق ومحجن يستلم به الركن وقال ابن الجوزى كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب وهو (الذى كان يمسكه عليه الصلوة والسلام وهو الآن عند الخلفاء) يمسكونه تبركا به فكان لهم واحدا بعد واحد (واما الهراوة التي وصف بها) وصفا لغويا في تسميته صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحملها ويتوكأ عليها وهو من سنن الانبياء (فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم) بضم الهمزة او فتحها بمعنى اظنها او اعتقدها او ان المراد بها هنا في التسمية (العصا المذكورة في حديث الحوض) الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن) اذود بمعنى اطرد وامنع وهذا بذال معجمة في اوله ومهملة في آخره وهذا الحديث رواه مسلم في المناقب هكذا لاهل اليمن اى لاجلهم فانهم على بعد شقتهم اجابوا دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تردد وقتال فاوردهم الحوض قبل غيرهم ليريحهم كما اراحوه فالجزاء من جنس العمل وفيه روايات فروى لاهل اليمن كما ذكر ومع صحته

معنى قالوا انه من طغيان القلم وعن النووى ان هذا التوجيه ضعيف او باطل لان المراد بتعريفه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفة يعرفها الناس ويستدل بها عليه وانه المبشر به فى الكتب السالفة التى ميز فيها العنوان فلا وجه لتفسيره بما فى الآخرة مما لم يتيقنوه ولكن يكفى فى ذلك ذكره ماوقع فى الكتب الالهية التى لم يقرأها او يقول من فسره بهذا انما اراد تفسيره بامر مختص به و بصيره علما له وتقدم انه قيل الاحسن حمله على العصا التى اعطاها صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلبت سيفا فانه معجزة له كما قال الصرصرى يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم * وعصاه لما مسها بيمينه * فضلت عصا صارت الى ثعبان * يعنى انها صارت معجزة اقوى من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام بعصاه (واما التاج فالمراد به العمامة) كما تقدم (ولم يكن حينئذ) اى فى عهد مبعثه وحياته صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب والعمائم تيجان العرب) اى قائمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم والتاج مايوضع على الرأس من الذهب المرصع بالجواهر والعمائم جمع عمامة وسيأتى الكلام على عمامته صلى الله تعالى عليه وسلم ولما لم يقنع فى وصف الحبيب المعمم بما مر قال (واوصافه) اى الاوصاف التى اطلقت عليه (والقابه وسماته) جمع سمة وهى العلامة كما تقدم (فى الكتب كثيرة) اراد بها كتب الحديث والسير او الكتب الالهية (وفيما ذكرناه مقنع ان شاء الله) اى فى المقدار الذى ذكره مايحصل به القناعة عن غيره مما فى الكتب وفى المصباح مقنع كجعفر مايقنع به يعنى انه اسم مكان تجوز به عما يقنع به وقيل انه مصدر ميمى من قنع بمعنى رضى والاول اولى وفى بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهى (وكانت كنيته المشهورة) والكنية ماصدر باب اوام ونحوه (ابا القاسم) اشتهر بها صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اول اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (وروى عن انس رضى الله تعالى عنه) رواه احمد فى مسنده والبيهقى (لما ولد له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولده (ابراهيم) من مارية القبطية جاريته المشهورة (جاءه جبريل عليه الصلوة والسلام فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم) فكناه به كما كناه بالقاسم ومما كنى به صلى الله تعالى عليه وسلم ابو الارامل وابو المؤمنين وقرئ فى الشواذ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقيل ان هذا وامثاله مما لم يضف للابناء الحقيقية لقب لا كنية كابى تراب

﴿فصل فى تشريف الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم﴾

اى تعظيمه وتفضيله (بما سماه به من اسمائه) عز وجل والباء سببية او للتعدية (الحسنى) اى الحسنة الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال الراغب الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى ان الحسن يقال فى الاعيان والاحداث وكذلك الحسنة اذا كانت وصفا لا اسما اذا كانت اسما فهى متعارفة فى الاحداث والحسنى تكون

فى الاحداث دون الاعيان انتهى (ووصف به من صفات العلى) بالضم جمع عليا ككبر وكبرى وفى بعض النسخ العليا وفى المصباح العليا كل مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه بالمكان وقال الراغب العلى جمع لتأنيث اعلى بمعنى افضل واشرف والصفتان كاشفتان (قال القاضى ابو الفضل) هو عياض المصنف (رضى الله عنه) وهو مما عبر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره اوزاده تلاميذه كقوله فى بعض النسخ (وفقه الله) والتوفيق تهيئة الاسباب الموافقة وهى جملة دعائية معترضة (ما احرى) بفتح الهمزة وحاء ساكنة مهملة وراء مقصور بمعنى احق واولى وهى صيغة تعجب من زيادة لياقته (هذا الفصل) قال البرهان الفصل ضبط فى الاصل بالرفع والظاهر نصبه لان ما تعجبية كما تقول ما اكرم زيدا كما هو معروف فى النحو (بفصول الباب الاول) المعقود لثناء الله عليه واظهار عظيم قدره وهذه التسمية دالة على ذلك كما اشار اليه بقوله (لانخراطه فى سلك مضمونه) اى لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من المناقب التى خرست عندها السنة الاقلام وفى السلك استعارة تخييلية ومكنية غير انهم فسروا الانخراط بالانتظام وقد تتبعت اللغة وكلام العرب فلم اجد الانخراط بهذا المعنى بل هو مناف له فان اختراط السيف اخراجه من غمده واختراط ورق الشجر ازالته عنه بجمع الكف ومنه خرط القتاد الا انهم استعملوها كثيرا فى كلام المصنفين الموثوق بهم كالزمخشرى والسكاكى ولم يزل هذا يختلج فى صدرى ولم اجد ما يثلجه حتى وجدت ابن عباد قال فى جامع اللغة خرطت الجواهر جمعتها فى الخريطة وهى الكيس فعلمت ان هذا منه غير انهم تسمحوا فى استعماله فذكروا السلك مكانه لانه مثله فى جمع الجواهر فحمدت الله على ذلك (وامتزاجه) اى اختلاطه بحيث لا يتميز احدهما عن الاخر ومنه المزاج (بعذب معينها) وهو بفتح الميم وكسر العين المهملة بمعنى الجارى مطلقا او على وجه الارض واصله معيون فاعل كمبيع فهو من عين الماء وميمه زائدة وقيل ان وزنه فعيل ومعناه البعيد مجراه من امعن فى سيره والعذب الحلو الذى يتغذى به وفى تفسيره بالغزير مسامحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار عن عدم ذكره فى الباب الاول فقال (لكن الله لم يشرح الصدر للهداية الى استنباطه) اى لم يفتح الله عليه به اولا باخراجه فى محله واصل الاستنباط اخراج الماء ففيه مع ماقبله مناسبة لطيفة وفى ذكر الخوض الاتى بعده لطف * يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا * وقوله (ولا اثار) اى دل دلالة واضحة (الفكر) بكسر الفاء وسكون الكاف او فتحها جمع فكرة (لاستخراج جوهره والتقاطه) اى استخراجه من بحاره او اخذ لقطته وهذا ناظر لانخراطه فى سلكه ففيه استعارة ولف ونشر غير مرتب ففيه درة ودرة (الا عند الخوض فى الفصل الذى قبله) اى لم يهده الله للوقوف عليه الا عند الشروع

فيما قبله واصل الخوض الشروع فى المرور فى الماء فاستعير لمطلق الشروع الا انه كما قال
الراغب اكثر ماورد فى القرآن فيما يذم الشروع فيه (فرأينا ان نضيفه اليه) اى الى
الفصل الذى قبله بان نذكره عقبه لمناسبته له ومراده ان يجعله كالضيف الذى انزل
عنده فلذا قال (ونجمع به شمله) اى نضمه اليه والشمل بمعنى المتفرق اى نجمع
ما تشتت منه ويكون بمعنى الجمع فهو من الاضداد (فاعلم) خطاب لكل من يصح
توجيه الخطاب له كما مر (ان الله خص كثيرا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
بكرامة) اى بامر اكرمه وشرفه به (خلعها عليهم من اسمائه) اى اعطاها لهم والبسها
اياهم والاصل فى الخلعة انها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه او يوليه ولاية وشاع
فى عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا واليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله
فى اول هذا الفصل فى تشريف الله له بما سماه باسمائه ففيه لطف لم يتنبهوا له وفى
نسخة عليه بالافراد وفى نسخة جعلها بدل خلعها والصحيح الاول لما عرفته وفيه استعارة
لطيفة بجعل الاسم خلعة لما فيها من الشهرة واظهار التكريم (كتسمية اسحق
واسمعيل بعليم وحليم) فى قوله تعالى * وبشروه بغلام عليم * يعنى اسحق
وقوله تعالى * فبشرناه بغلام حليم * يعنى اسمعيل وهذا بناء على ان المبشر به
اسحق وقيل هو اسمعيل قيل ولهذا جمع المصنف رحمه الله تعالى هنا بين اسحق
واسمعيل (وابراهيم بحليم) فى قوله ان ابراهيم لاواه حليم (ونوح بشكور) اى
كثير الشكر فى قوله تعالى *ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا* فى الاسراء
بناء على ان الضمير له لا لموسى عليهما الصلوة والسلام كما تقدم (ويحيى وعيسى
ببر) فى قوله وبرا بوالديه وبرا بوالدتى وهو صفة مشبهة من البر والبر خلاف البحر
لما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا منه اى التوسع فى فعل الخير وينسب ذلك
تارة الى الله نحو انه هو البر الرحيم والى العبد فيقال بر العبد ربه اى توسع فى طاعته
فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب فى الاعتقاد وضرب
فى الاعمال وقد استعمل منه قوله تعالى * ليس البر ان تولوا وجوهكم * الآية ولذا
لما سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن البر تلا هذه الآية وبرا لوالدين التوسع
فى الاحسان اليهما ويستعمل البر فى الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه قاله
الراغب (وموسى بكريم وقوى) فى قوله تعالى * وقد جاءهم رسول كريم * وقوله
ان خير من استأجرت القوى الامين وفى بعض النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول
لانه لم يسم به الله ان كان الكلام من صفاته (ويوسف بحفيظ عليم) اى حافظ
كثير العلم وهذا فى قوله تعالى * اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (وايوب
بصابر) فى قوله تعالى * انا وجدناه صابرا نعم العبد (واسمعيل بصادق الوعد) فى قوله
تعالى واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد اشهرته بوفاء ماوعد به من صبره

على الذبح ووفائه به ولا يرد عليه ان فيما ذكر ما هو من كلام الملائكة والانبياء لانه تعالى
حكاه واقره فكان فى الحقيقة وصفا من الله بما ذكر واسمعيل هو ابن ابراهيم عليهما
السلام لا ابن حزقيل عليه السلام فانه قول غير مشهور وما قيل من ان هذه الصفات
يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به علم او حلم يقال له عليم وحليم مثلا فلا
اختصاص لهذه الاسماء بمن ذكر والجواب بالفرق بين ثناء الله تعالى وثناء غيره
فالاختصاص من حيث ان الله تعالى وصفهم بها وفيه غاية الاختصاص وثناء الله
على كثير من المؤمنين بالصبر والصدق ايضا لا ينافيه لان الثناء بهذه الصفات على
هؤلاء من حيث ان الله تعالى جبلهم عليها وكذا ما قيل من ان عيسى عليه الصلوة
والسلام هو الذى وصف نفسه بما ذكر الا انه لما كان فى حال الطفولية والله هو
الذى انطقه على خرق العادة فالواصف هو الله فى الحقيقة كلها تكلفات نحن فى
غنية عنها فان المصنف لم يذكر الاختصاص وانما قال ان من اسماء الله تعالى ما سمى
به رسله تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم باخلاقه ولاشك اذا اجريت على الله تعالى فلها
معان لا تليق بغيره ولما كان سمى ببعض منها بعض رسله دل على انها بمعنى لا يليق
بغيرهم ايضا وقد قال ابن القيم فى كتاب الفوائد ان الاسماء التى تطلق على الله تعالى
وعلى غيرها اختلف فيها فقيل انها حقيقة فى الله مجاز فى غيره وقيل على العكس
وقيل انها مشتركة بينهما وان كان هذا محتاجا للبسط والبيان (كما نطق بذلك
الكتاب العزيز) اى دل عليه القرآن نصا وتصريحا فالنطق مجاز عما ذكر كما فى
قولهم نطقت الحال والعزيز بمعنى الغالب لغيره من الكتب باعجازه واستيعابه لما ليس
فى غيره من الكتب (من مواضع ذكرهم) اى مستفادا من مواضع ذكرهم فيه
وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما تقدم (وفضل محمدا نبينا صلى الله تعالى عليه
وسلم) فى القرآن على غيره ممن ذكر (بان حلاه منها فى كتابه العزيز) الباء سببية
متعلقة بفضل وحلاه بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام من الحلية وهى الصفة
الظاهرة او الحلى التى يتزين بها اى بان وصفه اوزينه وكرمه بما وصفه وسماه به
فى القرآن (وعلى السنة انبيائه) فى الكتب المنزلة عليهم او فيما نقل لنا عنهم (بعدة
كثيرة) بكسر العين وتشديد الدال اى بعدة اسماء وصفات كثيرة ميزه بكثرتها
لان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى (اجتمع لنا منها جملة) اى انه جمع منها اسماء
متعددة (بعد اعمال الفكر) مصدرا عمله اى جعله فاعلا لما يريده فكانه استخدم
افكاره فى النظر فيما يؤخذ منه ويدل عليها (واحضار الذكر) اى استحضارها
وتذكرها وذاله معجمة مكسورة وجوز ضمها وتفسير الذكر بالقرآن هنا لا وجه له
والحاصل انه اجتهد فى جمعها وبذل فيها جهده وطاقته (اذ لم نجد من جمع منها
فوق اسمين) قيل هما رؤف رحيم فى سورة براءة (ولا من تفرغ فيها التأليف فصلين)

الفراغ خلاف الشغل الحسى والمعنوى يقال تفرغ لعمله اذا اشتغل به وترك غيره واذ تعليل لماقبله (وحررنا منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) نحو هنا بمعنى قريب اى يقرب من هذه العدد فلا يضر زيادة اونقص قليل منها كما ان فوق فيماسبق بمعنى ازيد والتحرير بمعنى الكتابة اوالتهذيب والتحقيق كما مر (ولعل الله تعالى) اى ارجو من الله تعالى عز وجل الذى الهمنا ان يتم ما الهمنا والمراد الدعاء (كما الهم الى ما علم منها) ضمن الهم معنى ارشد وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بها وباللام وعلم بتشديد اللام اى علمنى من هذه الاسماء (وحققه) اى بين حقيقته اوجعله محققا متيقنا واطلعه عليه (يتم) هذه (النعمة) وهى التعليم والتحقيق (بابانة) اى اظهار (ما لم يظهره لنا) حتى نقف عليه والكاف للتشبيه وقدم المشبه على المشبه به اهتماما به اوهى للمبادرة كما فى قولهم كما يدخل صلى (الآن) مبنى على الفتح والالف واللام لازمة زائدة اى لم يظهره الى حين تحرير هذا الفصل (ويفتح غلقه) بفتح الغين المعجمة وفتح اللام والقاف وهو مايغلق اى يقفل به كما فى المقتنى وفى بعض الشروح انه بضمتين وهو الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة ويجوز ان يكون بفتحة ثم بكسرة بزنة كتف من قولهم كلام غلق فالاستعارة تبعية فى قوله يفتح (فمن اسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود) فهو فعيل بمعنى مفعول لاستحقاقه الحمد (لانه حمد نفسه وحمده عباده) ببناء الفعل للفاعل فيهما وذكر الاول توطئة للثانى وبيانا لانه المحمود الحقيقى وحمد غيره له انما هو باقداره عليه وخلقه لقوة النطق فيه فكأنه فى الحالين حمد نفسه وبهذا فسر قوله الحمد لوليه اى لموليه ومعطيه فليس احد مستحق الحمد سواه (ويكون ايضا) اى الحميد فى اسمائه كما يكون بمعنى المفعول يكون بمعنى الفاعل كما قال (بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات) والاعمال الصالحة الصادرة من عباده وقال الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى انه يجوز ان يطلق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الحميد لانه من حمدت جميع اخلاقه وعقائده واعماله الا انه لما لم ينقل لم يذكره المصنف فاشار الى انه ورد اطلاق ماهو بمعناه عليه فقال (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا واحمد) وهما بمعنى حميد على الوجهين (فمحمد بمعنى محمود) لان كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة فى كونه محمودا (وكذا وقع اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى تسميته بمحمود (فى زبور داود) وفى نسخة زبر بكسر الزاى وضمها وضم الباء وسكونها وهو مصدر اوجمع بجعل كل جزء منه زبورا بمعنى مزبور فلا يرد عليه ان هذا لادليل فيه على تسميته باسم الله تعالى فلا يناسب ماهو بصدده ثم اشار الى المعنى الثانى بقوله (واحمد بمعنى اكبر من حمد) بالموحدة وحمد مبنى للفاعل (واجل من حمد) بالبناء للمفعول ففيه لف ونشر (والى نحو هذا) اى كون اسمه بمعنى

ماذكر (اشار حسان) بن ثابت الانصارى المشهور (بقوله) فى شعر له من قصيدة مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد * والشعر هكذا بتمامه

* الم تر ان الله ارسل احمدا * ببرهانه والله اعلى وامجد *
* وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد *
* نبى اتانا بعد يأس وفترة * من الدين والاوثان فى الارض تعبد *
* فارسله ضوءا منيرا وهاديا * يلوح كما لاح الصقيل المهند *

وشق مبنى للفاعل من شق الشئ اذا جعله قطعتين اى اشتق له صلى الله تعالى عليه وسلم من اسمه اسما اجله وعظمه وهمزة اسمه مقطوعة للضرورة وانما قال المصنف رحمه الله تعالى نحو ولم يقل الى هذا لان ما فى الشعر انه مأخوذ من محمود والمصنف رحمه الله تعالى بصدد اخذه من حميد وزيد فى هذا

* اغر عليه للنبوة خاتم * من الله من نور يلوح ويشهد *
* وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الذكر المؤذن اشهد *

وشق الخ والبيت المذكور رواه البخارى فى تاريخه وعزاه لابى طالب وهو منقول عن على بن زيد فحسان رضى الله تعالى عنه توارد معه اوضمنه واستعان به (ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب) لان الرأفة نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه (و) قد (سماه) الله (فى كتابه) اى القرأن (بذلك) اى الرؤف الرحيم (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره) اى المتصف بالوجود الازلى الابدى من ذاته لذاته لانه واجب الوجود والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة وامره بمعنى شانه ومايجب ثبوته من صفاته وافعاله والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان اخر (وكذلك المبين) اسم فاعل من ابان اللازم لانه ورد لازما ومتعديا (اى البين الظاهر (امره وا لهيته بان وابان بمعنى) واحد فيكون متعديا ولازما وابان يكون بمعنى قطع وفصل ايضا وبينه على اللزوم وعلى التعدى (ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم) فى الدنيا (ومعادهم) فى الآخرة (وسمى النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك) اى الحق المبين (فى كتابه فقال) تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) بناء على ان المراد بالحق محمد صلى الله عليه وسلم ومبين بمعنى ظاهر بعظيم آياته ومعجزاته فلاوجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف للرسالة (وقال) تعالى (وقل انى انا النذير المبين) اى المحذر لكم من الله والمبين لكم امور دينكم (وقال) تعالى (قد جاءكم الحق من ربكم) على ان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد به القرأن (وقال) تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) من الله (قيل) هو (محمد) اى المراد به فى هذه الآية وتكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم

بتكذيب رسالته وماجاء به (وقيل) المراد به (القرآن) بدليل التكذيب (ومعناه) اى الحق (هناضد الباطل) من حق بمعنى ثبت (والمتحقق صدقه وامره) هوتفسير لما قبله اومعنى آخر وفى تفسير البيضاوى الحق الثابت الذى لايسوغ انكاره فعم الاعيان والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج (وهو بالمعنى الاول) ضميرهو راجع الى قوله المتحقق صدقه وامره والمراد بالمعنى الاول كون الحق اسما لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (والمبين) على هذا التفسير (البين) الظاهر الذى لايخفى (امره ورسالته) وهذا على كونه من بان اللازم (او) هو (المبين) بتشديد المثناة التحتية المكسورة (عن الله مابعثه به) للخلق كافة وعداه لتضمنه معنى المبلغ اوهو حال بتقدير ناقلا (كما قال) تعالى (لتبين للناس مانزل اليهم) من شرايعه واحكامه وهذا على انه من ابان المتعدى (ومن اسمائه تعالى النور) وقد قد منا ما قاله الغزالى انه حقيقة فى ذات الله تعالى لان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره واليه ذهب الحكماء ويشير اليه قول الاشعرى رحمه الله تعالى انه نور ليس كالانوار وما قاله السهيلى فى الفرق بينه وبين الضياء بانه ذات المنير والضوء والضياء اشعته المنتشرة عنه ولذا قال جعل الشمس ضياء والقمر نورا لكثرة اشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولاحاجة لتأويله اذا اطلق على الله فان اردت فطالع مشكاة الغزالى والمشهور فيه التأويل كما اشار اليه بقوله (ومعناه ذوالنور وخالقه) عطف تفسير وهذا تأويل له بتقدير مضاف فيه لما مر (اومنور السموات والارض) فعلى الاول هو حقيقة وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم على اهلهما (بالانوار) الفائضة عليها بواسطة الكواكب ودونها والنور على هذا بمعناه الحقيقى (اومنور قلوب المؤمنين بالهداية) ولذا ورد تفسيره بالهادى وهذا على استعارة النور للهداية لما فيها من الدلالة ثم استعماله بمعنى المنور الهادى ففيه مجاز على مجاز لاشتهار الاول حتى صار كالحقيقة (وسماه) اى سمى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (نورا فقال قدجاءكم من الله نوروكتاب مبين قيل) المراد بالنور فى هذه الآية (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم لظهور آياته (وقيل القرآن) لازالته ظلمة الكفر والجهل ولايشكل على الاول افراد الضمير بعده فى قوله يهدى به الله من اتبع رضوانه مع تغايرهما وعطفهما بالواو دون او كما قيل لان الضمير راجع اليهما معا باعتبار المذكور اولانهما كالشئ الواحد وهداية احدهما عين هداية الآخر وقد صرح الفراء فى تفسيره بجوازمثله جوازا مطردا وبه ورد القرآن فى آيات كثيرة كما بيناه فى السوانح وانشد عليه شاهدا

* زمانى بامر كنت منه ووالدى * بريئا ومن جول الطوى رمانى *

(وقال فيه) اى فى وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشانه (وسراجا منيرا)

فسماه سراجا كما سماه نورا على نهج الاستعارة اوالتشبيه البليغ ثم بينه بقوله (سماه بذلك) كالنور الذى لايخفى (وبيان نبوته) اى كونها بينة ظاهرة (وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين به) وبماجاء به وهذا ناظر لقوله ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وفيه تبيين لاطلاقه على القرآن ضمنا (ومن اسمائه تعالى) التى شرف بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (الشهيد) من الشهادة وهى المعاينة والاخبار بماعاينه اومن الشهود وهوالحضور (ومعناه العالم) لان من شاهد شيئا علمه علما تاما قال تعالى * لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون * اى تعلمون وفى شرح المواقف الشهيد القائم بالغائب والحاضر ويوافقه اطلاق المصنف فلايرد عليه انه فسر الاخص بالاعم وقول الغزالى اذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم وان اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهوالشهيد فتدبر (وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة) اذ يبين لهم ماصدر منهم فى حياتهم الدنيا اذلايخفى عليه خافية (وسماه) اى سمى الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (شهيدا وشاهدا فقال انا رسلناك شاهدا) مقبولا شهادتك على امتك ولهم وهو حال مقدرة (وقال) تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اشارة الى مارواه مسلم من ان الله يسأل الانبياء عليهم الصلوة والسلام هل بلغتم فيقولون نعم فتنكر اممهم فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد وامته فتشهد امة محمد ويشهد عليه الصلوة والسلام لامته بصدقهم وهذا معنى الآية وهذه الشهادة لهم لاعليهم لكن ضمن شهيد معنى رقيبا او قدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم فان الانبياء يحاسبون يوم القيامة وهو لايحاسب وفضيلة لامته اذلم ينكروا تبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وهو) اى الشهيد الذى اطلق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى الاول) اى الشاهد او بمعنى الشهيد الاول الذى اطلق على الله تعالى والاولية على الوجهين لمطلق التقدم وقيل وصف اسمه الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا لذكر امته قبل آية اسمه الشهيد (ومن اسمائه تعالى) اى من اسماء الله التى سمى بها نبيه الكريم (ومعناه الكثير الخير) وهو اصل معناه لغة وان اختص فى عرف اللغة والعرف العام بالسخى الكثير العطاء واليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وقيل المفضل) بوزن محسن ومعناه ولذا فسر بمن يعطى عفوا بغير وسيلة وسؤال (وقيل العفو) فعول من العفو وهو التجاوز عن عن سيئات من اساء قيل وهو ابلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر السيئة والعفو محوها وهو فى الاصل القصد لتناول الشئ فاستعير لقصد ازالة المحو (وقيل العلى) وهو البالغ الى رتبة فوق كل رتبة فهو العلى فى ذاته وصفاته وفسره الغزالى بانه الذى اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولايبالى كم اعطى ولالمن

اعطى وان رفعت حاجة الى غيره لايرضى واذاجفى عاتب وما استقصى ولايضيع من لاذ به والتجا فيغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمع له جميع ذلك لابالتكلف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله وحده لاينال غيره الا باكتساب وتمحل ومع ذلك لايستوفى جميع انواعه ولذا جاز اطلاقه على غيره تعالى كالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى الحديث المروى) الذى رواه ابن ماجه فى سننه (فى اسمائه تعالى) اى فى اسماء الله وهو متعلق بالمروى او بمقدر اى عد فى اسمائه (الاكرم) الزائد على غيره فى صفة الكرم وهذا تقتضى مشاركة غيره فى هذه الصفة ان فسرت بمعنى يوجد فيه وفى غيره فان فسرت بما تقدم عن الغزالى وهو مختص بالله والتفضيل ليس على بابه بل بمعنى الكريم او على اصله على طريق التسامح كما فى قوله احسن الخالقين قال ابن عبد السلام فى اماليه هذا ونحو ارحم الراحمين واحكم الحاكمين مشكل لان افعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان خلق الله ايجاده وهو من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان حملت على الارادة صح لان المعنى اعظم ارادة من سائر المريدين وان جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته تشبه معاملة الراحم صح ايضا لانه مشترك بينه وبين عباده فان اريد ايجاد الرحمة فهو مشكل اذ لاموجد غير الله واجاب الآمدى بان معناه اعظم من يسمى بهذا الاسم واستشكل بان التفاضل فى غير ما وضع له اللفظ ويصح على مذهب المعتزلة لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المصنف ان اثباته تسمية الله بالاكرم بالحديث غفلة عن تسميته بذلك فى القرآن فى قوله تعالى * اقرأ وربك الاكرم * ولك ان تقول ان الذى فى الآية على سبيل التوصيف والذى ذكره انه عد فى الحديث فى سلك الاسماء الحسنى وهو ادل على مراده (وسماه الله تعالى كريما) اى سمى الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بقوله انه لقول رسول كريم قيل) اى قال بعض المفسرين هو فى هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو جبريل عليه الصلوة والسلام) وهو قول اكثر المفسرين كما مر لانه الظاهر من السياق (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا اكرم ولد آدم) اى اشرف من سائر الخلق الانبياء وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه ثم اشار بقوله (ومعانى الاسم) اى الكريم والاكرم (صحيحة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) لاتصافه بغاية الكرم الى انه لاتصافه بمعناه والمراد بالاسم مايطلق عليه سواء كان اسما او صفة فسقط ماقيل ان تسميته كريما على سبيل التوصيف لاعلى طريق الاسماء الاعلام وقوله اكرم ولد آدم المراد به تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لاالتسمية بهذا الاسم بل ينبغى ان يقال باختصاص الاكرم بالله وهو غفلة عما قررناه بل هو ناش عن عدم فهم كلام المصنف

رحمه الله تعالى وفى ذلك اشارة الى تشريفه بكونه كريما واكرم (ومن اسمائه تعالى العظيم) وهو الذى عظم جسما وقدرا اورتبة والمراد الثانى لانه عزوجل هو العظيم على الاطلاق لبلوغه مرتبة من العظمة لاتحيط بتصورها الافهام ولاتتخيلها الاوهام لتنزهه عن ان تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته فلذا قال (ومعناه الجليل الشان) بهمزة او الف مبدلة منها (الذى كل شئ دونه) اى قاصر عن بلوغ رتبته اذ لاكمال يدنو من كماله فى ذاته وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة لانه قيل ان الكبير هو الكامل فى ذاته والجليل هو الكامل فى صفاته والعظيم هو الكامل فيهما (وقال) تعالى (فى) حق (النبى عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم) فقد جمع الله له من محاسن الاخلاق مالايتصور فى احد سواه واذا وصف خلقه بالعظيم فقد وصفه به فكان من اسمائه فلا يرد عليه انه وصف لخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم لاله فليس ولان العظمة مختصة بالله اونقول انه توطئة لقوله (ووقع فى اول سفر من التورية) بكسر السين وسكون الفاء وراء المهملة وهو الكتاب (عن اسمعيل) نبى الله بن خليل الله عليهما الصلوة والسلام وكان الظاهر ان يقول فى حق اسمعيل فكانه صفة سفر اى سفر فيه مايصدر عن اسمعيل عليه الصلوة والسلام (وسيلد عظيما لامة عظيمة) وفيه مبالغة فى وصفه للعظمة اذ جعل اتباعه عظماء فمابالك به

* واذا سخر الاله سعيدا * لاناس فانهم سعداء *

(ومن اسمائه تعالى الجبار) وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس اذ لم يجئ جبر بل تجبر فهو متجبر وجبار وجبر متعد ولازم يقال جبرت العظم وجبر جبورا وجبر الفقير ويتصف به من الناس الشديد العدوان وله معان فى كلام العرب القهار والمسلط قال الله تعالى وماانت عليهم بجبار كما يأتى والقوى العظيم الجسم والمتكبر والقتال والنخلة الطويلة وتجبر النبت طال وجبره على كذا اكرهه والجبر خلاف القدر والجبرية بفتح الباء وسكونها وقال ابو عبيد انه مولد والمجبر الذى يجبر العظام المكسورة اى يصلحها يقال اجبرت وجبرت وهو اكثر قال * قد جبر الدين الاله فجبر * ويقال جبرتها ايضا ولما ذكرناه من معناه الحقيقى لغة اختلفوا فى تفسيره حيث وقع صفة كما قال المصنف رحمه الله (ومعناه المصلح) للعالم ولامور عباده تفضلا به من جبرت العظم والفقير فهو من صفات الافعال (وقيل القاهر) فيرجع الى صفة القدرة الذاتية فما من مخلوق الا وهو مقهور فى قبضة تصرفه يفعل به مايريد (وقيل العلى العظيم الشان) من قولهم نخلة جبارة وبنت جبار اى طويل فاستعير من العلو الحسى للمعنوى ولذا فسروه بالعالى فوق خلقه فهو صفة ذاتية (وقيل المتكبر) المتعظم الذى يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروت اى تكبر وعظمة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى سجوده وركوعه سبحان ذى الملك

والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت (وسمى النبي صلى الله عليه وسلم) بالبناء للمجهول
اى سماه الله تعالى (فى كتاب داود) اى الصحف الالهية المنزلة عليه صلى الله عليه
وسلم (بجبار فقال) الله تعالى مخاطباله صلى الله تعالى عليه وسلم لتنزيله منزلة الموجود
لتحققه فى علمه الحضورى عنده (تقلد ايها الجبار سيفك) يقال تقلد السيف اذا جعل
حمائله على عاتقه وحمله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالقتال (فان ناموسك)
اى الوحى النازل عليك اوعظمتك فى قلوب الناس وهذا المعنى شايع بين الناس واصل
معناه كما فى القاموس صاحب السر المطلع على باطن امرك اوصاحب سر الخير
وصاحب سر الشر جاسوس وقترة الصايد وهى شئ يختفى فيه الصايد ليأخذ
الصيد وفى البيان للجاحظ قال ازيدى الناموس دويبة تلسع الانسان مشتق من
نمس الكلام اخفاه وسمى جبريل عليه الصلوة والسلام بالناموس الاكبر لانه
يخفى الكلام حتى يلقيه الى الرسل عليهم الصلوة والسلام انتهى (وشرايعك) يحتمل
انه عطف تفسير ولذا وحد الخبر فى قوله (مقرونة بهيبة يمينك) اى بالخوف من
سيفك فكنى بماذكر عنه اوتجوز باليمين عمافيه (ومعناه فى حق النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم) اى معنى الجبار الذى هو من من اسماء الله اذا اطلق فى وصف النبي صلى الله
عليه وسلم يقال كذا ورد فى حق كذا اى امره وشانه المتحقق فيه ولو فسر الجبار فى
كتاب داود بالمجاهد القتال الذى هو احد معانيه بقرينة ما بعده كان اولى من قوله (اما
لاصلاحه لامته بالهداية والتعليم) اى ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم
وتعليم امور دينهم فعلى هذا سمى صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه الجبار بمعنى المصلح
اولقهر اعدائه) وفى نسخة لقهره اعدائه وهذا اشارة الى انه سمى بالمعنى الثانى الذى مر
بيانه (اولعلو منزلته على البشر) فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلى ولو قال
على الخلق كان احسن وقيل انه يفهم من تفضيله على البشر تفضيله على الجن
والملك بالطريق الاولى وفيه نظر (وعظيم خطره) هذا اشارة الى انه اما مستعار من العلو
الحسى فينزل الرتبى منزلته و يتخيل فيه انه ارتفع فى مكان عال اوعلو القدر وهو العظمة
وهذان على هذا الوجه وعلى الاول كقول ابى تمام وقد ذكر علو محمد و حده

* ويصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة فى السماء *

واصل الخطر ما يعطى فى الرهان للمسابقة ثم استعير للشرف فيقال له خطر ورجل
خطير وهو من اضافة الصفة لموصوفها ولله در الغزالى رحمه الله تعالى فى قوله
الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث
يجبر الخلق بهيئته وصولته على الاقتداء به وعلى متابعته فى سمته وسيرته فيفيد الخلق
ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع لا يشاهده احد الا ويغنى عن ملاحظة
نفسه ويصير مستوفى الهم به غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع احد فى استدراجه

واستتباعه وانما خص بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث
قال لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى و انا سيد ولد آدم و لا فخر و فى كلامه
لف ونشر وايجاز اذ اصل معناه فى حقه عليه الصلوة و السلام كمعناه فى حق الله
وان لم يكن يساويه او يقاربه و يدانيه ولما كان المعنى الاخير و هو المتكبر لا يصح فى
حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بوجه من الوجوه قال (ونفى عنه فى القرأن جبرية
المتكبر) بفتح الباء كجبروة وجبروت وجبورة كفروجة الكبر كما قاله القرطبي فى شرح الاسماء
الحسنى واضافها الى التكبر احترازا عن الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال
القرطبي الجبرية بفتح الباء خلاف القدرية عن الجوهرى وحكى عن الزجاج الجبرية
بالاسكان وهو اصوب وعن ابى عبيد انه مولد (التى لا تليق به) صلى الله تعالى عليه
وسلم لما تقدم من تواضعه ولان الكبرياء والتكبر من صفات الله التى لا تليق بغيره ومعنى
تليق يناسب و يصح (فقال وما انت عليهم بجبار) تفسير لقوله نفى عنه وتقدم انه
فسر بمسلط والتكبر هو التعاظم على الغير واستحقاره وهو محرم على كل مخلوق و بما
ذكرناه علم ما فى قول القرطبي فى شرح الاسماء الحسنى انه يجب على كل مسلم مكلف
ان لا يتصف باسم الجبار و لا يتعاطاه و انما حظه الاتصاف بنقيضه فان اطلاقه
يأباه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فينبغى تقييده ببعض معانيه و قيل تفسيره
بالمسلط اولى لانه نزل فى حق اهل مكة وانكارهم لبعثته فامره بان ينذرهم ولا يجبرهم
على الايمان و يتسلط عليهم حتى يسلموا والاية منسوخة باية السيف لانها من
سورة قاف وهى مكية وانما امر صلى الله تعالى عليه وسلم بالقتال بالمدينة وعلى
ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى يكون غير منسوخة (ومن اسمائه تعالى الخبير)
وقد ورد فى القرأن معرفا ومنكرا وقال * الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير من الخبر
بالضم وحقيقته استكشاف باطن المخبور حتى يستوى عنده ظاهره و باطنه ولذا قيل
للخازن خابر و يكون بمعنى المخبر والمختبر والله تعالى مختبر لعباده قال تعالى * ونبلوكم بالشر
والخير فتنة فهو من صفات الافعال و يكون بمعنى العليم من صفات الذات واذا كان
بمعنى المخبر يرجع الى صفة الى الكلام فقوله (ومعناه) اذا اطلق على الله (المطلع على
كنه الشئ) اى الواقف على حقائق الاشياء وكنه الشئ بضم فيكون له معان
منها الحقيقة كما فى التهذيب يقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله فى شرح المفتاح انه مولد
لا وجه له وتعديه بعلى لانه بمعنى (العالم بحقيقته) وهى ذاته لا غايته كما قيل (وقيل
معناه المختبر) واصله المجرب والمراد به فى حقه تعالى استدراج عباده حتى يعلم الصابر
من غيره فيلزمه الحجة او يعلم سلوكه المحجة وهو اعلم بهم وفى بعض النسخ المخبر انبياءه
ورسله بكلامه المنزل عليهم او المخبر عباده يوم القيمة باعمالهم فانه لا يعزب عن علمه شئ

ثم شرع فى بيان تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم به فقال (قال الله تعالى) وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن (فاسئل به خبيرا) اى عنه والباء تجريدية والضمير لخلق السموات والارض والاستواء على العرش المذكور قبله والخبير بمعنى العالم ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى (قال القاضى بكر بن العلا) بفتح الموحدة والعين المهملة وهو بكر بن محمد ابن العلا بن زياد القشيرى من ولد عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه توفى ليلة السبت لسبع بقين من ربيع الاول سنة اربع واربعين وثلاثمائة (المأمور بالسؤال) فى الآية (غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من كل من يتأتى منه السؤال لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب (والمسؤل الخبير هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه العالم بحقيقة ما ذكر دون غيره ففيه دليل على تسميته خبيرا (وقال غيره) اى غير القاضى بكر (بل السائل النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب به (والمسؤل الله تعالى فالنبى خبير بالوجهين المذكورين) اى على التفسيرين فالباء بمعنى على اوظرفية اما الاول فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لولم يكن خبيرا لم يؤمر بسؤاله واما على الثانى فلان اذنه له فى السؤال دال على اعلامه به وقيل المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمخبر (قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته) اى سمى خبيرا لما اعلمه الله به من الخفيات والمغيبات التى اطلعه عليها بوحيه وما جبله عليه من المعرفة العظيمة (مخبر لامته بما اذن له فى اعلامهم به) دون ما لم يؤذن فيه من الاسرار الالهية وما بعد قيل ناظر لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المخبر والفرق بين هذا وما قبله لانه سمى خبيرا باعتبار ما اجابه به بعد سؤاله والقبل باعتبار انه عالم قبل السؤال فتدبر (ومن اسمائه تعالى الفتاح) قال الراغب اصل معنى الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان احدهما ما يدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع والثانى ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل ومنه فتح القضية اذا فصل الحكم فيها ومنه الفاتح والفتاح للقاضى وفتح الممالك الظفر بها عنوة وفتح الله برزقه اذا جاءه من حيث لا يحتسب (ومعناه) فى حق الله (الحاكم بين عباده) فى فصل القضاء اوبانصاف المظلوم من الظالم فهو من صفات الافعال (اوفاتح ابواب الرزق والرحمة) لهم بتيسير ارزاقهم لهم وتهيئة اسبابها وفتح اقفال موانعها اوالرحمة الانعام اى المنعم عليهم الرازق لهم قال تعالى * ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها * وهو استعارة فى الاصل صار حقيقة عرفية (والمنغلق من امورهم عليهم) بالجر عطف على ابواب اى فاتح المنغلق بمعنى ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح اوبالمنغلق (او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق) الذى هو الله اوخلاف الباطل اويزيل

اقفال قلوبهم المانعة لهم اوغشاوة ابصارهم وبصائرهم حتى يعرفوه ويهتدوا بهدايته ويفتح مضارع معطوف على فاتح فان الفعل يعطف على الاسم الصفة لانهما بمعنى وفى بعض النسخ بفتح بالباء الجارة والظاهر الاول وهذا معطوف على مقدر اى المنغلق بتيسيره او بفتح الى آخره (ويكون) الفتاح (ايضا) كما كان بمعنى الحاكم (بمعنى الناصر) المعين لان من شان الحاكم نصرة المظلوم ولخفائه استشهد له بقوله (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) اى لانه فسر هكذا (ان تستنصروا فقد جاءكم النصر) من عند الله بخذلان اعداء دينه ونصرته للحق (وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر) لان الفتح جاء بمعنى البدء ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبدئه ومعنى مبتدئ النصر انه موجده وميسره وما النصر الا من عند الله وقوله ان تستفتحوا خطاب من الله لاهل مكة ابى جهل واضرابه ممن قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة عند خروجهم من مكة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفريقين واكرم الحزبين فاجابهم الله تعالى تهكما بهم ان قد نصرتم (وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل) الذى تقدم ذكره (من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة) والفاتح بمعنى الفتاح والمبالغة التى فيه لا تنافى مشاركته له فى اصل معناه كما توهم وكذا ما قيل من انه ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغى ذكره (وفيه) اى فى حديث الاسراء (من قول الله تعالى) لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما خاطبه به اذ عرج به (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى اول الانبياء وآخرهم لما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم نبى قبل خلقهم وقد تقدم بيانه اوالمراد به ما قاله فى شرح قوله (وفيه) اى فى حديث الاسراء (من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثنائه على ربه) اذ حمده بمحامد لم يلهمها قبل (وتعديد مراتبه) اى مقاماته بين يدى ربه (ورفع لى ذكرى) بجعله قريبا لذكره كما تقدم (وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا الحاكم) وانما خصه بذلك لانه لم يكن لاحد قبل شريعته كشريعته (اوالفاتح لابواب الرحمة على امته) اذ هداهم الى ما ارشدهم الى سعادة الدارين (اوالفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله) لدعوتهم الى معرفته تعالى وتوحيده (اوالناصر للحق) والدين القويم بجهاده فى سبيله تعالى (او المبتدئ بهداية الامة) لتقديمه ذلك على كل مهم له (اوالمبدأ المقدم فى الانبياء) كما بيناه اولا والمبدأ بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزة كما قاله البرهان فالمقدم تفسير له فان كانت به رواية فيها والا فيجوز فتح الميم وسكون الباء الموحدة المفتوحة اولا وتخفيف الدال بمعنى الاول (والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبياء فى الخلق) لخلق نور روحه قبلهم واخذ عليهم الميثاق فى اتباع من ادركه منهم (وآخرهم فى البعث)

باعتبار الزمان و بما قررناه علمت الجواب عما قيل من انه لااختصاص لما ذكر غير الاخير به الان يقال انه وقع على اتم وجه بحيث لايشاركه فيه غيره ثم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يقل انه لابد فى اسمائه من اختصاص معانيها به فتدبر (ومن اسمائه) اى من اسماء الله التى سمى بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الحديث) الصحيح الذى رواه الترمذى وغيره عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فى تعداد الاسماء الحسنى (الشكور) وفى القرأن ان ربنا لغفور شكور وللشكر معنيان لغوى وعرفى مشهوران واما فى حقه تعالى ف(معناه المثيب) اى المعطى الثواب الجزيل (على العمل القليل) فهو من صفات الافعال وهو مجاز لان حقيقته الثناء المقابل للاحسان فاطلق على الانعام المقابل للشكر لان العمل شكر اذ هو لايختص باللسان فهو استعارة اومن اطلاق السبب على المسبب كقوله تعالى * لئن شكرتم لازيدنكم * وهذا قريب بما قيل انه الذى يجزى على قليل من عمل الطاعة فى ايام قليلة مالانهاية له من النعيم المخلد كما قال تعالى * كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية * اى فى الحياة الدنيا لان المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم ذلك (وقيل المثنى على المطيعين) وهذا انسب بمعنى الشكر الحقيق واقرب وقد اثنى الله على عباده الصالحين كثيرا فى القرأن وكتبه المنزلة وهو الذى خلق فيهم القدرة على الطاعة و وفقهم لها كما قال ابن عطاء الله فى حكمه * من نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك ومع ذلك يثنى باحسانه عليك * فهو انما اثنى فى الحقيقة على نفسه ثم ذكر مايدل على ان اسماء الله التى سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لايلزم اختصاصه بها فقد تشرف بها غيره كامر فقال (ووصف) اى الله عز وجل (نبيه نوحا عليه الصلوة والسلام بذلك فقال انه كان عبدا شكورا) قيل و يعلم من وصفه به وصف من هو افضل منه وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلاينافى ماهو بصدده من ذكر تسمية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم باسمائه ولاحاجة اليه مع قوله (وقد وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك فقال) فى حديث مشهور تقدم ذكره (افلا اكون عبدا شكورا) فان الاستفهام الانكارى يدل على انه وصف مقرر له وماذكره فى حق نوح عليه الصلوة والسلام مبنى على ان الضمير راجع له لقربه لالموسى عليه الصلوة والسلام كما ذهب اليه بعض المفسرين (اى معترفا بنعم ربى) مقرا بها (عارفا بقدر ذلك) مؤديا لحقه (مثنيا عليه) بلسانى واركانى (مجهدا) بزنة منعم اى باذلا جهدى وطاقتى ومتعبا (نفسى فى الزيادة من ذلك) اى من الاعتراف و الثناء عملا (بقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم) من النعم التى شكرتموها وعدا ممن لايخلف الميعاد اذ قال لبنى اسرائل واذتأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم (ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة) اى احاط علمه بكل شئ مما غاب وخفى وماحضر وظهر

ودق وجل وعلمه تعالى لا يشبه علم غيره وتحقيقه فى علم الكلام (و وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه مزية منه) بمزية كمعية بمعنى فضيلة وقال العلامة فى شرح المفتاح لايبنى منه فعل وتبعه بعضهم هنا وفى الاساس مزية عليه ومر تنبيه على ذلك وفسر المزية بقوله (فقال وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) بما خصك به من العلم والمعارف الالهية والامور الدينية وفيه اشارة الى ان له صلى الله تعالى عليه وسلم مزية فى ذلك لم ينلها غيره ولاينافيه قوله (وقال) كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) مما لاطريق له سوى الوحى غير المتلو واذا اعاد الفعل لتغايرهما ولما كان هو المعلم لهم وما علمهم بعض مما علمه الله لم يشاركوه فى هذه المزية وانما ذكر هذه الاية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل على زيادة علمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانه معلم لغيره غير متعلم من غير ربه (ومن اسمائه تعالى الاول والآخر) وقد سمى به فى القرأن والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة و بحسب الاشتقاق وكون فائه واوا وهمزة معلوم فى العربية ووزنه افعل ويكون اول اسم تفضيل وظرفا وليس هذا محل الكلام فيه وانما الكلام فى معناه فى اسماء الله تعالى فقال ابن العربى للعلماء فيه عبارات فقيل الاول الموجود قبل الخلق فكان ولاشئ قبله ولامعه قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقيل انه الذى لاابتداء له وقيل انه الذى له كل شئ وبه كل شئ ومنه كل شئ كما يقال فلان اول هذا الامر وآخره وقيل الاول بصفاته وقيل بمحبته لاوليائه ومقابله الاخر فقيل هو الموجود بعد الخلق فلاشئ بعده وقيل هو الذى لاانتهاء له وقيل الذى يرجع اليه كل شئ وقال الضحاك هو الذى اخر الاواخر اى الذى جعل لكل شئ آخر وقيل الآخر بقضائه وقدره وقال الغزالى رحمه الله تعالى الاول والآخر متناقضان فالشئ الواحد لايكون اولا وآخرا من وجه واحد فانت اذا نظرت الى ترتيب سلسلة الموجودات فالله تعالى بالاضافة اليها اول لانها استفادت منه الوجود واما هو فوجود بمعنى انه غير مستفيد او وجوده من غيره فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ومنازل السائرين فيه اليه فهو آخر مايرتقى اليه درجة العارفين ولما كان الاول والاخر مع كونهما كالمتضادين يوهم الانتهاء من الطرفين فسروه بما فيه دقة والى هذا اشار المصنف بقوله (ومعناهما السابق للاشياء) اى جميع الموجودات (قبل وجودها) لانه الذى اوجدها وابدعها (والباقى بعد فنائها) ثم صرح بالمقصود من دفع الايهام فقال (وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر) ولاابتداء ولاانتهاء فلاسابق عليه ولاباقى بعده فهو واجب الوجود وجوده عين ذاته لايتصور انفكاكه عنه فهو من صفات التنزيه وقال القرطبى انه الاول بوجوده فى الازل وقبل الابتداء والاخر بوجوده فى الابد و بعد الانتهاء وعلى هذا يكون من اسماء الذات ويجوز ان يكون

من اسماء الافعال على معنى اول الاول وآخر الآخر فى الوجود ثم اشار الى اطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (وقال عليه الصلوة والسلام كنت اول الانبياء فى الخلق) يعنى انه فى عالم الذر والارواح خلقت روحه و نبئ قبلهم ولذا عبر بالانبياء دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان نورا فى وجه آدم اذ لا يطابق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وآخرهم فى البعث) فهو خاتمهم ونبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته لا تنقطع بموته (وفسر بهذا) اى بتقدم خلقه وتأخر بعثته (قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الميثاق هو ان يؤمنوا بالله ويوحدوه (فقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الذكر لتقدمه فى الخلق بل والبعث وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله عز وجل واذ اخذنا الآية فقال كنت اولهم فى الخلق وآخرهم فى البعث واما ما روى عن مجاهد فى ان هذا فى ظهر آدم عليه الصلوة والسلام فتفسير آخر لا وجه لذكره هنا (وقد اشار الى نحو من هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه) فى قوله كما تقدم لما بكى على النبى صلى الله عليه وسلم اذ توفى بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك اولهم فقال واذا اخذنا من النبيين الآية وانما قال اشار ونحوه لانه ليس فيه تصريح بتقديم خلقه صلى الله عليه وسلم اذ التقدم الذكرى ليس صريحا فيه لجواز كونه لشرف رتبته عنده (ومنه) اى من قبيل ذكر كونه اولا وآخرا (قوله نحن الآخرون) اى هو صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثة وامته آخر الامم (السابقون) اى اول من يقضى بينهم ويقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق كما صرح به فى حديث مسلم (وقوله) صلى الله عليه وسلم كما تقدم (انا اول من تنشق عنه الارض) فى الخروج من القبر للحشر (واول من يدخل الجنة) هو وامته كما مر (واول شافع واول مشفع) اى مأذون له فى الشفاعة المقبولة وهذا بيان لاطلاق الاول عليه وقوله (وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم) لبيان اطلاق الآخر عليه ايضا فعلم منه انه يقال له صلى الله عليه وسلم الاول والآخر كما يقال على الله وان كان اطلاقهما على الله بمعنى مختص به كما مر واطلاقهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى آخر مقيد بقيود آخر تدل على تغايرهما فكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته فى لفظه فسقط ما قيل ليس هذا المعنى بالمعنى الاول قطعا ولا نسبة بينهما فهو غفلة منه وزلة قدم اذ مثله لا يخفى عليه مثله واعلم انه وقع هنا فى بعض الحواشى انه سماه بالاول والآخر والظاهر والباطن وفسر الاول والآخر بما مر والظاهر بانه الذى لا يخفى على عاقل وجوده او القادر والباطن بالمحجوب عن عباده فى الدنيا او الذى لا يحاط به او الذى لا كيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم الحكيم وروى فيه حديثا وهو ان جبريل عليه

الصلوة والسلام نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلى وهى صفة للخالق لا تليق الا به فقال ان الله تعالى امرنى ان اسلم عليك بها وقد خصك بها دون الانبياء والمرسلين وشق لك اسماء من اسمه وصفة من صفته وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا وسماك آخرا لانك خاتم النبيين وسماك بالباطن لانه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر على ساق العرش قبل ان يخلق اباك آدم بالف عام الى ما لا غاية له ولا نهاية وامرنى بالصلوة والسلام عليك فصليت الف عام حتى بعثك اليه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه اظهر فى عصرك واظهر دينك على الدين كله وفضلك على اهل السموات والارض فما منهم احد الا وقد صلى عليك صلى الله تعالى عليه وسلم فربك محمود وانت محمد وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وانت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى فضلنى على جميع النبيين فى اسمى وصفتى انتهى وهذا مما لم نره لغيره (ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين) بالتشديد المحكم قوته فالمتين اخص من القوى ولذا وصف بها والقوى وذو القوة ورد اطلاقهما عليه فى القرآن واصله قويو فاعل بالقلب والقوة خلاف الضعف وهى ما يجد به القادر نفسه مستطيعا لتقدير المراد وان لم يفعله فهى والقدرة متقاربان وقد يراد بالقوة كثرة الاسباب المعينة كالجند والمال ونحوه ومنه قوله تعالى * واعدوا لهم ما استطعتم من قوة * وقال الخطابى القوى يكون بمعنى القادر ومن قوى على شئ قدر عليه ويكون معناها التام القوة الذى لا يستولى عليه العجز بحال من الاحوال فيما لا يتناهى وهى مخصوصة بالله ولذا قال تعالى ان القوة لله جميعا فلا قوة لعبده الا اذا قواه الله تعالى ولذا تعبدنا بقول لا حول ولا قوة الا بالله كما قيل * بك اسطو اذا سطوت ولولا * ك لما استمسكت قوى اوصالى (ومعناه القادر) وان كان بين القوة والقدرة فرقا كما اشرنا اليه ولكنهما متلازمان ولذا فسره به الخطابى واباه القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى الا انه لا خلاف بينهما (وقد وصفه الله تعالى) اى وصف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك فقال) انه لقول رسول كريم (ذى قوة عند ذى العرش مكين) اى ذى مكانة ورتبة علية عند الله (قيل) المراد بذى قوة (محمد وقيل جبريل) عليهما الصلوة والسلام وعليه اكثر المفسرين وبه استدل المعتزلة على تفضيل جبريل ولا دليل فيه كما سيأتى (ومن اسمائه تعالى) التى سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (الصادق المصدوق) كما رواه ابن ماجة والمصدوق

بمعنى المصدق فيما جاء به وقد وردا فى اسماء الله الحسنى (فى الحديث المأثور) المروى بسند صحيح (وورد فى الحديث ايضا تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالصادق المصدوق) وتقدم لفظه والكلام عليه فى الفصل السابق (ومن اسمائه تعالى الولى) كما قال تعالى * الله ولى الذين آمنوا * اى الذى يتولى امرهم ويقوم بنصرتهم ومن اسمائه ايضا الوالى وهو بمعناه (والمولى) كما قال تعالى * ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم (ومعناهما) اى المولى والولى (الناصر) اى الذى ينصرهم على اعدائهم (وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله) والذين آمنوا اى ناصركم ولم يقل اولياؤكم لان نصرتهم واحدة اولان الناصر انما هو الله وغيره بتبعيته واعانته كما قال تعالى * وما النصر الا من عند الله (وقد قال عليه الصلوة والسلام انا ولى كل مؤمن) كما رواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ورواه احمد وابوداود انا اولى بكل مؤمن من نفسه وفى البخارى ايضا انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى اول الاسلام يؤتى بالرجل المتوفى فيسئل هل عليه دين وهل له وفاء فان قالوا له عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على صاحبكم والا صلى عليه فلما فتح الله بالفتوح والغنايم قال صلى الله تعالى عليه وسلم * من مات وعليه دين فعلى قضاؤه * فقيل انه كان واجبا عليه وارتضى امام الحرمين والماوردى انه لم يكن واجبا عليه وانما كان يفعله تكرما وهل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقضيه من الغنايم او من خالص ماله احتمالان (وقد قال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) اى احق بهم من انفسهم فانه يتولى صلاحهم وينصرهم ويقضى ديونهم كرامة ويخلصهم مما يكرهون فى الدنيا والاخرة (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من كنت مولاه فعلى مولاه) والمراد ولاء الاسلام ونصرته كما قال الشافعى وهذا الحديث ورد فى قصة غدير خم وقيل سببه ان اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال لعلى كرم الله وجهه لست مولاى انما مولاى رسول الله * صلى الله عليه وسلم * فلما سمعه رسول الله * صلى الله تعالى عليه وسلم * قال من كنت الى آخره ولا دليل للشيعة فيه على انه كرم الله تعالى وجهه احق بالخلافة لاسيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والعتق وغيره فلا حجة لهم فيه (ومن اسمائه تعالى العفو) مبالغة فى العفو عن السيئات وهو محوها وازالتها ولذا قيل انه ابلغ من الغفور لانه من الغفر وهو الستر واما الصفح فمعناه الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك ايضا فلذا قال (ومعناه الصفوح) فلا يرد عليه انه لا ينبغى تفسيره به (وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه) عليه الصلوة والسلام (فى القرآن) اذ امره به فيه اذ قال خذ العفو

وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فامره صلى الله تعالى عليه وسلم بالتخلق بذلك فكان ممتثلا له متخلقا به فيقتضى الاتصاف به على ابلغ وجه واتمه اذ كان جبلة له صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد عليه انه لم يطلق عليه فى القرآن وانما امر به ولو سلم اتصافه به لانه لا يعصى له امرا لا يقتضى كونه على وجه المبالغة التى دل عليها صيغة فعول والامر لا يقتضى التكرار على الاصح (والتورية والانجيل وامره بالعفو فقال) بيان لما فى القرآن (خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح) هذا مبنى على ان العفو فى هذه الآية الصفح ويدل عليه ماروى انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل ماهذا فقال لا ادرى حتى اسئل ربى فسأله ثم رجع فقال ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وهذا رواه البغوى والقرطبى ونقل بصيغة التمريض وعليه اعتمد المصنف بقوله (وقال له جبريل وقد سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك) فاختصره والذى عليه الاكثر ان العفو المال الفاضل عن نفقة العيال كما فى قوله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخت بآية الزكاة فلا شاهد فيها على مانحن بصدده (وقال) هذا بيان لما فى التورية وفى بعض النسخ التصريح بقوله (فى التورية) والانجيل (فى الحديث المشهور) الذى تقدم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح) وقد تقدم شرحه وان قول النساء لعمر رضى الله تعالى عنه فى قصة الحجاب لانت افظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس التفضيل فيه على اصله اوانه فظ على من يستحق الفظاظة كالكفرة (ومن اسمائه تعالى الهادى وهو) الضمير للهداية التى فى ضمن الهادى وذكره لان تأنيث المصدر غير معتبر اولانه بمعنى ان يهدى كما فى الكشاف (بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده) اللام زائدة للتقوية لتعدى التوفيق بنفسه واصل معنى الهداية كما قاله الراغب الدلالة بلطف لما يوصل اوالموصلة على الخلاف المشهور وهل على انواع الاول مايعم كل مكلف من العقل والعلوم الضرورية والثانى دعاؤه اياهم على السنة رسله والثالث التوفيق الذى يختص به من اهتدى والرابع الهداية فى الآخرة التى فى قوله الحمد لله الذى هدانا لهذا والانسان لا يقدر يهدى احدا الا بالدعاء ولذا نفيت تارة واثبتت اخرى انتهى والى احد انواعها اشار بما ذكره واشار الى الاخر بقوله (وبمعنى الدلالة والدعاء) اى الدعوة (قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام) اى الجنة (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) اى يرشدهم الى طريق مستقيم يوصلهم الى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم وتقدم ان التوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد وضده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن الطريق

وكذا ما بناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبنى على مذهب المعتزلة فى خلق العباد لافعالهم وان ما ذكره المصنف لاتساعده الاصول الى غير ذلك من الخلط الناشى عن عدم معرفته بقدر المصنف رحمه الله (واصل الجميع) من معانى الهداية وفيه اشارة الى انها معان مختلفة اصلها لغة (من الميل) فمعنى هداه الى كذا صرفه اليه وامااله عن غيره لانه من التهادى وهو التمايل وفى الحديث خرج صلى الله تعالى عليه وسلم يتهادى بين اثنين اى يتمايل (وقيل) انها مأخوذة لغة (من التقديم) ومنه هوادى الوحش للمتقدم منها والهادية العنق وهو الذى ارتضاه الراغب ثم شرع فى بيان اطلاقه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقيل فى تفسير طه انه ياطاهر ياهادى) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين يدلان على الباقى لما فى قوله * قلت لها قفى فقالت قاف * اى وقفت (يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يريد الله تعالى بهذين الاسمين نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لطهارته من كل دنس وهدايته لخلقه (وقال له الله تعالى) خطابا لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) اى تدل وتدعو الى الاسلام والطريق الموصلة الى سعادة الدارين وهذا على قراءته مبنيا للفاعل وهى المشهورة وعلى المجهولة هو لله (وقال فيه) اى فى حقه وشانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وداعيا الى الله باذنه) اى بتيسيره وارادته والاذن يستعمل مجازا مشهورا فى ذلك واصل الاذن معروف الاجازة وعبر فى الاولى بقوله له لكونه بصيغة الخطاب يقال قال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن فى الثانية خطابا قال فيه لانه فى حقه ووصفه فلا وجه لما قيل نه لاوجه لتغاير المتعلقين ثم اشار الى ان معانى الهداية منها مايختص بالله ومنها مايطلق عليه وعلى غيره فقال (والهداية بالمعنى الاول) وهو التوفيق بخلق الاهتداء (مختص بالله) فانه لايقدر عليه سواه ولذا نفى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى (قال تعالى انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء) ويريد توفيقه (وبمعنى الدلالة) بكسر الدال المهملة وفتحها وهى اراءة الطريق (تطلق على غيره تعالى) كالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين العلماء لوقوع الدلالة منهم وقوله تعالى * انك لاتهدى من احببت * نزلت فى ابى طالب عمه لافى العباس عمه رضى الله تعالى عنه كما قيل وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا على اسلامه حتى دخل عليه فى مرض موته وقال له ياعماه قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله وعنده ابوجهل وصناديد قريش فقالوا له اترغب عن ملة المطلب فكان آخر ماقال انه على ملة عبد المطلب فنزلت هذه الآية والشيعة يقولون انه قالها خفية وشهد بذلك فمات مسلما وقد رده الحفاظ وقالوا انه لم يثبت (ومن اسمائه تعالى) التى سماه صلى الله تعالى عليه وسلم بها (المؤمن المهيمن قيل هما) فى اسماء الله

تعالى (بمعنى واحد) ولفظهما من مادة واحدة لان الهاء عند هذا القائل مبدلة من همزته (فمعنى المؤمن) على هذا القول (فى حقه تعالى المصدق وعده) اى ماوعد به (عباده) فى الدنيا من الثواب ونعيم الآخرة والنصر العزيز فى الدنيا الى غير ذلك من وعد من لايخلف الميعاد (والمصدق قوله الحق) اى الذى صدق ماقاله من الحق كما قال فورب السماء والارض انه لحق (والمصدق لعباده المومنين ورسله) اى يصدق ماقالوه اوجاعلهم صادقين فى قولهم ملتزمين للصدق فى اقوالهم وعهودهم كما قال الله تعالى * رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فعلى الاول اللام غير زائدة وعلى الثانى مزيدة للتقوى وتحقيقه ان هذا الاسم سمى الله به نفسه فى القرأن والاحاديث الصحيحة واجمعت عليه الامة وهو من آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن اى مصدق فانه كذلك فى لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا فقيل معناه مصدق مؤمن عباده اوالذى لايخاف ظلما وقيل معناه الذى يأمن اولياءه عذابه كما قال الشاعر

* والمؤمن العائذات الطير تمسحها * ركبان مكة بين الغيل والسند *

وقال الحاكم معناه انه اذاوعد صدق وعده وقال الخطابى بعد مافسره بالمصدق انه يحتمل وجوها احدها انه يصدق عباده وعده ويفى بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الآخرة والآخر انه يصدق ظنون عباده المؤمنين ولايخيب آمالهم كقوله انا عند ظن عبدى بى (وقيل الموحد نفسه) بقوله تعالى * شهد الله انه لا اله الا هو * وقوله تعالى * اننى انا الله لا اله الا انا * فصدق مانطقت به الكائنات وحكته البراهين من توحيده فى الوهيته وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق وقوله (وقيل المؤمن عباده) كلهم مؤمنهم وكافرهم (فى الدنيا من ظلمه) لتنزهه عنه ومار بك بظلام للعبيد (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) معطوف على قوله عباده مفعول مؤمن بوزن منصف بمعنى معطى الامان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف فهو من صفات الافعال وعلى الاول صفة ذاتية لانه راجع للكلام ثم بعد مابين معنى المؤمن شرع فى بيان معنى المهيمن على انه بمعناه فقال (وقيل المهيمن بمعنى الامين) فوزنه مفيعل وهمزته مبدلة فيه هاء واصله مؤيمن وميمه الاولى مضمومة زائدة ومعناه الامين كما ذكر وفى بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان القلم الا ان يراد معنى مادته المأخوذ منها وهو من اسمائه الواردة فى القرأن والحديث واجمعت عليه الامة وورد اطلاقه على غيره تعالى كما سيأتى فى بيت العباس واطلق على ابى بكر ايضا رضى الله عنه فى قول الشاعر * الا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التالى على العرف والنكر * ولم ينكره وقال ابن الحصار لانعلم احدا سمى به الا انه لبس فى الشرع مايمنعه وقوله (مصغر منه) اى مصغر من الامين وهو قول ابن قتيبة الا انه رد بانه قول مرغوب عنه لان اسماء الله تعالى لايجوز تصغيرها لايهامه التحقير وان جاء للتعظيم

فى قوله * دو يهية تصفر منها الانامل * لانه انما جاء فيما يجوز تصغيره فصغروه تلطفا منهم كما قال وتقدم * ماقلت حبيبى من التحقير * بل يعذب اسم الشئ بالتصغير * واما اسماؤه تعالى واسماء انبيائه عليهم الصلوة والسلام فلا يجوز ذلك فيها قطعا و انما هواسم فاعل من هيمن فهو مهيمن والياء فيه كياء ضيغم وحيدر وليست للتصغير وقدجاء فى كلامهم الفاظ على وزنه كسيطر ومصيطر ومبيطر وهو البيطار و يقال له بيطر ايضا والمدبير بالموحدة من الادبار ومجيمر اسم جبل وهذا البناء من النوادر غير متصرف ولم يرد له فعل فلا يقال هيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابى عن بعض اهل اللغة المهيمنة بمعنى القيام على الشئ والرعاية له وذكره ابن الانبارى فى الزاهر ولغرابته اختلفوا فى معناه على اقوال عشرة الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المصنف رحمه الله (قلبت الهمزة هاء) لانها اخف منها كما قالوا فى اراق هراق وفى انك هنك وقول المصنف انه مصغر منه اى من مادته ونوعه والافهو من الامن مصغر مؤمن و يجوز ان يعود ضمير منه الى مؤمن فلبس مراده انه تصغير امين كما توهمه عبارته الاانه لظهوره لم يوضح عبارته فلا يرد عليه ماقيل انه سهو منه لان تصغير امين اميين بضم اوله وتشد يديائه وجعله شاذا لاداعى اليه واسماء الله لاتصغر فياؤه زائدة للتكثير ثم ذكر اسما آخر من هذه المادة فقال (وقد قيل ان قولهم فى الدعاء آمين) بالمد وقد يقصر اسم فعل كصه ومه قال الحسن معناه استجب اوافعل اولاتخيب وامن اذا قال آمين وقائله مجاهد (انه اسم من اسماء الله تعالى) بدل من قوله ان قولهم قيل اصله على هذا امين بالقصر مبنى على الفتح وادخلت عليه همزة النداء وابدلت الثانية الفا ورده ابن قرقول بانه لبس فى اسماء الله اسم مبنى وقال الراغب عن ابى على ان القائل بذلك اراد انه فيه ضمير الله لان معناه استجب و قيل انه عبرانى وقيل سريانى وقيل لايعلم اصله (ومعناه معنى المؤمن) اذا كان اسما لله ولذا قيل ينبغى تقديمه على هذا والكلام عليه مفصل فى التفاسير والقول الثانى فى المهيمن ماشاراليه بقوله (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) اى الحاكم اوالذى يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب منه الثالث وهو الشهيد (و) الرابع (الحافظ) للموجودات عن العدم حتى يريد غيره اوالمحصى لاقوالهم وافعالهم والخامس انه بمعنى العلى المتعالى والسادس الشريف وهو قريب مما قبله والسابع المصدق والثامن الوالى قاله عكرمة والتاسع القاضى قاله ابن الزبير والعاشر الرقيب وفيه كلام فى شرح الاسماء الحسنى للقرطبى ثم شرع فى ذكر تسمية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن) اى يسمى بهذه الاسماء الثلاثة التى سمى الله بها وان لم تتحد معانيها من كل الوجوه بشهادة حديث انى لامين فى الارض وامين فى السماء وكانت قريش تسميه

صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة محمد الامين كما مر واشار اليه بعد وسيأتى ذكر المهيمن (وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين) ان لم نقل المراد به جبريل عليه الصلوة والسلام كما تقدم اى مطاع امره وامين على وحيه واسراره (وكان يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة و بعدها) بين اهل مكة وطوائف العرب * والفضل ماشهدت به الاعداء * وهذا مؤيد لما قبله لان شهرته بذلك بتقدير الله تعالى واظهاره فلا يرد عليه انه بصدد تسمية الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم لاالناس حتى يقال انه لما اقره ورضى به دل على انه باذن الله تعالى وسمى بالمأمون كما مر فى قول كعب حين كتب لاخيه بجير فى حال جهالته

* سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا *

فلما سمعها صلى الله تعالى عليه وسلم قال مأمون انشاء الله ان لم نقل المراد به ابو بكر رضى الله تعالى عنه ثم بين تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالمهيمن بقوله (وسماه العباس) ابن عبد المطلب عمه عليه السلام (فى شعره مهيمنا فى قوله) فى الشعر الذى قدمناه مع شرحه (ثم اغتدى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وتقدم شرحه فانظره (وقيل المراد يا ايها المهيمن) ولولا هذا لم يكن اسما ومرضه المصنف رحمه الله تعالى وتبرأ منه بعزوه لقائله بقوله (قال القتبى) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى البغدادى الامام المشهور نسبة لقتيبة جده توفى سنة ست وسبعين ومائتين وتأليفه كثيرة (والامام ابو القاسم القشيرى) عبدالكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلته وانما مرضه لانه تكلف ضعيف لان العرف بال لاينادى وتقدير ايها مع تقدير حرف النداء لايرتضيه نحوى واثقل من هذا ماقيل ان البيت هنا بمعنى العز والشرف كما فى قوله * ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول * واذا عزه وشرفه بالمهيمن كان صفة له على ابلغ وجه لان صفة الصفة صفة ومثل هذه الدقة لايتحملها الكلام فانه زهرة لاتحتمل الفرك (وقال تعالى) فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه مؤمن اى مصدق (يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين اى يصدق)لعلمه بخلوصهم واللام لتضمينه معنى يذعن ويسلم اومزيدة والآية نزلت فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قالوا فى حقه امرا منكرا و قالوا اذا بلغه ذلك نحلف ونعتذر فانه اذن اى يصدق بكل مايسمعه فقال تعالى * قل هو اذن خير لكم يؤمن الخ (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا امنة لاصحابى) هذا طرف من حديث النجوم امنة فى السماء فاذا ذهبت اتى السماء ماتوعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت اتى اصحابى مايوعدون واصحابى امنة لامتى فاذا ذهب اصحابى اتى امتى مايوعدون يعنى ان النجوم اذا رفعت قرب وقت فنائها وانشقاقها ولذا كثر سقوطها عند مشته

صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى قرب الساعة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم امان لاصحابه رضى الله تعالى عنهم من وقوع بأسهم بينهم ووقوع الفتن فاذا توفاه الله ابتدأ وقوع ذلك كقصة عثمان وعلى والحسين واصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم امان للناس من ظهور الفساد فى البر والبحر فاذا ذهبوا بدأ ظهور ذلك وامنة بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان او بزنة المبالغة كرجل عدل فيقع على الواحد وغيره قال الراغب يقال رجل امنة وامنة يثق بكل احد وامين و يؤمن به انتهى ونحوه فى الاساس وكونه جمع امين وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى تأييدا لما قبله لانه خارج عما هو بصدده من ذكر تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم باسماء الله اذ ليس من هذا القبيل (ومن اسمائه تعالى) التى اطلقت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (القدوس) مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق اهل اللغة وهو بضم القاف فى الاشهر وان كان الاقيس فتحها وهو لغة منه وقرى بها وكل اسم على فعول مفتوح الاول كتنور وسمور الا السبوح والقدوس ومنه القدس بفتحتين السطل والعامة تقول له قادوس وظاهر كلام القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى انه سمع والمشهور خلافه (ومعناه المنزه عن النقايص المطهر عن سمات الحدوث) اى علاماته وآثاره فلا يتصف بشئ منها (وسمى بيت المقدس به) اى من هذه المادة بالمعنى المذكور بيت المقدس مخفف بزنة مرجع اسم مكان او مصدر ميمى من القدس وهو الطهر وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل ويقال له البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة قاله الكرمانى وقد تقدم (لانه يتطهر فيه من الذنوب) بزيارته والعبادة فيه وروى النسائى باسناد صحيح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان سليمان بن داود عليهما الصلوة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وان لا يأتى بيت المقدس احد لا ينهره الا الصلوة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه فاعطى جميع ذلك انتهى ولذا تشد اليه المطى كما تشد الى الكعبة ومسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ومنه الوادى المقدس) المسمى طوى وهو واد بالشام كلم الله فيه موسى عليه الصلوة والسلام سمى به لان الله تعالى قدسه وشرفه بظهور كلامه فيه وهو من الارض المقدسة ايضا فهو مطهر مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك ايضا (و) منه (روح القدس) بضمتين وضم فسكون كما مر وهو جبريل عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى قل نزله روح القدس لنزله بما يطهر النفوس من القرأن والحكمة والفيض الالهى وهذا هو الاصح وفيه وجوه آخر (ووقع فى) بعض (كتب الانبياء)

المنزلة من عند الله تعالى عليهم (فى اسمائه عليه الصلوة والسلام المقدس) هذا هو الصحيح وما فى بعض النسخ من انه القدوس من غلط الناسخ قاله فانه يجوز ان يقال فى حق مخلوق القدوس مطلقا (اى المطهر من الذنوب) لعصمة الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم من التدنس بها و مغفرتها لو فرض وقوع شئ منها يسمى ذنبا بالنسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وقيل المراد ما تقدم من ذنوب امتك وما تأخر منها كما سيأتى بيانه وخوطب لانه سبب المغفرة (والذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه) بيناء المجهول فيهما التنزه البعد ولذا اخره لاشعار التطهير بالوقوع وقوله (باتباعه عنها) متعلق بيتنزه والباء سببية لان من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها غفرت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال الله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم ما يكفهم عن الاثام (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) اى من الكفر والمعاصى الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم وتوفيق الله لهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه استعارة تصريحية (او يكون مقدسا) الموصوف به صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة) بالمعجمة اى المذمومة (والاوصاف الدنية) الحقيرة التى لا تليق بجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الشرح الجديد هنا ما تركه خير منه (ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع) الذى لا ينال ولا يدرك والعرب تقول حصن عزيز اذا كان لا يوصل اليه قال الهذلى فى العقاب * حتى انتهيت الى مراش عزيزة * سوداء روثة انفها كالمخصف * كذا قاله القرطبى نقلا فى شرح الاسماء الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله (الغالب) القاهر من صفات الافعال فكان ينبغى له ان يقول او الغالب لانه معنى آخر كما صرحوا به فى شرح اسماء الله والجمع بينهما على انه مركب من نعت حقيقى ونعت تنزيهى كما قيل خلط وخبط يعرفه من نظر شرح القرطبى لاسماء الله الحسنى ثم ان اطلاق الغالب على الله لم يأت فى عداد الاسماء وورد فى قوله والله غالب على امره اى الفعال من مخلوقاته ما يريده احبوا او كرهوا وفى التنزيل كتب الله لاغلبن انا ورسلى وقال الحاكم الغالب والطالب جرت عادتهم باستعمالهما فى اليمين اى الممتنع اى الممهل ذاته يمهل ولا يهمل وهو على الامهال بالغ امره انما نملى لهم ليزدادوا اثما (او الذى لا نظير له) هذا معنى آخر قال الخطابى العزة تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شئ وانه لا مثل له انتهى وبما سمعته من تفسير العزيز ظهر ان ما قيل انما انحصر فى فرد كالشمس والقمر داخل فيه فيحتاج لزيادة قيود اخر ليس بشئ (او المعز لغيره) فهو فعيل بمعنى

مفعل وهو عزيز فى العربية و لذا اخره المصنف يعنى به انه لا عزيز الا من اعزه فالعزة له و بيده لابيد غيره واذا صح الاستشهاد له بقوله (وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والاية نزلت فى حق المنافق ابى ابن سلول حيث قال ليخرجن الاعز منها الاذل يعنى بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين فرده الله عليه على طريق القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا فلايتوهم ان انحصار العزة فى الله لايقتضى انه معز بل معزز بالفتح وقد جوز فى الاسم الشريف ان يكون المعز المعظم وقد يقال يكفى فى كونه معزا اثبات العزة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وانه محل الاستشهاد (اى الامتناع وجلالة القدر) معطوف على ما قبله لانه بمعنى العزة عدم النظير وتقديره وزيادة المصنف لما ذكر اندفع ما تقدم ايضا وقال الغزالى العزيز من العباد من يحتاج اليه فى المهم وهو الحيوة الاخروية وهو مما يعز وجوده وهو مرتبة الانبياء والخلفاء وورثتهم من العلماء المرشدين وذوى العدالة من الحكام ثم ذكر اسما للرسول ووصفه بها الله لا على طريق الاسمية فقال (وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة) الاول بكسر الواو والثانى بفتحه والبشارة الخبر السار سمى به لانه يؤثر فى بشرة الوجه ولذا لو قال لعبيده من بشرنى بقدوم زيد فهو حر فبشروه على ترتيب عتق الاول ولو قال من اخبرنى عتق الجميع كما مر والنذارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف وقوله فبشرهم بعذاب اليم تهكم كما مر (فقال يبشرهم ربهم برحمة منه و رضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى و بكلمة منه) اسمه المسيح عيسى ابن مريم ومن يكتفى بوجود المادة يجوز ان يسمى الله مبشرا ومنذرا ومثله يكفى فى كونه توقيفيا والاشعرى رحمه الله تعالى يقول لابد من وروده بعينه (وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اى مبشرا لاهل طاعته) بما يسرهم فى الدنيا والاخرة (ونذيرا لاهل معصيته) بما يسوءهم من العقاب ونحوه (ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه و يس وقد ذكر بعضهم انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وشرف وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا فلاحاجة لاعادته (تنبيه) فى فتاوى السبكى رحمه الله تعالى فى قوله فى سورة الاسراء انه هو السميع البصير ان الضمير فى قوله انه يعود على الله تعالى وقد ورد فى اربعة مواضع من القرآن وقال بعضهم ان الضمير هنا يعود على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون هذان اسمان من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى وصفه بهما انه الكامل فى السمع والبصر اللذين يدرك بهما الايات التى تريه اياها وهو نذير والانذار بالعقل واعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر فعلى هذا وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لانه لا احد اكمل منه فى الانذار والاستدلال انتهى (اقول يعنى

ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهما هنا على هذا وقع بطريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين وسيق للمدح وهو امر عام ففسره بما يخصصه به و بصيره مدحا له ولاحاجة لهذا مع بعده فانه قد تبين توجيه اظهر منه وهو السميع لكلام الله تعالى من غير واسطة والناظر الى نور جماله وجلاله بعين بصره وهذا مما اختص به صلى الله عليه وسلم ﴿ فصل قال القاضى ابو الفضل ﴾ عياض المؤلف (رضى الله عنه وههنا نكت) وفى نسخة وها انا اذكر نكتة وها ء حرف تنبيه والاكثر وقوع اسم الاشارة خبرا عن المبتدأ الواقع بعدها نحو ها انا ذا اقول وقد لايؤتى به كما صرحوا به فمن ظنه لازما واعترض على المصنف رحمه الله تعالى ولم يصب والنكتة بضم اولها وفتح المثناة الفوقية هى الامر الدقيق المحتاج الى فكر وتأمل سميت بها لان صاحبها كثيرا ما يبحث فى الارض بقضيب ونحوه وهو بمعنى النكت لغة (اذيل بها هذا الفصل) اى اختمه بها و اطوله فيكون كذيل الثوب الذى يطول به وفى حديث مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه انه كان فى الجاهلية مترفا يدهن بالعنبر ويذيل يمنة اليمن اى يطيل ذيلها واليمنة برد من برود اليمن ففيه استعارة تصريحية تبعية واليه اشار بقوله (واختم بهذا القسم) الذى فيه ذكر الاسماء (وازيح الاشكال بها فيما تقدم) اى ازيل ما يشكل على سامعه (عن كل ضعيف الوهم) قيل المراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة المعارضة للعقل فان ضعفها بقوة العقل المزيل للاوهام والاشكال فقوله (سقيم الفهم) كالتفسير له وسقمه بمعنى قلته فهو استعارة وتعبيره فى الاول بالضعف وفى هذا بالسقم تفنن حسن والوهم بسكون الهاء وفتحها (تخلصه من مهاوى التشبيه) بكسر الواو جمع مهواة وهى كالهاوية الحفرة العميقة التى من يقع فيها يصعب طلوعه ومن اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء وهى تخييلية ومكنية والمراد بالتشبيه تشبيه الله وصفاته بغيرها لان اطلاق بعض الاسماء على الله و على غيره يقتضى ذلك (وتزحزحه) اى تزيله وتبعده قال تعالى * فمن زحزح عن النار (عن شبه التمويه) اى الشبه بزنة غرر جمع شبهة وهو ما يلتبس واصله ما لايتميز عن غيره لما بينهما من التشابه والتمويه من الماء والمراد به زخرفة الكلام الذى لاحقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لاعلم عنده وهو استعارة قال فى الاساس سرج مموه مطلى بالذهب او الفضة وحديث مموه مزخرف وما احسن موهة وجهه بهاؤه ورونقه انتهى وانما سمى تمويها لانه يذاب حتى يصير كالماء ويقال موه عليه الخبر اخبره بخلاف ما سأله عنه (وهو) عائد على ما يفهم مما تقدم وهو ما يزيل الاشكال ويزيح الاوهام والعجب ممن اعاده على ضعيف الوهم و سقيم الفهم (ان تعتقد ان الله جل اسمه) اى عظم وتنزه عن الحاد فى اسمائه بانتاء ويلات الباطلة ولقد اصاب قوله هنا جل اسمه محزه

وطبق مفصله (فى عظمته وكبريائه) الكبرياء الترفع عن الانقياد والعظمة جلالة ذاته فى نفسها ولظهور الاولى ورد فى الحديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى فى شئ منهما قصمته والفرق بينهما فيه تفصيل ليس هذا محله والجار والمجرور متعلق بما سيأتى من قوله لايشبه الى آخره وقيل انه حال لازمة من ضمير اسمه اى متصفا بهما وبما بعدهما وكنى بالظرفية عن تمكنه فيهما من غير تصور ظرفية واستقرار ففيه استعارة تبعية او هو ظرف مستقر كانه لتمكنه وانفراده باعلى مراتبهما فيهما انتهى وفيه تكلف (وملكوته) اى عظم وعز سلطانه وهى كالرحموت صيغة مبالغة من الملك كالجبروت وقد يقابل بالملك فيراد به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة وكلا المعنيين صحيح هنا (وحسنى اسمائه) اى اسماؤه الحسنى ووصفت بالحسنى لدلالتها على احسن المعانى وامدحها فهى صفة كاشفة لامخصصة ومنها ما يختص به كالخالق ومايطلق عليه وعلى غيره ولها تقاسيم اخر (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصور جمع عليا وهى الشريفة الرفيعة وروى على بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء وهما بمعنى (لاتشبه شيئا من مخلوقاته) بالتاء الفوقية اى المذكورات من لفظ العظمة ومابعده وهو خبران ومابعده متعلق به او حال مما قبله وليس معترضا كما قيل (ولاتشبه به) مبنى للمجهول بضم الفوقية مشدد الباء الموحدة ويجوز ضبطهما بالتحتية اى معانى اسمائه وصفاته لاتشابه غيرها بوجه من الوجوه لقدمها وكونها على اعظم رتبة لايصل اليها غيرها وهو جواب عن سؤال وشبهة نشأت مما تقدم تقديره ان بعض اسمائه تعالى اطلق على نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فيلزمه مشاركة عبيده له فيها كما قال (وان ماجاء) من اسمائه تعالى (مما اطلقه الشرع) فى القرآن والاحاديث والكتب الالهية (على الخالق وعلى المخلوق) كشكور وحفيظ وغيره مما تقدم واعادة الجار اشارة الى تغايرهما وان اتحد لفظهما (فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى) الذى هو مأخذ الاشتقاق من الشكر والحفظ قال العلامة ابن القيم فى كتابه بدايع الفوائد اسماؤه تعالى التى تطلق عليه وعلى غيره كسميع هل هى حقيقة فيه مجاز فى غيره او مجاز فيه حقيقة فى غيره او حقيقة فيهما ثلاثة اقوال والاسماء الحسنى منها ما هو علم وصفة والوصف فيها لاينافى العلمية بخلاف العباد فانها مشتركة انتهى وهو كلام مشكل فان منها ما هو حقيقة قطعا كالاله والخالق ومنها ما هو مجاز كالرحيم فان الرحمة رقة القلب وقد صرحوا بانه اطلق عليه باعتبار غايته الا ان يقال انه حقيقة شرعية فان تغايرها باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لايستلزم اشتراكها بل كونها مقولة بالتشكيك فقوله (اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق) لايتم دليلا على مدعاه (وكما ان ذاته لاتشبه الذوات) اى حقيقته ونفسه ومن ذهب الى ان الذات لم ترد بهذا المعنى ينكر دخول ال عليه

الا ان الظاهر صحته ويشهد له قولهم الذوين لملوك اليمن وقوله تعالى ذواتا افنان (فكذلك صفاته لاتشبه صفات المخلوقين) وكون ذاته لاتشبه شيئا من الذوات هو الحق الذى ذهب اليه الاشعرى وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب الى انها تشبه غيرها فى الحقيقة وان امتازت بالوجود والالوهية وغيرهما وتفسيره فى الكتب الكلامية واعلم ان فى اطلاق لفظ الذات على الله تعالى شرعا ولغة خلاف فقيل انه غير صحيح لانه مؤنث ذو ودخول ال عليه غير صحيح لغة وقال السهيلى ذهب كثير الى اطلاقها عليه وجواز تعريفها لانها بمعنى النفس والتأنيث غير مراد فيقولون ذات البارى بمعنى حقيقته ويحتجون بما ورد فى الحديث الصحيح ثلاث كذبات فى ذات الله تعالى وقول خبيب رضى الله تعالى عنه

* وذلك فى ذات الاله وان يشاء * يبارك على اوصال شلو ممزع *

وقد اثبت ذلك البخارى واحمد فى مسنده وقال ابن القيم وابن قدامة ليست هذه اللفظة كما زعموا فى اللغة والشرع بالاستقراء ولم يرد الا مجرورا بفى والظرفية غير صحيحة فهى صفة لمؤنث مقدر ومعناها طاعة الله وشريعته كما قال النابغة * مجلتهم ذات الاله ودينهم * ومن فسره بغير ذلك فقد وهم فتدبر (اذ صفاتهم لاتنفك عن الاعراض والاغراض) الاول بعين مهملة والثانى بعين معجمة والعكس ثم راء مهملة وضاد معجمة فيهما فالاول جمع غرض بفتحتين وهو مايقابل الجوهر اى لايقوم بذاته او بمعنى كالمرض ويكون بمعناه ايضا لان مايعرض للبدن ان استمر فهو مرض عند الاطباء والا فعرض ويطلق كل منهما على الاخر والثانى هو الامر الباعث على وجود الفعل وايجاده وهذا تعليل لكون ذات الله تعالى وماتعلق بها لايشبه شيئا من المخلوقات فان الخلق وصفاتهم لاتنفك اى لاتفارق الاعراض والله تعالى منزه عن الاعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية لانها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المستلزم للحدوث المنافى لوجوب الوجود الذاتى خلافا للحكماء والكرامية وافعاله تعالى لاتعلل بالاغراض وان كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة وهى تسمى غرضا ايضا ولكنه ليس محل خلاف وذهب النسفى وبعض المحققين الى جوازه والخلاف فيه لفظى فان الغرض ان كان مايستكمل به الفاعل ويحتاج اليه فهو منفى عنه والا فيجوز اثباته له خلافا للحكماء وليس هذا محل بسط الكلام فيه وفى كلامه تجنيس (وهو تعالى منزه عن ذلك) فلا يحل به عرض ولايفعل لغرض (بل لم يزل) موجودا ازلا وابدا (بصفاته واسمائه) الدالة على ذاته وصفاته فهى قديمة اما صفاته الذاتية فلا كلام فى قدمها ومنها ما هو عينه ومنها ما هو غيره او لاعينه ولاغيره عند الاشعرى واما صفات الافعال كالاحياء والاماتة والخلق فاختلف فيها فقيل انها قديمة والحادث تعلقها عند الماتريدية والمصنف رحمه الله تعالى تبعهم هنا وقيل انها حادثة

اذهى اضافات تعرض له ولا محذور فيه كما حققه المتكلمون وصفاته السلبية قديمة ايضا و اسماؤه على ماذكره قديمة ايضا لانه تعالى سمى نفسه بها فى كلامه وهذا بناء على قدم الكلام اللفظى وهومذهب السلف و بعض الخلف كالشهرستانى (وكفى بهذا) اى يكفى فى اثبات كون ذاته وصفاته واسمائه لاتشبهه شئ فيها (قوله تعالى ليس كمثله شئ) فانه صريح فيه سواء قلنا ان مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك لايبخل والكاف غير زائدة اوقلنا انها زائدة وقيل الفرق بين مثله وكمثله ان الاول يدل على المشابهة من سائر الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما (ولله درمن قال من العلماء العارفين المحققين) الدر بفتح الدال و تشديد الراء المهملتين اصل معناه اللبن الحليب و يتجوز به عن الخير والعمل الصالح واللام فى لله للتعجب وكذا يستعملوه فيقال لله دره للثناء عليه والتعجب من محاسنه ولم يقولوا الله هو لانه ابلغ بمراتب لتعجبهم من لبن ارتضعه كما يقال لله ابوه و بلده واضافوه لله اشارة الى انه لايقدر عليه سواه واراد بالعارفين مشايخ الصوفية لما سيحكيه عنهم فان العارف مختص فى العرف باولياء الله تعالى (التوحيد اثبات ذات) وهى ذات الله تعالى (غير مشبهة للذوات) جميعها بوجه من الوجوه (ولا معطلة من الصفات) اصل معنى العطل فقد الزينة والشغل والمراد به النفى هنا اى غير منفى عنها الصفات كما يقوله المعتزلة هربا من تعدد القدماء والمحذور تعدد ذوات قدماء لاذات وصفات وفيه تشبيه للصفات بالزينة (وزاد هذه النكتة) وهى معنى التوحيد الذى قاله المشايخ (الواسطى) تقدمت ترجمته (بيانا وهى) اى الزيادة التى زادها فهى عائد على مافهم مما قبله (مقصودنا) لدلالتها على ماعقد له هذا الفصل (فقال ليس كذاته ذات) اى ليس كحقيقته حقيقة فلا يشاركه وجه من الوجوه اذ لو شاركته لزم امر آخر مميز ذاته عن ذات غيره والا لاتحدا وهذا يستلزم التركيب والحدوث (ولا كاسمه اسم) اى لايشبه مدلول اسمه مدلول اسم آخر كامر (ولا كفعله فعل) لانه فى غاية الكمال والاتقان وليس لغرض و لا عرض كما مر (ولا كصفته صفة) لانها عظيمة قديمة وغيرها ليس كذلك (الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ) فى بعضها كسميع و بصير وحى فمثل ذلك فى حقه ليس مثله فى غيره وان كان اللفظ متحدا لمناسبة ما ثم وضحه فقال (وجلت الذات القديمة) اى عظمت وتعالت وتنزهت عن (ان تكون لها صفة حديثة) اى محدثة موجودة بعد العدم لانها ان كانت صفة كمال لزم خلو الذات عنها قبل وجودها وهو نقص لايليق بكماله والا استحال اتصافه وهذا مبنى على قدم صفات الافعال كما تقدم (كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها (وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة) الماتريدية فالجماعة اذا اطلق فالمراد به هؤلاء دون غيرهم من الفرق الضالة المضلة (وقد فسر الامام

ابو القاسم القشيرى) تقدمت ترجمته (قوله هذا) اى قول الواسطى السابق (ليزيده بيانا) و ايضاحا على ايضاح (فقال هذه الحكاية) اى المحكى المنقول عن الواسطى (يشتمل) وفى نسخة اشتملت (على جوامع) اى امور جامعة مستوفية (من مسائل التوحيد) وهو اعتقاد ان الله تعالى واحد فى ذاته وصفاته لامثل له ولاضد ولاند ولاشريك له فى الوهيته واستحقاقه للعبادة (وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات) بفتح الدال المهملة اى الامور الحادثة (وهى بوجودها مستغنية) مستقلة غير محتاجة ومستندة لغيرها لوجوب وجودها وكونه عين ذاتها والكائنات ممكنة (وكيف يشبه فعله فعل الخلق) فى حقيقته ولوازمه وكماله (وهو) اى فعله (لغير جلب) بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها و باء موحدة وهو التحصيل واصل معناه السوق (انس) اى استيناس ودفع وحشة لاستغنائه عن الانيس والجليس (او دفع نقص حصل) اى ليس شئ من افعاله لنفع له بل كله لنفع عباده فانه الغنى المطلق (ولا بخواطر واغراض) والباء سببية وفى نسخة لخواطر باللام التعليلية واغراض بغين معجمة اى ليس شئ من افعاله تعالى لخواطر يطرأ عليها وباعث يدعوه لفعله كما تقدم وفى نسخة ولا بجواهر واعراض بالمهملة والصحيح رواية ومعنى الاول وهذا تحريف من النساخ وان احتمل رجوع الجواهر لذاته والاعراض لافعاله على مافيه وقوله (وجد) ماض للمجهول كما قاله البرهان ووقع فى مقابلة قوله حصل اى ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وغرض موجود وفى بعض الشروح بكسر الجيم وتشديد الدال اى ليس فعله باجتهاد وجد منه والذى غره قوله (ولا بمباشرة ومعالجة) الا ان قوله (ظهر) يأباه فان الافعال الثلاثة فيها ضمير عائد على الفعل فان معناه ليس فعله لدفع نقص حصل له او لخاطر وغرض وجد فى نفسه ولانكد ظهر وقت فعله وقد وقع كل من الافعال الثلاثة فى محله فوصف النقص بحصل لانه طار عليه ووصف الخاطر بانه وجد بغتة فى نفسه كما هو شانه كما ان شان المباشرة كونها محسوسة فهذا ناش من عدم تأمل كلامه والمباشرة فعل الشئ بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل ضرب بان بمباشرة وتولد كأنه يمس بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة بجد وقوة يقال اعتلجوا اذا اقتتلوا اى ليس فعله كفعل غيره بعلاج واعمال وانما هو بارادته من غير شئ من ذلك انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون (وفعل الخلق لايخرج عن هذه الوجوه) المذكورة من جلب نفع ودفع ضر واغراض ومباشرة ومعالجة (و) قد (قال آخر من مشايخنا) جمع شيخ والشيخ من كبر سنه وفى العرف من تصدر للافادة لانه انما يحصل باتفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض اهل اللغة انه لا اصل له ولم يسمع فى كلام العرب ورد بانه سمع كما فى شرح الفصيح (ما توهمتموه باوهامكم) اى كل شئ واقع فى اوهام الناس انه حقيقة البارى ليس كما توهمتموه (او ادركتموه بعقولكم) اى تصورتموه وعلمته عقولكم (فهو محدث مثلكم) لان

الاوهام والعقول مألوفة بادراك ماتشاهده فتظن ان الله تعالى جل وعلا مثله وتقيس الغائب على الشاهد والله تعالى اجل من ان يحيط به الادراك والادراك المدرك للامور المحدودة المتناهية وهو تعالى منزه عما لايليق به مما الفته النفس من المدركات وليس المراد انه لاندرك ذاته وصفاته بوجه ما فانه معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة فالمراد انه لايدرك كنه ذاته وصفاته ومسمى اسمائه لكنهه ولم نكلف بهذا وانما كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته وانه لارب ولامعبود سواه (وقال الامام ابو المعالى الجوينى) امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى النيسابورى ابو المعالى امام الائمة عربا وعجما فريد دهره نخبة الفلك ونكتة عطارد صاحب الفضائل والتاليف الجليلة ولد ثانى عشر المحرم سنة تسع وعشرة واربعمائة فى خامس عشرين من ربيع الثانى وجوين بضم الجيم من نواحى نيسابور وهو شيخ الغزالى ومفخره (من اطمأن) بطاء مهملة ساكنة وميم وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى سكن بعد انزعاج اى تقرر وتيقن عنده بعد الشك والشبه (الى موجود انتهى اليه فكره) اى تيقن امرا موجودا على وجه معين ارتسم فى ذهنه انه الله (فهو مشبه) اى معتقد لتشبيه الله تعالى بغيره مما فى خزانة فكره وهو خطأ لانه ليس كمثله شئ وفكره انما هو مدركاته المشاهدة فيأتيه التشبيه منها واحترز بقوله اطمأن عن الوسوسة فانها لبست بتشبيه لعدم ركون النفس لها (ومن اطمأن الى النفى المحض) الخالص بان نفى ذات البارى حقيقة او حكما كالفلاسفة القائلين لا يصدر عن الواحد بالذات الا واحد (فهو معطل) ناف للصانع وهم الدهرية القائلون بالطبايع الى غير ذلك مما لايصدر عن عاقل (وان قطع) اى جزم (بموجود) اله واجب الوجود (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بسكون الراء وقد تفتح اصل معناه اللحوق ثم صار بمعنى العلم كالادراك لوصول العقل اليه اى عجز عن علم بكنهه (فهو موحد) لانه عرف الله ووحده واعترف بانه لايقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف قال الراغب وروى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال يامن غاية معرفته العجز عن معرفته اذ كان غاية معرفته ان يعرف الاشياء فيعلم انه ليس شئ منه ولابمثله بل موجد كل ما ادركته انتهى (وما احسن قول ذى النون المصرى) الزاهد العارف بالله تعالى ابو الفيض ويقال ابو الفياض واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمى كان ابوه نوبيا توفى رحمه الله تعالى سنة خمس واربعين ومأتين وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة وحدث انه قرأ من خط قديم * تدبر بالنجوم ولست تدرى * ورب النجم يفعل مايشاء * وله ترجمة فى الميزان (حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله فى الاشياء) اى فى ايجادها وابداعها (بلاعلاج) اى بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة (و) تعلم ان (صنعه لها بلامزاج) المزاج لغة كالمزج الخلط وماركب عليه البدن من الطبايع وعند الاطباء كيفية له من العناصر المتماسة بحيث بكسر سورة

كل منها سورة الاخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد ان ايجاده لها لايحتاج الى مادة ومعاونة تركبه منها بل قدرته تعالى العلية اوجدته ابتداء من العدم بعد ان لم تكن بمجرد قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شئ من العلل الاربع كما اشار اليه بقوله (وعلة كل شئ صنعه) بمجرده ومجرد قدرته (ولاعلة لصنعه) تعينه فى ايجاده اذ افعاله تعالى لاتعلل بالاغراض (وماتصوره وهمك فالله بخلافه) فان ذاته لاتشبه الذوات وافعاله لاتشبه افعال غيره فهو منزه عن ان تتصوره الاوهام (وهذا كلام عجيب نفيس محقق) من النفاسة وهى الشرف وعلو القدر (والفصل الاخير) من كلام ذى النون وهى الفقرة الثالثة اعنى قوله وماتصوره وهمك فالله بخلافه (تفسير لقوله) عز وجل اى بمعنى قوله (ليس كمثله شئ) فان مالامثل له لايرتسم فى الوهم (والثانى) اى الفصل الثانى وهو قوله وعلة كل شئ صنعه ولاعلة لصنعه (تفسير) وبيان (ا) معنى (قوله لايسئل عما يفعل وهم يسألون) فانه لاعلة لفعله حتى يقال له لم فعلت كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين (والثالث) فى العدد وهو الاول اعنى قوله حقيقة التوحيد ان تعلم قدرة الله فى الاشياء بلاعلاج وصنعه لها بلامزاج (تفسير لقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وفى كلامه لف ونشر غير مرتب وهذا تمثيل لسرعة الايجاد والتسخير (ثبتنا الله واياك على التوحيد) اى على العقيدة الحقة فى اعتقاد وحدانية الله تعالى فى ذاته وانفراده بجميع شؤنه (والاثبات) اى اثبات مايليق بذاته لذاته وبصفاته لصفاته وليس المراد اثبات واجب الوجود المنافى للتعطيل فانه معلوم من التوحيد الا ان يريد مجرد التوكيد (والتنزيه) لذاته وصفاته عما لايليق بها (وجنبنا) اى بعدنا (طرفى الضلالة والغواية من) طرفى (التعطيل والتشبيه) من بيانية واراد بالضلال التعطيل وبالغواية ادعاء التشبيه والتجسيم وجعل للاعتقاد الحق طرفين افراط وتفريط والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم وهذا كله استدلال على ان ما اطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما فى حقيقة المدلول والمسمى كما مر بيانه مبسوطا ولما كانت هذه التسمية تشريفا وتمييزا لهم عما عداهم اردفه بما يتم به التمييز وهو المعجزات فقال

الباب الرابع

من القسم الاول (فيما اظهره الله على يديه) صلى الله عليه وسلم ما على اليد هو ماوضع فوقها فكنى به عما كان مشاهدا (من المعجزات) وهى الامور الخارقة للعادة التى يظهرها الله تعالى على يد انبيائه عليهم السلام لالزام من كذبهم اذا عجز واعن الاتيان بالمثل وهذا هو الفرق بينها وبين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبى والكرامة للرسول كما قيل فان الكرامة تكون للنبى ايضا كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وشرف به من الخصايص والكرامات) اى ماخصه الله تعالى به واكرمه مما لم يكن لغيره والفرق بينها وبين السحر ليس ادعاء النبوة فان الساحر قد يدعيها كاذبا بل انها امر الهى ليس بمزاولة العزائم ونحوها من تسخير الكواكب كما يدل عليه قوله اظهره الله وهى دالة على صدقه فى دعوى النبوة

وماكان قبل البعثة فهو ارهاص اى تأسيس للنبوة وادخلها بعضهم فى المعجزة قال الزركشى فى البحر اختلف فى دلالتها فذهب القشيرى الى انها وضعية ومادل وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام فى الارشاد وابو اسحق انها عقلية وقال الامدى فى ابكار الافكار الذى ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست دلالة عقلية ولا سمعية اما الاول فلان مايدل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا مع عدم دلالته على تصديق مدعى النبوة فانه لا ارسال ولا رسول اذ ذاك واما الثانى فلان الدلالة السمعية تتوقف على صدقه فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورا بل دلالتها على صدقه غير خارج عن الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول الله تعالى صدق عبدى انتهى (قال القاضى ابو الفضل) عياض المؤلف (رضى الله تعالى عنه حسب المتأمل) بسكون السين اى يكفيه اوكفايته والمتأمل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا (ان كتابنا هذا لم نجمعه) اى لم نؤلفه (لمنكر نبوة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن كفر به (ولا لطاعن فى معجزاته) اى معترض ومعارض معاند فى ثبوت بعضها وان كان مظهرا الاسلام كبعض الزنادقة واصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه فاستعير لتعييب الناس وذمهم يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن برى الاكثر فى طعن السلاح بضم عين المضارع وفى القول فتحها ونقله بعضهم عن غيره من الائمة فتأمله (فيحتاج) بالرفع على الاستئناف اوالنصب فى جواب النفى بناء على رأى من جوزه مستدلا بقوله

الم الق بعدهم حيا فاخبرهم الا يزيدهم حبا الى هم*

وقدمنعه بعض النحاة وهم نحاة المغرب (الى نصب البراهين عليها) اى على اثباتها بالادلة القاطعة الملزمة لمن انكرها او طعن فيها ونصبها اقامتها و ايضاحها من قولهم نصب رأيا اذا اشار اليه بان لا يعدل عنه كما فى الاساس (وتحصين حوزتها) بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الزاى المعجمة وهى الناحية والجانب وتحصينها جعلها حصينة محفوظة كأن عليها حصنا يحميها وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل المنكر كالعدو والقاصد لخراب المملكة ويقال حمى حوزته وبيضة بلده اذا حفظ جواره ومايلزمه حفظه (حتى لا يتوصل المطاعن اليها) جمع مطعن وهو الطعن والرد بالاباطيل الفاسدة التى تصدر عن اهل الالحاد وضمير اليها للحوزة اوللمعجزة والاول اولى وابلغ لان عدم الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها و يذكر شروط المعجزة (والتحدى) بفتح المثناة الفوقية المشددة والحاء المهملة وكسر الدال المهملة المشددة وبالتحتية وهو طلب المعارضة واصله مقابل للحادين فى حدى الابل (وحده) معطوف على يحتاج الداخل فى حيز النفى وحده بمعنى تعريفه منصوب كقوله (وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده) اى لابذكر فساده ورده معطوف على فساد اوماض

معطوف على ابطل اى لم نجمعه لاجل شئ من ذلك حتى يحتاج الى ذكر مايدفعه ويقيم الحجة على بطلانه كما هو دأب المتكلمين ان يقدموا قبل مباحث اثبات النبوة اوذكر المعجزات مبحث ابطال قول المنكرين للنسخ لعدم فرقهم بينه وبين البداء وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك فى ابطال نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ونبوة عيسى عليه الصلوة والسلام لنقلهم عن التورية مايدل على تأبيد شريعة موسى عليه الصلوة والسلام مع وقوع النسخ فيها كما فصل فى كتب الاصلين (بل الفناه لاهل ملته) اى انما الفناه لاهل ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المؤمنين به (الملبين لدعوته) بالباء الموحدة المشددة اى القائلين له اذ دعاهم صلى الله عليه وسلم للتوحيد والدين الحق لبيك وهو عبارة عن اطاعته وتصديقه ولذا قال (المصدقين لنبوته) لاقرارهم واعترافهم بكل ماجاء به ولا يقال ان جميع التأليف الاسلامية كذلك فانه ليس بشئ ثم بين الداعى لتأليفه فقال (ليكون تأكيدا فى محبتهم له) صلى الله عليه وسلم دفعا لما عسى ان يقال ان المؤمنين غير محتاجين له مع اعترافهم واقرارهم بذلك فاجاب بانه مؤكد لمحبتهم له صلى الله عليه وسلم (منماة لاعمالهم) بالنون من النمو بمعنى الزيادة مصدر اواسم محل اى يزيدهم رغبة فى اعمالهم الصالحة او يبلغهم الاعمال او يبلغ اعمالهم الى الله تعالى من نميت الحديث اذا بلغته (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) بذلك فانه يزيده او يثبته فى قلوبهم وفى تقديمه زيادة الاعمال على زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال والقول فى قبول الايمان الزيادة مقرر فى محله (ونيتنا) بالنون والمثناة التحتية المشددة والمثناة الفوقية والنون قبل الالف اى قصدنا وما عزمنا عليه فى هذا الباب (ان نثبت فى هذا الباب) ان نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة رواية من الافعال اوالتفعيل (امهات معجزاته) اى كبارها وعظامها جمع ام (ومشاهير آياته) غاير بينهما تفننا فان الآيات بمعنى المعجزات ايضا اوالمراد مااشتهر من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تحدى غيره (لتدل) مااثبتناه على عظيم قدره (عند ربه) لما اجراه على يديه من عظيم الآيات (واتينا منها) اى ذكرنا من تلك المعجزات (بالمحقق) اى بما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة (والصحيح الاسناد) اى ماصح سنده وتقدم ان الاسناد الاتيان بالسند وهو عبارة عن الرجال الذين نقلوا الحديث منقول فى سند الجبل وهو ما ارتفع من سفل الجبل وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحته باستيفاء شروطه المذكورة فى كتاب ابن الصلاح وغيره (واكثره) اى اكثر ما اثبتناه (مما بلغ القطع) اى وصل الى رتبة القطع بحيث لا يقبل التشكيك كالقرآن (اوكاد) اى قارب بلوغ القطع لشهرته وصحته فهو وان كان ظنيا لكنه قوى حتى صار متيقنا بما حفه من القرائن وحذف معمول كاد شايع فى كلام العرب لاسيما فى السجع كما فيما نحن فيه (واضفنا اليها) اى ضممنا الى المعجزات المحققة

والمقار بةلها (بعض ماوقع فى مشاهير كتب الائمة) يعنى ائمة الحديث الذين تلقى الائمة كتبهم بالقبول كدلائل النبوة للبيهقى والسنن و بقية الكتب (واذاتأمل المتأمل المنصف ماقدمناه) اى من نظر بعين الرضاء والانصاف فى صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التى قدمها المصنف رحمه الله تعالى قبل هذا الباب وهذاتأكيد لماقبله من ان ذكر المعجزات ليس لاثبات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لان من تأمل صفاته علم انه غيرمحتاج فى اثبات نبوته الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لمحبتها وتأكيد ذلك كماقال المتنبى * صفاته لم تزده معرفة * لكننا لذة ذكرناها * (من جميل اثره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحتين وهو بقية الشئ وما يبقى بعده من اثار فعله كالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم النافع مما يرسم فى صحايف الايام وقيل جمع اثره من اثره يؤثره ايثارا اذا اعطاه ومأثر العرب مكارمها ومفاخرها التى تروى وتذكر (وحميد سير) جمع سيرة كسدرة وسدر وهى الطريقة والسنة المحمودة (وبراعة علمه) اى علمه الفائق به على غيره يقال برع براعة وبروعا اذافاق فى علم اوغيره (ورجاحة عقله) اى عقله الزائد بحيث لووزن بغيره رجح عليه (وحلمه) الراجح ايضا (وجملة كماله) اى جميع كمالاته التى لم تجمع لغيره (وجميع خصاله) جمع خصلة وهو الصفة الحسنة وهى مجاز من الخصل وهى مايعطى فى الرهان فاستعير لما ذكر كما فى الاساس (وشاهد حاله) اى ماحكى عما كان يشاهد من حاله وفى تعبيره بالشاهد لطف لان فيه ايهام انه يشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر (وصواب مقاله) اى مايحكى من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو صواب كله وحكم وحكم والكل بالجر عطف على جملة وقوله (لم يمتر) جواب اذا اى لم يشك ويشتبه عليه ويقع له تردد (فى صحة نبوته) التى ادعاها واظهرها (وصدق دعوته) اى صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مدعاه اوفيما دعا الخلق اليه من دينه وتوحيده وبه (وقدكفى هذا غيرواحد) هذا فاعل كفى وهو اشارة لماذكر من الجهل ومابعده وغير مفعوله (فى اسلامه والايمان به) اى كفاه ما رأه من احواله صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلب برهان وآية على نبوته وصدق رسالته والانقياد لامره فاسلم وآمن به وتبعه من غير تلعثم كابى بكر رضى الله تعالى عنه فان كان كلما رأه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماخلق هذا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام قال هذا الذى كنت ارجومنك (فروينا عن الترمذى) الامام المشهور صاحب السنن وقدمنا ترجمته (وابن قانع) بقاف ونون مكسورة وعين مهملة بعد الف وصحفه بعضهم بنافع بنون وفاء وهو غلط وهو عبد الباقى بن قانع الامام الحافظ كما تقدم (وغيرهما باسانيدهم) جمع اسناد وجمع وان كان مصدرا لنقله الى الاسمية (الى عبدالله بن سلام) الصحابى المشهور وهو بتخفيف اللام وغيره مشدد اللام واختلف فى بعضها

ايضا (قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة) فى هجرته هووابو بكر رضى الله تعالى عنه (جئته لانظر اليه) جواب لما يعنى انه سمع بقدومه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وقولهم انه رسول الله فاتاه ليعرف امره وهومن علماء اهل الكتاب صاحب فراسة وذكاء (فلما استبنت وجهه) استفعال من البيان وهوالوضوح والظهور والسين للمبالغة (عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب) اى لاح له من سيماه ونور النبوة فى محياه صلى الله تعالى عليه وسلم ان مثله لايكذب فيما ادعاه فخلق الله تعالى فيه علما ضروريا فصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ماكان علمه من صفته فى التورية والكتب السالفة وقال رضى الله تعالى عنه لليهود يا معشر يهود اتقوا الله تعالى واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله الذى تجدونه عندكم مكتوبا فى التورية باسمه وصفته وانى اومن به واصدقه ثم شرع فى ذكر سنده لما رواه عن الترمذى ولم يقدمه لئلا يفصل بينه وبين مااستشهد له به فقال (حدثنا به) اى بحديث ابن سلام (القاضى الشهيد ابوعلى رحمه الله تعالى) الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم (قال حدثنا ابوالحسين الصيرفى) بالتصغير ومن قال ابوالحسن مكبرا فهومخطئ (وابوالفضل ابن خيرون) تقدمت ترجمته (عن ابى يعلى البغدادى) بفتح التحتية وهوالمعروف بابن زوج الحرة كما تقدم (عن ابى على السنجى) تقدم ضبطه وبيان نسبته (عن ابن محبوب) المعروف بالمحبوبى راوى السنن (عن الترمذى) كما تقدم قال (حدثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة وتشديد المعجمة كماتقدم قال (حدثنا عبد الوهاب الثقفى) ابن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن ابى العاص الثقفى الحافظ وثقه ابن معين وقيل انه اختلط فى آخر عمره توفى سنة اربع وتسعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة وترجمته فى الميزان (ومحمد بن جعفر) هوغندر كما تقدم (وابن ابى عدى) محمد بن ابراهيم بن ابى عدى البصرى الثقة توفى سنة اربع وتسعين ومائة وروى له اصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) بن فروخ ابو سعيد القطان البصرى التميمى الحافظ احد الائمة الاعلام توفى سنة ثمان وتسعين ومائة وترجمته فى الميزان (عن عوف بن ابى جميلة) بفتح الجيم وكسر الميم (الاعرابى) سمى به لسكناه بدرب الاعراب قاله ابن دقيق العيد وهوثقة ثبت توفى سنة سبع واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة كما فى الميزان (عن زرارة بن ابى اوفى) وفى نسخة ابن اوفى وهو من خلط الناسخ وزرارة بضم الزاى المعجمة ورائين مهملتين وهومكنى بابى صاحب قاضى البصرة ثقة عالم تقى ام فى داره فقرأ فاذا نقر فى الناقور فشهق شهقة ومات سنة ثلاث وتسعين وروى له اصحاب الكتب الستة (عن عبدالله بن سلام الحديث) كما تقدم (وعن ابى رمثة التيمى) بكسر الراء المهملة وسكون الميم وثاء مثلثة قبل هاء علم منقول من رمثة نوع من النبات واختلف فى اسمه فقيل رفاعة وقيل عماره وقيل غيرذلك التيمى

وقيل التميمى اختلف فى نسبته لتيم اوتميم وهما قبيلتان مشهورتان وقيل انه بلدى ايضا (اتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى ابن لى) حكاية لحاله التى جاءه بها والا فلا دخل له فى القضية (فاريته) اى ارانيه وعرفنى به غيرى باشارة ونحوها وهو بضم الهمزة مجهول اراه يريه لانه لم يكن رآه قبل ذلك (فلما رأيته قلت هذا نبى الله) اى بمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما شاهده من عظمته ونور نبوته فاوقع الله فى قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة والف ودال مهملة وهو ضماد ابن ثعلبة الازدى نسبة لازد شنوءة قبيلة مشهورة وكان صديقا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ماقالوه تابعه واسلم فى اول الاسلام وكان عاقلا يتطبب ويرقى ذكره ابن عبد البر فى الصحابة وفى الصحابة شخص آخر يسمى ضمادا وله وفادة ولا ثالث لهما (لما وفد عليه) اى لما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فى ابتداء الاسلام وقد تقدم ان الوفود القدوم على العظماء من مكان بعيد قصدا وكان راقيا يرقى الناس فى الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد انى راق فهل بك من شئ فارقيك فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما قالوه مما نسبوه اليه كما بينه بقوله (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحمد لله) جوزوا فى ان كسر الهمزة وتشديد النون وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد وكون جملته انشائية اوخبرية مشهور وحسن تأكيده سؤاله له وطلبه ان يرقيه لتوهمه صدقهم فيما قالوه فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم وصدر كلامه بحمد الله اشارة الى ان الله انعم عليه بنبوته ففيه رد لما زعموه على ابلغ وجه ثم قال (نحمده ونستعينه) فاردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى ان الحمد ثابت ومستحق له بالاستحقاقين بقطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والانشائية ثم اردفها بجملة اخرى لانشاء حمده بنفسه لما انعم الله به عليه من جلائل النعم التى اجلها نعم النبوة المؤيدة بالمعجزات الباهرات ولذا قطعها عما قبلها واتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار التجددى واسنده لضمير المتكلم مع الغير اشارة الى انه لا يقدر وحده على وفاء حق حمده فان كان الضمير له وحده فليس لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه بمعنى نطلب والمعونة والمساعدة منه على اداء حق حمده او على جميع امورنا التى من جملتها الحمد وفيه اقتداء بما ارشدنا اليه من ان الطالب لشئ يقدم عليه حمد الله وتعظيمه كما فى سورة الفاتحة ولذا اردفه بقوله (من يهده الله) اشارة الى انه طلب منه الهداية الى الطريق المستقيم كما فى اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية جوابها قوله (فلا مضل له) اى لا يقدر احد على اضلاله (ومن يضلل فلا هادى له)

وفيه تعريض بمن تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد له ما لا يليق به وان الله بيده الهداية والضلال (واشهد) اعلم واذعن واعتقد (ان لا اله الا الله) اى لا معبود بحق سوى واجب الوجود المستحق لجميع المحامد (وحده لا شريك له) فى الوهية وجميع شؤنه وهو مؤكد لما قبله لتضمنه الحصر المقدم عليه (وان محمدا عبده ورسوله) ارسله لهداية خلقه وارشادهم لتوحيده وفيه دعوة اى اعتراف بانه عبده وجواب لما قوله (قال له) ضماد المذكور لما سمع ماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم (اعد على كلماتك هؤلاء) المذكورة من قوله الحمد لله الى آخره وانما طلب اعادتها ليتأملها ويفهم ما اراده وهؤلاء واولئك اشارة الى جمع المذكر والمؤنث من العقلاء وغيرهم كما قال الشاعر * ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد اولئك الايام * فالمشار اليه هنا الكلمات (فلقد بلغت قاموس البحر) اى اشتهرت مقالاتك هذه فى جميع اقطار الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه او لجته اوقعره كما فى كتب اللغة من قمسه اذا غمسه ووزنه فاعول وهذه اشهر الروايات واصحها وفيه روايات اخر فروى تاعوس بمثناة فوقية وعين وسين مهملتين بينهما واو ساكنة وروى فاعوس بفاء بدل القاف ورواه ابو داود قاموس اوقاعوس على الشك فى الميم والباء الموحدة وروى ناعوس بالنون ايضا وقيل ان الكل تصحيف ماعدا قاموس وفاعوس كما قاله ابن قرقول يقال قال فلان قولا بلغ قاموس البحر اى سمعه كل ذى روح حتى دواب البحر وهو مبالغة فى شيوعه وروى قاعوس من القعس وهو خروج الصدر وبروزه وقيل انه تعجب ممن لم يسمعها ولم يصدق بها من العقلاء مع بلوغها هذا المبلغ (هات) بكسر التاء اسم فعل معناه اعط (يدك ابايعك) بالجزم فى جواب الامر ووجه استشهاد المصنف به انه بمجرد رؤيته وسماع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن به من غير تردد وليس فى كلامه مايدل على صدق مدعاه ولكنه لما رأى نور وجهه الشريف وحسن بهجته آمن به (وقال جامع بن شداد) فى حديث رواه عنه البيهقى وهو ابو صخرة الاسدى الكوفى الحديث روى عن صفوان وغيره واخرج له ابو داود والنسائى وتوفى سنة ثمان او سبع عشرة اوعشرين ومائة (كان رجل منا يقال له طارق) بن عبد الله المحاربى وهو صحابى كما اشار اليه بقوله (فاخبر انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة) كما قال ابن شداد وغيره ولروايته عنه وقال ابن حبان انما رآه بمكة بذى المجاز وهو سوق بينه وبين عرفة فرسخ وهو مخالف لما قاله المصنف (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ولمن لقيه معه (هل معكم شئ تبيعونه) انما سألهم لانهم اعراب وانما يقدم مثلهم للبيع والشراء (قلنا هذا البعير فقال بكم) تبيعونه (قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر) بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا مما يكال (فاخذ بخطامه) بخاء معجمة

وطاء مهملة وميم هو كازمام وزنا ومعنى اى رسنه الذى يقاد به والباء مزيدة اى اخذه ليجره ويذهب به (وسار) اى ذهب من عندنا بالبعير (فقلنا) اى قال بعضنا لبعض (بعنا) بعيرنا (من رجل لاندرى من هو) حتى نطالبه بالثمن والوسق المبهم فى الحديث كان ستون صاعا كما ورد التصريح به فى رواية اخرى وقوله من هو مفعول ندرى والمعنى لاندرى جواب هذا السؤال وعدى البيع بمن وهو متعد بنفسه اما بناء على مذهب الاخفش من جواز زيادة من فى الاثبات وقال النووى انه لغة فيه فيتعدى بنفسه وبمن كانكح وزوج فانه يقال انكحه وزوجه وانكح وزوج منه وقد وقع هذا فى كثير من الاحاديث فلاعبرة بقول من عده من لحن الفقهاء وفى مسلم لو بعت من اخيك وفى البخارى نبيعه من الصواغين الى غير ذلك مما لايحصى (تنبيه) قوله وسقا منصوب لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه واسم الاشارة ثم كنى به عن العدد وغيره وتكون مفردة ومكررة بعطف ودونه وذهب البصريون الى ان تمييزها لايكون الا مفردا منصوبا وذهب الكوفيون الى انها بحسب مايكنى بها عنه كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا عبد كناية عن مائة فصاعدا وكذا كذا عبدا كناية عن احد عشر واخواته وكذا وكذا عبد كناية عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين وكذا عبدا كناية عن عشرين واخواته وتفصيله فى شروح التسهيل وقد افرده بالتصنيف ابن هشام وغيره (ومعنا ظعينة) جملة حالية والمراد بالظعينة المرأة من الظعن وهو الارتحال ولذا قيل ان حقيقته امرأة فى هودج على جمل ثم تجوز به عما ذكر والهودج بلا امرأة والجمل نفسه وهو بظاء معجمة وعين مهملة وسميت المرأة ظعينة لظعنها مع زوجها (فقالت) اى المرأة لما سمعت كلامهم (انا ضامنة لثمن البعير) اى اعطيه لكم من عندى ان لم يجئ لكم منه وانما ارادت انها واثقة بانه لابد ان يجئ به لما وقع فى قلبها من ان مثله صلى الله عليه وسلم لايغدر ولايخلف بفراسة منها حين شاهدته ولذا قالت (رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) هذا استيناف بيان لوجه ضمانها لمن لم تعرفه بانها رأت فى وجهه صلى الله عليه وسلم نورا وحسن سيماء تدل على انه ليس ممن يصدر منه شر وشبهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم فى تشبيه الوجه الحسن به والا فمن اين للبدر مثل نوره وحسنه ولقد اجاد بعض الظرفاء فى قوله بلاغيبة البدر وجهك اجمل * وما انا فيما قلته متجمل * لكنما الشئ بالشئ يذكر كما قيل * ظبى اذا ما بدا محياه * اقول ربى وربك الله * وقد هجا ابن الرومى البدر فقال * لو اراد الاديب ان يهجو البدر * رماه بالخطة الشنعاء * قال يابدر انت تغدر بالسارى * وتغرى بزورة الحسناء * كلف فى شحوب وجهك يحكى * بمشط فوق وجنة برصاء * يعتريك المحاق فى كل شهر * فترى كالقلامة الحجناء * ويليك

النقصان فى آخر الشهر * فيمحوك من اديم السماء * (لايخيس بكم) اى حسن صورته صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على حسن سيرته فانه لايصدر عنه ماظننتموه يقال خاس يخيس ويخوس اذا غدر وكذب فنكث عهده واخلف وعده وهو بخاء معجمة وسين مهملة (فاصبحنا) اى مضى بعد اخذه صلى الله تعالى عليه وسلم البعير يوم وليلة ثم دخلنا فى صبيحة يوم بعده (فجاء رجل) من اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل لايعرف اسمه (بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم) ثم استأنف جواب سؤال مقدر او مطوى كانهم قالوا ما فعل او مايقول فقال (يأمركم ان تأكلوا من هذا التمر) الذى جاء به (وتكتالوا) اى تكيلوا منه ثمن البعير (حتى تستوفوا) اى تأخذوا الثمن من التمر الذى جاء به وافيا كاملا غير ما اكلتموه فانه هبة منه لكم وفيه من المكارم وحسن المعاملة مالايخفى وفى الحديث خياركم احسنكم قضاء (و) ورد (فى) حديث رواه ابن اسحق فى (خبر الجلندى) وقصته (وهو) اى الجلندى (ملك عمان) وسلطانها فى عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى القاموس جلندا بضم اوله وفتح ثانيه وهو اللام المخففة ممدودا وبضم ثانيه وبقصر ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى * وجلندا فى عمان مقيما * ثم قيسا فى حضرموت المنيف * ولاحجة له فيما ذكر لاحتمال انه ضرورة كما قاله تلميذه البرهان الحلبى وفى شرح المفصل لابن الحاجب الاولى ان لاتدخل عليه الالف واللام ومعناه القوى المتحمل من الجلادة كما قاله المعرى فى رسالة الغفران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفى الشروح نقلا عن الذهبى ان له شعرا يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه به والذى نقله النويرى فى تاريخه الجزم به وانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عمرو بن العاص فى سنة ثمان من الهجرة الى حيفر وعبد ابنى الجلندى وهما من الازد والملك منهما حيفر وكتب اليهما كتابا فلما قدم عمان عمد الى عبد وكان احلمهما واحسنهما خلقا وقال انى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخى مقدم على فى السن وهو الملك وانا اوصلك اليه فمكث ببابه اياما ثم دعانى فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب ففض ختمه وقرأه ثم دفعه الى اخيه فقرأه فقال دعنى يومى هذا وارجع الى غدا فلما رجعت اليه قال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا مافى يدى فقلت انى خارج فلما ايقن بمخرجى ارسل الى واجاب الى الاسلام هو واخوه وصدقا بالنبى صلى الله عليه وسلم وخليا بينى وبين الصدقة والحكم بينهم فلم ازل مقيما بينهم حتى بلغنى وفاة رسول الله عليه السلام انتهى وهذا يدل على ان ملك عمان ابن الجلندى لاهو الا ان يقال كل من ملك عمان يسمى جلندى واما ما فى بعض الشروح من ان فى بعض النسخ ملك غسان بتشديد السين كشداد

اسم قبيلة ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة وكان الجلندى ملكها فما لا يعول عليه لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة هو الذى صححه السهيلى والشراح كلهم (لما بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) كما سمعته مفصلا (قال الجلندى والله لقد دلنى على هذا النبى الامى) الذى لا يقرأ ولا يكتب ووصفه به لشهرته صلى الله تعالى عليه وسلم به فى الكتب القديمة ولانه مدح له كما تقدم (انه لا يأمر بخير الا كان اول آخذ به) اى اول عامل بما امر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا ينهى عن شئ الا كان اول تارك له) كما قال صلى الله عليه وسلم انى لاتقاكم لله واخشاكم له وهو كما قيل * لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت ذميم * وقوله انه الى آخره اسم تأويلا وهو فاعل دل (وانه يغلب) اعداءه وينتصر عليهم وهو مبنى للفاعل (فلا يبطر) اى لا يطغى و يغتر ويظهر الفرح وهو خفة مذمومة و بطر من باب علم (و يغلب) بالبناء للمفعول اى يغلب احيانا فان الحرب سجال كما جرت به عادة الله فى ايامه (فلا يضجر) اى يقلق ويجزع بل يصبر ويتحمل ما اصابه فى سبيل الله احتسابا لاجره ورضاء بما قدره الله تعالى كما هو عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ويفى بالعهد) فاذا عاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدا لا ينكث عهده كما قال الله تعالى واوفوا بالعهد (وينجز الموعود) اى يعجل ما وعد به لكرمه فالموعود اسم مفعول ويجوز ان يكون مصدرا فانه جاء على مفعول الا انه نادر (واشهد انه نبى) لما تحققه من اخلاقه وكمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا شاهد لما عقد له الفصل من ان من تأمل صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم صدق بنبوته وان لم يشاهد معجزته (وقال نفطويه) ابراهيم بن محمد الامام الجليل بن عرفة بن سليمان الازدى الواسطى النحوى المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح اوله وواوه وسكون يائه وان المحدثين يضمون ما قبل الواو ويسكنونها لما مر (فى قوله تعالى) مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية (يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا بناء على الوقف على قوله الله نور السموات والارض وان معنى قوله مثل نوره وان الضمير فى قوله مثل نوره لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان المشكاة هو او صدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيتونة نبوته والمعنى ان نبوته تظهر وان لم يبد معجزة و برهانا عليها وقد تقدم ذكر المصنف لهذه الآية وان هذا احد تفاسيرها وانه بعيد وانما اعاده هنا لما فيها على هذا من دلالتها على المقصود من ان المتأمل يشهد و يصدق فى نبوته وان لم يقم برهانا عليها فلا تكرار فى كلامه كما توهم

وهو على هذا تشبيه تمثيلى وهو ظاهر (يقول) الله تعالى (يكاد منظره) اى ما يتعلق به النظر من ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته (يدل على نبوته وان لم يتل قرأنا) اى وان لم يظهر صلى الله عليه وسلم معجزة وخص القرأن لانه اعظم معجزاته وتلاوة القرأن معلومة وروى وان لم يقل قرأنا ثم استشهد له بما يدل على معناه فقال (كما قال ابن رواحة) رضى الله عنه وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصارى الصحابى احد شعراء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و قد شهد معه المشاهد الا الفتح فانه مات شهيدا بمؤتة سنة ثمان من الهجرة وهو احد الامراء الثلاثة بها وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابى طالب ومما روى من مدحه صلى الله عليه وسلم قوله

* لو لم يكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر *

ومبينة بكسر الياء المشددة اسم فاعل و بفتحها اسم مفعول ومنظره مرآه وظاهره وفى رواية كانت بداهته وهذا على نهج قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اى مما يترتب الجواب فيه على وجود الشرط وعدمه وهو على فقد الشرط اولى ويجوز ان يبقى على حاله لانه عند ظهور الايات لا يحتاج الى الاستدلال بظاهر الحال فلا اشكال فيه اصلا واصل ينبيك ينبؤك بالهمزة فابدلت ياء واسكنت على حد قراءة باريكم وفى جعل المنظر مخبرا من البلاغة ما لا يخفى (وقد آن ان تأخذ) اى نشرع (فى ذكر النبوة والوحى والرسالة) يقال اخذ فى القراءة اى شرع فيها واصل الاخذ التناول باليد ثم تجوز به عن معان منها هذا وآن بمعنى قرب اوانه (و بعده) اى بعد ذكرها نشرع (فى معجزة القرأن وما فيه من برهان ودلالة) اى دليل قاطع على نبوته وهى بفتح الدال وكسرها مصدر ويستعمل بمعنى الدليل ﴿فصل اعلم﴾ امر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف على كتابه اولمن سأله تأليفه كما تقدم (ان الله جل اسمه) اى عظم وعظمت اسماؤه وجلالة اسمه تدل على جلالته بالطريق الاولى (قادر على خلق المعرفة) وهى العلم بالجزئيات و يكون بمعنى مطلق العلم ايضا (والعلم بذاته) علما يقينيا وان لم يكن بالكنه والحقيقة (واسمائه وصفاته) الذاتية وغيرها (وجميع تكليفاته) التى الزمهم بها من الامور الشرعية والعبادات (ابتداء) فسره بقوله (دون واسطة) بتوسط بينه و بينهم فى اعلامهم وتعليمهم ما ذكر (لو شاء كما حكى عن سنته) اى عادته تعالى وطريقته (فى بعض الانبياء) عليهم الصلوة والسلام اذ عرفهم بعض الامور السابقة بدون واسطة بان اوقع ذلك فى قلوبهم وكشفه لهم او الهمهم او اراهم ذلك فى مناماتهم الصادقة وهذا مما شاع وذاع وملأ الاسماع وكون كل علم منقسم الى نظرى وضرورى المراد به غير علوم الانبياء كما صرحوا به وفى الكشاف جرت العادة بان كل علم نظرى كسبى ثم فى قدرة الله تعالى احداث علم واحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر قال بعضهم كعلوم

الانبياء التى ليست ضرورية ولانظرية فيخلق فيهم العلم بلا تقدم نظر لئلا يكونوا زمان النظر شاكين وذلك لا يصح عليهم فى التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه اجر فجمع بين كونه مقدور البشر والاجر وعدم تقدم النظر اينتفى الريب وهذا هو الذى ارتضاه المحققون فما نقل عن بعض مشايخ الصوفية ان علوم الانبياء جميعها ضرورية غير مسلم (وذكره بعض اهل التفسير فى قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) بناء على ان الوحى يشتمل الالهام ونحوه وليس المراد به ما كان بواسطة الملك فقط (وجاز ان يوصل) الله معطوف على قوله اولا قادر (اليهم جميع ذلك) المذكور من العلوم السالفة (بواسطة يبلغهم) صفة واسطة بالفوقية او التحتية اى يوصله بكلام يدل عليه (وتكون تلك الواسطة امامن غير البشر كالملائكة مع الانبياء) عليهم الصلوة والسلام سواء رأوهم متمثلين بصورة غير صورتهم او على صورتهم الاصلية كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اولم يروهم كما كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم الوحى احيانا كصلصلة الجرس وليس رؤية الملك مخصوص بالانبياء عليهم الصلوة والسلام بل قد يراه غيرهم من خلص عباده كريم (اومن جنسهم كالانبياء مع الامم) الذين يبلغونهم عن الله بامرهم بتبليغه (ولامانع لهذا) المذكور بقسميه (من دليل العقل) اى من دليل هو العقل فالاضافة بيانية او هى حقيقية يعنى انه غير مستحيل خلافا للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لا لذاته فجعلوا ارسال الرسل كفرا وضلالا عما نطقت به الكتب الالهية ودلت عليه الادلة العقلية كما بين فى الكتب الكلامية كما اشار اليه بقوله (واذا جاز هذا ولم يستحل) اى لم يعد محالا عقلا (وجاءت الرسل بما دل علم على صدقهم من معجزاتهم) الظاهرة المحققة (وجب تصديقهم فى جميع ما اتوا به) عن الله وبلغوه لامهم (لان المعجزة مع التحدى من النبى) اى اظهار النبى معجزة له وطلبه ممن انكر نبوته الاتيان بما يماثلها لان معنى التحدى هو الطلب المذكور لانه مأخوذ من حدى الابل اذا تغنى لها لينشطها ومن دأبهم فيه ان يتقابل شخصان يتغنيا وبان ذلك فهو من النبى (قائم مقام قول الله) الذى اقدره على ذلك وامره به (صدق عبدى) ورسولى فيما ادعاه لما معه من البرهان الذى لا يقدر عليه احد من جنسه (فاطيعوه واتبعوه) فى كل ما امركم به لانه من عند الله (وشاهد على صدقه) فى كل ما قاله وهو معطوف على قوله قائم خبران وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة وانها سمعية او وضعية والفرق بينها وبين الكرامة والسحر (وهذا) الكلام (كاف) فيما قصدناه (والتطويل فيه خارج عن الغرض) الذى صنف الكتاب لاجله فمن اراد تتبعه) اى الوقوف عليه (فحده مستوفى) خبر من او جوابها اى يقف عليه بتمامه وتفصيله (فى مصنفات ائمتنا) وعلمائنا وفى نسخة فى كتب ائمتنا (والنبوة فى لغة من همزه) اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه الا ان الهمز هو الاصل

كما ذهب اليه كثير من اللغويين والنحاة وان كان ترك الهمز هو الاكثر واذا قيل انه لغة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه انكر على من قال له يا نبئ الله بالهمز ويأتى الكلام عليه (مأخوذ من النباء وهو الخبر) لانبائه واخباره عن الله تعالى وقال الراغب النباء الخبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن فلا يقال له نبأ حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة ويكون صادقا فالخبر اعم منه (وقد لا تهمز) بالتاء الفوقية والبناء للمجهول اى النبوة ويجوز قراءته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ (على هذا التأويل) اى تفسيره بالنباء (تسهيلا) اى تبدل همزته واوا تخفيفا لكثرة الاستعمال فتبدل من جنس الحركة التى قبلها وهى الضمة والتسهيل عند القراء بمعنى جعل الهمزة بينها وبين الحرف الذى منه حركتها وليس بمراد هنا (والمعنى) اى معنى النبى المفهوم من الكلام على هذا القول (ان الله اطلعه على غيبه) اى اعلمه واخبره بمغيباته (واعلمه انه نبيه) الموحى اليه (فيكون نبيا منبئا) بصيغة المفعول مشدد الباء الموحدة ويجوز تخفيفها اى يكون من اطلعه واعلمه نبيا بمعنى منبئا (فهو فعيل بمعنى مفعول او يكون) معناه (مخبرا) بكسر الباء اسم فاعل (عما بعثه الله به ومنبئا) اسم فاعل بتشديد الباء وتخفيفها (عما اطلعه الله عليه) من علمه ومغيباته فهو (فعيل بمعنى فاعل) على هذا (ويكون عند من لم يهمزه) اى يقول بان اصله المهموز من النباء مأخوذ (من النبوة) مصدر بزنة سلوة فى الاصل نقل وشاع بمعنى المرتفع (وهو) ذكره باعتبار اللفظ اى نظرا للخبر اى (ما ارتفع من الارض) فهو كالربوة لفظا ومعنى ثم بين المراد منه بقوله (معناه ان له عند الله وفى الواقع (رتبة شريفة ومكانة نبيهة) اى عالية مشهورة والنبيه ضد الخامل لتنبه سعده من نومة الخمول والمكانة كالرتبة تختص بالمنازل المعنوية فجعل علوه معنى بظهوره كعلوه حسا (عند مولاه) وربه الذى تولى اموره (منيفة) عالية لا يصعد لها سواه وهو على هذا ايضا فعيل بمعنى مفعول لانه اى النبى مرفوع على غيره او بمعنى فاعل لانه مرتفع لماله من رفيع الدرجات (فالوصفان) اى وصفه بالنبى بمعنى المخبر او بمعنى المرتفع (مؤتلفان) اى متوفقان بحسب المعنى لان من بعثه الله واطلعه على ما لم يطلع عليه غيره له منزلة عالية ومن له مقام عال يطلع على ذلك او المراد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل او مفعول والذى ارتضاه سيبويه انه مهموز كالذرء والبرية التزم تخفيفه فى الاكثر وكلاهما لغة وبهما قرئ فى السبع كما يأتى وقرأ نافع بالهمز فى جميع القرآن الا فى موضعين ان وهبت نفسها للنبى لا تدخلوا بيوت النبى والخلاف انما هو فى ايهما اصل ولذا قدم المصنف رحمه الله تعالى المهموز (واما الرسول فهو المرسل) اسم مفعول من ارسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة (ولم يأت فعول) بفتح اوله اسم مفعول من الافعال (بمعنى مفعل) بضم الميم وفتح العين المهملة (فى اللغة) اى لغة العرب وكلماتهم ويجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها (الا نادرا) اى الا فى الفاظ

قليلة قال السمين فى الدر المصون فعول بمعنى مفعول قليل جاء منه ركوب وحلوب بمعنى المركوب والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المصنف رحمه الله تعالى يقتضى ان النادر فعول بمعنى مفعل من المزيد وكلام العرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا فان الغالب فيه معنى الفاعل كصبور وشكور الا انه ان قيل ان الرسول فى الاصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه بل مجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الامير اى مضروبه وقد ورد فى قول كثير بهذا المعنى وهو قوله

* لقد كذب الواشون مابحت عندهم * بسر ولا ارسلتهم برسول *

اى برسالة فما قيل ان فيه شيئا ليس بشئ (وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسل اليه) اى تبليغهم شريعته ودينه بنفسه او بواسطة (واشتقاقه من) الارسال بمعنى (التتابع) اى التوالى والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهرة (ومنه قولهم جاء الناس ارسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اى فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله (اذا تبع بعضهم بعضا) كما ورد فى الحديث انهم صلوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين وجه اشتقاقه بقوله (فكانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الزم تكرير التبليغ) مرة بعد اخرى الى امته (والزمت الامة اتباعه) فرقة بعد فرقة وامة بعد امة لعموم رسالته فالتكرار والتتابع اما فى نفس تبليغه او باعتبار اتباعه وامته ولو عطفه باو كما فى نسخة كان احسن فما قيل من ان فى كلامه بحثا لانه مأخوذ من جهة المعنى والاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جاء الناس ارسالا ليس مصدر ارسلته لاختلاف المعنى كلام ناش من عدم فهم كلام المصنف رحمه الله تعالى وفيه خلط وخبط لايخفى على من له بصيرة (واختلاف العلماء) فى جواب قولهم (هل النبى والرسول بمعنى) واحد فهما مترادفان (او بمعنيين) فهما متغايران غير مترادفين وفى نسخة ام بمعنيين ولذا قيل ان او احسن هنا وفيه كلام فى المغنى وشروحه ليس هذا محله (فقيل هما سواء) اى متساويان او مترادفان لان الاول التساوى فى الماصدق دون المفهوم كالانسان والناطق والثانى التساوى فيهما فعبارته شاملة لهما الا ان مابعده اقرب الى الاول فمعناهما كل من اوحى اليه بشرع (واصله من الانباء وهو الاعلام) والارسال فيه اعلام ايضا لانه انما ارسل لذلك فهما متساويان وان اختلف مفهومهما وترك بيانه للعلم به مما قبله ولا يرد عليه ان الاعلام اعم لانه قد يعلمهم بما لم يرسل به من نبوته وكذا قوله ان الآية لا تدل على ما ذكر فانه من تلقى الركبان (واستدلوا) على تساويهما (بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) لانه علق فعل الارسال بهما فاذا ارسل النبى لزم ان يكون الرسول نبيا والنبى رسولا واليه اشار بقوله (فقد اثبت لهما معا الارسال قال) المستدل (ولا يكون النبى الا رسولا ولا الرسول الا نبيا) وقيل عليه ان الآية انما تدل على ان النبى اعم من الرسول

فانها ترق من ذكر الاخص الى ذكر الاعم والحديث الآتى الناطق بزيادة عدد الانبياء على عدد الرسل يأباه واعادة النفى تقتضى المغايرة فما ذكر ممنوع (وقيل هما مفترقان من وجه) فبينهما عموم وخصوص وجهى فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا فمآله الى موجبة كلية وسالبة جزئية كما سيأتى بيانه والمشهور انه على هذا من اوحى اليه بامر الهى امر بتبليغه ام لا والرسول من اوحى اليه بذلك وامر بالتبليغ وقيل انه من كانت له شريعة ناسخة لغيرها وقيل من انزل عليه كتاب والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (اذ قد اجتمعا) اى النبوة والرسالة (فى النبوة التى هى الاطلاع) بتشديد الطاء وتخفيفها اى سكونها (على الغيب) اراد به ما لم يعلمه من اوامر الله تعالى وتشريعه له ما يختص به او به وبغيره (والاعلام) من الله تعالى (بخواص النبوة) اى ما يختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة والوحى بواسطة الملك او بدونها كما وقع لموسى عليه الصلوة والسلام اذ كلمه الله تعالى قبل ارساله (او الرفعة بمعرفة ذلك) المذكور من الاطلاع والاعلام وفى نسخة لمعرفة باللام بدل الباء السببية (وحوز درجتها) اى درجة النبوة العلية والحوز بحاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة وزاى معجمة وهى حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع والاعلام اشارة الى انها من النبئ المهموز وما بعده الى انه من النبوة الواوى وهى الرفعة كما تقدم ولا تكلف فى شئ من كلامه كما توهم (وافترقا) اى النبوة والرسالة (فى زيادة الرسالة) اى الامر بالتبليغ المعتبر (فى الرسول) دون النبى (وهو) اى الرسالة وذكره مراعاة للخبر وهو (الامر بالانذار والاعلام) بما امر بتبليغه وهذا القيد المخصوص هو الذى حصل به الافتراق فى ماصدق عليه النبى ولا مخالفة بينه وبين ما قاله المنطقيون كما قيل لانهم اعتبروا ذلك فى ماصدقا عليه لا فى المفهوم وهذا كلام ناش من قلة التدبر (كما قلنا) اشارة الى ما قرره اولا (وحجتهم) اى دليل القائلين بان بينهما العموم والخصوص من وجه وليسا مترادفين مأخوذة من الآية نفسها التى استدل بها من ذهب الى القول فهى عليهم لا لهم (التفريق بين الاسمين) يعنى النبى والرسول فان العطف واعادة النفى يدل على تغايرهما (ولو كانا شيئا واحدا ما حسن تكرارهما فى الكلام البليغ) وليس المقام مقام اطناب وذا تأكيد اذ لو كان كذلك حسن التكرار كقوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونحوه (قالوا والمعنى) ان معنى الآية على هذا (وما ارسلنا قبلك) اى اوحينا واعلمنا (من رسول الى امة) امر بتبليغهم ما ارسل به وفى بعض النسخ من نبى والاولى اوفق بالنظم واظهر (او نبى بمرسل الى احد) فافترقا على هذا التفسير افتراقا ظاهرا وفى كلامه نوع خفاء اراد بعضهم ان يصلحه فافسده وفى الآية ترق لانه ترقى فى النفى بذكر العام بعد الخاص وفى الاثبات ترقى به على العكس كما تقول ما فى الدار انسان ولا حيوان ولو عكسته كان ذكر الانسان بعده لغوا فان قلت الذى استدل به اولا

تعلق ارسلنا بهما فانه يقتضى ان النبى مرسل ايضا وماذكره المصنف لايدفعه قلت وجه دفعه بما ذكره انه لما اقتضى هذا العطف التغاير لزم تأويل ارسلنا بمعنى يشملهما اى ماارسلنا ملائكتنا بوحينا لاحد من نبى اورسول لان ارسل متعد بنفسه اوهومن قبيل * وزججن الحواجب والعيونا * ومن زائدة بعد النفى اى ماارسلنا ولانبأنا نبيا فتأمل (وقد ذهب بعضهم) مجاز من الذهاب وهوالخروج من مكان الى آخرقال فى الاساس ذهب فلان الى قول ابى حنيفة اذا اخذبه واتخذه مذهبا (الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) ولم يكن مقررا لشرع غيره فشرعه لم يسبق اليه ومبتدأ بفتح التاء صفة شرع و يجوز كسرها على انه حال من ضمير جاء والاول اولى (ومن لم يأت به) اى بشرع مبتدأ لم يسبق اليه (نبى غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار) فبينهما عموم من وجه آخر (والصحيح والذى عليه الجماء الغفير) بمد الجماء وفى نسخة الجم والمعنى واحد اى الجماعة الكثيرة والجم بفتح الجيم وتشديد الميم والغفير بغين معجمة وفاء وفى الصحاح الجماء الغفير جماعة الناس يقال جاؤا جماء غفيرا بمد ويقصر والجماء الغفير بالمد وجم الغفير والجم الغفير اى جميعا وال زائدة والغفير صفة لازمة للجماء لايفرد بدونها من الغفر وهوالستر كانهم لكثرتهم ستروا وجه الارض ومعناه جاؤا جميعا بجملتهم شريفهم ووضيعهم وهواسم ينصب كالمصدر كجاؤا جميعا وقاطبة والجم الكثير ونصبه لانه اسم وضع موضع المصدر وقيل انه مصدر ولايلزم نصبه عند الكسائى وعليه يتمشى كلام المصنف رحمه الله تعالى لاعلى من الزمه النصب وليس المراد الجميع بل الاكثر حتى يستكملها ويجاب بانه لم يعتد بغيرهم وصيرهم كالعدم (ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا) وهو صادق فى القولين الاخيرين فبينهما عموم وخصوص وجهى لانه يشترط فى الرسول دون النبى ان يؤمر بالتبليغ او يكون له شرع جديد اوانزل عليه كتاب والاول هوالمشهور ولذا قال المحدثون اذا ورد فى الحديث ذكر احدهما او قال قال رسوله اونبيه لايجوز له ان يبدله من رويه وقيل انه لايلزم ولكنه اولى وهذا فى غير الاذكار فانها توقيفية ولذا ورد فى حديث ان بعضهم قال فى بعض الادعية آمنت بكتابك الذى انزلت ورسولك الذى ارسلت فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم قل ونبيك الذى ارسلت كمافى شرح مسلم وفيه بحث وقيل الرسول اعم يشمل رسل الملائكة كجبريل عليه الصلوة والسلام لكن الكلام انماهو فى رسل البشر وقال صاحب القاموس فى كتاب الصلاة ان النبى من اوحى اليه بامر يختص به فى نفسه حتى لا يجوز لغيره ان يتبعه فان امر بتبليغ ماامر به لامة مخصوصة اولجميع الناس فهو رسول فان لم يكن له حكم يختص به فهو رسول لانبى وان كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فهونبى ورسول فعلى هذا بينهما عموم وخصوص مطلق وليس كل رسول نبى وقال انه الحق الذى لاشك فيه وهو مخالف لكلام

المصنف رحمه الله تعالى واعلم ان النبى ان كان من النبأ فهو مهموز وان كان من النبوة فغير مهموز كما تقدم وكلاهما جائز وبهما قرئ فى السبعة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاعرابى قال له يانبئ الله اى بالهمزة لست بنبئ الله ولكنى نبى الله لان نباء فى لغة بمعنى خرج من ارضه وطرد فلايهامه ذلك منعه وورد ايضا لاتنبؤا باسمى فانما انا نبى الله ومعنى لاتنبؤا لاتهمزوا وليس فى هذا مايقتضى منعه على الاطلاق كماقاله ابن سيدة (واول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليهما وسلم) ولاينافى هذا مافى البخارى فى حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح عليه الصلوة والسلام انت اول الرسل الى اهل الارض لانهم لم يقولوا انه اول الرسل مطلقا بل اول الرسل الى اهل الارض فى عصره ولذا قال فى الدعاء عليهم لاتذر على الارض من الكافرين ديارا و آدم عليه الصلوة والسلام انمارسل الى بنيه وهم مؤمنون به وادريس وشيث عليهما الصلوة والسلام لم تعم رسالتهما وهذالاينافى اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعموم الرسالة الى آخر الزمان فلم تختص بعصر ولابقوم وعمت رسالته الانس والجن والملك كماتقدم (وحديث ابى ذر) الذى رواه احمد فى مسنده وابن حبان والحاكم فى مستدركه وسيأتى بطوله (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبى) وقد قال الحاكم فى مستدركه انه طعن فى بعض رواته وقيل انه منكر وقال القرطبى انه اصح حديث ورد فى عدد الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل ان اصحابه عليهم الصلاة والسلام كانوا بهذه العدة ايضا عند وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وعن كعب الاحبار انهم الفى الف ومائتى الف وعن مقاتل انهم الف الف واربعمائة الف واربعة وعشرون الفا وقدعرفت ان الاول اصح مافى الباب (وذكر ان الرسل منهم) اى من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم عليه الصلوة والسلام) وقيل اربعة عشر كعدد اصحاب طالوت و يوافقه ان احرف اسم نبينا بالجمل الكبير ثلاثمائة واربعة عشر اذفيه ثلاث ميمات لان الحرف المشدد بحرفين ولفظ ميم ثلاثة احرف فجملتها مائتان وسبعون ولفظ دال بخمسة وثلاثين ولفظ حا بتسعة ففى اسمه الكريم اشارة الى ان جميع الكمالات الموجودة فى المرسل موجودة فيه صلى الله عليه وسلم وزيادة واحد على القول الاول والحديث الاول طويل اورده الحاكم فى مستدركه كامر ونقل عن البرهان مافى بعض رواية من الكلام وطويناه لانه لاثمرة له هنا (فقدبان لك معنى النبوة والرسالة) على الاقوال الثلاثة من الترادف و العموم و الخصوص من وجه اومطلقا كما فصلناه (وليستا) اى النبوة والرسالة (ذاتا للنبى عند المحققين) اى ليستا امرا ذاتيا فى الرسول جبلة طبعه الله عليها كالعقل و غيره من الغرائز وليست النبوة

مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب اليه الحكماء وانما هى امر طارئ عليه بارادة الله تعالى و فضله و الله تعالى اعلم حيث يجعل رسالته (ولا صفة ذات) اى ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه قبل الوحى اليه (خلافا للكرامية) فهؤلاء قالوا انهما امران غير الوحى وامر الله له بتبليغ شريعته فصاحبهما متصف بهما وان لم يوح اليه (اقول ان اراد هؤلاء ان الله تعالى خلق له نفسا قدسية واودع فيها قوى يستعد بها لتلقى الوحى و العلم بربه وان سمى النبوة هذا وان اطلقوها على ما يترتب عليها وانه ركب فيه نورا كان يشاهد فى آبائه وينقل فى اصلابهم وذلك من نعم الله ايضا كايجادنا ابتداء فالامر فيه سهل والا فهو لغو من القول والكرامية بتشديد الراء وتخفيفها على القولين وفتح الكاف وكسرها على التخفيف قال فى المغرب اخبرنى صديق الثقة ابن خولة ان عبدالعزيز العرجى ذكر فى تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذى نسب اليه الكرامية فقال كرام بوزن حذام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجارى على السنة اهل سجستان وهى بلدته كما قال فيه البستى

* ان الذين لجهلهم لم يقتدوا * بمحمد بن كرام غير كرام *

* الفقه فقه ابى حنيفة وحده * والدين دين محمد بن كرام *

فهم منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء كما قاله السمعانى وقال لان والده كان يحفظ كرما ويعمل فيه وكذا صححه فى الميزان وقال ابن صلاح انه لامعدل عنه وكذا صححه ابن ماكولا والذهبى وانكره ابن الهيصم وهو من اهل مذهبه ادعى انه ادرى كامر عن البستى وانما هو مخفف الراء مع فتح الكاف بمعنى كرم اوكرامه وبكسرها على لفظ الجمع وكان صاحب مذهب فى العقائد وغيرها وله رواية فى الحديث وكان يجوز الكذب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الترغيب والترهيب لانه له لا عليه فعليه ما عليه ومات فى القدس فى صفر سنة خمس وخمسين ومائتين (فى تطويلاتهم) فى بيان مقالاتهم وتأييدها (وتهويل) اى تخويف وتفريع لمن عدل عن مذهبهم فى هذا (ليس عليه تعويل) اى هو مع ذلك ساقط ضعيف لا يعتمد عليه ولا يلتفت اليه ويجوز ان يريد بالتهويل تزيين الباطل وزخرفته ففى القاموس التهويل الالوان المختلفة وزينة النصارى وهذا اقرب لتسمية المصنف (واما الوحى فاصله) اى معناه الحقيقى الذى وضع له اولا (الاسراع) وفى الحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوحه اى اسرع فيه والهاء للسكت وقال الاعشى * مثل ريح المسك ذاك ريحها * صبها الساقى اذا قيل توح * ويقال اوحى بمعنى اومأ اوتكلم بكلام خفى (فلما كان النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمى) اى ما يأتيه من ربه (وحيا) اى متلقى بسرعة فاطلق عليه المصدر مبالغة ثم صار حقيقة فى كل ما يوحى اليه (وسميت الانواع الهاميات وحيا) كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل (تشبيها بالوحى الى النبى) فى سرعة وقوعها فى القلب فهو استعارة تحقيقية والالهام القاء امر فى الروع باعث على الفعل او الترك (وسمى الخط وحيا) على الاستعارة التحقيق ايضا او المجاز المرسل (لسرعة حركة يد كاتبه) هو وجه الشبه بينهما (ووحى الحاجب واللحظ) هو فى اصل مؤخر العين ثم اطلق على النظر فيقال لحظه بعينه وهو هنا مستعار (لسرعة اشارتهما) اى حركتهما بسرعة للاشارة بهما (ومنه) اى من اطلاق الوحى على الاشارة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اومأ) بهمزة فى آخره وقد استعمل منقوصا ايضا بالالف كاوحى لفظا ومعنى (ورمز) بتخفيف الميم اى اشار بالعين او بالشفة (وقيل) معناه هنا (كتب) لان الوحى يكون بمعنى الكتابة كما تقدم (ومنه قولهم) اى قول العرب (الوحاء الوحاء) بفتح الواو والمد والقصر ويقال الوحاك بكاف الخطاب ايضا كما فى الاساس وهو منصوب بفعل مقدر للاغراء (اى السرعة) والعجلة (وقيل اصل الوحى) لغة (السر والاخفاء ومنه) اى من كونه بمعنى الاخفاء (سمى الالهام وحيا) لخفائه وهو اظهر مما تقدم من ان معناه السرعة (ومنه) اى من هذا القبيل (قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم) اى من يوالوهم ويصادقونهم من المشركين (اى يوسوسون فى صدورهم) اى يلقون فى قلوبهم والمراد بالشياطين مردة الجن والمراد باوليائهم كفرة قريش او مردة الانس من مجوس هجر وفارس والوسوسة كالالهام الالقاء فى القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بغيره ولذا اتبعه بقوله (ومنه) قوله تعالى (واوحينا الى ام موسى) ان ارضعيه (اى القى) ببناء المجهول (فى قلبها) مناما والهاما وقيل انه وحى حقيقى كالوحى للانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقد قيل ذلك) التفسير السابق (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة) والذى رجحوه فى هذه الآية ان المراد بالوحى فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكلامه لموسى عليه الصلاة والسلام وحديث ابى ذر المشار اليه هو هذا قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس فجلست اليه فقلت بابى انت وامى امرتنى بالصلاة فاى الصلاة قال الصلاة خير موضوع استكثر منه اواقل قال فقلت فاى الاعمال افضل قال ايمان الله وجهاد فى سبيل الله فقلت اى المؤمنين اكمل ايمانا قال احسنهم خلقا فقلت اى المسلمين اسلم قال من سلم المؤمنين من يده ولسانه فقلت اى الهجرة افضل فقال هجر السيئات فقلت اى الصلاة افضل قال طول القنوت قلت اى الليل افضل قال

جوف الليل الغابر قلت اى الصلاة افضل قال فرض يجرى عند الله وعند الله اضعاف كثيرة قلت اى الصدقة افضل قال جهد من مقل يصير الى نقير قلت فاى الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها قلت فاى الجهاد افضل قال من هرق دمه وعقر جواده قلت اى شئ اعظم مما انزل الله قال آية الكرسى يا اباذر ما السموات السبع والارضون السبع فى الكرسى الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابى انت وامى فكم الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت فمن كان اولهم قال آدم قلت نبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قال يا اباذر اربعة سريانيون آدم وشيث واخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم ونوح واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيكم يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم وابراهيم وسائرهم من بنى اسرائيل فاول الانبياء آدم وآخرهم انا واول الانبياء من بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى قلت فكم كتاب انزله الله تعالى قال مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وانزل على اخنوخ ثلاثين صحيفة وانزل على ابراهيم عشر صحايف وانزل على موسى قبل التورية عشر صحايف وانزل التورية والانجيل والزبور والقرأن قلت فما كان فى صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها منها ايها المغرور المسلط انى لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا اردها وفيها على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد وحرفة لمعاش ولذة فى غير محرم

﴿فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء﴾ عليهم الصلوة والسلام (معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها) العجز عند العرب ان لا يقدر على ما يريده يقال عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها ويقال ايضا بكسر الجيم فى الماضى وفتحها فى المضارع كما حكاه الاصمعى وغيره ويقال عجزه كذا اذا فاته وقيل المعجز فى الحقيقة هو الله خالق العجز فيمن تحدى فلم يقدر على المثل فان من خرجت عن مقدورهم لا يتصور فيهم العجز لعدم قدرتهم وما لهم عليه قدرة لا يتصور عجزهم عنه ايضا فان العجز يقارن المعجوز عنه فلو عجزوا وجدت المعارضة منهم ولم توجد فالمعنى مجاز امتناع المعارضة وانتفاء القدرة وحقيقة ان الاعجاز اثبات عجز المرسل اليهم فاستعير لاظهار العجز واسند لسببه الذى هو اظهار الخوارق وجعل اسما له فالتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او للمبالغة كتاء علامة وفيه بحث لا يخفى (وهى) المعجزة (على ضربين) اى هى اسم شامل لنوعين مقدور وغير مقدور (ضرب هو من نوع قدرة البشر) اى مقدورهم الذى يمكنهم الاتيان

بما يماثله من نوعه (فعجزوا عنه) الفاء فصيحة اى فطلب منهم فعجزوا عنه (فتعجيزهم عنه) اى جعلهم عاجزين والمصدر مضاف لمفعوله اى تعجيز الله اياهم (فعل الله دل على صدق نبيه) اى خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شانهم القدرة عليه فهو فى قوة قول الله تعالى صدق عبدى فيما ادعاه والعادة جارية بان يقع بعده علم ضرورى بصدقه (كصرفهم عن تمنى الموت) اى منع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فكذبهم الله تعالى والزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين* اى قل لهم يا محمد ان كنتم احباب الله تعالى والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت فان من احب الله احب الله لقاءه ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها فلم يتمنه احد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد ولو تمنوه لم يبق على وجه الارض يهودى وسيأتى بيان هذا مطولا فى محله وهذا اعظم حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا وان كان تركا وعدما متضمن لمعنى وجودى وهو السكوت والخوف ونحوه فسقط ما قيل ان المعجزة فعل خارق وليس هذا من قبيل الافعال (وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم) القائل بان اعجازه بالصرفة اى بصرف العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك على رؤس الاشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف الى مجالدة السيوف كما هو المشهور معروف وهذا مذهب النظام وبعض المعتزلة والشيعة فقيل صرفهم بان لم يكن دواعى وبواعث لذلك وقيل سلبهم المعارف المركوزة فى طبايعهم من معرفة فنون البلاغة واساليبها على القولين المشهورين فى الصرفة والذى عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما تضمنه من الفصاحة والبلاغة وغرابة الاساليب وبلاغة التراكيب وجزالتها وانواع البديع ومطابقة المقامات وبدايع الفواتح والمقاطع وروائع الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طوق البشر وبلغ الى ذروة لا تصل اليها خطى الافكار مع حلاوة وطلاوة تعين السامع الى غير ذلك مما قرروه وقيل اعجازه بما فيه من المغيبات وقيل بجميع ذلك والاقوال معروفة مقررة فى الاصول والمعانى وغيرها من كتب السلف (ونحوه) مما نوعه مقدور لهم (وضرب) من المعجزة (هو خارج) عن قدرتهم اذ تحداهم به (فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى) الذى وقع لابراهيم ولعيسى عليهما السلام فيما قيل ان ما كان بدعاء عيسى عليه السلام معجزة له انما كان من الله لا منه بشهادة واحيى الموتى باذن الله واذ تخرج الموتى باذنى لا وجه له وهذا ايضا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح (وقلب العصا حية) معجزة لموسى

صلى الله تعالى عليه وعلى نبينا وسلم وسيأتى انه ما من معجزة لنبى من الانبياء الا ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها وزيادة (واخراج ناقة من صخرة) بلاواسطة واسباب معتادة معجزة لصالح عليه الصلوة والسلام لما اقترح عليه جندع ابن عمرو سيدقومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها كاتبه ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض الشرج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ثم نتجت مثلها فى العظم فامن جندع فى جمع من قومه وتمادى غيرهم فى الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم الرجفة (وكلام الشجرة) وفى نسخة الشجر وهذا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله حنين الجذع المشهور (ونبع الماء من الاصابع) اى من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم ايضا كما سيأتى ولله در الابو صيرى فى قصيدة عارض بها بانت سعاد حيث قال

*ومنبع الماء عذب من اصابعه * وذاك صنع به فينا جرى النيل*

(وانشقاق القمر) معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صار فلقتين تشاهده الناس وقد ثبت هذا فى الاحاديث الصحيحة وروى من طرق متعددة خرجها السيوطى وبه فسر قوله تعالى * اقتربت الساعة وانشق القمر ولعل النوبة تقضى لتفصيله وهذا النوع كله وامثاله (مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله) عز وجل (فيكون) اجراء (ذلك) الذى لايفعله الا الله (على يد النبى) اى وقوعه من نبى من انبيائه بحسب الظاهر فعله وهو فى الحقيقة (من فعل الله تعالى) الذى اظهره على يده بقدرته (وتحديه) بتشديد الدال مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير النبى ويجوز عوده على الله لامره به وهو طلب المعارضة والاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدأ وقوله (من نكذ به) مفعوله قوله (ان يأتى بمثله) بتقدير الجار اى لان يأتى بمثله او بدل من تحديه او خبر وقوله (تعجيزله) خبر بعد خبر اى يظهر عجزه عن ذلك (واعلم ان المعجزات) جمع معجزة وقيل جمع معجز لانه لما لم يعقل (التى ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وصدرت منه (ودلائل نبوته وبراهين صدقه) عطف تفسيرله كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم وسيأتى مما لا تحصى (من هذين النوعين معا) خبران اى بعضها مقدور وبعضها غير مقدور كالقرأن ونحوه (وهو) اى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (اكثر الانبياء معجزة) منصوب على التمييز اى معجزاته اكثر من معجزات سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وابهرهم آية) تمييز والآية المعجزة لانها علامة للنبوة وابهر افعل تفضيل من بهر بمعنى ظهر او غلب يقال بهر القمر فهو باهر اذا املاء الارض ومن ذلك قول عمر ابن ابى ربيعه

* ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب *

وفيه وجوه ذكرها الادباء فالمعنى ان معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر واظهر

واقوى (واظهرهم برهانا) هذا اعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل القاطع اعم من المعجزة ويجوز ان يريد المعجزة ايضا (كما سنبينه) فى آخر هذا الباب وفى قوله اكثر واظهر مايدل على ان سائر الانبياء ثبت بدلائل ومعجزات وبراهين ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وبراهينه اقوى واظهر وانها تسمى بذلك كما تسمى به آيات نبى وقد اطلق عليها آية وبرهان الا انه لم يطلق عليها فى القرأن معجزة قيل ولا فى السنة والمعجزة مخصوصة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وخوارق الاولياء تسمى كرامة وقد يطلق عليها واطلق عليها المعجزة ايضا الامام احمد بن حنبل واباه غيره (وهى) اى معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم فى كثرتها لايحيط بها ضبط اى لايحيط بها حصر وعدد او حفظ لان الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد والحفظ بمعنى الصون واما اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنفين ووجه التجوز فيه احاطته بافراده ففى كلامه استعارة مكنية وتخييلية ولم يتعرض له فى الاساس ثم بين ذلك بقوله (فان واحدا منها) اى معجزة واحدة من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو القرأن) فانه بجملته معجزة وكذا آياته وسوره قال الامام مجد الدين فى نهاية العقول التحدى وقع مرة بالقرأن كقوله تعالى على ان يأتوا بمثل هذا القرأن ومرة بعشر سور كقوله تعالى بعشر سور ومرة بسورة كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله ومرة بآية كقوله فليأتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدى وهو كقول الرجل لمن يفاخره هات قوما كقومى هات كنصفهم هات كربعهم هات كواحد منهم انتهى والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (لايحصى) اى لايعد ويضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل فى مطلق العد ولذا قال الاعشى * ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكاثر * (عدد معجزاته) اى معجزات القرأن (بالف ولا الفين) لما فى كل آية من الاعجاز ولا اكثر من ذلك لما فى الفاظه من البلاغة وفنونها كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة والايجاز وحسن الفواتح والخواتم والفواصل الى غير ذلك مما لايحصى (لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد تحدى بسورة منه) اى طلب منه من بلغاء قريش (فعجز عنها) فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله او هو مبنى للمجهول وهو اولى (قال اهل العلم) بالقرأن وبلاغته (واقصر سورة) من القرأن وهو منون او هو جمع مضاف لضميره (انا اعطيناك الكوثر) سميت بجزئها هذا كما تسمى سورة الكوثر لذكره فيها لانها ثلاث آيات وسورة قل هو الله احد كذلك وسورة النصر الا ان حروف هذه اقل منهما (فكل آية) طويلة من القرأن بعدد حروفها ومقدارها (او آيات منه) اى القرأن (بعددها) اى بعدد الكوثر آيات وحروفا وكلمات (وقدرها معجزة) للبلغاء عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا بيان لاقل مراتب الاعجاز فيه ومنه يعلم

كثرته (ثم فيها انفسها) اى فى سورة الكوثر (معجزات) كثيرة (على ماسنفصله) نبينه تفصيلا (فيما انطوى) اى اشتمل القرأن (عليه من المعجزات) التى لاتحصى ولا تحصر (ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين) اى علم واستقر انقسامها انقسام الكلى الى جزئياته فشبه استقرارها باعتلاء الراكب على مركوبه لانها امالان تعلم علما يقينيا قطعيا اولا فالاول (قسم منها علم قطعا ونقل الينا تواترا كالقرأن فلا مرية) بكسر الميم وضمها وسكون الراء المهملة ومثناة تحتية وهى الشك والتردد كماتقدم بيانه (ولاخلاف بمجئ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به) الباء الاولى بمعنى فى والثانية صلة المجئ (و) لاخلاف ولامرية فى (ظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ومعناه جهته وجانبه كما سيأتى فى قوله من قبل الله على ما فيه (واستدلاله) اى استدلال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على صدقه ونبوته (بحجته) الاضافة بيانية اى بحجة هى القرأن (وان انكرهذا) المذكور الذى لامرية فيه (معاند جاحد) اى منكرله عنادا مع علمه به (فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا) وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التى لاتسمع ولاتصدر من عاقل (وانما جاء اعتراض الجاحدين) اشارة الى ان انكارهم لما علموا خلافه (فى الحجة به) اى الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين هذا سحر مبين واساطير الاولين وما انزل الله على بشر من شئ الى غيرذلك (فهو) اى القرأن (فى نفسه) اى فى كلامه الفرد (وجميع ماتضمنه) واشتمل عليه (من معجز) اى من كل امر معجز كالبلاغة والاخبار عن المغيبات (معلوم ضرورة) علما ضروريا لمن كان من اهل البلاغة ولذا قال الوليدبن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وعليه طلاوة واسفله مغدق واعلاه مثمر وما هومن كلام البشر كما يأتى بيانه والفضل ماشهدت به الاعداء (فوجه اعجازه معلوم ضرورة) عند اهل اللسان لاعند كل احد لمافيه من فنون البلاغة (ونظرا) اى استدلالا عند غيرهم اولافتقار بعض وجوهه اليه (كما سنشرحه) نبينه قريبا (قال بعض ائمتنا) اى علماء الحديث والتفسير لا المالكية اذلا اختصاص لماذكر بمذهب (ويجرى هذا المجرى) بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمى اى يقارب ماتقدم ويشبهه لان ماجرى فى مجارى شئ ساواه (على الجملة) اى اجمالا من غير تفصيل لوجه المشابهة وفاعل يجرى (انه قدجرى على يديه) اى صدرمنه (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات وخوارق عادات) عطف تفسيرى اومن عطف الخاص على العام والاول اولى (ان لم يبلغ) اى يصل (واحدمنها معينا) اسم مفعول حال من النكرة لوصفها ولورفع كان اولى (القطع) والجزم مفعول يبلغ (فيبلغه جميعها) اى مجموعها وهذا يسمى التواتر المعنوى كشجاعة على وزهد الحسن البصرى فان كل حال من احوال

هؤلاء لم يبلغ مبلغ التواتر ومجموعها اجمالا بلغ ذلك بحيث لم يبق شبهة فيه كذلك له الجبابرة مماشاهدوه من خوارق عاداته وانقياد الملوك له وغيرذلك (فلامرية فى جريان معانيها على يديه) مشهورة ناطقة بتصديقه شاهدة برسالته (ولايختلف مؤمن ولاكافر) من الامم السالفة (انه) اى نبيهم قد (جرت على يديه عجايب) اى امورخارقة للعادة حيرت ابصارهم والبابهم حتى تعجب المعجب منها (وانما) وقع (خلاف المعاند فى كونها) اى تلك العجايب صادرة (من قبل الله) بكسر القاف وفتح الباء اى من المبدأ الفياض المبدع البديع (وقدقدمنا) اولا (كونها) بيان كون العجايب (من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله) اى الله عز وجل لرسوله (صدقت) فى نبوتك ومادعيته ومعنى مثابته منزلته وفى حكمه مفعلة من اثابه كذا اذا عوضه ومنه الثواب بالثاء المثلثة لجزاء الطاعة والجاحد العنيد يزعم تارة انه سحروكهانة وان ما سمع من كلام الشجروالجماد كلام جن سخرها الى غيرذلك من الخرافات التى صاروا اليها سخرة اذاعرفت هذا (فقدعلم وقوع مثل هذا) الذى وقع للانبياء عليهم الصلوة والسلام وللامم السالفة مماعلمه كل مؤمن وكافر وبر وفاجر (ايضا) كما وقع لاولائك (من نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة) اى علم علما ضروريا متواترا تواترا معنويا (لاتفاق معانيها) اى لتوافقها كلها فى معنى واحد (كما يعلم ضرورة جود حاتم) الطائى وشهرته تغنى عن ذكره فاخباره فى الجود مشهورة ايضا وكان فى الجاهلية قريبا من مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وادرك ابنه عدى الاسلام وكان من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم (وشجاعة عنترة) بالهاء ويقال له عنتر ايضا وهو عنترة بن معاوية بن شداد القيسى وهو علم منقول من عنتر وهو نوع من الذباب ازرق ونونه اختلف فى زيادتها وهو من فرسان العرب وفصحائها المشهورين (وحلم احنف) بن قيس التميمى ادرك الاسلام واسلم لكنه لم يرالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من كبار التابعين واحنف بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة معناه مائل الرجل وله كلمات من الحكم مشهورة فى كتب وعنه فى الحلم حكايات عجيبة وكان من المعمرين ثم ونبه ذلك على طريق اللف والنشر المرتب فقال (لاتفاق الاخبار الواردة) اى المروية (عن كل واحد منهم) ثم ابدل من قوله عن كل واحد قوله (على كرم هذا) يعنى حاتما (وشجاعة هذا) يعنى عنترة (وحلم هذا) يعنى احنف واشار بهذا القريب لذكرهم وحضورهم فى الذهن (وان كان كل خبر من اخبار هؤلاء الثلاثة (بنفسه) اى وحده (لايوجب العلم) القطعى (ولايقطع بصحته) لعدم تواتره بانفراده وانما التواتر مايحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والحلم والحاصل ان ماجرى على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم تواتر تواترا معنويا لالفظيا حقيقيا والمعنوى هوحصول العلم القطعى من مجموع امور جزئية واخبار

واردة مستفيضة كما اذا اخبر واحد بان حاتما اعطاه دينارا وآخر بانه اعطاه بعيرا
وآخر بانه وهبه غنما وآخر بانه كساه وآخر بانه ذبح له فرسه فقد اتفقوا كلهم على مطلق
الاعطاء والتواتر الحقيقي ان يخبر جماعة عن جماعة الى آخره يؤيس تواطئهم على
الكذب في خبر واحد متفق اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من
غير حاجة الى نظر واستدلال بشروط مقررة في الاصول خلافا لامام الحرمين
والرازي فانه عندهما يفيد علما نظريا لتوقفه على مقدمات اخر ولا يشترط فيه عدد
مخصوص ولا اسلام (والقسم الثاني من المعجزات (ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع)
عطف تفسيري اى لم يصل الى مرتبته (وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر) اى له
شهرة وشيوع بين الناس ويسميه المحدثون مشهورا ومستفيضا (رواه العدد) الكثير
(وشاع الخبر به عند المحدثين) الحفاظ الذين رووه وهو لا يبلغ رتبة المتواتر المفيد للعلم
الضروري ولا النظري وذهب بعض الاصوليين الى انه يفيد العلم القطعي وقيل انه
يفيد العلم النظري والمشهور انه يفيد الظن ولابد ان تكون شهرته عن اصل ورواية
فان اشتهر لا عن اصل وهو المسمى بالمشهور على الالسنة لم يعتد به المحدثون ما لم يعلم
اصله فان علم ذلك يقوى بشهرته في الجملة (والرواة ونقلة السير) جمع ناقل
بفتحتين ككاتب وكتبة والسير جمع سيرة كما مر وهي اخبار المغازي (والاخبار) عطف
تفسيري (كنبع الماء من بين الاصابع) اى اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير
الطعام) الذي رواه انس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع الذي رواه
الشيخان وغيرهما (ونوع منه) لم يشتهر ولم ينتشر بل (اختص به) رواية (الواحد
والاثنان ورواه العدد اليسير) اى القليل (ولم يشتهر اشتهار غيره) كالقسم الاول
والنوع الاول من القسم الثاني ويسمى عزيزا وهو لا يفيد العلم الا بقرينة كما في جمع
الجوامع وقيل لا يفيده مطلقا وقال احمد انه يفيد العلم مع عدالة راويه لوجوب العمل
به ولو لم يفده لم يجب العمل به وله ادلة مذكورة مع الجواب عنها في الاصول (لكنه
اذا جمع الى مثله) من احاديث المعجزات (اتفقا في المعنى) من اصل الاعجاز وثبوته
كما اشار اليه بقوله (على الاتيان) اى اتيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمعجز كما
قدمنا) من جريانها على يديه وانضمام بعضها الى بعض المقوى له (قال القاضي
ابو الفضل) عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه وانا اقول صدعا بالحق) تقديم
المسند لافادة التقوية ويجوز ارادة الحصر لانفراده بعبارته المخصوصة ومجموع ما
قاله وقوله صدعا اى صادعا صدعا فهو حال او مفعول لاجله او مطلق اقدر او
لاقول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر مستعار من صدع الزجاج ونحوه من الاجرام
الصلبة لاظهار الحق والجهر به كأنه يصدع قلبه او يصدع شبهته ويبطلها

اومن انصداع الفجر لظهوره ويقال الفجر صديع لهذا (ان كثيرا من هذه الآيات)
والمعجزات (المأثورة عنه) اى المروية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (معلومة
بالقطع) لتواترها حقيقة او معنى (اما انشقاق القمر) اى اما معجزته صلى الله تعالى
عليه وسلم بانشقاق القمر له بمكة حين سأله كفار قريش آية غير ما جاء به اولا فاراهم ذلك
فهي ظاهرة باهرة (فالقرآن نص بوقوعه) اى صرح به في قوله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وقرئ وقد انشق اى اقترب وقد حصل من آيات اقترابها انشقاقه
ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء والا فهو متعد بعلى فقد تواتر ذلك لفظا على القراءة
المشهورة ومجيئه بقد يأبى تأويله بان معناه انه سينشق اذا قامت القيامة والتعبير عنه
بالماضي لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعية وقرينتها اقترانها بلفظ الساعة فلا يرد
عليه انه لبس معه قرينة تصححه كما توهم الا انه لا يدفع كونه خلاف الظاهر (واخبر
بوجوده) في هذه الآية وقراءة انشق تؤيد التأويل فقد تعارضا ويرجح الاول انه
الاصل والمتبادر منه (ولا يعدل عن ظاهر) بالتنوين اى عن ظاهر القرآن (الا بدليل)
قوي يقتضي العدول عنه وتأويله بما تقدم وقولهم انه لو وقع شاهده الناس كلهم يرده
انه آية ليلية قد تخفى على بعض الناس (وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار) اى احتمال
خلاف الظاهر ورد في الاخبار الصحيحة ما رفعه ويدفعه كما سيأتي (من طرق كثيرة) تؤيد
حمل الآية على ظاهرها لا سيما وقد روي في الصحيحين وقد قال خاتمة الحفاظ ابن حجر ان
ما روي في الصحيحين يفيد علما نظريا وان لم يتواتر وقد صرح بهذا قبله ابو اسحق
الاسفرائني والحميدي وابو الفضل بن طاهر فان احتف به قرائن وورد من طرق اخر زاد
قوة وبلغ العلم المستفاد مرتبة تقرب من القطعي ثم اشار الى انه لا يلتفت لخلاف من خالف
في مثل هذه المطالب فقال (فلا يوهن) بالتخفيف والتشديد اى يضعف (عزمنا)
اى ما عزمنا عليه وقصدناه جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة
بها على ظاهرها من غير تأويل (خلاف اخرق) بالاضافة اى مخالفة احمق واصله
الذي لا يحسن العمل بيده كأنه يخرق ما يريد زيفه وقال الثعالبي في فقه اللغة في انواع
الحمق اولها احمق ثم ابله فان كان معه عدم الرفق فهو اخرق فالحاصل ان المخالف
في مثله جاهل لا دراية له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف ذلك المخالف بقوله (منحل
عرى الدين) فهو بالجر صفة اخرق اى هو مع جهله قليل الدين ضعفه لعدوله عن
ظاهر النصوص وتشبثه باذيال الشبه وعرى بضم العين وفتح الراء المهملتين والف
مقصورة جمع عروة وهي ما يعقد في الحبل ليتمسك به وقال الراغب العرا مقصور
الناحية ومنه العروة هو ما يتمسك به قال الله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى وهو على
طريق التمثيل انتهى فان شبه الدين بالعروة فهو من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء

وان شبه بالحبل للتوصل به لما يعلو كما فى الحديث كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض فان الحبل مستعار فى كلام العرب كقوله انى بحبلك واصل حبلى فهو استعارة مكنية وتخييلية والمراد انه غير متمسك بالدين (ولا يلتفت الى سخافة مبتدع) الالتفات الانحراف للنظر الى شئ ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية بلطف واحسان ومنه قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة والسخافة اصلها عدم احكام النسج ثم تجوز به عن قلة العقل فيقال هو سخيف العقل لمن عقله وفكره غير قوى والمبتدع مرتكب البدع وهو المحدث على خلاف الشرع وقوله (يلقى الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين) اشارة الى ما هو من شان اهل البدع من القائهم الشبه والمشككات على الضعفاء العقول من المؤمنين وخصهم بذلك لان غيرهم لا يقبل مثل هذه الآراء الواهية واما ضعيف العقل فقد يأخذ باقوالهم فيتبعهم ويفتتن (بل يرغم بهذا انفه) اى يرد ما قاله ويظهر جهده وسخافة عقله حتى يفتضح ويذل ويخزى لان اصله ان يلصق انفه بالرغام وهو التراب فتجوز به عن الاذلال والتسخير وكنى به هنا عما فسرناه به وهذا اشارة الى ما ذكر من النقول الصحيحة التى لا تصرف عن ظاهرها بغير دليل (وينبذ بالعراء سخفه) النبذ بنون وموحدة وذال معجمة يقال نبذه ينبذه كضربه يضربه اذا طرحه والقاه والعراء بالمد المكان الخالى الذى لا سترة فيه وبالقصر الناحية ويقال عراه اذا قصده وسخفه قلة عقله ودينه ونبذ سخفه بالعراء اى القاه فى مكان خال عن الناس وهو عبارة عن ابطاله بالكلية وهذا ابلغ من عدم الالتفات الذى هو بمعنى الاعراض وعدم الاعتداد بالشئ فهذا ترق لان الاول يكون مع استماعه وحضوره عنده وهذا ابعاد له لرميه بالفلاة ولا تكرار فى كلامه وتفسيره باهماله مهمل لا يلتفت اليه وحاصله ان انشقاق القمر فى الآية على ظاهره لوروده فى الاحاديث الصحيحة من طرق متعددة فمن حمله على ان المراد انه سينشق اذا قامت القيامة يوم تنشق السماء لم يأت بشئ وان ارتضاه جمع لانه لو وقع شاع وذاع وملأ الاسماع لانه آية عظيمة وقيل معناه ظهر الامر لان العرب يضرب المثل بالقمر لما وضح كما قال الشنفرى فى لامية العرب

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وارحل*

وقيل معناه انشقاق الظلام عنه بطلوعه كما يقال انفلق الصبح وانشق كما قال النابغة

* فلما ادبروا ولهم دوى * دعانا عند شق الصبح داعى *

والداعى لهم على هذا عدم الوقوف على ما ورد فى السنة والفهم لاقوال الحكماء الذاهبين الى امتناع الخرق والالتيام فى الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية

(وكذلك قصة نبع الماء) من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) القليل ببركة وضع يده الشريفة فيه (رواها) اى القصة (الثقاة) من حفاظ المحدثين (والعدد الكثير من الجم الغفير) تقدم معناه مفصلا ويأتى ايضا مع زيادة (عن العدد الكثير من الصحابة) كالشيخين عن انس رضى الله عنه والبخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قيل استعمل الجم الغفير مجرورا بالحرف والذى فى كتب العربية انه لازم النصب وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان من لم يقل بلزوم نصبه يجوز جره ايضا اذ لا مانع منه (ومنها) اى رواية قصة تكثير الماء والطعام (ما رواه الكافة عن الكافة) اى ما رواه جماعة عن جماعة ومثل هذه العبارة من تعريف كافة وجره وقع فى كلام كثير من العلماء والفصحاء وقد خطأهم فيه الحريرى فى درة الغواص وتبعه صاحب القاموس وغيره بناء على انه يلزم تنكيرها ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال فى القاموس لا يقال جاءت الكافة لانه لا يدخلها ال ولا تضاف ووهم الجوهرى وقد بسطنا الكلام عليه فى شرح الدرة وبينا انه مردود رواية ودراية فانه سمع فى كلام العرب فان اردت معرفة ذلك فانظره (متصلا عن من حدث بها) اى بتلك القصة (من جملة الصحابة واخبارهم) بفتح الهمزة وكسرها مرفوع معطوف على قوله ما رواه (ان ذلك) بفتح الهمزة اى بان الى آخره ويجوز كسرها (كان فى موطن) بمعنى محل فاصله محل التوطن (اجتماع الكثير منهم فى يوم الخندق) بالمدينة وهو بفتح الخاء المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وقاف وهو فارسى معرب كنده بمعنى الحفر والمراد غزوة الخندق وتسمى غزوة الاحزاب لاجتماع احزاب المشركين واليهود بها حول المدينة فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة اشار عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ولم يكن ذلك معروفا عند العرب وانما هو من مكائد الفرس وكان ذلك فى شوال وقيل فى ذى القعدة سنة اربع او خمس من الهجرة النبوية وقد فصلوها فى السير (وفى غزوة بواط) بضم الباء وفتحها وهو اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة اربعة برد بقرب رضوى وهو جبل ايضا وهى التى ظفر فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعير قريش سنة اثنين ولم يكن بها حرب ايضا وبواط قيل فيه الصرف وعدمه والظاهر الاول واشار بالاول الى قصة جابر رضى الله تعالى عنه لما دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعناق ذبحها مع صاع من شعير خبزه فاتاه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير وكان بدعاه وحده فأكلوا وشبعوا وفضل ذلك الطعام وكانوا نحو الف وبالثانى الى قصة بواط وهى انه وضع عنده صلى الله تعالى عليه

وسلم ماء قليل للوضوء فقال لجابر ادع الناس فلما اتوا وضع يده الشريفة فى الماء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤا كلهم كما سيأتى (وعمرة الحديبية) بالجر عطف على المجرور بنى قبله والحديبية مصغر كدويهية اسم مكان او بئر فيه قريبة من مكة سميت بشجرة حدباء فيها وهى التى وقع تحتها بيعة الرضوان وهى بتخفيف الياء الثانية على الصحيح وشددها بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت فى سنة ست والآية التى كانت فيها انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من المدينة معتمرا فلما وصل اليها صده المشركون عن البيت وكان بين يديه ركوة فتوضأ منها وماء البئر قليل جدا نزعه الناس وشكوا العطش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزع سهما من كنانته واعطاه لناجية ابن عميرة فغرزه فى البئر فجاش ماؤها وجاءت جارية من الانصار معها دلو فاقبلت به على ناجية وهو فى القليب وقالت منشدة

* ياايها المائح فيدلوى دونكا * انى رأيت الناس يحمدونكا *
* يثنون خيرا ويمجدونكا * ارجوك للخير كما يرجونكا *

الى آخر ما فصل فى السير وسيأتى بتمامه (وغزوة تبوك) فى السنة التاسعة من هجرته عليه الصلوة والسلام او السابعة وهو اسم موضع بين الشام والمدينة غير مصروف سميت بعين ماء بها امرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لايمسوا ماءها فسبق رجلان بسهمين جعلاهما فيها ليكثر ماؤها فزجرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهما مازلتما تبوكانها اى تحفر انها ليخرج ماؤها واشار المصنف الى آية فيها رواها ابو هريرة رضى الله تعالى عنه وهى ان الناس اصابتهم مجاعة فقال عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعا بنطع وبسطه ودعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجئ بكف من ذرة والآخر بكف من تمر والآخر بكف من شعير فجمع ذلك وبرك عليه ثم قال خذوا فاخذوا فى اوعيتهم حتى ما بقى فى العسكر وعاء الاملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المصنف رحمه الله تعالى لكل آية فصلا كما سيأتى (وامثالها فى محافل المسلمين) مجروره معطوف على موطن والضمير للغزوات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا وقيل المحفل مجمع الرجال والمأتم مجمع النساء والنادى مجمع الناس فى الشتاء ودار الندوة والمصطبة مجمع الغرباء وقيل محل اجتماعهم لامورهم والمجلس مقر الناس فى بيوتهم والخان محل المسافرين والحانوت محل البيع والشراء وقد يخص بمحل بيع الخمر (ومجتمع العساكر) اى محل اجتماعهم وهو المعركة والعساكر جمع عسكر وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول اى لم ينقل من اثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد يخص بغير الحديث (عن احد من الصحابة مخالفة للراوى)

نائب الفاعل (فيما حكاه) الراوى من الامور والآيات المذكورة (ولا) نقل عن احد (انكار لما ذكر عنهم) وذكر مبنى للمجهول نائب فاعله (انهم رواه كما رآه) اى لم ينقل انكار انهم رأوا من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رآه منهم الاخر بل سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة انه شاهد بعض آياته صلى الله تعالى عليه وسلم (فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق) لانه فى محله اقرار (اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل) يسمعه من غيره ولايصرح له بانكاره وكون السكوت كالنطق ليس على اطلاقه كما ذكره الفقهاء واهل الاصول ولذا قالوا السكوت فى محل الحاجة بيان (و) المنزهون عن (المداهنة فى كذب) فان الصحابة كلهم عدول لايخشون فى الله لومة لائم والمداهنة الملاينة والمطاوعة الا ان الفرق بينها وبين المداراة ان المداراة فى الحق والمداهنة فى غيره ولذا جعلت من الغش قال الله تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون وهى استعارة من الدهن للين كلام صاحبها وجانبه وهى مذمومة لانها نفاق (وليس هناك رغبة ولارهبة تمنعهم) اى الصحابة رضى الله تعالى عنهم ليسوا ممن يطمع ويرغب فى دنيا غيره ولايخافون احدا عدل عن الحق لصلابة دينهم فلايداهنون لان الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم مايمنعهم من الانكار على من كذب (ولو كان) الاحسن ان يقول فلو بالفاء لترتبه على ماقبله (ماسمعوه منكرا عندهم) اى فى اعتقادهم (وغير معروف لديهم) اذ لم يبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثله (لانكروه) على قائله تنزها عن الاقرار على الباطل ومايخالف الظاهر واما احتمال ان غيرهم سمع مالم يسمعه وحمل قائله على الصلاح فغير مناف هنا لان الصحابة رضى الله عنهم فى العصر الاول كان عندهم حرص على معرفة احواله صلى الله تعالى عليه وسلم واقواله لتوفر دواعيهم على نقلها والعمل بها والمعجزات المتحدى بها لغرابتها وعظمها ليس مما يخفى مثله نعم بعد عصرهم يجوز هذا لان خبر الاحاد مقبول فتدبر (كما انكر بعضهم) اى بعض الصحابة (على بعض) منهم (اشياء رواها من السنن) اى سنن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جمع سنة بمعنى طريقة والمراد الاحاديث النبوية (والسير) جمع سيرة وهى احوال الغزاة (وحروف القرآن) اى قراآته المتعددة فان كل وجه من القراءة يطلق عليه حرف وبه فسر حديث انزل القرآن على سبعة احرف اى لغات ووجوه منقولة على المعنى المشهور من معانيه وفى السنن الستة ان عمر رضى الله تعالى عنه انكر على هشام بن حكيم قراءة قرأ بها فى سورة الفرقان لم يسمعها فجاء به الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سمعت هذا يقرأ بغير ما اقرأتنيها فقال اقرأ ياهشام فقرأ فقال هكذا انزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال له هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ماتيسر منه وفيه بيان لحكمته وكما وقع بين عمر وابن عباس رضى الله عنهم

فى انكاره عليه ماقاله فى نكاح المتعة وامثاله كثيرة فى كتب الحديث (وخطأ بعضهم بعضا ووهمه فى ذلك) يعنى ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطاء والوهم اذا ذكر امرا لم يكن معروفا عندهم مما يتعلق بسنن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسيره او بالقراآت وغير ذلك مما يتوقف على النقل و لا يقال بالرأى فانهم لامداهنة عندهم ولامداراة فى الحق الا ترى ان عمر رضى الله تعالى عنه مع جلالته لما قبل الحجر الاسود وقال انى اعلم انك حجر لا تضر ولاتنفع ولكن رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك فقبلتك فسمعه على كرم الله وجهه فقال له لاتقل كذا فان الله تعالى لما اخذ العهد على ذرات بنى آدم اودع كتاب العهد فيه وقال من قبله فقد وفى بالعهد فيشهد له الحجر بذلك يوم القيامة فدعا له عمر وقال لا عدمناك يا ابا الحسن والوهم والخطاء هنا بمعنى وروى وهنه بالنون من الوهن وهو الضعف فى الرأى (مما هو معلوم) بيان لذلك (فهذا النوع كله من المعجزات المروية بطريق الاحاد ولم يشتهر اشتهارا يقرب من التواتر (يلحق) بفتح اوله وضمه (بالقطعى) اى يعد من قبيل المقطوع به (من معجزاته كما بيناه) من نقل بعض الصحابة له نقلا صحيحا وسكوت غيرهم عليه ممن بلغه فهو كالاجماع السكوتى (وايضا) لناوجه يؤيد كونها كالقطعى (فان امثال) هذه (الاخبار) المتعلقة بالمعجزات الثابتة فى عصر الصحابة لولم تكن صحيحة وكانت من الاخبار (التى لا اصل لها) رواية (و بنيت على باطل) بان كانت كذبا محضا تبطل وتضمحل اذ (لابد مع مرور الازمان) عليها فى نقلها فى عصر بعد عصر (وتداول الناس) اى تلقى الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر قال الراغب يقال تداول القوم كذا اذا تناولوه واخذه بعضهم من بعض قال الله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس (واهل البحث) اى التفتيش عنها والمراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث صحة وسقما (من انكشاف ضعفها) اى ظهوره (وخمول ذكرها) بان تنسى ولا يشتهر لها ذكر لكونها لا اصل لها (كما يشاهد) بالمثناة التحتية او الفوقية ويجوز قراءته بالنون اى يعرف و يتحقق (فى كثير من الاخبار الكاذبة) التى ظهرت فى بعض الازمنة ثم تبين كذبها وصارت كان لم تكن شيئا مذكورا كاخبار مسيلمة الكذاب واضرابه (والاراجيف الطارئة) اى الاكاذيب التى حدثت فى بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجاف بكسر الهمزة وفتحها وقيل انه جمع رجفة من الرجف وهو الاضطراب والتحرك بحركات متوالية واذا سمى البحر رجافا لاضطراب امواجه وقال بعض الشعراء فيمن اصابته رعشة فى يده

* ما كان من رجاف كفك منكر * فالبحر من اسمائه الرجاف *

وهى هنا بمعنى الاخبار السيئة التى تشيع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطارئة

بالهمزة والياء التحتية من طرأ اذا حدث وتجدد (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزة جمع علم بمعنى علامة او راية كبيرة والمراد معجزاته المعلومة المشهورة (هذه الواردة) اى المروية (من طريق الاحاد) بالمد اى التى رويت احادا ولم تتواتر (لاتزداد مع مرور الازمان الاظهورا) ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفاء وضعفا (ومع تداول الفرق) اى تكلم الناس بها فرقة وهو بكسر الفاء وفتح الراء جمع فرقة (وكثرة طعن العدو) من اعداء الدين الكفرة والطعن القدح والدخل بالمعارضة (وحرصه على توهينها) اى تضعيفها وفى نسخة بدل حرصه حضه بضاد معجمة اى حثه وتحريضه (وتضعيف اصلها) بالانكار والعناد وادعاء انها سحر وافتراء (واجتهاد الملحد) اى بذل طاقته وقوته والملحد العادل عن الحق من الزنادقة والالحاد الميل عن الاستقامة والحد ولحد فى دين الله حاد عنه وعدل وعن ابن عباس فى قوله تعالى * ان الذين يلحدون فى آياتنا * هو تبديل الكلام ووضعه فى غير موضعه وفى نسخة باجتهاد بدون تاء من اجهد اى اتعابه نفسه وكدها (على اطفاء نورها) اى ابطالها فشبه المعجزات لسراج منير ونار على علم فى الظهور و التحقق على طريق الاستعارة المكنية واضاف الاطفاء اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد بعلى مشاكلة لما قبله اوضمنه بمعنى الملازمة والانكباب فهم كما قال الله تعالى * يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره * ومن حكم اهل الهند ان الرجل ذو المروة و العقل يكون خامل المنزلة غامض الامر فما تبرح به مروته وعقله حتى يستبين و يعرف كالشعلة من النار التى يصونها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا ومنه اخذ ابن الرومى قوله

* كالذى طأطأ الشهاب ليخفى * وهو ادنى له الى التضريم *

ومنه اخذ الارجانى قوله

* ما الشائك يلتظى من غرور * وله آخر ترقب قمعه *

* كلما رام منه للرأس رفعا * زاد خفضا كانه نار شمعه *

واحسن من هذا كله قولى فى بعض الحساد

* رام بالذل ان ينكس قدرى * حاسد زادنى سنا وسناء *

* قلت ان الشهاب شعلة نار * كلما نكسوه زاد ضياء *

وقوله (الاقوة وقبولا) معطوف على قوله الاظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف على قوله مع مرور الازمان وقوته بظهور حقيته وتيقنه وهو مقابل لما فى ضده من التضعيف والقبول باذعان العقول السليمة له وهو مقابل لطعن الطاعنين وانكارهم (وللطاعن) اى المنتقص الذى يعيبها و يسعى فى ابطالها والجار والمجرور حال من المستثنى بعده بعد ما كان صفة وعداه بعلى فى قوله (عليها) لانه ضمنه معنى

المتعدى عليها لانه يتعدى بنى وقوله (الاحسرة) وهو التأسف والتندم على مهم فاته وآيس منه (وغليلا) بالغين المعجمة واصله حرارة وتلهف فى الجوف من شدة العطش والمراد به هنا مجازا الحقد المضمر و الحسد معطوف عليه و ان لم يشاركه فى متعلقه الابتأو يل فتدبر (وكذلك) اى كاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد (اخباره) بكسر الهمزة مصدر اخبر (عن الغيوب) جمع غيب وهو ماخفى علمه عن الناس كالدجال والمهدى و دابة الارض وغير ذلك مما اخبر به بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (وانباؤه) بوزن اخباره ومعناه (بما يكون) فى المستقبل من اشراط الساعة ومما يقع بين امته عليه الصلوة والسلام من الفتن وغيرها (و) ما (كان) فى الماضى كاحوال الانبياء عليهم الصلوة والسلام والامم السالفة ونحوه مما لا يعلم الا بوحى اوحفظ الكتب الالهية التى لم يقرأها ولم ير من عرفها (معلوما) انه (من آياته) ومعجزاته الخارقة للعادة اما الاول فظاهر واما الثانى فلانه عليه الصلوة والسلام امى ولا يخالط من علم ذلك

كفاك العلم فى الامى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم*

(على الجملة بالضرورة) اى معلوم بعلم ضرورى بمجموعه واجماله وان لم يكن كل فرد كذلك (وهذا حق) اى امر محقق متيقن (لاغطاء عليه) ظاهر منكشف من غير لبس وشبهة فيه (وقد قال به) اى اعتقده وصرح به يقال قال كذا اذا نطق به وقال به اذا ذهب اليه واختاره (من ائمتنا) المقتدى بهم من الاشعرية اوالمالكية (القاضى) ابو بكر الباقلانى الاصولى المالكى لانه المراد به اذا اطلق و به صرح صاحب المقتفى هنا قال والمراد بقوله (والاستاذ ابو بكر) ابن فورك كما تقدم من كلام المصنف وقيل المراد بالاول ابو بكر ابن العربى شارح الترمذى وبالثانى ابو بكر الباقلانى اوالعكس والاول مالكى والثانى عده المصنف من المالكية وعده السبكى فى طبقاته من الشافعية وقال التلمسانى ان المراد بالثانى ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى والاستاذ بضم الهمزة وآخره ذال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسية بالدال المهملة والمولدون يريدون به الطواشى وقد بسطنا الكلام عليه فى كتابنا شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل (وغيرهما) من الائمة اى ذهب هؤلاء كلهم الى انها معلومة بعلم ضرورى قطعى فهى متواترة بحسب المعنى وان لم تتواتر مفرداتها (وما عندى اوجب قول القائل) وفى نسخة تأخيرما عن عندى وهى نافية ومعنى عندى فى اعتقادى وحكمى وهو متعلق باوجب (ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد) اى من قبيل خبر الاحاد التى لا توجب العمل واوجب بمعنى اقتضى واستلزم والجأ اى لم يلجئه لذلك (الاقلة مطالعته للاخبار) النبوية ومطالعتها الاطلاع عليها (وروايتها وشغله) بضم اوله اى اشتغاله (بغير ذلك من المعارف)

غير الاحاديث من العربية والامور والعلوم العقلية وفيه تأدب مع العلماء وعدم المجاهرة بالقدح فيهم (والا) اى لولم تقل بقلة اطلاعهم لاشتغالهم بما ذكر (فمن اعتنى) اى كانت له عناية واشتغال (بطرق النقل) اى الامور النقلية السماعية (وطالع الاحاديث والسير) النبوية بان درسها وقرأها (لم يرتب) اى لم يحصل عنده ريبة وشك (فى صحة هذه القصص المشهورة) عند المحدثين والحفاظ (على الوجه الذى ذكرناه) من جمع طرقها وضم بعضها لبعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى قيل وقوله لم يرتب قاض برد اعتراضه على من قال انها احاد اذ لم يرد به مجموعها بل جميع افرادها وفيه نظر ثم اشار الى دفع شبهة هى انه لو كانت الاحاد تصل رتبة التواتر بالاعتناء بالنقول ومطالعة الاحاديث كانت متواترة معنى عند غيره فقال (ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر) الحقيقى (عند واحد ولا يحصل عند آخر) فبالطريق الاولى التواتر المعنوى وقد قيل بمثل هذا فى البسملة وجمع به بين الخلاف و بين الائمة فان اثباتها فى اوائل السور واسقاطها قراءتان متواترتان من السبعة كما قاله ابن حجر ومن تبعه وان خفى على كثير (فان اكثر الناس يعلمون بالخبر) المتواتر (كون بغداد موجود) وهى المدينة المشهورة بدار السلام اما لسلامة اهلها من فساد وتغير المزاج اولان نهرها يسمى السلام وهى فارسية معربة ومعناها محل البساتين لان باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداد معناه العطية اى عطية الصنم ولذا كره بعضهم تسميتها بذلك وفيها ست لغات اهمال الدالين واعجامهما واهمال الاول واعجام الثانى وعكسه و بغدان بالنون مع الاهمال وزاد يعقوب ابدال الباء ميما مع الدال والنون والاهمال والاعجام والاهمال اصح وقالوا بغدين ايضا (وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة) بكسر اولهما وهما بمعنى والخلافة هى الولاية العامة لانه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهى السلطنة بحق وسميت امامة لان الامامة والخطبة فى عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والخلفاء الراشدين لازمة له لا يقوم بها غيره الا بطريق النيابة عنه كالقضاء والحكومة ولذا احتاجت لتقليد السلطان ونحوه ومعنى دارها مقرها ومحلها واول من بنى بغداد هذه ابو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقى ثانى خلفاء بنى العباس (واحاد) بالمد جمع واحد (لا يعلمون اسمها) لعدم سماعه (فضلا عن وصفها) من كونها دار الخلافة متنزهة عظيمة البناء وفضلا منصوب بالمصدرية يفيد اولوية ما بعدها والكلام فيها مبسوط فى العربية مشهور ثم ذكر مثالا آخر فى الشرعيات فقال (وهكذا) اى مثل امر بغداد (يعلم الفقهاء من اصحاب مالك) المقلدين لمذهبه فتجوز بالصحبة عما ذكر تجوزا مشهورا (بالضرورة) اى بالعلم الضرورى اى البديهى لا الاضطرارى لتواتره عندهم فقوله (وتواتر النقل عنه)

كالمفسر له (ان مذهبه ايجاب ام القرأن) اى الفاتحة ووجه التسمية مشهور (فى الصلوة للمنفرد والامام) دون المأموم فان قراءة امامه قراءة له وان لم يسمعها ولافرق بين الصلوة الجهرية وغيرها وكذا مذهب ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه كما فصل فى كتب الفقه (واجزاء النية) اى نية صوم رمضان كله (فى اول ليلة من رمضان عما سواه) الضمير راجع لاول فلا يحتاج فى بقية الشهر الى نية اخرى اكتفاء بتلك النية والاجزاء بمعنى الكفاية والاغناء وقيل معناه سقوط القضاء ورده الاصفهانى فى شرح المحصول والفرق بينه و بين الصحة مفصل فى كتب اصول الفقه (وان الشافعى رضى الله عنه يرى) من الرأى بمعنى المذهب (تجديد النية كل ليلة) قبيل الفجر فمذهبه ان النية واجبة فى كل ليلة لامندوبة وهذا معلوم بالضرورة عند الفقهاء لتواتره عند اصحابه وغيرهم لان صوم كل يوم عبادة مستقلة فيفتقر الى نية جديدة لحديث انما الاعمال بالنيات والمراد الاعمال الشرعية اى انما صحتها وغيره يقدر انما كمالها كما بين فى محله (والاقتصار على مسح بعض الرأس) اى و يعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض الرأس يجزى عند الشافعى لتواتر نقل ذلك عنه خلافا لمالك فانه يجب عنده مسح الرأس كله احتياطا (وان مذهبهما) اى مالك و الشافعى (القصاص) اى وجوبه (فى القتل بالمحدد) اسم مفعول مشدد الدال وهو حديد له حد جارح كالسيف ونحوه (وغيره) مما لاحد له كالعصا والحجر والشجر (وايجاب النية فى الوضوء) فهى واجبة عندهما لانه عبادة فلابد من النية فيه ليكون قربة ولتتميز العبادة عن العادة باخلاص العمل بالنية (واشتراط الولى) وهو من تكون له ولاية شرعية على المنكوحة كالاب والسيد (فى النكاح) اى فى صحته وانعقاده كما فصل فى كتب الفقه (وان اباحنيفة) النعمان بن ثابت الامام المشهور شهرته تغنى عن ذكر ترجمته (يخالفهما فى هذه المسائل) فلا يوجب القصاص فى غير المحدد بل الدية و لايوجب النية فى الوضوء و خالف فيه بعض الحنفية كما فى الاسرار للدبوسى ولايشترط فى النكاح الولى كما فصلوه يعنى ان مذهبه يخالف مذهبهما فى هذه المسائل فانه لم يرهما حتى يخالفهما والفقهاء يستعملون مثل هذه العبارة كثيرا فى كتبهم فيقولون خالف فلان فى كذا فلانا وان تقدم عصره عليه (وغيرهم) اى غير الفقهاء واصحاب المذاهب (ممن لم يشتغل بمذاهبهم) اى مذاهب الفقهاء ومن ذكر من الائمة (ولاروى اقوالهم) ممن قلدهم واشتغل بكتبهم (لايعرف هذا) الا الامر الذى وقع فيه الخلاف منهم (من مذاهبهم) واقوالهم (فضلا عما سواه) اى سوى هذا من دقايق المذاهب ومسائلها الغريبة (وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا) بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد (ان شاء الله تعالى) ذلك

﴿ فصل فى اعجاز القرأن ﴾

اى فى بيان اعجازه و القرأن بالهمزة وقد تسهل وتبدل و وزنه فعلان على الصحيح وتقدم بيان الاعجاز وهو جعل غيره عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله (اعلم وفقنا الله واياك) اى رزقنا التوفيق والجملة دعائية وتصديره باعلم تنبيها له على ما بعده امر مهم يلزم علمه (ان كتاب الله العزيز) بفتح الهمزة وهو وما بعده ساد مسد مفعولى اعلم وتقدم ان العزيز بمعنى القوى الغالب و بمعنى الذى لانظير له و يجوز فيه الجر والنصب على انه صفة الله اوالكتاب ولك ان ترفعه قطعا والكتاب المراد به القرأن لغلبته فيه وله معنيان الكلام النفسى و ما بين الدفتين وكلاهما قديم عند بعض المحققين كالشهرستانى والكلام فيه مشهور والمراد الثانى لانه هو المتصف بالاعجاز (منطو) اى مشتمل ومحتو افتعال من الطى و هو معروف (على وجوه من الاعجاز كثيرة) اى انواع يعرف بها اعجازه وكونه لايقدر عليه البشر (و تحصيلها) اى محصلها اجمالا فالمراد بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير اى مضروبه و الضمير للوجوه (من جهة ضبط انواعها) اى حصرها و جعلها مضبوطة محفوظة (فى اربعة اوجه) خبر تحصيل اومتعلق بقوله ضبط (اولها حسن تأليفه) اى نظم كلماته مؤتلفة متوافقة (والتيام كلمه) عطف تفسير اى كونها متناسبة بحسب الدلالة بحسب مقتضى مقاماتها والكلم اسم جنس جمعى لكلمة كتمر وتمرة لاجمع ولااسم جمع على الاصح (وفصاحته) قدمها على البلاغة لتوقفها عليها بمعناها المشهور فى كتب المعانى (ووجوه ايجازه) اى قلة لفظه وكثرة معانيه ووجوهه معروفة فى المعانى (و بلاغته الخارقة عادة العرب) عادة بالنصب مفعول خارقة بمعنى خارجة عن عادتهم كما يقال خرق الاجماع اذا خالفه وخرج عنه ثم بين ذلك فقال (وذلك) اى ماذكر من عادتهم (لانهم) اى العرب (كانوا ارباب هذا الشان) الشان هو الامر العظيم والمراد به البلاغة وجعلهم اربابها اى اصحابها المالكون لها الذين بيدهم ازمتها وهو مبالغة فى اتصافهم بالفصاحة و البلاغة (وفرسان الكلام) جمع فارس اوجمع فرس الذى هو جمعه والفرس يكون ايضا جمع فارسى بمعنى عجمى كما فى شرح شواهد الايضاح و منه قولهم لغة الفرس فشبه الكلام الذين تمكنوا من التصرف فيه بجواد علوه وتسابقوا به فى ميادين البلاغة والرهان وفازوا بقصب السبق فيه (قد خصوا من البلاغة والحكم) اى خصهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة بلغاتهم وبما تضمنه من الحكم اى المعانى المحكمة المتقنة وما يحث على مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وفيه كلام تقدم (بما لم يخص به غيرهم) قيل كان الظاهر ان يقول بما لم يوجد فى غيرهم لكنه عبر به ليشاكل ماقبله ولان نفى الوجود يفهم من اختصاصهم به دون غيرهم فلا يقال انه لايلزم من نفى الاختصاص نفى الوجود وهو المقصود وفيه بحث

(من الامم) اى جميع الامم السالفة واللاحقة (واوتوا) بالبناء للمجهول اى اعطاهم الله (من ذرابة اللسان) المراد الجارحة المعروفة و الكلام نفسه والذرابة بذال معجمة وراء مهملة وموحدة اصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه و قيل هى ان تسقى السم والذراب السم فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلو عن اللكنة قال

* ارحنى واسترح منى فانى * ثقيل محملى ذرب لسانى *

وهذا امر محمود و قديكون بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذما كالحدة قال الله تعالى سلقوكم بالسنة حداد (مالم يؤت انسان) اى لم يؤته غيرهم من الامم لكنه اتى بما ذكر لقصد السجع والخطابة كقوله (ومن فصل الخطاب) اى الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذى لالبس فيه ولاخفاء كما تقدم (مايقيد الالباب) جمع لب وهو العقل و يقيدها بمعنى يحبسها اذا سمعته حتى كانها قيدت ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه و براعته (جعل الله لهم ذلك) المذكور الذى خصوا به (طبعا وخلقة) مركوز فى طبايعهم لابتكلف وتقليد لغيرهم (وفيهم غريزة) اى جبلة وسجية مركوزة فيهم (وقوة) المراد بالقوة مقابل الفعل ولبس بمعنى الشدة وهذا استعمال مولد وهو قريب من الطبيعة ايضا وتكرار الالفاظ المتقاربة لابأس به هنا لانه مقام خطابة او المراد بالقوة القدرة اى هذا امر طبعهم الله عليه وجعل لهم زيادة قدرة فيه فلذا عقبه بقوله (يأتون منه على البديهة بالعجب) اصل معنى البديهة الفجاءة ولذا قيل لكل كلام من غير اتعاب فكر و نظر بديهة فيقال اجاب على البديهة وله بدايع بداية وهذا معلوم فى بداية العقول وحقه فى بداية جزمه و العجب بمعنى الامر الذى يعد عجيبا لحسنه و جزالة معناه فكانه لم يعهد فما قيل انه غير صحيح هنا لاوجه له (ويدلون به) بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة و باللام من ادلى دلوه فى البئر اذا انزله لاخذ الماء ثم عبر به عن مطلق التوصل كما قال عمر رضى الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه وقد دلونا اليك مستشفعين اى توسلنا (الى كل سبب) اى طريق ووسيلة الى حصول مهمات امورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والرؤساء فاذا ذكروا هذه الوسائل عبروا عنها بعبارات بليغة رائقة تسحر السامعين وتقود بعنان البيان سواد القلوب والخواطر وفى قوله سبب هنا تورية لانه فى الاصل بمعنى الحبل فذكره بعد الادلاء فيه لطف وقيل المراد اقبلنا وسقنا من الدلو وهو السوق والرفق وقيل المراد بالسبب الطلب العالى الشبيه باسباب السموات اى نواحيها كانه شبه ذلك الطلب فى عزة نيله بنواحى السماء والعرب كانوا يصلون الى هاتيك المطالب بما نالوه من القرائح الزكية ولعل المراد بالاسباب مقتضيات الاحوال وقد بين ذلك بقوله (فيخطبون) الى آخره انتهى ولايخفى انه لايلائم مانحن فيه (بديها) اى ينشؤن الخطب بمقتضى

طبايعهم بديهة من غير تكلف (فى المقامات) اى محافل الناس ومجامعهم على رؤس الاشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام اومقامة يقال قام بين يدى الامير بمقامة حسنة اذا تكلم بعظة وكانوا يخطبون قياما فلذا سميت مقامة ثم اطلقت على نفس الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريرى وغيرهما (وشديد الخطب) اى الامر العظيم الشان الذى من شانه ان يقع فيه المخاطبات و المنازعات فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم يحثهم على مهماتهم وقيل ان الخطر الشان عظم اوصغر وسبب الامر ولابناسب المقام والتكلم بكلام بليغ ارتجالا لايدل على سجية و غريزة قوية (ويرتجزون به) اى ينشدون رجزا فى تلك المقامات بديعة يعدونه كالخطب ولذا ذهب بعضهم الى انه ليس بشعر (بين الطعن والضرب) كما ينشدون فى انديتهم وهذا كقول على رضى الله عنه لما بارز مرحبا بخيبر * انا الذى سمتنى امى حيدرة * كليث غابات كريه المنظرة * اكيلكم بالسيف كيل السندرة * وامثاله مما لايحصى (ويمدحون) من يستحق المدح فى مقاماتهم بديهة بابلغ الاشعار (ويقدحون) اى يذمون ويهجون يقال قدح فى عرضه اذا عابه ومن فسره بقوله اى يقدحون افكارهم فيستخرجون معجز الكلام فى احسن نظام لم يصب محز الكلام (ويتوسلون) بما ذكر من بليغ الكلام نظما ونثرا (ويتوصلون) عطف تفسير اى بالمذكور الى مطالبهم العالية (ويرفعون) من يمدحونه بمدايحهم حتى يرتقى بمرتبة لم يكن له بشهرة مدحه فيصير نابه الذكر بعد ان كان خاملا كما وقع للمحلق لما نزل عنده الاعشى ضيفا فنحر له وسقاه وعنده بنات لم يرغب احد فى تزوجهن فمدحه بقصيدة قافية مشهورة فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته ورغبوا فيهن (ويضعون) مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم ففيه لف ونشر (فيأتون من ذلك) المذكور كله (بالسحر الحلال) السحر فى الاصل الفطنة والكل مادق ثم انه يشبه به الكلام البليغ الذى تلذبه النفوس وتنجذب له القلوب ومنه ان من البيان لسحرا فهو تشبيه بليغ والسحر معناه الحقيقى معروف وهو قبيح محرم فوصفه بالحلال بيان للمعنى المراد منه وتجريد للتشبيه والسحر حق واقع وهو بامور يعرفها اهلها سيأتى الكلام عليها عند قوله وقولهم ان هذا الاسحر يؤثر (ويطوقون) بالتشديد من الطوق وهو مايجعل فى العنق من ذهب ونحوه (من اوصافهم) البديعة البليغة وفيه استعارة مكنية وتخييلية اى من وصفهم لغيرهم بمدحهم (اجمل من سمط اللآل) اجمل بمعنى ازين واحسن والسمط بكسر فسكون المراد به جنسه لعمومه بالاضافة فمن قال صوابه سموطه لم يصب وهو السلك مادام فيه الخرز والا فهو خيط وقال البرهان السمط الخيط مادام فيه الخرز والا فهو سلك وتبعه الانطاكى ونسبه للجوهرى وقال ان غيره

قال ابن السمط للجوهر والسلك للخرز والنظام للابر وفيه نظر وفصله عقد المدايح على اللآلى لانه لايفنى ولايفاوه ثمن لعزته واصل اللآلى اللآلئ بهمزة فى آخر مقابداها باء لكونها وقفا ثم عامله معاملة المعتل فى الوقف فاسقطها كالقاص (فيخدعون الالباب) الخداع هو المكر واظهار امر على خلافه لمن تريد به امرا مكروها والالباب جمع لب وهو العقل كما مر والمراد انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم ففيه استعارة مكنية وتخييلية وتقدير ذوى العقول يذهب برونق الكلام (ويذللون الصعاب) اى يسهلون بفصاحتهم الامور الصعبة فان كان من الذل بالكسر والذال معجمة من الارض الذلول وهى التى يسهل المشى فيها ففيه استعارة تبعية وكذا ان كان من الذل بضمها والمراد على كليهما انهم يجعلونها مطيعة لهم ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية على ان الصعاب جمع صعبة وهى الناقة التى لاتنقاد (ويذهبون الاحن) بكسر الهمزة وفتح الحاء المهملة جمع احنة بكسر فسكون وهى الحقد (ويهيجون الدمن) بضم اوله وفتح ثانيه وكسر المثناة التحتية المشددة ويجوز كسر الهاء مع سكون الياء اى يحركونها ويظهرونها والدمن بكسر الدال المهملة وفتح الميم والنون جمع دمنة وهى فى الاصل ما فى مبارك الابل من بعرها المتلبد بما عليه من ابوالها استعير للحقد المضمر المجتمع فى الباطن وهى استعارة بليغة شايعة فى كلامهم قال

* ارعى الامانة لا اخون ولا ارى * ابدا ادمن عرضة الاخوان *

وكون المراد به آثار السكان فى الديار والمعنى انهم يندبون الاطلال وسكانها فيهيجون الاشواق بذكرها وان سلم من التكرار بعيدها فلا يغتر بما قيل (ويجرؤن الجبان) بالتشديد والهمز من الجراءة وهى الاقدام والشجاعة والجبان ضد الشجاع اى يجعلونه شجاعا بعد جبنه (ويبسطون يد الجعد البنان) باضافة الجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها وبسطها مدها واذهاب جعودتها وهى انقباضها والجعد اذا اضيف الى اليد والبنان كان للذم بمعنى البخيل اللئيم فان اطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة وهى الانبساط والمعنى انهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما قال ابو عبيد الجعد فى صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما ففى المدح معناه شديد الخلق مدبر للامور او ان شعره جعد غير سبط لان السبوطة اكثر فى العجم وفى الذم معناه القصير او البخيل (ويصيرون الناقص كاملا) بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير التطبع طبعا وان كانت الطباع يعسر تغيرها وتبدلها (ويتركون النبيه) الشريف المشهور (خاملا) اى خامل الذكر متروكا بعد شهرته بسبب ذمهم له وتنقيصه بالهجاء ونحوه ثم قسمهم فقال (منهم) اى من العرب (البدوى) وهم سكان البادية النازلون فى الاخبية والدارات وهو بالباء الموحدة والدال المهملة المفتوحتين الذين لايسكنون القرى والامصار وتسمى ساكنها حضرا وحاضرة

الحضور بعضهم لبعض فيها والنسبة للبادية اوللبدو بالسكون على خلاف القياس ويقال بداوى بفتح اوله وكسره او هو نسبة للبدا كالفتى بمعنى البادية ايضا (ذو اللفظ الجزل) اى صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل ويكون الجزل بمعنى الكثير ايضا ومنه الثواب الجزيل (والقول الفصل) بالصاد المهملة اى الفاصل بين الحق والباطل قال الله تعالى * انه لقول فصل وما هو بالهزل * واصل معنى الفصل الحجز ومنه فصول الكتب (والكلام الفخم) اى المفخم المعظم لشهامتهم وعدم مداراتهم او الممتلئ المعانى الرائقة يقال وجه فخم اذا كان له جمال ومهابة او هو من التفخيم ضد الترقيق لاعتيادهم باخراج الحروف من حاق مخارجها والجهر بها القوله (والطبع الجهورى) اى طبعوا على جهر الصوت وعلوه ومنه الحروف المجهورة قال فى القاموس جهر ككرم وفخم الصوت ارتفع وكلام جهير ومجهر وجهورى عال وفى الحديث نادى بصوت جهورى وفى نسخة جوهرى نسبة للجوهر وهو الخالص النقى او القديم الجرى فان كان من الجوهر المعروف كالياقوت والزمرد ونحوه فهو استعارة للنفيس وفى القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به ومن الشئ ما وضعت عليه جبلته والجرى المقدم انتهى والواو زائدة وقيل انه بمعناه والمعروف معرب والعرب تمدح بالجهر بالكلام وتعيره عن الفهاهة والجبن كما قال الاعرابى

* جهير الرواء جهير الكلام * جهير العطاس جهير النعم *

وهذا اشبه بطريقة المصنف رحمه الله تعالى فى فصاحته (والمنزع القوى) مفعل من النزع وهو الجذب والاخذ ونزع الماء من البئر اخرجه ونزع القوس جذبه وهو مصدر ميمى او اسم مكان والاول اظهر اى يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين انواع الكلام بطبايعهم السليمة بحيث اذا سمعه السامع شق عليه (ومنهم الحضرى) نسبة للحضر بفتحتين مقابل البدو وهو الحاضرة ايضا والحضارة سكنى الحضر وهى الامصار والقرى (ذو البلاغة البارعة) اى الفائقة من برع اقرانه اذا فاقهم برقة طبعه وتهذيب كلامه (والالفاظ الناصعة) اى الخالصة من الالفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة (والكلمات الجامعة) للمعانى الكثيرة فى الالفاظ القليلة الموجزة (والطبع السهل) اللين المنقاد بسهولة لسلامة ذوقه وانسجام كلامه الذى هو ارق من النسيم يكاد من عذوبة الالفاظ تسر به مسامع الحفاظ فيدخل الاذن بلا اذن (والتصرف فى القول القليل الكلفة) فيخرج من نوع الى نوع من غير تكلف لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف او القول فلا يورد فى كلامه ما يعسر فهمه على السامع لغرابته او تعقيده (تكثير الرونق) اى الحسن واللطافة من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه كما قال البحترى

* وبديع كأنه الزهر الضاحك * في رونق الربيع الجديد *

* مشرق في جوانب السمع ما * يخلقه عوده على المستعيد *

(الرقيق الحاشية) اصل الحاشية طرف البرد والثوب ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفي الاساس من المجاز عيش رقيق الحواشي وكلام رقيق الحواشي وهو عبارة عن سهولته وسلاسته بان يكون لفظه رشيقا عذبا وفخما سهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا (وكلا البابين) اى كلا القسمين من كلام البدوي والحضري في مقامه ومحله وعند اهله (فلهما في البلاغة الحجة البالغة) قيل ان في الكلام تقديرا واصله واما كلا البابين الى آخره فالفاء واقعة في جواب اما المقدرة ولا يخفى انه ركيك ولو حذفها كان اولى ولو قيل كلا مبتدأ خبره مقدر تقديره وكلاهما مما اختصوا به وله شان عظيم ومابعده مبني عليه كان احسن لان اما حذفها من غير دليل ليس سهلا والحجة البرهان والدليل من حجه اذا خصمه والزمه والبالغة بمعنى الواصلة والافصح افراد ضمير كلا رعاية للفظه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما القائل في قوله

* كلاهما حين جد الجري بينهما * قد اقلعا وكلا انفيهما رابي *

(والقوة الدامغة) اى الغالبة لغيرها من سائر اللغات واصل الدمغ الضرب على الدماغ ناريد به ماذكر من الغلبة والقهر يقال دمغ الحق الباطل اى ابطله ودمغت فلانا قهرته (والقدح الفالج) بكسر القاف وسكون الدال والحاء المهملتين واحد قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر التي كانوا يقامرون بها في الجاهلية ولها اسماء مشهورة ومنها ماله نصيب زائد ومنها مالا نصيب له والفالج بالفاء واللام والجيم بمعنى الفائز يقال فلج امره اى فاز وسعد اى لهذه اللغة شرف وفوز عند سامعها وقيل المراد ما انتجه الافكار واصابة لآراء وجودة الانظار وهو امر لا تعلق له بنفس الكلام والكلام فيه (والمهيع الناهج) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتية وهي الطريق الواسع والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك واصله السالك فتجوز به عن المسلوك كماء دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية واراد به سعة لغتهم وظهور دلالتها (لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم) قيل كان الاحسن الظاهر ان يقول لا يشك ببناء المجهول ليكون ابلغ وهذا من عدم معرفته بمقاصده فان هذا هو المناسب لما هو بصدده فان البليغ الفائق اذا كان هذا حاله كان له اقدام على المعارضة عند التحدي فلله دره ما ادق نظره والمراد انهم يعلمون ماجبلوا عليه من البلاغة والقدرة على ايراد كل كلام بليغ في مقامه على مايقتضيه حاله وسبكه في قوالبه ونظره لاساليبه المطاوعة له ومعرفته بذلك (والبلاغة ملك قيادهم) بكسر القاف وهو حبل تقاد به الدابة اى والبلاغة مملوكة لهم منقادة واصله ملكهم وفي قيادهم فعدل

عنه لما ذكره لانه ابلغ ففيه استعارة في الملك والقياد وهي اضافية على حد قوله مكر الليل يعني انهم متصرفون في افانينها من غير تكلف (قد حووا فنونها) اى جمعوا وحازوا انواع البلاغة واقسامها والفنون جمع فن (واستنبطوا عيونها) اى استخرجوا اخيارها ومحاسنها واصل معنى الاستنباط استخراج الماء من الابار والعيون النابعة فعيون هنا في موقعها وفيها تورية لايهامه لعيون الماء والمراد خيارها لان عين كل شيء خياره وليس من اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم (ودخلوا من كل باب من ابوابها) اى سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم باي عبارة ارادوها كالحقيقة والمجاز والكناية وبسط الكلام في مقام وايجازه في مقام آخر والتصريح والاخفاء وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها قصورا واسعة لها ابواب متعددة ولذا عقبه بقوله (وعلوا صرحا) وهو البيت العالي المزخرف بناؤه والبيت المنفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها (لبلوغ اسبابها) جمع سبب وهو كل مايتوصل به لشيء آخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو اى علوا قصر البلاغة ليصلوا الى مافيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة كمن يدخل قصر الملك فينال عند لقائه انعامه واحسانه وفيه ايماء لقوله تعالى ياهامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب الآية فما قيل ان الاحسن ان يقول صرح اسبابها تركه احسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة فوصلوا بها لكل ماارادوه فعبروا بعباراتهم لمقاصدهم واللام لام العاقبة هنا وفيه استعارة مكنية تخييلية للتشبيه مرتبة الاعجاز التي عجزوا عنها سماء لم يصلوا اليها (فقالوا) اى تكلموا بكلامهم البليغ (في الخطير) اى في الامر العظيم الذي له خطر اى شرف ومزية على غيره (والمهين) بفتح الميم اى الحقير من المهانة وهي الحقارة (وتفننوا) اى اتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين (في الغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة واصله اللحم المهزول الذي يكره تناوله فاستعير للامر القبيح والفاسد (و) ضده (السمين) وفي حديث ام زرع زوجي لحم جمل غث وفي المثل غثك خير من سمين غيرك وقد علمت ان فقالوا وقالوا في اكثر النسخ بالقاف من القول وفي بعضها فغالوا بالغين المعجمة وفتح اللام اى زادوا والاول رواية الانطاكي وفسره التلمساني بانشاد المديح والهجاء والمدح والذم او الجد والهزل وله وجه (وتقاولوا) تفاعل من القول اى ادار والكلام بينهم (في القل والكثر) بضم اولهما واجاز البرهان كسرهما اى القليل والكثير مدحا وذما وجدا وهزلا قيل وفيه نقل ولو قال في الكثير والنزر كان احسن واخف وانسب بقوله (وتساجلوا في النظم والنثر) والتساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير وسجلت الماء صببته ثم لما كانوا يتناوبون في سقي الماء استعاروا المساجلة للعطاء وللمفاخرة كما قال

* من يساجلني يساجل ماجدا *

يعلو الدلو الى عقد الكرب * وقيل الحرب سجال اى تارة يغلب وتارة يغلب (كما قيل

* فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر *

فالمراد انهم تناوبوا وتفاخروا وتعارضوا فى عد المآثر كما هو متعارف عندهم وليس المراد به المبارزة بان يدعو احدهما الآخر للقتال فيبرز من الصف كما قيل فانه لا وجه له هنا وهى جائزة لفعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم لها ومنعها بعضهم شرعا لما فيها من المخاطرة و التظلم والنزغى عن البيان (فما راعهم) اى بغتهم كذلك فجاءهم امر بغتة لم يكن لهم علم به ولم يطرق مسامعهم مثله وفى الاساس ماراعنى لا مجيئك اى ماشعرت الا به وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع (الا رسول كريم) بعث صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم (بكتاب عزيز) لا نظير له شريف وممتنع بحماية الله وهو استثناء مفرغ من عام مقدر اى لم يفجأهم ويفزعهم شئ سوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءهم من الله اتاهم بخلاف هواهم وعكس مناهم اذ كانوا يتوهمون ان رتبتهم فى البلاغة لا يفوقها كلام فاتاهم بكتاب اخرس شقاشقهم واصم اسماعهم والباء للمصاحبة اى مؤيد بكلام معجز (لا يأتيه الباطل) اى لا يأتيه باطل وامر فاسد بحسب العقل و الشرع او ما يبطله كالقدح والطعن المقبول (من بين يديه) اى قدامه وفى مقابلته (ولا من خلفه) اى وراء ظهره والمراد من جهة من الجهات فلا يجد سبيلا يوصله اليه وما وقع من المطاعن اضمحل وانمحق حتى صار كالعدم ولذا قال تعالى * لا ريب فيه * وقال تعالى * جاء الحق وزهق الباطل (تنزيل من حكيم) محكم لمصنوعاته وتدبيره لجميع مخلوقاته (حميد) محمود بحمده جميع الكائنات بلسان القال والحال (احكمت آياته) اى نظمت نظما محكما لا يعتريه فساد ولا خلل ومنعها الله تعالى وحفظها من التبديل والتحريف الذى وقع فى غيره من الكتب فهو من احكمت الدابة اذا وضعت فى فمها حكمة تمنعها الجماح او جعلت حكمية لاشتمالها على امهات الحكم النظرية والعملية من حكم بالضم اذا صار حكيما وآيات القرآن جمع آية وهى جملة كلمات من القرآن لها ابتداء ومقطع (وفصلت كلماته) اى فصل وبين ما فيها من الفوائد الجليلة كالعقائد الحقة والاحكام الشرعية والمواعظ والاخبار الصادقة او جعلت سورا وانزلت نجما نجما اوفرقت بين الحق والباطل وجمعت الوعد والوعيد (وبهرت) اى بلغت وادهشت (بلاغته العقول) جميعها بغرابة اسلوبها وحسن بديعها الذى اعجز البلغاء (وظهرت فصاحته) اى اتضحت كالشمس وسط النهار او علت وارتفعت مرتبة اعجازها (على كل مقول) اى كل كلام نظما ونثرا (وتظافر) بالظاء المشالة كما فى اكثر النسخ تفاعل من الظفر وهو الفوز ونيل الامانى (ايجازه) اى قلة الفاظه الوافية باداء المعانى من غير خلل (واعجازه) اى كونه فى اعلى مراتب البلاغة المعجزة للبشر

فالمعنى ان الايجاز اخذ من الاعجاز ما يليق به والاعجاز استوفى من الايجاز ما يحق له ففيه مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية فمن قال انه لم يجد فى كتب اللغة ما يفسره به فقد قصر وفى بعض النسخ بالضاد المعجمة اخت الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والاتيان بمثله من ضفر الحبل والشعر اذا جمع بعضه على بعض ليتقوى وهو مجاز مستعمل يقال تضافر القوم اذا تجمعوا وتعاونوا وقيل انه بالطاء المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب اى وثب كل منهما والمراد انهما بلغا الغاية فى بابهما والاوجه الثلاثة معانيها متقاربة فلا وجه لتصويب بعضها دون بعض (وتظاهرت حقيقته ومجازه) اى عضد كل منهما الآخر وقواه لما صار له ظهيرا ومستندا لما بينهما من العلاقة او تشابها فى الظهور لوضوح معانيه وظهور قرائنه كما لا يكون فى بعض المجازات من الخفاء والتعقيد (وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه) اى تشابهت وتساوت اوائله واواخره من قولهم فلان يبارى فلانا اذا فعل مثله والتبارى يكون بمعنى التسابق فى الجرى فالمعنى ان مطلعه وهو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته كفواتح السور والآيات وخواتمها يجارى كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى وهو عبارة عن تشابههما (وحوت كل البيان) اى ما ينبغى بيانه واظهاره (جوامعه) اى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة فى الفاظ قليلة (وبدائعه) اى ما ابتدع فيه مما لم يسبق مثله فى كتاب وكلام الله تعالى لا يقبل تحريفا ولا يخشى تصحيفا وكفى بالدهر مملا وبالذوق مستمليا (واعتدل) اى استقام من غير افراط ولا تفريط (مع ايجازه) وعدم تطويل لفظه (حسن نظمه) اى تناسب كلماته لفظا ومعنى وقلما يكون ايجاز كذلك وهذا من ادلة اعجازه وليس هذا مكررا مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدائعه كما توهم (وانطبق) اى وافق (على كثرة فوائده) اى معانيها التى تفيدها (مختار لفظه) اى لفظه المهذب الذى كانه انتخب ونقى وهذا من وجوه الاعجاز ايضا لان اللفظ الذى يفيد معانى كثيرة من الفصحاء يحتاج غالبا الى ترك الفاظ غير منقحة (وهم) اى فصحاء العرب من كل باد وحاضر (افسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا) اى اوسع يقال فسحت مجلسه فتفسح فيه ومنه فسحت له ان يفعل كذا اى وسعت له فهو فى فسحة مرة وما كانوا بمعنى اكوانهم فما مصدرية واضافة افعل للمصدر على التجوز كاخطب ما يكون الامير قائما والمجال محل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضمير راعهم ومجالا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل والمراد بالباب جنس البلاغة وجعله بابا لوصولهم به الى مقاصدهم اى جاءهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتاب المجيد ومجالهم فى غاية الاتساع وتفسير المجال بالاتساع وان كان ينبئ عنه

فيه تكلف (واشهر) اى اعظم شهرة وفى نسخة واشهرهم بالاضافة لضمير الناس (فى الخطابة) بفتح الخاء اى انشاء الكلام فى المحافل وقوله (رجالا) تمييز كالذى قبله واشهر معطوف على خبرهم اى ورجالهم من غيرهم فى هذا وليس المراد بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف كما يقال رجالات قريش لاشرافهم وليس هذا منافيا لقوله خصوا بالبلاغة والحكم بما لم يخص به احد من الامم لان اسم التفضيل يقتضى مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم لان اختصاصهم بما ذكر على ظاهره والتفضيل مجازى بان يكون على طريق الفرض كما فى حديث ما رأيت ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل منكن اذ الخطاب لجنس النساء او نقول انه على حد قوله الخل احلى من العسل اى انه فى حموضة اقوى من العسل فى حلاوته ولاسم التفضيل استعمالات اخر ذكروها فى المطولات (واكثر فى السجع) وهو الكلام المنثور الذى له فواصل مقفاة كالشعر وهو منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة واحدة ولذا لا يجوز اطلاقه على القرآن (والشعر) وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد (ارتجالا) اى تكلما به من غير فكر وروية وهو فى الاصل الانتصاب والقيام على الارجل فاطلق على التكلم قائما لانه كان عادة لهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفى كتاب بدايع البداية انه فى الاصل الانتصاب بسهولة ومنه شعر رجل وقيل هو من ارتجال البئر وهو ان ينزلها برجليه من غير حبل كالبديهة وهو من بدهه بمعنى بداه كما قالوا مدحه ومدهه الا ان الارتجال اسرع من البديهة وبعده الروية انتهى وفى نسخة واكثر فى الشعر والسجع سجالا والمراد بالسجال هنا المحاورة واصل معناه الدلو كما تقدم وقيل المراد به المفاخرة (واوسع فى الغريب) المراد به ما يستغرب من الكنايات والمجازات البديعة لتصرفهم فى الكلام وقيل المراد به ما يحتاج الى تفسير وتفتيش من كتب اللغة وهو بالنسبة الينا فان قلت هذا مما يخل بالفصاحة وسياق الكلام لمدحهم (قلت) قال ابن هلال فى كتاب الصناعتين انه ليس مخلا بها لمن كانت لغته من الاعراب والفصح من العرب العرباء فاطلاق اهل المعانى غير صحيح ولم ار من نبه عليه (واللغة مقالا) اللغة معناه الكلام ولكل قوم لغة ويكون اسما لعلم مدون يبين فيه معناها والمراد هنا الاول والمقال مصدر ميمى بمعنى القول يعنى ان لغة العرب اكثر من سائر اللغات لفاظا فقلما يكون معنى الا وله اسماء مترادفة حتى انه يوجد فى كلامهم ماله مائة اسم فاكثر وقد افردوه بالتأليف وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام من غيرهم فاذا اعجزهم القرآن فغيرهم يعلم عجزه بالطريق الاولى وعطف اللغة على الغريب من عطف العام على الخاص (بلغتهم التى بها يتحاورون) الجار والمجرور صفة كتاب او حال منه والتحاور ادارة الكلام والمراجعة فيه سؤالا وجوابا من الحور وهو التردد والضمير راجع للعرب وقيل لقريش لان القرآن نزل بلغتهم

فان كان ماقبله كذلك فلا اشكال فى كلامه (ومنازعهم) بفتح الميم والنون وزاى معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لغتهم من النزع وهو كالمد الجذب والاخذ والمنزع مصدر ميمى بمعنى النزع واسم مكان ويكون اسما للسهم الذى يرمى به يقال رماه بمنزع اى سهم بعيد المرمى قال * فهو كالمنزع المريش من الشوحط آلت به يمين المغالى * قاله فى الاساس قيل وهو المراد هنا لمناسبته لقوله (التى عنها يتناضلون) بالضاد المعجمة اى يترامون بالسهام يقال ناضلته وخرجوا يتناضلون ويتنضلون وتناضلت من الكنانة سهما اخترته ومن المجاز ناضل عن قومه اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخرة شبه الكلام الدائر بينهم فى المخاصمة والمفاخرة بالسهام واثبت له المناضلة تخييلا وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى انهم يتغالبون فى كلامهم نظما ونثرا فى حال المنازعة وهى المجاذبة فى الاعيان والمعانى وهو بعيد وابعد منه ما قيل ان المنزع ما يرجع اليه الرجل من رأيه وطريقته اى اتاهم الكتاب بما هو ديدنهم الذى لا يتركونه فاكبوا على مدافعته (صارخا بهم فى كل حين) حال من الكتاب او الرسول من الصراخ وهو الصياح والنداء بصوت شديد يسمع من بعيد اى مصرخا بدعوته فى كل وقت يتلو القرآن عليهم ويبكتهم ويدعوهم لمعارضته (ومقرعا) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المهملة وبعين مهملة اى معيرا وموبخا لهم من القرع وهو الضرب ومنه القرعة (لهم بضعا وعشرين عاما) سنة وهو بكسر الباء الموحدة وضاد معجمة ساكنة وعين مهملة وهو من الثلاث الى التسع من كسور العدد ويقال بضعة ايضا فى لغة قليلة وفيه اقوال اخر فى القاموس هذا اصحها ويستعمل مع العشرة ومافوقها الى تسعين ولا يختص ببعض العقود منها وهذه المدة مدة دعوته صلى الله عليه وسلم من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على رأس الاربعين وحياته بعده قيل عشرون وقيل ثلاث وعشرون وهو الاصح وقيل خمس وعشرون ولذا قال بضعا من غير تعيين العام والسنة بمعنى وقد تختص الثانية بالشمسية والاول بالقمرية ولذا اختاره لان بها حسابهم ولانها قد يعبر بها عن الشدة والقحط واعلم ان البضع ليس كصريح العدد فى انه يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر وما نقله فى القاموس عن مبرمان يرده ما فى الحديث الايمان بضعة وسبعون شعبة فلا يرد على المصنف ان الصواب ان يقول بضعة وعشرون كما قيل ولا حاجة للتأويل (على رؤس الملاء اجمعين) الرؤس جمع رأس وهو العضو المعروف الشريف السيد والملاء الجماعة وهو يختص بالاشراف ويقال كلمه على رؤس الناس وعلى رؤس الاشهاد اذا صرح بما يريده واشاعه لان من يريد ذلك يقوم فى المحافل مستعليا على رؤسهم اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل مظهرا الدعوة مدة بعثته منذرا لهم قائما عليهم بين اظهرهم

والجار متعلق بقوله مفترعا اوتنازعه مفترعا وصارمنا (ام يقولون افتراه) هذا حال ايضا اى قائلا وتاليا لهم ام يقولون الخ ولم يعطفه رعاية لنظم القرأن فيكون اقتباسا من مشكاة انواره والافتراء كالاختلاق الكذب والاستفهام انكارى توبيخى (قل) ان كان الامر كما زعمتم (فأتوا بسورة مثله) فى النظم والبلاغة فانه نزل بلغتكم وانتم فصحاء (وادعوا من استطعتم) اى كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على افتراء كلام يضاهيه (من دون الله) اى غير الله تعالى فانه القادر على كل شئ (ان كنتم صادقين) فى قولكم انه افتراء وهذا توبيخ وتقريع بتعجيزهم عن اقل مراتبه وليس مقابلا للسجعة الاولى كما قيل ثم انه اتى باية اخرى فى معناها فقال (وان كنتم فى ريب) فى شك وشبهة (مما نزلنا على عبدنا) اى نزل منجما بحسب الوقايع (فأتوا بسورة من مثله الى قوله وان تفعلوا) وقوله من مثله صفة سورة اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض اوللتبيين وزائدة عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقرأن فى البلاغة وحسن النظم اولعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يعلم العلوم اوصلة فأتوا والضمير راجع للعبد وهذه الآية ابلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم فى المستقبل بقوله وان تفعلوا والكلام على الآيات مما كفانا المفسرون مؤنته (وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرأن) نظما وبلاغة (لايأتون بمثله الاية) وهو جواب قسم مقدر ولذا لم يجزم ولم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لاينافى اعجازه فتأمل (وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) اى محض كذب واختلاق منكم وخص الكذب بالذكر لقوله (وذلك) اى طلب الاتيان بالمفترى تهكما وتقريعا (ان المفترى) اسم مفعول (اسهل) تلفيقا (ووضع الباطل اقرب) تناولا واروج تميقا ومع ذلك لم يقدروا عليه (واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب) لانه يلاحظ فيه ما فى الواقع ونفس الامر ثم يؤتى باللفظ على طبقه وترتيبه بحيث لايخرج عنه (والمختلق) بفتح اللام اسم مفعول بمعنى الكذب المفترى كما قال الله تعالى وتخلقون افكا وهو من الخلق بمعنى التقدير لانه امر مقدر فى النفس من غير نظر للواقع وقيل انه من الخلق وهو الثوب البالى لان الحق يزيد كل يوم جدة والكذب يزداد بلى (على الاختيار اقرب) المراد بالاختيار ضد الالجاء والاضطرار فان الصادق مضطر الى اتباع الحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد برا واسعا كما قال تعالى * الم تر انهم فى كل واد يهيمون * وقيل ههنا بحث وهو ان التحدى بقوله فأتوا بسورة الى آخره ان كان الاتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا وان كان بالاتيان بمثله وعلى صورته لفظا فلايخرج عن كونه مفترى وحينئذ يستوى الامران والذى دار فى خلدى ان ذكر مفتريات لمشاكلة قوله

افتراه تهكما وتقريعا لا لما قاله المصنف رحمه الله تعالى انتهى وليس بشئ لانا نختار الثانى وبقولهم انهم لعجزهم لايستويان وهو فى غاية الظهور فتدبر وضمن اقرب معنى اهون ولذا عداه بعلى كقوله تعالى وهو اهون عليه ولولا ذلك عداه بالى او اللام (ولذا) اى لكون المختلق اسهل واقرب من الحق الصحيح عبارة (قيل) اى قال الادباء ومن لهم دربة فى صناعة الصياغة للكلام (فلان) اى المنشئ لرسائل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحاء (يكتب كما يقال له) اى كتب فى شان امر واقع لرسالته ففتق اكمام الكلام عن زهر المعانى الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها فى نادى البراعة (وفلان) ممن ينشئ المقامات (يكتب كما يريد) من كل ما يطرؤ على خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة كما حكى عن بديع الزمان انه رتب له مراتب بين كتبة الديوان فلم يقدر على كتابة الرسائل فلما اخبر الصاحب بذلك قال دعوه فانه يكتب كما يريد لا كما يراد وحكى مثله عن الحريرى ايضا (وللاول) الذى يكتب كما يقال له (على الثانى) وهو الذى يكتب كما يريد والمراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وان لم يكتب (فضل) اى زيادة شرف ورتبة (وبينهما شأو) اى مسافة ومدى (بعيد) والشأو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وقد تبدل الفا وبالواو بمعنى السبق والغاية والامد فتجوز به عن المسافة ثم كنى به عن التفاوت الزائد (فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعهم) اى يعيرهم ويعيبهم ويشنع عليهم لما تحداهم بالقرأن (اشد التقريع) لانذارهم بالهلاك والعذاب الاليم (ويوبخهم غاية التوبيخ) هو بمعنى ماقبله لكن المقام مقام اطناب وخطاب يحسن فيه مثله (ويسفه احلامهم) اى يصفهم بالسفه وهو قلة العقل وخفته والسفه الخفة والاحلام جمع حلم بضمتين وضم فسكون وهو العقل (ويحط اعلامهم) بحاء مهملة مضمومة واعلام جمع علم بفتحتين وهى الراية الكبيرة والجبل والسيد والاسم المختص والكل محتمل هنا اى ينكس راياتهم ويهد جبالهم ويذل ساداتهم ويزرى بالتيامهم والمعنى على كل حال انه يحقرهم ويقهرهم بطعنه فيهم واظهار ضلالهم وسوء حالهم (ويشتت نظامهم) اى يفرق جمعهم ويبطل آراءهم بجداله وجلاده والنظام ماينتظم به الدرر ونحوها والتشتيت التفريق كما مر فاستعير لما ذكر (ويذم آلهتهم) اى اصنامهم التى عبدوها فى الجاهلية (وآباءهم) الذين اقتدوا بهم فى الكفر وقالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون والآباء بالمد جمع اب (ويستبيح ارضهم وديارهم) يجعلها مباحة للمسلمين باستيلائهم عليها واجلائهم عنها (واموالهم) ماملكوه من الاثاث والمواشى وغيرها (وهم فى كل هذا) المذكور من التوبيخ والتسفيه وما بعده الى استباحة الاموال والديار (ناكصون) يقال

نكص على عقبيه اذا احجم وتأخر فاستعير للاعراض عن معارضته فيما فعله وما اتى به للقرآن (عن معارضته) والاتيان بمثله والجملة حالية من الضمير قبلها (محجمون عن مماثلته) اى عن الاتيان بشئ مماثل اقصر سورة منه لما تحداهم واحجم كنكص بمعنى تأخر وهو كناية عن عدم القدرة يقال حجمته فاحجم وهو من النوادر ككثل كببته فاكب (يخادعون انفسهم) اى يمنون انفسهم امانى كاذبة و يؤملون آمالا فارغة و يمكرون مكرا يعود عليهم بالوبال فكانهم بذلك خادعوا انفسهم فهو كقوله تعالى وما يخدعون الا انفسهم وتحقيقه فى الكشاف وشروحه (بالتشغيب) وهو تهييج الشر والفتن من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها (والتكذيب) اى بادعائهم كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من الحق الذى لامرية فيه وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له آمالا تحثه على اتباع الباطل وهو تعسف لاوجه له والذى غره قوله (والاغراء بالافتراء) هكذا فى النسخ الصحيحة بغين معجمة وراء مهملة ومدة وفى بعضها الاغتراء افتعال منه وقال التلمسانى صوابه الاغراء بغير تاء وهو المولع بالحث والتحريض قال تعالى فاغرينا بينهم العداوة اى الزمناها اقول قال بعضهم اصله من الغراء الذى يلصق به وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما فى القاموس من انه يقال اغتراه اذا الصقه والمصنف اجل من ان يوهم فى اللغة فانه قدوة فيها ولاحاجة الى انه لمشاكلة الافتراء والافتراء الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال تفيد مبالغة ليست فى المجرد كما قرروه فى قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (وقولهم) بالجر معطوف على التكذيب (ان هذا الا سحر يؤثر) اى ينقل و يروى عن السحرة كاهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه الاية ان الوليد لما سمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم حم السجدة قال سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل لعنه الله انا اكفيكموه فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام احماه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه يكهن وانه شاعر هل رأيتموه قال شعرا قالوا لا فقال ماهو الا ساحرا ما رأيتموه يفرق بين المرء واهله وولده فاهتز النادى فرحا و يأتى ذلك كله مبسوطا واعلم ان السحر كما نقله الاكفانى فى ارشاده قد صنف فيه كتب كثيرة اكبرها غاية الحكيم للمجريطى وهو حقيقى وغير حقيقى يقال له الاخذ بالعيون والى القسمين الاشارة بقوله سحروا اعين الناس وقوله واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ولما خفيت اسبابه اختلفت طرقه فطريقة الهند تصفية النفس وتجريدها لانهم رأوه افعالا تصدر عن النفس وطريق النبط عمل اشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة فى وقت مناسب وتلك الاشياء تماثيل وتصاوير وعقد ينفثون فيها وكتابة تدفن او تعلق

فى الهواء وتحرق والعزائم تضرع للكواكب المؤثرة عندهم وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب دون اجرامها فى وقت خاص وطريق القبط والعبرانيين والعرب الاعتماد على اسماء وعزائم مجهولة لانهم يخاطبون بها حاضر الاعتقاد انها تصدر عن الجن بتسخير الملائكة وانواعه ثلاثة الاستخدام والاستنزال والاستحضار وتكون يقظة بتوسط تلبس الروح ببدن منفعل ينطق بلسانه كصبي وامرأة حال غيبته عن الحس و يختص باسم الاستحضار فان كان مناما اختص باسم الجلبان انتهى ملخصا (وسحر مستمر) اى دائم باق لما رواه من تتابع الوحى غضا طريا او محكم متقن واصله من مر الحبل وهو فتل مرائره وهى طاقاته او ذاهب غير قار من المرور او مستبشع مر المذاق (وافك افتراه) اى كذب اخترعه واختلقه والافك اسوأ الكذب (واساطير الاولين) اى شئ اخذه مما سطره الاولون وزخرفوه وهو جمع سطر اى صنف من الكتابة على خلاف القياس وقال المبرد انه جمع اسطورة كارجوحة واراجيح على القياس اوله مفرد مقدر كاسطارة واسطيرة وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة وفيه نزلت الاية وقتل يوم بدر (والمباهتة) بالجر عطفا على التكذيب وهى بمعنى البهتان وهى الكذب الذى يبهت ويدهش سامعه وكذا قوله (والرضاء بالدنية) بالهمزة وتبدل فتدغم ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التى لا يرضى بها من له عقل ومروة وفسرها بقوله (كقولهم قلوبنا غلف) لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم وهو امر مذموم لا يرتضيه العقل وهو جمع اغلف اى فى غلاف يقال سيف اغلف فهى بمعنى فى اكنة جمع كنان بزنة كتاب غطاء ومعناها مغطاة وغلام اغلف بمعنى اقلف والغلفة القلفة وقيل انه جمع غلاف واصله غلف بضم اللام ككتب وبه قرئ ثم خفف بالسكون اى هى اوعية للعلم مملوءة به فلا تحتاج للتعلم منك وعلى الاول معناه لا نفهم ما تقول ولا تصل الينا وهذا هو الملائم لكلام المصنف ولقوله (وفى اكنة مما تدعونا اليه) وهو القرآن والايمان (وفى آذاننا وقر) اى صمم واصل معناه الثقل والحمل (ومن بيننا و بينك حجاب) اى مانع عن وصول ما يقوله لنا وفى من اشارة الى انه مبتدأ وانه استوعب المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ وهو تمثيل لنبو قلوبهم عن ادراكها ما دعاه له ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له (و) قال الذين كفروا (لا تسمعوا لهذا القرآن) اى لا تصغوا وتنصتوا له (والغوا فيه) بفتح الغين المعجمة وضمها من لغى يلغى ويلغو والاول اصح وهو المقروء به والمراد هنا رفع الاصوات باى كلام كان حتى يشوش على قاريه فيقطع قراءته او يمنع من استماعه ولغو الكلام ما لا يعتد به وهو من اللغا وهى اصوات الطيور يقال لغى لغوا ولغا وقد يسمى كل

كلام قبيح لغوا قال تعالى لايسمعون فيها لغوا اى قبيحا كما قاله الراغب وانما فعلوا هذا لعجزهم عن معارضته (لعلكم تغلبون) قاريه بقطع قراءته فغلبتهم انما هى بالجهل والسفه كما هو شان العاجز المعاند ومثله دنية لاترضى (والادعاء) مجرور كالذى قبله (مع العجز بقولهم لونشاء لقلنا مثل هذا) وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ولواستطاعوه مامنعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع اسئنكافهم من ان يغلبوا خصوصا فى الفصاحة وقائل هذا هو النضر بن الحارث ايضا لكنه اسنده الى الجميع كاسناد فعل الرئيس الى المرؤسين اوعلى حد قولهم بنوافلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم (وقد قال لهم الله تعالى) مكذبا لهم (وان تفعلوا) فنفى قدرتهم فى المستقبل فلوقدروا لحمية هم فعلوا ولم يقل فلن تأتوا بسورة من مثله لمافيه من الكناية والايجاز (فمافعلوا ولاقدروا) نفى الفعل ظاهر والقدرة فى الانسان قوة غير محسوسة فنفيها يعلم من انهم وبخوا وعيروا فلم ينطقوا ببنت شفة مع شدة غيرتهم واشتعال نار حميتهم (ومن تعاطى ذلك) اى فعله وتكلم بما توهمه معارضة واصل معناه المناولة (من سخفائهم) ممن له طيش وقلة عقل (كمسيلمة) تصغير مسلمة فلامه مكسورة وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه وهو خطأ منهم والضمير للعرب وهو كذاب يضرب به المثل فيقال اكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب اليمنى من بنى حنيفة قبيلة وهذا لقبه واسمه هارون ويقال له ابوثمامة وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه وقيل قتله وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنه وكان له حيل ونيرنجات يوهم انها معجزات وارسل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا صورته من مسيلمة رسول الله سلام عليك اما بعد فانى قد اشركت معك بان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا يعتدون علينا (فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكتب اليه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين انتهى ومن هذيانه الذى زعم انه وحى نزل عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدعين الى كم تنعين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين الى غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع (فكشف عواره) وفى نسخة بدون فاء واثباتها احسن اى اظهر مما قاله من الكلام السخيف الركيك عيبه وحماقته وهو بضم العين المهملة بزنة غراب على الافصح وآخره راء مهملة وبفتح العين ايضا وقيل انها الافصح (لجميعهم) اى العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب الدلائل منه كلاما كثيرا وشرحه ولاحاجة لتسويد وجه الصحف به والعوار مأخوذ

من عور العين وفيه اشارة الى مانقل من انه مسح عين من استشفى بمسحه فابيضت عينه (وسلبهم الله) اى اخذ منهم والضمير لمن وجمع نظرا لمعناه (ماالفوه) اى اعتادوه بطباعهم (من فصيح كلامهم) بيان لما اى لما رادوا المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قبله وليس هذا قولا بالصرفة كما توهم لان من فعل هذا ليس له صرفة وهذه الجملة معطوفة على جملة مافعلوا وليست الواو للمعية ولاحالية كما قيل (والا) اى وان لم يسلبهم الله فصاحتهم المألوفة (فلم يخف على اهل الميز) بفتح الميم وسكون التحتية والزاى المعجمة اى التميز والعقل وزاد الفاء فى الجواب لانه ماض لفظا ومعنى او بتقدير المبتدأ اى فهم لم يخف الى آخره ووجهه دفع توهم كون الاستثنائية فاندفع ما قيل ان الصواب اسقاطها لصحة مباشرته للشرط يقال مازه يميزه اذا ميزه اى لونظر تلك الجمل ومازها ظهر انه كلام ماراق ومازهى (انه ليس من نمط فصاحتهم) بفتحتين ونون وميم وطاء مهملة اى من نوع الفصاحة وعلى طريقتها التى اعتادها فانه معجز خارق عن طوق البشر وضمير انه للقرآن يقال عندى متاع من هذا النمط وهذا ابلغ من ليس فصيحا لانه نفى عنه كونه من جنسه (ولاجنس بلاغتهم) لركاكته وقباحته (بل ولوا عنه مدبرين) اضراب عن مثله ومدبرين اى معرضين حال مؤكدة لولوا بمعنى رجعوا واعرضوا (وأتوا مذعنين) بذال معجمة وعين مهملة اى منقادين مسلمين والاذعان الانقياد واما اطلاقه على العلم فى قولهم اذعان السنة تصديق فمولد ليس من كلامهم (من بين مهتد) اى مصدق بحقيقته واعجازه لهداية الله تعالى له (وبين مفتون) متحير فى امره منكر لاعجازه وفيه لف ونشر مشوش (ولهذا) اى لكونه ليس من نمط كلامهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية) لما سأل له ان يقرأ عليه شيئا من القرآن لينظر فى امره وقرأ هذه الاية عليه دون غيرها لمناسبتها له لانه من اقاربه وفيها عظة له وتنبيه وهو من رؤساء عقلائهم فرجا بذلك ان يهديه الله للاسلام قال السيوطى وهذا الحديث رواه البيهقى عن عكرمة مرسلا وفى المقتفى فى الاحياء فى آداب تلاوة القرآن حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية فقال اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الى آخر ما ذكره المصنف هنا وكذا ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وكذا ذكر ابن اسحق فى سيرته فان صح فهما قضيتان والوليد والد خالد بن الوليد والمغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة هو ابن عبد الله

المخزومى وباقى نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة (قال) لما سمع ما تلاه عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والله ان له) اى لما تلا (حلاوة) اى عذوبة فصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما يستلذه السمع (وان عليه لطلاوة) بضم الطاء ويجوز فتحها لغة ومشاكلة وتكسر ايضا فهو مثلث ومعناها الحسن والقبول والرونق وجاء بمعنى السحر ايضا وهو استعارة كالذى قبله واكده بالقسم وان والاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة الى انه لايشبه غيره من الكلام (وان اسفله لمغدق) بلام التوكيد وضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر الدال المهملة كما فى النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء ورواه ابن اسحق وان اصله لمعذق وان فرعه لجناة والعذق فيه بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة هو النخلة التى اصلها ثابت ورواه ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق بفتحتين قال السهيلى ورواية ابن اسحق افصح لانها استعارة تامة فيها اجراء الكلام لشبه اوله والجناة بفتح الجيم والنون الثمرة (وان اعلاه لمثمر) اى له ثمر طيب كثير والجملة الثانية بتمامها استعارة تمثيلية والمراد انها كلام اصله قوى ليس من جنس كلام البشر ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء او استعارتان تمثيليتان واراد باسفله ما تضمنه من المعانى كما يقال تحت هذا الكلام معان غريزة وان اراد باعلاه ما ينتجه من الفوائد والعوائد التى تظهر من فهم معانيه وتيقنها فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة شربت عروقها ماء غريزا فاهتزت وربت وانبعث ثمرتها وكثرت وعذبت ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية قلت اختلاف الروايات يدل على تعدد القضية ثم بنى على هذا قوله (ما هذا بقول بشر) لانه لايشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفى نسخة ما يقول هذا بشر بصيغة المضارع اى ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع اسلوبه وبلاغة معانيه وجزالة مبانيه يعنى انه ليس مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا فهو معجز الجن ايضا مع ان فى هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال وليس بشعر فافيكم رجل اعلم بالشعر منى ولا اعلم برجزه ولا بقصده منى ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته كما رواه البيهقى فى الدلائل ثم انه روى الفريرى ان القارى على الوليد عثمان بن مظعون لا النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه المصنف رحمه الله تعالى فان عثمان رضى الله تعالى عنه قال ما اسلمت ابتداء الاحياء من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزلت ان الله يأمر الآية وانا عنده فاستقر الايمان فى قلبى فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخى اعد الى آخر الحديث وهذا يؤيد ما سبق من تعدد القضية (وحكى ابو عبيد) القاسم بن سلام بتشديد

اللام الامام فى الفقه والحديث واللغة البغدادى الحبر الهمام الجليل اخذ عن الشافعى وغيره وكان عبدا روميا لرجل من هراة واحواله وترجمته معروفة توفى سنة اربع اوثلاث وعشرين ومائتين (ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر) واعرض عن المشركين اى اجهر بما امرت بتبليغه ولاتبال بما يقولوه وما موصولة او مصدرية واصل معنى الصدع التفريق والتمييز فاستعير لما ذكر لتفريقه بين الحق والباطل وما قيل من انه لايجوز ان تكون مصدرية لانه بمعنى امرك وهو مصدر مبنى للمفعول والصحيح عدم جوازه ولا موصولة لانه يحتاج لتقدير العائد اى تؤمر به ولا يجوز الا اذا جر بما جر به الموصول واتحدا متعلقا والاول متعلق باصدع والثانى بتؤمر سهو من قائله وان سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف فى المصدر الصريح لا فى ان والفعل كما فى هذه الآية ولانه انما حذف العائد بعد حذف الجار ونصبه (فسجد) الاعرابى لما ادهشه من بلاغته (وقال سجدت لفصاحته) اذ ليست آية سجدة وانما هزه العجب لفصاحته حتى ذل ومرغ وجهه فى التراب وكان هذا معروفا فى مثله حتى قال بعضهم للشعر سجدات وليس المعنى سجدت لله لاجل فصاحته كما توهم وضمير فصاحته للكلام المقرو لا للقارئ كما توهم لانه لايناسب المقام (وسمع اعرابى (آخر رجلا يقرؤ) قوله تعالى (فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا) اى لما يئسوا من يوسف عليه الصلوة والسلام وزيدت السين والتاء للمبالغة فى اليأس وخلصوا بمعنى اعتزلوا وانفردوا ونجيا بمعنى متناجين فى تدبير امره وهو يطلق على الواحد المذكر وغيره (فقال اشهد ان مخلوقا لايقدر على مثل هذا الكلام) لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر فانك اذا وزنت قولك لما لم يطمعهم يوسف عليه الصلوة والسلام ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيم يقولون بعد هذا وكيف يرجعون لابيهم بهذا النظم عرفت بالذوق انه لامناسبة بينهما ولولا خوف السآمة فصلنا وجوه البلاغة فيها (وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان نائما بالمسجد) اى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله نائما مضطجعا لينام فانه يستعمل كثيرا بهذا المعنى لقوله (وعلى رأسه قائم) اى فى جانب رأسه رجل منتصب القامة وليس المراد انه واطئ لرأسه وهو حقيق قد عرفته فى مثله والجملة حالية والضمير لعمر رضى الله تعالى عنه وفى نسخ فاذا هو بقائم على رأسه فاذا فجائية والباء للملابسة (يتشهد شهادة الحق) اى يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (فاستخبره) اى طلب عمر رضى الله تعالى عنه الاخبار عن سبب تشهده وعن حاله (فاعلمه) ذلك الرجل المتشهد (انه من بطارقة الروم) بطارقة جمع بطريق بكسر الراء معرب بترك ومعناه الرئيس وقائد الجيش وقد تكلمت به العرب قديما قال الجواليقى فى كتاب المعرب البطريق بلغة الروم وهو القائد للجيش وجمعه بطارقة

وقد تكلموا به ولما سمعت العرب بان البطارقة اهل رياسة وصفوا الرئيس به يريدون المدح قال ابو ذؤيب

* هم رجعوا بالعرج والقوم شهد * هوازن تحدوها حماة بطارقة *

انتهى وهذا يقتضى ان بطريق هو المعرب وهو المعروف وقال ابن خالويه فى كتاب ليس البطرك معرب بطريق عربته العرب قديما قال

* يعلو الظواهر فرد فى التلال له * كبطرك قد مشى فى غبط كتان *

وهذا مما يتعجب منه فحرره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم بن عيصو بن اسحق وكان اصفر فلذا قيل لهم بنو الاصفر والواحد رومى وقول الجوهرى رامى غلط منه (ممن يحسن كلام العرب وغيرها) من العبرانية والسريانية والرومية وانما قال هذا توطئة لانه يفهم القرآن والانجيل ويقدر على النظر فى معانيهما ولذا قال (وانه سمع رجلا من اسارى المسلمين) بضم الهمزة وفتحها جمع اسير واصله من الاسر وهو الشد بالقيد ثم عم لكل من اسر وصار فى يد عدوه (يقرأ آية من كتابكم) ايها المسلمون يعنى القرآن (فتاملتها) اى نظرت بفكرى فى معناها (فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم) عليه الصلوة والسلام فى الانجيل (من احوال الدنيا والآخرة) بيان لما اى من الاحوال التى تلزم العبد فى الدنيا التى هى سبب الفوز والنجاح فى الآخرة (وهى) اى الآية التى سمعها (قوله) عز وجل (ومن يطع الله ورسوله) فى امره مما فرض وسن ونهيه عن غيره (ويخشى الله ويتقه) اى يخافه ويتجنب ما تستوجب عقوبته (فاولئك هم الفائزون) بسعادة الدارين وقوله جمع بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل ويقرأ بالافراد فاعله ضمير رجل وقيل انه روى يقرؤن بضمير الجمع للاسارى وهو محتاج للتكلف (وحكى الاصمعى) بصاد مهملة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبد الملك بن قريب بالتصغير ابن اصمع وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة والنحو والادب والنوادر ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفى بها سنة عشر ومائتين (انه سمع جارية) اى امرأة شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح (فقال لها قاتلك الله ما افصحك) تعجب من فصاحة لسانها وبالغ فى تعجبه فانها تقال لمن اتى بامر بديع غريب وهى فى الاصل جملة دعائية يراد بها شدة الاستحسان كانه ممن يستحق ان يحسد ويدعى عليه (فقالت اوتعد) بفتح الهمزة الاستفهامية والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تأخير او داخلة على مقدر معطوف عليه ويعد بالياء التحتية مجهول او الفوقية معلوم (هذا) الكلام (فصاحة) اى فصيحا (بعد قول الله) اى مع فصاحة القرآن لايقال لكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه ازرى بكل فصاحة فصيرها كالعدم كالمتاع النفيس اذا نشر بجنب ما هو اعظم نفاسة منه فانه يعد غير نفيس كما قيل

* ولا قبيح فيها غيران جمالها * يصير كل الغانيات قباحا * (واوحينا الى ام موسى) اى الهمناها او اريناها مناما (ان ارضعيه الآية) اى فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع فى آية واحدة بين امرين) ارضعيه والقيه (ونهيين) لاتخافى ولاتحزنى (وخبرين) اوحينا وخفت عليه (وبشارتين) رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين والمراد بالفصاحة هنا البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبد القاهر (فهذا) اى الجمع بين ماذكر فى آية واحدة (نوع من اعجازه) اى القرآن (منفرد بذاته) اى مستقل بنفسه غير محتاج لغيره (غير مضاف لغيره) اى غير تابع لنوع غيره من البلاغة (عن التحقيق) لما فى الواقع عند من عرفه (والصحيح من القولين) بالجر معطوف على التحقيق والظاهر ان مراده بالقولين هنا كما قاله بعضهم القول بان اعجاز القرآن هل هو بمجموع بلاغته واسلوب نظمه او هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراده بدون اضافة احدهما الى الآخر فان كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر وهذا هو المتبادر من سياقه وقيل والمراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التى لايرتقى احد الى مرتبتها والقول بانه معجز بغير ذلك كالصرفة والاخبار بالمغيبات ولاشك فى ان من يقال باعجازه لبلاغته واسلوبه يقول ايضا انه بالنظر لمعناه ايضا اذلايمكن قطع النظر عنه كما قاله العلامة الزركشى فى برهانه اذ قال اكثر المحققين على ان اعجازه من جهة البلاغة لكن تعذر الاحاطة بتفصيلها فان اجناس الكلام مختلفة ومراتب البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل والفصيح القريب السهل والجائز الطلق الرسل فهذه اقسامها المحمودة والاول اعلاها والثانى اوسطها والثالث ادناها وقد حازت بلاغة القرآن من كل شعبة فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والمتانة والجزالة يعالجان الزعورة فكان اجتماعهما فضيلة خص بها القرآن ليكون آية مبينة وانما تعذرت على البشر لان علمهم لايحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها وافهامهم لاتدرك جميع معانيها ووجوه نظمها فيتخيروا احسنها حتى يأتوا بمثله وانما يقوم الكلام بلفظ حامل ومعنى عليه قائم ورباط لهما ناظم فاذا تأملت القرآن وجدته استوفى ذلك كله ورقى لاعلى درجاته وهذا لايتيسر لغير العليم القدير فانما صار معجزا لانه جاء باحسن الالفاظ وابدع النظم والتأليف واصح المعانى من الدعاء للتوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها واضعا كل شئ فى موضعه بحيث لاترى محلا اولى من محل مودعا فيه مثلات اخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة ازمانها جامعا للحجج والمحتج له والمؤكدة للزوم ما دعا له ولاشك ان استيفاء هذه الامور منسقا احسن نسق لايمكن

لغيره عز وجل (وكون القرآن من قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة واللام اى من عنده قال الله تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ويستعار للقوة والقدرة على المقابلة اى المجازاة فيقال لا قبل لى بكذا ومنه قوله بجنود لا قبل لهم بها والمراد كونه بلغه فقوله (وانه اتى به) عطف تفسير فليس المراد انه كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم (معلوم ضرورة) لتواتر وتوفر الدواعى على نقله (و) كذا (عجز العرب عن الاتيان به) اى بمثله (معلوم ضرورة) لمشاهدتهم له (و) كذا (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (متحديا) اى طالبا منهم الاتيان بمثله (معلوم ضرورة) لسماعهم له (و) كذا (كونه فى فصاحته) فى سببية مستعارة استعارة تبعية بتشبيه السبب بالظرف المتمكن فيه (خارقا للعادة) اى مخالفا العادة فصحاء العرب فى كلامهم الفصيح من قولهم خرق الصف اذا تجاوزه وتعداه (معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة) اى انواعها ومقاماتها المقتضية لها لعجزهم عن معارضته وقد طلب منهم ذلك مرارا لا تحصى وهم احرص الناس على ذلك (وسبيل من ليس من اهلها) اى طريق من ليس من اهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم (علم ذلك) اى الاعجاز واسم الاشارة قائم مقام الضمير (بعجز المنكرين من اهلها) لاعجازه وانه ليس من كلام البشر اذا تحدوا (عن معارضته) والاتيان بمثله وعن متعلق بعجز (واعتراف) هو فى الاصل افتعال من المعرفة صار بمعنى الاقرار بما عرفوه فقوله (المقرين) بانه كلام الله المعجز من اقامة الظاهر مقام الضمير (باعجاز بلاغته) لهم ولغيرهم عن ان يزفوا بنت شفة الا من غلب عليه السفه وتعلق هذا بما نحن بصدده اظهر من الشمس وانكاره مكابرة وقوله سبيل مبتدأ وعلم بزنة مسك خبره مصدر علم يعلم والمبتدأ معرفة باضافته لمن الموصولة والخبر باضافته لاسم الاشارة ولارباب الحواشى هنا خبط يتعجب منه فمنهم من قال انه علم مجرور بدل من من الموصولة وذلك مفعوله وبعجز الى آخره خبره اى سبيل علم من ليس اهلا لذلك اى كونه خارقا للعادة وهو بعجز الى آخره واعجب منه قوله ان علم بفتح العين وسكون اللام بمعنى علامة من علمت شفته اذا انشقت فهو اعلم وبعجز متعلق بمقدر وقيل علم فعل ماض مبنى للمجهول او للمعلوم وهو تخليط لا داعى له ثم ذكر آيات استوضح بها ما قدمه فقال (وانت اذا تأملت) اى امعنت النظر ودققته كمن ينظر لماله فيه امل وانت فاعل فعل مقدر يفسره ما بعده على حد قوله تعالى اذا السماء انشقت ان منع ادخولها على الجمل الاسمية (قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة) وما اودع فيه من البدايع الروايع مع لطائف الايجاز وانوار الاعجاز الساطعة من مشكاته ورسوخ عروقه فى الفصاحة وحلاوة ثمرات بلاغته

فى الذوق وما اشتمل عليه من بديع البديع كالاعراب بجعل القتل الذى هو ضد الحياة ظرفا لها لان من علم انه اذا قتل اقتص منه كف عنه فكان سبب الحياة من يهم بقتله وهو اوجز مما عدوه من افصح كلامهم وهو قولهم القتل انفى للقتل مع ما فيه من التكرار والقتل مطلقا لا ينفيه نفى القصاص تصريح بالمعنى المراد اذ القتل قد يكون ظلما وفيه كلام وفوائد كثيرة فى شروح الكشاف والمفتاح والثمرة تدل على الشجرة ولا اقول البعرة تدل على البعير لما فيه من نجاسة سوء الادب (وقوله ولو ترى اذ فزعوا) من حلول الاجل اومن بعثهم من القبور اوفى يوم بدر (فلا فوت واخذوا من مكان قريب) اى من ظهر الارض الى بطنها اومن الموقف الى النار اومن صحراء بدر الى قليبها ففى هذه الآية من الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ ما يعرفه من له بصيرة (وقوله تعالى (ادفع بالتى هى احسن) اى ادفع سيئة من اساء اليك بالحسنة التى هى احسن من كل شئ حسن او باحسن ما يمكن دفعه ولا حاجة الى القول بان احسن بمعنى حسن وعدل عنه للمبالغة فانظر ما فى هذه الآية من الايجاز بحذف مفعول احسن وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن واطف المعنى وما تضمنه من المبالغة ومكارم الاخلاق وهذا كقولهم احسن الى من اساء كفى المسئ فعله وفى طى ذكر السيئة نكتة سنية واما دعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع السائل وتكلف المناسبة بينهما وبين قوله (وقوله تعالى (وقيل ياارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى) فبعيدة بمراحل وتكلف من غير طائل وفى هذه الآية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه ناداهما كما ينادى العقلاء وامرهما بما يؤمرون به تمثيل لباهر قدرته وعظمته لانقيادهما لما اراد كالمأمور المطيع المبادر للامتثال حذرا من سطوة امره والبلع استعارة الجفاف والاقلاع الامساك وفيها لطائف اخر مفصلة فى شرح المفتاح (الآية) وتمامها وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين (وقوله) تعالى (فكلا) ممن ذكر قبله من المكذبين (اخذنا بذنبه) اى عاقبناه به (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اى ريحا عاصفة فيها حصباء وهى الحجارة الصغيرة او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط عليه الصلاة والسلام (الآية) وتمامها ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا والاول قوم ثمود ومدين والثانى قارون والثالث قوم نوح وفرعون وفى الآية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن السبك والنظم والاعلام باحوال من مضى للاعتبار والايجاز والانسجام الرائق (واشباهها) اى ما يضاهى ما ذكر فى البلاغة ووجوه الاعجاز (من الاى) اسم جنس جمعى ككلم وكلمة او اسم جمع وهو منصوب معطوف على مفعول تأملت ثم اضرب بيانا لانه لا ينحصر فى آيات مخصوصة مشيرا الى وجوه من الاعجاز فيها فقال (بل اكثر

القرأن) وجواب اذا قوله (حققت ما بينته) لك آنفا (من ايجاز الفاظهـا وكثرة معانيها) مع لطائف ودقائق (و) لطائف (ديباجة عبارتها) قيل معنى الديباج نوع من الحرير له وبر يقال فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب فاصله ديباز يدفيه الجيم كما يقال فى قولون وهو من الامراض قولنج ثم استعير فقالوا ديج المطر الارض اذا زينها بالنبات والرياض وفلان يصون ديباجته اى خده وفى ضده يبتذلهما ومنه اخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لاوله والحواميم ديباج القرأن اى رياضه التى يرتع فيها القارى فالمراد حسن عبارته ففيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت العبارة بحمى واثبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كنى به عما مر (وحسن تأليف حروفها) حيث كانت سالمة من التنافر والثقل (و) حسن (تلاءم كلمتها) بالهمزة وقد تبدل ياء فيقال تلايم وملايمة اى مناسبة وموافقة واما ابدالها واوا فهو خطأ من رسم الهمزة بالواو لان الملاومة مفاعلة من اللوم فقراءة بعض المحدثين له بالواو لحن يعنى لبس فيه تعقيد ولاضعف تأليف وتنافر كلمات (وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة) اى فيها معان كثيرة وفوائد عزيزة وجعل مايدل عليه تحته تجوزا (وفصولا جمة) اى انواعا كثيرة من محاسن الكلام كما يقال جعل الكلام فصلا فصلا والجم الكثير وغاير بينهما تفننا كقوله (وعلوما زواخر) بزاى وخاء معجمتين ثم راء مهملة اى علوما كثيرة كالبحار الزواخر من زخر البحر اذا كثر ماؤه وارتفعت امواجه ففيه مكنية وتخييلية ويجوزان يكون تشبيها بليغا واستعارة مصرحة وزواخر ممنوع من الصرف ومافى بعض النسخ من تنوينه للتناسب لاوجه له (ملئت الدواوين) اى امتلأت كتب التفسير وغيره من الفنون (من بعض ما استفيد) بالبناء للمجهول اى اخذه كل باحث عنه بحسب فهمه واذا املاها بعضه فكله لايمكن حصره ولايحويه كتاب كما قال الله تعالى قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ودواوين جمع ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام عليه (وكثرت المقالات) اى كلام الائمة والمصنفين (فى المستنبطات عنها) اى فى المعانى والاحكام المستخرجة بطريق الاشارة والدلالات الالتزامية وهو من قولهم استنبط الماء من البئر اذا استخرجه فالمستفيد هو مادل عليه صريحا وما استنبط غيره (ثم هو) اى القرأن وعطفه بثم للتراخى رتبته عما قبله (فى سرد القصص الطوال) اى ذكرها فى اثنائه مستعار من سرد الدرع لنسجه (واخبار القرون السوالف) معطوف على القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف الامم المتقدمة على عصر النبوة من سلف بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان مختلف فيها والمراد اهله (التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام) صفة للقصص والاخبار اى انها لطولها اذا اريد ذكرها بتمامها

يصعب على الفصيح حكايتها ويضعف نطقها عن ادائها واجمالها لمن لايعلمها لاتفيده فائدة يعتد بها ولبس المراد انه واقع فى الخارج بعجز الفصيح عن مطابقة حكايته له (ويذهب ماء البيان) اى رونقه وحسنه لانه لطوله قدلاتناسب كلماته ويشق نظامه ويحكم ارتباطه والبيان ايضاح المعانى وهو معطوف على يضعف الصلة ففيه عائد مقدر كالذى قبله (آية لمتأمله) اى علامة بينة لمن تأمل نظمه وسرده القصص والاخبار وآية خبر المبتدأ الذى هو ثم هو مبتدأ مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم والجملة خبر هو والرابط الالف واللام القائمة مقام الضمير الذى هو فى سرد قصصه آية لمن تأمله حق التأمل وقوله (من ربط الكلام) صفة لآية ومن بيانية او متعلق بمقدر اى يظهر كونه آية دالة على اعجازه من ارتباط الكلام (بعضه ببعض) بالجر بدل من الكلام اى من كون اجزائه الى غاية التناسب حتى كان كل كلمة مرتبطة باختها (والتئام سرده) بالهمزة والياء اى مناسبة كلماته المسرودة اى المتابعة كحلق الدرع الداخل بعضها فى بعض مع فصاحتها وحسن تأليفها (وتناصف وجوهه) المراد بالوجوه انواع بلاغته من الاستعارة والكناية وتناصف تفاعل من النصفة والانصاف يقال اعضاؤه متناصفة حسنا اى لاينقص حسن بعضها عن بعض وهو من بليغ الكلام الذى لايعرفه الا من ذاق حلاوة البلاغة كما اشار اليه المبرد رحمه الله تعالى فى الكامل قال الشاعر

* لما عرضت الى تناصف وجهها * غرض المحب الى الحبيب الاول *

واصل معنى الانصاف المواساة ونحوها كأنك تعطيه نصفا وتأخذ نصفا ومن ظن عدم تغاير هذه المعانى فقد وهم (كقصة يوسف عليه الصلوة والسلام على طولها) قصها الله تعالى على اعجب ترتيب وابدع تهذيب بحيث لم ينصب ماءبيانها ولم يخل عقد نظامها مرتبطة الهوادى بالاعجاز على الاصح وجه واوضح نهج (ثم اذا ترددت) اى اذا كررت (قصته) المذكورة فى القرأن من قولهم فلان يتردد على فلان اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم

* اذا كنت لم اكثر زيادة حبكم * فحبى لكم بغير تردد *

اى ما كرر من قصص القرأن ليس تكرارا مخلا اذ قد (اختلفت العبارات عنها) فذكرت من كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا (على كثرة ترددها) وتكرارها والجار والمجرور حال من ضمير عنها وهذا من عظيم قدرة قائلها ويحكى عن ابن عباد رحمه الله تعالى انه مات له ولد فاشتد حزنه على فقده فلما صلوا على جنازته فى محفل عظيم قام الناس لتعزيته فلم يعد عبارة للمعزين له مع كثرتهم وكونه فى حالة حزن والم حتى تعجب الحاضرون من بلاغته (حتى تكاد كل واحدة) من القصص

المكررة (تنسى فى البيان صاحبتها) يعنى ان سامعها كأنه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر قبل ذلك لان العبارات غير الاولى والسياق ومناسبة المقام تفيد فوائد اخرى و تجدد لمن سمعها حظا عظيما للعبارات المغايرة لما تقدمها (وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها) لتفاوتها باعتبار المقامات المحكية فيها كقصة آدم وحواء وموسى عليهم الصلوة والسلام مع بنى اسرائيل (ولا نفور للنفوس من ترديدها) وتكريرها وهذا اشارة الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين فى القرآن بان فيه مكررات كثيرة وهو مما ينفر الطبع السليم (ولا معادات لمعادها) اى لا يعادى الطباع المكررة المعاد فى القرآن من قصصه كما قال الشاعر * طبع النفوس معادات المعادات * وفيه تمليح لما ذكر وتجنيس لطيف

﴿فصل الوجه الثانى﴾

من وجوه اعجاز القرآن (من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب) اشار بالاسلوب والصورة الى رشاقة عباراته وفخامة معانيه وهذا باعتبار نظمه وطريقه الوارد فيها فانه مع الرغبة لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيرهما مما كان عادتهم ومحاوراتهم فرى الاسماع بموائد عوائده و بهذا اضمحل ما قيل انه بحسب المعنى راجع للاول لان حسن تأليفه والتيامه كله راجع لصورة نظمه فان قيل ان قوله (المخالف لاساليب كلام العرب) مميزه عنه قلت لا لان قوله الخارق للعادة بمعناه انتهى والاساليب جمع اسلوب وهو الفن والنوع و فى كلامه اشارة الى ان الاعجاز ليس مداره على الالفاظ ولذا عبر بالنظم دون اللفظ قال عبد القاهر توخى المعانى على حسب الاغراض التى صيغ لها الكلام لا توالبها فى النطق وضم بعضها لبعض كيف ما اتفق (ومناهج نظمها ونثرها) مجرور معطوف على اساليب اى مخالف لمناهجها جمع منهج وهو الطريق اى لا يشبه كلامهم المنظوم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيرها (الذى جاء عليه) صفة نظم اى النظم الذى جاء عليه من عند الله تعالى واردا على اسلوبه العجيب الذى لا يشبه كلام البشر (ووقفت مقاطع آيه) جمع آية مضاف لضمير القرآن و فى نسخة آياته والمقاطع جمع مقطع وهو آخر كلام الذى يقف عليه القارئ وقفا تاما او كافيا واسناد الوقف اليها مجازى والواقف انما هو القارئ وهو بمعنى انتهت ووصلت ولذا عداه بالى وهو معطوف على الصلة (وانتهت فواصل كلماته اليه) وفى بعض النسخ ووقفت مطالع آيه عليه والفواصل جمع فاصلة وهى الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير للموصول بتقدير مضاف الخ قالوا لا يقال فى القرآن انه سجع وانما يقال فواصل لقوله فصلت آياته (ولم يوجد) اى لم يسمع كلام بليغ (قبله ولا بعده نظير له) يماثله فى بلاغته وعلو مرتبته وغرابة اسلوبه (ولا استطاع) وقدر (احد مماثلة شئ منه) بان يأتى بكلام ما يشبهه فى الجزالة والبلاغة (بل حارت فيه عقولهم) فوقعوا فى الحيرة فالعناد يمنعهم من الاعتراف

وظهور اعجازه بكذبهم فى قولهم انه مفترى او سحر او نحوه مما لا يقبله الطبع (وتدلهت به دونه احلامهم) بفتح الدال المهملة واللام المشددة اى دهشت وتحيرت فى شانه فهو مما قبله و فى نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة ايضا والاحسن ان يقصر التدله بذهاب العقل من الهوى فيكون ترقى من حيرته الى ذهابه ودونه بمعنى ما لم يبلغ منزلته كما فى قوله تعالى * لا تتخذوا بطانة من دونكم * والاحلام جمع حلم وهو بمعنى العقل وله معان اخر يعنى ان عقولهم لم تصل اليه اذ تحيرت فيما هو اقل منه فكيف به (ولم يهتدوا الى مثله) اى لم يسمعوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان بشئ يماثله او يقرب منه (فى جنس كلامهم) الذى يقدرون عليه و يتفوه به افواههم البشرية (من نثر) كالخطب والرسائل (او نظم) من القصائد والنشد (او سجع) وهو الكلام المقفى غير المنظوم وهو يطلق على مجموع هذا وعلى الكلمات الاخيرة من النثر و يطلق على الاتيان به ونفس التوافق الواقع فيه (او رجز) وهو نوع من الشعر معروف وافرده بالذكر مع دخوله فى النظم لانه خلافه فى عدم التزامهم رويا واحدا فعد نوعا مستقلا من الكلام افرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمى قائله راجزا لا شاعرا (او شعر) لو لم يذكره كان احسن لانه مكرر مع النظم (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة) تقدم ضبطه وانه ابو خالد وكان من صناديد قريش وعقلائهم وفصحائهم الا ان الله لم يهده الى الاسلام كما مر واسم ولده خالد رضى الله تعالى عنه سيف الله (وقرأ عليه القرآن) اى اسمع الوليد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعض القرآن رجاء اسلامه (رق) قلبه ومال طبعه الى الاعتراف به والاسلام واصل الرقة ضد الغلظة فتجوز به عن الملايمة والميل كما قال ابن سعيد المغربى

* قد طال شوقى الى ثغور * ملأى من الشهد والرحيق *

* عنها اخذت الذى تراه * يعذب من شعرى الرقيق *

(فجاء ابو جهل) لعنه الله تعالى لما بلغه ميله الى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليصده عنه وكان ابن اخيه واسمه عمرو بن هشام (منكرا عليه) ميله له واستحسانه لما قرأه صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وهو حال من فاعل جاء (فقال) الوليد رد الانكار ابى جهل عليه (والله ما منكم) يا معشر قريش (احد اعلم بالاشعار منى) انكارا لقولهم انه شاعر (و والله ما يشبه الذى يقوله) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من القرآن (شيئا من هذا) الشعر الذى ينشد واشار اليه بالقرب لشهرته وحضوره فى الذهن كالشاهد المحسوس (وفى خبره الآخر) اى فى خبر آخر عن الوليد رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما (حين جمع) الوليد (قريش) يعنى اشرافهم ورؤساؤهم (عند حضور الموسم) مفعل من الوسم وهو العلامة

والمراد موسم الحجاج وهو زمان اجتماعهم لانها معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة وحضوره بمجئ زمانه او بمجئ اهله ولما كان يجتمع فيه جميع قبائل العرب من كل فج خشى ان يسمعوا باثر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيتبعوه فجمعهم وحدهم ليتشاوروا ويروا رأيا فيما يصد الناس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار الى بيان ذلك بقوله (وقال ان وفود العرب) جمع وفدوهم كما مر الجماعة الذين يقدمون من بلادهم الى مكة من غير اهلها واصل معنى الوفد الاشراف (ترد) اى يقدمون من غير البلاد واصل الورود الذهاب للماء (فاجمعوا فيه) اى فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وامره اى دبروا وتداركوا (رأيا) اى امرا يعتقدون له فائدة ونتيجة واجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع يقال اجمعت كذا وكذا واجمعت عليه و اكثر ما يقال فيما يكون جمعا يتوصل اليه بالفكر نحو فاجمعوا امركم و شركاءكم ويقال اجمع المسلمون على كذا اذا اجتمعت آراؤهم عليه ويجوز ان تكون همزته همزة وصل ايضا لانه يقال جمع له رأيا ايضا وبه فسر قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم اى جمعوا آراءهم وتدبيرهم كما قال الراغب ولا عبرة بانكار الحريرى فى الدرة لصحته كما بيناه فى شرحها (لا يكذب بعضكم بعضا) اى اتفقوا على امر قبل قدومهم حتى لا يحصل افتراق كلمة واختلاف فى شانهم (فقالوا نقول) هو (كاهن) وهو الذى يخبر عن المغيبات ويدعى معرفة الاسرار وكانوا فى العرب كثيرا كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع مصنع فمنهم من له جنى يخبره ويلقى اليه الاخبار ومنهم من يدعى معرفة ذلك باسباب وامور يأخذها من كلام السائل وفعله وحاله ويقال له عراف واكثرها امور ظنية تخطئ وتصيب احيانا (فقال) الوليد لهم (والله ما هو بكاهن) اى حاله لا يشبه حال الكهان وكلامه لا يشبه كلامهم المسجع الذى كانوا يلفقونه ويتمقونه وفيه اكاذيب باطلة فليس هذا رأيا مقبولا يروج عند العقلاء (ما هو بزمزمته ولا سجعه) الضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والباء للملابسة اى ليس معروفا بزمزمته او لكلامه المفهوم من السياق اى وما كلامه مشبها بزمزمته والزمزمة صوت خفى لا يكاد يفهم وكان للكهان زمزمة مرقى يحضرون بها الجن وزمزمة المجوس قراءتهم وكلام الكهان كان مسجعا ولذا كره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قول القائل فى الجنين كيف يرى من لا اكل ولا شرب و لا استهل ومثل ذلك بطل وقال هذا من اخوان الكهان وهذا لا يدل على كراهة السجع مطلقا فينافى فى كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم به احيانا فلما لم يرض الوليد هذا الرأى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قالوا نقول) هو (مجنون) اى رجل اختلط عقله فاختل كلامه وفعله وذلك باصابة الجن له وهو المعروف عند الاطباء واصله من جنه

واجنه اذا ستره لاستتار عقله ومنه الجان والجنين (قال) الوليد ردا لرأيهم هذا (ماهو بمجنون ولا بخنقة ولا وسوسة) اى لا يشبه حاله حال المجانين والخنق بفتح الخاء المعجمة وسكون النون مصدر وهو الاختناق والجنون يقال له خنق بكسر النون وفتحها والوسوسة بفتح الواو مصدر وهو شئ يلقى فى القلب او فى السمع بصوت خفى وقد يحدث المرء به نفسه ولذا سمى حديث النفس (قالوا فنقول شاعر قال) اى الوليد (ماهو بشاعر) اى ليس كلامه بشعر ولا وزنا ولا معنى اذ الشعر مدح وهجو وتشبيب وليس فيما سمعوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم بشئ من ذلك (قد عرفت الشعر كله) بانواعه واوزانه ومعانيه ثم فصل بعضا منه بقول (رجزه) هو نوع من الشعر معروف يسمى بالرجز ويقال للقصيدة منه ارجوزة وجمعها اراجيز وسمى رجزا لاضطرابه فى وزنه واختلاف اوزانه واختلاف قوافيه (وهزجه) بفتحتين ومعجمتين وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف وبه فسرها ولكن الذى قالوا ان اسماء البحور منقولات اصطلاحية نقلها الخليل ابن احمد فهى منقولة من الهزج لنوع مضطرب من الاغانى ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تستغنى به كان اقرب وانسب بقوله (وقريضه) لانه ليس اسم بحر من بحور العروض لانه فى اللغة بمعنى الشعر مطلقا من قرضه بمعنى قطعه فعول بمعنى مفعول لان الشاعر يقتطع نوعا مخصوصا من الكلام لغرض له فالظاهر ان المراد به ما يقابل القصائد وهى المقطوعات وقرض الشعر ملكة يقتدر بها على نظمه وفى العرف معرفة محاسن الشعر وقبحه (ومبسوطه) اى مطولات قصائده مطلقا المقابلة لما قبله فيتناول جميع انواعه من الطويل والبسيط وغيره فمن فسره ببحر البسيط وقال زيادة الميم فيه لمشاكلة قوله (ومقبوضه) فقد تكلف ما لا دليل عليه وكان المراد بمقبوضه مختصر اوزانه المسمى فى العروض بالمجزو والمنهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو المحذوف ثانى السبب الخفيف الذى هو خامس مفاعيلن الذى حذفت ياؤه فصار مفاعلن لان هذا اصطلاح احدثه المولدون لا تعرفه العرب قديما وقوله رجزه وما عطف عليه منصوب بدلا من الشعر لا من كله لانه توكيد لا يصح البدل منه لا لانه لا يقع مفعولا كما توهم (قالوا فنقول) هو (ساحر قال) اى الوليد (ما هو بساحر) اى انكره لما يعلمه من ان الساحر هو الذى يستعين على ما يأتى من خارق العادة بامر علوى او بعزائم يسحر بها الجن او بطلسمات يستمزج بها السفلى بالعلوى والناس جميعهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولذا قال (ولا نفثه ولا عقده) بفتح العين المهملة وسكون القاف او بضم ففتح جمع عقدة والنفث النفخ مع ريق والعقد عقد حبال او شعر مضفور ونحوه كما يعرفه السحرة مما يؤثر امورا خارقة للعادة فى الخارج عنه وكنى به عن انه ليس عمل مما يعمله

السحرة فقد تربى صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم ولم ير احد منه ذلك فلذا خطأهم الوليد فى وصفهم له صلى الله تعالى عليه وسلم و بين لهم ان تدبيرهم الباطل لا يروج على عاقل كما قيل * يا سطوة الله حلى عقد ما ربطوا * وشتتى شمل اقوام بنا احتلطوا * * الله اكبر سيف الله قاطعهم * وكلما قد علوا فى ذمهم هبطوا * (قالوا فما نقول) بالنون اوبالمثناة الفوقية اى نحن اوانت ياوليد ومارأيك (قال ما انتم بقائلين من هذا) اى من مثل هذه الاراء (شيئا) فى حقه (الا وانا اعرف انه باطل) ليس بمقبول عندى ولاعند العقلاء الذين يعرفونه وتقديم الضمير لتقوية الحكم لانه يقدم لتقوية الكلام اوللحصر لتعسفه اعتقاد بعض جهلهم فيه والجملة حالية مستثناة يجوزاقترانها بالواو وعدمه (وان اقرب الفول) فى حقه وان كان مفترى (انه ساحر) بفتح الهمزة وكسرها كما فى كل ما وقع بعد افعل تفضيل مضاف للفول على ان المصدر خبران والجملة المحكية والا تحتاج الرابط لانها على المبتدأ هنا وهذا رجل عاقل ختم الله تعالى على قلبه وسمعه ونسجت عناكب الضلالة على بصيره ثم بين وجه اقربيته بحسب النظرة الحمقى بقوله (فانه سحر) اى كالسحر ووجه المشابهة انه (يفرق بين المرء وابنه) بالباء الموحدة والنون اوالياء المثناة التحتية ومعناهما ظاهر (والمرء واخيه) وفى نسخة بين المرء وابيه واخيه (والمرء وزوجه) اى امرأته وفيه لغتان هذه وزوجته بتاء التأنيث (والمرء وعشيرته) اى اقاربه الادنون المعاشرين له وقدكان ذلك فان من ذاق حلاوة الاسلام ترك ماعداه لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان مشاهدا فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم ومنهم من ترك ملكه كثير زبن النجاشى كما فى سيرة ابن هشام والتوفيق بين هذا و بين ماحكاه الزمخشرى عن الوليد هذا من انه قال لهم ماهو الاسحر امارأيتموه يفرق بين المرء الخ وماحكاه عنه من قوله ان هذا الاسحر يؤثر كما تقدم انه اراد ماهنا من انه كالساحر فيما ذكر لكنه ساقه فى معرض الجزم وليروج عندهم او انه قال مرة ثم راجع عقله فرجع عنه وهو الاوفق بما فى الآية ومناسبة ماذكر لماهو بصدده فى غاية الظهور فالقول بان الانسب ان يذكر ماحكى عنه من انه قال لبنى مخزوم والله قد سمعت محمدا يقول انها تقول كلاما ماهو ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولايعلى كما تقدم ولا وجه له (فتفرقوا) من المجلس الذى جمعهم للمشاورة فيه (وجلسوا على السبل) بضمتين جمع سبيل وهو الطريق ليخبروا الوافدين بماقالوه حتى لايتبعوه صلى الله تعالى عليه وسلم و (يحذرون الناس) منه حتى لايصدقوه فيقولون لكل من رأوه محمد شانه كذا وكذا فاحذروه لايفتنكم عن دينكم والجملة الاولى معطوفة اوحالية بتقدير قد وكذا الثانية من ضمير تفرقوا وهما حالان متداخلتان فقالوا ذلك لكل من قدم للحج ففشا امره صلى الله تعالى عليه

وسلم فى قبائل العرب وخشى ابوطالب من ذلك ومن تعييب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاكهتهم وسبها ان يقع منهم مايحرضهم على ضرره فقال فى قصيدته اللامية الطويلة المشهورة يمدحه صلى الله عليه وسلم ويذكر حسن حاله وماهو عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها فمنها قوله

* لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد * واخوته دأب المحب المواصل *

الى آخرها ولولاخوف الاطالة اوردتها لمافيه من مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان حقيقته وتقيده بحسبه (فانزل الله فى الوليد) وقصته المذكورة التى هى سبب النزول وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليه بذم الله تعالى له (ذرنى ومن خلقت وحيدا الآيات) اى دعنى معه فانا اكفيه من كيد اعدائه وان كان وحيدا منفردا عن اهله وعترته ليزكيهم له اولانظيرله وتمام النظم وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الاقول البشر * والكلام على هذه الآيات مفصل فى التفسير والمقام لايسعه (وقال عتبة بن ربيعة) بن عبدشمس ابن عبدمناف والد هند ام معاوية رضى الله تعالى عنهما وهذا قتله عبيدة بن الحارث فى غزوة بدر كافرا (حين سمع القرأن ياقوم لقد علمتم انى لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته) هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتب المنزلة لقراءته بعضها وانه قرأ القصص السالفة وقال الشعر وله سعة علم بالبلاغة وليس ظاهره بمراد اذ لايمكن لمثل ماادعاه (والله لقد سمعت قولا) يعنى به القرأن العظيم الذى سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتلوه (والله ماسمعت مثله قط) هو للاستغراق فى الماضى (ماهو بالشعر) الباء زائدة اى ليس بشعر ولايشبهه كما مر (ولا بالسحر ولا بالكهانة) اى ليس يشبه كلام السحرة والكهنة المسجع المتكلف ولم يكن فى قائله شئ من اعمال السحرة المعهودة والكهانة مصدر كهن يكهن بكسر الكاف وفتحها كالكتابة والقسامة كما قاله الشريشى فى شرح المقامات (وقال النضر) بفتح النون المشددة وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن (ابن الحارث) ابن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبدالدار الذى قتله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالصفراء صبرا وقصته مذكورة فى السير (نحوه) اى مثل ماقاله عتبة والوليد فى اعترافه بالقرأن وانه لايشبه كلام البشر (وفى حديث اسلام ابى ذر) الغفارى الصحابى رضى الله تعالى عنه وهو جندب بن جنادة كما مر وغفارة قبيلة من العرب مشهورة وغفار قبيلة من كنانة وهو غفار بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة وحديثه رواه مسلم وغيره ووصفه البيهقى فى دلائل النبوة واسنده الى عبدالله بن الصامت وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع اربعة

فلذا كان يقول كنت رابع الاسلام وقوله (ووصف اخاه انيسا) بالتصغير ووصف ماض والجملة حالية بتقدير قد (فقال) تفسير لوصفه المذكور (والله ماسمعت بأشعر من اخى انيس لقد ناقض) بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو هدم البناء وحل طاقات الحبل ثم صارت بمعنى كون الكلام له معنى لايمكن اجتماعه مع نقيضه كزيد قائم وزيد ليس بقائم وهذا اصطلاح المنطقيين وعند العرب نقايض الشعر فى الجاهلية انه اذا قال احدهم شعرا ذكر فيه افتخارا بآبائه وشرفهم على قوم غيره اوذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ونقيض حسبه وآله فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله فيسمى ذلك مناقضة ويقال للقصائد نقايض ومنه نقايض جرير والفرزدق لقصائد من الطرفين جمعت وشرحت وفى الاساس يقال فى كلامه تناقض وهذا مناقضه ونقيضه وتنقيضه وتناقض القولان والشاعران وناقض احدهما الآخر يقول قصيدة فينقض صاحبه عليه وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما نقايض ومنه نقايض جرير والفرزدق انتهى وفسره فى الشرح الجديد بما فى النهاية من ان المناقضة مفاعلة من نقض البناء وهو هدمه اى ينقض قولهم وينقضون قوله واراد به المراجعة والمراودة انتهى وهو تفسير لايفى بالمقصود لماعرفته (اثنا عشر شاعرا فى الجاهلية) اى عارضهم فى قصائدهم فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على انشائه وزمان الجاهلية كان فيه الشعراء الفحول كثيرا وذكر هذا تمهيدا لماسيأتى من انكاره عليهم فى قولهم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاعر (انا احدهم) ذكره اعترافا بقوة شاعريته (وانه) اى اخاه انيسا (انطلق الى مكة) اى ذهب اليها بعد ما كان فى غنم لهما ترعى فقال لاخيه ان لى صاحبا بمكة فاكفنى امر الغنم حتى آتيك فانطلق حتى اتى مكة فابطأ على ابى ذر ثم اتاه فقال ماحبسك قال رأيت رجلا يزعم انه على دينك الى آخر القصة التى ذكرها البيهقى واشار الى بعض منها المصنف بقوله (وجاء بخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى) اخيه (ابى ذر) وكان اسلم بمكة قبل اخيه واسلم اخوه بعده فهما صحابيان (قلت) له بعدما اخبرنى (فما يقول الناس) فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) يقولون (شاعر كاهن ساحر) اى بعضهم يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم اشار الى بطلان ما قالوه بقوله (لقد سمعت قول الكهنة) جمع كاهن مثل كاتب وكتبة (فما هو) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوكلامه ملتبس (بقولهم ولقد وضعته) بالضاد المعجمة المفتوحة والعين المهملة الساكنة اى وضعت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (على اقراء الشعر) يعنى انه قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه لينظر هل فيه مايشبهه وهو مجاز من قولهم وضع النعل على النعل اى طابقه به لينظر هل هو مساو له والاقراء بفتح الهمزة والمد جمع قلة اريد به الكثرة هنا قال فى القاموس من اقرأ الشعر انواعه وانحاؤه اى امثاله فهو جمع قرء

بالضم وقيل انه جمع قرء بالفتح وهو طرفه وانواعه ونجوزه وقال الزمخشرى انه قوافيه التى يختم بها كاقراء الطهر التى ينقطع عندها الدم واحدها قرء فتحا وكسرا وضما فهو مقاطع آياته وحدودها (فلم يلتئم) بالهمز من الملايمة اى لم اره مناسبا ولاموافقا لفظا ولامعنى واين الثريا من الثرى ولذا قال الفقهاء رحمهم الله تعالى لاتكتب فيه البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة قال وهذا فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه من التوحيد ومنظومات العلوم واما الهجاء فينبغى ان لا يختلف فى عدم كتابتها فيه كما قاله التلمسانى (ومايلتئم) اى يتيسر ويتفق (على لسان احد بعدى انه شعر) بفتح همزة انه اى لايتم لاحد غيرى ان يقول انه شعر لانه ليس احد اعلم بالشعر واقدر عليه منى فلو امكن لاحد ان ينزله على الشعر ويعارضه به كنت فعلت فحيث لم يتيسر لى لايتيسر لغيرى والمراد ابطال كونه سحرا وكهانة فلذا عقبه بقوله (وانه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لصادق) فى قوله انه كلام معجز من عند الله (وانهم) اى الكفرة (لكاذبون) فى جميع ماقالوه ونسبوه له من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لانيس هل انت كاف حتى انطلق فانظر قال نعم وكن على حذر من اهل مكة فانطلقت حتى اتيت مكة فقلت لرجل اين هذا الذى تدعونه الصابى فاشار اليه فمال على اهل الوادى يرجمونى حتى خرجت مغشيا على ثم اتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم ودخلت تحت استار الكعبة ولبثت نحو ثلاثين ليلة ومالى طعام الا ماء زمزم فشبعت وما وجدت جوعا فبينما انا فى ليلة وامرأتان تطوفان وتدعوان اسافا ونائلة فلما رأيانى ولتا وانطلقتا فاستقبلهما ابو بكر ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هابطين من الجبل فقالا ما لكما قالتا صابى بين الكعبة واستارها فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته وحييته بتحية الاسلام وكنت اول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ممن انت قلت من غفار فرفع رأسه ثم قال متى كنت ههنا قلت منذ ثلاثين ليلة ويوم قال ماكان طعامك قلت ماكان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى فقال انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم فقال ابو بكر يارسول الله ايذن لى فى طعامك الليلة فانطلقت معهما حتى فتح ابو بكر بابه وجعل يفيض لى من زبيب الطائف فكان ذلك اول طعام اكلت بمكة ثم اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى وجهت الارض ذات نخل ما احسبها الا يثرب فهل انت تبلغ عنى قومك لعل الله ينفعهم بك ويواجرك فانطلقت حتى اتيت اخى انيسا فقال لى ماصنعت قلت اسلمت فقال مابى رغبة عن دينك فانى اسلمت وصدقت ثم اتيت امى فقالت مثله ثم احتملت واتيت قومى فاسلم نصفهم قبل ان يقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

المدينة وكان يؤمنا حناف وهو سيد قومنا فلما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة اسلم بقية قومى وجاءت اسلم فقالوا يا رسول الله نسلم على الذى اسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وهذا خبر اسلامه باختصار (والاخبار فى هذا) الذى ذكر من اعتراف البلغاء باعجازه وانقياد من هداه الله تعالى منهم للايمان به (صحيحة كثيرة) مع اختلاف انواعها ورواياتها (والاعجاز) لجميع الخلق بتعجيزهم عن الاتيان بمثله (بكل واحد من النوعين) الذين ذكرهما والنوع الاول منهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) اشارة الى قوله فى اول هذا الفصل اولها حسن تأليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وحاصله ان اعجازه من نفس جوهر كلامه بكونه فى اعلا طبقات البلاغة والفصاحة بحيث يسلم عن ضعف التأليف وتنافر الحروف والكلمات وايجازه ورعاية معان ووجوه يقتضيها المقام وتضمن نكات يعجز عنها طاقة البشر منها والنوع الثانى ما اشار اليه بقوله (اوالاسلوب الغريب بذاته) يعنى كونه على نمط لايشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور فانه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب فان وقع فيه من غير تكلف سجع احيانا ونظم حتى ذهب الخطيب فى تكملة العمدة ان النظم الواقع فيه مقصود كالابيات واشعارها التى تقع فى اثناء الانشاء نادرا ولا يسمى بها الكلام شعرا لانه لم يقصد بالذات وهو قول غريب وقوله بالذات بمعنى فقط وتغاير النوعين ظاهر وان لم يفرق بينهما بعض الشراح وقال ان فى النوعين تداخلا اذا لم يتصور كونه اسلوبا غريبا دون البلاغة الى آخر ما ذكره مما لاطائل تحته (اذ كل واحد منها) بضمير الواحدة المؤنثة الراجع للبلاغة وفى نسخة منهما مثنى والضمير للنوعين وقيل الاولى اولى وبكل مبتدأ خبره (نوع اعجاز على التحقيق) غير محتاج الى الآخر ثم بين اعجازه بقوله (لم يقدر العرب على الاتيان بواحد منها) وفى نسخة منهما كما تقدم (خارج عن قدرتها) لانه (مباين) اى مخالف (لفصاحتها وكلامها) لما فيه من وجوه البلاغة التى لاتحيط بها قدرهم ولم تألف طباعهم مع انسجامها وعذوبة الفاظه (والى هذا) القول الدال على ان كل واحد منهما نوع مستقل من الاعجاز كاف فى اثباته (ذهب غير واحد) اى جماعة كثيرة (من ائمة المحققين) لعارفين بالبلاغة ووجوه الاعجاز يعنى ان منهم من قال بلاغته باسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذى لايشبه كلام البشر ولا يطيقه القوى والقدر مع انه بلغتهم وكلماته كلماتهم التى يعرفونها كما قيل فى معنى الحروف فى اوائل السور نحو الم والمر يعنى انه كلام مركب من هذه الحروف التى تركب منها كلامهم فلم يأتوا بمثله (وذهب بعض المقتدى بهم) اسم مفعول بوزن مصطفى (الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب) لا بكل واحد منهما وحده (واتى على ذلك) القول الذى

اختاره وضمن اتى معنى استدل فعداه بعلى (تقرل تمجه) بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اى ترميه ولا يعتد به (الاسماع) بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع وبمعنى جارحة السمع يقال مج الماء من فيه اذا طرحه ففيه استعارة مكنية وتخييلية تشبيه الاذن الفم والكلام بالماء فى الرقة والعذوبة وتبريد الحرارة كما قال بعض اهل العصر

* يكاد من عذوبة الالفاظ * تشرب به مسامع الحفاظ *

وقال الغزى * وتغير المعتاد يحسن بعضه * للورد خد بالانوف يقبل *

(وتنفر عنه القلوب) من النفار وهو الذهاب بسرعة فكان القلوب تهرب منه لعدم قبولها له وهو عبارة عن كونه قول ضعيف مردود ولذا قال فى الاول انه قول الائمة المحققين واشار بالمقتدى بهم الى ان هذا القول له وجه ايضا ليس كالقول بالصرفة (والصحيح ما قدمناه) من ان كل واحد منهما وجه فى الاعجاز كاف فيه (والعلم بهذا كله) اى العلم بايجازه وبلاغته واساليبه العجيبة على ان القولين (ضرورة وقطعا) بنصبهما اى من سمعه قطع بما عنده من العلم الضرورى فى انه اعلى طبقات الكلام او هو مما يدرك بالذوق ولا يدرك بالوصف كالملاحة والطريق له تتبع كلام البلغاء وخدمة علم البلاغة الذى يورثه علما ضروريا ولذا قال (ومن تفنن فى علوم البلاغة) اى عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة يعرف بها خواص التراكيب ووجوه ايرادها فى طرقها المختلفة فى الوضوح وانواع محاسنها البديعة وهو من علمى المعانى والبيان وتوابعهما (وارهف) اى سن وحدد ودقق من قولهم ارهف السيف فهو مرهف اذا سنه ودقق حده (خاطره ولسانه) اى فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنه واصل الخاطر المعنى الذى يخطر على قلب الذى هو محل العقل والفهم ويراد به نفس الفهم والعقل فارهافه ممارسته حتى يتمكن من علمه واللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام فشبه ذلك بالسيف المسنون فى سرعة نفوذه ودقته وارهف فعل ماض فاعله (ادب هذه الصناعة) اى صناعة البلاغة وعلم المعانى والبيان وادب بوزن طلب يكون بمعنى الظرف والحسن والعلم يقال ادبه فاحسن تأديبه اى علمه واصله من المأدبة وهو الطعام الذى يدعى له كما قيل الادب مأدبة ما لاحد فيها مأدبة ويصح ارادة كل واحد هنا واقربها الاخير واما اطلاق الادب على علمى النظم والنثر فمولد وان قرب من معناه الاصلى واصل الصناعة معرفة ما يزاول بالجوارح كالخياطة ثم شاع فى معنى العلم (لم يخف عليه ما قلنا) اى جميع ما تقدم وان كلا منهما نوع مستقل (وقد اختلف اهل السنة فى وجه عجزهم عنه) اى فى سببه ومنشأه بوجه عجز الفصحاء عن معارضته (فاكثرهم يقول) اى قال وعبر به لحكاية الحال الماضية حتى كانها حاضرة (انه) وجه اعجازه ما نشأ (مما جمع فى قوة جزالته) الجزالة الغلظة

والصلابة والقوة يقال حطب جزل ثم يطلق على الكثرة فيقال عطاء جزيل فاستعير هنا لاحكام نظمه وعدم ركاكته واضاف اليه القوة اشارة الى انه فى اعلى مراتب الاحكام حتى لايتطرق اليه خلل اصلا ولايختلف نظمه ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولاحاجة لتفسيره بالقوة ويقال للقوة قوة ويصح اضافتها اليها (ونصاعة الفاظه) بفتح النون والصاد والعين المهملتين اى وضوحها وخلوصها ومنه ابيض ناصع وقيل الجزالة القطع ومنه القضاء الجزل اى القاطع للشك ونصاعته بياضه وهو تكلف لاداعى اليه وكونه اشارة الى المحسنات البديعة لاوجه له (وحسن نظمه وايجازه) لسلاسته وانسجامه (وبديع تأليفه) وتراكيب كلماته المؤتلفة المتواخية (واسلوبه) طريق بلاغته اى لايسلكها كلام غيره وقوله مما جمع مقدم من تأخير متعلق بقوله (لايصح ان يكون فى مقدور البشر) مقدور اسم مفعول او مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة اى لايمكنهم القدرة على مثله لما جمعه مما لاتطيقه قدرتهم (وانه من باب الخوارق) اى جنسها ونوعها يقال هذا من باب هذا وبابته اى من جنسه (الممتنعة عن اقدار الخلق عليها) اى التى لايقدرون عليها كانها امتنعت منهم وابتعدت عنهم وهو من بليغ الكلام (كاحياء الموتى) بفتح الميم جمع ميت وهذا مما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام وابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم (وقلب العصا حية) كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وسيأتى حديثه كما وقع لنبينا واطلقه المصنف رحمه الله تعالى ليشملهما فيكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم هو المناسب لقوله (وتسبيح الحصا) فى كفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ثبت فى معجزاته ثم ذكر مذهبا آخر فقال (وذهب الشيخ ابو الحسن) الاشعرى امام اهل السنة وقد تقدم بعض من ترجمته (الى انه) اى القرآن المعجز (مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر) اى انه فرد من افراد الكلام البليغ داخل فيه مندرج فى جنسه ومثله قولهم الحيوان جنس تحته الانسان والفرس وهو تجوز معروف (ويقدرهم الله عليه) عطف تفسير لما قبله على مذهبه من خلق الافعال (ولكنه لم يكن هذا) فيما مضى (ولايكون) فى الحال والمستقبل (فمنعهم الله عن هذا) اى عن معارضته والاتيان بمثله وهذا هو القول بالصرفة وفيه اختلاف ايضا فقيل معناه ان فيهم قدرة على التكلم بمثله وعندهم بوجوه البلاغة واساليبها حالة التحدى لكن الله صرفا دواعيهم عن ذلك مع توفر اسبابها من التقريع والتبكيت وتكرير الطلب وهو قول النظام والاستاذ من اهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند التحدى القدرة والعلم بعلوم البلاغة فاذا ارادوا ذلك لم يقدروا عليه وتسمية التحدى صرفا بحسب ظاهر حالهم وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب المرتضى علم الهدى من الشيعة ونقل عن الاشعرى الا انه لم يشتهر عنه وكلام المصنف يحتمل للوجهين فان قلنا هذا اشارة الى الاتيان

بمثله فهو المذهب الاول وان قلنا الاقتدار فهو الثانى وحمله بعضهم على الثانى وقال يحتمل ان يكون المراد بابى الحسن رجل آخر غير الاشعرى ولاحاجة لمثله من التكلف (وعلى الطرفين) بل الطرق من اعجازه ببلاغته واسلوبه والصرفة (فعجز العرب عنه ثابت) محقق مع كمال بلاغتهم وفرط تهالكهم ونفخ عنادهم لاطفاء نوره ومازاده الا اشتعالا واضاءة (واقامة الحجة عليهم) بتكليفهم باقل قليل منه (بما يصح) اى يمكن وينبغى فانه ورد بهذا المعنى فى اللغة (ان يكون فى مقدورهم) على مذهب الاشعرى (وتحديهم) مصدر مضاف لمفعوله اى طلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من العرب الفصحاء (ان يأتوا بمثله) اى مثل القرآن فى البلاغة وعجز العرب مبتدأ خبره ثابت واقامة مبتدأ خبره (قاطع) بعجزهم عما لاريب فيه (وهو) اى ما ذكر او التحدى بما هو مقدورهم (ابلغ فى التعجيز) بغيره مما لايقدرون كاحياء الموتى (واحرى) افعل تفضيل بحاء وراء مهملتين بمعنى احق واولى (بالتقريع) وهو التوبيخ والتعيير من القرع بالحصا وهو الضرب (والاحتجاج بمجئ بشر مثلهم) من جنسهم واهل لغتهم (بشئ ليس من قدرة البشر لازم) على القول الاول من اعجازه بذاته وصورته (وهو) اى المذكور من عدم قدرتهم (ابهر آية) اى اظهرها واغلبها لسائر الآيات الباهرة لارتفاع شأنه وعلوه فى مرتبة لايدنو منها كلام بليغ كما مر تفصيله (واقمع دلالة) بالنصب على التمييز والجر على الاضافة والدلالة بكسر الدال مصدر او بمعنى الدليل واقمع من قمعه اذا قهره وردعه واذله بعجزهم عن معارضته (وعلى كل حال) من الاحوال السابقة اى سواء قلنا بانه معجز ببلاغته او بالصرف عن معارضته فقد عجزوا (فما اتوا فى ذلك بمقال) اى لم يسمع منهم كلام عارضوه به ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع (بل صبروا على الجلاء) بفتح الجيم والمد وهو ترك الوطن والمال (والقتل) لفرط عنادهم وعدم انقيادهم (وتجرعوا) اى شربوا جرعة بعد جرعة (كاسات) جمع كأس وهى ما يشرب به الخمر ونفس الخمر (الصغار والذل) بفتح الصاد المهملة وهو المذلة فالعطف تفسيرى وفيه استعارة تصريحية اومكنية اى صبروا على التحقير والاهانة وتجرعوا غصصها (وكانوا من شموخ الآنف) بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع انف كذا ضبطوه ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ اذا ارتفع وهو كناية عن غاية التكبر والجملة حالية بتقدير قد (واباءة الضيم) بكسر الهمزة والموحدة والمد مصدر ابى اذا امتنع مما يكرهه والضيم الذل والتحقير (بحيث لايؤثرون) بالمثلثة اى لايرضون (ذلك) اى الذل والضيم (اختيارا) اى باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم (ولايرضونه الا اضطرارا) اى قسرا والجاء عطف تفسير لما قبله ونصبهما على التمييز او المفعول المطلق (والا)

مركب من ان الشرطية ولا النافية اى وان لم يكن الامر كما ذكر (فالمعارضة) للقرآن بالاتيان بمماثله (لوكانت من قدرتهم) بضم القاف وفتح الدال المهملة جمع قدرة اى لوكانت المعارضة مقدورة لهم (والشغل بها اهون عليهم) جملة حالية اى اشتغالهم بمعارضته اسهل عليهم من الصبر على ماذكر (واسرع بالنجح) بضم النون وسكون الجيم وحاء مهملة وهو الظفر والفوز بمطلوبهم وهو ابطال الحجة عليهم (وقطع العذر) اى قطع ما اعتذروا به من عدم المعارضة من الاعذار الفاسدة (وافحام الخصم) اى اسكاته عما قرعهم به (لديهم) اى عندهم وهو متعلق بجميع ماقبله من اسرع واهون وقطع وافحام (وهم من لهم قدرة) تمييز والجملة حالية وليس قدرة حال بمعنى مقتدرين كما قيل لتكلفه وهم مبتدأ اول ومن استفهامية وهم الثانى خبره او بالعكس على المذهبين والجملة خبرهم اى وهم اى شئ هم اى هم امر عظيم لايقدر قدره ولايعلم كنهه وهو من ابلغ المدح كقولهم زيد وما زيد كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وهو مشهور كما فى كلام العرب والعجم وقد يقال هم هم بدون من اى هم القوم المعروفون بالبلاغة وشهامة النفس واباءة الضيم الذين لايعادلهم فيه احد فناهيك بما اوقعهم فى حضيض الذل ومزقهم الصبا والدبور ايدى سبا (على الكلام) متعلق بقدرة (وقدوة) اى مقتدى بهم وهو منصوب رواية ودراية معطوف على قدرة (فى المعرفة به) اى بمعرفة الكلام وصياغته لسلامة فطرتهم وصفاء قريحتهم (لجميع الانام) متعلق بقدوة واتى به للقافية اى هم فى كل ذلك ثمة مقتدى بهم لاتبعا لغيرهم فكيف عجزوا ورضوا بما رضوا ثم انهم لما ذكر من شمم انفهم وتكبرهم ربما توهم متوهم ان تركهم للمعارضة لعدم تنزلهم وعدم مبالاتهم فد فعه بقوله (ومامنهم) احد (الا من جهد) ماض بزنة ضرب فالاستثناء مفرغ عن عام مقدر (جهده) بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الوسع وقيل الجهد بالضم ما يجهد الانسان فيه اى يجتهد فيه ويتعب نفسه كقوله تعالى لايجدون الا جهدهم فالمعنى انهم بذلوا ماعندهم فى الطلب فلم يقدروا على شئ منه (واستنفد ماعنده) بالدال المهملة اى استفرغ ما فى طاقته وقوته (فى اخفاء ظهوره) اى القرآن او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (واطفاء نوره) ويأبى الله الا ان يتم نوره ولوكره المشركون (فاجلوا) اى اظهروا من جلاء العروس على المنصة بزينتها لذكر البنات بعده (فى ذلك) اى ما اجتهدوا فيه وحاولوه (خبيئة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية والهمزة والهاء فعيلة بمعنى مفعولة اى مخبأة فى ضمائرهم ومستورة تحت استار سرائرهم (من بنات شفاههم) اى كلمة يتلفظون بها شبهت بالبنت والشفة بالام لظهورها منها وهى استعارة مشهورة

مكنية او مصرحة (ولا اتوا بنطفة) بضم النون وسكون الطاء المهملة والفاء وهى الماء الصافى من نطف بمعنى صب والناطف السائل والمراد القطرة القليلة وفى بعض النسخ نقطة بالقاف مقدمة على الطاء وتسمى اللؤلؤة نطفة ايضا كما قاله الراغب والنطفة تطلق على قليل الماء وعلى كثيره كما جاء فى الحديث فجاء رجل بنطفة فى اداوة وهو المراد هنا (من معين مياههم) المعين الماء الجارى ظاهرا والميم زائدة من العين وقيل انها اصلية من معن بمعنى سار فى الارض ومياه جمع ماء واصله موه اى لم يقدروا على شئ مما طلب منهم وهو استعارة مصرحة مرشحة او مكنية اى مع مالهم من موارد فصاحتهم وجارى كلامهم لم يجدوا قطرة من عذب قطراته (مع طول الامد) اى اتساع زمن التحدى (وكثرة العدد) من فصحائهم (وتظاهر) اى تعاون ومساعدة (الوالد وما ولد) اى الكبير والصغير وهذا دفع للشبه وازالة الاعذار اذ لو ضاق الزمان وقل الاخوان كان لهم معذرة ما (بل ابلسوا) بالبناء للفاعل وفتح الهمزة يقال ابلس اذا ايس قيل ومنه ابليس ليأسه من رحمة الله تعالى ولو كان اسمه عزازيل ويكون بمعنى الانكسار والحزن والمراد الاول (فما نبسوا) بنون وباء موحدة مفتوحة مخففة وورد بتشديدها كما فى قوله * ان كنت غير صائد فنبس ومعناه نطقوا قيل هو مختص بالنفى واورد البيت المذكور وقد يقال المخصوص بالنفى المخفف فتدبر (ومنعوا) بالبناء للمجهول (فانقطعوا) عن المعارضة لعجزهم وقد يقال هذا اشارة الى القولين فابلسوا فما نبسوا يشير لعجز طاقتهم عن بلاغته ومنعوا اى منعهم الله ايماء للصرفة وفى الارشاد لامام الحرمين فان قيل ان العرب لم تترك المعارضة للعجز بل لعدم الاكتراث به قيل هذا ركيك من القول لايخطر ببال عاقل وقد كانوا اذا قال شاعر شاعرا فى حقهم هاموا المعارضة فكيف وقد وبخوا اشد توبيخ وحقرت اصنامهم وسفهت احلامهم وقوتلوا حتى نكست اعلامهم وقد مر ماينبهنا ك عليه من اشارة المصنف رحمه الله تعالى لهذا وجوابه والاضراب لتوكيد نفى المعارضة كما يقال ماتكلم زيد بل سكت عجزا (فهذان نوعان من اعجازه) الاشارة الى اعجازه بنفس كلامه وخواص تراكيبه وبصورة نظمه واسلوبه ولم يلتفت المصرفة لضعف القول بها عنده كما تقدم ﴿ فصل الوجه الثالث من وجوه الاعجاز ﴾ اى اعجاز القرآن الكريم بوجه آخر غير الوجهين السالفين او غير الوجوه الثلاثة (ما انطوى عليه) اى اشتمل عليه ووقع فى ضمنه (من الاخبار) بكسر الهمزة مصدر (بالمغيبات) بفتح الباء المثناة التحتية المشددة جمع مغيب او مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا اهل عصره وما سيقع بعد ذلك مما لايعلمه الا الله والمراد هنا الثانى لان الاول يمكن الوقوف عليه فلذا عطف قوله (وما لم يكن ولم يقع) فمن فسره بما كان ووقع من القرون الماضية بناء على ان الاصل فى العطف التغاير فقد خالف كلامه الاتى من جميع

مامثل به وان كان صحيحا فى نفسه لاندراجه فيها (فوجد) بعد ذلك مطابقا لخبره وصدقا له وعبر عنه بالماضى وان كان مستقبلا بالنسبة لما قبله (على الوجه الذى اخبر) به فى هذه الآية (كقوله تعالى) فى سورة الفتح (لتدخلن المسجد الحرام) اللام داخلة على جواب قسم مقدر للتأكيد والتحقيق (ان شاء الله) علقه بالمشيئة مع تحققه تعليما للعباد او تلويحا بعدم دخول بعضهم لموته او غيبته او حكاية لما قاله ملك الرؤيا اوالنبى صلى الله عليه وسلم (آمنين) حال من فاعل لتدخلن والشرط اعتراض لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى وهو بالمدينة قبل عام الحديبية انه دخله مع اصحابه واخبرهم بذلك فظنوه انه فى ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فاخبرهم الله بانه سيقع بعد ذلك وكان كما اخبر (وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون) فاخبر الله تعالى ان الروم تغلب فارس بعد مدة اقل من عشرين سنة وكان كما اخبر الله به فى كتابه وذلك ان الروم كانوا اهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس ويفرحون بذلك تفاؤلا بغلبتهم المسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية واخبر ابو بكر رضى الله تعالى عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد اخبر الله تعالى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له ابى بن خلف كذبت فقال بل انت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بينى وبينك اجلا على عشر قلائص يأخذها الصادق منا فراهنه على ذلك لثلاث سنين واخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد فى الرهان فان الله قال فى بضع سنين وهى من الثلاث الى التسع فجعل القلائص مائة الى تسع سنين ففعل فوقع ذلك بعد سبع سنين فاخذ القلائص ابو بكر رضى الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم تصدق بها وكان هذا قبل تحريم القمار وانما امره بالتصدق بها لانه قد علم خبثها لانها سحت او شكرا لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم (وقوله تعالى ليظهره على الدين كله) هذا وعد من الله تعالى بان دين رسول الله سيظهر ويغلب سائر الاديان وتقهر امته صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الامم فان العزة لله ولرسوله وكان كما قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تأييد الله لجنده ونصرهم مع ما للكفرة من الكثرة فى المال والجند (وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية) اى ليجعلنهم خلفاء فى ارضه مالكين لها منصورين على اعدائهم وهذه الآية وان كانت عامة المراد بها غلبة المسلمين لاهل الردة فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (وقوله اذا جاء نصر الله الى اخرها) اى الى آخر السورة وهذه

الآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بكى العباس رضى الله عنه فقال ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول وعبر بالمجئ ايماء الى ان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها مترقبة القدوم وفيه من البلاغة ما لا يخفى ثم اشار الى تفسير ما ذكر بقوله (فكان جميع هذا كما قال) الله عز وجل مطابقا لما اخبر به والاشارة الى ما تقدم من المغيبات المخبر بها وكان بمعنى تحقق ووقع بعد الاخبار به ثم فصله على اللف والنشر بقوله (فغلبت الروم) وهم جيل من الناس معلومون (فارس) وهم الفرس اى قوم العجم ويطلق على بلادهم ايضا وهو لفظ معرب فان اريد الثانى قدر اهل وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (فى بضع سنين) اى سبع سنين كما مر اى فى رأس سبع سنين وآخرها والرأس يطلق على ذلك مع الزمان ويكون بمعنى الاول ايضا (ودخل الناس فى الاسلام افواجا) اى جماعات كثيرة بعد جماعات وفوجا بعد فوج لما اعز الله الدين ونشر اعلامه فى الخافقين وهذا اشارة لما فى سورة النصر السالفة (فمامات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين فى الارض) اى جعلهم خلفاء لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده واخر هذه الآية عن ذكر سورة النصر لان الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول وان تقدمت فى ذكر قبله وهذا مبنى على عموم الذين آمنوا فى قوله وعد الله الذين آمنوا الآية لجميع الامة وعدم اختصاصها بابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كما تقدم (ومكن فيها) اى فى الارض (دينهم) وهو دين الاسلام اى جعله متمكنا قار الاصول الى يوم القيامة يقال مكنته ومكنت له فتمكن وهو فى الاصل من المكان (وملكهم اياها) اى الارض لان اشرف المعمور منها فى ايديهم وباقيها فى انقياد لهم فهم بالقوة كالمالكين لها او انه باعتبار ما سيكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام الى الارض على دينه معدودا من امته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال (من اقصى المشارق الى اقصى المغارب) اى ابعد مكان من جانب المشرق الى ابعده من جانب الغرب وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة او لشرفه لانه محل الرسل وفيه الاراضى المقدسة وقد وقع للادباء مفاخرة بينهما فقال محيى الدين بن سحنون * من اين للغرب فضل * الا لمن يتغالى * والشمس تفقد فيه * والبدر يلقى هلالا * دلائل النقص فيه * فكيف يحوى الكمالا * وقال

* فلا تبخس الشرق حقا وخذ * من الوصف فيه على ما اتفق *
* مهب الصباء ومفيد الضياء * ووجه الزمان وثغر الفلق *

وعارضه الوداعى رحمه الله تعالى فقال

* الغرب خير وعند ساكنه * امانة اوجبت تقدمه *
* والشرق من نيريه عندهم * يودع ديناره ودرهمه *
ثم انصف من قال
* حوى كل من الافقين فضلا * يقربه الغبي مع النبيه *
* فهذا مطلع الانوار منه * وهذا منبع الابواء فيه *

وهذه لحدادية ونفحة مسكية احمضنا بها (كما قال عليه الصلوة والسلام) فى حديث صحيح رواه مسلم عن ثوبان رضى الله تعالى عنه (زويت لى الارض) بزاى معجمة وواو وياء مبنى للمجهول اى جمعت وطويت (فاريت) مبنى للمجهول من المزيد اى ارانى الله (مشارقها ومغاربها) اى جميع اماكنها وبلدانها (وسيبلغ ملك) بضم الميم (امتى ما زوى لى منها) وجمع بمراى عينى وما زوى منها هو المشارق والمغارب السالفة وتوهم بعضهم انه غيره وان اول الحديث مخالف لآخره ثم جمع بينهما بان المراد بما زوى العموم منها وما من شانه ان يملك فكانه قال جميعها وفيه ما لا يخفى وقدم المصنف رحمه الله تعالى خبر الله على الحديث رعاية للادب بتقديم الاصل الاشرف (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فاخبر بانه تعالى تولى حفظ القرأن من التبديل والتغيير فى سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة (فكان كذلك) فى المستقبل كما اخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها للامم المنزلة عليهم فقال بما استحفظوا من كتاب الله اى طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها والمراد بالذكر القرأن (لا يكاد يعد) بالبناء للمجهول اى لا يعد لكثرته (من سعى) اى اجتهد (فى تغييره وتبديل محكمه) ويكاد بمعنى يقرب ونفى القرب من العدد ابلغ من نفى العدة وقال تبديل محكمه دون تبديله ارشاد الى انه لا مانع من تبديله وقوله (من الملحدة) بيان لمن اى من الطائفة الملحدة من الالحاد وهو الميل كما مر سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة وتأويلها بامور سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسمعيلية وزعم بعضهم ان مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه نقص منه بعض القرأن كما ذكره القرطبي فى اول تفسيره (والمعطلة) الذين نفوا الصانع وتستروا بزى الاسلام خوفا من القتل وسعوا فى نقض الدين وتزيين ما يروج على بعض العقول القاصرة (لا سيما القرامطة) هم طائفة من الملحدين ايضا قال السمعانى فى الانساب القرمطى بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم والطاء المهملة نسبة لطائفة خبيثة وهم من اهل هجر والحسا واصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط وقيل حمدان ابن قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من اولاد بهرام جور ذكروا آباءهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بدولة الاسلام فى ايام ابى مسلم الخرسانى ونقله

الخلافة المروانية وهو من الموالى وهم من اولاد الملوك فاتفقوا على رفع الاسلام وقالوا ينبغى ان نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا اربعة اقسام لكل ربع رجل منهم واحد ذهب الى الكوفة فاول من اجابه حماد بن قرمط فاعانه على الدعوة وقيل انما سموا قرامطة لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عامرا يمشى وهو من اهل المدينة فقال انه ليقرمط فى مشيه انتهى اى يقارب خطاه ومنه الخط المقرمط وعلى هذا فهو عربى وقيل انه معرب وان جدهم كان يسمى كرمد فغيروه وعربوه وكان رجلا احمر العينين من سواد الكوفة فالكاف عجمية فى الاصل من الكرمية وهى الحرارة وكان ظهوره فى سنة ثمان وسبعين ومائتين فلم يزل يظهر الصلاح حتى اجتمع عليه الخلق فزعم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بشر به وانه الامام المنتظر فابتدع مقالات وزعم انه انتقل اليه كلمة المسيح وجعل الصلوة ركعتين بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز والمهرجان فكانت له وقايع وحروب ودعاة وخلفاء مذكورة فى التواريخ حتى ظهر منهم سليمان ابن الحسن الجبائى فعاث فى البلاد وافسد وقصد مكة فدخلها فى يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاثمائة فى خلافة المقتدر فقتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع باب الكعبة واخذ كسوتها واخذ الحجر الاسود فبقى عندهم سنين ثم ردوه مكسورا فنصب فى محله وقد كان بذل لهم فيه خمسون الف دينار فابوا ولم يزالوا كذلك حتى اخذوا الشام وغيرها حتى قاتلهم جوهر القائد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت مدة خروجهم ستا وثمانين سنة وكانوا يحرفون القرأن ويتأولونه بتأويلات فاسدة لم تقبلها العقول وما بعد سيما تجوز فيه وجوه الاعراب الثلاثة كما تقدم بيانه (فاجمعوا كيدهم) بقطع الهمزة والمراد بالكيد الحيلة والمكر فى تحريف القرأن (وحولهم وقوتهم) اى اعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم وقدرتهم فى ان يحرفوا القرأن (اليوم) منصوب على الظرفية قيل بتقدير اعد اليوم او بنزع الخافض اى الى هذا اليوم والمراد مطلق الزمان والوقت الحاضر فى زمن المصنف (نيفا) بكسر الياء المشددة وسكونها بعد نون مفتوحة ومعناه الزيادة اى مدة تزيد (على خمسمائة عام) وهى مدة سعى هؤلاء فيما ذكر (فما قدروا) فى هذه المدة الطويلة (على اطفاء شئ من نوره) تمثيل لحالهم فى سعيهم فى تحريف القرأن بمن اراد اطفاء نور عظيم منتشر فى الافاق (ولا على تغيير كلمة من كلامه) تفسير لما قبله بجعل كلام الله نورا (ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه) فضلا عن كلمة من كلامه فهو ترق (والحمد لله) على هذه المنة العظيمة وهى حفظ الله تعالى لكلامه وبقاء رونق نظامه وخيبة سعى من سعى فى اطفائه وافتضاح جهلة اعدائه (ومنه) اى مما اخبر به من المغيبات المعجزة (قوله) عز وجل (سيهزم الجمع ويولون الدبر) نزلت بمكة فلم يدر الصحابة رضى الله

تعالى عنهم ما المراد بها حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها فلبس صلى الله تعالى عليه وسلم درعه وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فعلمت المراد منها اى سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين ادبارهم اى يجعلون المسلمين متولين على ادبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بابلغ عبارة ففيها الاعجاز لفظا ومعنى (وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية) اى ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وفيها من الاخبار عن الغيب ان ناسا من اليمن وبنى خزاعة اسلموا وبقوا بمكة بعد الهجرة فلقوا من المشركين اذى شديدا فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اصبروا وابشروا بفرج قريب فنزلت هذه الآية فكان بعدها ما اوقع الله تعالى بهم من القتل ونصرة المؤمنين التى شفيت بها صدورهم وخرابهم بالسبى والجلاء وسلب نعمهم (وقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى الاية) فيها اخبار بالغيب من ظهور دينه على سائر الاديان على رغم انفهم وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وقوله لن يضروكم الا اذى) اى لا يقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالطعن فيهم وتهديدهم (وان يقاتلوكم الآية) اى يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فاخبر انهم كلما قاتلونا غلبوا وكانت عاقبة النصر لنا عليهم والامور بخواتيمها والحرب سجال (فكان كل ذلك) اى وقع كلما اخبر الله تعالى به قبل على طبق خبره من هزيمة جموعهم وتعذيبهم بما يشفى صدور المؤمنين واظهار دينه وتولية الدبر كل من قاتل منهم (و) مما فى القرآن من المغيبات (ما فيه) اى القرآن (من كشف اسرار المنافقين) اى اظهار ما اخفاه المنافقون فى قلوبهم مما لا يعلمه الا الله تعالى مما انزله فى حقه فى سورة المنافقين (و) كشف اسرار (اليهود ومقالهم) اى اظهار ما قالوه فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر به غيرهم (وكذبهم فى حلفهم) اى كذب المنافقين وقسمهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مقالتهم انها صادقة والله يعلم انهم لكاذبون كما ذكر فى سورة المنافقين ومثله كثير فى القرآن (وتقريعهم بذلك) اى توبيخ الله تعالى اياهم بسبب ما قالوه وحلفهم بايمان فاجرة ثم مثل لما ذكر فقال (كقوله) عز وجل (ويقولون فى انفسهم) اى قول اليهود فيما بينهم وفى خلوة تناجيهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) اى هلا يعذبنا الله بقولنا فى حق محمد وكان نبيا دعا علينا حتى نعذب او بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين فاخبر الله تعالى بذلك وفضح سرائرهم وزاد بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (وقوله تعالى يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك الآية) يعنى انهم يسرون فى ضمائرهم غير ما يظهرونه لك اذا اتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذين اخفوا قولهم يوم احد وقد غشيهم النعاس

ولم يكن اهمهم غير تخليص انفسهم من القتل وقال بعضهم لبعض فى خلوة من المؤمنين لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا الآية فاعلم الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاخبرهم بما قالوه وهو من جملة المغيبات (وقوله) عز وجل (ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية) اى سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين) دعا عليهم بالصمم او بالموت او لا نسمع ما دعينا اليه فاخبره الله تعالى بتحريفهم كتابهم ومقالتهم وعدم اطاعتهم وهو من الاخبار بالغيب الدال على اعجاز القرآن وهذا فى حق اليهود وفى الآية كلام مفصل فى التفاسير واحتمالات اخر ووجوه من الاعراب ليس هذا محل تفصيلها وقوله فى هذه الآية وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين اى بالتكذيب والاستهزاء والسخرية فهذا اخبار بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويبرزون سبه فى صورة التوقير فيقولون راعنا وصفا له صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة موهمين التماس نظره ورعايته لهم مكرا منهم وليا بالسنتهم وكلامهم (وقد قال الله تعالى حال كونه (مبينا) بالياء اى مظهرا (ما قدره الله) وقضى به (واعتقده المؤمنون) من الظفر باحدى الطائفتين العير او النفير (يوم بدر) اى فى وقعتها لان اليوم يطلق على ذلك فى قولهم ايام العرب كما تقدم وهو من المغيبات التى اخبرهم بها بقوله (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) بدل مما قبله (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة مستعارة من الشوك المعروف للقوة والحدة بكثرة السلاح والرجال ومنه شاكى وشاك السلاح للرجل المستعد للحرب بالآية وهذا اخبار للمؤمنين بامر وقع فى انفسهم ودوه واحبوه وهو مغيب عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعلمه به جبريل عليه الصلاة والسلام فلما تلاه عليهم زاد ايمانهم باعجاز القرآن وذلك ان المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين بما لهم من التجارة واحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك فخرج ابو جهل بمقاتلة مكة وهم النفير ولما علم ابو سفيان بخروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك اخذ بالعير الى جانب ساحل البحر فقيل لابى جهل ارجع بالناس فابى وسار بمن معه الى بدر فوعد الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد الامرين الظفر بالعير او قتل النفير وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يودون فى انفسهم اخذ العير لما فيها من المال وقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله تعالى انهم يلقون العدو ليقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وايد الله المؤمنين واعز الدين (ومنه) اى من اخباره بالغيب فى كلامه المعجز (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) وهم خمسة من الكفار او سبعة كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اشد الاذى ويسخرون به فاخبره

الله تعالى بهلاكهم سريعا وكفايته امرهم قبل وقوعه فكان كما قال وهذا من جملة المغيبات التى اخبر بها رسوله كالذى قبله ولذا جعلهما فى قرن كما اشار اليه فى سبب نزول هذه الآية كما رواه الطبرانى فى الاوسط (فلما نزلت) هذه الاية عليه صلى الله عليه وسلم (بشر بذلك اصحابه) اى بهلاكهم لما كان عندهم من الالم من شدتهم فاخبرهم (بان الله تعالى كفاه اياكم) باهلاكهم (وكان المستهزؤن نفرا بمكة) من اهلها (ينفرون الناس عنه) صلى الله عليه وسلم بطعنهم واستهزائهم (و يؤذونه فهلكوا) وهم الاسود الزهرى بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى وعدى بن قيس وقيل منهم الحارث بن عيطلة وفكيهة ابن عامر الفهرى والحارث بن الطلاطلة ذكرهما الماوردى فى اعلام النبوة وروى ان جبريل اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بهلاكهم وكيفيته وقد مر وابه رجلا رجلا وكيفية هلاكهم مفصل فى السير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم هلكوا فى ليلة واحدة والذى ذكره غيره انهم هلكوا فى ايام متقاربة بعد مادعا عليهم بفناء البيت فاجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وانزل عليه الاية كما قال فى الهمزية

* وكفاه المستهزئين و كم ساء * نبيا من قومه استهزاء *
* فرماهم بدعوة من فنا البيت * فيها للظالمين فناء *
* خمسة كلهم اصيبوا بداء * والردا من جنوده الادواء *

(و) من الاخبار بالغيب (قوله والله يعصمك من الناس) اى يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوء وكان الصحابة يحرسون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى اسفاره فلما نزلت منعهم من الحراسة ومر ان هذا لاينافى ما اصابه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد لان الآية نزلت بعدها اوالمراد حفظه من القتل كما فصله الخيضرى فى خصايصه (فكان كذلك) اى محفوظا معصوما كما اخبر الله تعالى وكان هنا تامة وكذلك اى وقع ووجد كما اخبر به اوناقصة وكذلك خبرها وقوله (على كثرة من رام) اى قصد (ضره) مفعوله وفسره بقوله (وقصد قتله) اشارة الى ما تقدم عن الخيضرى من ان العصمة انما هى عن القتل لا عن غيره من انواع الاذى كما مر (والاخبار بذلك معروفة صحيحة) كما فى صحيح مسلم عن جابر ابن عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى واد كثير العضاة فنزلت تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس فى الوادى يستظلون بالشجر فاتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت فى يده فقال له من يمنعك منى قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فشام السيف قال وها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه

فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا اكون فى قوم هم حرب لك و مثله كثير

﴿فصل الوجه الرابع﴾ من وجوه الاعجاز القرآنية (ما انبأ به) اى ما خبر الله به (من اخبار القرون السالفة) هو جمع قرن وهم اهل كل عصر وزمان من الاقتران لاقتران زمانهم واحوالهم فقيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق الزمان اى اخبار الامم والملل المتقدمة والبلاد البعيدة مما لا يطلع عليه الا من تتبع التواريخ اوساح فى اقطار الارض وقد عمر عمرا طويلا وكلا الامرين منتف فى حقه صلى الله عليه وسلم (والامم البائدة) الهالكة الذين افناهم الموت وطحنتهم رحى الدهر حتى اندرست آثارهم (والشرايع الداثرة) بدال مهملة وثاء مثلثة من دثر اذا اندرس ولم يبق له اثر والدثور ورد بمعنى النسيان فالمراد معرفته بالشرايع القديمة التى نسيت ونسخت احكامها من تدثر بثيابه اذا تلفف بها وفى تعبيره نوع من البلاغة تسمى التفنن لان السالفة والبائدة والداثرة متغايرة اللفظ متقاربة المعانى (مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة) بيان لما فى قوله من اخبار على حد قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا على ما حقق فى شروح الكشاف (الا الفذ) الفذ هو الفرد والشاذ وهما بمعنى وكلاهما بذال معجمة وفى الحديث لا تدع شاذة ولافاذة (من احبار اهل الكتاب) احبار جمع حبر بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه والعرف يخصه بعلماء اهل الكتاب ومنه كعب الاحبار التابعى المشهور ويقال له كعب الحبر ووجه اطلاقه انه من الحبر وهو المداد الذى يكتب به واليه نسب كعب المذكور فقيل كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه الازهرى وعن الفرا الحبر العالم والجمع احبار مثل حمل واحمال ويقال الاحبار ايضا اى عالم العلماء وكذا فى تهذيب الاسماء للنووى وحينئذ فلا عبرة بقوله فى القاموس كعب الحبر بالفتح ويكسر ولا تقل كعب الاحبار (الذى قطع عمره فى تعلم ذلك) اى تعلم اخبار من سلف وشرايعهم فاذا كان لا يعلمه الا من قرأه ودرسه طول عمره واما من كان اميا فى امة امية لم يقارن من له علم بذلك فعلمه به واخباره مفصلا امر خارق للعادة فى حقه محال لا لذاته بل لذاته (فيورده) متفرع على قوله انبأ اى اذا اخبر به النبى فى الوحى المتلو المنزل عليه يورده اى يذكره (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) حال من الفاعل اوصفة مصدر مقدر اى ايرادا كائنا على وجهه اى على اتم حال يليق به وينبغى له كما يقال دبر الامر على وجهه كما فى الاساس (ويأتى به على نصه) اى فى غاية مرتبة من كماله ورفعته يقال بلغ الشئ نصه اى نهايته كما فى الاساس لان معنى نص رفع ومنه المنصة وفيه تورية لان عبارة القرآن تسمى نصا (فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه) اى من يعلم تلك الاخبار والشرايع

اذا سمعها ممن لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله (او ان مثله) اى مثل
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او مثل هذا الكلام (لم ينله) اى لم يصل اليه
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بتعليم) اى من البشر بل بوحى من الله تعالى
(وقد علموا) اى علم الناس من المسلمين والمشركين (انه صلى الله تعالى عليه وسلم
امى) اى لايعرف القراءة ولا الكتابة فقوله (لا يقرؤ ولا يكتب) صفة له مفسرة
وموضحة وقول النحاة الجملة المفسرة لامحل لها من الاعراب لبس على اطلاقه ولما
كان هذا لايكفى لاحتمال ان يسمعه ممن قرأ وكتب قال (ولا يشتغل بمدارسة)
اى بحفظ وتلق من الافواه (ولا مثافنة) بضم الميم وتليها مثلثة ثم الف وفاء ونون
اى مداومة طلب ومجالسة تحتك فيه الركب بالركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك
وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع اهل العلم بالاخبار والشرايع للتعلم منهم وهو
مجاز من ثفن البعير اذا برك والثفنا ركبه التى يبرك عليها حتى يغلظ من حك الارض
كثفنته على كذا اذا اعتنه وكان يقال بن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه فى طلب
العلم اولكثرة سجوده حتى يصير فى جبهته اثر السجود وهذا ابلغ مما قبله وهو الصحيح
الموافق لدأب المصنف فى بلاغة وماقيل من انه بمثلثة وقاف وموحدة من ثقب رأيه
اذا نفذ وذهن ثاقب وان الاول بمعنى الثفنت يد الرجل بكسر الفاء اذا غلظت من
كثرة العمل فهو من تحريف الكتبة الذى لايلتفت اليه من له علم بكلام العرب وان نقله عن
بعض الشراح وقد تقدم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اميا لايقرء الخط
ولايكتبه وانه من معجزاته ورد ماقيل انه مخصوص باول امره وانه كتب بيده الشريفة
عام الحديبية فكان ذلك معجزة له اخرى وقد شنع على قائله علماء الاندلس ونسبوه
بالزندقة كما مر مبسوطا غيرمامرة (ولم يغب عنهم) اى لم يغب صلى الله عليه وسلم
عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما اخبرهم به (ولا جهل حاله احد منهم) من ولادته
صلى الله تعالى عليه وسلم الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من اهل الكتاب (وقد كان
اهل الكتاب) اى احبار اليهود والنصارى (كثيرا مايسألونه) اى فى كثير من
الاحيان فهو منصوب على الظرفية وما مزيدة لتأكيد معنى الكثرة اوهو صفة مصدر
مقدر اى يسألونه (صلى الله تعالى عليه وسلم) سؤالا كثيرا (عن هذا) اى عن خبر
من تقدم من الامم السالفة (فينزل عليه) عقب سؤالهم جوابا لهم (من القرأن
مايتلو عليهم منه ذكرا) المراد بالذكر القرأن المذكر لهم (كقصص) مصدر بالفتح
اوجمع قصة بالكسر اى سير (الانبياء مع قومهم) فيذكره صلى الله تعالى عليه وسلم
لهم مفصلا بابلغ عبارة والطف اشارة (وخبر موسى والخضر) بفتح الخاء وكسر الضاد
المعجمتين ويجوز سكون ثانيه مع فتح اوله وكسره وهو ماقصه الله تعالى فى سورة
الكهف وموسى هو بن عمران الكليم على الاصح لانبى آخر كما يزعمه اهل الكتاب
والخضر هو الباء بن ملكان على اقوال فى الاختلاف فى اسمه وقد اختلف ايضا

فى نبوته ورسالته وانه هل هو حى الى الآن اومات قبل تمام المائة الاولى اوقبل زمانه
صلى الله تعالى عليه وسلم واكثر علماء الصوفية على انه حى الى الآن الا ان الله تعالى
اخفاه عنا وقد اطبق اكثر الصالحين على ذلك وانهم يلاقونه ويتحدثون معه
وانه يحج فى كل سنة وليس فى ذلك دليل قاطع ولكن حسن الظن يصدق ماقالوه
والاكثر انه ولى لانبى ومن الغريب ماقيل انه ملك وقيل انه لايموت الا فى آخر الزمان
حين يرتفع القرأن وفى صحيح مسلم فى حديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال ابراهيم
ابن سفيان راوى كتاب مسلم يقال انه الخضر وكذلك قال معمر فى مسنده وسمى خضرا
لانه اذا جلس على ارض اخضرت له اولانه اذا صلى اخضر ما حوله وفى جامع
الاصول عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم
انما سمى بذلك لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت تحته وفى صحيح البخارى
من حديث همام بن منبه عن ابى هريره مرفوعا انما سمى الخضر لانه جلس على
فروة فاذا هى تهتز من خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة اوالحشيش اليابس
قال بن فارس الفروة كل نبات مجتمع اذا يبس وقال الخطابى الفروة وجه الارض
انبتت واخضرت بعد ان كانت جردا (ويوسف واخوته) وهى واسماء اخوته
والخلاف فى كونهم انبياء ام لا سيأتى مفصلا وقد كان اليهود سألوه صلى الله تعالى
عليه وسلم عنها فانزل الله عليه السورة (واصحاب الكهف) ومعناه المغارة لانهم
وجدوا بها واختلف فى مكانها ولهم اسماء يونانية اختلف فى ضبطها وكانوا فروا
من ملك يسمى دقيانوس وقصتهم مفصلة فى التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا
النضر بن الحارث وعقبة بن ابى معيط الى احبار اليهود ليسألوهم عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وامره لانهم عندهم علم من الكتاب الاول فقوموا المدينة
قبل الهجرة وسألوهم عن ذلك فقال لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان اخبركم عنها
فهو نبى مرسل والا فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان امرهم
العجيب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأوه وسلوه عن الروح
ماهى فان لم يبينها فهو نبى مرسل على مايأتى فسألوه عن ذلك فقال اخبركم غداء
ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحى اياما اختلف فى عددها فارجف بذلك كفار
مكة وحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انزل الله عليه ماقصه فى سورة
الكهف (وذى القرنين) اختلف فيه وفى اسمه وسبب تسميته فقيل يونانى اسمه
هرديس وقيل حميرى اسمه الصعب بن ذى مراثد وفى خطبة لقس بن ساعدة * اين
الصعب ذو القرنين * ملك الخافقين * واذل الثقلين * وعمر الفين * ثم كان
كلحظة عين * وهو الاسكندر وسمى ذا القرنين فقيل لانه عمر مدة قرنين وقيل لانه
ضرب على قرنى رأسه وقيل لذوابتين له والقرن الشعر وقيل غير ذلك (ولقمان وابنه)

وهو لقمان بن عنقاء بن مروان كان وليا صالحا قيل انه نبي و الاصح خلافه وقيل انه نوبي من اهل ايليا واسم ابنه فاران عند ابن قتيبة (واشباه ذلك من الانباء والقصص) و الاخبار المذكور فى القرأن عمن مضى من الامم السالفة (وبدء الخلق) اى ابتداء خلق الله للدنيا وما جرى فى ذلك مما لايطلع عليه الا من قرأ الكتب ودرسها وخلقه للسموات والارض (ومافى التورية والانجيل) من احكام الشرايع والتوحيد (والزبور وصحف ابراهيم وموسى) من المواعظ والاذكار وذكره لبدء الخلق لما تضمنه من الاخبار عما سلف ايضا من اخبار الامم فلا يرد عليه ما قيل من ان بدء الخلق اخبار عن فعل الله تعالى وهو جدير بالحاقه بالاخبار بالغيب (مما صدقه فيه العلماء بها) اى الاخبار من اهل الكتاب حين ذكرلهم (ولم يقدروا على تكذيب ماذكر منها) لكونه مطابقة للواقع ولما عندهم مما لم يمكن انكاره (بل اذعنوا لذلك) فاقروا به واعترفوا منقادين له (فمن موفق) اسم مفعول من التوفيق اى الذين سمعوا ماقصه صلى الله عليه وسلم عليهم وعرفوا حقيته منهم من وفقه الله تعالى فهداه و (آمن) بالمد فعل ماض مفتوح الآخر (بما سبق له من خير) اى بسبب ما سبق له فى علم الله الازلى وحكم بانه سعيد فسبق فعل ماض بسين مهملة وباء موحدة وقاف والخير هو احسان الله وانعامه عليه بهدايته ويجوز كسر سينه قبل باء مثناة تحتية ماض مجهول ساقه اى بما ساقه الله تعالى واوصله اليه من الخير (ومن شقى معاند حاسد) اى اشقاه الله تعالى حتى حمله العناد و الحسد على عدم الانقياد لما علم حقيته كما حمل الحسد ابليس لعنه الله تعالى على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن (ومع هذا) العناد والحسد الذى اظهروه (فلم يحك) بالبناء للمجهول ونايب فاعله انه انكر الواقع بعد سطور وهو بالفاء التفريعية تفصيل وتبيين لقوله لم يقدروا على تكذيب ماذكر منها والمقام مقام اطناب وخطابة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لاموقع له بعدما تقدم اى لم يذكر (عن واحد من النصارى واليهود على شدة عدواتهم له) صلى الله عليه وسلم اى هم مع انهم اشد الناس عداوة له وعلى بمعنى مع قوله وانه لحب الخير لشديد اى على حب الخير لشديد (واحرصهم على تكذيبه) اى على شئ من كلامه يقدرون على نسبته الى الكذب فيه (وطول احتجاجه) عليه الصلوة والسلام (عليهم) اى اقامة الحجة عليهم (بما فى كتبهم) المنزلة على انبيائهم عليهم الصلوة والسلام (وتقريعهم) اى توبيخهم وتفضيحهم (بما انطوت عليه مصاحفهم) جمع مصحف بتثليث الميم كما نقل عن ثعلب والفتح غريب من اصحف اذا جمع على الصحف فهى بمعنى الصحف هنا (وكثرة سؤالهم له عليه الصلوة والسلام) عما لا يعلمه الا من له تبحر فى العلم منهم (وتعنيتهم اياه) تفعيل من العنت وهو المشقة والتعب اى تكليفهم بما هو شاق (عن اخبار انبيائهم) متعلق بسؤالهم

(واسرار علومهم) اى الامور الخفية الدقيقة من علومهم (ومستودعات سيرهم) اى سؤالهم عما اودع فى صحفهم من سير انبيائهم (واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم) وفى نسخة بمكنون بدل مكتوم اى اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله منهم عن امور مكتومة مخفية عندهم وستروها عن غيرهم (ومضمنات كتبهم) اى ما تضمنتها كتبهم من الاحكام وغيرها (مثل سؤالهم عن الروح) فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان كما تقدم بيانه (وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى) لما قال علماء اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت او اجاب عن الجميع فليس بنبي وان اجاب عن الاولين و سكت عن الروح ووكل علمها الى الله فانه كذلك فى التورية فهو نبي مرسل (وحكم الرجم) اى سؤلهم له صلى الله تعالى عليه وسلم عن حكم الرجم للزانى المحصن الذى انكروه فبينه لهم صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى التورية (وما حرم اسرائيل على نفسه) اسرائيل هو يعقوب عليه الصلوة والسلام ومعناه صفوة الله وكان اليهود سألوه امتحانا له عما حرم على نفسه فقال لحوم الابل والبانها والعرق وما فيه عرق فصدقوه لانه كان سكن البدو خوفا من اخيه العيص ثم نذر انه ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات ان يذبح آخر اولاده وعزم عليه فلما سار وقرب منه بعث الله ملكا وكزه فخذه فمرض بعرق النسا حتى كان من وجعه ما كان وذلك لئلا يلزمه ذبح ولده فحرم على نفسه ما مر لانه يضر عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح ويعقوب مات بمصر فحمله يوسف عليهما الصلوة والسلام فدفنه عند ابيه بوصية منه (و) سألوه ايضا عن (ما حرم عليهم) اى على بنى اسرائيل (من الانعام ومن الطيبات) من المأكل (كانت احلت لهم) اى جعلها الله حلالا لهم (فحرمت عليهم ببغيهم) اى حرمت عليهم عقوبة بسبب ظلمهم يشير الى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية فحرم الله تعالى عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذى مخلب من الطيور وكل ذى حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه فى سورة الانعام وقوله ببغيهم اى بقتل انبيائهم واخذهم اموال الناس بالباطل فقالوا ان الله لم يحرم علينا شيئا فنزلت هذه الآيات بتكذيبهم حتى افتضحوا واذعنوا (و) مثل (قوله) تعالى (ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل الآية) الاشارة الى قوله تعالى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود كزرع اخرج شطأه الى آخر ماذكره فى سورة الفتح فاخبرهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم

بما فى كتبهم (وغير ذلك من امورهم التى نزل بها القرآن) مما لا يعلم مثله الا بوحى (فاجابهم) عما سألوه (وعرفهم) بما كتموه (بما اوحى اليه من ذلك) السابق ذكره كله (انه انكر ذلك او كذبه) بفتح همزة ان والمصدر المسبوك منها ومما دخلت عليه نائب فاعل لم يحك وهو ظاهر ثم اضرب عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقى فقال (بل اكثرهم صرح) اى تكلم بكلام صريح ناطق (بصحة نبوته) اى قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صادق فى دعوى النبوة وان له نبوة صحيحة (وصدق مقالته) اى صدق كل ما قاله صلى الله عليه وسلم مما ادعاه ومما نقله عن كتبهم وصدق مصدر مضاف للفاعل ومقالته مجرور او فعل ماض مشدد الدال ومقالته منصوب مفعوله (واعترف بعناده وحسده اياه) فاقر بان جحده لما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم محض عناد وحسد وافراد ضمير حسده رعاية لافراد لفظ اكثر وروى بضمير الجمع رعاية لمعناه وليس حسده فعل ماض لقوله اياه فانه يأباه (كاهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة قبل الف ونون وهم قوم من نصارى نجران العرب منزلهم بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة سموا بنجران بن زيد بن سبأ وسيأتى الكلام عليهم (وابن صوريا) بضم الصاد وراء مهملتين وواو ساكنة قبل الراء ومثناة تحتية مقصور وجوز البرهان مده وهو عبد الله بن صوريا وهو حبر من احبار اليهود الذين كانوا بالمدينة وهو الذى وضع يده على آية الرجم وهو لفظ عبرانى واختلف فى اسلامه فقيل انه اسلم وقيل مات على كفره (وابنى اخطب) تثنية ابن واخطب بزنة افعل التفضيل بخاء معجمة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وموحدة علم لابيهما وهما حيى بضم الحاء المهملة وفتح الياء المثناة التحتية يليها ياء مشددة وابو ياسر وهما يهوديان من يهود المدينة معروفان ماتا على كفرهما وحيى هذا ابو صفية ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها قالت كان عمى ابو ياسر احسن رأيا من ابى كان يقول الست تجده فى كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما فى نفسك منه فيقول معاداته (وغيرهم) من احبار اليهود والنصارى (ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة) اى لم يقر بحقية ما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وادعى انه كذب مكابرة منه يقال بهته وباهته اذا كذب به ونسبه للبهتان * ومنكر طيب المسك كذبه الشذاء * وقوله بعض المباهتة اى فى بعض اموره التى يمكن المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يمكن انكاره من احد من العقلاء وقد علمت انه يقال بهته بكذا وباهته كما فى الاساس ومن انكره فقد اتى ببهتان من عنده (وادعى ان فيما عندهم) من كتبهم (من ذلك لما حكاه) متعلق بقوله (مخالفة) بالنصب اسم ان ومن الموصولة فى قوله ومن باهت مبتدأ خبره (دعى) بالبناء للمجهول اى دعاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم باذن ربه (الى اقامة حجته) اى الى دليل بالاتيان بنص من كتبهم

يخالف ما اخبرهم به (وكشف دعوته) اى بيان ما ادعاه (فقيل له) اى قال الله له صلى الله تعالى عليه وسلم قل لهم (فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون) يعنى قوله تعالى فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون وسبب نزولها ان اليهود قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم وانت تأكل لحم الابل والبانها وذلك يحرم فى شرعه وقيل ان المسلمين قالوا لهم انما حرمت عليكم الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فامروا باحضار التورية حتى يتلى ما فيها من تحريم ذلك فلم يجدوا ذلك فيها وافتضحوا وقيل انهم اتوا برجل وامرأة زنيا فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كيف تفعلون فقالوا نحممهما ونضربهما فقيل لهم ان الذى فى التورية رجمهما فانكروه فقال لهم كذبتم ائتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فأتوا بها وقرؤا حكم الزنى فيها فوضع القارى يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فانتزعت من يده ووجد فيها الرجم فرجما (فقرع ووبخ) اى قرعهم وعيرهم بتكذيبهم وافترائهم على الله صريحا وتلويحا وجعلهم ظالمين (ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو امرهم بالاتيان بالتورية وهى حاضرة بين ايديهم فصاروا قسمين (فمن معترف بما جحده) وانكره من احكام التورية (ومن متواقح) بضم الميم والمثناة فوقية مفتوحة وقاف مكسورة وحاء مهملة اى متكلف للوقاحة وهى قلة الحياء وصلابة الوجه حتى لا يبالى بافتضاحه والمراد به ابن صوريا الذى وضع يده على آية الرجم فقال له ابن سلام ارفع يدك يا اعور كما اشار اليه بقوله (يلقى على فضيحته) اى ما يفضحه ويجعله سخرة بين الناس (من كتابه) اى من الكتاب الذى معه (بيده) اى يضعها عليه وعلى الآية التى فيها ما يخالف دعواه ويكذبه (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول بمعنى ينقل معطوف على قوله فلم يحك المتقدم ونائب فاعله (ان واحدا منهم) اى من اهل الكتابين (اظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتبه) اى من الكتب التى عندهم مما انزل على انبيائهم (ولا ابدا) اى اظهر نقلا (صحيحا ولا سقيما) اى محرفا لفظه او ما ولا معناه (من صحفه) جمع صحيفة وهى الكتاب (قال الله تعالى) بيانا لما كانوا عليه فى هذا الامر (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة الكتب ببعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وشانه (ويعفو عن كثير) لحلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله (الآيتين) وهما قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

﴿فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة﴾ فى غاية الظهور (لا نزاع فيها) اى

لايتنازع احد من العقلاء فى كونها ثابتة معجزة (ولا مرية) بكسر الميم وضمها كما مر بمعنى شبهة وشك فى ذلك وهى عامة فى جميع الآيات وفى جميع الاخبار الواقعة فيها كما قال الله تعالى ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب (ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة (آى) جمع آية وهو اسم جنس جمعى كتمر وتمرة وليس كل مايفرق بينه وبين واحده بالتاء اسم جنس جمعى كما فصله البدر بن مالك فى باب الجمع من شرح الالفية والآية جملة من القرآن لها مبدأ ومقطع كما مر (وردت بتعجيز قوم) اى جاء فيها اظهار عجز طائفة مخصوصة من الناس (فى قضايا) جمع قضية وهى الحادثة الواقعة فى حكم قضاه الله تعالى وقدر (واعلامهم انهم لايفعلونها) الاعلام بكسر الهمزة مصدر اعلم مجرور معطوف على تعجيز والضمير للقضايا (فمافعلوا ولاقدروا على ذلك) المذكور من تلك القضايا ونفى القدرة ابلغ من نفى العلم (كقوله) عزوجل (لليهود) لما ادعوا دعاوى باطلة لقولهم لن يدخل الجنة الامن كان هودا او نصارى فكذبهم والزمهم الحجة فقال خطابا له صلى الله عليه وسلم (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) وهى الجنة (عند الله خالصة) اى خاصة بكم وهو حال من الدار الآخرة والخطاب لاهل الكتاب (من دون الناس) اى باقيهم من المؤمنين وغيرهم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فى قولكم انكم من اهل الجنة وانها مخصوصة بكم لان من تيقن دخول الجنة اشتاق لها واحب التخلص من هذه الدار واكدارها ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه (ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم) فنفى عنهم تمنى الموت فى جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وابدا وماقدمته ايديهم الكفر بالله وتحريفهم التوراة فما فى هذه الآية من المعجزات لانه اخبار بالغيب وهو كما اخبر اذ لو تمناه احد منهم مع توفر الدواعى على نقله اشتهر والتمنى وان كان من اعمال القلب الخفية كما يأتى فالنطق به وقولهم تمنينا مما لايخفى ولو تمنوه ماتوا فهم لحرصهم على الحياة وخوفهم ان يتمنوه وقد صرفهم الله تعالى عن ذلك معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استشكل ما قاله المصنف هنا بان ماذكره هنا داخل فى الوجوه السابقة فان قوله لن يتمنوه ابدا مثل قوله فأتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا لاعلامهم بانهم لايفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم فهو داخل فى النوع المتقدم لانه اخبار عما استأثر الله بعلمه فى المستقبل فجعله ادنى منه غير مسلم وقد سوى بينهما فى الكشاف والجواب عنه ان ما تقدم امر معجز فى نفسه فى سائر الازمنة بخلاف ما نحن فيه فان قول احدهم ليتنى اموت ونحوه امر ممكن لهم ولغيرهم واعجازه انما هو بمجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو مغاير لماقبله وادنى منه بمراتب (قال ابو اسحق الزجاج) فى تفسيره المسمى بمعانى القرآن وهو تفسير جليل يعتمد عليه الزمخشرى فى كشافه وهو ماخذه كما مر وهو العلامة

فى فنون العربية التى تلقاها عن المبرد واسمه ابراهيم بن السرى بن سهل بن الزجاج نسبة لصنعته توفى سنة احدى عشر وثلثمائة يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة كما تقدم (فى هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة) اى رسالة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (لانه قال فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم) وفى نسخة احد منهم وفى الكشاف فان قلت التمنى من اعمال القلوب وهو سر لايطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوه قلت ليس التمنى من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا اوليت كلمة تمن ومحال ان يقع التحدى بما فى الضمائر والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه وفى حواشيه للقطب انه استدلال على ان التمنى ليس من افعال القلوب لان التحدى انما يكون بامر ظاهر وفيه ان التحدى انما يكون باظهار المعجز لالزام من لم يقبل الدعوى والتمنى ليس بمعجز فهو كقول الخصم احلف لى ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدى هنا بطلب دفع المعجزة فان اخباره بانهم لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع لايكون الا بامر ظاهر وهو كلام حسن منعه قول من لم يصل الى المنقول وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث روى البيهقى من طريق الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بهذا اللفظ الاتى واحمد فى مسنده عن ابن عباس مرفوعا بسند جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا (والذى نفسى بيده) اقسم بالله قسما مناسبا للمقسم عليه فان معناه ان روحه بيد الله ان شاء ارسلها فيحيى وان شاء امسكها فيموت وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يقسم به (لايقولها) اى كلمة التمنى المفهومة من السياق (رجل منهم) اى واحد من بنى اسرائيل والرجل على ظاهره والمراد مايعم المرأة (الاغص بريقه) غص بضم الغين المعجمة وفتح الصاد المشددة المهملة او بفتحهما وفاعله ضمير الرجل وعليه اقتصر بعضهم ولاينافى الاول كونه لازما كما توهم والغصة مايقف فى الحلق فيمنع النفس حتى تهلكه يقال غص بالطعام وشرق بالشراب وشجى بالعظم وجرض بالريق وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر والريق رطوبة الفم وغصص الدهر مصائبه وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما فى النهاية واليه اشار اليه بقوله (يعنى يموت مكانه) اى فى مكانه الذى غص فيه فلايمهل لانتقاله لفراشه (فصرفهم الله عن تمنيه) مصدر مضاف لمفعوله وهو ضمير الموت (وجزعهم) بفتح الجيم وتشديد الزاى المعجمة وفتحها وفتح العين المهملة وفى نسخة فى جزعهم وكونه جرعهم براء مهملة غلط (ليظهر صدق رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (وصحة ما اوحى اليه) ثم ايده بقوله (اذلم يتمنه احد منهم) لخوف الموت

لتيقن صدق خبره (وكانوا على تكذيبه احرص لوقدروا) على تكذيبه بان يتمنوا ولايموتوا والجملة حالية بتقدير قد (ولكن الله) بالتخفيف والتشديد (يفعل مايريد) من تمنيهم وعدمه (فظهر بذلك) اى بصرفهم عماهم أحرص عليه (معجزته وبانت حجته) بصدق خبره عن الغيب (قال ابو محمد الاصيلى) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (من اعجب امرهم) اى اليهود (انه) الضمير للشان (لايوجد منهم جماعة ولاواحد من يوم) اى من حين (امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم) بقوله قل لهم فتمنوا الموت (يقدم عليه) اى على تمنى الموت (ولايجيب اليه) الى قوله تمنوا الموت اوالى قول احد تمنى الموت لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال ولتجدنهم احرص الناس على حياة (وهذا) المذكور من امتناعهم عن التمنى (موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم) اى كل من اراد ان يعرفه اذا ذكره لهم ظهر به ما فى طباعهم والامتحان هو التجربة وانما ذكره دفعا لما يقال التمنى امر خفى فقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه (وكذلك آية المباهلة) اى مثل قصة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بنى اسرائيل قصة المباهلة فى نصارى نجران لان فيها تكليفا بالتكلم بامر لوقالوه هلكوا وقد اخبره الله تعالى به قبل وقوعه فكان كما اخبر ولم يجبه احد منهم الى مادعاهم اليه كما لم تتمن اليهود الموت فهو (من هذا المعنى) يعنى انهما متقاربان كما قررناه آنفا واصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهل وهو الاهمال كارسال البعير وحل صرار الناقة يقال ابتهلت فلانا اذا خليته وارادته ومنه الابتهال وهو تضرع الدعاء قال ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال فيه قال الشاعر * نظر الدهر اليهم فابتهل * اى استرسل اليهم فافناهم انتهى وفيه رد على بعض اهل اللغة اذ ظن ان حقيقته الملاعنة ويؤيده ظاهر قوله تعالى ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين (حيث وفد عليه) الوفد هو القادم من غير اهل الديار كامر وحيث هنا للزمان اى لما قدموا عليه من ديارهم (اساقفة نجران) جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة وآخره فاء مشددة وهو رئيس النصارى فى دينهم قاضيهم وامامهم قيل سمى به لانحنائه وخضوعه ونجران بفتح النون واسكان الجيم بلدة كانوا فيها وهى بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة قدموا منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ستون راكبا منهم اربعة عشر رجلا رؤساءهم ومنهم ثلاثة نفر بيدهم كل امرهم واميرهم اسمه العاقب كان ذا رأيهم كالوزير اسمه المسيح وثمالهم السيد وصاحب رحلهم الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وائل اسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة فى الاسلام (وابوا الاسلام) اى امتنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه (فانزل الله عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حقهم (آية المباهلة بقوله

فمن حاجك فيه الآية) وتمامها من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومعنى وانفسنا وانفسكم اى ليدع بعضنا بعضا فان الانسان لايدع نفسه وكيفيتها كما قصه الله تعالى ان يجمع كل من المتخاصمين اهله ثم يتوجه كل منهما الى الله تعالى ويقول اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وانا اقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك على الكاذبين منا فان عذاب الله يحل بمن كذب من بطر وهذا لم ينسخ فان سلطان العلماء العز بن عبد السلام اسند اليه بعض اهله شيئا لم يقله فقال اباهله الى الله ففعل فلم يمض سنة حتى هلك من باهله وانما جمع الاهل لتخويفهم بحلول العذاب من الله بهم اجمعين ومن قال هنا معنى البهلة بالضم والفتح اللعنة لم يصب كامر عن الراغب وهذا مما نحن فيه من وجه ومن قال الاسقف مشتق من السقف كما قاله ابن السكيت والهاء للعجمة ففى كلامه تناقض (فامتنعوا منها) اى من المباهلة وخافوا لما شاهدوه من الهلاك على انفسهم بدعائه (ورضوا باداء الجزية) وهو الخراج المرظف على الناس ويطلق على مايعين على الاراضى فاختاروها مع مافيها من المذلة وكانوا قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك تشتم نبينا فتقول عبدالله فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير اب فانزل الله عزوجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الخ ثم دعاهم للمباهلة (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى وانه مالاعن قوما نبى قط فبقى كبيرهم ولا صغيرهم) اى هلكوا جميعا لاجابة دعائه عليهم ثم قال لهم ان ابيتم الا الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروى ان القائل لهذا منهم هو السيد الذى كان يسمى شرحبيل فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسلموا يكن لكم وعليكم ما للمسلمين وعليهم فابوا فقال فانى اقاتلكم فقالوا مالنا طاقة بحربك ولكن نصالحك على ان لاتغزونا ولاتخيفنا ولاتردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة الفا فى صفر والفا فى رجب فصالحهم صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وقال لو تلاعنوا مسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم الوادى نارا وفيه دليل على مشروعية الملاعنة قال فى المواهب وقد جربته وانه لايمضى على الكاذب سنة كما سمعته وقد علمت ان هؤلاء امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود من تمنى الموت ولذا اورده المصنف رحمه الله تعالى هنا (ومثله قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) اى مثل قوله فمن حاجك فيه (فاخبرهم) الله تعالى فى هذه الآية (انهم لايفعلون) فى المستقبل ابدا وهو ما دل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وجزائه وهى قوله ولن تفعلوا (كما كان) فى الماضى الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القرآن

امر محقق ووقع وانما اتى بان الشرطية وكان مقتضى المقام اذا باعتبار ماعندهم من
الشك فى قدرتهم تهكما بهم (وهذه الآية) اى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا
الى آخره (ادخل فى باب الاخبار بالغيب) اى اندراجها فيه اظهر واوضح لتحقق
النفى فى المستقبل بالنفى فى الماضى الذى علم من التحدى بخلاف آية تمنى الموت وآية
المباهلة لعدم تقدم شئ من نوعها وقيل لان فيها تصريحا بنفى فعلهم فى المستقبل
بخلاف آية المباهلة فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة فى الحال والاشعار بالنفى
فى المستقبل الذى هو من الاخبار بالغيب من لوازمها لا من صريحها وفيه بحث
(ولكن فيهما من التعجيز ما فى التى قبلها) اى فى آية سورة البقرة التى فيها تعجيزهم
عن الاتيان بمثل سورة ما من مثله تعجيز كتعجيزهم عن المباهلة وفيه نظر لانهم لم يعجزوا
عن المباهلة وانما خافوا من عاقبتها فاحجموا عنها ولو ارادوها لم يكن عندهم مانع منها
فتدبره ﴿فصل منها﴾ اى من وجوه اعجاز القرآن وجه غير الوجوه الاربعة
التى تقدمت (الروعة) بفتح الراء والعين المهملتين المرة من الروع وهو
الفزع والخوف الذى يطرأ عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع لسيدنا عمر رضى الله
تعالى عنه لما سمع اول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع فى قلبه عند سماعه
(التى تلحق قلوب سامعيه) اصله تلحق قلوب السامعين له فحذفت نونه لاضافته
لضمير القرآن (واسماعهم) بالنصب معطوف على قلوب مفعول تلحق
وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسامح لان الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق
القلب بواسطته وهو كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى اى لتذكر
احداهما الاخرى اذا ضلت كما حقق فى الكشاف وشروحه وانما عطف عليه ليفيد
ان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مؤمنا كان او كافرا فقيل ان فى عده هذا
وجها مستقلا من وجوه الاعجاز نظرا لانه معنى زائد على النظم مشروط بتدبره وهو
فى المؤمن واضح واما فى الكافر فيقربه ليس ببعيد لمن القى السمع وهو شهيد وقوله
(عند سماعه) اياه والضمير للقرآن (والهيبة) بالرفع معطوف على الروعة ومعناه
الخوف يقال هابه اذا خافه كما فى القاموس وهو قريب من الروعة والتحقيق انهما ليسا
بمعنى واحد كما فى عروس الافراح قال ربما توهم ان الروع والمهابة واحد وليس كذلك
بل الروع الفزع والمهابة الاجلال * اهابك اجلالا وما بك قدرة * على ولكن
ملء عين حبيبها وقال * الشريف فى قول السكاكى ادخال الروعة وتربية المهابة
والمهابة يراد بها عرفا الحالة التى تكون فى قلوب الناظرين الى الملوك وتربيتها تقويتها
والروعة الخوف الذى يتجدد بمخاطبتهم انتهى (التى تعتريهم) التى تطرأ عليهم
وتغشاهم (عند تلاوته) وقراءته والاول ناظر للسامع والثانى للقارى نفسه اوهم بمعنى
(لقوة حاله) اى لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار وهذا

ناظر للروعة عند من فهمه (وانافة خطره) اى علو مرتبته على غيره من الكلام
الذى يهابه سامعه فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما للكل منهما (وهى) اى الروعة
والهيبة وافراد الضمير لانهما شئ واحد او كالواحد (على المكذبين به اعظم)
منها على المؤمنين لشدة خوفهم منه كما قيل الخائن خائف والمؤمن وان هابه فهو
متلذذ به مطمئن قلبه ببشارته (حتى كانوا) اى المكذبون (يستثقلون سماعه) لصعوبة
مافيه عليهم (ويزيدهم) سماعه (نفورا) عن الحق والاصغاء اليه (كما قال تعالى)
واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا اى ولوا معرضين عنه
لعدم ذكر آلهتهم فيه (ويودون) اى يحبون (انقطاعه) اى قطع تلاوته عندهم
(لكراهتهم له) لخبث طبايعهم كما تضر رياح الورد بالجعل (ولهذا) المذكور
من محبة انقطاعه وكراهتهم له (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الحديث
الذى رواه الديلمى وغيره عن الحكم بن عمير وسيأتى بتمامه (ان القرآن صعب) فى
نفسه بمعنى انه لا يقدر احد على محاكاته وضبط الفاظه وحفظها بسهولة كما قال
الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (مستصعب) بفتح العين وكسرها اى يعسر
فهمه وتفسيره بالرأى ولا يمكن تغييره وتحريفه لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر (على من كرهه) من الكفار والمنافقين
(وهو) اى القرآن (الحكم) بفتحتين اى الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه
من الاحكام والبر والفاجر بما نصب فيه من الادلة الدالة على حقيته ولذا قيل
له فرقان وهذا فى حق غير المؤمن (واما المؤمن) معادلة لاما مقدرة معلومة مما
قبله اى اما غير المؤمن فلا يزال صعبا عليه لكراهته له واما المؤمن (فلا تزال روعته
به) بفتح الراء اى فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه وهيبة منزله الحاصلة
بسببه (وهيبته اياه) الضمير الاول للمؤمن والثانى للقرآن او بالعكس (مع تلاوته)
اى قراءته من تلاه اذا تبعه او هو بمعناه اللغوى اى اتباعه لاوامره ونواهيه والتلاوة
فى العرف تختص بالقرآن وقيل لا تختص به (توليه) اى تعطيه من اولاه معروفا
اذا اعطاه فهو بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة (انجذابا)
بنون وجيم وذال معجمة وموحدة من جذبه اذا اماله لجهته بشدة اى يستميل قلبه
وسمعه لمحبته له وشبه الشئ منجذب اليه (وتكسبه) بضم التاء الفوقية وسكون
الكاف (هشاشة) بفتح الهاء والشين المعجمة اى مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشائر
السارة والمعانى اللذيذة التى تجعله فى نشاط (لميل قلبه اليه وتصديقه به) فهو
دائما يرتع فكره منه فى روضات انيقة فاذا عرف من يناجى وانه جليس الرحمن سر
ونشط ثم استشهد لهذا بقوله (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم
تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى يعرض لجلود ابدانهم قشعريرة

اى قيام من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى بعض الصالحين اذا تلى القرأن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشى وشق الثياب ونحوه ومثله لاينكر ومن لم يذق لايعرف ولايأبى هذا انه لم يقع من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لان مقامهم مقام تمكين وقد بسط هذا فى الاحياء فان اردته فارجع اليه وعدى تلين بالى لمافيه من معنى الميل وذكر الجلود فى الاول وضم اليها القلوب فى الثانى اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر ذلك وقر فى قلبه وزالت تلك الحالة الظاهرة عنه (وقال) تعالى (لو انزلنا هذا القرأن على جبل الآية) يعنى لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذا تمثيل لما فيه من الروعة التى تهد الجبال فما بالك بالرجال والآية مبينة فى التفاسير فلاحاجة للتطويل بذكر ما فيها (ويدل على ان هذا) اى مايحدث للقلوب والاسماع من الروعة والمهابة (شئ خص به) القرأن دون غيره من الكلام (انه) امر (يعترى) اى يطرأ ويحدث (من لايفهم معانيه ولايعلم تفاسيره) ممن لايمارس كتبه ويقرؤها حتى يقف على دقائقه ولطائفه فعلم من هذا ان تأثر السامع به لسر فيه وامر ربانى ولذا كان يثاب قاريه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره (كما روى عن نصرانى) ليس من شانه فهم القرأن ولا الوقوف على تفسيره ففيه ايضاح لماقبله (انه مر بقارئ) يتلو القرأن جهرا (فوقف) ليسمع قراءته وهو (يبكى فقيل له مم بكيت) وانما سئل عن سبب بكائه لانه لايصدق به ولايفهمه (فقال للشجا والنظم) الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصور يقال شجا يشجى شجى وهو شج اذا حزن اوطرب او غضب والثانى انسب هنا كما قاله البرهان والمراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فاثر ذلك فى نفسه وهو لايفهمه حتى ابكاه وسمع بعض العرب بخراسان مغنية حسنة الصوت تغنى بالفارسية فشوقه ذلك واشجاه وقال

* ومسمعة يحار السمع فيها * ولايفهمه لا يصم صداها *
* ولم افهم معانيها ولكن * ورت كبدى فلم افهم شجاها *
* فكنت كانى اعمى معنى * يحب الغانيات ولايراها *

ولم يذكر المصنف رحمه الله تعالى ان ذلك القارى قرأ بصوت حسن حتى يكون تأثره وطربه لنغماته وهو ابلغ وادل على ماقصده (وهذه الروعة) الحاصلة عند سماع القرأن لمن لم يتدبره (قد اعترت جماعة) وحصلت لهم (قبل الاسلام) اى قبل اسلامهم (و بعده) ثم فصل حال من اعترته الروعة قبل اسلامه لكنه تسمح فى العبارة لان القبلية تقتضى عروض الاسلام فلاينافى قوله ومنهم من كفر وكذلك قوله بعده فعبارته لاتخلو من المسامحة وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم

من اسلم ومنهم من بقى على كفره بقوله (فمنهم من اسلم لها) اى لهذه الروعة (لاول وهلة) بفتح الواو وسكون الهاء وهى المرة من الوهل وهو الفزع يقال وهل منه واليه اذا فزع ثم قيل اول وهلة لاول مايقرع السمع ويقع فى الوهم والفكر وهو المراد كما اشار اليه فى الاساس واسلم بمعنى اقر واعترف (وآمن به) اى صدق بقلبه (ومنهم من كفر) اى دام على كفره لاصراره على عناده لحماقته وجاهليته (فحكى فى الحديث (الصحيح) الذى رواه الشيخان مسندا (عن جبير بن مطعم) بن عدى بن نوفل بن عبدمناف الصحابى رضى الله تعالى عنه وقد تقدمت ترجمته وانه اسلم فى فتح خيبرا وفتح مكة انه (قال سمعت رسول الله) وفى نسخة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرأ فى) صلاة (المغرب) وذلك قبل اسلامه (بالطور) اى بسورة الطور (فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شئ) اى من غير خالق لهم كما تقول الدهرية (ام هم الخالقون) لانفسهم بشهادة قوله بعده ام خلقوا السموات والارض وقرأ (الى قوله ام هم المصيطرون) اى المدبرون للاشياء كما يريدون و بينهما بل لايوقنون ام عندهم خزائن ربك يقال مصيطر ومسيطر للسيد المالك (كاد قلبى ان يطير) اى حدث عندى فزع وخوف شديد ظننت ان قلبى ذاب وفنى حتى لم يبق معى وطيران القلب يراد به نارشدة الخوف وهو المراد هنا لان القلب متحرك دائما لحرارته فاذا زالت الحرارة الغريزية لخوف اوشدة شوق وحب زاد خفقانه فيشبه حينئذ بطائر يخفق جناحه كما قال القائل

* كان قطاة علقت بين اضلعى * لان فؤادى دائم الخفقان *
وقلت * عجبا لقلبى طائر فزعا * وعليه ناحل اضلعى قفص *

وعليه قول العرب افزع روعه كما حقق فى كتب اللغة (وفى رواية) اخرى غير رواية الشيخين (وذلك اول ماوقر الايمان فى قلبى) وقر بالقاف بزنة ضرب بمعنى سكن وثبت وذلك انه كان مشركا فى اسارى بدر اوفى فداء اساراها فلما سمع الآية وفهمها علم مافيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها على انه لاخالق يستحق العبادة الاالله فسكن قلبه بعد اضطرابه حتى كاد يطير وهذه رواية البخارى ايضا فى المغازى وفى رواية فصدع قلبى وفيه دليل على صحة رواية المسلم مايحمل حال كفره وفيه بيان لروعة القرأن لمن سمعه وان تلك الروعة سبب لاسلامه (وعن عتبة بن ربيعة) هو ابو الوليد بن عبد شمس بن عبد مناف المشهور وهو ممن قتل كافرا ببدر فلايتوهم اسلامه بقول المصنف رحمه الله تعالى عن عتبة هنا وهذا الحديث رواه ابن اسحق فى سيره والبغوى فى تفسيره (انه كلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه) يشير لما فى السير من ان اباجهل لعنه الله تعالى قال لقريش قد التبس علينا امر محمد فلو اتاه منا من كلمه فذهب اليه عتبة وكان ذا رأى

وحزم وقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب فلم تشتم آلهتنا
وتسفه احلامنا وتضللنا وانت منا بسطة قومنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك
اللواء وكنت رئيسنا وان كان بك الباءة زوجناك من تختار من بنات قريش وان كنت
تريد المال جمعنا لك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كان لك رئي
لا نستطيع رده طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا او كما قال والنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يسمع كلامه ثم فرغ فقال له افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال اسمع
مني ما اقول (فتلا عليهم) اى على الوليد ومن معه او من علم انه سيبلغه ما تلاه
عليه وفى نسخة عليه بالافراد من سورة (حم) تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
(فصلت) آياته (الى قوله) فان اعرضوا فقل انذرتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)
اى الصاعقة التى اهلكت قوم هود وقوم صالح (فامسك عتبة على فيه) اى
وضع يده على فم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يقطع كلامه وما تلاه عليه
من هذه السورة لخوفه من وقوع ما انذرهم به وفى نسخة فامسك عتبة بيده على
فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وناشده الرحم ان يكف) اى سأله مقسما عليه
بالرحم وهى القرابة القريبة المقتضية للرحمة والتعطف عليهم من حلول ما ذكره
من العقاب بهم يقال ناشدته ونشدته اذا اقسمت عليه قسم استعطاف (وفى رواية)
اخرى لابن اسحق فى سيرته عن كعب القرظى (فجعل النبى صلى الله عليه وسلم
يقرأ) قال الراغب جعل لفظ عام فى الافعال كلها اعم من فعل وصنع واخواتهما
وتأتى على اوجه فتجرى مجرى صار وطفق فلا يتعدى تقول جعل زيد يقول
كذا الخ فالمعنى انطلق فى قراءة السورة وقوله لا يتعدى اى هى من افعال الشروع
والفعل خبرها لا مفعولها والشروع لا ينافى الاستمرار كما توهم (وعقبة مصغ) بزنة
اسم فاعل معتل بزنة منذر اى مستمع لقراءته منصت لها (ملق يديه خلف ظهره)
لاعتماده عليهما فقوله (معتمد عليهما) فالتفسير له (حتى انتهى) اى وصل (الى)
آية (السجدة فسجد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وقام عتبة) من عنده (لا يدرى
بم يراجعه) اى يكلمه بعد تلاوته لروعته التى ادهشته بما سمعه منه صلى الله تعالى
عليه وسلم (ورجع الى اهله) اى دخل عتبة منزله ولم يقابل احدا ممن كان ينتظر
خبره (ولم يخرج) من بيته (الى قومه) واستمر فى بيته (حتى اتوه) يسئلوه عن
انقطاعه عنهم ما سببه (فاعتذر لهم) عن عدم خروجه لهم واخباره بما جرى له
معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) فيما اعتذر لهم به (والله لقد كلمنى) النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم (بكلام) والله (ما سمعت اذناى بمثله قط) اى مماثل له
فى حسنه وجزالته وتأثيره فى القلوب (فما دريت ما اقول له) فبهت الذى كفر والله
لا يهدى القوم الظالمين وفيه دليل لما نحن فيه من الروعة والهيبة لمن بقى على كفره

ممن اضله الله على علم وفى رواية لما رأوه قالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه
الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائى انى سمعت قولا
والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة يا معشر قريش
اطيعونى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله
الذى سمعته نبأ عظيم فان تصبه العرب كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب
فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا ابا الوليد قال
هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم (وقد حكى) بالبناء للمجهول (عن غير واحد)
اى عن كثير وغير الواحد شامل للقليل والكثير ولكنه خص عرفا بهذا كما مر
(ممن رام معارضته) اى قصد ان يأتى بكلام يماثله فى البلاغة (انه اعترته) اى
حدثت له واصابته (روعة وهيبة) حين تلاه وسمعه (كف بها) اى بتلك
الروعة والفزع (عن ذلك) اى المذكور من المعارضة ثم ذكر بعد ما سخف عقله
ممن هم بذلك فقال (فيحكى ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه) اى قصد معارضة
القرآن والكلام بما يماثله وفى المقتفى للبرهان الحلبى المقفع بضم الميم وفتح القاف
والفاء المشددة قبل العين المهملة ولم يتعرض ابن ماكولا لبيان حركة الفاء وهى
مضبوطة فى النسخ بالكسر والذى احفظه الفتح وذكر ابن ماكولا شخصا يقال له
مروان بن المقفع فليحرر هل هو هذا ام لا انتهى وهو غريب من مثل هذا الحافظ فانه
بالفتح من غير شبهة قال فى القاموس مقفع اليدين كمعظم متشنجهما ومروان بن
المقفع تابعى وابو عبد الله بن المقفع فصيح بليغ وكان اسمه روزبة او رازبة بن داود
حسبس قبل اسلامه وكنيته ابو عمرو ولقب ابوه بالمقفع فتقفعت يداه اى تشنجتا
وهذا مما يعرفه الخاصة والعامة الا ان التلمسانى قال فى حواشيه المقفع اليابس
اليدين والرجلين من برد وقال ابن مكى فى تثقيف اللسان ان الصواب فيه المقفع
بكسر الفاء لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهى شئ يشبه الزنبيل بلا عروة
من خوص وليس بالكبير وقيل انه كاتب المنصور وهو اول من هذب المنطق وقتله
سفيان المهلبى لما ولى البصرة وحضره اهلها وفيهم ابن المقفع فذكر عنده الوطبس
فلم يعرفه وسأل عنه من حضر فضحك ابن المقفع ثم انصرفوا فامر ابن المقفع
بالجلوس حتى خلا المجلس فامر بتنور عظيم وامر بان يسجر بطرحه فيه فاحترق
كما فى مشكاة انوار الخلفاء وكان ابن المقفع من جملة قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر
مطاعن القرآن وصياغة هذيان يعارضونه بها كما اشار اليه المصنف رحمه الله
تعالى بقوله (وشرع فيه) اى فى المعارضة وذكره لان تأنيث المصادر غير معتبر لتأويله
بان والفعل (فمر بصبى يقرأ وقيل يا ارض ابلعى ماءك) وقد تقدم بيان بلاغتها
وما فيها من الاعجاز على ما فى المفتاح وشروحه (فمحى) جمع (ما عمله) يعنى غسله

وابطال مافى صحفه لمارأها لا مناسبة بينهما و بين شئ من الكتاب العزيز (وقال اشهد) اى اقرواعترف اواعلم كل احد (ان هذا لايعارض) اى لايقدر احد على الاتيان بمثله (وماهومن كلام البشر) لظهور اعجازه (وكان افصح اهل وقته) فليس ممن قال ذلك بغير علم لمعرفته بصناعة الصياغة والمراد بوقته زمانه وعصره الموجود فيه (فائدة) قال ابو الفرج ابن الجوزى نقلت من خط ابى الوفاء على بن عقيل الحنبلى صاحب الفنون قال وجدت فى تعاليق محقق من اهل العلم ان سبعة مات كل منهم وله ست وثلاثون سنة فعجبت من قصر اعمارهم مع بلوغ كل واحد منهم الغاية فيما كان فيه وانتهى اليهم فمنهم الاسكندر ذو القرنين وابومسلم صاحب الدولة العباسية وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة وسيبويه صاحب التصانيف والتقدم فى علم العربية وابوتمام الطائى ومابلغ فى الشعر وعلومه وابراهيم النظام المتعمق فى علم الكلام وابن الراوندى وماانتهى اليه من التغول فى المخازى فهؤلاء السبعة لم يجاوز احد منها ستا وثلاثين سنة بل انفنوا على هذا القدر من العمر انتهى قلت انظر الزركشى فانه لم يجاوز الاربعين فانه مات فى ست وثلاثين فيضم اليهم وكذا شيخ الاسلام تقى الدين السبكى فانظر الى مؤلفاته التى زادت على اكثر من ثلاثين مابين مبسوط ومختصرمات عن خمسة وعشرين سنة فيضم اليهم (وكان يحيى بن الحكم) بفتح الحاء المهملة وكاف مفتوحة بعدها وقيل انما هو الحكيم بوزن الطبيب كما ذكره الذهبى وقال انه من شعراء المائة الثانية توفى بعد مائة وخمسين ولست على ثقة منه وذكره ابن خلكان فى تاريخه وقال انه من شعراء الاندلس وذكره فى الذخيرة ايضا (الغزال) بمعجمتين وراؤه مشددة وقيل انها مخففة عند الذهبى ايضا فى كتاب المشتبه فعلى الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزل وعلى الثانى هو علم منقول من اسم الحيوان و هو بكرى قرطبى الدار كان فى زمن هشام بن الحكم اقول الذى ذكره ابن حبان فى المقتبس تاريخ الاندلس انه يحيى بن الحكم البكرى الجيانى لقب بالغزال فى صغره لحسنه وكان فى المائة الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر فى غاية الحسن وارتحل لمصر ثم عاد للاندلس وعمر اى بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وارسل رسولا لبلاد الفرنج فاعجب ملكها فنادمه وسألته امرأته عن سنه فقال عشرين سنة فقالت له فما هذا الشيب فقال امارأيت مهرا ولدا اشهب فضحكت والى هذا يشير بقوله فى قصيدة

*قالت ارى فوديه قد نورا * دعابة توجب ان ادعبا *

* قلت لها ما باله انه * قد ينتج المهر كذا اشهبا *

قال وحكى انه اراد ان يعارض سورة الاخلاص فعرضت له حالة اوجبت توبته وهو ماذكره المصنف رحمه الله تعالى الاتى (بليغ الاندلس فى زمنه) اى معروف بالبلاغة

وفصاحة

وفصاحة النظم والنثر فى عصره والاندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام ليس الا وهى معربة لم تتكلم بها العرب قديما وانما عرفتها فى الاسلام قال ياقوت فى معجمه اشتهر على الالسنة انها تلزمها ال وقد وردت بدونها فى قول بعض العرب * سألت القوم عن انس فقالوا * باندلس واندلس بعيد * وهى بلغاتها لانظير لها سواء قلنا فعلل وفيعلل والظاهر ان الهمزة زائدة لان بعدها احرف ولو كانت عربية جاز ان يقال وزنها انفعل فان قلت قال سيبويه انفحل الشيخ المسن ولا يعرف ما فى وله زيادتان لما ليس جاريا على الفعل قلت هو فى العربى البحت وهى تجاه تونس ارض تحتوى على بلاد وليست جزيرة الا ان البحر يحيط بها من ثلاث جهات هى اكثرها فلذا سماها بعضهم جزيرة (فحكى) بالبناء للمجهول (انه رام شيئا من هذا) اى معارضة القرأن ونسج كلام على منواله فى الفصاحة (فنظر فى سورة الاخلاص) التى هى اقصر سورة اى تدبر فى نظمها ليأتى من عنده بمثلها وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها على ما يجب اخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله وصفاته (ليحذو على مثالها) من حذوته بحاء مهملة وذال معجمة اذا قمت بحذائه اى مقابلته وحذا النعل بالنعل اذا قطعها بمقدارها وقالبها فالمعنى ليقول مثلها وفى الحديث لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل اى تعملون مثل اعمالهم من غير زيادة ونقص فهو استعارة تمثيلية (وينسج بزعمه) بزاى معجمة مثلثة وهو الظن واكثر ما يستعمل فى الكذب فان زعم مطية الكذب (على منوالها) هو بمعنى ماقبله والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب فهو استعارة تخييلية ومكنية بتشبيه التكلم والكلام ببرود تنسج واثبت لها ماله من النسج والمنوال اوهى تمثيلية اوتبعية وهو امر سهل (قال) اى ابن الحكم (فاعترتنى) اى عرض لى فى حال النظر (خشية) اى خوف وتعظيم له (ورقة) اى رقة قلب وخشوع اوضعف ولين (حملته) التفات اذ الظاهر حملتنى والحمل الالجاء والقسر (على التوبة) كما كنت هممت به والندامة على ما عزم عليه (والانابة) اى الرجوع عنه وفى نسخة والاوبة وتركه لذلك لعلمه بانه امر لا يقدر عليه البشر ﴿فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة﴾ اى الذى عده العلماء منها اشارة الى انه مسبوق بذكره (كونه آية ومعجزة (باقية) فسره بقوله (لايعدم ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها الى قيام الساعة وماورد فى حديث حذيفة من انه تأتى ليلة يرفع فيها القرأن لايبقى فى الارض منه آية هو بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام وظهور يأجوج ومأجوج وهو فى حكم الساعة ووجود الدنيا حينئذ والعدم سواء و بقاؤه ببقاء تلاوته محفوظا من النسخ والتبديل والتغير وهذا فصل يتميز به عن سائر الكتب الالهية فضلا عن غيرها وماقيل من ان عد هذا من وجوه الاعجاز لاوجه له فانه لاتعلق له بالنظم المعجز ساقط فان بقاءه كما ذكر من لوازم اعجازه بعدم مشابهته لكلام البشر حتى يؤتى بامثاله

اويدخل فيه مالبس منه اونقول انه من جملة ما اخبرالله به عنه فهومن عينه وهذا انسب بقوله (مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) والمراد بالذكر القرأن وضمير له له لا له صلى الله تعالى عليه وسلم فلما تولى حفظه بعظمته وجلال ذاته ولم يكله لغيره كغيره المقول فيه بما استحفظوا فيه من كتاب الله لما تقدم تأبد وتأيد حفظه لبقاء حافظه ورفعة نعمة حفظه (وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية) فلا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات مايبطله ولا يكون قبله ولا بعده مايكذب به او ينسخه (وسائر معجزات الانبياء) والرسل عليهم الصلوة والسلام اى بقيتها غيره (انقضت) اى مضت وذهبت (بانقضاء اوقاتها) اى بعد عصرهم وزمن وجودهم انعدمت (فلم يبق الا خبرها) اى الاخبار المأثورة عنها دون ذواتها ونفسها كعصا موسى وناقة صالح وانفلاق البحر وغيرها مما هو مذكور فى السير كما قيل * وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى * (والقرأن العزيز) اى المنيع المحمى بحماية من قاله (الباهرة آياته) اى الغالبة لغيرها والظاهرة وآياته بمعنى انواع معجزاته السالفة اوكل آية متلوة منه فقوله (الظاهر معجزاته) على الاول توضيح وتوكيد وعلى الثانى بيان وتأسيس باقية (على ماكان عليه اليوم) الى يومنا هذا فتعريف اليوم للتعريف الحضورى كهذا الآن والجار والمجرور خبر المبتدأ وهو القرأن والمراد باليوم عصر المؤلف كما اشار اليه بقوله (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة) وروى سبع بدل خمس والصواب الاول لانه روى ان تأليفه للشفاء كان فى ايام قضائه فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قال التلمسانى هكذا نقله الثقاة عن ابى عبدالله بن مرزوق ولم اسمعه منه انتهى (لاول نزوله الى وقتنا هذا) اى من ابتداء الوحى ونزول القرأن على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الى وقت تأليف المصنف رحمه الله لهذا الكتاب فاللام بمعنى من نحو سمعت له صريخا اى منه كما ذكره النحاة ويدل عليه مقابلته بالى (حجة قاهرة) المراد بالحجة نفس القرأن اى هو حجة غالبة لمن كفر به اوالمراد مافيه من الحجج والادلة (ومعارضته ممتنعة) اى لاتيان بمثله لا يمكن ولم يقع (والاعصار كلها طافحة) الاعصار جمع عصر بفتح فسكون لا ضم وسكون لان جمع الجمع غير قياسى وطافحة بطاء وحاء مهملتين بينهما الف وفاء من طفح اذا فاض وتدفق (باهل البيان) متعلق بطافحة فان كان مجازا مرسلا بمعنى ممتلئة فظاهر وان كان استعارة تخييلية على ان البيان مشبه بالماء على طريق الكناية والمعنى ببيان اهل الكتاب والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على حسب مقاماتها (وحملة اللسان) حملة جمع حامل ككاتب وكتبة وهو الحافظ اللسان بمعنى اللغة العربية (وائمة البلاغة) اى العلماء بعلم البلاغة من المعانى والبيان وقرض الشعر وغيره من العلوم

الادبية (وفرسان الكلام) الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ نظما ونثرا وتزداد فيه استعارة مكنية تخييلية اذ شبه الكلام بجواد فاره والمتكلم برجل عارف برياضته والسبق به واثبت له (وجهابذة البراعة) اى اساتذة الفصاحة الفائقة فى بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والباء وبينهما هاء ساكنة وآخره ذال معجمة يقال جهبذ اى عالم نحرير وهو لفظ معرب واصل معنى الجهبذ النقاد البصير والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذى عندى فى هذه التراكيب الخمسة ان المراد بها اهل اللسان العارفون به بجبلة نقادة وطبيعة وقادة والعلماء بعلوم العربية واللغة فالمراد باهل البيان الفصحاء وبالحملة علماء اللغة وبالائمة البلغاء الخطباء من العرب العرباء وبالفرسان الشعراء واهل الانشاء المحدثين وبالجهابذة العلماء بقرض الشعر وانشاء النثر فلا تكرار فى كلامه وان كان فى مقام خطابة يحمد فيه البسط والاسهاب ولذا كان هؤلاء فرقتان مهتد ولا يكد طبعه فى العناد وضده (والملحد فيهم كثير) الملحد اسم فاعل من الحد عن الحق اذا مال ومنه لحد القبر والالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب والاول ينافى الايمان ويبطله والثانى يوهن عراه ويحل عقدته (والمعادى للشرع عتيد) اى مهيأ حاضر باذل جهده فى عداوته واعتد واعد متقاربان لفظا ومعنى اى مع كثرة من يريد المعارضة (فما منهم من اتى بشئ) من الكلام (يؤثر) اى يحفظ وينقل (فى معارضته) والاتيان بما يماثله (ولا الف كلمتين فى مناقضته) المناقضة التكلم بما يخالفه ويبطله ومنه نقايض جرير كما تقدم وهى المراجعة والمحاورة (ولا قدر فيه على مطعن صحيح) اى لم يعبه ولم يعترض عليه باعتراض يسمع منه وقد فعل ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار سخرة كما بين فى طواعن القرأن التى ذكرها السلف (ولا قدح) القدح ذكر المعايب يقال قدح فى نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح الزناد ضربه لاجل النار والمراد الاول لكن فيه تورية بالثانى لقوله (المتكلف من ذهنه فى ذلك الا بزند شحيح) والمتكلف هو الذى يفعل مالا يحسنه بكلفة منه والذهن قوة الفكر وذلك اشارة الى القدح والطعن والشحيح البخيل استعارة للزند الذى لا يخرج منه شرر منيرة اى لم يفده قدحه شيئا غير الخيبة يقال زند شحيح اذا كان لا يورى ولله در المصنف رحمه الله تعالى ما الطف طبعه ومن لم يذق حلاوة كلامه قال اوقال ولا ضرب المتكلف بسيفه ذهنه الا بزند وهو جريح وحسن استعارته كون الذهن يوصف بالتوقد والاشتعال كما قيل * ويكاد يحرقه توقد ذهنه * لولا مياه الجود فيه والنداء * لكن لا تقدم الحسناء ذاما فابلغ السكوت فى محل (بل المأثور) والمنقول (عن كل من رام ذلك) اى قصد الطعن فيه بذكر مايؤدى ذكاه حقد (القاؤه فى العجز بيديه) الالقاء بالقاف بمعنى الرمى ومفعوله محذوف اى القاؤه نفسه ورميها فى مهالك العجز ومهاويه

فشبه العجز ببئر ونحوه مما يهلك الواقع فيه وايديه متعلق به اى هو الرامى والطارح انفسه وقيل معناه القى نفسه بهما فى العجز والاز و مه له جعله ظرفا له وهو معنى ركيك وقول التلمسانى انه الغا بالغين المعجمة من لغو الكلام الذى يحسن السكوت عنه لا عليه (والنكوص على عقبيه) اى المأثور الرجوع كما قاله بالاعتراف بعجزه يقال نكص على عقبيه وهما مؤخر الرحل اذا رجع القهقرى وقال الراغب النكوص الاحجام عن الشئ وفى القاموس نكص على عقبيه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهرى فى اطلاقه وقيل عليه ان قلت معارضة القرأن شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت هو مبنى على زعمه او هو تهكم به كما اطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اعانة قريش على النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه على ان الاصح جواز اطلاقه على خلافه نادرا اقول هذا استعارة من رجوع القهقرى لانه معنى الرجوع على العقبين حقيقة فيتجوز به عن العود الى حاله الاول مطلقا شرا كان او خيرا فالحق ما قاله الجوهرى ﴿فصل﴾

وقد عد جماعة من الائمة ومقلدى الامة ﴿ ضبطه بفتح لام مقلد ليناسب ما قبله وقيل انه بكسرها والمراد بالاول المجتهدين ولك ان تقول انه اشارة الى ضعف اقوالهم (فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله) اى لا يسام طبعه من كثرة قراءته واعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت على معاداة المعادا ة (وسامعه لا يمجه) اى لا يكره تكراره على مسامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا رماه من فيه فالمج حقيقة طرح المايع من الفم فان كان غير مايع يقال لفظه فاقيم الاذن مقام الفم واللفظ مقام الماء لرقته ولطفه وهى استعارة لطيفة كما قال الغزى فيما تقدم

* وتغير المعتاد يحسن بعضه * للورد خد بالانوف يقبل *

فاستعير لتركه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية فكانه كالنفس الذى يكرر لا يمل منه لانه مادة الحياة كما قال المعرى * ردى حديثك ما امللت مستمعا * ومن يمل من الانفاس ترديدا * ومجه يمجه بضم ميم المضارع كقتله يقتله فهو من باب قتل (بل الاكباب على تلاوته) اى ملازمة قراءته وتكراره فهو مجاز من الاكباب وهو الوقوع على الوجه كما قال افمن يمشى مكبا على وجهه وفى اختياره على الوقوع اشارة الى توجهه اليه قال لبيد * ينوح الهالكى على يديه * مكبا يجتلى نقب النصال * (يزيده حلاوة) اى تزداد قراءته تزيده حلاوة ففيه ترق من عدم الملل الى زيادة حلاوته واصاب به المخزلان ما يمج يكون مرا او مالحا يكرهه الطبع وهو كقول الشاطبى * وخير جليس لا يمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا * (وترديده) اى اعادته وتكرره (يوجب له محبة) لزيادة حلاوته وحسنه (لا يزال) كلما كرر (غضا)

اى جديدا وهو مجاز من غض الصوت والطرف قال جارية شبت شبابا غضا (طريا) اى رطبا ناعما فلا تتغير بهجته ونضارته قال الشاطبى رحمه الله تعالى

* واخلق به اذ ليس يخلق جده * جديدا مواليه على الجد مقبلا *

فكانه فى كل مرة قريب عهد بالنزول (وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغه) اى او فرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبته فى البلاغة (يمل) بالبناء للمجهول اى يمل قارئه وسامعه (مع الترديد) اى مع التكرير مرارا (ويعادى اذا اعيد) اى يكره ويثقل وتنفر منه النفس كما تنفر ممن يعاديها وهذا على فرض المحال والا فقد تقدم انه لا يوجد مثله ولا ما يقرب منه * واين الثريا عن يد المتناول * (وكتابنا) معاشر الامة المحمدية النازل الينا بواسطة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرأن (يستلذ به فى الخلوات) اى يجد قاريه لذة اذا اختلا بقراءته وخص الخلوة لانها محل اجتماع الحواس واطمئنان القلوب بذكر الله تعالى فهو فيها اعظم لذة ايضا وان كان له لذة ايضا بقراءته بين الناس ايضا (ويؤنس) بالبناء للمجهول اى يجد به انسا يدفع وحشته (فى الازمات) جمع ازمة وهى الشدة كما فى حديث اشتدى ازمة تنفرجى ولام خلوة وزاى ازمات ساكنتان فى المفرد والجمع لانه جمع على فعلات يسكن فى الاسماء ويحرك فى الصفات كما بين فى التصريف والضمير فى كتابنا لجماعة المؤمنين لا للتعظيم لانه لا يناسب المقام قيل ولو قال كتابنا يستأنس به فى الخلوات ويستعان به على الازمات كان احسن وما قصده المصنف اعلى مما قاله لان الخلوة انسب باللذة وقرينتها لان المرء يستلذ الخلوة بمن يحبه * ولذة الاحمق مكشوفة * يسعى بها كل عدو رقيب * والشدائد لا تجد فيها رفيقا يعين عليها ويدفع كربها والمعالى قليلة الرفقاء ولكل وجهة (وسواه من الكتب) سوى اذا ضم اوله او كسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر وهو بمعنى غير لكنه تفنن فعبر فى الاول بغير وفى هذا بسوى والظاهر ان المراد بالكتب الكتب المنزلة قبله كالزبور (لا يوجد فيها ذلك) اى اللذة والانس المذكورين (حتى احدث اصحابها) اى اخترعوا والفوا والمراد باصحابها من يقرؤها (لها لحونا) اى للكتب التى يدرسونها واللحون جمع لحن واحد الالحان الاغانى والنغمات التى تزين بها الاصوات وتوزن بضروب الموسيقى على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم يقال لحن فى قراءته اذا طرب وللحن معان منها هذا والايماء والرمز وان اشتهر فى خطاء الاعراب والمراد به هنا ترجيع الاصوات للتطريب والغناء تحسينا للقراءة والشعر وفى الحديث اقرؤا القرأن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين يعنى اليهود والنصارى يقرؤن كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعل اهل مصر بقراءتهم فى مجامع الناس المعروفة بالجوق وهى مما حرمه الفقهاء وشددوا

التنكير على فاعله وهو لاينافى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرأن على احد المعنيين فان المراد به الحان العرب المذكورة من غير تمطيط وتغير كما فصل فى ادب القارئ (مطرقا) جمع طريق وهى مايجرى على قانون الموسيقى وضروبها الموزونة (يستجلبون) اى يطلبون وجودها او يجلبونها لهم ولمن يسمعهم (بتلك اللحون) والنغمات (تنشيطهم) اى وجود نشاطهم وطربهم (على قراءتها) اى على تطويل قرأتها وزيادتها او على ان يقرأها غيرهم كقراءتهم ان اريد باللحون تغنى القارى نفسه ويحتمل ان يريد بما احدثوه مايكون مع القارى من آلات الطرب كالمزامير وما يسمى ارغنون من اوتار كثيرة تضرب مع القرأة وأتلف بعضها ببعض حتى كان القارى على نغماته على قرين الاية * يملى على عوده انغامه * وتراه يفرك اذنه ان قصر * (ولهذا) اى لما اختص به القرأن من عدم مال قارئه وما بعده . (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرأن) فى حديث رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه بدون قوله الاتى هو الذى لم ينته الجن الخ (بانه لايخلق) بفتح الياء وضم اللام اى لايبلى ولا يتغير حاله بمرور الزمان ويجوز فتحها وضم اوله وكسر ثالثه من اخلق بمعنى خلق لانه ورد متعديا ولازما فلامه مثلثة بمعنى واحد (على كثرة الرد) بمعنى مع والرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار فى قراءته ورده وردده بمعنى كرره وكثرة التكرار فى العادة تؤثر وتفنى ما كرر كالثوب اذا تكرر لبسه كما قيل

* اما ترى الحبل بتكراره * فى الصخرة الصماء قد اثرا *

وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه ببرد رقيق يلبس ليتجمل به والمراد به اما الملل منه فهو بمعنى ما تقدم من ان قارئه لايمله وكل مكرر يمل و لايتغير بتحريف ونسخ ولا ينسى وقد ورد ان بعضهم كرر آية واحدة طول ليله (ولاتنقضى عبره) بكسر العين المهملة وفتح الباء الموحدة جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجايبه او مواعظه التى تعمل بها و يعتبر وهو عبارة عن كثرتها و بقائها والثانى اولى لئلا يتكرر مع قوله (ولاتفنى عجائبه) اى لكثرتها لا تنفد وتنتهى جمع عجيبة وهى مايتعجب منه فكلما اعيدت النظر فيها ظهر لك ما هو اغرب واعجب مما عرفته اولا (هو الفصل) اى الجد الفاصل بين الحق والباطل يقال كلام فصل اى حق مبين محكم او المفصول المتميز من غيره فهو فعل بمعنى فاعل او مفعول (ليس بالهزل) كما قال تعالى وما هو بالهزل اى ليس فيه لعب ولا كلام سخيف وهو فى الاصل من الهزال ضد السمين فهو كله سمين لا غث فيه لما فيه من الاوامر والنواهى التى بها يهتدى سامعها (لا تشبع منه العلماء) اى لاتستغنى عنه ولا تزال تستنبط منه معانى وفوائد فى كل حين وفى الحديث منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا فشبهه بمأكول به قوام حياته الا ان كل مأكول لايشبع آكله اذا امتلأ منه جوفه وهذا مخالف لذلك ففيه استعارة تبعية او مكنية

وتخييلية * فوائده فوائد ممدودة * والوان لذائذه غير مقطوعة ولا ممنوعة (ولا تزيغ به الاهواء) بفتح المثناة الفوقية وزاى وغين معجمتين بينهما تحتية ساكنة من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهواء بالمد جمع هوى وهو ماتهواه وتشتهيه الانفس من الضلال اى لايضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة (ولاتلتبس به الالسنة) جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع فى الكلام واللغات فالمعنى انه لايشبه غيره من الكلام فلايمكن اختلاطه به وادخاله فيه لان اسلوبه ونظمه لايشبه غيره فالمراد انه لايمكن ان يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لا يعسر قراءته على المؤمنين وهو بعيد لانه افتعال من اللبس وهو الاشتباه وقوله (هو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا) اصل معنى انتهى بلغ النهاية وهى آخر الشئ وغايته ويكون بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا اى لم يكف الجن عن هذه المقالة ومن لم يترك شيئا بادر اليه واقبل عليه ولذا قيل معناه لم يلبثوا وان مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب او جر بتقدير عن وما قيل انه فى معنى العلة اى لم ينتهوا عن القول من اجل قولهم لقومهم اذا رجعوا اليهم فيه خلط وخبط (انا سمعنا قرأنا عجبا) اى عجبا فى بلاغته وعلو رتبته وبركته وعزته (يهدى الى الرشد) اى يدل على الصواب من الايمان والتوحيد وهو تبكيت لقريش اذ مكثوا سنين مع معرفتهم بالفصاحة لم يفهموه وهؤلاء الجن بمجرد سماعهم من غير توقف آمنوا به وقال البرهان كانوا سبعة شاصر وماصر ومنشى وماشى والاحقب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد فى مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما هو يمشى بفلاة اذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه ودفنها فاذا قائل يقول ياسرق اشهد بالله لقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة ويدفنك رجل صالح فقال عمر رضى الله عنه من انت رحمك الله قال رجل من الجن الذين سمعوا القرأن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قد مات وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه كان فى نفر من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار عظيم ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأتان تسألان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندرى من عمرو فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم فقتل عمرو وهو الحية التى رأيتموها وهو ممن استمع القرأن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الذهبى الذى دفنه بالعرج صفوان ابن المعطل وهو من الصحابة وسماه عمرو بن طارق ومن لقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا منهم عد من الصحابة والاعتراض بانه ينبغى ان يعد منهم الملائكة ايضا كجبريل وميكائيل رده الذهبى بانه ارسل اليهم

ولم يرسل للملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله ومشى شيخنا الرملي على مقتضى كلام الذهبي تبعا لوالده والمعتمد خلافه وارساله صلى الله تعالى عليه وسلم عام لكل الخلق حتى الملائكة وهؤلاء من جن نصيبين بلدة بالجزيرة لا باليمن كما قيل والكلام على الجن مبسوط فى كتاب لقط المرجان فى احكام الجان وسيأتى بيانه فى الكلام على نطق الشجر (ومنها) اى من وجوه اعجازه التى ذكرها بعضهم (جمعه لعلوم ومعارف) اى علوم كلية كانت فى الامم السالفة كعلم النجوم ودقائقه وعلم الطب كما فى قوله لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر وقوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والمعارف الجزئية كالاخبار عن قصة يوسف عليه الصلوة والسلام وتفصيلها مما لا يعرفه الا من شاهدها ومن ذلك ماقيل ان قوله تعالى الى ظل ذى ثلاث شعب انه اشارة الى شكل المثلث وبعض احكامه المذكورة فى الهندسة وفيه اشارة الى انه لا يفهم تفسيره الا من تضلع من جميع العلوم (لم تعهد العرب) بالبناء للمفعول اى لم تعرف فى عهدها وزمانها (عامة) اى جميع العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم مثل كافة وطرا (ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته) ونزول الوحى بها عليه (خاصة) اى لم يعرف له صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه علم بها قبل البعثة اما بعدها فقد اطلعه الله تعالى على علوم الاولين والآخرين (بمعرفتها) متعلق بتعهد والضمير للعلوم والمعارف (ولا القيام بها) بمداومته عليها (ولا يحيط بها احد من علماء الامم) اى لم يحط علم احد من علماء السلف كالحكماء والاحبار من اهل الكتاب بشئ منها (ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم) اى لم يدون قبله حتى يقال انه اخذ علمه منها وفسر ماذكره بقوله (فجمع فيه من بيان علم الشرائع) جمع مبنى للمجهول اى جمع الله تعالى فى كلامه ماذكر والشرائع جمع شريعة وهى والملة والدين بمعنى متحد الماصدق متغاير المفهوم وهى وضع الهى سائق الى مافيه الخير فى الدارين منقولة من الشريعة وهى موردة الماء اذ الطريق الواسع كالشارع (والتنبيه على طرق الحجج العقليات) اى تنبيه الناس وارشادهم الى نصب الادلة العقلية وكيفية الزام الخصم بها كما فى قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام ونظره للكواكب لاقامة الحجة على وجود الصانع وكما فى قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وغيره مما لا يحصى كما يأتى بيانه (والرد على فرق الامم) الضالة من عبد الكواكب وغيرهم (ببراهين قوية) محكمة الالزام جارية على قانون المناظرة والجدل وآداب البحث (بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) يفهمها كل من يسمعها * تكاد من عذوبة الالفاظ * تشربها مسامع الحفاظ * كما مر (موجزة المقاصد) قليلة الفاظها الدالة على معانيها المهمة الكثيرة فليس فيها اختصار مخل ولا عبارة مغلقة (رام المتحذلق) بالبناء على الضم اى بعد

الوقوف عليها والمتحذلق بزنة اسم الفاعل بحاء مهملة وذال معجمة ولام وقاف وهو مدعى الحذق وهو سرعة الفهم اى قصد مدعى الذكاء فى العلم واقامة البراهين يقال حذلق اذا اظهر الحذق وادعى اكثر مما عنده كتحذلق فهو مأخوذ من الحذق ولامه زائدة (ان ينصبوا ادلة مثلها) نصب الدليل واقامته ذكره فى مقام المخاصمة (فلم يقدروا عليها) اى لم يكن لهم قدرة على الاتيان بمثل ادلته وبراهينه (كقوله اوليس الذى خلق السموات والارض) رد على منكرى الحشر والمعاد الجسمانى اى من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة من العدم (بقادر على ان يخلق مثلهم) اى مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة وبعيدها وهو اهون عليه كما قال الله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فهذه حجة ظاهرة (و) قوله (قل يحييها الذى انشأها اول مرة) اى من اوجدها من عدم محض قادر على اعادتها واحيائها بطريق الاولى وفى هذا ايضا حجة باهرة (و) منها قوله (لو كان فيهما) اى فى السماء والارض (آلهة الا الله لفسدتا) فلو تعددت الالهة فسد نظام العالم وبطل وفيها برهان قوى قطعى وليس اقناعيا كما فى شرح العقائد ويسمى برهان التمانع وفى بيانه واعرابه كلام مفصل لا يسعه هذا المقام وقد افرده بالتأليف خاتمة المحققين مصلح الدين اللارى فحسبك من القلادة ما احاط بعنق التقليد فان لكل مقام مقالا (الى ماحواه) اى مضموما ماذكر من البراهين الى مااشتمل القرآن عليه (من علوم السير) جمع سيرة وهى الطريقة والاخلاق الحميدة ويخص فى العرف بالغزوات واخبار الجهاد والكل وجهه هنا (وانباء الامم) اى اخبار من مضى منهم (والمواعظ والحكم) اى امور الترغيب والترهيب وجوامع الكلم الحكمة المرشدة لتكميل النفوس بالملكات الفاضلة (واخبار الدار الآخرة) من الجنة والنار والحشر واهوال الموقف وغير ذلك (ومحاسن الاداب) جمع ادب وهو الاوصاف المحمودة التى يشرف صاحبها (والشيم) بشين معجمة ومثناة تحتية وبميم ايضا بزنة عنب جمع شيمة وهى الطبيعة واهل مصر تستعملها بمعنى دارات الماء كقول القيراطى رحمه الله تعالى * لك يانيل مصرنا * كرم انجل الديم * انت فينا حقيقة * ظاهر الوصف والشيم * وهى لغة عامية لا اصل لها (قال الله جل اسمه مافرطنا فى الكتاب من شئ) اى لم نترك شيئا يحتاج اليه الا بيناه فى القرآن بناء على ان المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ كما قيل والتفريط الترك المخل ضد الافراط وهو يتعدى بفى من غير تضمين معنى اغفلنا كما توهم والمعنى انه مشتمل على جميع ما يحتاج اليه اجمالا تصريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد النفى فى المفعول الذى تعدى اليه بتضمين تركه ونحوه ثم اردفه بآية تؤيد ان المراد بالكتاب القرآن فقال (ونزلنا عليك) يا محمد (الكتاب تبيانا لكل شئ) اى مبينا لكل شئ يحتاج اليه وهو

بكسر التاء مصدر على خلاف القياس بمعنى مبين ولا ثانى له غير تلقاء على كلام فيه بعد (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ضرب المثل معلوم اى آتينا لكل امر مهم بمثال يوضحه لما فى ضرب الامثال من الفوائد المهمة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه تقدم بعض منه واورد بقيته هنا مع زيادة فيه (ان الله انزل القرآن) من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وانزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الآخر فاذا جمع بينهما وقامت قرينة اريد بالانزال الدفعى وبالتنزيل التدريجى كما فصلوه (آمرا) بالمد حال من الفاعل او المفعول على الاسناد المجازى (وزاجرا) اى مانعا وكافيا وناهيا والزجر الطرد بصوت يستعمل تارة فى الطرد واخرى فى الصوت كما قاله الراغب (وسنة خالية) اى طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الامم من خلاء بمعنى ذهب ومضى ويكون بمعنى تفرغ (ومثلا مضروبا) جعله عين المثل مبالغة لكثرة اشتماله على الامثال كغيره من الكتب الالهية وهى مقررة لما مثل له لتنزيل المعقول منزلة المحسوس قال البيضاوى ولامر ما اكثر الله والانبياء والحكماء فى كلامهم من الامثال وقوله (فيه نبأكم) بالرفع كالمعطوف عليه ان كان نائب فاعل مضروبا فهو بتقدير مضاف اى مثل نبائكم وان كان مبتدأ ففيه خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الاسلوب يحتاج لنكتة فكانها الاشارة الى انها حال اخرى غير مختصة بالقرآن كالتى قبلها والنبأ الخبر عن امر عظيم والخطاب للامة وقيل للصحابة رضوان الله تعالى عليهم (وخبر ما كان قبلكم) عبر بالخبر تفننا واشارة لشرف هذه الامة وما شامل لمن يعقل تغليبا للاكثر او لصفات من يعقل كقوله تعالى او ما ملكت ايمانكم (ونبأ ما بعدكم) اى ما بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه رضى الله تعالى عنهم او لما يقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة وغير ذلك الى يوم القيمة (وحكم ما بينكم) اى بيان للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الامة المحمدية وهو بضم الحاء المهملة وسكون الكاف (لا يخلقه طول الرد) تقدم معناه وانه بضم اوله وفتحه من الثلاثى والمزيد اى لا يبليه ويفنيه تكرار تلاوته (ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل) تقدم تفسيره (من قال به صدق) اى من اختار ما فيه وحكم به فقد اتى بامر صادق لا ريب فيه وفى القاموس قال به غلب ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به وهذا لا يناسب قوله صدق (ومن حكم به عدل) اى قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل فانه حكم الله وما ربك بظلام للعبيد (ومن خاصم به) اى خاصم بحجة وادلة ماخوذة منه (فلج) اى غلب وفاز بالنصر على من خاصمه وهو بفتح الفاء واللام وبجيم يقال فلج اذا فاز وظفر بالغلبة (ومن قسم به قسط) بفتح القاف والسين المخففة اى من تولى قسمة امر فقسمها بما فى كتاب الله كقسمة المواريث والغنائم وغيرها عدل يقال قسط اذا جار واقسط بالهمزة اذا عدل فهو مقسط فالهمزة للسلب كاشكيته اذا ازلت شكايته وهو ماخوذ من القسط

وهو الميزان كالقسطاس وفى الحديث ان الله يخفض القسط ويرفعه وهو تمثيل ويقال قسط اذا عدل ايضا فهو من الاضداد (ومن عمل به اجر) بالبناء للمفعول اى حاز الاجر والثواب الجزيل (ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم) هو كقوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة مكنية وتخييلية هنا بتنزيل المعقول منزلة المحسوس لايصاله لمن اقتدى به الى الطريق الحق وهو الصراط المستقيم الذى لا عوج فيه ولا ضلالة (ومن طلب الهدى من غيره) كعقله واقوال غيره (اضله الله) اى جعله شقيا ضالا لعدوله عن الطريق الحق (ومن حكم بـ حكم غيره قصمه الله) اى قتله واهلكه هلاكا شديدا واصل معنى القصم القطع بابانة وانفصال فاستعير لما ذكر ويجوز فى هذه الجملة ان تكون خبرية ودعائية انشائية (هو الذكر الحكيم) الذى بمعنى القرآن والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او سمى باسم قائله اى الحكيم قائله ففعيل بمعنى فاعل اى الذى يحكم الاشياء ويتقنها او الحاكم لهم وعليهم او المحكم الذى لا خلل فيه (والنور المبين) الواضح البين الذى تهتدى بانواره العقول الى الخروج من ظلمة الجهل والضلالة (والصراط المستقيم) اى الموصل الى السعادة الابدية فيصل الناس به ومنه الى المقصد الاسنى كما تصل من الطريق الى ما تريد من الدار ومنازلها (وحبل الله المتين) اى عهده وامانه الذى يؤمن العذاب وكل ما يكره ويشق على النفس ويتوصل به الى ما يحبه ويوصله لمطالبه والمتين بمعنى القوى المحكم يقال متن اذا صلب (والشفاء النافع) اما ان يراد بالشفاء ظاهره لانه يسترقى به فيشفى من بعض الامراض او يراد مطلق النفع على طريق المجاز كالمشفر او على طريقة الاستعارة بان يشبه الجهل بالداء ويجعل ما يزيله كالدواء والعلاج النافع الذى لا سقم بعده لنفعه فى الدنيا والآخرة (عصمة لمن تمسك به) بكسر العين وسكون الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو الامساك والاعتصام التمسك ويجوز ضم عينه ايضا والاكثر الافصح الكسر وتجىء العصمة بمعنى السوار ومنه المعصم لانه محلها والمراد انه حام ومانع لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل (ونجاة لمن اتبعه) اى منج له ومخلص مما يخشاه (لا يعوج) بفتح اوله وتشديد جيمه ورفعه اى ليس فيه خلل لفظا ولا معنى كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا والعوج بفتحتين الميل والانعطاف المدرك بالبصر وبكسر اوله ما يدرك بالبصيرة (فيقوم) بالنصب فى جواب النفى اى لا يحتاج الى تقويم يزيل عوجه فليس كسائر الكلام المحتاج للاصلاح (ولا يزيغ) بمعجمتين بوزن نصير اى لا يميل عن الحق والصواب (فيستعتب) بالنصب اى لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة والعتب مخاطبة ادلال وموجدة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وفى رواية الترمذى ولا تزيغ به الاهواء اى تميله (ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد)

تقدم بيانه (ونحوه) اى نحو هذا الحديث المروى عن على كرم الله وجهه ما رواه الحاكم (عن ابن مسعود وقال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فيه ولا يختلف) اى لا يقع فيه ما يخالف بعضه بعضا مع طوله و بعد عهده ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولا يتشان) بفتح الياء التحتية والتاء الفوقية والشين المعجمة والف بعدها نون مشددة تفاعل من الشن وهى القربة البالية فهو مستعار للبلا والفناء بمعنى قوله فى الرواية الاخرى لا يخلق على كثرة الرد وفى رواية لا يتفه ولا يتشان والتفه الحقارة وشئ تفه حقير كذا هو فى اكثر الروايات وصححوه وفى نسخة ولا يتشانأ بياء تحتية مفتوحة او مضمومة وتاء فوقية مفتوحة وشين معجمة والف بعدها نون وهمزة من الشنئ وهو البغض والعداوة فاستعير لتنافر الكلمات وعدم تناسبها حتى كان بينها عداوة او تخالف معانيه فهو كقوله ولا يختلف معنى وهو معنى ظاهر مكشوف فقيل الصواب هو الاول ان ارادوا بحسب الرواية فسلم وان ارادوا بحسب الدراية فلا وجه له (فيه نبأ الاولين والآخرين) تقدم بيانه بما يغنى عن اعادته (وفى الحديث) الذى رواه ابن الضريس فى فضائل القرآن عن كعب الاحبار انه قال فى التورية انزلت على محمد فذكره واخرج ابن ابى شيبة فى المصنف عن مغيث بن سمى مرسلا انزلت على تورية الخ (قال الله عز وجل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انى منزل عليك تورية) اى كتابا سماويا شبيها بالتورية لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ والوعد والوعيد والامثال والحكم والعقائد اليقينية فاطلاق التورية عليه استعارة تصريحية او مجاز مرسلا وحقيقة ان قلنا انه عبرانى معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم شانه فانه اجل كتاب نزل قبل القرآن ولشهرته بين اليهود من اهل الكتاب الذين هم اقرب اليه وهو حديث قدسى نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الوحى اوفى ابتداء امره (حديثة) اى قريبة عهد بالنزول وهو كقوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فلا دليل فيه لمن يقول بحدوث القرآن ولما كان كلام الله تعالى يسمى نورا وشفاء قال (تفتح بها اعينا عميا) اى ترشد بها من كان فى ضلالة كالاعمى لعدم اهتدائه للحق (وآذانا صما) اى وتسمع بها آذانا لا تسمع الحق فتقبله (وقلوبا غلفا) لا يصل اليها ما يهديها الى السعادة كانها فى غلاف وغشاء مانع عن وصول الحق اليها وعن الفهم وقد تقدم بيانه فسمى ازالة المانع مطلقا فتحا او هو من قبيل قوله متقلدا سيفا ورمحا (وفيها) اى فى التورية يعنى القرآن (ينابيع العلم) جمع ينبوع وهى العين التى ينبع منها الماء الجارى فشبه العلم النابع بالماء الذى تحيى به النفوس على طريق الاستعارة المكنية واثبت له الينبوع على طريق التخييل (وفهم الحكمة) اى ما يفهم الحكم وهى المواعظ وكل كلام محكم نافع جعل الفهم كانه فيها مبالغة لكونها ينبوعه ومعدنه (وربيع القلوب) الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر اى

فيها ما تحيى به القلوب و تنموا وتخصب و تمرح وتنشرح وتتنزه وتتفرح ففيه استعارة لطيفة (وعن كعب) ابن ماتع المعروف بكعب الاحبار كما تقدم (عليكم بالقرآن) اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا يقال عليك كذا و بكذا فالمراد ملازمة تلاوته وتدبر معانيه (فانه فهم العقول) اى مفهم للعقول ما يخفى عليها فهو مصدر بمعنى اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول كنسج بمعنى منسوج فانه ركيك كما يرشد اليه قوله بعده هذا بيان للناس (ونور الحكمة) اى منورها او هو كعين الماء اى فيه حكم يشرق نورها و يتلألأ وضوحا و يهتدى بها (وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون) يعنى انه بين فيه لاهل الكتاب ما اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما لم يعرفوه من كتابهم ففيه اشارة الى ان القرآن اجمع للاحكام من غيره من الكتب المنزلة قبله واوضح (وقال) تعالى (هذا بيان للناس وهدى الآية) اى لجميع الناس (من اهل الكتاب) وغيرهم وموعظة للمتقين والآيتان مما يؤيد ما قاله كعب ثم وضح ما قاله وفسره بقوله (فجمع فيه) اى فى القرآن (مع وجازة الفاظه) اى اختصارها وقلة الفاظه مع كثرة معانيه (وجوامع كلمه) معنى جوامع الكلم انها الكلام الجامع للمعانى الجمة فى الفاظ قليلة واضحة وتطلق على القرآن كما فى حديث اوتيت جوامع الكلم (اضعاف ما فى الكتب قبله) مفعول جمع اى جمع ما يزيد على سائر الكتب مثله او مثليه (التى الفاظها على الضعف منه مرات) اى مع زيادة الفاظها عليه بامثاله جمع من المعانى ما يزيد على امثاله معانيه وضعف الشئ يكون بمعنى مثليه وامثاله والتضعيف الزيادة مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس هذا محله (ومنها) اى من وجوه الاعجاز التى ذكروها (جمعه فيه) اى جمع الله فى القرآن (بين الدليل والمدلول) الدليل هو الدال المرشد الى ما يمكن التوصل بالنظر فيه الى مطلوب خبرى والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا وان كان بمعنى المعنى مطلقا ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله (وذلك) اى الجمع بينهما (انه احتج) بالبناء للمجهول فهو بضم اوله وثالثه اى ان الله اقام فيه الحجة على ما اراد اثباته والالزام به لمن اقيمت عليه الحجة (بنظم القرآن) اى بنظامه البديع المعجز (وحسن رصفه) براء وصاد مهملتين وفاء لا بواو كما فى بعض النسخ وهو من رصف البناء وهو ضم بعضه الى بعض فالمراد حسن نظمه وتأليفه كما يؤلف البناء شيئا بعد شئ حتى يتم و يكمل فى غاية الاحكام وضمير انه لله او القرآن (وايجازه وبلاغته) وفى نسخة اعجازه اى كونه فى اعلى طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ (واثناء هذه البلاغة) بالنصب على الظرفية خبر مقدم اى فى خلالها واثناء بالمد على وزن افعال جمع ثنا بالضم والقصر وهو ما اثنى ودخل بعضه فى بعض كما اشار اليه ابن هشام اللخمى فى شرح الدريدية كامر وهذا هو الدليل السابق ذكره ثم ذكر المدلول فقال (امره ونهيه ووعده ووعيده) وغير ذلك من المقاصد العظيمة التى ارادها الله

تعالى (فاتنالى له) اى القارى بفهم وتدبر لمعانيه (بفهم موضع الحجة والتكليف)
بالجر والنصب (من كلام واحد وسورة منفردة) عن غيرها مماهو حجة او يحتج به يعنى
ان كل مقدار معجز منه دال على مقصد من مقاصده يكون دالا على مطلوب ومدعا
وعبارته الدالة عليه برهان مصدق له لاعجازها وقيل المعنى انه وقع فيه الجمع
المذكور كما فى قوله فى سورة الواقعة لماحكى كلام منكرى المعاد وهو أئذا متنا الخ
عقبه بماقطع عرق شبهتهم بقوله افرايتم ماتمنون الى آخره وقيل انه كقوله
فلا تقل لهما اف انه حجة لتحريم التأفيف ومكلف باجتنابه وقوله فصل لربك
وانحر حجة لوجوب الصلوة والاضحية وانه مكلف بهما وهذا كلام لامحصل له ومحل
يحتاج للتحرير (ومنها) اى من وجوه اعجازه (ان يجعله فى حيز) يقال تحيز وتحوز
تفيعل وهذه المادة معناها فى كلام العرب يتضمن العدول من جهة اخرى من الحيز
وهو فناء الدار ومرافقها ثم قيل لكل ناحية فالمستقر فى موضعه كالجبل لايقال له
متحيز ويراد بالمتحيز عند غير العرب ما يحيط به حيز موجود وهو اعم من هذا
والمتكلمون يريدون به اعم من هذا وهو كل مااشير اليه سواء كان له حيزا ولا فالعالم
كله متحيز كما قاله ابن تيمية (المنظوم الذى لم يعهد) اى المؤلف الواقع على طريق
لايشابه شيئا من كلامهم المنظوم لاشعرا ولاخطبة ولارسالة مع كونه واضح الدلالة
بلسانهم وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه
فى كتاب الابانة ثم قال فان قلت وماهذه المباينة العظيمة التى بين القرآن وبين سائر
كلام العرب وجميع المنظوم والاوزان حتى صار لاجلها معجزا باهرا قلت هى
ما فى القرآن من البلاغة التى لايقدر اشد اهل البلاغة والالسن مقدما فى البيان
ان يأتى بمثلها اوما يقاربها (ولم يكن فى حيز المنثور) اى لم يشبه اقسام منثورهم
من السجع الملتزم حروفه كحروف روى الشعر ولاخطابة لمقاطع فصول الخطب
ومواضع استراحاتها لا لاشتماله على الفواصل كما توهم (لان المنظوم اسهل على
النفوس) اى الكلام المنسق نظمه وتأليفه على نهج واحد والمفضل عليه المنثور
بالمعنى السابق (واوعى للقلوب) جمع قلب اى ادخل فى وعائه وهو القوة الحافظة
له وفى الحديث بعد ذكر الانبياء الذى رآهم فى السماء اوعيت منهم اى ادخلته
فى وعاء قلبى فهو اسم تفضيل من المبنى للفاعل على القياس واللام داخلة على
الفاعل كما يقال هو اوعى لى ولاقلب فيه والصواب والقلوب اوعى له كما توهم
(واسمح فى الاذان) بسين وحاء مهملتين اى اسهل مستعار من السماحة وليس
من اسمع المزيد كما قيل وليس ايضا بخاء معجمة من السماخ وهو الصماخ اى منفذ
الاذن كما توهم (واحلى على الافهام) اى يستعذبه الذوق السليم فيجد له لذة
وحلاوة (فالناس اليه اميل) اى اكثر ميلا ومحبة كما قال الشنفرى * فانى الى قوم

سواكم لاميل * (والاهواء اليه اسرع) جمع هوى وهو ميل النفس وانجذابها اى
ميل القلوب نحوه اشد من ميلها لغيره (ومنها) اى من وجوه اعجازه (تيسيره
تعالى حفظه لمتعلميه) اى تسهيل حفظه لمن يريده (قال تعالى ولقد يسرنا
القرآن للذكر) فى الكشاف معنى الآية سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه
بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد وقيل معناها سهلناه للحفظ
واعنا من اراد حفظه ويجوز ان يكون معنى يسرناه هيئناه من يسر ناقته للسفر
اذا رحلها وفرسه للغزو اذا اسرجه والجمه كما قال

* وقمت اليها باللجام ميسرا * هنالك يجزينى الذى كنت اصنع *

وعلى هذا الوجه الثانى بنى المصنف استشهاده بالآية (وسائر الامم) التى قبل هذه
الامة من اهل الكتابين وغيرهم (لايحفظ كتبها الواحد منهم) اى لايوجد فيها
واحد يحفظ كتابهم المنزل على انبيائهم الا نادرا وروى عن ابن جبير ان بنى اسرائيل
لم يكن فيهم من يحفظ التورية فكانوا لايقرؤنها الا نظرا فى صحفها غير موسى
وهارون ويوشع بن نون وعزير فقيل انها رفعها الله تعالى وقيل انها حرفت
فجاء عزير وتلاها عليهم كما انزلت من حفظه فافتتنوا به وقالوا انه ابن الله وقد
من الله تعالى على هذه الامة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له
لاتحصى الى الان (فكيف الجماء) منهم اى فاذا لم يتيسر ذلك لواحد منهم الا نادرا
كيف يتيسر للكثير والجماء بفتح الميم المشددة والمد بعد جيم مفتوحة من الجموم
وهو الاجتماع والكثرة لاتعد وفى بعض النسخ فكيف الجم بعد مد وكلاهما صحيح
رواية ودراية وفى الاساس عدد جم وجبك حبا جما وجاؤا جما غفيرا والجماء الغفير
اشتق من جمة الشعر وماقيل من ان الصواب الجم لانه لايتلفظ بالجماء الا موصوفا نحو
جاؤا الجماء الغفير لااصل له وذلك انما هو اذا كان منصوبا كما ذكره اهل العربية (على
مرور السنين عليهم) اى مع طول اعمارهم وامتداد ازمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم
(والقرآن ميسر حفظه للغلمان) اى لغلمان هذه الامة واطفالهم فى مكاتبهم (فى اقرب
مدة) اى فى زمن قليل كسنة ونحوها كما شاهدناه وغلمان بكسر الغين المعجمة وهو من حين
يولد الى ان يشب (ومنها) اى من وجوه الاعجاز عند بعضهم (مشاكلة بعض اجزائه
بعضا) اى مشابهة بعضه لبعض قال الراغب المشاكلة فى الهيئة والصورة والند
فى الجنسية والشبه فى الكيف والشكل الدل وهو فى الحقيقة الانس الذى بين المتماثلين
فى الطريقة ومن هذا قيل الناس اشكال وآلاف واصل المشاكلة من الشكل اى
تقييد الدابة بالشكال ومنه شكل الكتاب (وحسن ايتلاف انواعها) اى مناسبة انواع
تلك الاجزاء فتكون كلماته متناسبة وجمله المركبة ايضا بينها الفة وحسن مناسبة
تامة (والتيام اقسامها) بهمزة ويجوز ابدالها ياء ايضا اى توافقها وانضمام كل قسم

الى مشاكله (وحسن التخاص من قصة الى اخرى) وهو ان يوافق مطلع السابقة مبداؤ اللاحقة حتى يصير كالقصة الواحدة (والخروج من باب الى غيره) اى الانتقال من نوع من الكلام الى نوع اخر وفى ذكر الخروج مع الباب لطف ظاهر (على اختلاف معانيه) الضمير للقرأن وعلى بمعنى مع اى تراه مع اختلاف مقاصده لا يخرج عن المناسبة التامة فى جمله وتفاصيله وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف فيه كتب اجلها مناسبات البقاعى وحسن التخاص مما اعتنى به البلغاء والشعراء كقوله

* يقول فى قوس محنى وقد اخذت * منى السرى وخطى المهرية القود *

* امطلع الشمس تبغى ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود *

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا (وانقسام السورة الواحدة على امر ونهى وخبر واستخبار) اى استفهام وهو احد اقسام الانشاء المقابل للخبر وعدى الانقسام بعلى والمعروف تعديه بالى الى اقسامه وانما يتعدى بعلى لمن يعطى تلك الاقسام فتقول النقد ينقسم الى دراهم و دنانير وتقول قسمته على الفقراء والمساكين فاذا استعمل احدهما فى مكان الآخر واراد الكلام كان تجوزا لنكتة وهى هنا جعل القسم الكلى كانه امر خارج قسم على افراده او انواعه فنال كلا حصة منه لوجوده فى ضمنه فلا يحسن ذلك فى كل محل ولا من كل قائل (ووعد ووعيد واثبات نبوة و توحيد) كقوله وما كنت ثاويا فى اهل مدين اذ قضينا الى موسى الامر وقوله انما الله اله واحد (وتقرير) لبعض ما شرع اولا (وترغيب وترهيب) بوعد من اتقى بالنعيم المخلد وان من كفر فى سواء الجحيم منضما ما ذكر (الى غير ذلك من فوائده) كضرب الامثال وذكر القصص للعبرة بها (دون خلل) اى امر يخل به و ينقصه (يتخلل فصوله) اى يكون فى اثناء فصوله والفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وقيل انه بمعنى الفاصلة وهى الكلمة مما بضاهى السجع (والكلام الفصيح) من كلام البشر (اذا اعتوره) اى ورد عليه وطرأ وتداوله (مثل هذا) اى تضمن انواعا من المقاصد كوعد ووعيد وعبرة وتخلل فصوله التى ينشئها المتكلم الفصيح (ضعفت قوته) لانه يكل خاطر قائله بتعدد انواع المقاصد فينزل عن مرتبتها التى ساقها فى اوله (ولانت جزالته) اى صلابته وشدته تنقلب لضدها (وقل رونقه) اى صفاؤه ونضارته (وتقلقلت الفاظه) اى اضطربت والقلقلة فى الاصل الحركة بعنف ويقال تقلقل فى البلاد اذا طال سفره فاستعير لتنافر الكلام الطويل (فتأمل) اى تدبر واطل النظر والفكر (اول) سورة (ص) والقرأن ذى الذكر الى آخره (وما جمع فيها) بالبناء للفاعل او المفعول وانث ضمير اول لانه بمعنى الفاتحة اولا كتسابه التأنيث مما اضيف اليه من اسم السورة (من اخبار الكفار) اى كفار قريش من تعجبهم بان جاءهم نذير منهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره (وشقاقهم) اى عداوتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق (وتقريعهم) وتوبيخهم

(باهلاك للقرون من قبلهم) بقوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن (وما ذكر) فيها (من تكذيبهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فى قولهم ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق (وتعجبهم مما اوتى به) فى قولهم أنزل عليه الذكر من بيننا الى آخره (والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر) الخبر هنا بمعنى الاخبار والملأ جماعة الاشراف والرؤساء وذلك انه لما اسلم عمر رضى الله تعالى عنه شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند ابى طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد رأيت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فجاء بهم له صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد هؤلاء قومك يسألونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال لهم ما تسئلونى قالوا دعنا وآلهتنا وندعك وآلهتك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتموه اتعطيى انتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد (وما ظهر من الحسد فى كلامهم) اى ما ظهر فى كلامهم مما يدل على حسدهم له صلى الله تعالى عليه وسلم على ما آتاه الله فى قولهم أنزل عليه الذكر من بيننا مما دل على اعترافهم وتيقنهم بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان الحسد اخرس السنتهم واعمى قلوبهم (وتعجيزهم) حيث قال ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب فانهم لما انكروا اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم من بينهم بالنبوة بين لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشاء ممن ارتضاه من عباده فلا مانع لما اراد فانهم لا يملكون خزائنه والتصرف فيها حتى يضعوا النبوة فى صناديدهم فان انكر واذلك فليصعدوا الى السماء وينزلوا الوحى لمن ارادوه وفى هذا غاية التهكم بهم واظهار عجزهم وقصورهم (وتوهينهم) اى اظهار ضعفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هؤلاء الذين كذبوك وتحزبوا عليك جند ذو حقارة لا قدرة لهم على التصرف فى الامور الربانية فلا تكترث بهم (ووعيدهم بخزى الدنيا) بهزيمتهم (والآخرة) بذوقهم العذاب فيها (وتكذيبهم الامم قبلهم) اى وعيدهم بذكر من كذب من الامم قبلهم (واهلاك الله لهم) بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب (ووعيد هؤلاء) يعنى كفار قريش الذين كذبوه كما كذب الامم السالفة رسلهم فيحل بهم ما حل بهم (مثل مصابهم) منصوب بقوله وعيدهم (وتصبير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على اذائهم) اى امر بالصبر بقوله اصبر على ما يقولون الى آخره (وتسليته بكل ما تقدم ذكره) من بيان مال اليه امرهم وان له صلى الله تعالى عليه وسلم فيمن تقدمه من الرسل اسوة (ثم اخذ) اى شرع بعد تصبيره وتسليته (فى ذكر داود عليه الصلاة والسلام) بقوله واذكر عبدنا داود الى آخره قيل لما فى قصته من تقطيع المعصية بذكر ما صدر منه من خلاف الاولى الذى صدر منه فعوتب عليه

فاستغفر ربه وخر راكعا واناب * فاباللك بغيره فهذا وجه ذكره هنا فتدبر (وقصص الانبياء) بفتح القاف وكسرها كسليمان وايوب وابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد فتنا سليمان الى آخره فذكرهم الله تعالى مثنيا عليهم (كل هذا) المذكور فى اول سورة ص مذكور (فى اوجز كلام واحسن نظام) على اتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقل ماء فصاحته (ومنه) اى من اعجاز القرأن وفى بعض النسخ ومنها ويحتمل ان يريد مما ذكر فى اول سورة ص (الجمل الكثيرة) من المعانى لقوله (التى انطوت عليها) واشتملت (الكلمات القليلة) بالنسبة لمعانيها وفى القلة والكثرة طباق البديع وقيل عليه ان محصل هذا انه ايجاز وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لاعادته وعده وجها مستقلا ولذا استدركه بقوله (وهذا كله) اى ماذكرهنا (وكثير مماذكرنا) فى هذا الفصل من اوله الى هنا (انه ذكر فى اعجاز القرأن) مضافا (الى وجوه كثيرة لم يذكرها الائمة اكثرها داخل فى بلاغته) اشار بقوله اكثرها الى ان منها مالا يدخل فى البلاغة كتسهيل حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد والا لم يعده الائمة من وجوه الاعجاز (فلا يجب ان يعد فنا منفردا فى اعجازه) بل يجعل من توابعه اوثمراته (الا فى باب تفصيل فنون البلاغة) فيعد فنا منها كتشاكل اجزائه وحسن التخلص فانه فن منفرد من البلاغة لامن الاعجاز فانه لايتوقف عليه اذ من المعجز مالا يكون فيه ذلك كسورة الاخلاص مثلا (وكذلك) اى من مثل المذكور (كثير مما قدمناه عنهم) اى عن الائمة (يعد فى خواصه وفضائله لا اعجازه) لانه لامدخل له فيه (وحقيقة الاعجاز) عند من لم يقل بالصرفة انما هى (الوجوه الاربعة) التى قدمها المصنف رحمه الله تعالى اولا كما قال (التى ذكرنا فليعتمد عليها) فى تحقيق الاعجاز ويستند اليها من اراد تحقيقه (ومابعدها) مما ذكر فى هذا الكتاب فانما هو (من خواص القرأن) التى لاتوجد فى كلام غيره (وعجايبه التى لاتنقضى) اى لاتعد ولا تتناهى (وبالله التوفيق) اى ما التوفيق والهداية للوقوف على عجايبه التى لاتتناهى الا من الله وعنايته وفى بعض النسخ والله الموفق وفى حديث قدسى من شغله القرأن

عن دعائى ومسألتى اعطيته افضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلبى
وشفاء همى وغمى ثم عقب معجزة القرأن التى هى اعظم معجزاته
صلى الله تعالى عليه وسلم بمعجزة اخرى عظيمة
متناسبة له فى انها سماوية ومعجزة
علية فقال فصل

تم الجلد الثانى من نسيم الرياض على الشفاء
ويليه الجلد الثالث بمنه تعالى